



مركز دراسات الوحدة العربية

سلسلة التراث القومي

# ممالك الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري

احمد عبد الباقي



**معالم الحضارة العربية**

**في القرن الثالث الهجري**







**مركز دراسات الوحدة العربية**

**سلسلة التراث القومي**

# **ممالك الحضارة المربية**

## **في القرن الثالث الهجري**

**احمد عبد الباقي**

«الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة  
عن اتجاهات يتيهاها مركز دراسات الوحدة العربية»

### **مركز دراسات الوحدة العربية**

بناية «سادات تاور» - شارع ليون - ص.ب: ٦٠٠١ - ١١٣ بيروت - لبنان  
تلفون: ٨٠١٥٨٢ - ٨٠١٥٨٧ - ٨٦٩١٦٤ - برقية: «مرعبي»  
تلكس: ٢٣١١٤ مارايب

---

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمركز

الطبعة الاولى

بيروت، أيار/ مايو ١٩٩١

# المحتويات

٧ .....	مقدمة
١١ .....	الفصل الأول : دواوين الدولة العربية وولاياتها
.....	أولاً : الدواوين
١٣ .....	ثانياً : الولايات والأقاليم
٣٢ .....	ثالثاً : إدارة الولايات
٤١ .....	الفصل الثاني : الحياة الاجتماعية
٤٣ .....	أولاً : الطبقات الاجتماعية
٥٩ .....	ثانياً : طراز المعيشة
٨٨ .....	ثالثاً : الأعياد والاحتفالات والرياضة ووسائل اللهو
١٠٣ .....	الفصل الثالث : الأحوال الاقتصادية والمالية
١٠٥ .....	أولاً : الزراعة
١١٧ .....	ثانياً : الصناعة
١٣٣ .....	ثالثاً : التجارة
١٤٠ .....	رابعاً : الحالة المالية
١٥٥ .....	الفصل الرابع : العلوم الدينية
١٥٧ .....	أولاً : العلوم القرآنية
١٧٨ .....	ثانياً : الحديث النبوي
٢٠٥ .....	ثالثاً : الفقه وأشهر الفقهاء
٢٣٦ .....	رابعاً : علم الكلام

٢٦٥.....	: حركة الترجمة وخزائن الكتب	الفصل الخامس
٢٦٧.....	أولاً : حركة الترجمة	
٢٨٨.....	ثانياً : خزائن الكتب	
٣٠٣.....	: اللغة العربية وآدابها	الفصل السادس
٣٠٥.....	أولاً : اللغة والنحو وأشهر رجالها	
٣٢٥.....	ثانياً : الأدب	
٣٦٧.....	: التاريخ والجغرافيا	الفصل السابع
٣٦٩.....	أولاً : علم التاريخ	
٣٨٧.....	ثانياً : الجغرافيا	
٤٠٥.....	: العلوم الطبيعية	الفصل الثامن
٤٠٧.....	أولاً : الكيمياء والمعادن	
٤١٦.....	ثانياً : الفيزياء وفنون الميكانيكا	
٤٢٦.....	ثالثاً : علما الحيوان والنبات	
٤٣٧.....	: الرياضيات وعلم النجوم	الفصل التاسع
٤٣٩.....	أولاً : العلوم الرياضية	
٤٥٧.....	ثانياً : علم النجوم	
٤٩١.....	: الفلسفة	الفصل العاشر
٤٩٣.....	أولاً : الفلسفة العربية	
٤٩٧.....	ثانياً : الكندي وفلسفته	
٥١٠.....	ثالثاً : فلاسفة آخرون	
٥١٧.....	: الطب وأشهر الأطباء	الفصل الحادي عشر
٥١٩.....	أولاً : تقدم الطب العربي	
٥٢٦.....	ثانياً : ممارسة الطب والرعاية الصحية	
٥٣٢.....	ثالثاً : أشهر أطباء القرن الثالث	
٥٤٧.....	: المراجع	
٥٥٩.....	: فهرس	

## مُقَدِّمَة

لا ينبغي أن مسيرة الحضارة في تاريخ أمة من الأمم لا يمكن فصلها بين قرن وآخر، إلا أن بعض مظاهرها تطفئ وتبرز فتقسم العصر بطابعها. ومع تواصل قافلة الحضارة العربية عبر قرون عديدة فإن القرن الثالث كان عصر بحث وترجمة وتأليف، مما ساعد على ظهور معالم الحضارة العربية فيه، في النواحي الاجتماعية والاقتصادية والعلمية، تلك المعالم التي بلغت ذروة الازدهار في القرن التالي. فقد شهد القرن الثالث ازدهاراً في الحياة الاقتصادية بجوانبها المختلفة. فكان من نتائج الاهتمام بالزراعة وما يتعلق بها من شؤون الري وبناء السدود، أن صار ما بين بغداد والكوفة سواداً تشتبك فيه الأنهار، وكثرت الزروع والبساتين في أرباض بغداد. كما صار نهر الاسحافي الذي أحياء المعتصم بالله بعد بناء سامراء، محور العمران في الجانب الغربي من المدينة حيث انشئت المزارع والبساتين وقامت القرى العديدة. ونستخلص من جداول قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي، أن إيرادات العراق كانت تمثل ٣٩ بالمئة من إيرادات الدولة العربية، ومعظمها من جباية الغلات الزراعية المستوفاة من السواد حيث بلغت نسبتها ٦٥ بالمئة من مجمل إيرادات العراق، وهي تعطي صورة جلية عن ازدهار الزراعة آنذاك.

وفي ميدان الصناعة نشطت صناعة النسيج والسجاد، والمعادن، والفخار والخزف والزجاج، والصابون والعمطور، وغيرها من الصناعات، لتلائم وحاجيات المجتمع الجديد والمرحلة الحضارية التي وصلت إليها الدولة العربية. وتوسعت المبادلات التجارية ونشطت حركة نقل البضائع والمواد بين مختلف الأقاليم والولايات. وفي التجارة الخارجية غرت السفن العربية عباب بحر الروم، كما كانت تنقل البضائع بين الموانئ العربية وبلدان الشرق الأقصى عبر الخليج العربي والمحيط الهندي. واستطاع التجار العرب أن يطردوا التجار اليهود من البحار، عندما وسعوا تجارتهم نحو بلاد الروس وبلدان حوض البلطيق.

وكان هذا الازدهار الاقتصادي عاملاً قوياً في النهضة العلمية العربية التي شهدتها هذا

القرن، وقد عمّت هذه النهضة أرجاء الدولة العربية. ونرى من الضروري أن نكرر ما سبق أن قلناه في مقدمة كتابنا عن سامراء أن كلمة العرب بمعناها الواسع لم تعد تقتصر على سكان البلاد فقط، بل إنها شملت جميع الأمم والشعوب التي حمل العرب الدين الاسلامي إليها، واتخذت من العربية لغة لها، وانضوت تحت راية الدولة العربية. ومن ثم فإن الحضارة التي ظهرت معالمها في هذا القرن وازدهرت في القرن التالي كانت حضارة عربية.

وقد كانت حركة الترجمة التي ابتدأت في منتصف القرن الثاني، قد اتسعت وازدهرت في هذا القرن، وبمخضت عن نقل عديد من كتب اليونان في مواضيع مختلفة، فساعدت في بناء صرح الحضارة العربية. وواضح أن ازدهار هذه الحضارة في القرن الرابع إنما كان ثمرة ما بذله أعلام القرن الثالث الذين أغنوا العلم بترجماتهم وتصانيفهم ونتائج تجاربهم، بحيث يمكن القول إنهم أرسوا أسس أكثر العلوم وحدودا عتواها، وأظهروا في ذلك من المبادرات والانجازات ما لم يسبقهم إليه أحد. فكان من ذلك شجرة باسقة فارعة أتت أكلها بعد حين، فكان من خير الثمرات وأنضجها.

ومن الحق أن نقول إن أمة العرب تميزت في فتوحاتها على كثير من الأمم بأنها كانت أمة بناءة. فحيثما وجد العرب في البلاد التي أفاءوا عليها ظل الاسلام، صناعة متميزة، أو عمراناً شائخاً، أو علماً قائماً، عملوا على تطويره وتحسينه. وهم لم يكتفوا باقتباس بعض ما وجدوه من ذلك وصيائنه من الضياع والتلف، بل انهم تبّنوه وصحّحو أخطائه وأضافوا إليه، فكانوا بناءة حضارة بكل معنى الكلمة. وهذا ما سيلمسه القارئ الكريم في هذا الكتاب. فقد أفاد العرب مما ترجموه من الكتب اليونانية، فتعرفوا على منطق أرسطوطاليس واستقراء سقراط، فانتهجوا في أعمالهم وأبحاثهم العلمية طريق المنطق والاستقراء مع دقة الملاحظة والاعتماد على التجربة. فجمعوا الحقائق من مختلف مصادرها في أي موضوع عاجلوه، واستخرجوا منها ما توصلوا إليه من آراء ونظريات. وقد تميزوا بأنهم لم يقفوا عند حدود النظريات كما فعل اليونان، بل طبقوا ذلك ما استطاعوا عملياً، فصنعوا الساعات المائية والمزاول الشمسية، والأدوات المختبرية، وأقاموا المراصد الفلكية وصنعوا ما محتاجه من أجهزة وأدوات.

لقد تفجرت قابلياتهم العلمية وظهر منهم عدد كبير من أعلام العلماء في مختلف أفانين المعرفة ممن يفخر بهم التاريخ العربي الاسلامي، واستطاعوا أن يرتفعوا في خلاله بالحياة الفكرية والدراسة العلمية إلى أسنى مقام. فقد توسعت الدراسات القرآنية، وثبتت أصول الحديث فوضعت كتب الصحاح الستة، واستقرت المدارس الفقهية على أيدي عدد من كبار الفقهاء، وتجرد علم التاريخ من الجغرافيا والخبر وصنفت أهم كتب التاريخ فيه. أما في النواحي العلمية والفلسفية، فقد قطعوا أشواطاً مهمة في ميادين العلوم الطبيعية واقتربوا كثيراً من بعض الحقائق العلمية. فقد وضعوا «الصفّر» قيد الاستعمال في العلوم الرياضية وجعلوا الجبر علماً متقناً تقدموا به مراحل عما كان معروفاً عنه، ووضعوا أسس الهندسة التحليلية، وأوجدوا علم المثلثات، وتوصلوا في أرصادهم الفلكية إلى معرفة أوج الشمس ومدارها ومدار القمر والكواكب الأخرى، والحركة البطيئة في تقدم الليل والنهار. وكانوا قد تنبّهوا إلى أن ما

يظهر من دوران الكواكب إنما هو دوران الأرض وليس الشمس والفلك. أما انجازاتهم في الكيمياء وفنون الميكانيكا وفي علمي الحيوان والنبات، فقد كانت على درجة كبيرة من الأهمية. ويرى في ذلك علماء مشهورون خلدوا أسماهم بملاحظاتهم ومبتكراتهم. ولعل أهم ما يمكن الإشارة إليه من هذه المواضيع تصنيفهم المواد الكيميائية، وقولهم بحركة الأجسام ذاتياً بطبيعتها، وتفسير سقوط الأجسام والتجاذب بينها عندما تختلف كتلتها، ومبتكراتهم في علم الميكانيكا والاستفادة منها في الحياة العملية، ونقضهم نظرية الإبصار اليونانية بأن قالوا إن الرؤية تحصل من سقوط أشعة الجسم المرئي على العين.

أما في ميدان الفلسفة والطب، فقد استطاع فيلسوف العرب الكندي أن يضع أسس الفلسفة العربية الإسلامية، ويمهد بآرائه الجريئة طريق الفلسفة للآخرين. أما في الطب فقد بلغ العرب شأواً بعيداً في تقدمهم بعلمي الطب والصيدلة وفي شؤون الرعاية الصحية، إذ برز عدد من الأطباء العباقرة كان لهم أثر واضح في ذلك بما اكتشفوه من الحقائق الطبية، وعوارض بعض الأمراض، وما صنفوه من الكتب والرسائل، كما أنهم مهروا في تركيب العقاقير فساعدوا على تقدم الصيدلة التي كانوا روادها حقاً.

ولقد حاولنا أن نتلمس في هذا الكتاب معالم هذه الحضارة، فجاءت دراستنا في أحد عشر فصلاً قدمنّا في الفصل الأول موجزاً عن دواوين الدولة العربية وولاياتها وإداراتها. وحددنا في الفصل الثاني معالم المجتمع العربي وأسلوب معيشة الناس في سكنهم وطعامهم ولباسهم وأعيادهم ووسائل هههم. وعقبنا في الفصل الثالث بدراسة الأحوال الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة مع حالة الدولة المالية. أما في الناحية العلمية فقد خصصنا الفصل الرابع للعلوم الدينية التي تناولت الدراسات القرآنية، والحديث، والمذاهب الفقهية، وعلم الكلام. وتناولنا في الفصل الخامس حركة الترجمة التي توسعت في هذا القرن، وأبرز رجالها وأعمالهم، وأشرنا إلى ما يتعلق بعالم الكتب من الخزائن التي انتشرت في أنحاء البلاد، مما توفر لنا عنه معلومات واضحة. وخصصنا الفصل السادس للغة العربية وآدابها، النثر وأبرز كتابه، وتطور الشعر ونقده وأغراضه ومن اشتهر من الشعراء في كل غرض منها. وعرضنا في الفصل السابع مراحل تقدم علم التاريخ وظواهر تطور الجغرافيا. ودرسنا في الفصل الثامن ظواهر تقدم العلوم الطبيعية. وفي الفصل التاسع أوضحنّا ما وصلت إليه العلوم الرياضية الحساب والجبر والهندسة، وعلم النجوم في الهيئة وأحكام النجوم (التنجيم). وخصصنا الفصلين العاشر والحادي عشر لموضوع الفلسفة العربية، وتقدم الطب، ومن اشتهر من الفلاسفة والأطباء. وقد ثبتنا التواريخ كافة بالسنة الهجرية، ووضعنا في آخر الكتاب جدولاً بما يقابل ذلك من السنوات الميلادية.

وختاماً، نرجو أن يكون التوفيق قد حالفنا في عرض صورة واضحة لصفحة زاهية من تاريخ أمتنا المجيدة، معتردين عما جاء في عملنا من نقص، إذ الكمال لله وحده، وهو ولي التوفيق.

أحمد عبد الباقي





الفصل الاول  
دَوَاوَيْنُ الدَّوْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَوَلَايَاتِهَا



## أولاً: الدواوين

كان بعض دواوين الدولة قد نشأ منذ أيام الخلفاء الراشدين، وقد طورت هذه الدواوين وأعيد تنظيمها في عهد الأمويين بحسب الحاجة التي كانت قائمة آنذاك. ويذكر اليعقوبي الدواوين التي كانت قائمة عند انتقال الحكم إلى العباسيين والتي نقلها أبو جعفر المنصور إلى مدينة بغداد عند تأسيسها، وهي: ديوان الرسائل، ديوان الخراج، ديوان الخاتم، ديوان الجند، ديوان الخواص، وديوان الأحشام<sup>(١)</sup>. ثم يضيف ديوان الصدقات<sup>(٢)</sup>. وقد تطورت هذه الدواوين وأضيف إليها بعد دواوين أخرى نشأت الحاجة إليها ولا سبيل في أيام أبي جعفر المنصور والمهدي وهارون الرشيد.

وعندما انتقل مركز الخلافة إلى سامراء كانت الدواوين قد استقرت أسسها وتعينت واجباتها إلى حد غير قليل، لأن أعمال بعض الدواوين كانت تتداخل بأعمال غيرها مما يجعل من الصعوبة تعيين الحدود الفاصلة بينها بدقة<sup>(٣)</sup>. وكان يرأس كل ديوان موظف مسؤول يسمى صاحب الديوان. وقد أنيط الاشراف على الدواوين بالوزراء باعتبار أن الوزير رئيس السلطة المركزية. وكان لبعض الدواوين الرئيسة فروع في الولايات المهمة. فقد كان هناك

---

(١) أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، البلدان (لندن: مطبعة بريل، ١٨٩٢)، ص ٢٤٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٤٣.

(٣) آدم مزن، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ترجمة محمد عبد

الهادي أبو ريدة، ٢ ج (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٠)، ج ١، ص ١٢٥

ديوان للخراج في كل من الكوفة والبصرة ومصر والشام<sup>(٤)</sup>، وفي ارمينيا وأذربيجان ومكة والمدينة المنورة واليمن والجزيرة<sup>(٥)</sup>.

ويشير اليعقوبي إلى أن المعتصم بالله خصص موضعاً لبناء الخزان الخاصة والعامّة عندما بنى سُرَّ من رأى (سامراء). كما يشير إلى أن جميع دواوين الدولة نقلت من سُرَّ من رأى إلى مدينة المتوكّلية التي بناها المتوكّل على الله واتخذها مقراً له، ويذكر منها ديوان الخراج، وديوان الضياع، وديوان الزمام، وديوان الجند والشاكرية، وديوان الموالي والغلمان، وديوان البريد<sup>(٦)</sup>.

وفي ما يلي استعراض للدواوين التي كانت قائمة في خلال القرن الثالث، مع بيان أهم أعمالها وواجباتها، وسنعمد على كتاب الخراج وصناعة الكتابة لقدامة بن جعفر، إلا إذا أشرنا إلى مصدر آخر<sup>(٧)</sup>.

## ١ - ديوان بيت المال

ويُعرف بالديوان السامي، ويعتبر أصل الدواوين ومرجعها، إذ تدوّن في جرائده جميع ما يرد إلى بيت المال من عين وغلّال وغنائم وأعشار. ويشرف كذلك على ما يخرج من وجوه الإنفاق والإطلاقات. فيتولّى إثبات ما تنفقه سائر الدواوين بمصادقته. وعلى صاحب هذا الديوان أن يتبّين من صحة ما تحصّل من الإيراد، ويتخذ لأصناف الأموال الخزائن لحفظها وصيانتها<sup>(٨)</sup>. ونظراً لأهمية هذا الديوان فقد كان لصاحبه علامة خاصّة يضعها على الكتب والصكوك والإطلاقات، يتفقدّها الوزير وخلفاؤه ويطالبون بها إذا لم يجدوها، بحيث لا تنفذ كتب الانفاق ما لم تكن تحمل تلك العلامة. وقد اتخذت هذه العلامة لثلاثاً يتخطى المدبرون هذا الديوان فيختل أمره. وكان على صاحب هذا الديوان أن يقدم إلى الوزير ختمة - أي تقريراً شهرياً - بكل ما يسجل إيراداً لبيت المال، وما يتفق منه ومن الدواوين الأخرى. وما يرفعه من الختومات تشتمل على ما يرفع إلى دواوين الخراج والضياع من سائر الإيرادات، وما يرفع إلى ديوان النفقات مما يطلق في وجوه الانفاق. وكان المتولي له جامعاً للنظر في الأمرين وعاسياً على الأصول والنفقات.

(٤) أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى، الوزراء والكتاب، حقّقه مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلمي (القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده)، ١٨٩٩، ص ١٢٤، ١٤١ و١٦٧ على التوالي.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٧٧.

(٦) اليعقوبي، البلدان، ص ٢٦١ و٢٦٧ على التوالي.

(٧) أبو الفرج قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، حقّقه محمد حسين الزبيدي (بغداد: دار الحرية، ١٩٨١)، ص ٢١ - ١٢٩.

(٨) الحسن بن عبد الله العباسي، آثار الأول في ترتيب الدول (مصر: مطبعة بولاق، ١٢٩٥هـ)، ص ٧٤.

## ٢ - ديوان النفقات

يتولى تدوين ما يتفق أو يخرج من الأموال العامة للإنفاق على الجيش وغيره، فهو ينظر في المصروفات كافة، وله علاقة مباشرة بديوان بيت المال، ويمكن اعتباره جزءاً متمماً له. كما أنه يتولى توفير احتياجات دار الخلافة، فيصرف أرزاق متسببها من موظفين وخدم، ومحاسب متعهدي التجهيزات للدار، ويتفق على ما فيها من الخيل والبغال وغيرها من الدواب، وعلى ساستها والقوام عليها. ويتولى الإنفاق على إنشاء المباني أو ترميم القائم منها. ونظراً لسعة واجبات هذا الديوان وأعماله، فإنه يقسم إلى عدد من المجالس بحسب تلك الواجبات، منها:

أ - مجلس الجاري: ويتولى العمل بما يتعلق بديوان الجيش، وينظم سجلات المستزقة بحسب أصنافهم وأوقات استحقاقهم للأرزاق.

ب - مجلس الأنزال: ويقوم بمحاسبة متعهدي أرزاق الجيش من الخبز واللحم والحلوى والغصاة والثلج والحطب والزيت والحيوان وغير ذلك، والتثبت من مبالغها بالنسبة إلى أصنافها ونوعياتها وأوزانها.

ج - مجلس الكراع: ويتولى أمر علفة الدواب ومحاسبة العلافين على العلفات المقدمة، وأمر المروج المخصصة لرعيها، كما يتولى أمر معالجتها، وشؤون سواها.

د - مجلس البناء والمرمة: وهو يكبر ويصغر حسب ميول الخلفاء إلى البناء والتعمير، ويقوم بمحاسبة القوام والمهندسين وسائر الصناع كالتجارين والمزوقين والمذبحين وغيرهم، وباعة مواد البناء من جص ونورة وأجر. ويحتاج المحاسب لذلك إلى معلومات حسابية وهندسية.

هـ - مجلس الحوادث: ويتولى أمر النفقات الحادثة، أي الطارئة، أو الاستثنائية، بجميع أصنافها ووجوه إنفاقها.

ويعتبر ديوان النفقات أرفع الدواوين إذ إنها ترجع كلها إليه في أمورها، كما ترفع إليه حساباتها ليستوفي عليها، ويطلبها بالأموال وما يتعين من المصالح. ويسمى صاحبه (المستوفي) الذي ينبغي أن يكون عارفاً بالحساب والمكايل والمقاييس والأسعار، وبجميع صنوف البضائع والمواد والأثاث، وغيرها، وملماً بالرسوم<sup>(٩)</sup>.

## ٣ - ديوان الخراج

وهو أهم الدواوين، إذ يتولى أمور الجباية والحفاظ على حقوق بيت المال في ضريبة الخراج والنظر في مشاكلها. كما يقوم بتقديم حسابات الضرائب في مختلف الولايات. وعلى

(٩) المصدر نفسه، ص ٧٢.

صاحب هذا الديوان أن يكون ذا معرفة بالمساحة والحساب، وأن يتصف بالعدالة والأمانة ليأخذ الحق فلا يخيف أو يضيع<sup>(١٠)</sup>. وسوف نتناول موضوع الخراج وصاحب ديوانه بشيء من التفصيل في البحث الخاص بمالية الدولة.

#### ٤ - ديوان الجيش

ويسمى ديوان الجند أيضاً، وفيه تحفظ سجلات بأسماء الجند وأنسائهم ومراتبهم وأرزاقهم وأعطياتهم. ويجب أن يكون صاحب هذا الديوان خبيراً بشؤون الجيوش والعروض ومراتب الرجال وموقعهم في الدولة، وأن يتقن أمر الحلية وشيات الدواب والسلاح، أي أنه يجب أن يكون خبيراً بكل ما يتعلق بالجيش، لأن هذا الديوان هو أساس انتظامه<sup>(١١)</sup>.

ويقسم ديوان الجيش إلى عدة مجالس أهمها مجلسان، هما مجلس التقرير ومجلس المقابلة. وينظر مجلس التقرير في استحقاق الرجال وأوقات أعطياتهم، وسياقة أيامهم وشهورهم، وتقرير ما يحتاج إلى إطلاقه لهم من الأرزاق في وقت وجوبها، وتجريد النفقات التي تنفذ لوجوهم.

أما مجلس المقابلة فإنه ينظر في الجرائد - السجلات - ويدقق الأسماء، ومنازل الأرزاق، ومنه تصدر الكتب الخاصة بذلك، كما يرد إليه ما يتعلق بها من الكتب. وهذا المجلس مسؤول عن تثبيت صفات الرجال، وشيات الدواب. إذ كان من المعتاد أن تثبت حلية كل رجل - أو صفاته المميزة - فيذكر سنه، ولونه، وسمات وجهه، وما إذا كان في جسمه خال أو وشم، فيوصف ويذكر موضعه من جسمه. وكانوا يدونون الحلية بمنتهى الدقة والتفصيل، لأنه كلما كثرت العلامات الفارقة كان ذلك أثبت للحلية. أما شيات الدواب فتتناول ذكر نوع الدابة، ثم اللون، وإن كان في الدابة سمة خاصة أشير إليها وإلى موضعها من جسمها، وإن لم يكن بها سمة أصلاً قبل عنها إنها غفل.

ولكتاب ديوان الجيش أحكام وألفاظ وتعابير خاصة قد يقع اللبس فيها على من لم يعتدّها. وقد ذكر قدامة بن جعفر جانباً منها<sup>(١٢)</sup>.

#### ٥ - ديوان البريد

يتولى هذا الديوان نقل الرسائل والأوامر والأخبار بين حاضرة الخلافة والولايات. ويقوم صاحبه بعرض الأخبار التي ترد من جميع النواحي، إلى الخليفة، أو أنه يعمل بها جوامع لها - مختصرات وخلاصات - ويقدمها إليه. كما أنه مسؤول عن أمور المرتبين في السلك وحملة البريد، من حيث تقليدهم ودفع أرزاقهم والإشراف على أعمالهم. لذا وجب

(١٠) المصدر نفسه، ص ٧١.

(١١) المصدر نفسه، ص ٧٠.

(١٢) انظر: قدامة بن جعفر، المصدر نفسه، ص ٣١ - ٣٢.

أن يكون ثقة متحفظاً عارفاً بجميع المسالك والطرق إلى مختلف النواحي والأطراف. وكان يستعان به عندما يُراد إنفاذ جيش إلى جهة ما من أطراف الدولة، ليشير إلى أقصر الطرق وأسلمها للوصول إليها. ويعتبر مسؤولاً عن حفظ أمن الطرق وصيانتها من اللصوص، وطرق الأعداء، وتسلب الجواسيس<sup>(١٣)</sup>.

وعلى صاحب البريد أن يرفع إلى الخليفة تقارير عن سلوك الموظفين والعمال وأعمالهم، وعن الحوادث المهمة وما يلفت النظر من أحوال الناس، وأسعار المواد الغذائية، وعن أخبار الأعداء. ولذا فقد كانت له عيون ودسائس من النساء والصبيان ومن أصحاب الحرف والصناعات<sup>(١٤)</sup> يوافونه بكل ما يرون وما يسمعون. إلا أنه يبدو أن بعض أصحاب البريد كانوا يمانئون الحقيقة في تقاريرهم عن أعمال الولاة، وسيئون استخدام مناصبهم، وإن بعضهم تنقصه الأمانة، مما لفت نظر قاضي القضاة أبي يوسف فنبه الخليفة هارون الرشيد إلى ذلك بقوله «يلغي عن واثك عل البريد والأخبار في النواحي تخليط كثير وعبابة فيها يحتاج إلى معرفته عن أمور الولاة والرعية، وأنهم ربما مالوا مع العمال على الرعية وسروا اختياريهم وسوء معاملتهم للناس، وربما كتبوا في الولاة بما لم يفعلوا إذا لم يرضوهم. وهذا ما ينبغي أن تتفقد، وتأمر باختيار الثقات العدول من أهل كل بلد ومصر فتوليهم البريد والأخبار... وتقدم إليهم أن لا يعملوا على دواب البريد إلا من تأمر بحمله في أمور المسلمين، فإنها للمسلمين»<sup>(١٥)</sup>.

وما يؤيد ملاحظة أبي يوسف عن عمال البريد ما ذكره ابن طيفور وهو ليس بعيد عهد منه، من أنهم كانوا يرفعون الأخبار إلى المأمون ولو لم تصح بالعدول. ويقول صاحب الخبر: لو لم نرفع إلا ما يثبت بالعدول لم يتهياً ذلك في السنة إلا مرة أو مرتين<sup>(١٦)</sup>. وهذا يعني أنهم يرفعون ما يشاع من الأخبار دون تمحيص أو تدقيق. ويذكر المقرئ «ولما اشتد الخلاف بين الموفق وأحمد بن طولون وحاول تنحيته، أخبر عامل البريد أحمد بن طولون بذلك، فاحتاط لنفسه وعمل على احباط جهود الموفق»<sup>(١٧)</sup>، مما يستدل منه عدم أمانة صاحب البريد هذا. وكان بعض الخلفاء واقفين من عدم صدق صاحب البريد وأمانته، فإن التوكل على الله لما ولي ابن الكلبي على البريد أحلفه بالطلاق بالآي يكتمه شيئاً من أمر الناس جميعاً حتى من أمره هو نفسه<sup>(١٨)</sup>.

(١٣) العباسي، المصدر نفسه، ص ٨٥.

(١٤) المصدر نفسه، ص ٨٩.

(١٥) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الانصاري، الحراج، ط ٢ (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٩٣٣)، ص ١٨٦.

(١٦) أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور، بغداد، عني بنشره عزت العطار (القاهرة: مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ١٩٤٩)، ص ٦٨.

(١٧) أبو العباس أحمد بن علي المقرئ، الخطط المقرئية المسماة بالمواظظ والاعتبار يذكر الخطط والآثار يختص ذلك بأخبار أقليم مصر والنيل وذكر القاهرة وما يتعلق بها وإقليمها، ج ٢ (مصر: مطبعة بولاق، ١٨٥٤)، ج ٢، ص ١٧٨ - ١٧٩.

(١٨) أبو الفرج علي بن الحسين الاصبهاني، الأشراف (القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د.ت.)، ج ١، ص ٥٥.

وكان من المعتاد أن ينظم في أوقات الحرب بريد خاص إضافة إلى البريد الاعتيادي، لتأمين السرعة في إيصال الرسائل وأخبار الحرب وغيرها، بين ميامين المعارك وحاضرة الخلافة. وقد بلغ البريد درجة عالية من التنظيم بحيث كان عماله يوافون الخلفاء، بالأخبار مرة أو مرتين في اليوم. فإذا صلبوا المغرب وافهم بما حدث طول النهار، وإذا صلبوا الصبح كتبوا إليهم بما جرى في الليل من أمور، مما يسر للخليفة أن يقف على كثير مما يحدث في أرجاء الدولة الواسعة.

وكان الخليفة أبو جعفر المنصور أبدى اهتماماً كبيراً بالبريد، وقد وضع نظام خيول النوبة<sup>(١٩)</sup>. كما كان المعتصم بالله شديد الاهتمام بشؤون البريد، فقد رتب بريداً خاصاً عندما بعث عجيف بن عنيسة لحرب الزط والقضاء عليهم، بما كفل وصول أخبار الحملة إليه يومياً<sup>(٢٠)</sup>، بحيث كان على علم مستمر بأخبارها. وكذلك أوعز بتنظيم بريد خاص عندما بعث جيوشه لقطع دابر الخرمية، بما أمن وصول الأخبار إليه أو أوامره إلى القواد خلال أربعة أيام أو أقل<sup>(٢١)</sup>. فكان يطلع على سير المعارك، ويوجه قائد الحملة، وهو في عاصمته سامراء. كما أنه استخدم الخيام لنقل الرسائل في هذا البريد<sup>(٢٢)</sup>.

أورد قدامة بن جعفر نسخة عهد بولاية بريد تتضمن واجبات صاحب البريد، ويعطينا صورة عما صار إليه هذا الديوان من تقدم وتنظيم في نهاية القرن الثالث<sup>(٢٣)</sup>. وكان البريد خاصاً بمراسلات الدولة، وينقل أحياناً إضافة إلى الرسائل أشخاصاً من رجال الدولة وغيرهم ممن يراد إيصالهم بسرعة. كما يقوم بنقل المواد والامتعة الخاصة بالخليفة.

وكانت طرق البريد تقسم إلى محطات تسمى السكك، وبين كل سكة وأخرى فرسخان<sup>(٢٤)</sup>، (الفرسخ ثلاثة أميال). وقد استخدمت للبريد الخيل والجمال وبخاصة الجميزات منها وهي الإبل السريعة الجري. وكانت كل سكة منها مزودة بالخيول وغيرها، وبالراكبين من حملة البريد. وقد يركب حامل البريد الطريق كله، أو أنه يسلم البريد إلى حامل آخر ليواصل

---

(١٩) محمد بن علي بن طباطبا بن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية (مصر: مطبعة الموسوعات، ١٨٩٩)، ص ٢٤٠.

(٢٠) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ذخائر العرب، ٣٠ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٠-١٩٦٨)، ج ٩، ص ٨.

(٢١) المصدر نفسه، ج ٩، ص ٥٢.

(٢٢) أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد عبي الدين عبد الحميد، ط ٥ (د.ن.د.، ١٩٦٧)، ج ٤، ص ٥٦.

(٢٣) قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص ٥٠-٥٢.

(٢٤) أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (لندن: مطبعة بريل، ١٩٠٦)، ص ٦٦، وشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، معجم البلدان، ج ٥ (بيروت: دار صادر، ١٩٧٥)، ج ١، ص ٣٦.



السير به . كما كانوا يستخدمون بين بعض السكك السعاة من الركاضين المشهورين بسرعة الجري<sup>(٢٥)</sup>.

وقد تضمن كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه احصائيات قيمة عن البريد على عهده . وهذه الاحصائيات أهمية خاصة لأن واضعها كان يتولى البريد مدة من الزمن ، وقد جاء فيه أن عدد سكك البريد تسعمئة وثلاثون سكة ، وأن نفقات الدواب وأئمانها وأرزاق البنادرة والفرانقيين لسنة واحدة مئة ألف دينار وتسعة وخمسون ألفاً مئة دينار<sup>(٢٦)</sup>.

## ٦ - ديوان الرسائل

يتولى هذا الديوان تحرير كتب الخليفة وأوامره إلى الولاة والقواد وكبار الموظفين ، وكتب التقليد ، وتحرير الرسائل السياسية ، وهي الكتب التي يوجهها الخليفة إلى ملوك الدول الأجنبية . ويعتبر هذا الديوان من أخطر الدواوين لأن صاحبه يصدر الكتب بعد أن يتم عليها بختم الخليفة ، وهو يجلس مع الخليفة إذا ما جلس للنظر في المظالم . ولذلك لا بد أن ينتخب من أرفع طبقات الناس ، إضافة إلى كفايته العالية في البلاغة ومختلف العلوم . والشروط التي يلاحظها الخليفة عند اختياره عديدة ، وقد أحسن استيعابها عبد الحميد الكاتب في الرسالة المنسوبة إليه والموجهة إلى صنف الكتاب . فهو بعد أن يهجد لأهمية هذه الوظيفة ، يعدد الصفات التي يجب توفرها فيمن تعهد إليه ، وأهمها : أن يكون حليماً مقداماً ، مؤثراً للعفاف والعدل ، كتوماً للأمرار ، قد نظر في كل فن من فنون العلوم وأخذ منه ما يساعده على معرفة ما يرد عليه قبل وروده ، وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره ، فيُعد لكل أمر عدته وعتاذه ، ويبىء لكل وجه هيئته<sup>(٢٧)</sup>.

وكانت هناك نماذج لبعض الكتب المهمة ، على صاحب هذا الديوان أن يكون عارفاً بها ، لا سيما عهود التعيين الخاصة بالقضاة ، وولاية الحرب ، وولاية الثغور والبريد . وتتضمن هذه العهود واجبات صاحبها وخطة عمله المرسومة له . وقد ذكر قدامة بن جعفر بعضاً من العهود المذكورة في الفصل الخاص بديوان الرسائل . كما ذكر النويري الأمور التي يجب أن يراعيها الكاتب في كتابة التقاليد والمنشورات وأمثالها ، منها براعة الاستهلال بذكر الرتبة أو الحال أو لقب صاحب التقليد أو اسمه ، بحيث لا يكون المطلع عليها بعيداً عن هذه الأحوال ، ثم يستصحب ما يناسب الغرض ويوافق القصد . وأن يراعي المناسبة وما تقتضيه

(٢٥) متى ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام ، ج ٢ ، ص ٣٥٦ .

(٢٦) أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه ، المسالك والممالك ، تحقيق ميخائيل دو غريب ، المكتبة الجغرافية العربية ؛ ٦ (لندن : مطبعة بريل ، ١٨٩٨) ، ص ١٥٣ .

(٢٧) انظر نص الرسالة في : الجيشاري ، الوزراء والكتاب ، ص ٧٤ - ٧٨ ، وأبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، العبر وديوان المبدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر : مقدمة ابن خلدون ، ٧ ج (مصر : المطبعة الخيرية ، ١٩٠٤) ، ص ١٣٥ - ١٣٧ .

الحال، فلا يعطي أحداً فوق حدّه، ولا يضعه بأكثر مما يراد مثله. وأن لا يصف المتولي بما يكون فيه تعريض بالمعزول وتنقص له. وأن يتخير الكلام والمعاني بما يشيع ويلذيع<sup>(٢٨)</sup>.

ومن المعتاد أن تحفظ نسخ من كتب الخليفة وأوامره، بعد أن تختم النسخة الأصلية بالشمع وترسل إلى الجهة المطلوبة. ويتولى ديوان خاص حفظ هذه النسخ هو ديوان الخاتم الذي كان يلحق عادة بديوان الرسائل للصلة الوثيقة بينهما.

## ٧ - ديوان التوقيع والدار

مهمة هذا الديوان جمع القصص والرقاع التي ترفع إلى الخليفة، وشرح ما فيها، ورفعها إليه. فإذا وافق الخليفة على ما تضمنه الطلب، أو أبدى ملاحظات حوله، وقع صاحب هذا الديوان بخطه بما أوعز به الخليفة. وكانت هذه التوقيعات عادة من الجمل المختصرة البليغة. وقد بلغ بعضها الغاية في البلاغة والمعنى. ويطلق على هذا الديوان اسم الحوائج أيضاً.

وكان صاحب ديوان التوقيع يكتب بقرار الخليفة أو ملاحظاته إلى صاحب ديوان الدار، فيكتب ديوان الدار إلى صاحب الديوان الذي يتعلق به موضوع الطلب، فإذا كان ذا علاقة بالخراج مثلاً كتب إلى ديوان الخراج. وذكر قدامة نسخة من نص الكتاب الذي كان يوجه من ديوان الدار إلى الديوان ذي العلاقة.

## ٨ - ديوان المستغلات

يتولى صاحب هذا الديوان إدارة ممتلكات الدولة من العقارات، وربما بعض الأراضي في المدن، وأما عامة الأراضي فلا علاقة له بها. ويتولى صاحب ديوان الضياع إدارة ضياع الخلافة والإشراف على شؤونها وتحصيل إيراداتها والقيام بما تحتاجه من صيانة وتعمير. أما الضياع الخاصة بأفراد الأسرة المالكة فلها شأن آخر.

## ٩ - ديوان الصدقات

تنحصر مهمة هذا الديوان في جباية موارد الزكاة وغيرها من الصدقات وتوزيعها على مستحقيها وفق الأحكام الشرعية. وسنوضح الأحكام الخاصة بما تؤخذ عنه الزكاة، والجهات التي توزع عليها شرعاً، ومواصفات المتولي شؤون هذا الديوان في الفصل الخاص بموضوع مالية الدولة.

---

(٢٨) أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب (القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، [د.ت.])، ج ٧، ص ٢٠٢.

## ١٠ - ديوان المصادرة

كان الخليفة أبو جعفر المتصور قد أحدث هذا الديوان ليتولى تسجيل الأموال المصادرة بأنواعها المختلفة، وأسبأ من صودرت منهم، وإدارة ما يتعلق بتلك الأموال. وتدوّن وثائق هذا الديوان بنسختين، إحداهما للوزير والأخرى تحفظ في الديوان. وقد أصبحت لهذا الديوان أهمية خاصة في عهد خلفاء سامراء لكثرة ما صودر من أموال الوزراء والكتّاب والقضاة، لا سيما في عهد المعتصم بالله وإبنه الواثق بالله والمتوكل على الله، وفي أيام المعتمد على الله.

## ١١ - ديوان الفضّ

ترد إلى هذا الديوان جميع الرسائل الموجهة إلى الخليفة، فيفضها ويلخص محتواها ليطلع عليها الخليفة ويوقع ما يراه بشأنها. ويقول قدامة إن هذا ما كان الأمر جارياً عليه عندما كان الخلفاء يتولون النظر في الكتب بأنفسهم. أما بعد أن عُهد بذلك إلى الوزراء، فإن الكتّاب بعد فضها ترسل إلى الوزير. كما انتقل هذا الديوان إلى ديوان الوزير وصار متوليه كاتباً في ديوان الوزير أيضاً يعمل بإمرته.

## ١٢ - ديوان الموارث

أحدث هذا الديوان في عهد المعتمد على الله آخر خلفاء سامراء، بعد أن فرضت ضريبة الموارث<sup>(٣٩)</sup>. وقد بُرّ فرض هذه الضريبة بالاستدلال بما أوصى به رسول الله ﷺ بأن يدفع ميراث من لا وارث له إلى أكبر قبيلته، أي أن للإمام أن يقرر ما يشاء بميراث من لا وارث له. وكانت السنة قد جرت بأن أهل كل ملة يرثون من هو منهم إذا لم يكن للمتوفى وارث من ذوي رحمه. ويفرض هذه الضريبة اعتبرت تركة من لا وارث له إيراداً لبيت المال، مما تطلب إحداث هذا الديوان. ويظهر أن إنشاء هذه الضريبة جاء نتيجة لما أصاب بيت المال من ارهاق بسبب الفتن والحروب الداخلية.

إلا أن هذه الضريبة لم تستمر طويلاً، فقد ألغاه المعتضد بالله في سنة ٢٨٣ وأمر بأن يُرد الفائض من سهام الموارث على ذوي الأرحام، وأن ترد تركة من مات من أهل الذمة ولم يخلف وارثاً على أهل ملته، وأن يصرف جميع عيال الموارث في سائر النواحي، ويُرد النظر في أعمال الموارث إلى الحكام على ما لم يزل عليه قبل أيام المعتمد على الله<sup>(٤٠)</sup>.

---

(٢٩) عريب بن سعد الكاتب القرطبي، صلة تاريخ الطبري، تحرير ميخائيل دوغويه، (لیدن: مطبعة بريل، ١٨٩٧)، ص ١١٨.  
(٣٠) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسائل والملوك، ج ١٠، ص ١٤، وأبو الحسن هلال بن المحسن الصائغ، الوزراء أو نخبة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، [د.ت.]), ص ٢٧٠.

### ١٣ - ديوان الرُّمَام

يتولى الإشراف على الدواوين الأخرى ومراقبتها وتدقيق أعمالها، وبخاصة ما يتعلق بالنواحي المالية منها. وهو أشبه بديوان رقابة المحاسبات، أو الرقابة المالية في الدول الحديثة. وقد أحدثه الخليفة المهدي لما رأى ضرورة مراقبة الدواوين في أعمالها<sup>(٣١)</sup>. وعندما لمس أثره في سير أعمال الدواوين أنشأ ديواناً يجمع دواوين الأئمة وينظم عملها، هو ديوان زمام الأئمة<sup>(٣٢)</sup>. ولأهمية دواوين الأئمة فقد أسس ما يماثلها في بعض الولايات كولاية الشام مثلاً<sup>(٣٣)</sup>.

### ١٤ - دواوين أخرى

وكانت هناك دواوين أخرى محدودة الواجبات كديوان الموالي والغلمان الذي استحدث في عهد سامراء وأشار إليه اليعقوبي عندما ذكر الدواوين التي نقلت إلى مدينة المتوكلية عند تأسيسها، مما سبق الإشارة إليه. ويظهر أن الحاجة ظهرت إليه في أيام المعتصم بالله الذي أكثر من شراء الموالي الأتراك، ليتولى شراهم والنظر في شؤونهم المختلفة. وديوان الأحشام، المسؤول عن شؤون الموظفين ومن هم في خدمة دار الخلافة<sup>(٣٤)</sup>. وديوان الطراز، الذي يشرف على شؤون دور الطراز التي تقوم بنسج وخياطة ووشي الملابس والشارات الرسمية لدار الخلافة، وعمل الأعلام.

## ثانياً: الولايات والأقاليم

### ١ - ولايات الدولة العربية

يتضح مما ذكره ابن الأثير عن الولايات في عهد أبي العباس السفاح أول الخلفاء العباسيين، أن عدد ولايات الدولة العربية كان اثنتي عشرة ولاية<sup>(٣٥)</sup> هي: ولاية الموصل، ولاية الجزيرة، ولاية الكوفة، ولاية البصرة، ولاية الشام، ولاية مصر، ولاية فارس، ولاية خراسان، ولاية السند، ولاية أذربيجان، ولاية أرمينيا، ولاية الجبال. ويظهر من جدول جباية الدولة على عهد المأمون، كما أورده ابن خلدون أن عدد الأقاليم كان واحداً وثلاثين اقليماً<sup>(٣٦)</sup>. وبقي ترتيب هذه الأقاليم بعد انتقال مركز الخلافة إلى سامراء، وذلك حسبما يظهر

(٣١) الطبري، المصدر نفسه، ج ٨، ص ١٤٢، والجيشياري، الوزراء والكتاب، ص ١٤٦.

(٣٢) الجيشياري، المصدر نفسه، ص ١٦٦.

(٣٣) المصدر نفسه، ص ١٦٨.

(٣٤) عبد العزيز الدوري، النظم الإسلامية: الخلافة، الغرائب، الدواوين والوزارة (بغداد: مطبعة نجيب، ١٩٥٠)، ص ١٩٩.

(٣٥) أبو الحسن علي بن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١٣ (بيروت: دار صادر، ١٩٦٥ - ١٩٦٧)،

ج ٥، ص ٣١٣ - ٣٤٥، بجرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج ٥ (القاهرة: دار الهلال، ١٩٢٢)،

ج ١، ص ٩٦، ويضيف الحجاز والبيامة واليمن.

(٣٦) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ٩٨ - ٩٩.

من جداول الجباية على عهد المعتصم بالله، التي ذكرها قدامة بن جعفر عدا بعض التغيرات. فقد أدمجت بعض الأقاليم بغيرها، وأحدثت ولايات جديدة تضم أقاليم أخرى، بحيث أصبح عدد الأقاليم اثنين وأربعين اقليماً<sup>(٣٧)</sup>. إلا أن هذه الأقاليم لم يكن كل منها ولاية، لأن بعض الولايات كانت تتألف من عدة أقاليم، مثل ولاية الجبل أو الجبال التي كانت تضم الأقاليم التالية<sup>(٣٨)</sup>: همدان، الري، أصبهان، ماه الكوفة (الدينور)، ماه البصرة (نهاوند)، قم، قاشان، شهرزور، حلوان. كما كانت ولاية خراسان تضم الأقاليم الإسلامية شرقي المفازة الكبرى. مما يمكن القول إن الولاية كانت الوحدة الإدارية الرئيسية، والأقليم وحدة إدارية ثانوية. وهذا كانت ولايات الدولة العربية في القرن الثالث كالاتي:

## أ - ولايات المشرق

وهي ولايات القسم الشرقي من الدولة، وفيها يلي موقع كل من هذه الولايات مع قواعدها وأهم مدنها:

### (١) ولاية السواد

وتشمل هذه الولاية القسم الجنوبي من سهل ما بين النهرين، أي بلاد بابل القديمة. وأهم مدن السواد، بغداد وسامراء والكوفة وواسط والبصرة، وهي المدن التي أسسها العرب بعد تحرير هذه المناطق، وأحدثها سامراء. كما كان من مدنها الأخرى، المدائن وميسان والأنبار والحيرة.

وبغداد هي مدينة السلام بناها أبو جعفر المنصور في الجانب الغربي من نهر دجلة، وبنى لابنه المهدي في الجانب الشرقي الذي كان يدعى عسكر المهدي لأن المهدي عسكر فيه حين أخرجه أبوه إلى الري. وكان المنصور ابتاع أرض مدينة السلام واقطع أهل بيته وقواده وجنده وكتابه. وجعل مجمع الأسواق بالكرخ وأمر التجار فابتنوا الحوانيت، وكان بناؤها سنة ١٤٥. وقد لعبت بغداد، ولا تزال، دوراً خطيراً في تاريخ الأمة العربية، وكانت وما زالت مركزاً للحضارة العربية الإسلامية. وبقيت بغداد عاصمة للدولة حتى أيام المعتصم بالله، فبنى سامراء وانتقل إليها واتخذها عاصمة للدولة في سنة ٢٢٢ وظلت حاضرة للخلافة حتى سنة ٢٧٩ حينما عاد المعتضد بالله إلى مدينة السلام، فهجرت سامراء.

أما الكوفة فقد كان الخليفة عمر بن الخطاب قد كتب إلى سعد بن أبي وقاص قائد الجبهة الشرقية للفتوح العربية، يأمره أن يتخذ للمسلمين دار هجرة، وأن لا يجعل بينه وبينهم بحراً. فأتى سعد موضع الكوفة - بقرب مدينة الحيرة - فاختطها، واقطع الناس المساكن فبنوها، وأنزل القبائل منازلهم، وبنى مسجدتها، وذلك في سنة ١٧. ولما تولى

(٣٧) قدامة بن جعفر، الحراج وصناعة الكتابة، ص ١٨٢ - ١٨٤.

(٣٨) زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج ٢، ص ٤٣.

المغيرة بن شعبة على الكوفة وسُع مسجدها. إلا أن زياد بن أبيه عندما ولي عليها أحكم بناء المسجد وبنى دار الإمارة<sup>(٣٩)</sup>.

وأحدث الحجاج مدينة واسط في سنة ٨٤ وبنى مسجدها وقصر الإمارة. وكانت واسط أرض قصب فسميت واسط القصب<sup>(٤٠)</sup>. وكانت من المدن الرئيسية في القرن الثالث، وكثيراً ما كان يقيم فيها الموفق المتسلط على أخيه المعتمد على الله، فكانت تبدو كأنها العاصمة الثانية إلى جانب سامراء.

ولما نزل القائد عتبة بن غزوان منطقة الخزينة جنوبي السواد، استأذن الخليفة عمر بن الخطاب في أن يخط فيها مدينة فأذن له. فبنى دار الإمارة، وبنى الناس مساكنهم من القصب. وبنى عتبة مسجداً من القصب أيضاً. ولما تولى أبو موسى الأشعري في سنة ١٦ ولاية البصرة اختط الناس وبنوا المنازل، وبنى أبو موسى دار الإمارة بالبلن والطين. ولما تولى زياد بن أبيه عليها زاد في المسجد زيادة كبيرة وبناه بالأجر والجص وسقّفه بالساج. ثم وسع المسجد ثانية في عهد المهدي وابنه هارون الرشيد فأضيف إليه عدد من البيوت ووجدت بناؤه<sup>(٤١)</sup>.

## (٢) ولاية الجبال

وتسمى ولاية الجبل أيضاً، وهي تقع شرقي ولاية السواد، وتشتمل على بلاد مادي القديمة، وتتكون من مناطق جبلية، ولهذا أطلق البلدانون العرب عليها اسم إقليم الجبال<sup>(٤٢)</sup>. وأهم مدن هذه الولاية همدان - وهي اكتباناً القديمة عاصمة مادي - وتعتبر قاعدة الولاية. والري وهي أكبر مدن الولاية وقد جدد الخليفة المهدي بناءها بعد أن خسفت المدينة القديمة، وجعل لها خندقاً، وبنى بها مسجداً جامعاً، وذلك في سنة ١٥٨، وأنزل بها بعض القبائل العربية<sup>(٤٣)</sup>. ثم أصبهان، والدينور، وقم وهي مدينة استحدثها العرب ولم يكن للعجم أثر فيها، مصرّها طلحة بن الأحوص الشعري، وأصلها سبع قرى فتحها العرب فعمروها واستوطنوها وسميت باسم أكبر تلك القرى كمنندان، فأسقطوا بعض حروفها، فسميت بعد تعريبها قم<sup>(٤٤)</sup>. ثم مدينة نهاوند وهي تماثل همدان فتحت عنوة بعد معركة نهاوند

---

(٣٩) أبو العباس أحمد بن يحيى البلاذري، فتوح البلدان، راجعه وعلّق عليه رضوان محمد رضوان (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، [د.ت.])، ص ٢٧٤ - ٢٧٥.

(٤٠) المصدر نفسه، ص ٢٨٨.

(٤١) المصدر نفسه، ص ٣٤٢ - ٣٤٤.

(٤٢) غي لستنج، بلدان الخلافة الشرقية: يتناول صفة العراق والجزيرة وإيران وأقاليم آسيا الوسطى منذ الفتح الإسلامي حتى أيام تيمور، ترجمة بشير فرانسيس وكوركيس عواد (بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٤)، ص ٢٢٠.

(٤٣) البلاذري، المصدر نفسه، ص ٣١٥ - ٣١٦، ويساقوت الحميري، معجم البلدان، ج ٢، ص ١١٧ - ١١٨.

(٤٤) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٩٧.

في سنة ٢١ وهي من فتوح أهل الكوفة، ولما صُيرت الدينور لهم، وهي من فتوح أهل البصرة، عوّض البصريون نهاوند فسميت ماه البصرة، وسميت الدينور ماه الكوفة، وذلك في أيام معاوية بن أبي سفيان<sup>(٤٥)</sup>. ومدينة قزوين وهي مدينة كبيرة فتحت صلحاً في أيام عثمان بن عفان، واتخذها العرب قاعدة لغزو الديلم. وقد بنى بها هارون الرشيد جامعاً وسورها وحط عنها الخراج لقاء مبلغ سنوي مقطوع قدره عشرة آلاف درهم، لأهميتها في صد هجمات القبائل التركية<sup>(٤٦)</sup>.

### (٣) ولاية خوزستان

وهي ولاية الأحواز، وتقع جنوبي شرقي ولاية السواد، محصورة بين إقليم الجبال من الشمال والخليج العربي من الجنوب. أهم مدنها الأحواز وهي قاعدة الولاية، وتستر وهي أكبر مدنها واسمها القديم شستر، وبعض الناس يجعلها من البصرة لقربها منها، ومنها الهرمزان الذي استحمياه عمر بن الخطاب فتواطأ مع أبي لؤلؤة على قتل الخليفة<sup>(٤٧)</sup>.

### (٤) ولاية فارس

يمتد هذا الإقليم على الساحل الشرقي للخليج العربي بين ولاية الأحواز في الغرب وإقليم كرمان في الشرق. وأهم مدنه شيراز قاعدة الولاية وقد مصرها العرب إذ اتخذوها موضعها معسكراً لهم عند فتح بلاد فارس<sup>(٤٨)</sup>. ومن المدن المهمة الأخرى اصطخر وهي مدينة قديمة، ويّرد وأرجان.

### (٥) ولاية كرمان

يقع هذا الإقليم شرقي إقليم فارس، وأهم مدنه السيرجان التي كانت قاعدة الولاية منذ الفتح العربي حتى منتصف القرن الرابع وكانت تسمى القصرين<sup>(٤٩)</sup>. ثم كرمان وقد ساءها العرب بروسير، وهرمز وهي فرضة الإقليم عند مدخل الخليج العربي. وقد افتتح كرمان مجاشع بن مسعود عنوة ففر كثير من أهلها فركبوا البحر وأقّى بعضهم سجستان، فاقطع العرب منازلهم وأراضيتهم واحتفروا القنوات وعمروها<sup>(٥٠)</sup>.

(٤٥) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٣١٣، والبلاذري، المصدر نفسه، ص ٣٠٣.

(٤٦) البلاذري، المصدر نفسه، ص ٣١٩، وياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٤٣.

(٤٧) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٩ - ٣١.

(٤٨) لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية: يتناول صفه العراق والجزيرة وإيران وأقاليم آسيا الوسطى منذ الفتح الإسلامي حتى أيام تیمور، ص ٢٨٤.

(٤٩) المصدر نفسه، ص ٣٨٨، وياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٩٥.

(٥٠) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٨٣ - ٢٨٤، وياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٤٥٢ - ٤٥٣.

## (٦) ولاية مكران

هذه الولاية امتداد للمفازة الكبرى نحو الجنوب، وأهم مدنها قصدار أو قُردار<sup>(١)</sup>، وتيز، وهي فرضة الولاية على الخليج العربي.

## (٧) ولاية أرمينيا

وهي بلاد تكتنفها الجبال المنيع، تقع شمالي ولاية أذربيجان، وقاعدتها ديبيل، وتطل عليها جبال ارارات التي ينبع منها نهر القرات. وقد افتتح أغلب مدن أرمينيا في أيام عثمان بن عفان<sup>(٢)</sup>. ويقسمها البلديون إلى أربعة أقسام<sup>(٣)</sup> هي: أرمينيا الأولى وتشمل السَّيْسْجان وأُرَّان، وتقليس، وبرذعة، والبيلقان، وشردان. وأرمينيا الثانية وتشمل جُزْزان، وصُغْدِيل، واللكز. وأرمينيا الثالثة وتشمل ديبيل ونشوى. وأرمينيا الرابعة وتشمل شمشاط وخرلاط وقالبِلا. وقيل هي أرمينيان: الكبرى خللاط ونواحها، والصغرى تقليس ونواحها<sup>(٤)</sup>.

## (٨) ولاية أذربيجان

وهي بلاد جبلية يحدها شرقاً بحر الخزر، وغرباً الجزيرة، وشمالاً أرمينيا، وجنوباً إقليم الجبال. فتحها المغيرة بن شعبة عنوة في سنة ٢٢، ونزلت فيها بعض القبائل العربية وغلب كل قوم على ما أمكنهم<sup>(١)</sup>. وأهم مدنها تبريز وكانت قرية صغيرة حتى نزلها محمد بن الرواد الأزدي المتغلب على أذربيجان في أيام المتوكل على الله، ثم إن الوجناء بن الرواد واخته بنوا فيها قصوراً فتنزلها الناس واتسعت<sup>(٢)</sup>، وأصبحت قاعدة للولاية. ثم أردبيل وكانت قصبة الولاية قبل الفتح العربي<sup>(٣)</sup>. ومَرْنَد وقد حصنها محمد بن البعيث لما خرج في أيام المتوكل على الله<sup>(٤)</sup>. وورْثان التي بناها مروان بن محمد عندما كان والياً على ولاية أذربيجان<sup>(٥)</sup>. والمراغة التي بناها مروان بن محمد كذلك في أيام ولايته، ثم بنى خزيمة بن خازم أحد قواد هارون الرشيد لها سوراً وحصنها<sup>(٦)</sup>.

(٥١) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٣٥٣.

(٥٢) البلاذري، المصدر نفسه، ص ٢٠٠، وأحمد بن محمد بن الفقيه الهمداني، مختصر كتاب البلدان، المكتبة الجغرافية العربية ٥ (لندن: مطبعة بريل، ١٨٨٥)، ص ٢٩٢.

(٥٣) البلاذري، المصدر نفسه، ص ١٩٧، ابن خردادبه، المسالك والممالك، ص ١٢٢، والهمداني، المصدر نفسه، ص ٢٨٦ - ٢٨٧.

(٥٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ١٦٠.

(٥٥) البلاذري، المصدر نفسه، ص ٣٢٢، والهمداني، المصدر نفسه، ص ٢٨٤.

(٥٦) الهمداني، المصدر نفسه، ص ٢٨٥، وياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٣.

(٥٧) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٤٥.

(٥٨) المصدر نفسه، ج ٥، ص ١١٠.

(٥٩) الهمداني، المصدر نفسه، ص ٢٨٤.

(٦٠) المصدر نفسه، ص ٢٨٤ - ٢٨٥.



## (٩) ولاية الران

يعتبر إقليم الران جزءاً من أرمينيا ، كما أشرنا آنفاً ، وهو يشغل الثلث المحصور بين نهري الكر والرس ، وتصبته برذعة وهي أكبر مدن الاقليم<sup>(١)</sup> . وأهم مدنه الأخرى البيلقان ، وشمكور التي أعاد بنائها القائد بغا وسأها المتوكلية في سنة ٢٤٠هـ<sup>(٢)</sup> في أيام المتوكل على الله .

## (١٠) ولاية الديلم

وقد سهاها العرب الجبل أو جيلان ، وتقع غربي طبرستان جنوبي بحر الخزر ، وتشغل القسم الرسوبي من المنطقة . ويقول ياقوت إن الجبل هم أهل جيلان<sup>(٣)</sup> ، وأهم مدن الاقليم روباذ ولاهجان .

## (١١) ولاية طبرستان

تشمل هذه الولاية المنطقة الجبلية الممتدة على الساحل الجنوبي لبحر الخزر ، وأهم مدنها سارية وهي قاعدة الولاية ، وقد اتخذها الحسن بن زيد العلوي قاعدة له عندما تغلب على طبرستان<sup>(٤)</sup> . ثم مدينة أمل ، ومدينة شالوس .

## (١٢) ولاية جرجان

يمتد هذا الاقليم شرقي بحر الخزر ، وهو محصور بين البحر ، وولاية خراسان وكان يلحق بها أحياناً . وقاعدته مدينة جرجان وهي أكبر مدنه . وقيل إن أول من أحدث بناءها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة<sup>(٥)</sup> . ومن مدنها المهمة استراباذ .

## (١٣) ولاية خراسان

كان اسم خراسان يطلق على جميع الولايات الاسلامية الواقعة شرقي المقازة الكبرى حتى جبال الهند ، وتنتهي حدودها الشمالية الشرقية عند نهر جيحون ، أي انها كانت تشمل جميع بلاد ما وراء النهر عدا سجستان . وكانت قاعدة الولاية مدينة مرو قبل أن ينتقل منها الطاهريون إلى نيسابور التي تقع غربيها . وقد أقام الخليفة المأمون في مرو عندما كان بخراسان . ويقول ياقوت الحموي إنه كان بها على أيامه (٥٧٤ - ٦٢٦) عشر خزانة للكتب الموقوفة ، وأنه استفاد من كتبها ، وأكثر مؤلفاته كانت مما جمعه من تلك الخزائن<sup>(٦)</sup> . وأهم مدن خراسان الأخرى طوس التي دفن بها هارون الرشيد والإمام علي الرضا ، ثم هجرت بعد

(٦١) ياقوت الحموي ، المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٧٩ .

(٦٢) الهمداني ، المصدر نفسه ، ص ٢٩٣ .

(٦٣) ياقوت الحموي ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ .

(٦٤) الطبري ، تاريخ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٩ ، ص ٢٧٤ .

(٦٥) ياقوت الحموي ، المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١١٩ .

(٦٦) المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ١١٤ .

ذلك وقامت بدلاً عنها مدينة مشهد. ثم مدينة هراة، وبلغ التي يقال إن الاسكندر المكدوني بناها، وكانت تسمى الاسكندرية<sup>(٣٧)</sup>.

#### (١٤) ولاية قومس

يقع هذا الاقليم بين ولاية طبرستان من الشمال والمفاضة الكبرى من الجنوب، وقاعدته الدامغان وهي مدينة كبيرة تحيط بها الجبال. وأهم مدنه الأخرى بسطام. وقد فتح العرب اقليم قومس عنوة بعد أن تم لهم فتح الري<sup>(٣٨)</sup>.

#### (١٥) ولاية سجستان

كان اسم الولاية قديماً سيستان، وسماها العرب عند فتحها سجستان، وتُسمى سجز أيضاً<sup>(٣٩)</sup>. تقع هذه الولاية شمالي اقليم مكران، وتحدها ولاية خراسان من الشمال وولاية السند من الشرق. أهم مدنها زرنج وهي قاعدتها، وبُست وقندهار. وفي هذه الولاية قامت اماراة الصفارين شبه المستقلة (٢٥٣ - ٢٩٩). وقد فتح سجستان عاصم بن عدي التميمي في أيام عمر بن الخطاب<sup>(٤٠)</sup>.

#### ب - ولايات ما وراء النهر

أطلق البلديون هذا الاسم على الأقاليم الممتدة وراء نهر جيحون، وأطلقوا عليها أحياناً اسم «الميطل»، والمياطة سكانها وهم أقوام تركية. وهي تشتمل على ستة أقاليم، ثلاثة منها هي أقاليم نهر جيحون، وهي: خوارزم، والصغد، والصغانيان. وثلاثة هي أقاليم نهر سيحون، وهي: فرغانة، والشاش، وأشروسنة.

ويقع اقليم خوارزم جنوبي بحيرة خوارزم ويشغل دلتا جيحون، وكانت له قاعدتان، الأولى الجرجانية وتقع على الجانب الغربي من النهر واسمها القديم أركنج. ويقول ياقوت الحموي إن أهل خوارزم يسمونها كركانج فعربت إلى الجرجانية<sup>(٤١)</sup>. والأخرى يقال لها كاث في الجانب الشرقي من النهر، وأهم مدن الاقليم الأخرى زبخش، وشيوه.

ويشمل اقليم الصغد الأراضي الخصبة بين نهري سيحون وجيحون، وأهم مدنه سمرقند وهي قاعدته، وقد اشتهرت بصناعة الورق مبكراً، وكانت تصنع فيها أنواع مختلفة جيدة منه. ويخارى وهي من أعظم مدن ما وراء النهر وبنائها خشب مشبك<sup>(٤٢)</sup>.

(٦٧) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٧٩ - ٤٨٠.

(٦٨) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣١٤.

(٦٩) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٨٩.

(٧٠) المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٣٨.

(٧١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٢٢.

(٧٢) للمصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٠٩ - ٤١٠.

ويقع اقليم الصغانيان جنوبي شرقي اقليم الصغد في أعالي نهر جيحون. وأهم مدنه الصغانيان وهي قاعدة الاقليم وهي كثيرة القرى وتتميز برخص العيش وسعته، وترمز أشهر مدن الاقليم وأكثرها عمراناً<sup>(٧٣)</sup>.

ويمتد اقليم فرغانة على ضفاف نهر سيبون الشمالية وقاعدته مدينة فرغانة التي كانت تسمى قديماً آخسيك<sup>(٧٤)</sup>. ويقع شماله اقليم الشاش وقاعدته مدينة الشاش التي تعتبر أوسع مدن ما وراء النهر وأكثرها عماراً، وهي ثغر مهم في مواجهة القبائل التركية<sup>(٧٥)</sup>، وتسمى اليوم طشقند. أما اقليم أشروسنة فيقع غربي الشاش وفرغانة وقاعدته مدينة أشروسنة ويقال لها بُنجكيث، ومن مدنه الأخرى زامين وهي مدينة قديمة جداً، وتسمى كذلك سيده<sup>(٧٦)</sup>.

ومن الجدير بالإشارة أن الغالبية العظمى من الموالي والغلمان الأتراك الذين استخدموا في الجيش العربي كانوا من ولايات ما وراء النهر: الصغد وفرغانة والشاش وأشروسنة:

#### - ولاية السند

وتعتبر ولاية السند آخر حدود الدولة العربية من جهة الشرق وقاعدتها المنصورة، وقد بناها منصور بن جمهور الكلبي في العهد الأموي<sup>(٧٧)</sup>. ومن مدنها الأخرى الديبل وتقع على ساحل البحر، والمُلْتان التي افتتحها عماد بن القاسم في أيام الوليد بن عبد الملك<sup>(٧٨)</sup>.

#### ج - ولايات المغرب

هي الولايات الواقعة في القسم الغربي من الدولة العربية، وهي:

##### (١) ولاية الجزيرة

وهي القسم الشمالي من وادي الرافدين وتشتمل على الأراضي المحصورة بين النهرين، ويفصلها في حدها الجنوبي عن السواد تكريت على دجلة والأنبار على الفرات. وتحتوي على ديار ربيعة الممتدة على ضفاف دجلة الغربية وقاعدتها الموصل. وديار مضر الممتدة على جانبي الفرات وقاعدتها الرقة، وتقع عند مصب نهر البليخ في الفرات.

وقد تم فتح الجزيرة كلها على عهد عمر بن الخطاب، وأكثرها فتح صلحاً على يد

---

(٧٣) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٠٨ - ٤٠٩.

(٧٤) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٥٣.

(٧٥) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٠٨ - ٣٠٩.

(٧٦) المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٢٨.

(٧٧) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢١١، والبلاذري، المصدر نفسه، ص ٤٣١، وفيه: بناها عمرو بن محمد بن القاسم.

(٧٨) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٢٨.

القائد عياض بن غنم الذي فتح حران والرُّها والرَّقة وقرقيسيا ونصيبين وسنجار<sup>(٧٩)</sup>. وكان الخليفة عمر بن الخطاب ولَّى عتبة بن فرقد السلمي الموصل في سنة ٢٠ فقاتل أهل نينوى واستولى على حصنها، ثم عبر دجلة فصالحه أهل الحصن الآخر على الجزية. ولما تولى الموصل هرثمة بن عرفة البارقي كان بها بَيْع ومنازل فمَصَّرُها هرثمة وأنزل العرب فيها واختلط لهم، وبني المسجد الجامع. وولى عبد الملك بن مروان ابنه سعيداً على الموصل فبني لها سوراً حصيناً<sup>(٨٠)</sup>.

وتعتبر الموصل إحدى قواعد بلاد الاسلام كبراً وعظماً وكثرة خلق وسعة رفعة، وتعتبر باب العراق، وهي تصل بينه وبين الجزيرة<sup>(٨١)</sup>.

أما الرَّقة فهي مدينة مشهورة على الفرات فتحتها عياض بن غنم صلحاً. وهي ذات بساين كثيرة، وتتمتع بمناخ طيب وبخاصة في الصيف، وقد بنى فيها هشام بن عبد الملك قصرين<sup>(٨٢)</sup>. كما كان يقصدها في الصيف بعض خلفاء بني العباس.

### (٢) شبه جزيرة العرب

وكانت شبه جزيرة العرب تقسم إلى عدد من الولايات هي: الحجاز وأهم مدنها مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف. ويمتد الحجاز على الساحل الشرقي لبحر القلزم. ثم اليمن وحضرموت ومهرة وتؤلف القسم الجنوبي من شبه الجزيرة، وتمتد على ساحل البحر العربي. ثم عُمان واليمامة والبحرين، وتكون القسم الشرقي من شبه الجزيرة وتمتد على ساحل الخليج العربي. ثم نجد، وهي الهضبة الوسطى من شبه الجزيرة، ثم البادية التي تؤلف القسم الأعظم من شبه الجزيرة، وبالنظر لسعتها قسمها البلديون إلى القسم الشامي ويسمى بادية الجزيرة، والقسم الجنوبي وهو بادية العراق، والقسم الغربي وهو بادية الشام.

### (٣) بلاد الشام

ويقصد بها سوريا الطبيعية، وكانت تضم خمسة أجناد هي: (جند دمشق) وقاعدته مدينة دمشق، وهي مدينة قديمة اشتهرت بعد الفتح الاسلامي بجامعة الذي بناه الوليد بن عبد الملك، وكان ابتداء بعمارته في سنة ٨٧ وقد استعظم الناس ما أنفقه عليه، وكان يعمل فيه عشرة آلاف عامل مدة تسع سنين<sup>(٨٣)</sup>. ثم (جند فلسطين) وقاعدته مدينة الرملة، وكانت

(٧٩) البلاذري، المصدر نفسه، ص ١٧٩.

(٨٠) المصدر نفسه، ص ٣٢٧ - ٣٢٨.

(٨١) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٢٣، ويقول ان الذي بنى سورها هو مروان بن محمد.

(٨٢) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٥٩ - ٦٠.

(٨٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٦٥ - ٤٦٦، وأحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢ (بيروت: دار صادر، ١٩٦٠)، ج ٢، ص ٢٨٤، وفيه أنه ابتداء بعمارته سنة (٨٨).

مدينة عظيمة اختطها ومصرها سليمان بن عبد الملك، وكانت رباطاً مهماً لغزو المسلمين. وقد اضطر صلاح الدين الأيوبي إلى تخريبها خوفاً من استيلاء الأفرنج عليها<sup>(٨١)</sup>. و (جند الأردن) وقاعدته مدينة طبريا، وهي مدينة صغيرة تطل على بحيرة طبريا. و (جند حمص) وقاعدته مدينة حمص، وهي بلدة واسعة قديمة، وكانت مسورة ولها قلعة حصينة<sup>(٨٢)</sup>، وبها قبر القائد العربي خالد بن الوليد، وهي تقع بين دمشق وحلب. ثم (جند قنسرين) وقاعدته مدينة حلب، وهي مدينة قديمة، ويقال إن الذي بناها هو سلوقس بعد موت الاسكندر بقليل، كما يقال إن العمالة الذين خرجوا من غور الأردن قصلوا تلك الناحية وبنوا مدينة حلب لتكون حصناً لهم. وقد اشتهرت قلعتها التي بنيت على تل عال يحيطها خندق عظيم، وكان الملك الظاهر بن صلاح الدين الأيوبي قد جلدُ عمارتها وحفر خندقها<sup>(٨٣)</sup>.

#### (٤) ولاية مصر

كانت تشمل اضافة إلى بلاد مصر، البُجَّة والنوبة، أي ما يسمى ببلاد السودان اليوم. وأهم مدن الولاية الفسطاط وهي قاعدتها، ثم الاسكندرية ودمياط والفيوم وتيس. وكان الموضع الذي نصب فيه عمرو بن العاص فسطاطه لما فتح مصر قد سمي بالفسطاط، ثم خططه وبنى فيه مدينة عرفت بالاسم نفسه، وبقي ولاية مصر ينزلونها. ويظهر أنها بقيت عامرة حتى القرن الخامس<sup>(٨٤)</sup>.

أما الاسكندرية فهي مدينة قديمة جلد بناءها الاسكندر المكودي، وهي الميناء الرئيس لمصر. فتحها عمرو بن العاص في سنة ٢٠، وقد اشتهرت بمنازلها.

ودمياط مدينة قديمة أيضاً على زاوية بين النيل والبحر المتوسط، وكانت من الثغور العربية في القرن الثالث، وقد اشتهرت آنذاك بصناعة النسيج وبخاصة الثياب الرفيعة الجليلة القدر مثل القصب والشرب والقلمون. وقد هاجمها الروم أيام المتوكل على الله، فأمر والي مصر أن يبني لها حصناً منيعاً وأن يشيئ أسطولاً بحرياً للدفاع عنها وعن سواحل مصر.

والفيوم مدينة قديمة أسست في أيام الفراعنة، وتقع في منطقة زراعية تكثر فيها المزارع والبساتين. أما تيس فهي جزيرة في بحيرة تيس بين الفوما ودمياط، اشتهر ملاحوها بمهارتهم فكانوا يقلعون بريح واحدة في جهتين مختلفتين. فتحها عمرو بن العاص، وسماها العرب ذات الأخصاص لأن بيوتها كانت خصاصاً من قصب. ثم عُمِّرت وشيد لها سور في ولاية عنبة بن اسحاق أيام المتوكل على الله<sup>(٨٥)</sup>. وكانت في هذا القرن من أهم المدن الصناعية في

(٨٤) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٦٩ - ٧٠.

(٨٥) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٠٣.

(٨٦) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٨٣ - ٢٨٦.

(٨٧) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٦٣ - ٢٦٥.

(٨٨) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥١ - ٥٢.

مصر، اشتهرت بصناعة المنسوجات الكتانية، وكان أكثر أهلها حاكّة، وقد أشرنا إلى أهميتها في الباب الخاص بالصناعة.

### (٥) ولاية افريقيا

أطلق العرب اسم افريقيا على ساحل افريقيا الشمالي المقابل لجزيرة صقلية. ويقول ياقوت الحموي إنهم سموها بهذا الاسم لأنها فُرقت بين مصر والمغرب. ولما ولي عثمان بن عفان عبد الله بن أبي سرح على مصر أمره بفتح افريقيا وأمدّه بجيش ففتحها عنوة سنة ٢٩ وتعاقب عليها عدد من الولاة كابدوا كثيراً من اضطراباتها وخروج قبائلها حتى أيام هارون الرشيد فأقطعها لابراهيم بن الأغلب الذي أسس إمارة بني الأغلب واستمرت حتى أواخر القرن الثالث.

وأهم مدن افريقيا بعد تونس مدينة القيروان التي اتخذها بنو الأغلب أول أمرهم قاعدة لهم. وكان قد أسسها عقبة بن نافع في سنة ٤٨ وبني جامعها<sup>(٨٩)</sup>.

## ثالثاً: إدارة الولايات

### ١ - إمارة الولاية

يقسم الماوردي إمارة الأمصار إلى نوعين: إمارة عامة، وإمارة خاصة. والإمارة العامة قد تكون إمارة استكفاء أو إمارة استيلاء. وإمارة الاستكفاء، وتسمى إمارة التفويض أيضاً، هي التي يعقدها الخليفة لمن يختاره فيفوض إليه ولاية بلد أو إقليم ويجعله عامّ النظر في جميع شؤونه، ويمنحه صلاحيات مطلقة تقرب من صلاحيات الخليفة نفسه، بحيث يتولى تدبير أمور الجيش من حيث تنظيمه والانفاق عليه، والنظر في الأحكام، وتقليد القضاة، وجباية الخراج، وقبض الجزية، والزكاة والصدقات، وتقليد من دونه من العمال والموظفين. وعليه كذلك حماية الدين وإقامة الحدود الشرعية، وتدبير أمور الحجاج من ولايته ومن يمر بها منهم، والإمامة في صلوات أيام الجمع والأعياد. وإذا كان بلده متأخراً للعدو وجب عليه جهاد ذلك العدو<sup>(٩٠)</sup>. وكان كل أمير مفوض يتصرف في إدارة إمارته تصرف الحاكم المستقل بجميع شؤونها الداخلية، فيجبي الأموال وينفق منها ما يحتاجه إمارته من نفقات الجيش، وأرزاق الموظفين، وإصلاح السدود، وحفر الترع والأنهار، وغير ذلك من أوجه الانفاق، ثم يبعث بما يتبقى لديه إلى بيت المال في حاضرة الخلافة.

(٨٩) حول الرقياء، انظر: المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٢٨ - ٢٣١، وحول القيروان، انظر: المصدر نفسه، ج ٤، ص ٤٢٠ - ٤٢١.

(٩٠) أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، عني بتصحيحه محمد بدر الدين النعساني (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٠٩)، ص ٢٤ - ٢٥.

أما امارة الاستيلاء فهي التي يعقدها الخليفة مضطراً لأحد الأمراء على اقليم ما ويفوض إليه أمر ادارته، بعد أن يكون ذلك الأمير قد تغلب بالقوة على الاقليم. فيكون هذا الأمير مستقلاً عن الخليفة فعلاً وتابعا له اسماً. فلا يربطه به سوى اعتراف الخليفة بامارته، واعترافه هو مقابل ذلك بسلطة الخليفة الدينية وما يتبع ذلك من مراسم، كالنداء للخليفة في خطبة الجمعة والعيدين، وضرب السكة باسمه، وتقديم الهدايا إليه في المناسبات. وعلى الأمير بالاستيلاء أيضاً أن يستلزم بحفظ منصب الخلافة وحماية الدين واقامة الحدود الشرعية، كما يتعهد بنصرة الخليفة إذا ما استعان به لحرب العدو أو لاختضاع فتنة أو اضطرابات داخلية، وإن لا يستولي على الأموال إلا ما كان مشروعاً منها<sup>(٩١)</sup>.

وكان هذا النوع من الامارة سبيلاً لقيام امارات شبه مستقلة في أنحاء مختلفة من الدولة العربية. وسنوضح فيما بعد العوامل التي كانت تؤدي إلى قيام مثل هذه الامارات ونشرح علاقاتها بالخلافة.

أما الامارة الخاصة فهي أن يقتصر تعيين الوالي على أمور الجيش وتدبير شؤون الناس وأمنهم وحماية الدين. أما أمور القضاء وجباية الخراج وأموال الجزية والصدقات فإن الخليفة يعين الموظفين المختصين بذلك إلى جانب الوالي المذكور<sup>(٩٢)</sup>.

لقد كان ما ذكرناه من أنواع الإمارة هو الأسلوب المتبع في العهد العباسي في هذا القرن. إذ كان الخلفاء يفوضون الحال في الأقاليم البعيدة كالشام ومصر وخراسان وإفريقيا تفويضاً عاماً، فيكونون شبه مستقلين عن الخلافة. وكانوا يفوضون أحياناً بعض أفراد أسرهم كأولادهم وإخوانهم أو أحد كبار قوادهم امارة إحدى الولايات النائية أو أكثر. وقد جرت العادة أن يرسل هذا خليفة عنه أو أكثر لادارة شؤون الولاية أو الولايات التي فوض إمارتها، ويوليها عليها ولاية خاصة. ويبقى هو في منصبه الأصلي قريباً من الخليفة.

## ٢ - تعيين الولاة

كان على رأس كل ولاية من ولايات الدولة العربية رجلان، أولهما الأمير، والثاني العامل الذي يسمى عادة صاحب الخراج لأن واجبه حل صافي خراج الولاية إلى بيت المال في العاصمة. وكان العامل مخاطب في المراسلة كما مخاطب الأمير، كما أن منشورات الخليفة أو الوزير ترسل إلى كل منها في وقت واحد. ولكن الأمير يمتاز على صاحبه العامل بأنه له الصلاة بالناس ويدعى له في خطبة الجمعة والعيدين بعد النداء للخليفة. وهذا مما يجعله رئيس المسلمين جميعاً في ولايته. فقد كانت ولاية مصر مثلاً يتولاها واليان أحدهما للحرب والصلاة، والآخر للخراج، حتى إذا جاء أحمد بن طولون أميراً عليها جمع بين الولايتين وأصبح مستقلاً بشؤون ولايته.

(٩١) المصدر نفسه، ص ٢٧ - ٢٩.

(٩٢) المصدر نفسه، ص ٢٦ - ٢٧.

وعندما يعين أحد الولاة على إحدى الولايات فإنه يحمل معه عهد ولايته، وعند تسلمه العمل من سلفه يجمع الناس في المسجد الجامع ويقرأ عليهم عهد تعيينه<sup>(٩٣)</sup>. ويتضمن عهد الولاية صلاحيات الوالي ونطاق عمله ولا سيما في أمور الجبائية، منعاً للتعسف في جمع الأموال. إلا أن الولاة قلما كانوا يلتزمون بتلك الحدود، فكانوا أميل إلى التعسف والتعنت. فعندما عين محمد بن داود بن عيسى في سنة ٢٢١ والياً على مكة والمدينة، جاء في عهد تعيينه «أن يأخذ من الذهب الذهب ومن الفضة الفضة ومن الحب الحب ومن الزنم الحافر ومن الأبل الحف». وعندما حل موسم الجبائية ولى رجلاً من بني جُحج أمر الجبائية في سكسك وبني عامر، فأحصى ماشيتهم وفرض عليهم أن يؤخذ عن كل فريضة دينار. فامتنعوا عليه واتهموه بأنه خارجي يريد أن يقتصب أموالهم. وأوضحوا له أن عهد الوالي نص على أن يكون من كل فريضة شاة وغاية ثمنها سبعة إلى ثمانية دراهم. فحاربهم وحاربوه حتى قتل. ولما بلغ الوالي الخبر دعا أخا الجمحي وولاه أمر الجبائية مكان أخيه وأذن له أن يسخر الأعراب وغيرهم ويستعين بهم على إرغام العصاة. فخرج هذا واستباح الحيين المذكورين<sup>(٩٤)</sup>.

وأورد قدامة بن جعفر نماذج من عهود تعيين الولاة. فقد جاء في نسخة عهد بولاية المعونة والحرب<sup>(٩٥)</sup>: «بأن الخليفة لم يوله ما ولّاه إلا رجاً أن يكون عنده من الضبط والكفاية ما يرد به أهل العبث والفساد، وتصلح معه الرعية والبلاذ، ويأمره أن يتجنب مساسخ الله ومخارمه، ويكف جنده وموظفيه وحاشيته عن ظلم أحد من الرعية، وأن يقارع أعداء الله في البلاذ، وأن يرعى الحنن ويفقد شؤونهم ويهتم بسلامتهم ودوايهم، ويمنعهم من النزول على أحد الرعية في منزله إلا بإذنه وطيب نفسه، وأن لا يأخذ أي شيء إلا بثمن. وأن يتعهد الثغور، ويحترس من وقوع الخلل فيها، ويفقد من في الحبوس فيطلق الأبرياء أو من كان جرمه لا يوجب إطالة حبسه. وأن لا يأخذ أحداً بشبهة قبل أن تظهر الدلائل البينة على جرمه. وعلى أن لا يمضي حداً أو ينفذ حكماً في قود أو قصاص إلا بعد أن يستطلع رأي الخليفة فيه. ويأمره أن يقرأ هذا العهد على من قبّله ويعلمهم حسن رأي الخليفة بهم، وأنه يتوخى صلاحهم وتأمين العدل لهم.

كما أورد قدامة نسخة عهد لرجل من بني هاشم بتقليده الصلاة، ونصه<sup>(٩٦)</sup>: «هذا ما عهد به عبد الله أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان حين ولاء الصلاة بتاحية كذا وكذا. أمره بتقوى الله ونخشية في سرائره وعلائحته، وصيانة عرضه ومذهبه، وتطهير خلقه وسيرته، إذ كانت الصلاة من أعمدة الدين التي لا يجوز أن يتولها غير الطاهرين المهذبين. وأمره أن يقيم الصلاة لأوقاتها ولا يؤخرها إذا حضر حينها وأن لا يندجها - أي ينقص بعض أركانها - ولا ينقصها إذا كان به يأتي من يصلي خلفه، وصلاة جميعهم في عتقه، وأن يكون دخوله فيها بإخبات - باطمئنان - ودعة وهند واستكانة. وأمره أن يرتل قراءته إذا قرأ، وأن يسمع من خطبه إذا

(٩٣) حول تعيين الولاة، انظر: أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي، المعرلة والتاريخ، تحقيق أكرم ضياء العمري، إحياء التراث الاسلامي، ١٠ (بغداد: رئاسة ديوان الأوقاف، ١٩٧٤)، ج ١، ص ٢٠٥.

(٩٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٠٥ - ٢٠٦.

(٩٥) قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص ٤٤ - ٤٧.

(٩٦) المصدر نفسه، ص ٤٣ - ٤٤.



خطب، وأن يضع كل كلام في موضعه، وكل قول في المحل اللائق به. وأمره إذا أحكم ذلك من نفسه حتى يستمر عليه في قوله وفعله، أن يختار من يخلفه وينوب منابه جاريماً فيه مجراه، إما من أقرباء أمير المؤمنين، أو من أفاضل المسلمين. هذا عهد أمير المؤمنين إليك، فاعتمد مرضاته باتباعه، وتوخ موافقته بالوقوف عند ما أمر به وحده، ومستشعراً في جميع ذلك خشية الله ومراقبته، وفي كل ما يأمر به تقى الله وطاعته. وأمير المؤمنين يسأل الله أن يحسن توفيقك وتسديك وإرشادك لما فيه جمال أمرك وصواب فعلك».

وجرت العادة أن لا يترك العامل في ولايته زمناً طويلاً لئلا يستأثر بالسلطة أو يتمتع على الدولة. وإذا ما عزل من منصبه طُلب إليه أن يقدم بياناً مفصلاً عن شؤون ولايته، وكان أقل شك في صدقه كافياً لمصادرته<sup>(٩٧)</sup>.

وعلى الرغم من أن الوالي يُعين ويعزل من قبل الخليفة الذي يحدد صلاحياته، فإن سلطته ونفوذه كانا يتوقفان على شخصيته وكفاءته، ويعدّه عن مركز الخلافة من جهة، وعلى قوة الخليفة وضعفه من جهة أخرى.

### ٣ - نشوء الامارات المستقلة

إن سعة ارجاء الدولة العربية، وبعد مراكز الولايات والأقاليم عن حاضرة الخلافة أدّى إلى لامركزية واسعة ساعدت بعض الولاة من ذوي الطموح على أن يحكموا ولاياتهم كأمرأة شبه مستقلين عن مركز الخلافة، ويزعموا لأنفسهم الحق في تعيين من دونهم من العمال، ويصيحوا أصحاب السيادة في ولاياتهم. ويتوارث أبنائهم أو اخوانهم الامارة من بعدهم. وهذا ما حدث في بعض الامارات النائية في هذا القرن. فقد قامت امارة بني الأغلب في افريقيا، وامارة الظاهريين في خراسان، وامارة الطولونيين في مصر، وامارة الصفارين في سجستان. إذ حكمت في كل من هذه الولايات أسرة تولى أبنائها امارتها بالوراثة.

وكانت علاقة هذه الولايات بالخلافة لا تتعدى الاعتراف بسلطة الخليفة. وهذا الاعتراف يتمثل في أن يعهد الخليفة إلى الوارث بالإمارة دعماً لشرعية حكمه، ويدعاه الوالي للخليفة في خطبة الجمعة والعديد، وضرب اسم الخليفة على السكة، وأن يرسل إلى بيت المال مبلغاً يتفق عليه، أو بعض الهدايا، سنوياً. وقد يحاول بعض الولاة التهرب والتحرر من قسم من هذه الارتباطات تبعاً لقوة مركزه تجاه الخليفة. على أن العلاقة بين هذه الامارات شبه المستقلة والخلافة تميّزت بأنها كانت ودية، إلا في بعض الأحيان، إذ كانت تسوء إلى درجة قيام الحرب بينها، كما حدث مع بني طولون في مصر ومع الصفارين في المشرق.

### ٤ - الشرطة

وبما له علاقة بإدارة الولاية ومعاونة الوالي في إقرار الأمن الداخلي وحماية النظام فيها، رفاة الشرطة. وقد اعتبرت الشرطة من أهم مكونات النظام الاداري للدولة العربية. ويرى

(٩٧) الدوري، النظم الاسلامية: الخلافة، الضرائب، الدواوين والوزارة، ص ١٠٨.

ابن خلدون أن أصل وضعها في الدولة العربية في أيام العباسيين كان لمن يقيم أحكام الجرائم في حال استيراثها أولاً - أي التحقيق فيها - ثم إقامة الحدود بعد استيفائها<sup>(٩٨)</sup> - أي التهم التي تعرض في الجرائم. ويقوم صاحب الشرطة بالتحقيق فيها، وعند ثبوتها يتولى فرض العقوبة، إذا لم تعرض على القضاء. ويتضح مما أورده ابن خلدون أن واجبات الشرطة في القبض على المجرمين وإقامة الحدود عليهم كانت جزءاً من واجبات القاضي، فأفردت منه وأنيطت بصاحب الشرطة الذي يلاحق أهل الريب ويضرب على أيدي المجرمين.

ولأهمية واجبات الشرطة كان الخلفاء ينتخبون رئيسها من كبار القواد وعظماء الخاصة من مواليتهم ممن يحظى بثقتهم وتأييدهم، ويدعى صاحب الشرطة. ومقر عمله في حاضرة الخلافة، ويساعده عدد كبير من أفراد الشرطة من مختلف الرتب. أما في الولايات فكان الوالي يعين من يراه لرياسة شرطة ولايته، ويكون هذا الرئيس مسؤولاً تجاهه.

وكان الشرطة يقومون بالطواف طول الليل إلى صلاة الفجر لحماية الأمن وحراسة أموال الناس وبيوتهم، وسلاحهم السيف والطرير.

ولما كان من واجبات الشرطة مجازاة الجناة على جرائمهم مما يتطلب إقامة الحدود عليهم في أحيان كثيرة، فإن كاتب الشرطة يجب أن يكون ملماً بأحكام الشريعة في العقوبات، لأن أكثر عمله مجازاة الجناة على جناياهم. ويورد قدامة بن جعفر العقوبات الشرعية التي يفرضها كاتب الشرطة على مختلف الجرائم والجنائيات، وكان إذا ما أشكل عليه أمر منها، رجع بذلك إلى الفقهاء<sup>(٩٩)</sup>.

أما الصفات التي يجب أن تتوفر في صاحب الشرطة ليؤدي عمله على الوجه الأكمل فعديدة، أهمها<sup>(١٠٠)</sup>: أن يكون حليماً مهيباً، دائم الصمت، طويل الفكر، بعيد الغور، وأن يكون نظره شزراً، قليل التيسم، غير ملتفت إلى الشفاعات، وأن يكون غليظاً على أهل الريب في تصارييف الحيل، شديد البقظة، وأن يكون حقيقياً ظاهر النزاهة، عارفاً بمنازل العقوبة، غير عجول. وأن يمنع المظلوم من الانتصار لنفسه بيده، بل ينهي حاله إليه ليقابل بما يستحق.

## ٥ - الحِسْبَة

من المؤسسات المهمة التي انفردت بها الدولة العربية «الحِسْبَة» وتُسمى متوليها المُحْتَسِب. ويعرف الماوردي الحسبة: أنها أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله<sup>(١٠١)</sup>. وعقد لها في كتابه فصلاً خاصاً بها تناول فيه أحكامها من الناحية الفقهية، وبين

(٩٨) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ١٣٧.

(٩٩) قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص ٦٦-٦٧.

(١٠٠) شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي الربيع، سلوك المالك في تدبير الممالك (القاهرة: دار

الشعب، ١٩٨٣)، ص ١٦٢.

(١٠١) الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص ٢٠٨.

علاقتها بالقضاء، وأسهب في شرح مهام المحتسب. وكذلك فعل القاضي أبو يعلى الخنيلي<sup>(١٠٧)</sup>. والواقع أن الحسبة كانت تنفيذاً للأمر القرآني الكريم ﴿ولكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف ويهتدون عن المنكر...﴾<sup>(١٠٨)</sup>.

وكانت الحسبة تناط أحياناً بالقاضي مع ما بين العاملين من التباين، فعمل القاضي يقوم على الأناة والتحقيق، وعمل المحتسب يقوم على الشدة والسرعة في الفصل<sup>(١٠٩)</sup>. وقد أجل ابن خلدون أعمال المحتسب بالبحث عن المنكرات وتعزيز أصحابها وتأديبهم، وحمل الناس على المصالح العامة في المدينة كمنع المضايقة في الطرقات، ومنع الجهالين وأهل السفن من المبالغة في الحمل، والحكم على أهل المباني المتداعية للسقوط بهدمها وإزالة ما يتوقع من ضررها، ومنع المعلمين في المكاتب من الإبلاغ في ضربهم الصبيان المتعلمين، وله أن يحكم فيما يتعلق بالخش والتدليس في المعاش وغيرها، وفي المكاييل والموازين، وأن يحمل المساطلين على الإنصاف. ولا يتوقف حكم المحتسب على تنازع أو استعداد، بل له النظر والحكم فيما يصل إلى علمه من ذلك أو يُرفع إليه<sup>(١١٠)</sup>.

إن واجبات المحتسب عديدة ومختلفة وكلها تستهدف تطبيق أحكام الشريعة في الأمور العامة، فهو بالإضافة إلى ما ذكره ابن خلدون يحافظ على الآداب العامة ويشرف على نظام الأسواق فيحول دون بروز الخوانيت حتى لا يعمق ذلك حركة المرور، ويعاقب من يرفع الأثان، ويكشف عن الموازين والمكاييل منعاً للتطفيف. وكان للموازين والمكاييل دار خاصة وكان المحتسب يطلب إلى جميع الباعة الحضور إلى هذه الدار معهم موازينهم ومكاييلهم فيعابرها، فإن وجد في بعضها خللاً أوجب على صاحبها اصلاحها، والا صادرها وأمره بشراء غيرها صحيحة مضبوطة<sup>(١١١)</sup>.

ومن يجب على المحتسب مراقبتهم من أهل الصنائع ثلاثة أصناف: صنف يُراقب ما إذا كان مؤهلاً للعمل الذي يخرجه كالأطباء والصيادلة والعلمين، فيُقر منهم من توفر علمه وحسنت طريقته، ويمنع من قصر وأساء عن الاستمرار في عمله<sup>(١١٢)</sup>. وشبيه بهذا إذا وجد من يتصدى لعلم الشرع وهو ليس من أهله، من فقه ووعظ، بحيث لا يأمن اغترار الناس به في التحريف أو سوء التأويل، عليه أن يمنعه ويُظهر للناس أمره لئلا يغتروا به<sup>(١١٣)</sup>.

---

(١٠٧) المصدر نفسه، ص ٢٠٨ - ٢٢٤، ومحمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن القراء أبو يعلى، الأحكام السلطانية، صَحَّحه وعلّق عليه محمد حامد الفقي (القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٣٨)، ص ٢٦٨ - ٢٩٢.

(١٠٨) القرآن الكريم، «سورة آل عمران»، الآية ١٠٤.

(١٠٩) الدوري، النظم الإسلامية: الخلافة، الضرائب، الدواوين والوزارة، ص ٣١٣.

(١١٠) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ١٢٣.

(١١١) الدوري، المصدر نفسه، ص ٣١٤.

(١١٢) الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص ٢٢١.

(١١٣) المصدر نفسه، ص ٢١٦ و ٢٢١.

وصنف يُراقب أمانته في عمله كالصاغة والحاكّة والصبّاغين، لأنهم ربما هربوا بأموال الناس، أو أساءوا الاستعمال فيها، فيراعى الثقة والأمانة منهم فيقرّهم على أعمالهم، وبعد من ظهرت له خيانتة، ويُشهر أمره لئلا يُعْتَرَبه، أو يُخدع من لا يعرفه<sup>(١٠٩)</sup>.

وصنف يراقب نوعية عمله من حيث الجودة والرداءة، وعليه أن ينكر فساد العمل ورداءته وإن لم يكن هناك مستعد. أما إذا استعداه خصم أنكر عمل الصانع وزجره على رداءة عمله، وإذا ما ترتب على عمله تأديب أو غرم ألزمه به<sup>(١١٠)</sup>.

ومن واجبات المحتسب الأخرى أنه إذا وجد رجلاً يتعرض لمساءلة الناس في طلب الصدقة، وعلم أنه غني إما بمال أو عمل، أنكر عليه ذلك وأدبه ومنعه منه وعلمه بأن الصدقة محرمة على المستغني عنها. وإذا ما رأى السائل ذا جلد وقوة على العمل زجره وأمره أن يحترف عملاً ما، فإذا أقام على التسوّل عزّره وأدبه حتى يقلع عنه<sup>(١١١)</sup>. وإذا ما استعداه عبد في امتناع سيده من كسوته والافتاق عليه، أمره بها وأخذته بالترامها<sup>(١١٢)</sup>. وعلى المحتسب أيضاً أن يمنع من التكسب بالكهانة واللاهو ويؤدّب على ذلك<sup>(١١٣)</sup>.

أما بالنسبة إلى أهل الذمة، فعلى المحتسب أن يأخذهم بما شرط عليهم من ليس الغيار والمخالفة في الهيئة. وعليه أن يمنع عنهم من يتعرض لهم بأذى، ويؤدّب من خالف ذلك<sup>(١١٤)</sup>.

وقد ذكر الشيزري في كتابه عن الحسبة الشروط التي يجب أن تتوفر فيمن يتولى الحسبة. وخلصتها: أن يكون فقيهاً عارفاً بأحكام الشريعة وأن يعمل بما يعلم بحيث لا يكون فعله مخالفاً لقوله. وأن يقصد بقوله وفعله وجه الله تعالى، وأن يكون مواظباً على سنن رسول الله ﷺ. وليكن من شيمته الرفق ولين القول وسهولة الأخلاق عند أمره الناس ونهيهم. وأن يكون عفيفاً عن أموال الناس متورعاً عن قبول الهدية من المتعشين وأرباب الصناعات لأن ذلك رشوة. وعليه أن يلزم أعوانه وغلمانة بما التزمه بهذه الشروط، لأن أكثر ما تنطرق التهمة إليه إنما تكون من أفعالهم، فإن علم أن أحدهم أخذ رشوة أو قبل هدية صرفه من العمل لتنتفي عنه الشبهة<sup>(١١٥)</sup>.

أما الماوردي فيرى من شروط والي الحسبة أن يكون حراً عدلاً ذا رأي وصرامة في الدين، وعلم بالمتكررات الظاهرة، ولا يشترط أن يكون من أهل الاجتهاد<sup>(١١٦)</sup>.

---

(١٠٩) المصدر نفسه، ص ٢٢١ - ٢٢٢.

(١١٠) المصدر نفسه، ص ٢٢٠.

(١١١) المصدر نفسه، ص ٢١٥.

(١١٢) المصدر نفسه، ص ٢٢٣.

(١١٣) المصدر نفسه، ص ٢٢٤.

(١١٤) المصدر نفسه، ص ٢٢٢.

(١١٥) عبد الرحمن بن نصير الشيزري، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحرير السيد الباز العريفي؛

إشراف محمد مصطفى زيادة (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٦)، ص ٦ - ١٠.

(١١٦) الماوردي، المصدر نفسه، ص ٢٠٩.

إن الحسبة كما رأينا تمثل رقابة الدولة على الأسواق وشؤون البيع والشراء، وعلى المتصلين بالناس بحكم عملهم كالمطبيين والصيادلة والمعلمين والمهنيين بمختلف المهن ذات الاتصال بالناس. وقد حرص الفقهاء على تبين الأحكام الشرعية الكفيلة بمقاومة الغش، والتي تنظم العلاقة في شؤون البيع والشراء، ولا سيما ما يتعلق بغذاء الناس وشرايهم ودوائهم وكسائهم. وقد تضمنت كتب الحسبة تلك الأحكام، وتكاد تكون شاملة. إلا أنه مما تجدر ملاحظته أن ما وضعه الفقهاء من أحكام للتعامل إنما هي أحكام نظرية أكثر من أن تكون قائمة على الواقع العملي لحياة الناس. فهي تعطينا صوراً مثالية لما تفترضه أحكام الفقه فيها يجب أن تكون عليه حالة التعامل بين الناس.



الفصل الثاني  
الحياة الاجتماعية





## أولاً: الطبقات الاجتماعية

كان الناس بصورة عامة طبقتين رئيسيتين، الأولى الطبقة الخاصة والثانية الطبقة العامة.

### ١ - الطبقة الخاصة

وتتكون من الأسرة الحاكمة وعلى رأسها الخليفة ورجال الدولة وأبناء البيوتات العريقة. وكانت الأسرة الحاكمة عباسية من بني هاشم: عباسيين وعلويين أو طالبيين، وكانوا يسمّون الأشراف<sup>(١)</sup> لقربانهم من الرسول العربي ﷺ. ويقول الماوردي «وقد تقدم بنو هاشم لأن النبوة فيهم»<sup>(٢)</sup>. ولما وضع الديوان في عهد الخليفة عمر بن الخطاب جعل بنو هاشم في المقدمة<sup>(٣)</sup>. وقد خصصت لهم الأعطيات، وحرمت عليهم الصدقة تنزياً لهم. وكان لهم نقيب يعينه الخليفة، وقد يكون هناك نقيبان ينظر أحدهما في مصالح العلويين، ويتولى الآخر أمور العباسيين<sup>(٤)</sup>. والنقابة في رأي الماوردي موضوعة على صيانة ذوي الأنساب الشريفة عن ولاية من لا يكافئهم في النسب ولا يساوهم في الشرف، ويُختار النقيب عادة من أجملهم بيتاً

---

(١) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأديباء أو طبقات الأديباء، تحقيق د. ص. مرجليوث، ط ٢، ٩ ج (القاهرة: مطبعة هندية، ١٩٢٣ - ١٩٢٦)، ج ١، ص ٢٥٦، والحسن بن علي الترخي، الفرع بعد الشدة (القاهرة: دار الطباعة المحمدية، ١٩٥٥)، ج ٣، ص ٢٩٠.

(٢) أبو الحسن علي بن عماد الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، عُني بتصحيحه محمد بدر الدين النعساني (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٠٩)، ص ١٨٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٧٦.

(٤) ظهير الدين علي بن عماد الكازروني، مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية، عني بتحقيقها كوركيس عواد وبيخايل عواد (بغداد: مطبعة الارشاد، ١٩٦٢)، ص ٢٣.

وأكثرهم فضلاً، وأجزلم رأيًا، بحيث تجتمع فيه شروط الرياسة والسياسة. وقد تكون نقابته عامة أو خاصة<sup>(٥)</sup>.

وبلغ عدد العباسيين في عهد المأمون ثلاثة وثلاثين ألفاً بين ذكر وأنثى<sup>(٦)</sup>. أما العلويون فكانوا أضعاف هذا العدد، وهم منتشرون في أكثر أقاليم الدولة العربية كمصر والمغرب واليمن وخراسان، وفي المدن الرئيسة مثل مكة والمدينة والبصرة والكوفة وبخارى. إضافة إلى بغداد وسامراء. ويعتبر الهاشميون أرفع قدراً بعد الخليفة، وعندما يكونون بحضرته يجلسون على الكرسي، ويجلس سائر الناس دونهم على الوسائد والبسط<sup>(٧)</sup>. وكان الخلفاء يقدون على البارزين منهم المنح والهدايا كسباً لولائهم، كما حصرت بهم بعض المناصب المشرفة كإمارة الحج التي يتولاها عادة أمراء من البيت العباسي، والإمامة في المساجد المهمة وبخاصة في بغداد وسامراء. ويورد قدامة بن جعفر نسخة عهد لرجل من بني هاشم بتقليده الصلاة، وما جاء فيه: إن الصلاة من أعمدة الدين التي لا يجوز أن يتولاها غير الطاهرين المهذبين، ويوصيه ألا يختار خليفة عنه إلا أن يكون من أقرباء أمير المؤمنين أو من أفاضل الناس<sup>(٨)</sup>.

وكان الهاشميون يتقاضون رواتب من بيت المال. فقد خصص في جدول النفقات أيام المعتضد بالله ما مجموعه ٣٦٠٠ دينار شهرياً لرواتب أولاد الخلفاء السابقين ومشايخ الهاشميين وأصحاب المراتب منهم، وجمهور بني هاشم من العباسيين والطلبين<sup>(٩)</sup>. كما كانت إمارة بني طولون في أيام مؤسسها تجري الجرايات على الأشراف العلويين الموجودين في مصر<sup>(١٠)</sup>. والراتب المشرفة التي أشرنا إليها كانت تناط في أغلب الأحيان بالعباسيين، وذلك لاستمرار موقف العلويين المناوئ للخلافة العباسية. على أن بعض الخلفاء كان يولي العلويين رعاية خاصة كالمأمون والمعتصم بالله والواثق بالله والمتنصر بالله.

ويظهر أن ما يخصص لبني هاشم من رواتب وأعطيات كان يتأخر أحياناً فتسوء أحوالهم المالية. فقد اجتمع في النصف الأول من رجب سنة ٢٥١ من كان منهم ببغداد وصاروا إلى دار محمد بن عبد الله أمير بغداد وصاحوا بالخليفة المستعين بالله، وتناولوا محمداً بالشتم،

(٥) الماوردي، المصدر نفسه، ص ٨٢-٨٣.

(٦) أبو الحسن علي بن الحسين السعدي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط ٥ ([د.م. : د.ن.، ١٩٦٧]، ج ٤، ص ٢٨، والعيون والحدائق في أخبار الحقائق، تحقيق نبيلة عبد النعم دادود، ج (النصف: مطبعة النعمان، ١٩٧٢)، ج ٣، ص ٣٥١.

(٧) جبري زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي، ج ٥، ص ٢٠.

(٨) أبو الفرج قدامة بن جعفر، الحراج وصناعة الكتابة، حققه محمد حسين الزبيدي (بغداد: دار الحرية، ١٩٨١)، ص ٤٣-٤٤.

(٩) أبو الحسين هلال بن الحسن الصلي، الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، [د.ت.د.])، ص ٢٥.

(١٠) ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدياء أو طبقات الأدياء، ج ٢، ص ١٥٩.

القيح، وقالوا: قد مُنِعنا أرزاقنا وتُدفع أموال إلى غيرنا ممن لا يستحقها، ونحن نموت هزلاً وجوعاً<sup>(١١)</sup>.

ونعني بأرباب البيوتات العريقة أصحاب الأنساب من العرب ممن كانوا قد فرضت لهم الأعطيات من بيت المال عند تأسيس الديوان، كما أشرنا آنفاً. أما رجال الدولة فهم الوزراء والإكتاب، والقواد، والولاة، وأمثالهم من أرباب المناصب العالية.

لقد كان أبناء الطبقة الخاصة يعيشون حياة مترفة لضخامة إيراداتهم من رواتبهم وأعطيات الخلفاء لهم، وإيرادات ضياعهم ومستغلاتهم. فكانوا يسكنون القصور الضخمة ويرفلون بأغلى الملابس وأثمن الحل، ويتناولون ما لذ وطاب من طعام وشراب. فقد كان لعجيف بن عنبسة، قائد حرس المعتصم بالله، ضياع تبلغ غلتها في كل سنة ثمانية آلاف ألف درهم<sup>(١٢)</sup>. وأهدى سلمة بن سعيد، كاتب شجاع أم المتوكل على الله، إلى ابنها الخليفة في أيام صيام النصارى، من طعامهم، جوقاً كان فيه غصنار صيني ملون وجمادات بلور عملاقة بالذهب والفضة، بلغت قيمتها ثلاثة آلاف دينار<sup>(١٣)</sup>. وعندما صادر الموفق وزيره صاعد بن غلغل قبض له ولأخيه عبدون ولولديه وزوجته ألف ألف دينار، ووجد له أربعة آلاف رأس من الدواب<sup>(١٤)</sup>.

ومن الدلائل الواضحة على ثرائهم الفاحش ما تعرضوا له من مصادرات في خلال هذا القرن، وعلى عهد عدد من الخلفاء، بحيث غدت أموال مصادراتهم أحد أبواب موارد الدولة. ومن أهم المصادرات التي تمت في هذا القرن ما ذكره ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان<sup>(١٥)</sup> من أن الخليفة المعتصم بالله لما غضب على وزيره الفضل بن مروان صادر أمواله وأثاث بيوته بما بلغت قيمته ألفي ألف دينار.

وكان الخليفة الواثق بالله قد وصل إلى سمعه أن أغلب الوزراء والإكتاب ورؤساء الدواوين قد جمعوا ثروات طائلة بصورة غير مشروعة، فحاول أن يحد من استغلالهم مراكزهم، فأمر بحبس عدد منهم وإلزامهم بدفع مبالغ معينة قارب مجموعها ألفي ألف دينار<sup>(١٦)</sup>.

---

(١١) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ذخائر العرب؛ ٣٠ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٠ - ١٩٦٨)، ج ٩، ص ٣٢٧.

(١٢) أبو الحسن أحمد بن الزبير، اللخائر والتحف، تحقيق محمد حميد الله، التراث العربي؛ ١ (الكويت: دائرة المطبوعات والنشر، ١٩٥٩)، ص ٢٢٥.

(١٣) المصدر نفسه، ص ٣٠.

(١٤) المصدر نفسه، ص ٢٢٩.

(١٥) شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ٦ ج (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٥٠)، ج ٣، ص ٢١٤.

(١٦) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ١٢٥، وأبو الحسن علي بن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٣ ج (بيروت: دار صادر، ١٩٦٥ - ١٩٦٧)، ج ٦، ص ١٠.

وصادر المتوكل على الله عدداً كبيراً من الوزراء وأصحاب الدواوين وكبار الكتاب وأخذ من أموالهم مبالغ كبيرة. فصادر طبيبه بختيشوع بن جبرائيل الذي كان من كبار الأثرياء مرتين، وصادر وزيره محمد بن عبد الملك الزيات، وقاضي قضائه أحمد بن أبي دؤاد وابنه أبا الوليد وأخذ منها أموالاً وجواهر. كما قبض على عمر الرخحي وأخيه واحتوى أموالهما. وأمر بحاسية أبي الوزير أحمد بن خالد وأخذ منه مالاً كثيراً وحلى ومتاعاً، وصادر ضياعه وضيايع ابن أخيه. وأخذ من نجاح بن سلمة وكتبه مبالغ كبيرة.

وصادر الموفق أخو الخليفة المعتمد على الله والقائم بشؤون الخلافة<sup>(١٧)</sup>، دونه، وزير أخيه سليمان بن وهب وابنه عبيد الله بن سليمان وبعض أصحابها وقبض أموالهم وضيايعهم. كما صادر وزيره صاعد بن مخلد وجميع أهله وأخذ منهم ما مجموعه ألف ألف دينار وأربعة آلاف رأس من الدواب<sup>(١٨)</sup>.

ولما مات عبيد الله بن سليمان، وهو وزير للمعتضد بالله، عزم الخليفة على أن يستصفي أمواله، فحضر ابنه القاسم بن عبيد الله فكتب خطاباً ضمه ألف دينار، فاسترده المعتضد<sup>(١٩)</sup>. وسخط المعتضد بالله على نديمه ومستشاره أحمد بن الطيب فصادر أمواله<sup>(٢٠)</sup>.

وتوسعت عملية المصادرات في عهد الخليفة المعتز بالله، حتى قيل عن وزيره أحمد بن عبد الله الحصيني إنه لا يحسن شيئاً من مهام الوزارة غير المصادرات<sup>(٢١)</sup>.

ومن مظاهر بذخ الخلفاء وأبناء الطبقة الخاصة إسرافهم في الإنفاق على تشييد القصور الفخمة المحاطة بالأسوار العالية تتوزع فيها الأبراج. وكان بعض هذه القصور من السعة وتعدد القاعات والأروقة والمراقق، يبدو كأنه مدن خاصة تضم عشرات البيوت والساحات والنافورات وتتخللها الحدائق والبساتين. ومن أشهر القصور التي أنشئت في القرن الثالث الهجري تلك التي بناها الخليفة المعتصم بالله وابنه المتوكل على الله في مدينة سامراء وأنفقاً عليها مبالغ طائلة. ويقدر الشابشتي في كتابه الديارات<sup>(٢٢)</sup> المبالغ التي أنفقها المتوكل على الله

---

(١٧) أبو العباس أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة، عيون الأئنياء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق نزار رضا (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦٠)، ص ٢٠٦ و ٢٢٢؛ الطبري، المصدر نفسه، ج ٩، ص ١٦١ - ١٦٢، ١٩٥ و ٢١٥، وابن الأثير، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٣٧.

(١٨) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٣٤٧ و ٤١٩.  
(١٩) محمد بن علي بن بطاطبا بن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية (مصر: مطبعة الموسوعات، ١٨٩٩)، ص ٢٣٢.

(٢٠) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٤، ص ٢٥٩.  
(٢١) أبو علي أحمد بن محمد مسكويه، تحارب الأمم، نسخة وصححه هـ. ف. أمدروز (مصر: مطبعة شركة التمدن الصناعية، ١٩١٤)، ج ١، ص ٤٥.  
(٢٢) أبو الحسن علي بن محمد الشابشتي، الديارات، تحقيق كوركيس عواد، ط ٢ (بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٦٦)، ص ١٥٩.

في تشييد قصوره بما مجموعه مئتا ألف ألف وأربعة وسبعون ألف ألف درهم ومئة ألف دينار. أما ياقوت الحموي فيقدر النفقات المذكورة بمئتي ألف ألف وأربعة وتسعين ألف ألف درهم<sup>(٢٣)</sup>.

ويمحس بنا أن نشير هنا إلى قصرين كبيرين شُيِّدا في خلال النصف الثاني من هذا القرن هما قصر التاج بدار السلام، وقصر ابن طولون بمصر. أما قصر التاج فقد ابتدأ الخليفة المتعتمد بالله ببناؤه وأكمّله ابنه خوارويه بعده. وقد تميز هذا القصر بواجهته الفخمة المؤلفة من خمسة عقود يقوم كل منها على عشر أساطين. واشتهر هذا القصر بخاصة في عهد الخليفة المقتدر بالله الذي تولى الخلافة سنة ٢٩٥هـ، والذي كان أكثر خلفاء بني العباس بذخاً وإسرافاً، إذ يقدر مجموع ما أنفقه مدة خلافته نيفاً وسبعين ألف ألف دينار. ومن مظاهر بذخه ما حشده من الفرش والستائر وسائر الأثاث في قصور الخلافة العديدة ولا سيما قصر التاج، عندما وصل إلى بغداد وفد ملك الروم في سنة ٣٠٥هـ. وقد أسهب الخطيب البغدادي في تاريخه<sup>(٢٤)</sup>، والرشد بن الزبير في كتابه اللخائر والتحف<sup>(٢٥)</sup>، ومسكويه في كتابه تجارب الأمم<sup>(٢٦)</sup> وياقوت الحموي في معجم البلدان<sup>(٢٧)</sup> في وصف قدوم الوفد المذكور على الخليفة. وخلاصة ما جاء في المصادر المشار إليها: أن دار الخليفة زُيّنت بأجنتها المختلفة بصورة لا مثيل لها. ونقتصرها على وصف مجلس الخليفة وما اتخذ فيه من الفرش والستائر. فقد عُلى من الستائر اثنا عشر ألفاً وخمسمئة من الستور الصنعائية والأرمينية والواسطية، السواجج منها والمنقوشة، والديبقيّة المطرّزة. وفرش من الأنخاخ والبسط في القاعات والممرات التي سار فوقها الوفد الرومي من باب العامة حتى حضرة الخليفة. سوى ما فرش في المقاصير والمجالس من الأقماط الطرية والديبقيّة، وبلغ اثنين وعشرين ألف قطعة، مع مئة مرقع من الديباج مع بسطها.

وأدخل الوفد على الخليفة في قصر التاج وهو على سرير أبنوس مفروش بالديبقي المطرز بالذهب، وعليه السواد وعلى رأسه الطويلة. وكان على يمين السرير تسعة عقود مثل السبح معلقة، وعن يسره عقود أخرى من أكبر الجواهر وأغلاها قيمة يغلب ضوؤها على ضوء النهار. والوزير واقف بين يدي الخليفة ومن دونه الحجاب والخدم وقوفاً. وأمر الخليفة بفتح قبة الشجرة، وكانت فيها شجرة من الفضة وزنها خمسمئة ألف درهم أنهارها من الذهب، وعليها أطيّار مصوغة من الذهب والفضة تصفر بحركات قد جعلت لها. وكانت هذه الشجرة من أئمن مقتنيات المقتدر بالله. فكان تعجب الرسل بما شاهدوه عظيماً.

---

(٢٣) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، معجم البلدان، ٥ ج (بيروت: دار صادر، ١٩٧٥)، ج ٣، ص ١٧٥.

(٢٤) أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ١٤ ج (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت)، ج ١، ص ١٠٠ - ١٠٥.

(٢٥) ابن الزبير، اللخائر والتحف، ص ١٣٩ - ١٣٠.

(٢٦) مسكويه، تجارب الأمم، ج ١، ص ٥٣ - ٥٥.

(٢٧) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٢١.

أما قصر ابن طولون فقد شُيِّدَ أمر مصر أحمد بن طولون، وجلَّده ابنه خمارويه وأضاف إليه. وقد وصفه المقرئ في خطه<sup>(٢٨)</sup>، إذ يقول ما خلاصته: وزاد خمارويه في قصر أبيه وسعته بما أضافه إليه، ومن أبرز منشأته فيه أنه بنى مجلساً كبيراً برواقه سبَّاه وبيت الذهب، طليت حيطانه كلها بالذهب المطعم بالأحجار الكريمة بأحسن نقوش. كما زينه بصور بارزة من الخشب تمثله مع الغنيات والحظايا تزين رؤوسهن تيجان الذهب المرصعة بأصناف الجواهر. وأقام أمام هذه القاعة فسقية واسعة ملاًها زئبقاً، لأنه كان يشكر الأرق فوصف له طبيبُه أن يعمل هذه البركة الزئبقية، وجعلت لها في أركانها سكك من الفضة ليربط بها فراش من الجلد المحشو بالهواء. وعندما ينام عليه يهتز تحته بحركة الزئبق، ولا يزال حتى ينام. وقد أنفق على ذلك مالا كثيراً. فكان للبركة في الليالي القمرية منظر جميل عجيب.

وحول خمارويه الميدان الكبير الذي أنشأه أبوه إلى بستان زرع فيه أصناف الشجر وأنواع النخيل وزينه بأنواع الأزهار والرياحين. وزرع الرمان على شكل نقوش وكتابات. وزيادة في البذخ كسا جُلُوع النخيل بالنحاس المذهب وجعل الماء يخرج من تضاعيف جذوعها فينحدر إلى فساقٍ يفيض منها الماء ليسقي البستان. وسُرَّح في البستان أنواع الطيور الجميلة والطواويس ودجاج الحبش ونحوه.

ولعل أجل ما أضافه على القصر إضافة إلى فسقية الزئبق أنه شيد في القصر قبة شاهقة العلو سبَّاه الدكة. وقد جعل حيطانها بالزخارف والنقوش بالوان مختلفة. ووضع على نواذها الستائر التي تقي الحر والبرد. وفرش أرضها بالفرش النادر الغالي الثمن، وكان قد خصص لكل موسم فرشاً خاصاً به. ومن يجلس في هذه الدكة يشرف منها على ما في القصر من الأبنية والحدائق، وعلى جميع أنحاء المدينة وفي وسطها نهر النيل.

وبنى في جانب من القصر داراً للوحوش التي كان يقتنيها كالسباع والنمور والفهود والزرافات والغيلة، وجعل لكل صنف منها جناحاً خاصاً به، وعليها رجال موكلون بخدمتها ورعايتها.

## ٢ - الطبقة العامة

أما الطبقة العامة فهم بقية الرعية، وكانوا من أمم شتى، وأصناف مهنية مختلفة، منهم أصحاب مهن راقية محترمة، وآخرون أصحاب مهن دنيئة حقيرة. كما كان منهم التجار والمزارعون والفلاحون، فضلاً عن العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء والأطباء والصيادلة وأهل الفن. وكان الفقهاء وعلماء الدين والشعراء والأطباء وأهل الفن أرقى درجات الطبقة العامة. وكانوا بمواهبهم وكفاياتهم يكسبون الأموال الكثيرة، وبخاصة من تقرب منهم إلى الخلفاء وكبار رجال الدولة، كالشعراء والأطباء والندماء والمغنين. فقد ظهر عدد من الشعراء عن امتدحوا الخلفاء والوزراء والقواد، فحصلوا منهم على المنح والأعطيات الوفيرة. كما برز

(٢٨) أبو الباس أحمد بن علي المقرئ، الخطط المقرئية المسماة بالمواظع والاعتبار بذكر الخطط والآثار يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل وذكر القاهرة وما يتعلق بها وإقليمها، ج ٢ (مصر: مطبعة بولاق، ١٨٥٤)، ج ١، ص ٢١٦ - ٢١٧.

عدد من الأطباء فاخْتَصَمُوا بالخلفاء والوزراء، وكسبوا كثيراً من الأموال، وعاش بعضهم حياة مترفة لا تنقل عن حياة الخلفاء والوزراء. فقد كان الطبيب بخيتشوع بن جبرائيل يضاهي الخليفة في اللباس والفرش<sup>(٢٩)</sup>. ومثل ذلك بعض المغنين والموسيقيين الذين اقتص بهم الخلفاء وكانوا يستحسنون موسيقاهم وغناءهم ويطلبون له، فيقبضون عليهم بالأعطيات والمنح. فقد كان اسحاق الموصلي يلبس مُطَرَفَ خَزَرٍ قيمته مئة ألف درهم<sup>(٣٠)</sup>. ويعيش حياة مرفهة رغم أنه كان من الطبقة العامة. فقد كتب مرة إلى الوزير الفضل بن الربيع وقد عتب عليه في شيء بلغه عنه «إن لكل ذنب عفواً وعقوبة، فلنوب الخاصة عنك مستورة مغفورة، فلما مثلي من العامة فلذنبه لا يغفر، وكسره لا يُجبر»<sup>(٣١)</sup>.

وكان للعلماء والفقه والأطباء والمهندسين والأدباء والشعراء دور كبير جداً في التقدم الحضاري الذي وصلت إليه الحضارة العربية في القرن الثالث والقرن الذي تلاه، إذ ساهموا في حركة الترجمة والتأليف، وكان منهم كبار الفقهاء والعلماء والأدباء والمؤرخين ممن ندين لهم كثيراً لما تركوه من بصمات في مسيرة الحضارة العربية الإسلامية. وكان الخلفاء وكبار رجال الدولة يقدرون على العلماء ورجال اللغة والزراعة والتجارة في هذا القرن وذكروا أحوال مهنهم. وكنا أشرنا إلى ازدهار الصناعة والزراعة والتجارة في هذا القرن وذكروا أحوال مهنهم. ويمكن القول إن هذه الفئات من الطبقة العامة كانت تمثل ما ندعوه اليوم بالطبقة المتوسطة، في المجتمع العربي آنذاك.

وبرز من هذه الطبقة الاجتماعية عدد من الأعلام ممن اشتهروا من أبناء هذا القرن، وكان لهم حظ وافر من التعليم وتأثير مهم في الحياة العلمية والأدبية والاجتماعية والفنية، نذكر منهم فيلسوف العرب يعقوب بن اسحاق الكندي الذي لم يترك جانباً من جوانب المعرفة إلا وكان له فيه أثر مهم؛ وأباً عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الذي تمكن بما وهبه الله تعالى من قوة الحافظة وسرعة الخاطر أن يلم بمختلف العلوم والمعارف ويحصل على ذخيرة مهمة من ثقافة عصره، فبرع في اللغة وآدابها والعلوم القرآنية وعلم الكلام والطبيعية والفلسفة والجغرافيا والتاريخ. وابن قتيبة عبد الله بن مسلم الذي اشتهر بمعارفه الواسعة في العلوم الدينية وفي التاريخ والأدب، وأباً جعفر محمد بن جرير الطبري الفقيه المؤرخ الذي كانت كتبه في التفسير والفقه والتاريخ منبهاً لطلاب هذه العلوم؛ والبشائي محمد بن جابر بن سنان الحراني الصابي صاحب الزيج المعروف باسمه، وأشهر علماء الفلك والرياضيات في عصره؛ وحنين بن اسحاق العبادي الطبيب المترجم وصاحب السهم الوافر في حركة الترجمة، فكان أبرز المترجمين وأكثرهم مهارة في هذا القرن.

كما اشتهر في علم الحديث من أبناء هذه الطبقة أصحاب الكتب الصحاح الستة الذين

(٢٩) ابن أبي أصيبعة، صيون الأنباة في طبقات الأطباء، ص ٢٠١.

(٣٠) أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني، الأغاني (القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د.ت.)، ج ١٠، ص ١٢٠.

(٣١) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٣٢٠.

سندكرهم ومصنفاتهم بشيء من التفصيل في الفصل القادم من الكتاب. كما اشتهر من كبار المحذّثين الآخرين الإمام أحمد بن حنبل.

وكان من أبرز علماء اللغة في هذا العصر من أبناء الطبقة العامة المبرّد محمد بن يزيد، وأحمد بن يحيى الملقّب بشعلب. ومن الشعراء اشتهر أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، والبحري الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي. وأبرز المغنين اسحاق بن إبراهيم الموصلي. وآخرون كثيرون غير من ذكرنا في مختلف حقول المعرفة.

أما بقية أبناء الطبقة العامة، وهم يؤلفون السواد الأعظم منها، فكانوا من الفلاحين وأرباب المهن المختلفة من سكان المدن والأرياف. وسكان المدن من العامة يتألفون من الصنائع والحرفيين، كالبناّين، والتجارين، والحدادين، والخياطين، والحلاقين، والخبازين، والقطّانين، والصباغين، والنحاسين، والأساكفة، والصاغة، ومن الباعة كالبقالين، والجزارين، والزيتّين، والبزّازين، وباعة الحلوى، والمخضرات، ومواد العطارة، وغيرهم. وتضمنت كتب الحسبة مختلف أرباب المهن والباعة<sup>(٣٣)</sup>. أما سكّان الريف، وهم الأكثرية الساحقة من الطبقة العامة، فإنهم يتألفون من الفلاحين، والأكرّة الذين يعملون في الزراعة في مواسم معينة، وعدد كبير من العبيد عن يعملون في الزراعة كذلك. وكان هذا الجزء الكبير من الطبقة العامة من أهل المدن والأرياف أميين على درجة كبيرة من الجهل والسذاجة. يقول عنهم المسعودي «ومن أخلاق العامة أن يسردوا غير السيد، ويفضّلوا غير الفاضل، ويقولوا يعلم غير العالم، وهم أتباع من سبق إليهم من غير تمييز بين الفاضل والمفضول، والفصل والنقصان، ولا معرفة للحق من الباطل عندهم»<sup>(٣٤)</sup>. ويقول: «ذكر لي بعض اخواني أن رجلاً من العامة بمدينة السلام رفع إلى بعض الولاة الطالين لأصحاب الكلام، عن جارٍ له أنه يتزندق. فسأله الرائي عن مذهب هذا الرجل، فقال: إنه مرجع قنري إياضي رافضي... وأنه يخضع معاوية بن الخطاب الذي قاتل عليّ بن العاص. فقال له الوالي: ما أدري على أي شيء أحسدك، على علمك بالمقالات، أو على بصرك بالأنساب»<sup>(٣٥)</sup>.

### ٣ - الرقيق

كان مصدر الرقيق في بداية الفتوحات العربية من أسرى الأعداء ممن لم يعتنقوا الاسلام، أو لم يدخلوا في ذمة المسلمين. إذ يقسم الأسرى والسبايا بأن يكون للدولة الخمس يُصرف في الصالح العام، وتوزع أربعة الأخماس على المقاتلين. فيُعطى الفارس سهمين والراجل سهماً واحداً<sup>(٣٦)</sup>. ولم ينفرد العرب بهذه المعاملة للأسرى، فقد كان ذلك مرغياً عند

(٣٢) عبد الرحمن بن نصر الشيزري، نهاية المرتبة في طلب الحسبة، تحرير السيد البياز العربي؛ إشراف محمد مصطفى زيادة (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٦)، ص ٤ - ٥، وضياء الدين محمد بن محمد بن الأخوة، معالم القرية في أحكام الحسبة، عني بنقله وتصحيحه روبن لبوي (كيسيرج: مطبعة دار الفنون، ١٩٣٧)، ص ٤ - ٧.

(٣٣) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٢، ص ٤٣.

(٣٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٢.

(٣٥) الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص ١١٢ و١٢٥.



الأمم الأخرى. فمن كان يقع من المحاربين العرب في أيدي الروم مثلاً، لكثرة الحروب معهم، كان نصيبه الاسترقاق. إلا أن الدولة العربية كانت تعنى بافئدتهم إما بالمال وإما بإطلاق ما يقابلهم من أسرى الأعداء.

ونظراً لتوسّع الفتوحات العربية، كثُر الرقيق المطلوب من البلاد المفتوحة، وشاع استخدامهم. إذ كان الأسرى والسبايا يوزعون على ذوي العلاقة من المحاربين جنداً وقواداً، وأكثر هؤلاء يبيعون ما يزيد عن حاجتهم منهم. فانتسعت معاملات شراء أنواع الرقيق واستجلاها، فصارت تجارة واسعة، كان لها في بغداد سوق خاصة<sup>(٣٦)</sup>. وعندما أنشئت سامراء أقيمت فيها سوق كانت تقع في الشارع الأعظم، وهي مربعة الشكل بها طرق متشعبة وعلى جانبيها الغرف والخوانيت للرقيق أيضاً<sup>(٣٧)</sup>.

ويعتبر الرقيق ملكاً لصاحبه، له أن يبيعه أو يهبه أو يعتقه. ولصاحب الأمانة أن يستمتع بها ويستولدها باعتبارها ملك عينه، سواء أكان متزوجاً أو غير متزوج، وإذا ما ولدت منه كان ابنها حراً، وسميت هي «أم ولده» ورغم رقها فلا يجوز له أن يبيعه أو يهبها، وتصبح حرة عند وفاته<sup>(٣٨)</sup>.

ومع أن الاسلام لم يُلغ الرق فقد أمر بحسن معاملة الرقيق وعدم تكليفهم بما لا يطيقون من الأعمال، وشجّع على عتقهم، أي تحريرهم من عبودية الرق، بل إنه اعتبر ذلك من أجل الأعمال. فقد جاء في الآيات الكريمة ﴿فَإِذَا اقْتُمِحَ الْعَقَبَةُ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ، فَكُ رَقِيهِ﴾<sup>(٣٩)</sup>. وقد أكدت آيات أخرى من القرآن الكريم على ذلك. فقد ورد في الآية الكريمة ﴿وَابْعِدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجُنُبِ وَأَهْلِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ إِمَائِكُمْ إِنْ اللَّهُ لَا يَجِبُ مِنْ كَانَ غَضَالاً فَخُورُهُ﴾<sup>(٤٠)</sup> وشجعت الآية الكريمة ﴿وَانْكَحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾<sup>(٤١)</sup> على الزواج من ملك اليمين إذا كانوا صالحين.

وللعبد أن يشتري حريته من ماله، فقد جاء في الآية الكريمة ﴿... وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ إِمَائِكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرَهُوا فَتَاتِكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ مَحْصَناً...﴾<sup>(٤٢)</sup>. أي أن المملوك إذا كان أميناً وكان ذا كسب وأراد أن يكاتب سيده على مبلغ معين لقاء عتقه فليكاتبه، سواء أدى المبلغ عاجلاً أو آجلاً. وأوجب الإسلام

(٣٦) أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، البلدان (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٩٢)، ص ٢٤٨.

(٣٧) المصدر نفسه، ص ٢٦٠.

(٣٨) أحمد أمين، ضحى الاسلام، ط ٧ (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٤)، ج ١، ص ٨١-٨٢.

(٣٩) القرآن الكريم، «سورة البلد»، الآيات ١١-١٣.

(٤٠) المصدر نفسه، «سورة النساء»، الآية ٣٦.

(٤١) المصدر نفسه، «سورة النور»، الآية ٣٢.

(٤٢) المصدر نفسه، «سورة النور»، الآية ٣٣.

إعانة المكاتبين وإعطاءهم سهمهم الذي جعل الله لهم من بيت المال. قال الإمام علي كرم الله وجهه: يخط له الربيع - أي من المبلغ الذي كاتب سيده عليه. وعن ابن عباس قوله: يرضخ له من كتابته شيئاً، أي أن علي سيده أن يتنازل له عن جزء من المبلغ المكاتب عليه. وعن عمر بن الخطاب أنه كاتب عبداً له يكنى أبا أمية، وهو أول عبد كتب في الإسلام، فأتاه بأول نجم، فدفعه إليه فقال: استعن به على مكاتبك. فقال: لو أخرته إلى آخر نجم، قال عمر: أخاف أن لا أدرك ذلك<sup>(٤٣)</sup>. ومنع الإسلام إكراه الأمة على البناء، وهذا ما أكدته القسم الأخير من الآية الكريمة مائة الذكر. كما خصص الإسلام قسماً من أموال الزكاة لعنق الرقيق. وذلك ما جاء في الآية الكريمة ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب...﴾<sup>(٤٤)</sup> أي في فك الرقاب بإعانة المكاتبين، وقيل الأسرى، وإيتاع الرقيق وعتقهم<sup>(٤٥)</sup>.

وللرسول ﷺ عديد من الأحاديث يحض بها على عتق العبيد ومعاملتهم بالحسنى وأن لا يُكَلَّفوا فوق طاقتهم. فقد جعل للرجل الذي يعتق أمته ويترجها مثلين من الأجر، فقال: «ثلاثة هم أجران... . ورجل كانت عنده أمة يطأها فأدبها فأحسن تاديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم اعتقها فترجها فله أجران»<sup>(٤٦)</sup>. وقال ﷺ: «إن إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يديه فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم ما يغلبهم فاعينوهم»<sup>(٤٧)</sup>. وقال ﷺ بهذا المعنى: «للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل ما لا يطيق»<sup>(٤٨)</sup>. وأمر ﷺ ألا ينادى عليهم بلقظ اليهودية، فقال: «لا يقل أحدكم عبدي، أمي، كلكم عبيد الله، وكل نساكنكم إمام الله، وليل غلامي، جاريتي، وثناي، وثناي»<sup>(٤٩)</sup>. وعن الإمام علي كرم الله وجهه قال: «كان آخر كلام رسول الله ﷺ: أوصيكم بالصلاة، واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم»<sup>(٥٠)</sup>.

كما جعل الإسلام تحرير الرقاب كفارة لبعض الذنوب، فقد جاء في الآية الكريمة ﴿... من قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله...﴾<sup>(٥١)</sup>. وفي آية أخرى «والذين

(٤٣) أبو القاسم محمود بن عمر الزُّغَّشَرِي، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعلومها، ج ٤ (بيروت: دار الكتاب العربي، [د.ت.])، ج ٣، ص ٢٣٨ - ٢٣٩.

(٤٤) القرآن الكريم، «سورة التوبة»، الآية ٦٠.

(٤٥) الزُّغَّشَرِي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٨٣.

(٤٦) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الأدب المفرد (طشقند: مطبعة الأونيسك، ١٩٧٠)، ص ٦١.

(٤٧) المصدر نفسه، ص ٥٨.

(٤٨) المصدر نفسه.

(٤٩) المصدر نفسه، ص ٦٢.

(٥٠) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المستطرف من أخبار الجواهر، حققه صلاح الدين المنجد، رسائل ونصوص، ٢ (بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٦٣)، ج ٢، ص ٧٥.

(٥١) القرآن الكريم، «سورة النساء»، الآية ٩٢.

يظاهرون من نسلهم ثم يعودون لما قالوا لتحرير رقية من قبل أن يتأسا... (١٦١). وقال الرسول ﷺ: «من لعن عبده أو ضربه حداً لم يأت به فكفارتة عتقه» (١٦٢).

وكان عتق الرقيق يتم على نطاق واسع في بعض المناسبات. وقد يشتري بعض الناس الرقيق لغرض عتقهم. فقد اعتق المتوكل على الله عند إعداده ابنه المعتز ألف عبد وأمر لكل منهم بمئة درهم وثلاثة أثواب (١٦٣).

وقد سمي الأرقاء البيض ممالك والسود عبيد (١٦٤). وكان من الطبيعي أن تختلف قيمة المملوك أو العبد ذكراً كان أو أنثى، بما يحسن من الأعمال، وحمة السلاح منهم أعلى منزلة من غيرهم، وقد صار منهم قواد وأمراء بارزون في الجيش العربي، وكان لكثير منهم شأن كبير في سير الأحداث ومصائر الخلفاء.

وكان الصقالبة والترك المصدر الذي لا ينضب معينه من الممالك. وما كان يجلب إلى حاضرة الخلافة، بغداد أو سامراء، من الصقالبة يأتي من بلاد الفرنج عن طريق الأندلس. ويقول المقدسي: «إن بلدهم خلف خوارزم، إلا أنهم يحملون إلى الأندلس فيخضون، ثم يخرجون إلى مصر والروم، ويقعون إلى الشام وأقصور» (١٦٥). أو أنهم يؤتى بهم من الشرق مما يسييه الخراسانيون أو يتأجرون به. وكان الرقيق من الترك يجلب من فرغانة واسميجاب (١٦٦). وقد اشتهرت سمرقند برفيقها، ويقول ابن حوقل عنها: «وسمرقند جمع رقيق ما وراء النهر، وخير الرقيق ما وراء النهر تربية سمرقند» (١٦٧). ويقول عن رقيق خراسان «وأفنى الرقيق ما يقع من بلاد الترك، ولا نظير لرقيق الترك في جميع رقيق الأرض، ولا يدانيه في القيمة والحسن. وغير غلام رأته قد بيع بخراسان بثلاثة آلاف دينار. وتبلغ عندهم الجارية التركية ثلاثة آلاف دينار. ولم أر بجميع أنظار الأرض من الرقيق ما بلغ من غلام ولا جارية رومية ولا مزلفة، ولا سمع في خبر ولا أثر إلا ما كان معه آلة السباع مع الخلق البارع والأداء الصحيح» (١٦٨).

أما العبيد فيعتبر المقدسي أرض السودان موطنهم، وهم على ثلاثة أنواع: جنس يحملون إلى مصر وهم أجود الأجناس، وجنس يحملون إلى عدن وهم البربر وهم شر أجناس الخدم، والجنس الثالث على شبه الجيش (١٦٩). فكانت أهم أسواق هذا الصنف من الرقيق مصر وشبه جزيرة العرب وشمال إفريقيا، وكانت القوافل تأتي بهم من الجنوب (١٧٠).

(٥٢) المصدر نفسه، «سورة المجادلة»، الآية ٣.

(٥٣) الشاشي، الديارات، ص ١٥١، وابن الزبير، اللخائر والتحقب، ص ١١٥.

(٥٤) الشاشي، المصدر نفسه، ص ١٥١، وابن الزبير، المصدر نفسه، ص ١١٥.

(٥٥) زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي، ج ٥، ص ٢٢.

(٥٦) أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (لندن: مطبعة بريل،

١٩٠٦)، ص ٢٤٢.

(٥٧) المصدر نفسه، ص ٣٢٥.

(٥٨) أبو القاسم محمد بن علي الموصلي بن حوقل، صورة الأرض (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦٤)،

ص ٤٠٧.

(٥٩) المصدر نفسه، ص ٣٧٧.

(٦٠) المقدسي، المصدر نفسه، ص ٢٤٨.

(٦١) أمين، ضحى الاسلام، ج ١، ص ٨٥.

توسعت تجارة الرقيق وأخذ النخاسون يسلكون مختلف سبل الغش لبيع ما لديهم، مما تطلب من المشتري مزيداً من الحذر لئلا يخدع. وقد تكون نتيجة نشاط هذه التجارة عديد من الملاحظات والمقاييس التي تساعد المشتري على أن يحقق غرضه ويأمن الغش والتدليس. وقد جمع الطبيب أبو الحسن المختار بن حسن بن عبدون المعروف بابن بطلان التوفى سنة ٤٥٥ عددًا من الملاحظات والوصايا التي تساعد المشتري، وصنفها في رسالة سماها رسالة في شرى الرقيق وتقلب العبيد<sup>(٦٢)</sup>. ومما جاء فيها أن من الضروري أن يتفحص المشتري أعضاء الرقيق كالرأس والصدر والأطراف والحواس للاطمئنان على سلامتها وخلوها من العيوب التي تعيقها في أداء وظيفتها<sup>(٦٣)</sup>. وهناك قواعد للتعرف على أخلاق الجوارى المعروضات للبيع، بقياس الفراسة، منها: دلائل الحواجب، فإن غزارة شعرها دليل الحم، وطولها إلى نحو الصدغ دليل التيه والصلف، وطولها نحو الأنف دليل على البله. والتم إذا اتسع كان دليلًا على الشجاعة، وإذا غلظت شفته دل ذلك على الحمق. أما الأذن فإن عظم حجمها دليل الجهل والدهاء وطول العمر، وبالعكس من ذلك صغرها. والصوت العظيم دليل الشجاعة، وسرعة الكلام دليل العجلة والبله، وحسن الصوت دليل الرعونة. والتنفس الطويل دليل رداءة الهمة. أما المعنق فإن صغرها دليل المكر، وطولها دليل الجبن، وغلظها دليل الشجاعة. وتدل الخطى الواسعة على التأني<sup>(٦٤)</sup>.

وهناك بعض الاختبارات للتأكد من أن الجارية المعروضة للبيع تحسن ما يدعيه بائعها من اتقانها الطبخ مثلاً، أو إجادتها الغناء، أو الرقص، أو الزمر، أو الضرب على العود<sup>(٦٥)</sup>.

وعلى المشتري أن يتنبه إلى أنواع الغش والتدليس التي يلجأ إليها النخاسون أو بائعو الجوارى لإظهار الجارية بأحسن المواصفات المطلوبة وأكثرها قبولاً. فثمة وسائل ومعالجات مختلفة يتخذونها لتغيير الألوان، لتصيير السمراء ذهبية أو بيضاء، أو تحمير الحدود، أو تغيير الشعور إلى السواد الخالك، أو تجميد الشعور السبطة، أو تطويل الشعور بأن يوصلوا في طرفها من جنسها. كما أنهم يستعملون من الصفات ما يزيل آثار الجدري والتمش والوشم وما يزيل الكلف من البشرة، أو يزيل روائح الأنف، أو يجلو الأسنان، أو يطيب نكهة الفم، أو يغير زرق العين ويجعلها كحلاء، أو صبغ البياض الذي في سواد العين، أو اتخاذ بعض أو يغير لتصير الأمانة الثيب بكرةً، أو لإخفاء الحمل عن المشتري<sup>(٦٦)</sup>.

ومن الضروري ألا يتسرع المشتري بل عليه التحرز وتكرار الرؤية، وتدقيق الفحص قبل أن يقرر الشراء. لأن النظرة الأولى لا تكفي للإحاطة بما ذكرناه من أنواع التدليس.

(٦٢) أبو الحسن المختار بن الحسن بن بطلان، رسالة في شرى الرقيق وتقلب العبيد، تحقيق عبد السلام محمد هارون، سلسلة نواذر المخطوطات، ٤ (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٤).

(٦٣) المصدر نفسه، ص ٣٥٩ - ٣٦٤.

(٦٤) المصدر نفسه، ص ٣٦٧ - ٣٧٠.

(٦٥) المصدر نفسه، ص ٣٨٦ - ٣٨٨.

(٦٦) المصدر نفسه، ص ٣٨٢ - ٣٨٣.

وعليه كذلك أن يتعرف على سبب البيع قبل ابتياع المملوك، ويلاحظ جرأته على مولاه وطاعته له. وإذا ما ابتاعه فلا يطمعه، ولا يسمع له بمخالطة المُفسدين من الممالك<sup>(٣٧)</sup>. وإذا ما كان المشتري من الرؤساء فعليه أن يكون حذراً عند شراء خادم أو جارية، من أن يكون مدسوساً عليه لإيدائه أو نقل أسرارهِ وأخبارهِ<sup>(٣٨)</sup>.

وميز ابن بطلان بين العبيد والإماء بحسب أجناسهم، ومن يصلح للخدمة من الإماء وأهين للمتعة، وأي أجناس الرقيق عبيد طاعة وولاء، وأهين لا يصلحه إلا الكد والعصا، فقال: «من أراد الجارية للذة فليختلها بربرية، ومن أرادها خازنة وحافظة فرومية، ومن أرادها للرضاعة فزنجية، ومن أرادها للثناء فمكية. ومن أراد العبيد لحفظ النفوس والأموال، أي للحراسة، فالهند والنوبة، ومن أرادهم للكد والخدمة فالزنج والأرمن، ومن أرادهم للحرب والشجاعة فالترك والصفانية<sup>(٣٩)</sup>».

#### ٤ - الجوّاري

إن ازدياد الثروة لدى كبار رجال الدولة وأغنياء التجار جعلهم يتوسعون في اقتناء الجوّاري لمختلف أنواع الخدمة، أو لانتهاذهن للمتعة ولمجالس اللهو والسمر، حتى عُدَّت القصور والبيوت بهن. وكُنَّ من أُمم وشعوب متعددة تختلف في لغاتها وطبائعها وعاداتها. وصرن جزءاً من المجتمع العربي الاسلامي يؤثرون فيه ويتأثرون به. فظهرت الحاجة إلى العناية بتربيتهم وإعدادهم، ولا سيما الموهوبات منهن، بتعليمهن الأدب والشعر وأفانين الموسيقى والغناء. وكلما أجادت الجارية هذه الفنون أو بعضها نفق سوقها وغلا ثمنها. فلا غرابة أن يصير تعليم الجوّاري والبلوغ بهن درجة الحلق والمهارة عملاً مجزياً. فكان أحدهم يشتري الجارية التي يتوسم فيها الموهبة والذكاء أو اللباقة، فيعلمها ويدربها ثم يبيعها بأضعاف ثمن شرائها. فالجارية التي تحلق الغناء تزيد قيمتها على مئة ألف درهم<sup>(٤٠)</sup>. فقد اشترى إبراهيم بن المهدي شارية بثلاثمئة دينار وعلمها الغناء وأحسن تحريكها حتى نبغت فيه واشتهرت، فلما أعطاه المعتصم بالله سبعين ألف دينار ثمناً لها امتنع عن بيعها<sup>(٤١)</sup>. واشترى رجل من أثرياء البصرة جارية فأحسن تعليمها، ولما أملت حملها إلى السوق فاشترّاها أمير البصرة بمئة ألف درهم<sup>(٤٢)</sup>. واشترى الواثق بالله قلم الصالحية، وهي جارية مؤلدة حسنة الغناء والضرب بعشرة آلاف دينار<sup>(٤٣)</sup>. واشترى رجل جارية تحسن النوح في العزاء لا مثيل لها بثلاثين ألف درهم عزّة<sup>(٤٤)</sup>.

(٦٧) المصدر نفسه، ص ٣٥٧.

(٦٨) المصدر نفسه، ص ٣٥٦.

(٦٩) المصدر نفسه، ص ٣٧٨.

(٧٠) الأصبهاني، الأغاني، ج ١٠، ص ١٣ و١٦٢.

(٧١) المصدر نفسه، ج ١٦، ص ١٠.

(٧٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣١٣.

(٧٣) المصدر نفسه، ج ١٣، ص ٣٤٧.

(٧٤) محمد بن أحمد أبو المظهر الأزدي، حكاية أبي القاسم البغدادي، تحرير آدم متر (هيدلبرغ): مطبعة

كارل ونتر، ١٩٠٢، ص ٨٣.

وكان لبعض خلفاء بني العباس الألف جارية وما جاوزها<sup>(٧٥)</sup>. وقد اشتهر المتوكل على الله بكثرة الجواري «يقال إنه كان له أربعة آلاف سيرة»<sup>(٧٦)</sup> واعتاد الأمراء والسيال وغيرهم أن يتقربوا إلى الخلفاء بإهداءهم الجواري الفائقات الجمال، أو المتقنات الغناء والرقص. فقد أهدى اسحاق الموصلي جارية اسمها شجن إلى الواثق بالله وكانت مغنية بارعة<sup>(٧٧)</sup>، وأهدى إليه المنفي عمرو بن بانة جاريته فريدة وكان قد ربّاهَا وعلمها الغناء، فصارت أثرة عند الواثق بالله<sup>(٧٨)</sup>. ولما آلت الخلافة إلى المتوكل على الله أهدى إليه طاهر بن عبد الله أمير خراسان هدية فيها مئتا وصيف ووصيفة، وفي الهدية جارية يقال لها محبوبة كانت لرجل من أهل الطائف قد أدّبها وثقفها وعلمها صنوف العلم، فحسن موقعها من الخليفة وحلت من قلبه عملاً جليلاً<sup>(٧٩)</sup>. ولما استخلف المعتضد بالله أهدى إليه إبراهيم بن أحمد الأغلب خمسين جارية ومئة خادم<sup>(٨٠)</sup>.

ومن الطبيعي أن يصبح بعض الجواري الحسان أو المغنيات المتقنات أو الشاعرات الموهوبات، سيدات الدار التي يجملن بها، بل لقد أصبح بعضهن سيدات قصر الخلافة. وكان لبعضهن مَن صرن أمهات أولاد دور مهم في سياسة الدولة، بحكم تأثيرهن في أزواجهن وأولادهن من الخلفاء.

وكان إلى جانب الجواري المغنيات اللواتي اختص بهن الخلفاء والأمراء والأغنياء، قيان اتخذن الغناء مهنة هن. ويظهر أنَّ المغنيات المشهورات في بغداد في القرن الرابع كنَّ من الجواري<sup>(٨١)</sup>. وكذلك كنَّ في القرن الثالث، فقد اشتهر من المغنيات عريب وشارية وكانتا تتنافسان في الغناء ووضع الأصوات، وغدا الناس متحازبين بعضهم مع شارية وبعضهم مع عريب، ومال كل حزب إلى من يتعصب لها من الاستحسان والطرب واقتراح الأصوات، وكانت جواري كل منها تغني صنعة سيدتها لا تتجاوزها<sup>(٨٢)</sup>.

ويصنّف ابن بطّال الجواري بحسب البلدان التي جلين منها، ويعتد البارز من صفات كل منهن. فيقول عن الجواري الهنديات إنهن هن حسن القوام وسمرة اللون، مع حظ وافر من الجمال، مع صفرة، وشفاء بشرة وطيب نكهة ولين نَعْمَة، لكن الشيوخوخة تسرع إليهن، وهن يصلحن للولد. وعن السنديات إنهن أشبه بالهنديات إلا أنهن يمتزْنَ بدقة

(٧٥) الحسن بن عبد الله العباسي، آثار الأول في ترتيب الدول (مصر: مطبعة بولاق، ١٢٩٥م)،

ص ١١١.

(٧٦) السعدي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٤، ص ١٢٢.

(٧٧) الأصبهاني، الأغاني، ج ٥، ص ٣٦٢.

(٧٨) المصدر نفسه، ج ١٣، ص ٣٥٠.

(٧٩) السعدي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٢٤ - ١٢٥.

(٨٠) ابن الزبير، الذخائر والتحف، ص ٤٤.

(٨١) أبو الطاهر الأزدي، حكاية أبي القاسم البغدادي، ص ٧٨.

(٨٢) الأصبهاني، الأغاني، ج ١٤، ص ٢١٢.

الخصور وطول الشعور. وعن القندهاريات إنهن مشابات للهنديات أيضاً إلا أن هن فضيلة على كل الناس فإن الثيب منهن تعود كالبكر. وعن المدينيات إنهن سمر الألوان معتدلات القوام، اجتمعت فيهن حلوة القول ونعمة الجسم، وهن قنوعات بالقليل لا يغبين ولا يصخبن. وعن الطائفيات فإنهن سمر مذهبات مجدولات، أخف خلق الله أرواحاً، وأحسنهم فكاهة، ولكنهن لسن بأمهات أولاد، يكسلن في الحبل، ويكهن عند الولادة. وعن البريريات قالوا إنهن على الأكثر سود، ويوجد فيهن الصفر، والشجاعة والسرقة فيهن طبع وغريزة ولذا لا يؤتمن على مال، إلا أن البريريات المغربيات مطبوعات على الطاعة، نشيطات للخدمة ويصلحن للولد. وعن الزنجيات فإن مساوين كثير، وكلما زاد سوادهن قبحت صورهن، وتحددت أسنانهن، وقل الانتفاع بهن، والغالب عليهن سوء الأخلاق وكثرة الهروب، والرقص والايقاع فطرة لهن وطبع فيهن. وقيل: لو وقع الزنجي من السماء إلى الأرض ما وقع إلا بالإيقاع. وهن أنقى الناس ثغوراً لكثرة الريق، وفيهن جلد على العمل. أما الحشيات فالغالب عليهن نعمة الأجسام ولينها وضعفتها، يتعاهدن السل، ولا يصلحن للغناء ولا للرقص، وفيهن سلاسة انقياد، ويصلحن للاثتان على النفوس، وتبترن بضعف الأجسام، وهن قصار الأعمار. وأما التوبيات فهن من جملة أجناس السودان ذوات ترف ولطف وقصص، وهواء مصر يوافقهن لأن ماء النيل شربهن. وإذا انتقلن إلى غير مصر تسلطت عليهن العلل والأمراض، أخلاقهن طاهرة وصورهن مقبولة، فيهن عفة وتصوُّ وإذعان للمولى كأنهن فطرن على العبودية. وأما التركيات فقد جعلن الحسن والبياض والنَّعمة، ووجههن مائلة إلى الجهامة، وعيونهن مع صغرهما ذات حلوة. وقد توجد فيهن السمراء الأسيلة، ومليحتهن غاية وقبيحتهن آية، وهن كنوز الأولاد ومعادن النسل، وفيهن نظافة ولباقة، لا يكاد يوجد فيهن نكهة متغيرة، وفيهن أخلاق سمحة وقلة وفاء. وأما الروميات فيبيض شقر سباط الشعور زرق العيون، عبيد طاعة وموافقة وخدمة ومناصحة ووفاء وأمانة. يصلحن للخزن لضبطهن وقلة سياحتهن. ولا يخلو أن يكون بأفهن صنائع دقيقة. وأما الأرمنيات فالملاحة فيهن لولا ما فيهن من وحشة الأرجل، مع صحة بنية وشدة أسر وقوة. وقل ما يوجد فيهن بخل، وفيهن غلظ طبع ولغظ، وهن عبيد كد وخدمة، وليس فيهن فضيلة غير تحمل العناء والأعمال الثقيلة. وهذا الجنس غير مأمون عند الرضا فضلاً عن الغضب<sup>(٨٣)</sup>.

ويقول أحد سماسرة الرقيق: إذا اجتمع للبربرية مع جودة الجنس أن تجلب وهي بنت تسع حجج، وتلبث بمكة ثلاث حجج، ثم تنجيء إلى العراق وتثقف فيه، ثم تباع وهي بنت خمس وعشرين سنة، تكون قد جمعت إلى جودة الجنس شكل المدينيات ونخنت المكيات وآداب العراقيات<sup>(٨٤)</sup>.

(٨٣) ابن بطالان، رسالة في شرى الرقيق وتقليب العبيد، ص ٣٧٢ - ٣٨٧.

(٨٤) المصدر نفسه، ص ٣٧٤.

## ٥ - تأثير الجوّاري والقيان

لقد كان تأثير الجوّاري والقيان في الحياة الاجتماعية شديداً واضحاً، فقد كنّ وسيلة لنشر الفنون الجميلة وما يتبعها من رقيّ الذوق الفني والشعور بالجمال وتقديره. فنشروا أنواعاً من الظرافة في أزياء الملابس والألوانا ومناسبات لبسها، وفي حب الأزهار وتعشيقها، وكتابة الأشعار الرقيقة والجمال الظرفية على العصائب والمناديل وأكمام الملابس وجيوبها، وعلى الوسائد. كما نشرن بعض أساليب التجميل كالعناية بتصفيف الشعر وترقيق الحواجب. ومن الجدير بالذكر أن بعض الجوّاري أقمن على الدّين الذي كنّ عليه كالنصرانية والوثنية، وكان مواليهن حتى من الخلفاء يحترمون دينهن ويسمحون لهن بالفروض والطقوس الخاصة في الأعياد وغيرها، الأمر الذي يظهر مدى التسامح الديني الذي كان من مميزات الحضارة العربية الإسلامية.

وبما يظهر شدة أثر القيان والجوّاري في المجتمع العربي أن الجاحظ عميد الأدب في القرن الثالث وضع فيهن رسالة سألها القيان ذكر فيها موقف الشريعة من اقتنائهن، وتأثيرهن في ظهور التسامح الخلقي، وأشار إلى براعاتهن في الغناء ونظم الشعر. وأشار بفضائلهن وسكون النفس إليهن لأنهن يجمعن للإنسان من اللذات ما لا يجتمع في شيء على وجه الأرض، لأن اللذات كلها إنما تكون بالحواس، فللعين النظر إلى القينة الحسنة، وإذا رفعت عقيرتها تغني حلق إليها الطرف وأصغى نحوها السمع، فاستبقت السمع والبصر أيهما يؤدي للقلب ما أفاد منها قبل صاحبه. فيتولد منه مع السرور حاسة للمس. فيجتمع له في وقت واحد ثلاث لذات لا تجتمع في شيء قط، ولم تؤدّ الحواس مثلها<sup>(٨٥)</sup>.

كما يذكر الجاحظ ما ينشأ من الفتنة في مجالسة القيان، لأن القينة لا تخلص في دها، وإنما لا تفتأ تنصب الأحابيل والشرار لجزّ المغانم وتحقيق المكاسب. وهو يرى ذلك أمراً طبيعياً في الجارية بحكم نشأتها وتربيتها، بل إنها مضطرة إليها بحكم صنعتهما<sup>(٨٦)</sup>.

ويشارك صاحب الموشى الجاحظ في ذم القيان إذ يقول: لم يبتل أحد من أهل المروءات والأدب، ولا امتحن الفتيان ببليّة هي أعظم من هواهن. لأن جبهن حب كذب، وعشقهن عشق مشوب، وهواهن منسوب إلى اللئلي ليس بثابت ولا متصل، وإنما هو لطمع وغرض. وهن سريعات الغضب، يستدل على ذلك بأفعالهن الردية وأخلاقهن السيئة. وإن عجبتهن تظهر ما ظهرت علامات اليسار والمال، وتنتقل عند الإفلاس والإقلال<sup>(٨٧)</sup>.

وكان للجوّاري تأثير مهم آخر في المجتمع، ذلك أنهن حجبن الأحرار من النساء عن

---

(٨٥) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، رسالة القيان، ص ٧٠.

(٨٦) المصدر نفسه، ص ٧٣ - ٧٤.

(٨٧) أبر الطيب محمد بن أحمد الوشاء، الموشى أو الظرف والظرفاء، حققه كمال مصطفى، ط ٢ (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٥٣)، ص ١١٦ - ١١٧.



الحياة الاجتماعية والثقافية. إذ اتخذ الرجل في حياته هذه طائفة من الجوارى الأدبيات الشاعرات والمغنيات، دون زوجته الحرة التي أخذ يحرص على أن لا يراها أحد من الرجال غيره وغير الأقربين من محارمها. فكان ذلك سبب الحجاب الذي لفت المرأة العربية المسلمة قروناً عديدة، وما ترتب على ذلك من عزلتها وجهلها. ويذكر القاضي التنوخي أن امرأة من أهل الأنبار كانت قد جاوزت الأربعين سنة، خرجت من بيتها إلى بغداد في محنة عرضت لها. فرأت في طريقها جملاً يدير دولاباً، فسألت عنه وحلفت بالله أنها ما رأت جملاً قط<sup>(٨٨)</sup>. وذلك ناشئاً لا شك من احتباسها في بيتها، وتشديد الحجاب عليها.

## ثانياً: طراز المعيشة

### ١ - المساكن

كشفت الحفريات التي أجريت في أطلال سامراء أن أغلب البيوت كانت مشيدة على طراز واحد هو الطراز المعروف بالخيري بكمين. وهو طراز وصفه المسعودي وعزا إحداً إلى المتوكل على الله. وكان قد أحدثه قديماً أحد ملوك الخيرة فنسب إليها، وهو يتألف من إيوان وعلى جانبيه غرفتان يمتد أمامهما رواق متصل بالإيوان<sup>(٨٩)</sup>. وقد شاع هذا الطراز في بناء البيوت في بغداد وسامراء منذ أيام المتوكل على الله. وكان المترفون من الناس يلجأون في الصيف إلى تبريد بيوتهم باستعمال الخيش بوضعه حول الغرف المراد تبريدها ويبلونه بالماء دوماً فيبرد الجو، أو أن يكبسوا قطع الثلج وعليها غلجان يروّحون بمراوح فيبرد هواء المكان الذي وضع الثلج في مدخله أو قريباً من إحدى نوافذه. وكان في قصر الخليفة عدد من الغلمان عليهم عريف، يتناوبون في رش الخيش الذي فيه<sup>(٩٠)</sup>. كما كانوا يدفنون البيوت في الشتاء بحرق الفحم في مواضع في الغرف. وكان طبيب البلاط بختيشوع بن جبرائيل يسكن بيتاً فخماً في سامراء بناه في أيام المتوكل على الله<sup>(٩١)</sup>. وقد وصف أحد أصحابه ما شاهده من وسائل تبريده وتدفئته، قال: دخلت إلى بختيشوع في يوم شديد الحر، وهو جالس في مجلس مخيش بعدة طاقات من الخيش، وفي وسطه قبة عليها أكسية من قصب مظهره يبدى في قد صبيغ بماء الورد والكافور والصندل، وعليه جبة بماني سعدي ثقيلة، ومطرف قد التحف به. فعجبت من زيّه، فحين حصلت معه في القبة نالني من البرد أمر عظيم، فضحك وأمر لي بجبة ومطرف، وقال: يا غلام اكشف جوانب القبة، فكشفت فإذا أبواب مفتوحة من جانب

(٨٨) المحسن بن علي التنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة أو جامع التواريخ، تحقيق صبرود الشالحي، ٨ ج (بيروت: دار صادر، ١٩٧١)، ج ٨، ص ٢٣٦.  
(٨٩) للمسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٤، ص ٨٧.  
(٩٠) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج ٢، ص ١٣٨.  
(٩١) اليعقوبي، البلدان، ص ٢٦١.

الإيوان إلى مواضع مكبوسة بالثلج فيخرج منها البرد الذي لحقي. ولما كان في صلب الشتاء دخلت عليه يوماً والبرد شديد، وعليه جبة محشوة وكساء، وهو جالس في طرمة في الدار على بستان غاية في الحسن، وعليها سمور قد ظهرت به، وفوقه أكسية حرير مصبغ ولبيود مذهب مخرق، وخادم يوقد العود الهندي، وعليه غلالة قصب في نهاية الرفعة. فلما حصلت معه في الطرمة وجدت من الحر أمراً عظيماً. فضحك وأمر لي بغلالة قصب. وتقدم وكشف جوانب الطرمة فإذا مواضع لها شبائيك خشب بعد شبائيك حديد، وكوانين فيها فحم الغضا وغللمان ينفخون في ذلك الفحم بالزقاق التي تكون للحدادين<sup>(٩٢)</sup>. وكان بختيشوع يأمر غلمانه بأن يجعلوا أجاجين الدبس في سطوح الدار ليجتمع الذباب عليه فلا يقرب من أهل الدار<sup>(٩٣)</sup>.

وكانوا يستخدمون المراوح للتبريد في بعض البيوت، وهي قطع من القماش السميك شبيهة بشرع السفينة، تربط بسقف البيت الذي يراد تبريده، ويشدُّ بها حبل يُجرُّ به بعد أن يرش عليها الماء، فتأتي بتحريكها بنسيم بارد من الهواء<sup>(٩٤)</sup>. كما استعملوا المذاب من الخوص<sup>(٩٥)</sup>. وتفننوا في تزيينها بالنقوش وكتابة ما يناسب من الأشعار عليها<sup>(٩٦)</sup>. وكانت المذاب التي تستخدم في حضرة الخليفة عند جلوسه أو في مواكبه تقمّع بالذهب والفضة<sup>(٩٧)</sup>. واستخدموا المراوح اليدوية. وقد اعتاد الظرفاء أن يكتبوا على وجهها أو على وجه واحد منها أبياتاً من الشعر، وكانت كالمذاب تتخذ من الخوص أيضاً<sup>(٩٨)</sup>.

وكانت بيوت الأغنياء من الناس تغشى سقوفها بالساج وتزِين تعاريجها بالأبنوس والعاج<sup>(٩٩)</sup>. وقد يكسون جدران الغرفة بالأقمشة الثمينة كالخز وغيره<sup>(١٠٠)</sup>. ذكر المغني محمد بن الحارث أن الواثق بالله بعث في طلبه ذات ليلة، قال: فذهبت لأدخل على رسمي حتى أفضيت إلى دار مفروشة الصحن ملبسة الحيطان بالوشى المنسوج بالذهب، ثم أفضيت إلى رواق أرضه وحيطانه ملبسة مثل ذلك، وإذا الواثق بالله في صدره على سرير مرصع بالجواهر، وعليه ثياب منسوجة بالذهب<sup>(١٠١)</sup>.

(٩٢) ابن أبي أصيبعة، عيون الأتباء في طبقات الأطباء، ص ٢٠٣ - ٢٠٤.

(٩٣) المصدر نفسه، ص ٢٠٥.

(٩٤) آدم من، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ترجمة محمد عبد المهدى أبو ريدة، ج ٢ (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٠)، ج ٢، ص ١٧٤.

(٩٥) الشافعي، الديارات، ص ١٨٥.

(٩٦) الرشاء، الموشى أو الظرف والظرفاء، ص ٢٤٧.

(٩٧) أبو الحسين هلال بن المحسن الصائغ، رسوم دار الخلافة، تحقيق ميخائيل عواد (بغداد: مطبعة الماني، ١٩٦٤)، ص ٩١.

(٩٨) الرشاء، المصدر نفسه، ص ٢٤٧ - ٢٤٨.

(٩٩) أبو المطهر الأزدى، حكاية أبي القاسم البغدادي، ص ٣٥.

(١٠٠) الشافعي، الديارات، ص ٤٣.

(١٠١) الأصبهاني، الأغاني، ج ٤، ص ١١٦.

ويتألف فرش البيوت المترفة عادة من الزلالي والطنافس والأنخاخ والعُطف والمقاعد والأنطاع والناروق والحصر العبادانية التي تطوى كما تطوى الثياب، والدسوت المزوجة بالذهب، ومطارج الديباج المقصَّب بالذهب والحشو بـريش الصعور<sup>(١٠١)</sup>. وأحسن أصفاف الفرش ما كان يجلب من أرمينيا، ويتألف فرش البيت الأرمني من عشر مصليات بمخادها ومساندها ومطارجها وأنخاخها وبساطها، وهو مطرز بالذهب، وثمنه خمسة آلاف دينار<sup>(١٠٢)</sup>. وكان هذا الفرش لنفاسته يُهدى إلى الخلفاء<sup>(١٠٣)</sup>. أما الأسرة فكانت من الأبنوس المزِين بالعاج<sup>(١٠٤)</sup>. وتتخذ الكلل من الألوان الزاهية للتوقي من البعوض<sup>(١٠٥)</sup>. ويقول الجاحظ إن زي مجالس الخلفاء في الشتاء والصيف واحد، وهو فرش الصوف لأنهم يرون ذلك أكمل وأجزل وأفخم وأنبيل<sup>(١٠٦)</sup>.

أما الفرش الرخيص الذي يستعمله سواد الناس فلا يتعدى الزلالي الرخيصة، والقطف السوداء، والمسوح الكردية<sup>(١٠٧)</sup>.

وكانت الأدوات واللوازم البيتية في البيت الاعتيادي هي: طست وإبريق، وجرار وكيزان وقدر وجامات وسُكُرجات وفضائر، وصواني وأطباق، وقناني وأقداح<sup>(١٠٨)</sup>. ومن الطبيعي أن تختلف نوعية هذه الأدوات واللوازم، فمنها البسيط الرخيص، ومنها الجيد الغالي الثمن. وذلك يتوقف على منزلة صاحب البيت الاجتماعية وحالته المالية. فكان بعض الأثرياء يستعملون الأطباق والكؤوس من الذهب، مما دفع الخزافين إلى ابتكار الخزف الذهبي لصنع الفضائر والأطباق والكؤوس.

وقد استخدم الناس للإنارة ليلاً السُرُج والشموع. ويستخدم المترفون لأسرجتهم زيتاً لا رائحة له مما يستخدم في الطبخ، ويستخدم غيرهم أنواعاً رخيصة من الزيوت. وكان أهل اليمن يوقدون مصابيحهم بدهن السمك ويحمل إليهم من مهرة<sup>(١٠٩)</sup>. واستخدم أهل مصر زيت الفجل للغرض نفسه، وقد أشرنا إلى ذلك في فصل الصناعة. وكانت الشموع أنواعاً،

(١٠٢) الزلالي جمع الزلية وهي البساط، والأنخاخ جمع النخ وهو البساط الطويل، والناروق هي الوسائد الصغيرة يتكا عليها، والصموطائر أصغر من المصفور.

(١٠٣) التنويحي: الفرج بعد الشدة، ج ٢، ص ٨٣، ونشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة أو جامع التواريخ، ج ٨، ص ٥٢.

(١٠٤) ابن الزبير، اللخائر والتحف، ص ٤٥.

(١٠٥) الرشاء، المؤثي أو الظرف والظرفاء، ص ٢٣٣.

(١٠٦) المصدر نفسه، ص ٢٣٢.

(١٠٧) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط ٣، ج ٤ (القاهرة: مكتبة الخانجي، بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٦٨)، ج ٣، ص ١١٥.

(١٠٨) أبو الطاهر الأزدي، حكاية أبي القاسم البغدادي، ص ٣٧.

(١٠٩) الصباه، الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص ٢٢٧.

(١١٠) المقاسمي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٠٠.

منها العادي الذي يستخدمه سواد الناس، ومنها المعنبر والمكفّر، أي المخلوط بالعنبر والكافور، لكي تلطّف رائحة الشمع المحترق. ومن الأسرجة نوع يسمى (النارة) وهي سراج يخمس فتائل<sup>(١١١)</sup>، وقد يتخذها الأغنياء من الذهب والفضة، ويتخذها غيرهم من النحاس. وقد استخدموا النفاطة للإضاءة، ويظهر من اسمها أنها سراج يوقد بالنفط. وقد ورد ذكرها في كتاب الفرج بعد الشدة، قال «فعمدت في ثيابي وجاء الليل فجعلت بين يدي نفاطة<sup>(١١٢)</sup>». وقال كذلك واستقبلي موكب فيه من الشموع والنفاطات ما أضاء منه الطريق فصار كالنهار<sup>(١١٣)</sup>. كما ورد في جدول النفقات اليومية لبلات المعتمد بالله مبلغ أربعة دنائير يومياً لأثمان النفط والمشاقة للنفاطات والمشاعل، إلى جانب ما خصص للزيت والشمع<sup>(١١٤)</sup>.

## ٢ - الطعام

لعل أقدم كتاب وصل إلينا في الطبخ إبان ازدهار الحضارة العربية، هو كتاب الطبخ لمؤلفه محمد بن الحسن بن محمد البغدادي، ألفه سنة ٦٢٣ أي قبيل سقوط بغداد بثلاث وثلاثين سنة<sup>(١١٥)</sup>. ورغم بعد زمن هذا الكتاب عن القرن الثالث، إلا أنه يلاحظ أن معظم ما جاء فيه من أنواع الطبخ وأصناف المخللات والحلويات قد ورد ذكره في حكاية أبي القاسم البغدادي لأبي المطهر أحمد الأزدي من أبناء القرن الرابع<sup>(١١٦)</sup>. مما يستدل منه أن الأطعمة المعروفة في القرن السابع لم تكن تختلف كثيراً عما كانت عليه في القرن الرابع، ولا نبعد عن الواقع إذا ما قلنا إنها كانت نفسها. ولهذا اعتمدنا على كتاب الطبخ المذكور في توضيح بعض أنواع الطبخ، والمخللات والمطيبات والحلويات مما ورد ذكره في كتاب الأزدي الذي اعتمدنا على ما جاء فيه من الطعام، وما يتعلق به في بحثنا هذا، لقرب عهد مؤلفه من العصر الذي نبحت فيه.

عند عرضنا أصناف المواد الغذائية التي كانت مألوفة آنذاك نلاحظ أن قوام الطعام كان يتألف من الخبز واللحم والسمك والرز والمخضرات، وأن الزيت المستخدم في طهي الطعام هو زيت السمسم، ودهن الآلية المسلية، إلا أن كثيراً من الأغنياء كانوا يستعملون دهن اللوز والجلوز - الصنوبر - ولهم في دورهم رعى يستخرج عليها دهن اللوز<sup>(١١٧)</sup>. ويكاد اللحم

(١١١) أبو المطهر الأزدي، حكاية أبي القاسم البغدادي، ص ٤٥.

(١١٢) التنخي، الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ١٠٣.

(١١٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٢٩.

(١١٤) الصابئ، الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص ٢٤.

(١١٥) محمد بن الحسن الكاتب البغدادي، الطبخ، نشره داود الجليبي (الموصل: مطبعة أم الربيعين، ١٩٣٤).

(١١٦) يوسف إيلان سركيس، معجم المطبوعات العربية والمعربة: وهو شامل لأسماء الكتب المطبوعة في الأقطار الشرقية والغربية مع ذكر أسماء مؤلفيها ولغة من ترجمتهم وذلك من يوم ظهور الطباعة إلى نهاية السنة الهجرية ١٣٣٩ الموافقة لسنة ١٩١٩ الميلادية (القاهرة: مطبعة سركيس، ١٩٢٨)، ص ٣٤٥.

(١١٧) التنخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة أو جامع التواريخ، ج ٢، ص ٩.

يدخل في جميع أنواع الطبخ. أما الرز فكان يطبخ باللبن، ويسمى أرزاً بلبن أو رخامية<sup>(١١٨)</sup>، أو أن يطبخ بالقلقل ويسمى أرزاً بالقلقل أو مجدرة<sup>(١١٩)</sup>، أو يطبخ بالرششة ويسمى الأطرية<sup>(١٢٠)</sup>. كما يدخل الرز في بعض أنواع الطبخ كالشوربا والمهلبية والاسفيدباجة والعريسة، وهي هريسة الرز<sup>(١٢١)</sup>.

وكانوا يسمون التوابل «الأبازير» وما كان شائع الاستعمال منها: الكسفرة، والزنجبيل، والقلقل، والدار صيني (القرفة)، والقرنفل، والمصطكى. ومن أنواع المخلاتات التي كانت تزين بها الموائد: النعناع المخلل، والباذنجان والخيار واللفت، وكلها مخلة، والباذنجان المحشي، أي المسلوق بالخل والمكبوس بالشيرج<sup>(١٢٢)</sup>. ومن المطيبات التي كانت توضع مع الطعام على المائدة: الزيتون المبخر، والخل بالخردل واللوز، والباقلاء بخل وشيرج، والملح المطيب وهو المطحون ناعماً والمخلوط بمسحوق الكسفرة والسمن وحب القنب والأنسون بعد تحميصها، وقد يُلون باللون الأصفر بماء الزعفران، أو باللون الأحمر بماء الساق، أو باللون الأخضر بماء السلق<sup>(١٢٣)</sup>.

ولإ جانب أنواع الطبخ باللحم كانت هناك أنواع متعددة لطباخ الدجاج والأسماك، كالمطجن منها أو المشوى أو المسلوق أو القلي<sup>(١٢٤)</sup>.

ولقد تنوع الطعام وعرف الناس أنواعاً عديدة من الطبخ والمخللات والحلويات والنقول والفواكه والأبندة. وكان المترفون يتأقنون في طعامهم وشرابهم ويتخذون ما لذ وطاب منها. أما طعام العامة فكان يقتصر على وجبة واحدة وهو في العادة من التمر والسمن ولحم البقر الرخيص الثمن. وأهريسة وحلاوة التمر من لذات الطعام عندهم<sup>(١٢٥)</sup>. أما الفقراء فلهم في لحم البقر وعصيدة التمر كفاية<sup>(١٢٦)</sup>.

وكان الخلفاء في بغداد وسامراء يُعنون بطعامهم وشرابهم، ولا يتناولون شيئاً إلا بحضور طبيبه. وكان الطبيب الماهر يوحنا بن ماسويه يقف على رؤوس الخلفاء الذين خدمهم، وهم المأمون، والمعتمد بالله، والوائق بالله، والمتوكل على الله، ومعه الجوارشنة

(١١٨) الكاتب البغدادي، الطبخ، ص ٧.

(١١٩) المصدر نفسه، ص ٢٧ - ٢٨.

(١٢٠) المصدر نفسه، ص ٢٩.

(١٢١) المصدر نفسه، ص ٢٨، ٣١ - ٣٢ و ٥٢ على التوالي.

(١٢٢) المصدر نفسه، ص ٦٥.

(١٢٣) المصدر نفسه، ص ٦٩ - ٧٠.

(١٢٤) حول الدجاج، انظر: المصدر نفسه، ص ٥٠ - ٥١، وحول السمك، انظر: المصدر نفسه،

ص ٦٠ - ٦٤.

(١٢٥) عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري (بغداد: مطبعة

المعارف، ١٩٤٨)، ص ٢٧٤.

(١٢٦) التنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة أو جامع التواريخ، ج ١، ص ١٢١.

المهاضمة المسخنة المقوية للحرارة في الشتاء، والأشربة الباردة في الصيف<sup>(١٢٧)</sup>. وكانت موائدهم عامرة بأنواع المأكولات والمشروبات، وتضم أصناف الأطعمة والفاكهة والحلوى وغيرها، وتحمل إليهم بعض أنواع الخضار والفاكهة من مختلف الأقاليم، وهم يتفقدون عليها كثيراً. فقد كان الخليفة المأمون ممن يهتمون بالطعام ويتلوق الطيب منه. ويظهر أنه كان يميل الطبخ ويتبارى فيه مع المقرئين إليه. ويروي المسعودي قصة رجل عامي وجد في آخر الليل فجيء به إلى ديوان الخليفة، وكان عنده أخوه المعتصم، ويحيى بن أكرم، ومحمد بن عمرو الرومي، وكان قد طبخ كل واحد منهم قدرأ. فقال المأمون للرجل: قد طبخ كل واحد منا قدرأ، فكل من كل واحد منها قدرأ، وأخبرنا عن فضائلها وما ترى من طيبها. فآكل الرجل من أول قدر، وهي للمأمون، فقال عنها هذه كأنها مسكة وطباخها حكيم لطيف، وذاق الثانية، وكانت للمعتصم، فقال وهذه كأنها الأولى وطباخت بيد واحدة، وذاق الثالثة وهي لعمرو فأنهى عليها. ولما ذاق الرابعة ذمها وطعن بمعرفة صاحبها أصول الطبخ، وكانت قدر يحيى بن أكرم، فأكرم المأمون الرجل وأخرجته<sup>(١٢٨)</sup>.

وكان المعتصم بالله شديد الاعتناء بالطعام ويحسن طبخه<sup>(١٢٩)</sup>. وهو أول من ثرد الطعام وكثر حتى بلغت نفقات مائدته في اليوم ألف دينار<sup>(١٣٠)</sup>. وقد أمر يوماً ندماءه بأن يطبخ كل منهم قدرأ لمعرفة أحسنهم طبخاً، وحكم قاضي قضائه أحمد بن أبي دؤاد، فجعل هذا يأكل من أول قدر أكلأ تماماً. فقال المعتصم بالله: هذا ظلم، قال: وكيف ذلك؟ قال لأنني أراك أعمنت في هذا اللون وستحكم لصاحبه. قال: يا أمير المؤمنين علي أن أكل من هذه القدرور كلها كما أكلت من هذه القدر. فتبسم الخليفة وقال: شأنك إذن. فأكل من جميعها كما ذكر، ثم قال: أما هذه فقد أحسن طبخها إذ أكثر خلها وأقل زيتها. أما هذه فقد طباخها باعتماد توابلها، وأما هذه فقد حلق من عملها بقلة مائتها وكثرة مرقها، حتى وصف القدرور كلها بأوصاف سر لها أصحابها. ثم أكل مع القوم كما أكلوا<sup>(١٣١)</sup>.

واشتهر الوائقي بالله وقاضي قضائه أحمد بن أبي دؤاد بأنها من الأكلة المشهورين<sup>(١٣٢)</sup>. يقول المسعودي: كان الوائقي بالله من شدة الشهوة للطعام والتمعة فيه على الحالة المشهورة

(١٢٧) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٤٦.

(١٢٨) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٤، ص ١٧ - ١٨.

(١٢٩) الشافعي، الديارات، ص ١٨٦.

(١٣٠) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد

الحديد، ط ٢ (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٥٩)، ص ٣٣٧.

(١٣١) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٤، ص ٩٧ - ٩٨، والتونجي، نشوار المحاضرة

وأخبار المذاكرة أو جامع التواريخ، ج ٧، ص ٢٤٣ - ٢٤٤.

(١٣٢) أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه، العقد الفريد، شرحه ورتب فهارسه أحمد أمين، أحمد الزين

وابراهيم الايباري، ج ٧ (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٠ - ١٩٥٣)، ج ٦، ص ٣٠٠، وأبو

عفيان عمرو بن بحر الجاحظ، الساج في أخلاق الملوك، تحقيق أحمد زكي باشا (القاهرة: المطبعة الأميرية،

١٩١٤)، ص ١١.

المتعلقة، ويروي خبراً يستدل منه شدة ولع الوائق بالله بالطعام<sup>(١٣٣)</sup>. ولشدة ولع الوائق بالله بالطعام واعتناهم بما يتعلق به أن اتخذ خزاناً من الذهب مؤلفاً من أربع قطع، وجميع ما عليه من الصحن والأقداح من الذهب. وقد سأل ابن أبي داود أن لا يأكل عليه للنهي الوارد في الحديث الشريف عنه. فأمر أن يكسر ذلك ويضرب دنائير تحمل إلى بيت المال<sup>(١٣٤)</sup>. وكانت هذه المائدة ويصحافها وأقداحها قد أمر الوائق بالله بصنعها من الذهب الذي صار إليه عند وفاة والي السند عمران بن موسى<sup>(١٣٥)</sup>.

وما يذكر عن هم الوائق بالله في الطعام أنه كان يأكل في أكلة واحدة أربعين باذنجاناً، حتى إن أباه بعث إليه من يقول له: ويلك متى رأيت خليفة أعمى! يشير بذلك إلى أن الإكثار من أكل الباذنجان يسبب العمى، فقال للرسول: أعلم أمير المؤمنين أنني تصدقت بعيني جميعاً على الباذنجان<sup>(١٣٦)</sup>.

وعرف عن المتوكل على الله أنه كان يتذوق الطعام ويتخير الجيد منه. وقد أعجب يوماً بقدر سكباج رآها تطبخ على إحدى السفن فاستطاب رائحتها، فأمر فقدمت إليه، فأكل منها واطعم من كان عنده من ندمائه. ثم ملأ القدر دراهم وأعادها إلى أصحابها<sup>(١٣٧)</sup>. وبعث مرة إلى إبراهيم بن العباس الشاعر الكاتب، وكان قد ابتدع «الابراهيمية» وهي نوع من طيبخ اللحم بمواصفات خاصة، يأمره أن يصف له هذه الطبخة، فكتب له صفتها<sup>(١٣٨)</sup>. وبلغت نفقات المطابخ في الدار على عهده مئتي ألف دينار سنوياً<sup>(١٣٩)</sup>.

على أن بعض الخلفاء اقتصدوا في نفقات موائدهم، ومنهم من قام بذلك زهداً واقتصاداً في الأموال العامة كالمعتدي بالله، فقد كان الخلفاء قبله ينفقون على موائدهم كل يوم عشرة آلاف درهم، فأزال ذلك وجعل لمائدته ولسائر مؤنه في كل يوم نحو مئة درهم، وأمر بإخراج آنية الذهب والفضة من الخزائن فكسرت وضربت دنائير ودراهم<sup>(١٤٠)</sup>.

ومنهم من قام بذلك تقبيراً وبخلاً، فإن المعتضد بالله رغم امتلاء خزائنه بالأموال كان شحيحاً ينظر فيها لا ينظر فيه العوام. حكى عبد الله بن حمدون أحد ندمائه قال: «إنه أمر أن تنقص حشمه ومن كان يجري عليه الانزال، من كل رغبة أوقية، وأن يتبدأ بأمر خبزه... فتعجبت من ذلك في أول أمره، ثم تبينت القصة، فإذا أنه يتوفر في ذلك في كل شهر مال عظيم»<sup>(١٤١)</sup>.

(١٣٣) المسعودي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٧٦ - ٧٧.

(١٣٤) السبوي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٤٣.

(١٣٥) ابن الزبير، الذخائر والتحف، ص ١٨٥.

(١٣٦) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٦، ص ٣٠٠.

(١٣٧) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٤، ص ٩٩.

(١٣٨) الأصبهاني، الأغاني، ج ١٠، ص ٥٣.

(١٣٩) ابن الزبير، الذخائر والتحف، ص ٢١٩.

(١٤٠) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٤، ص ١٨٩ - ١٩٠.

(١٤١) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٣٢.

ونج ابنه المكتفي بالله نهجه إذ أوكّل على مائدته بعض خدمه وأمره أن يحصى ما فضل من الخبز عليها، فما كان من المكسر عزله للتريد، وما كان من الصحاح ردّ إلى مائدته من الغد، وكان يفعل مثل ذلك بالبوارد والحلواء<sup>(١٢١)</sup>.

ومن دلائل اهتمام الخلفاء بالطعام وعنايتهم به وتذوقهم له أن سميت بعض الأطعمة بأسماء بعضهم، كالنصورية، والمأمونية، والمتوكّلية، والمعتضدية<sup>(١٢٢)</sup>. وقد صنف في الطبخ في خلال هذا القرن عدد من الكتب، منها: كتاب الطبخ لأبراهيم بن المهدي، وصنف كل من إبراهيم بن العباس الشاعر الكاتب، وعلي بن يحيى المنجم نديم خلفاء سامراء، كتاباً في الطبخ<sup>(١٢٣)</sup>.

## أ - أنواع الطعام

يصف صاحب حكاية أبي القاسم البغدادى مائدة للمتفرّفين وأخرى من موائد الفقراء، وسنحاول أن نلخصها في ما يأتي لتعريف على ما كان يقدم على موائد الطعام من الأطعمة والأشربة وأنواع المخلّلات والفواكه والحلويات<sup>(١٢٤)</sup>.

إن الخبز على مائدة المتفرّفين رغفان من دقيق فائق طحن العروبة<sup>(١٢٥)</sup>، أبيض في صفة الذهب، يصرت الأضراس ويتعلك، والنظر إليه يشبع. وخبز آخر قد جعل في رغيته اللوز المروض والفستق المشور وجبة الخضراء والسمسم المقلو، والكمون، فهو بقل وأدم ونزهة للنظر.

والمشهيات سكاريج من الصيني بيض ولازوردية وخيرية وصفرة وحمر، فيها الجبن الحريف الذي يفتق الشهية، وزيتون مدخن مخلوط باللوز المشور والصعتر، وجبن رومي مقلو أبيض مشرب بصفرة، وسلجم أبيض وأحمر كأنه لب الخبز منقوع بالخل، وغلل الخيار والبادنجان أو المنقوعان بماء الرمان، وسكرجة بلور فيها ماء اللعيا - أي عصير الليمون - وماء الحصرم. ومن البوارد غضاثر قد ملئت بفرايج كسكر<sup>(١٢٦)</sup>، وكبود الدجاج المسمن، وصدور

(١٢٢) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٨١.

(١٢٣) السيوطي، المستطرف من أخبار الجوارى، ج ١، ص ١٧٧، وأبو المطهر الأزدي، حكاية أبي القاسم البغدادى، ص ٤٠ - ٤٤.

(١٢٤) أبو الفرج محمد بن إسحق بن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٢٠)، ص ١٧١ و ٤٥٤.

(١٢٥) أبو المطهر الأزدي، المصدر نفسه، ص ٣٨ - ٤٢.

(١٢٦) العروبة هي المطاحن التي تنصب وسط النهر وتدار بقوة الماء.

(١٢٧) كسكر كورة واسعة كانت قصبته واسط، اشتهرت بالفرايج لأنها تكثر بها جداً. ويقول ياقوت الحموي أنه رأى أنها تباع: أربعة وعشرون فروجاً بدينهم واحد. وقد يجلب إليها من بعض أصعلاها فيربها بها وينسب إليها. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٦١.



البط، ومطجن، وزرباج، ومنقورية، وصحناة، وطريخ مقلو بالبيض، وسبنوسج معمول بصدور الدجاج والدراج<sup>(١٤٨)</sup>.

ومن ألوان الشواء البطوط الكسكرية، والجداء الصّرصية<sup>(١٤٩)</sup>، والدجاج الهندي المسمن، والحملان التركية، وجوزابة خشخشانية، وأرز بلبن ترك فيه الزعفران ورُصع بالحمص، وذُرَّ عليه سكر مدقوق<sup>(١٥٠)</sup>.

ومن أنواع الطبخ الأخرى التي تقدم على المائدة، الإبراهيمية، والأسفيلدباج، والحبشية<sup>(١٥١)</sup>، والديكبركية، والمشمشية، والمضيرة، والساقية، والحماضية، والعنبرية، والطباهجية<sup>(١٥٢)</sup>.

ثم يقدم من الحلوى الخبيص المطيب بماء الورد، والمزمل المتخذ من رقيق السميد وقد أذيب فيه السكر وذُرَّ عليه سكر منخول، واللوزينج المطيب بالمسك وماء الورد، والفالوذج المعمول في التنور، والعصيدة المنصورية المشهورة ببغداد، وقطائف مقلوة مغرقة بالجلاب مصفوفة في جامات البلور<sup>(١٥٣)</sup>.

وكانت هذه الأطعمة والحلوى تقدم بالغضار الصيني الملون، ويجامات البلور المحلاة بالذهب والفضة، وبالغضار الذهبي الذي ابتكرته دور الخزف في بغداد وسامراء، ليقوم مقام الصحن الذهبية.

ويتبع ذلك تقديم أنواع الفاكهة المشهورة بجودتها كالعنب الرازقي، والتين الوزيري، والتفاح المسكي المضلع، والداماني كأنه حمرة المرجان، والسفرجل، والكمثرى الشامعي،

---

(١٤٨) المطجن، والزرباج، والمنقورية أنواع من الطبخ باللحم. انظر: الكاتب البغدادي، الطبخ، ص ٥٦، ١٣ و ٢٠ على التوالي. والصحناة هو السمك الصغير المملوح. انظر مادة «صحن»، في: المتجدد في اللغة والأعلام، ط ٢٨ (بيروت: دار المشرق، ١٩٨٦)، ص ٤١٧. والطريخ هو نوع من السمك يجلب من بحيرة وان، ومن طرق تحضيره أن يلقى في الشيرج ويكسر عليه البيض. انظر: الكاتب البغدادي، المصدر نفسه، ص ٦٣ - ٦٤. والسبنوسج هو رقائق الخبز المحشو باللحم المدقوق بالساطور، أو بالسكر واللوز المدقوقين ناعماً. انظر: المصدر نفسه، ص ٥٨.

(١٤٩) منسوبة إلى صرصر، وهما قريتان من قرى بغداد على نهر عيسى إحداهما عليا والأخرى سفلى، وقد يسمى النهر صرصر أيضاً. انظر: ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٠١.

(١٥٠) جوزابة الخشخاش نوع من الحلوى تصنع بالسكر والعسل والزعفران، تجعل بين رقائق وتؤكل مع الدجاج. انظر: الكاتب البغدادي، المصدر نفسه، ص ٧١.

(١٥١) حول كيفية عمل الإبراهيمية، والأسفيلدباج، والحبشية، انظر: المصدر نفسه، ص ١٠، ٣٢ و ٢٠ على التوالي.

(١٥٢) حول كيفية عمل الديكبركية، والمشمشية، والمضيرة، والساقية، والحماضية، والعنبرية، والطباهجية، انظر: المصدر نفسه، ص ٢٣، ٢١، ٢٣، ١٨، ١١، ٣٥ و ١٥ على التوالي.

(١٥٣) حول كيفية عمل الخبيص، واللوزينج، والفالوذج، والعصيدة المنصورية - وهي عصيدة التمر - والقطائف، انظر: المصدر نفسه، ص ٥٣، ٧٦ و ٧٦ أيضاً، ٧٤ و ٨٠.

وأنواع التمور، ويعدد صاحب الكتاب قرابة ثلاثين نوعاً كالعبدسي، والبرين، والחסاوي، والسكري، والأزاد، والطبرزد، والعمرى، والصيحاني... الخ<sup>(١٠٤)</sup>.

ثم يعدد أصنافاً من الورد التي تزين بها المائدة كالترجس، والسوسن، والنسرين، والخيري، والضميران، والريحان، والنعام، والبهار، والمنثور، والبنفسج، كل في موسمه<sup>(١٠٥)</sup>.

وعندما يرفع الطعام يأتي فرّاش بيده خلال مطيبة، فيتناول الجماعة منه بلطف، يتبعه بمستحلب مطيب، ثم يلقي على أيديهم بعد فركها بالمستحلب أشناناً أبيض فيه أرز مطحون، وقليل من الكندر، والسعد، والصندل، وذيرة المسك، والكافور، وجنبذ الورد، فيرغى كما يرغى الصابون. وبعد أن يغسل القوم أيديهم تناولهم منديلاً ديبقياً مخملاً عمل مصر، أين من القز، وأنعم من الخز.

ثم يصف الأزدي مائدة الفقراء وما يوضع عليها من الأطعمة والفاكهة، وهي مائدة سواد الناس، فهي بلا خل ولا بقل، على سفرة عادية بساط الأرض أنظف منها، عليها قليل من البصل والثوم والباذنجان والسلجم والخيار والزعرور. والطبيخ هو البطون التي تطعم عادة للسنابر والكلاب، أو من لحم البقر الغليظ الذي لا ينسخ باليد، فإذا أخذ أحد الجالسين قطعة منه ونشها بأسنانه انتثر مرقها على وجهه ولحيته وثيابه. أما المرق فتغوص فيه يد الإنسان إلى مرقفه لكي يعثر على قطعة من اللحم. وتفوح من صحن الماش والعدس واللوبياء والكرب والسلجم روائح كريهة. ويختم الطعام بالعنب الأسود، وحلاوة مدلوكة باليد. ثم يأتي بعد ذلك سوداي كهل بلحية شمطاء وحالة رثة زرية، بيده قطع من الحطب تناولهم للتخلل، ثم يسوقهم إلى صحن الدار لغسل الأيدي على بالوعة تزكم الأنوف من روائح القاذورات المجموعة فيها. أما الأقداح فإثنا كمساعط الحجامين في شكلها المستدير، والأواني تصلح للصفع. وسراجهم مظلم يوقد بالسمن المتين الذي يصعد دخانه إلى الدماغ فيرهجه رهجاً<sup>(١٠٦)</sup>.

ومدح الأزدي طباًحاً حبشياً معيّداً الصفات المطلوبة آنذاك في الطبّاخ الجيد، فيقول «كان أحلق من رُئي من أهل صناعته، أظهر من الماء في نظافته، أرغفهم سيكناً، وأعدهم تقطيعاً، وأذاكاهم ناراً، وأطيبهم أبزارة، كان الموائد التي يعيها والرائد التي يدنها ويتنوق فيها، رياض مزخرقة وبرود مفزقة. كان لا يجمع بين لوتين، ولا يوالي بين طعمين، يخالف بين طعام الغذاء والعشاء، ويباعد بين اللون الصيف والشتاء. يكنفي بالحلطة ويفهم بالإشارة، ويسبق إلى الإزارة، كأنه مطلع على الضمير من الزائر والمزور. كان والله يطبخ ما يفق شهوة النعسان والكلان والمخمور والمغموم»<sup>(١٠٧)</sup>.

(١٠٤) أبو المظهر الأزدي، حكاية أبي القاسم البغدادي، ص ٤٣ - ٤٤.

(١٠٥) المصدر نفسه، ص ٤٤ - ٤٥.

(١٠٦) المصدر نفسه، ص ٤٦.

(١٠٧) المصدر نفسه، ص ١٠١ - ١٠٢.

ويصف الهلال الصابي مائدة الوزير أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات (٢٤١) - (٣١٢) وهو من عاش معظم حياته في خلال القرن الثالث، نرى من المناسب أن نذكرها توضيحاً لما يتعلق بالطعام والشراب والمآدب. قال: «ويقعدون من جانبيه وبين يديه - أي أنه يتصدر المائدة - ويُقدّم إلى كل واحد منهم طبق فيه أصناف الفاكهة المرحجة في الوقت من خير شيء، ثم يجعل في الوسط طبق كبير يشتمل على جميع الأصناف، وكل طبق فيه سكين يقطع بها صاحبها ما يحتاج إلى قطعه من سفرجل وخوخ وكُمثرى، ومعه طست زجاج يرمى فيه الثفل. فإذا بلغوا من ذلك حاجتهم، واستوفوا كفايتهم، شيلت الأطباق وقدمت الطسوت والأباريق ففسلوا أيديهم. واحضرت المائدة مفشاة بدنيقي فوق مكبة خيازر ومن تحتها سفرة آدم فاضلة عليها، وحواليها مناديل الغمر من الثياب المعصورة. فإذا رفعت المكبة والأغشية وأخذ القوم في الأكل، وأبو الحسن بن الفرات يحادثهم ويأسطهم ويؤنسهم. فلا يزال على ذلك، واللوان الحلى توضع وترفع أكثر من ساعتين. ثم ينهضون إلى مجلس في جانب المجلس الذي كانوا فيه، وفسلون أيديهم والفراشون قيام يصبون الماء عليهم، والخدم وقوف على أيديهم المناديل الدنيقية، ووطليات ماء الورد، لمسح أيديهم وصبة على وجوههم»<sup>(١٥٨)</sup>.

ويلاحظ أن العادة كانت آنذاك أن تقدم الفاكهة في بداية الطعام، في مآدب المترفين. ويصف أبو الفرج مائدة لأحد الشعراء، يمكن اعتبارها تمثل موائد أوساط الحال في المجتمع آنذاك. فقد قال غمارق المغني: «جاني رسول أبي العتاهية يدعوني فجئت فادخلني بيتاً نظيفاً فيه فرش نظيف، ثم دعا بمائدة عليها خبز سميد ونخل وبقل وملح وجدي مشوي، فأكلنا منه، ثم دعا بسمك مشوي فأصبنا منه حتى اكتفينا، ثم دعا بخلواء فأصبنا منها وغسلنا أيدينا. وجاءونا بفاكهة وريحان واللوان من الأنبله، فقال: اختر ما يصلح لك منها، فاخترت وشربت، وصب قدحاً ثم قال: غنّ...»<sup>(١٥٩)</sup>. هذا مع العلم أن أبا العتاهية كان يحسب في البخلاء<sup>(١٦٠)</sup>.

ويصف القاضي التنوخي مجلس شراب لأحد العمال، يقول «واحضرت مائدة فضة بزرافين - بحلقين - تسع عشرين نفساً، فجلسنا عليها، ونقل علينا من الطعام، ما لم أر مثله حسناً، في أوّل كلها صيني. قال: وتاملت، فإذا خلف كل واحد منا غلام صغير مليح قائم بشرأي ذهب وكوز بلور فيه ماء، فأكلنا، فلما تمّ أكلنا... جاءنا فراشون بعددنا بطساس وأباريق فضة، وجامع فضة، فغسلنا أيدينا دفعة واحدة. ومضى أولئك الغلمان وجاء غيرهم بعددنا ومعهم المرايا المحلاة الثقيلة، والمضارب البلور، والمداخن المحلاة الحسنة، فتبخرنا دفعة واحدة. ثم استدعينا، فأدخلنا إلى فناء الطّف من تلك، ديباج، وفيها سدة صندل محلاة بفضة فيها دسمت ديباج وحصر طبرية، ونحو ثلاثين مطاولة - صحن مستطيل - مسبكة ذهب كلها، عليها تماثيل العنبر على هيئة الأترج والبطيخ والدستنبو - نوع من الأترج - وغير ذلك. قال: فدهشنا ونحمرنا، وإذا في أربع جوانب تلك المطاولات أربع أجاجين بيض كبير عظام، كل واحدة كالقُدس الكبير<sup>(١٦١)</sup>، والجميع مملوء ماء ورد، وفيه أمر عظيم من تماثيل الكالور، وغلجان قيام بعددنا يروّحون، وغلجان آخر بعددنا بأيديهم مناديل الشراب، وبين يدي كل واحد صينية ذهب، ومغسل، ومركن ذهب، وقندل بلور، وكوز بلور، والجميع فارغ... فأخرجت عدة أنبله من العنبر مما يُعمل في جبل عمان، واختار ابن مكرم نبيلاً منها،

(١٥٨) الصاب، الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص ٢٦١ - ٢٦٢.

(١٥٩) الأصبهاني، الأغاني، ج ٤، ص ١٠٧ - ١٠٨.

(١٦٠) المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٦ - ١٧.

(١٦١) القُدس هو السطل.

فعلت الظروف منه . وقام على رأس كل واحد منا غلام يسقيه ويتفقد نُقله، وينفرد بخدمته إلى أن شربنا اقتداً... (١١٦).

## ب - آداب الطعام

كان من آداب الطعام عندهم غسل اليدين قبل الطعام وبعده، والتسمية عند تناوله، والأكل باليد اليمنى، وأن يتناول الأكل ما بين يديه من الطعام، وأن لا يسرع باللقم ولا يعظمها، وعدم الشيع والإكثار من الأكل. فقد روى عن الرسول ﷺ أنه نهى عن الإكثار من الطعام بقوله: «لا تمتدوا القلب بكثرة الطعام فإن القلب كالزروع إذا كثرت عليه الماء مات» (١١٧). وقوله: «ياكم والبطنة فإنها مفسدة للبطن، موزنة للسقم، مكسلة عن العبادة» (١١٨). وقال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه «البطنة تُلعب البطنة» (١١٩).

ومن آداب الضيافة أن على المضيف أن يخدم ضيوفه ويُظهر لهم الغنى، وبسطة الوجه، فقد قيل: البشاشة في الوجه خير من القري. وقالوا: تمام الضيافة الطلاقة، وعليه أن لا يغضب على أحد بحضور ضيوفه، ولا ينقص عيشهم بما يكرهونه، ولا يعيب وجهه، ولا يظهر نكداً، ولا ينهى أحداً، بل يدخل السرور على قلوبهم ما أمكنه (١٢٠).

كما كان من عاداتهم أن يقدموا جملة الألوان من الطعام دفعة واحدة، ليأكل كل شخص مما يشتهي (١٢١). إلا أننا لاحظنا أيضاً أن موائد المترفين يقدم عليها الطعام متتالياً.

ولعل من المناسب أن نختم هذا الفصل بذكر جانب من سلوك الظرفاء من المترفين، في الطعام والشراب. فقد كان الظرفاء يتجافون عن الشرّ والنهم، وإذا أكلوا صغروا للقم، وامتنعوا عن أكل العصية والعضلة والكلوة والكرش والرثة والطحال، والثريد والقديد من الطعام. وكانوا لا يتحسسون المرق ولا يتبعجون مواضع الدسم، ولا يملأون أيديهم بالزُهم، ولا يكثر من الملع والخل، ولا يمعنون في أكل البقل، ولا يمششون العظام الغلاظ وإنما مشابهم ما لان وصغر منها، ولا يزهمون ما بين أيديهم من الرغفان، ولا يبلطخون أصابعهم، ولا يملأون باللقم أفواههم، ولا يدسّمون شفاههم، ولا يعجلون في مضغهم، ولا يأكلون بجانب الشدقين. وكانوا يلتزمون الوقار فلا يكثر من الكلام والضحك عند حضور الطعام، ولا يتخللون على المائدة قبل أن تفرغ، ولا يتحفزون لمجيئها قبل أن توضع. وإذا غسلوا أيديهم لا يقتصدون في إزالة الغمر. كما كانوا يتجنبون أكل البصل لرائحته،

(١٢٢) التنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة أو جامع التواريخ، ج ٨، ص ٢٥٢ - ٢٥٤.

(١٢٣) السيوطي، المستطرف من أخبار الجوّاري، ج ١، ص ١٧٩.

(١٢٤) أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء،

ج ٢ (القاهرة: المطبعة الشريفة، ١٩٠٨)، ج ١، ص ٣٠١.

(١٢٥) السيوطي، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٧٩.

(١٢٦) المحافظ، البيان والتبيين، ج ١، ص ١٠.

(١٢٧) السيوطي، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٨٤.

والطرخون لشناعة لفظه، والخيار لعلّة برده. ويتجللون عن مس الجزر والقثاء والهلبيون، وتجنّبون الزيتون لوجود النوى فيه، ويرغبون عن كل ما خالطه النوى من فاكهة الصيف والشتاء كالتمر والخوخ والإجاص، لأن ذلك عندهم من أكل العوام. ولا يأكلون سوى التين والرمّان والبطيخ واللوز والجوز. ولم يكونوا يتناولون من الشراب إلا أجوده مثل المشمشي والزبيبي، والمسلّ والمطبوخ والطلاء والمعدّل. ولا يقربون ما لاءمه الحنّث، ولا ما خالطه الكدر، ولا يشربون الدوشاب لأنه من شرب العامة والرعاع والسوقة. ولا يتنقلون على شراهم بالبقلاء والبلوط والبسر والخرنوب الشامي وما أشبه ذلك من نقول العامة. وأكثر ما يتنقلون به مملوح البندق، ومقشر اللوز، والسفرجل والتفاح<sup>(١٦٨)</sup>.

ومما له علاقة بالطعام كذلك استخدام السواك لتنظيف الأسنان. فقد استعملوا السواك الأراك، والسكر، وأصول السوس، وعود المحلب، وعود الأذفر، وكلها تمتاز بطيب النكهة. وكانت أوقات السواك عندهم على الريق وعند النوم وبعد الطعام. ولا يجوز السواك في الخلاء والحمام وقارعة الطريق ومحلّ الناس. ولا يستاك شخص بحيث يراه أحد، ولا يتكلم عندما يستاك، لأن ذلك من فعل العوام. وقد اتخذوا للمسايك طسوتاً لطافاً، وأباريق من الشبه الخفاف، وكراسي الأبتوس المصدّفة، والخيزران المشبكة، والاحتقاق المخروطة. كما استعملوا السنوات المعمولة<sup>(١٦٩)</sup>. ولم يكونوا يستعملون رأس السواك مدة طويلة، وكانوا يتخذون لها لفائف الحنّث والقزّ ليصونوها من الغبار وغيره<sup>(١٧٠)</sup>. وقد عدد الجاحظ من قضبان المسايك أنواعاً، منها: البشام، والضرو، والعتم والإسحل<sup>(١٧١)</sup>.

### ٣ - اللباس

نتج عن تعدّد شعوب الدولة العربية واختلاف تقاليدها في القرن الثالث أن تعددت أزياءهم في اللباس. فاختلّفت باختلاف الأقاليم واختلاف مهنتهم وطبقاتهم الاجتماعية. وقد انتبه الجاحظ إلى اختلاف الأزياء وتباينها في أيامه، فقال «لكل منهم زي، فللقضاة زي، ولأصحاب القضاة زي، وللشرطة زي، وللكتّاب زي، ولكتّاب الجند زي»<sup>(١٧٢)</sup>. وقال «كما كان لحرائر النساء زي، وللمايك والاماء زي»<sup>(١٧٣)</sup>. ويقسم اللغويون الثياب أو الملابس إلى نوعين، هما النوع

(١٦٨) الوشّاء، الموشّى أو الظرف والظرفاء، ص ١٦٨ - ١٦٩.

(١٦٩) السنوات هي المساحيق التي تجلّ بها الأسنان.

(١٧٠) المصدر نفسه، ص ١٨٤ - ١٨٦.

(١٧١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٣، ص ١١٤.

(١٧٢) المصدر نفسه، ج ٣، ص ١١٤.

(١٧٣) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٩٦ - ٩٧.

المقطوع وهو ما يُفصل ويُخاط كالقميص، وغير المقطوع وهو ما لا يخاط وإنما يلتحف به كالرداء والمئزر<sup>(١٧٣)</sup>.

كان الخلفاء يلبسون الدّراعة والقباء من القماش المصمت أو الملحم أو الخبز، بلون أسود، ويضعون على رؤوسهم عمامة رصافية سوداء<sup>(١٧٤)</sup>. وكان ذلك زيهم الرسمي لا يكاد يشاركون فيه أحد إلا ما ندر. فقد أراد اسحاق الموصلي أن يأذن له المأمون في دخول المقصورة يوم الجمعة بدراعة سوداء وطيلسان أسود، فلم يرض الخليفة، واشترى منه هذه المسألة بمئة ألف درهم<sup>(١٧٥)</sup>.

وكان الزي الخاص بالوزراء الدراعة السوداء والقباء والمنطقة والسيوف<sup>(١٧٦)</sup>. ولما تولى محمد بن عبد الملك الزيات الوزارة اشترط ألا يلبس القباء وأن يكتفي بالدراعة ويتقلد عليها سيفاً بحاشيل، فأجيب إلى ذلك<sup>(١٧٧)</sup>. أما زي الكتاب فكان الأقبية السود والسيوف، وكان بعضهم يضيق بحمل السيوف لأنه لا يحتاجه، فقد قال إبراهيم بن العباس الكاتب الشاعر، وقد لبس سواده يوماً، يا غلام هات ذلك السيوف الذي ما ضُرَّ الله به أحداً غيري<sup>(١٧٨)</sup>. وزي الفقهاء والعلماء المبطن والطيلسان وعلى رؤوسهم الطويلة<sup>(١٧٩)</sup>. وكانت الدبّة خاصة بالقضاة منهم حتى قيل: مثل قاض بلا دبّة<sup>(١٨٠)</sup>.

أما الشعراء فكانوا يلبسون الموشى والمقطعات من ثياب الخبز، والأردية السوداء وكل ثوب مُشهر<sup>(١٨١)</sup>. على أن أبناء الطبقات الأخرى في المجتمع كانت أزيائهم في اللباس تختلف باختلاف مناهلهم وأحوالهم المالية. وإن أكثر أنواع اللباس التي يتردد ذكرها في مصادرنا التراثية مما تلبسه الطبقات المذكورة هي الجبّة والقميص والسرائيل والعمامة<sup>(١٨٢)</sup>. فكان البقال من الناس مثلاً يرتدي عمامة وسخة ورداء وجبة قصيرة وقميصاً وفي رجله جرموقان وهو بلا سراويل<sup>(١٨٣)</sup>. وإن الفقراء من الناس كانوا يلبسون البتّ، وهو قميص خشن غليظ يُعمل من غزل البيت، كما كانوا يعملون من هذا الغزل القمصان والعمائم، وأنهم إذا نظروا لبسوا

- 
- (١٧٤) انظر مادة «ردى» في: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ١٥ ج بيروت: دار صادر، ١٩٥٥ - ١٩٥٦، ج ١٠، ص ١٥٥.
- (١٧٥) الصابئة، رسوم دار الخلافة، ص ٨١ و ٩٠.
- (١٧٦) الأصبهاني، الأغاني، ج ٥، ص ٣٩٠.
- (١٧٧) التنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة أو جامع التواريخ، ج ٨، ص ١٣.
- (١٧٨) الأصبهاني، المصدر نفسه، ج ٢٣، ص ٥٢.
- (١٧٩) المصدر نفسه، ج ١٠، ص ٥٤، والصباية، رسوم دار الخلافة، ص ٩١.
- (١٨٠) الصباية، المصدر نفسه، ص ٩١، والتنوخي، الفرج بعد الشدة، ج ٢، ص ١٣٤ - ٢٣٠.
- (١٨١) الشاشتي، الديارات، ص ١٨٨.
- (١٨٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٣، ص ١١٥.
- (١٨٣) التنوخي، الفرج بعد الشدة (طبعة الخاتمي)، ج ٢، ص ٢١٤.
- (١٨٤) المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٦٤.

الكتفي، وليس فتانهم الأبراد والعائم القطنية الكحلية اللون التي تعلق في أهدابها خيوط خضر وحمراء<sup>(١٨٥)</sup>. وليس المعدون والمكاري عمامة حمراء<sup>(١٨٦)</sup>.

وقد اعتنى المترفون من الناس كالوزراء والأمراء وكبار رجال الدولة والأغنياء بملابسهم، فيلبسون لكل مناسبة زياً. فكان لهم في مجالس المائدة والشراب زي خاص، من الأنواب المصبغة، والغلائل الرقيقة والموشى<sup>(١٨٧)</sup>. فلبس بعضهم قميصاً من الحرير ويتطيّبون بالخلوق، وإذا زارهم ضيف وهم في مجلس الشراب ألبسوه قميص حرير وقدموا له الخلق<sup>(١٨٨)</sup>. وكان بعضهم إذا خلا مع الجوّاري والقيان للهو والشراب لبس من ثياب الجوّاري المصبغة<sup>(١٨٩)</sup>. وذلك إمعاناً في اللهو والعبث.

وهناك ثمة ظاهرة تلفت النظر، هي الإكثار من اقتناء الملابس. فقد كان الخلفاء وكبار رجال الدولة والأغنياء يكترون من حيازة الملابس والعائم<sup>(١٩٠)</sup>. وقد يلبس الواحد منهم عدة أقمية كل قباء منها بلون<sup>(١٩١)</sup>. ويظهر أن ذلك كان للبذخ والمفاخرة. وكان ما يقتنون من مختلف صنوف الملابس يزيد كثيراً على أضعاف حاجتهم منها، فيجتمع عند أحدهم عشرات ومئات أو ألوف من القطعة الواحدة. فقد لبس الموفق أخو الخليفة المعتمد على الله ثوباً فأعجب، فسأل كاتبه الحسن بن خلد، كم يوجد منه في الخزان، فوجد من جنس ذلك الثوب ستة آلاف، فقال الموفق: «يا حسن نحن عراة، اكتب إلى البلاد في استعجال ثلاثين ألف ثوب من جنسه واحملها في أسرع مدة»<sup>(١٩٢)</sup>. ومع ما في هذا الخبر من المبالغة فهو ينبيء عن نزعة الإكثار من اقتناء الثياب. ولما صادر المتوكل على الله طيبه بختيشوع بن جبرائيل أخذ منه مالاً كثيراً، ووجد له في كسوته أربعة آلاف سروال ديبقي في جميعها تكك إبريسم أرمنية<sup>(١٩٣)</sup>. وعندما صودر أبو الحسن محمد بن الفرات، بعد صرفه من الوزارة في سنة ٢٩٩ وجد له ألف ومئة طيلسان، وألف كساء، وألف ومئتا عمامة، وألف سروال، وألف منديل، وكانت ثيابه ديبقية كالمهوء رقة، كل ثوب بسبعين ديناراً، وكل سروال بثلاثين ديناراً<sup>(١٩٤)</sup>. وعندما توفي المكتفي

---

(١٨٥) أبو المظهر الأزدي، حكاية أبي القاسم البغدادي، ص ٣٧ - ٣٨.

(١٨٦) الشاشي، الديارات، ص ١٩٩.

(١٨٧) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج ٣، ص ٢٤٨ - ٢٤٩.

(١٨٨) أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري، الوزراء والكتّاب، حققه مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلي (القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده)، ص ٢١٣، والأصهباني، الأغاني، ص ٤٠٧ - ٤٠٨.

(١٨٩) التنوخي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٨٥.

(١٩٠) ابن الزبير، الذخائر والتحف، ص ١٨٧ و٢٢٩، والتنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة أو جامع التواريخ، ج ٢، ص ١٦٧.

(١٩١) الأصهباني، الأغاني، ج ٥، ص ٣٣٠، والموشى أو الظرف والظرفاء، ص ١٢٣.

(١٩٢) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص ٢٢٨.

(١٩٣) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٠٦.

(١٩٤) ابن الزبير، الذخائر والتحف، ص ٢٢٩.

بالله في سنة ٢٩٥ وجد في خزانته من الكسوة والفرش ما قيمته عشرون ألف دينار<sup>(١١٤)</sup>. وكان المعتمد بالله، والوائق بالله لا يلبسان القميص إلا لبسة واحدة ما لم يكن معجباً نادراً<sup>(١١٥)</sup>.

وبلغت نفقات الكسوة للمتوكل على الله ثلاثمئة ألف دينار سنوياً<sup>(١١٦)</sup>. وفي عهد المعتضد بالله بلغت أرزاق الحشم من المستخدمين في شراب العامة، وخزائن الكسوة والصنّاع من الصاغة والحياطين والقصارين والأساقفة والرفائين والفرائين والمطرزين والنجادين... وغيرهم، ثلاثة آلاف دينار في الشهر<sup>(١١٧)</sup>.

ويروي القاضي التنوخي عن أحد الأغنياء أنه لما توفي خلف ثياباً كثيرة من الدرايع الدبيقية والديباج، والقمص والجلباب والطيلس والعائم والسراويلات، فأخفت زوجته تلك الملابس سوى السراويلات، فقد غفلت عن إخفائها، فاشتكى ورثته مدعين بكثرة ما خلفه من الملابس وأن زوجته استولت عليها، واستدلوا على ذلك بالعدد الكبير من السراويلات، فاحتجت الزوجة بأن زوجها كانت له هوية يجمع السراويلات ولهذا كثر عددها عنده، أما بقية الملابس فلا أرب له فيها، ولهذا لم يترك منها ما يدعيه ورثته<sup>(١١٨)</sup>.

وكانت للملابس قيمة اجتماعية إضافة إلى قيمتها المادية، واعتبرت مما يستحسن الهداؤه، وتسمى الهدية من الملابس خلعة. وقد درج الخلفاء على اهداء الملابس إلى ندمائهم وحواشيهم والشعراء والمغنين. واعتبرت الدُّرعة من أنفس الهدايا، وكانوا يهدون الديبقي منها<sup>(١١٩)</sup>. وقد أهلت قبيحة إلى زوجها المتوكل على الله دُرعة حمراء ومطرف خز أحمر كأنه ديبقي من رفته<sup>(١٢٠)</sup>. وكانت الدُّرعة تهدى مع ملابس أخرى. فقد كانت خلعة الخلفاء على ندمائهم تتألف من عمامة وشي مذهبة، وغلالة، ومبطنة، إضافة إلى دُرعة ديبقية<sup>(١٢١)</sup>. وتتكون خلعتهم على الآخرين من غلالة قصب وجبة مع دُرعة. فلما أعذر المكتفي بالله ابنه أبا أحمد أرسلت الخلع إلى الناس من قصر الثريا، وهو دار الخلافة ببغداد، لواحد واحد من الحاضرين برقاع في جيوبها؛ لكل منهم غلالة قصب وجبة فوقها ودُرعة فوق ذلك، على أقدارهم، منها المنسوج بالذهب بالوشي والديباج، إلى غير ذلك<sup>(١٢٢)</sup>.

- 
- (١٩٥) أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، لطائف المعارف، تحقيق إبراهيم الأبياري وحسن كامل الصبري (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، [د.ت.]), ص ١١٨.
- (١٩٦) الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، ص ١٥٤.
- (١٩٧) ابن الزبير، اللخائر والتحف، ص ٢١٩.
- (١٩٨) الصبان، الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص ٢٢.
- (١٩٩) التنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة أو جامع التواريخ، ج ٢، ص ١٦٧.
- (٢٠٠) الصبان، رسوم دار الخلافة، ص ٩٦-٩٧.
- (٢٠١) السعدي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٤، ص ١٢٠، والطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ٢٢٤، وفيه أن الطرف من خز أخضر.
- (٢٠٢) الصبان، المصدر نفسه، ص ١١٢.
- (٢٠٣) ابن الزبير، اللخائر والتحف، ص ١٢٣.



كما كانت الثياب من نفائس ما يهدى أيضاً، فعندما رجع المتوكل على الله من دمشق إلى سامراء سنة ٢٤٤ بعثت إليه زوجته قبيصة بهدايا، كان من جملتها تحت ثياب فيه ألف ثوب من أصناف الثياب، من كل صنف مئة ثوب<sup>(٣١)</sup>. وكانت هدايا عمرو بن الليث والي سجستان إلى الخليفة المعتضد بالله لا تخلو من الثياب، فقد بعث إليه في سنة ٢٨٢ من ثياب الديباج الرومي ألف ثوب<sup>(٣٢)</sup>. وعندما قدّم المعتضد على الله المعتضد وجعل له ولاية العهد قبل ابنه المفوض، قدّم إليه المعتضد ثياباً بمئتي ألف درهم، وحمل إلى المفوض ابن عمه ثياباً بمئة ألف درهم، فطابت نفساهما<sup>(٣٣)</sup>.

وكانت أصناف أخرى من الملابس تُهدى كذلك، فعندما اعتلّ المعتز في أيام أبيه أهداه طبيب البلاط بختيشوع بن جبرائيل جبة ثمنها ألف دينار وثوباً ثميناً ليشجعه على تناول الطعام<sup>(٣٤)</sup>.

ومن مظاهر الزيادة في الإكرام أن تكون الملابس المهداة من ثياب الخليفة أو الشخص المهدى. فقد خلع المأمون على المغني اسحاق الموصلي خلعة من ثيابه الخاصة<sup>(٣٥)</sup>. ولما مدح الشاعر أبو السمط مروان الأصغر المتوكل على الله وأبناءه ولاية العهد الثلاثة أمر له الخليفة بمئة ألف درهم وخمسين ثوباً من خاص ثيابه<sup>(٣٦)</sup>. وعندما عفا القاضي أحمد بن أبي دؤاد عن الجاحظ خلع عليه خلعة من ثيابه وطويلة من قلائسه<sup>(٣٧)</sup>.

ولم يقتصر اهداء الثياب على الرجال حسب، بل كان للنساء نصيب من ذلك. فقد خلّع في الاحتفال بزواج هارون الرشيد على كل واحدة من نساء بني هاشم ممن حضرن الاحتفال خلعة وشي مثقل<sup>(٣٨)</sup>.

وفي ما يلي وصف موجز لأنواع الملابس التي كانت شائعة سواء للرأس أو لتغطية الجسم بين مختلف الطبقات:

### أ - لباس الرأس

لقد تعدد لباس الرأس باختلاف الطبقات، إلا أن الشائع منه كان:

- العمامة: وهي زي للرأس قديم عند العرب، وقد وصفها أبو الأسود الدؤلي فقال

(٢٠٤) المصدر نفسه، ص ٣١.

(٢٠٥) المصدر نفسه، ص ٤٣.

(٢٠٦) جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تفرج بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، [د.ت.])، ج ٣، ص ٧٦.

(٢٠٧) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٠٦.

(٢٠٨) الأصبهاني، الأغاني، ج ٥، ص ٣٤٨.

(٢٠٩) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٠٨.

(٢١٠) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ٣٦١.

(٢١١) الشافعي، الديارات، ص ١٥٧.

«جُنة في الحرب ومُكنة من الحر... وهي بعد عادة من عادات العرب»<sup>(٢١١)</sup>. وتكاد العمامة تكون لباس الرأس الشائع في القرن الثالث، فقد لبسها الناس من مختلف الطبقات والأصناف، واختلفت أنواعها باختلاف لابسائها. فكان لكل طائفة عمامة «فللخلفاء عمة، وللفقهاء عمة، وللأعراب عمة، وللروم والنصارى عمة»<sup>(٢١٢)</sup>.

وكانت العمامة في العادة بيضاء اللون معمولة من الشاش الموصل، إلا أنها قد تعمل من أقمشة أخرى من ألوان مختلفة. وعمامة القضاة أضخم كثيراً من عبائم الآخرين. وقد اختص الشرفاء العلويون بالعمامة الخضراء. كما اختص الخلفاء بالرصافية، وهي عمامة سوداء يلبسونها عند توليهم الخلافة<sup>(٢١٣)</sup>. ويمكن اعتبار لباسها من مراسم البيعة، وتكاد تكون خاصة بهم. فقد دخل إبراهيم بن المهدي على قاضي القضاة ابن أبي دؤاد، وعليه مبطنة ملونة، وقد اعتم رصافية خز سوداء لها طرفان خلفها وأمامها، فقال له القاضي: لقد جئتني في لبسة وهينة لا تصلح إلا لواحد من الخلق<sup>(٢١٤)</sup> - يعني الخليفة -.. وتأفف المأمون وتشكى لأن أخاه القاسم كان يشبه به فيلبس الرصافية<sup>(٢١٥)</sup>. ومع هذا كان كبار بني العباس يلبسونها<sup>(٢١٦)</sup>. وتتخذ الرصافية من نسيج رقيق كالحرير والحز والقصب والوشى، وقد يجمّلها بعضهم بخيوط الذهب أو يوهّون زخارفها بماء الذهب<sup>(٢١٧)</sup>.

- القلنسوة: أو القلنسية<sup>(٢١٨)</sup>، وهي الطاقية التي تكون تحت العمامة<sup>(٢١٩)</sup>، وقد تلبس وحدها غطاء للرأس. وكان الخلفاء يتخذون العائم عليها، فإن كانت قصيرة زادوا في طولها وحسّنة رأسها حتى تكون فوق قلانس جميع الأمة، كما كان القضاة يتخذون القلانس العظام<sup>(٢٢٠)</sup>. وقد يلبسها الخلفاء والأمراء وحدها مجردة في مجالسهم الخاصة<sup>(٢٢١)</sup>. ولبسها الناس عامة في الصيف وفي الشتاء<sup>(٢٢٢)</sup>.

(٢١٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٣، ص ١٠٠.

(٢١٣) المصدر نفسه، ج ٣، ص ١١٤.

(٢١٤) الصابي، رسوم دار الخلافة، ص ٨١ و ٩٠.

(٢١٥) الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، ص ٤٨.

(٢١٦) المصدر نفسه، ص ٤٩.

(٢١٧) الجهنياري، الوزراء والكتّاب، ص ٢١٣.

(٢١٨) صلاح حسين العبيدي، الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي (بغداد: دار الرشيد،

١٩٨٠)، ص ١١٨ - ١١٩.

(٢١٩) الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، ٤ ج

(القاهرة: مطبعة الاستقامة، ١٩٥٩)، ج ٣، ص ٥٩٩.

(٢٢٠) وينهارت بيتر آن دوزي، معجم مفصل في أسماء الألبسة عند العرب: عربي - فرنسي، ترجمة

أكرم فاضل (بغداد: دار الحرية، ١٩٧١)، ص ٢٩٦.

(٢٢١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٣، ص ١١٧.

(٢٢٢) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج ٣، ص ٣٤٨، والشابشي، الديارات، ص ٣٨.

(٢٢٣) الجاحظ، المصدر نفسه، ج ٣، ص ١١٤.

وتعددت القلائس في أنواعها وألوانها والمواد المصنوعة منها باختلاف لابسها، ومناسبة لبسها، كما اختلفت في طولها. فكانت تتخذ من الفراء أو من اللباد، أو من القماش السميك كالصوف والكتان<sup>(٢٢٤)</sup>. وكانت قلائس الخلفاء سوداء اللون<sup>(٢٢٥)</sup>. أما بقية الناس فقد اتخذوها بالوان شتى. فقد أمر المتوكل على الله يوماً الخدم والحاشية أن يلبس كل منهم قباء جديداً وقلنسوة، على لون قباء الآخر وقلنسوته، ففعلوا<sup>(٢٢٦)</sup>. وكانت قلائس أهل المغرب مصبغة<sup>(٢٢٧)</sup>. وصغر المستعين بالله القلائس وقصرها وكانت طوالاً كأقباع القضاة<sup>(٢٢٨)</sup>.

وشاركت النساء الرجال في لبس القلائس، وكنّ في أغلب الأحيان يطوِّفنها بعصابة تحقد من الخلف<sup>(٢٢٩)</sup>. وكن يتخذنها من الديباج ويزينها بالذهب، كما كن يكتبن على بعضها أبياتاً من الشعر<sup>(٢٣٠)</sup>، زيادة في تزيينها ومجملها.

ومن أنواع القلائس: الشاشية والطويلة والدنية. أما الشاشية فهي نوع من القلائس منسوبة إلى بلد الشاش في ما وراء النهر، وهي شبيهة بالطرشوش إلى حدٍّ ما<sup>(٢٣١)</sup>. وقد اتخذ العرب هذا اللباس في عهد المعتصم بالله الذي كان أول من لبس شاشية مربعة، فلبسها الناس تشبهاً به، ونسبت إليه فقيل: «الشاشية المعتصمية»<sup>(٢٣٢)</sup>. وقد لبس الشاشية أبناء مختلف الطبقات، إلا أن الأمراء وكبار القوم ليسوا خالية من الأشرطة الملتفة حولها، أما النوع الآخر المحاط بالأشرطة فكان لباس الخدم والأتباع، وهي تتخذ من قماش سميك كالكتان<sup>(٢٣٣)</sup>. وكان بعض الناس يلف حولها قطعة قماش لتكون عمامة<sup>(٢٣٤)</sup>. وقد لبست المرأة الشاشية، إلا أن شاشية النساء كانت تُعمل من الأقمشة الوريية كالخمل<sup>(٢٣٥)</sup>.

أما الطويلة فهي نوع طويل من القلائس، وقد لبسها الخلفاء والأمراء والقضاة<sup>(٢٣٦)</sup>. كما لبسها غيرهم من الوجهاء وأهل الأدب. ولما جلس المتوكل على الله للمبايعة ألبسه قاضي

(٢٢٤) العبيدي، الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي، ص ١٤١ و ١٤٨.

(٢٢٥) المصدر نفسه، ص ١٣٨.

(٢٢٦) الشاشي، الديارات، ص ١٦٠، وابن الزبير، الذخائر والتحف، ص ١٢١.

(٢٢٧) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٢٣٩.

(٢٢٨) أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، مشكلة الناس لزمانهم، تحقيق وليم ملورد (بيروت: دار الكتاب

الجديد، ١٩٦٢)، ص ٢٣، والسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٤، ص ١٨٠.

(٢٢٩) العبيدي، الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي، ص ١٧٣ - ١٧٤.

(٢٣٠) الرشاء، الموشى أو الظرف والظرفاء، ص ٢٢٢ - ٢٢٦.

(٢٣١) العبيدي، المصدر نفسه، ص ١٠٠ - ١٠٢.

(٢٣٢) اليعقوبي، مشكلة الناس لزمانهم، ص ٤٢، والسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر،

ج ٤، ص ٣١٩.

(٢٣٣) العبيدي، المصدر نفسه، ص ١٠٢ و ١٠٤.

(٢٣٤) دروي، معجم مفصل في أسماء الألبسة عند العرب: عربي - فرنسي، ص ٢٠٠ - ٢٠١.

(٢٣٥) العبيدي، المصدر نفسه، ص ١٦٦.

(٢٣٦) الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، ص ٤٨.

القضبة الطويلة وعممه<sup>(٢٣٧)</sup>. وكان الجاحظ يتخذ الطويلة لباساً لرأسه<sup>(٢٣٨)</sup>. وتصنع الطويلة من اللباد<sup>(٢٣٩)</sup>.

وكانت الذئبة قلنسوة القاضي، وهي بشكل الدن، وتكون طويلة عادة ولها عذبات تتدلى على الصدر<sup>(٢٤٠)</sup>. وقد شاع استعمالها في القرن الثالث واعتبرت من لباس القضاة المميز لهم، إلا أنها استبدلت بعد ذلك بالعمائم السود المصقولة<sup>(٢٤١)</sup>. ويرجح أن الذئبة كانت مثل القلائس تعمل من اللباد<sup>(٢٤٢)</sup>.

- التاج: عرف العرب التاج إلا أنه لم يلبسه أحد من الخلفاء أو يتخذه زياً رسمياً. ولكنهم ألبسوه بعض الوزراء والقواد تكريماً لهم، أو حلوله مع الهدايا. فقد توج المعتصم بالله كبير قواده الأفشين وألبسه وشاحين بالجواهر<sup>(٢٤٣)</sup>. وتوج الواثق بالله القائد أشناس وألبسه وشاحين بالجواهر<sup>(٢٤٤)</sup>. ولما استوزر المعتز بالله أحمد بن إسرائيل خلع عليه ووضع تاجاً على رأسه<sup>(٢٤٥)</sup>. وخلع الخليفة المذكور على بغا الشراي فألبسه التاج والشواحين<sup>(٢٤٦)</sup>. وبعث المعتضد بالله بخلع وببندنة وتاج وسيف إلى إسماعيل بن أحمد بن سامان<sup>(٢٤٧)</sup>. كما أهدى إلى الأمير الطولوني أبي الجيش خمارويه هدية فيها أنواع من الجواهر، وشاح وتاج<sup>(٢٤٨)</sup>.

والتاج طاقية عالية لها هيئة خاصة، وهو منسوج من الصوف المكث بالذهب، وتحف به صفوف من الأحجار الكريمة<sup>(٢٤٩)</sup>. وقد استعملت المرأة التاج زينة لرأسها إلا أنه كان من النوع الصغير المسمى «الأخروق» وهو يصنع من الذهب ويرصع بالأحجار الكريمة، ويصاغ بأشكال متعددة منها التاج المجنح، والتاج ذو الحنايا<sup>(٢٥٠)</sup>.

- الطيلسان والطرحة والقشاع: ومن متمات لباس الرأس مما كان يتخذه الرجال والنساء: الطيلسان، والطرحة، والقشاع. والطيلسان نوع بسيط من الخمار يطرح على الرأس فوق العمامة، أو يلقى فوق الملابس على الكتفين فقط. وكان يلبسه رجال الفقه والقضاء، كما

---

(٢٣٧) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ١٥٤.

(٢٣٨) التتوني، الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ٣٦١.

(٢٣٩) العبيدي، الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي، ص ١١٢ - ١١٣.

(٢٤٠) دوزي، معجم مفصل في أسماء الألبسة عند العرب: عربي - فرنسي، ص ١٥٢.

(٢٤١) الصالبي، رسوم دار الخلافة، ص ٩١.

(٢٤٢) العبيدي، الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي، ص ٩٦.

(٢٤٣) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ٥٥.

(٢٤٤) المصدر نفسه، ج ٩.

(٢٤٥) المصدر نفسه، ج ٩، ص ٣٤٩.

(٢٤٦) المصدر نفسه، ج ٩، ص ٣٧٣.

(٢٤٧) المصدر نفسه، ج ١٠، ص ٨٤.

(٢٤٨) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٤، ص ٢٣٤.

(٢٤٩) دوزي، معجم مفصل في أسماء الألبسة عند العرب: عربي - فرنسي، ص ٨٦.

(٢٥٠) العبيدي، الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي، ص ١٦١ - ١٦٢.

لبسه الفقراء من الناس<sup>(٢٥١)</sup>. وهو يتخذ من الخز ونحوه، أو من نسيج الصوف الغليظ، أو من أديم النعجة أو الكيش ويسمى البت وتلبسه الطبقة الفقيرة<sup>(٢٥٢)</sup>.

وقد اعتبر الطيلسان من الزي الرسمي للقضاة<sup>(٢٥٣)</sup>، بحيث سمي القضاة والفقهاء أصحاب الطيلاس لاختصاصهم به، وكان يلبسه من أراد التشبه بهم<sup>(٢٥٤)</sup>. كما لبسه الأشراف والأدباء والكتاب والولاة وطلبة العلم<sup>(٢٥٥)</sup>. وكان أهل الذمة يلبسونه كذلك، وكان المتوكل على الله قد ألزمهم لبس الطيلاس العسلي<sup>(٢٥٦)</sup>. ويقول المقدسي عن أهل العراق وكان من رسومهم التجميل والتطيلس<sup>(٢٥٧)</sup>. وكان أهل مرو إذا أرادوا أن يرفعوا فقيهاً أمره بالتطيلس<sup>(٢٥٨)</sup>.

وكان الطيلسان يصنع بألوان مختلفة، وقد برع العراقيون بصنع الطيلاس السود<sup>(٢٥٩)</sup>. وفي أيام المعتضد بالله قدم عليه وفد من البصرة، فدخلوا عليه وعليهم الطيلاس الزرق<sup>(٢٦٠)</sup>.

والطرحه من أغطية الرأس، وتصنع من الشاش الموصل، وهي ثلاث على العمامة أو تطرح على الكتفين فقط فتدل على الظهر، وهي بهذا شبيهة بالطيلسان، وكانت خاصة بالقضاة، بل هي شعار قاضي القضاة<sup>(٢٦١)</sup>. وقد لبسها الخلفاء أيضاً واتخذوها من اللون الأسود<sup>(٢٦٢)</sup>. ويرجع أن اللون الكحلي كان الغالب على طرحه القضاة<sup>(٢٦٣)</sup>.

أما القنّاع أو المُنّعة، فهو نوع من القماش الخفيف يضعه الجنسان على الرأس. كما تستخدمه النساء خماراً للوجه عند الخروج من المنزل<sup>(٢٦٤)</sup>. أو تستخدمه المرأة غطاء تضعه على رأسها وتحيط به رقبتهما<sup>(٢٦٥)</sup>. أما الرجال فكانوا يتخذونه للتنكر، وكان ذلك شائعاً في الأسلاف، فكان من عادة فرسان العرب في المواسم والجموع التنقع، إذ كانوا يكرهون أن

---

(٢٥١) دوزي، المصدر نفسه، ص ٢٢٩.

(٢٥٢) المصدر نفسه، ص ٥٢، وأبو المظهر الأزدي، حكاية أبي القاسم البغدادي، ص ٣٧.

(٢٥٣) الصابي، رسوم دار الخلافة، ص ٩١.

(٢٥٤) الشاشيني، الديارات، ص ٢٩٧.

(٢٥٥) العبيدي، الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي، ص ٢٧٠.

(٢٥٦) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ١٧١.

(٢٥٧) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٢٩.

(٢٥٨) المصدر نفسه، ص ٣٢٨.

(٢٥٩) العبيدي، الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي، ص ٢٧٥.

(٢٦٠) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٤، ص ٢٣٨.

(٢٦١) دوزي، معجم مقصّل في أسماء الألبسة عند العرب: عربي - فرنسي، ص ٢١٢ - ٢١٣.

(٢٦٢) المصدر نفسه، ص ٢١٤.

(٢٦٣) العبيدي، الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي، ص ١٠٧.

(٢٦٤) دوزي، المصدر نفسه، ص ٣٠٣ و ٣٠٥.

(٢٦٥) العبيدي، المصدر نفسه، ص ١٧٢.

يُعرفوا، كما أن القناع أهيب في الصدر، والمتقنع أروع من الحاسر، وكان أكثر رجالات بني هاشم يتقنعون<sup>(٣٣٦)</sup>.

- العصابة والبرقع والتقاب: من ألبسة الرأس التي اختصت بها المرأة، العصابة والبرقع والتقاب. والعصابة أو العصبة هي شبه العمامة للمرأة، وهي طرحة من الحرير مربعة الشكل سوداء اللون لها حاشية ملونة حمراء أو صفراء، تلتف المرأة بها رأسها وتعدها من الخلف، وقد تزركش بفصوص من أصناف الجواهر<sup>(٣٣٧)</sup>. وكانت الجوارى والقيان يزيّن العصائب بكتابة الأشعار عليها<sup>(٣٣٨)</sup>. وكانت النساء المترفات يزيّن العصائب بالجواهر والأحجار الكريمة، ويقال إن عُليّة بنت الرشيّد هي التي ابتدعت ذلك لأن في جبينها فضل سعة فاتخذت العصائب المكللة بالجواهر لتستر جبينها<sup>(٣٣٩)</sup>.

والبرقع قطعة قماش تثقب في موضع العينين تبصر المرأة منها، ويلحق بالبرقع خيطان تشدهما المرأة في قفا الرأس يسميان الشبان<sup>(٣٤٠)</sup>.

أما التقاب فهو نوع من البرقع صغير يوضع على الوجه دون المحجر، وهو إما أن يكون شفافاً أو غُرمًا، بحيث يبدو الوجه من خلاله، وتستعمل النساء التقاب عند حضور مجالس الوعظ، أو حفلات الأعراس<sup>(٣٤١)</sup>.

## ب - الملابس الأخرى

هناك أنواع من الملابس اشترك بلبسها الرجل والمرأة، وأنواع أخرى اقتص بها الرجال دون النساء. ومن الملابس المشتركة التي شاع استعمالها في القرن الثالث للملاسل الآتية:

- الثوب: يعني الثوب ملبوساً بصورة عامة، وله معنى خاص، وبهذا المعنى هو رداء واسع فضفاض وردناه بقدر طوله، وهو يصنع من مختلف الأقمشة المتخذة من القطن أو الكتان أو الحرير أو الصوف، ويكون بألوان متعددة، وقد تلبسه النساء عندما يخرجن من منازلهن<sup>(٣٤٢)</sup>. ومن الثياب ما هو مصمت، أي لا يتخلطه لون آخر، وقد يكون من الحرير الخالص، ومنها ما يُطرز فتسمى ثياب الوشي<sup>(٣٤٣)</sup>. أو تكون من الملحّم أي أن مدى قماشها من الحرير ولحمته غير ذلك. وكان المتوكل على الله فضل الثياب المتخذة من الملحّم على جميع

(٢٦٦) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٣، ص ١٠ و١١٨ - ١١٩.

(٢٦٧) دوزي، معجم مفصل في أسماء الألبسة عند العرب: عربي - فرنسي، ص ٢٤٧.

(٢٦٨) الرشاء، الموشى أو الظرف والظرفاء، ص ٢٢٤ - ٢٢٦.

(٢٦٩) الأصبهاني، الأغاني، ج ١٠، ص ١٦٢.

(٢٧٠) العبيدي، الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي، ص ١٥٩.

(٢٧١) المصدر نفسه، ص ١٧٥.

(٢٧٢) دوزي، معجم مفصل في أسماء الألبسة عند العرب: عربي - فرنسي، ص ٩٠ - ٩١.

(٢٧٣) الشاشي، الديارات، ص ١٦١ و٢٦٨.

الأصناف الأخرى، فاتبعه الناس في ذلك وبالغوا في إثباتها واصطناع الجيد منها<sup>(١٧١)</sup>. وسميت الثياب المتوكلة، وقد امتازت بحسنها من حيث الصنع وجودة الصبغ<sup>(١٧٢)</sup>. وسبق للمعتمصم بالله أن لبس الثياب الضيقة الأكمام، فضيق الناس أكمام ثيابهم، إلا أن المستعين بالله عاد فوسّعها وجعلها ثلاثة أشبار أو نحوها<sup>(١٧٣)</sup>.

- القميص: هو ثوب يُلبس فوق السروال وله كُفَّان واسعان للغاية يهبطان إلى المعصم، وتبدل القميص إلى منتصف الساقين. ويصنع قميص الرجال من القطن أو الكتان أو الحرير أو الشاش الموصلي، ويكون أبيض اللون، ويزركش المترفون حواشي قمصانهم ويطرزون فتحاتها. أما قمصان النساء فتكون من الحرير أو القطن الرفيع أو الشاش الموصلي<sup>(١٧٤)</sup>. ويلبس القميص عادة تحت الرداء<sup>(١٧٥)</sup>. وكانت الجوارى يزين أكمام قمصانهم وجيوبها بكتابة الشعر عليها<sup>(١٧٦)</sup>. وقد لبس القميص مختلف الناس، فلبسه الخلفاء والوزراء والأمراء، كما لبسه الشعراء والظرفاء بألوان مختلفة، ولبسه كذلك عامة الناس أيضاً<sup>(١٧٧)</sup>.

- السروال: كان يرتديه الناس عموماً رجالاً ونساء، إلا أن سراويل النساء كانت تتخذ من الأقمشة الرقيقة وتزين ببعض التطريزات<sup>(١٧٨)</sup>. والسروال يستر أسفل الجسم وقد يكون واسعاً، كما يختلف في طوله، فلا يتعدى بعضه الركبتين، بينما يطول البعض الآخر حتى يصل القدمين، وكان الأغنياء يلبسون القمصان والأردية فوق السراويل<sup>(١٧٩)</sup>. ويتخذ الرجال السروال من القماش القططي عادة، إلا أن بعضهم يتخذ من الحرير أو رقيق الأقمشة، وكان الأمراء والولاة يتخذون سراويلهم من الموشى<sup>(١٨٠)</sup>.

وقد اعتنوا ببكّة السروال وهي تعتبر جزءاً منه لأنه يربط بها. وكانت تكس الرجال الجليدة تنسج من الحرير وقد اشتهرت أرمينيا بصنعها.

ويعتبر السروال من ملابس النظريقات من النساء، ولا سيما الجوارى والقيان والراقصات منهن<sup>(١٨١)</sup>.

(٢٧٤) البعقوري، مشكلة الناس لزمانهم، ص ٣٣.

(٢٧٥) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٤، ص ٨٦.

(٢٧٦) المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٨٠، والبعقوري، المصدر نفسه، ص ٣٣.

(٢٧٧) دوزي، معجم مفصل في أسماء الألبسة عند العرب: عربي- فرنسي، ص ٣٠٠.

(٢٧٨) الشافعي، الديارات، ص ١٤٧.

(٢٧٩) الرؤساء، الموشى أو الظرف والظرفاء، ص ٢١٩ - ٢٢٠.

(٢٨٠) المصدر نفسه، والجاحظ، البيان والتبيين، ج ٣، ص ١١٦.

(٢٨١) دوزي، معجم مفصل في أسماء الألبسة عند العرب: عربي- فرنسي، ص ١٧٢.

(٢٨٢) العبيدي، الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي، ص ١٩٧ - ١٩٨.

(٢٨٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٢، ص ٣٤٢.

(٢٨٤) أبو المظهر الأزدي، حكاية أبي القاسم البغدادى، ص ٥٣.

ولاحظ المقدسي أن لباس القرويين في إيلياء ونابلس في بلاد الشام يتكون من الكساء وحده بلا سراويل<sup>(٢٨٥)</sup>.

- الدُّرَاعَة: أو المِزْرَعَة، هي جبة مشقوقة المُقَدَّم ولا تكون إلّا من الصوف<sup>(٢٨٦)</sup>. وتعتبر من لباس الخلفاء، كما سبق أن أشرنا. وقد كان على المعتصم بالله دُرَاعَة من الصوف بيضاء لما خرج في سنة (٢٢٣) لغزو بلاد الروم<sup>(٢٨٧)</sup>. كما كانت الزي الخاص بالوزراء، وهي مفتوحة من الأمام حتى أعلى القلب ومزوّرة بأزرار وعرى<sup>(٢٨٨)</sup>. ولبسها أيضاً الشعراء والكتّاب والظرفاء<sup>(٢٨٩)</sup>.

وقد اتخذت دراعات الرجال من الخز والملحم أيضاً، وقد تتخذ من الديباج<sup>(٢٩٠)</sup> كذلك. إلا أن الفقراء كانوا يتخذونها من الشعر. وكانت بألوان مختلفة بيضاء وسوداء وحمراء وصفراء<sup>(٢٩١)</sup>.

أما دُرَاعَات النساء فكانت تعمل من الشعر، أو من اللحم، ويزيّنها المتظرفات منهن بكتابة الشعر عليها بالإبريسم أو بالذهب، وقد يتخذنها من الشراب أو القصب الملون<sup>(٢٩٢)</sup>.

- الرداء: هو نوع من الملاحف يلتحف به أو يُرتدى كلباس مفصل على الجسم، وقد شاع لبسه بين أفراد مختلف طبقات الناس، وهو يعمل من القماش الصوفي المخطط أو من الحرير، وتكون فتحة عند الصدر دائرة مطرزة بزخارف ونقوش، وكان الأطباء والعلماء يرتدون نوعاً من الأردية يغطي الجسم<sup>(٢٩٣)</sup>، وقد يكون الرداء ملوناً<sup>(٢٩٤)</sup>. وكان من عادة أهل المغرب أن يجعلوا الرداء بطاقيّن ثم يطرحونه على ظهورهم مثل العباءة<sup>(٢٩٥)</sup>.

وكانت النساء المتظرفات وبخاصة الجوّاري والقيان يتخذن الأردية الرشيدية والشروب

- 
- (٢٨٥) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٨٣.  
(٢٨٦) انظر مادة «درع»، في: ابن منظور، لسان العرب، ج ٨، ص ٨٢، والزواوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، ج ٢، ص ١٥٩.  
(٢٨٧) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٤، ص ٦٠.  
(٢٨٨) دوزي، معجم مفصل في أسماء الألبسة عند العرب: عربي - فرنسي، ص ١٤٦.  
(٢٨٩) الشاشيتي، الديارات، ص ٤٤، والوشاء، الوشّ أو الظرف والظرفاء، ص ١٠.  
(٢٩٠) الشاشيتي، المصدر نفسه، ص ٤٤؛ الوشّاء، المصدر نفسه، ص ١٠، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٠٧.  
(٢٩١) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٤، ص ١٢٠؛ الشاشيتي، المصدر نفسه، ص ٤٤، والتنتخي، الفرج بعد الشدة، ج ٣، ص ٣٦٠.  
(٢٩٢) دوزي، معجم مفصل في أسماء الألبسة عند العرب: عربي - فرنسي، ص ١٤٩، والوشّاء، المصدر نفسه، ص ١٦٣ و ٢٢٠.  
(٢٩٣) العبيدي، اللباس العربية الإسلامية في العصر العباسي، ص ٢٦١ - ٢٦٢.  
(٢٩٤) الوشّاء، المصدر نفسه، ص ١٦١، والشاشيتي، الديارات، ص ٥٧.  
(٢٩٥) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٢٣٥.



المزترّة والقصب الملون والحرير<sup>(٣٣٣)</sup>. وكان يزيّن اريدتهن بالكتابة عليها، ولا سيما على أكمامها<sup>(٣٣٤)</sup>.

- الجبّة: هي رداء طويل مفتوح وردناه قصيرتان، وتعمل عادة من الصوف. ولبسها مختلف طبقات الناس لا سيما الأغنياء منهم. وكانت تختلف في مواصفاتها من حيث قماشها وألوانها وطولها، باختلاف لايسها. فكانت جبة الأغنياء تتميز بعرضها وطول ذيلها وكُمها واتخاذها من القماش الغالي الثمن، بينما تكون جبة الآخرين، كالبقالين مثلاً، قصيرة<sup>(٣٣٥)</sup>.

ولبست النساء المترفات الجبّة، وكان يتخذنها من المخمل ويطرزنها بالحرير الملون أو المذهب، وجبة المرأة طويلة ضيقة<sup>(٣٣٦)</sup>.

ومن الملاحظ أن كمّ الجبة كان يقوم مقام الجيب الذي نعرفه اليوم، ويستخدم لحمل بعض الأشياء، كالكتب، والدنانير والدراهم، والمفاتيح، والشموع، والفواكه الجافة، والحلويات، وغيرها<sup>(٣٣٧)</sup>. كما كانت الجبة تستخدم أحياناً وسيلة للمضايقة والتعذيب، فبعض من يُصادر من الوزراء والكتاب يجلس ويقيد ويلبس جبّة صوف تُصير في دسم الأكارع، لإجباره على الاعتراف بما لديه من الأموال<sup>(٣٣٨)</sup>.

- القبّاء: ويسمى القفطان أيضاً ويعمل من الحرير<sup>(٣٣٩)</sup>. وقد لبسه الخلفاء والأمراء والوزراء والجنّدة<sup>(٣٤٠)</sup>. وقد ارتدى الخلفاء الأقبية السود من اللحمة أو الحرّ، إذ كان المعتضد بالله يلبس قبّاء أسود عندما يخرج للناس<sup>(٣٤١)</sup>. وسبق أن ذكرنا أن ابن الزيّات عندما استورّر اعتذر عن لبس القبّاء. وكانت أقبية الوزراء والأمراء والقواد سودّ اللون أيضاً، ولم يكن يسمح لهم بالدخول إلى الدار العامة إلا بالسواد<sup>(٣٤٢)</sup>.

---

(٢٩٦) الوشاء، المصدر نفسه، ص ١٦٣.

(٢٩٧) المصدر نفسه، ص ٢١٩ و ٢٢١.

(٢٩٨) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج ٣، ص ١٦٤.

(٢٩٩) دوزي، معجم مفصل في أساء الألبسة عند العرب: عربي - فرنسي، ص ٩٤ و ٩٩.

(٣٠٠) التنوخي، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٣٢٤ ج ٣، ص ١٧٠، وج ٤، ص ٢٥٦ الشاشيتي،

الديارات، ج ١١، ص ١٥٨ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، ١٩٣٨ - ١٩٣٩)، ج ٥، ص ٨١، ابن تقي بريدي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٣، ص ٧٣، وأبوسعيد الحسن بن عبد الله السمراني، أخبار النحويين البصريين وماراتهم وأخذ بعضهم عن بعض صنعة أبي سعيد الحسن بن عبد الله السمراني، تحقيق طه محمد الزيني ومحمد عبد النعم (القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده)، ١٩٥٥، ص ٢٦.

(٣٠١) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٤، ص ٢٢٩، والتنوخي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٦.

(٣٠٢) دوزي، معجم مفصل في أساء الألبسة عند العرب: عربي - فرنسي، ص ٢٨٥.

(٣٠٣) الصائغ، رسوم دار الخلافة، ص ٩٠ - ٩٢.

(٣٠٤) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٤، ص ٢٥٥.

(٣٠٥) الصائغ، المصدر نفسه، ص ٧٤.

وليسَ القباء طوائف أخرى من طبقات المجتمع، كالعلماء، والخطباء، والمؤذنين، والسعاة في مجالس الخلفاء والوزراء<sup>(٣٠٧)</sup>. وكان الخطباء في العراق يلبسون الأقبية والمناطق، ويلبس أهل ما وراء النهر الأقبية المفتوحة<sup>(٣٠٨)</sup>.

وكان من الطبيعي أن تختلف الأقبية من حيث طولها وعرضها وطول أكمامها وسعة فتحة الرقبة فيها. فقد تكون فضفاضة أو ضيقة، كما تكون أكمامها ضيقة أو عريضة. كما اختلفت من حيث أقمشتها، فهي تتخذ عادة من الأقمشة الغالية الثمن كالخز والحريير والديباج<sup>(٣٠٩)</sup>. وتتخذ كذلك من القطن، وقد يُزَيَّن بعضها بتطريز بعض الزخارف عليه، كما تُزَيَّن أكمامها بأشرطة عريضة<sup>(٣١٠)</sup>. وكانت المتظرفات من النساء يكتبن الأشعار على أقبيةهن تزيئاً لها وتظرفاً<sup>(٣١١)</sup>.

وإذا كان للقباء طاق واحد سمي القرقط<sup>(٣١٢)</sup>.

- **الغلالة:** الغلالة في الأصل من لباس المرأة وتكون مفرطة في الشفافية والخفة، ولونها أصفر<sup>(٣١٣)</sup>. إلا أن الرجال لبسوها أيضاً، فقد لبسها الظرفاء منهم وغيرهم<sup>(٣١٤)</sup>. على أن هناك أنواعاً منها اقتصت بها النساء كالغلالل الدخانية<sup>(٣١٥)</sup>. وكانت الغلالل جزءاً أساسياً من لباس القينيات والجواري<sup>(٣١٦)</sup>.

وتتخذ الغلالل لشدة رقبتها من رفيع الأقمشة كالقصب مثلاً<sup>(٣١٧)</sup>.

- **العباءة:** هي رداء يشبه الكيس مفتوح من الأمام، لا أكمام له وإلّا توجد فتحتان في الزاويتين العلويتين لإمرار الذراعين منها. ويلبس العباءة الرجال والنساء، إلا أن عباءة الرجل تكون من الصوف أو الوبر، وعباءة المرأة تتخذ من الحرير أو الخز<sup>(٣١٨)</sup>.

- **الإزار:** هو قطعة من النسيج تلتف به النساء عندما يبرزن للناس، بحيث يغطي

---

(٣٠٦) العيني، الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي، ص ١٢٩.

(٣٠٧) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٢٩ و ٣٢٨ على التوالي.

(٣٠٨) الأصبهاني، الأغاني، ج ١٥، ص ٣٨٤.

(٣٠٩) العيني، الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي، ص ٢٨٤.

(٣١٠) الوشاء، الموشى أو الظرف والظرفاء، ص ٢٢٢.

(٣١١) الشاشيتي، الديارات، ص ٧١.

(٣١٢) دوزي، معجم مفصل في أساء الألبسة عند العرب: عربي - فرنسي، ص ٢٩٥.

(٣١٣) الشاشيتي، المصدر نفسه، ص ٣١٥، والموشى أو الظرف والظرفاء، ص ١٦٠.

(٣١٤) الوشاء، المصدر نفسه، ص ١٦.

(٣١٥) أبو المظهر الأزدي، حكاية أبي القاسم البغدادي، ص ٥٣، والشاشيتي، المصدر نفسه،

ص ٢٥٥.

(٣١٦) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٠٤.

(٣١٧) دوزي، معجم مفصل في أساء الألبسة عند العرب: عربي - فرنسي، ص ٢٣٨.

هذا الثوب الملايس الأخرى، وقد يتخذ من الحرير المزركش بالذهب<sup>(٣١٨)</sup>. وقد يسمى النقاب الذي تضعه المرأة على وجهها إزاراً أيضاً ويكون عادة من القصب الأبيض الرقيق<sup>(٣١٩)</sup>.

والإزار أيضاً قطعة من القماش تستر به العورة، أو أن يكون أكبر حجماً فيلف على القسم الأسفل من الجسم، وهو يلبس عادة عند الدخول إلى الحمام<sup>(٣٢٠)</sup>. ويعتبر الدخول إلى الحمام بغير إزار تبذلاً وعدم احتشام<sup>(٣٢١)</sup>. ويقول المقدسي إن أهل المغرب وأهل خوزستان يدخلون الحمامات بلا ميازر إلا القليل منهم<sup>(٣٢٢)</sup>.

ويستعمل الظرفاء الإزار لفرشهم ولبسهم في أوقات هههم وقصفهم<sup>(٣٢٣)</sup>، أو أنهم يتخففون به في منازلهم ولا يظهرون به خارجها<sup>(٣٢٤)</sup>.

وربما أثر الشخص بإزار وارتنى الآخر، فيكون بذلك لباساً كاملاً يستر أعلى الجسم وأسفله<sup>(٣٢٥)</sup>. إلا أن رسوم إقليم جزيرة العرب لبس الإزار بلا قميص، إلا القليل، وهم يكتفون بإزار واحد يلتفون به<sup>(٣٢٦)</sup>.

- النطاق والوشاح: كان النطاق والوشاح مما اشترك في لبسهما الرجال والنساء، ولم تكن المرأة تلبس النطاق العريض لأنه خاص بالرجال، وكانت أنطقة النساء رفيعة<sup>(٣٢٧)</sup>. والظرفيات ممن يزين أنطقتهن بكتابة الأشعار عليها<sup>(٣٢٨)</sup>. ويسمى نطاق المرأة رناراً، والزنار في الأصل خاص بأهل الذمة وهو من أزيائهم.

أمّا الوشاح فهو جلد عريض يُزين بالأحجار الكريمة تشده المرأة بين عاتقها وكشحتها<sup>(٣٢٩)</sup>. وقد تشد بعض النساء وشاحين يتقاطعان عند الصدر<sup>(٣٣٠)</sup>. وقد استعمل الوشاح لتكريم رجال الدولة من الوزراء والقواد، وقد مرّ بنا أن القواد الكبار كانوا يوشحون بوشاح أو وشاحين عندما يكرمهم الخلفاء، كما أن بعض الوزراء كانوا يوشحون عند استزارهم.

---

(٣١٨) المصدر نفسه، ص ٣٤.

(٣١٩) أبو المظهر الأزدي، حكاية أبي القاسم البغدادي، ص ٥٤.

(٣٢٠) دوزي، المصدر نفسه، ص ٣٨ - ٣٩.

(٣٢١) الشاشي، الديارات، ص ١٨٩.

(٣٢٢) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٢٣٩ و ٤١٦.

(٣٢٣) أبو المظهر الأزدي، حكاية أبي القاسم البغدادي، ص ٨٥.

(٣٢٤) الرشاء، الموشى أو الظرف والظرفاء، ص ١٦١.

(٣٢٥) التنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة أو جامع التواريخ، ج ٥، ص ١٥٥.

(٣٢٦) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٠٠.

(٣٢٧) الرشاء، الموشى أو الظرف والظرفاء، ص ١٦٤.

(٣٢٨) المصدر نفسه، ص ٢٢٦ - ٢٢٧.

(٣٢٩) الزاوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، ج ٤، ص ٥٥٤.

(٣٣٠) المبيدي، الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي، ص ٣٠٩.

ويطلق الوشاح أيضاً على الثوب أو قطعة القماش يدخلها المرء تحت إبطه ويلقى باقيها على منكبيه<sup>(٣٣١)</sup>.

ومن الألبسة التي اختص بها الرجال دون النساء:

- **الْفَرَجِيَّة**: وهي ثوب فضفاض له كُفَّان واسعان طويلان يتجاوزان قليلاً أطراف الأصابع، وهما دون تفريج، وليس هذا الثوب طبقة العلماء<sup>(٣٣٢)</sup>. وتعتبر الفرجية نوعاً من الأقبية إلا أنها تختلف عنها بأن تكون فتحتها من الخلف<sup>(٣٣٣)</sup>.

- **المُطَرَف**: يرد ذكر المطرف في مناسبات قليلة باعتباره من ألبسة الخلفاء والأغنياء، وهو رداء من خز مربع له أعلام<sup>(٣٣٤)</sup>. فقد أهدت قبيصة إلى زوجها المتوكل على الله مطرف خز أحمر كأنه ديبقي من رفته، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك. ويقول أبو الفرج إن إسحاق الموصلبي كان يلبس مطرف خز أسود قيمته مئة ألف درهم<sup>(٣٣٥)</sup>. وقد لبس المطرف الظرفاء من الرجال وكانوا يزيّنونه بكتابة الأشعار عليه<sup>(٣٣٦)</sup>.

- **المُبطَنة**: هي ضرب من الأردية لها بطانة ثخينة، تلبس فوق الثياب<sup>(٣٣٧)</sup>. وكانت المبطنة من جملة زي الوزراء، وقد لبسها الظرفاء أيضاً<sup>(٣٣٨)</sup>.

- **الرُّنْس**: هو معطف ضخم له قلنسوة، وقد يطلق الاسم على الطاقية أيضاً<sup>(٣٣٩)</sup>. ويعرفه صاحب القاموس بأنه قلنسوة طويلة، أو هو كل ثوب رأسه منه سواء أكان ذراعاً أو جُبّة أو مِطْر<sup>(٣٤٠)</sup>. والرُنْس لباس خارجي يتألف من قطعة واحدة، يغطي الجسم والراس معاً، والجزء الذي يغطي الجسم أقرب ما يكون إلى الدُّرّاعة، وهو يصنع عادة من اللباد<sup>(٣٤١)</sup>. ويلبس البربر البرانس السود<sup>(٣٤٢)</sup>.

وقد يستعمل الرُنْس زياً للتشهير بالخارجين على الدولة. فقد ذكر المسعودي أن

---

(٣٣١) انظر مادة وشح، في: المتجدد في اللغة والأعلام، ص ٩٠١.

(٣٣٢) دوزي، معجم مفصل في أسماء الألبسة عند العرب: عربي - فرنسي، ص ٢٦٥.

(٣٣٣) العبيدي، الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي، ص ٢٧٩.

(٣٣٤) الزاوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، ج ٣، ص ٦٢.

(٣٣٥) الأصبهاني، الأغاني، ج ١٠، ص ١٢٠ - ١٢١.

(٣٣٦) الوشاء، الموشى أو الظرف والظرفاء، ص ١٦١ و ٢٢١.

(٣٣٧) العبيدي، الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي، ص ٢٩٠.

(٣٣٨) الصائغ، الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص ٣٥٢، والوشاء، المصدر نفسه،

ص ١٦٠.

(٣٣٩) دوزي، معجم مفصل في أسماء الألبسة عند العرب: عربي - فرنسي، ص ٦٦.

(٣٤٠) الزاوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، ج ١، ص ٢٩١.

(٣٤١) العبيدي، الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي، ص ٣٣٤ - ٣٣٥.

(٣٤٢) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٢٣١.

المعتضد بالله أمر بهارون الشاري فأركب فيلاً وعليه درّاعة ديباج وعلى رأسه برنس طويل، وخلفه أخوه على جبل فالج وعليه درّاعة ديباج، وبرنس خز<sup>(٣١٣)</sup>.

- البرّد: ويسمى البردة أيضاً، وهو قطعة طويلة من القماش الصوفي السميك أسمر اللون أو رماديّ، وقد يكون من القماش المخطط<sup>(٣١٤)</sup>. وكان خلفاء الدولة العربية يتوارثون بردة النبي الكريم ﷺ، ويطرحونها على أكتافهم في المناسبات وبخاصة عند ظهورهم للناس في صلاة العيد<sup>(٣١٥)</sup>. وتعتبر البردة من شارات الخلافة.

- المِطَر: هو ثوب صوفي يلبس للوقاية من المطر<sup>(٣١٦)</sup>، وقد يتخذ من الخز أيضاً<sup>(٣١٧)</sup>.

أما ما اختص به النساء من الملابس اضافة إلى ما سبق ذكره فكان منها:

- الجلباب: وهو ثوب واسع للمرأة تغطي به ثيابها من فوق كالمحفلة<sup>(٣١٨)</sup>. وتلتحف به النساء من الرأس إلى القدمين حين يردن الخروج من منازلهن<sup>(٣١٩)</sup>. ويلبسه كذلك إذا حضرن مجالس الوعظ أو مجالس القضاء<sup>(٣٢٠)</sup>. مما يدل على أنه لباس للحشمة.

- الصّدار: قميص صغير يلي الجسد مباشرة تلبسه المرأة، وهو أيضاً ثوب رأسه كالمقنعة، وأسفله يُغشي الصدر والمكبيّن<sup>(٣٢١)</sup>.

- اللدع: درع المرأة قميصها، وهو ثوب تجوب المرأة وسطه، وتجعل له يدين، وتحيط فرجيه، وهو أيضاً الثوب الصغير تلبسه الجارية الصغيرة في البيت<sup>(٣٢٢)</sup>. ويتخذ من قماش بسيط خال من الزخرفة، وقد يكون من القطن أو من الحرير<sup>(٣٢٣)</sup>.

وهناك بعض الألبسة اختص بها الفقراء من الناس، منها:

- العرّي: وهو قميص واسع، أو ثوب يتخذ من الكتان أو القطن، ويكون أزرق اللون، مفتوح العنق إلى الخزام، وله كمان كبيران، ويلبس هذا الثوب فقراء الناس<sup>(٣٢٤)</sup>.

---

(٣١٣) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٤، ص ٢٥٥.

(٣١٤) دوزي، معجم مفصل في أسماء الألبسة عند العرب: عربي - فرنسي، ص ٥٥ - ٥٦.

(٣١٥) الصباي، رسوم دار الخلافة، ص ٩٠.

(٣١٦) الزاوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، ج ٤، ص ٢٢٩.

(٣١٧) الترنخي، الفرج بعد الشدة، ج ٤، ص ٢٢٩.

(٣١٨) الزاوي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٥.

(٣١٩) دوزي، معجم مفصل في أسماء الألبسة عند العرب: عربي - فرنسي، ص ١٠٣.

(٣٢٠) العبيدي، الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي، ص ٢٩٨ - ٢٩٩.

(٣٢١) انظر مادة مصدر، في: ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ٤٤٣.

(٣٢٢) المصدر نفسه، ج ٨، ص ٨٢.

(٣٢٣) العبيدي، المصدر نفسه، ص ٢١٧.

(٣٢٤) دوزي، معجم مفصل في أسماء الألبسة عند العرب: عربي - فرنسي، ص ٢٤٥.

- المسح: لباس يشبه الكيس يرتديه الرهبان والعبيد<sup>(٣٥٥)</sup>. ويطلق المسح أيضاً على ما يلبس من نسيج الشعر على البدن تقشفاً وقهراً للجسد<sup>(٣٥٦)</sup>.

- الغُمرَة: ثوب أسود يرتديه العبيد والإماء<sup>(٣٥٧)</sup>.

- اللَّبَت: كساء مربع مهلهل من الوبر أو الصوف، وقد يتخذ من الخنز، ويسمى الساج. وكان النوع الغليظ منه يلبسه الفقراء وهم يتخذونه من جلد النعجة<sup>(٣٥٨)</sup>.

## ثالثاً: الأعياد والاحتفالات والرياضة ووسائل اللهو

### ١ - الأعياد

إن عيد الفطر وعيد الأضحى أكبر الأعياد الدينية وأهمها عند المسلمين، لأنها يرتبطان بركنين من أركان الدين الاسلامي الخنيف. فيرتبط الأول بفريضة الصيام في شهر رمضان، ويرتبط الثاني بفريضة الحج إلى بيت الله الحرام. ويحتفل بها المسلمون قاطبة على اختلاف أجناسهم ومذاهبهم وبلدانهم. وكانوا يحتفلون بها في أمهات المدن وبخاصة في المدن التي يكون بها الشعور الاسلامي عميقاً كالديار المقدسة والثغور، بأبهة وفخامة تظهر روعتها. فقد كان يضرب المثل بالعديد في طرسوس، ويعتبر ذلك من عجائب الاسلام<sup>(٣٥٩)</sup>. إذ يجتمع فيها الغزاة من كثير من أقاليم الدولة العربية، وتردها الصلات من أولئك الذين لا يقدرّون على الجهاد بأنفسهم فيتبرعون بأموالهم للإنفاق على الجهاد والمجاهدين. وكان الغزاة والمجاهدون المجتمعون في طرسوس يحتفلون بالعديد، كل جمع منهم على طريقة بلاده وتقاليدها، مما يجعل من احتفالهم شبه مهرجان أو مظاهرة دينية رائعة.

وكان الناس في مختلف أقطارهم يتهاون للعديد قبل حلولها. وكانت الحلوى أحسن ما يصنع في طعام الأعياد، فكانت تصنع بأكثر مهارة بلغها فن الطبخ في ذلك العهد. وتصنع بهذه المناسبة أبراج من السكر توضع في وسط الموائد<sup>(٣٦٠)</sup>.

كما كان الناس يحتفلون بمناسبات أخرى إلى جانب عيدي الفطر والأضحى. وسنستعرض في ما يأتي الأعياد والمناسبات التي اعتادوا الاحتفال بها.

---

(٣٥٥) المصدر نفسه، ص ٣٢٨.

(٣٥٦) انظر مادة «مشح» في: المتجدد في اللغة والأعلام، ص ٧٦٠.

(٣٥٧) الزاوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، ص ٣٦٦.

(٣٥٨) انظر مادة «لبت» في: ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ٨.

(٣٥٩) القرينزي، الخطط القرينزية المسماة بالمواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار يختص ذلك بأخبار

اقليم مصر والنيل وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها، ج ١، ص ٣١٨.

(٣٦٠) متر، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الاسلام، ج ٢،

ص ٢٠١.

## أ - رمضان وعيد الفطر

كما كان يحتفل به الخلفاء والناس على اختلاف طبقاتهم حلول شهر رمضان . فيوزع الخليفة في أول يوم منه الخلع على العلماء والفقهاء ورجال الدولة وقوادها وكبار كتابها . وتصب موائد الإفطار في دار الخلافة طيلة ليالي الشهر، للخاصة والعامّة . ويفعل مثل ذلك الأغنياء وأصحاب المراتب، فيفطر على مواثدهم أصدقائهم ومعارفهم والفقراء والأيتام . وتثار ليالي شهر رمضان بالمصاييح، كما تنور المساجد بالصلوات والتراويح . فإذا بقى من الشهر أربع ليال خرجت خلع الخليفة إلى رجال الدولة والعلماء والأشراف، والوجهاء من الناس، وغيرهم<sup>(٣١١)</sup>.

وتسمى ليلة السابع والعشرين من رمضان ليلة القدر، وهو اتفاق العوام على ذلك، لأنها مجهولة . وقد قيل : اطلبوها ليلة السابع عشر وليلة التاسع عشر، فإن بينهما وقعة بدر ونزول الملائكة مسومين، وفتح مكة<sup>(٣١٢)</sup>.

وكان من عادة الناس أن يهتئ بعضهم بعضاً بحلول شهر رمضان<sup>(٣١٣)</sup> . ويتهيأون في أواخره لاستقبال عيد الفطر . فيباكرون إليه في أحسن زينة ولباس، ويخرجون في أول يوم منه للتلّفج على الموكب، إذ يجلس الخليفة بعد رجوعه من الصلاة . فقد جرت العادة بأن يخرج الخليفة في صباح ذلك اليوم إلى المسجد الجامع للصلاة بالناس، وعندما يعود إلى الدار يامر بمد السباط للناس، وستعرض الموكب الذي ير أمامه وفيه الأمراء والقواد ويختلف صنوف الجند بكامل أسلحتهم وزينتهم، تتقدمهم الأعلام، ويستمر الناس في احتفالهم بالعيد ثلاثة أيام<sup>(٣١٤)</sup> . ويسمى أول يوم من شوال، وهو أول أيام عيد الفطر يوم الرحمة<sup>(٣١٥)</sup> . وقد جرت العادة في هذا اليوم أن توزع الخيرات كاللفطرة والكسوة والطعام.

## ب - موسم الحج وعيد الأضحى

يعتبر موسم الحج أعظم مواسم السنة احتفالاً، إذ تتجمع فيه مواكب الحجاج من مختلف أقاليم الدولة العربية وأمّهات مدنها في حاضرة الخلافة تتقدمها المحامل والأعلام وضاربو الطبول . فيخرج الناس على اختلاف طبقاتهم وتزدحم بهم الدروب والشوارع للتلّفج على تلك المواكب والتمتع بمشاهدتها . إذ تختلف المواكب باختلاف بلدان أصحابها من حيث مظاهر الاحتفال بهذا الموسم . ولا يزال الناس على ذلك أياماً يقيمون فيها الولائم

(٣١١) الكازروني، مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية، ص ٢٥ - ٢٦.

(٣١٢) أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية، تحقيق إدوارد سخار

(ليبزك : إدوارد سخار، ١٩٢٣)، ص ٣٣٢.

(٣١٣) التنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة أو جامع التواريخ، ج ٦، ص ٢٥٢.

(٣١٤) الكازروني، مقدمة في قواعد بغداد في الدولة العباسية، ص ٢٦.

(٣١٥) البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية، ص ٣٣٣.

للحجاج. ثم يقلّد الخليفة من يختاره لإمارة الحج ويخلع عليه، ويجهّزه بالدواب لركوبه مع حاشيته، فيخرج بالحجاج وهم في طاعته<sup>(٣٦٦)</sup>.

ويقوم أمير الحج إضافة إلى واجباته نحو الحجاج من حيث تأمين راحتهم وسلامتهم وأمنهم، بإلقاء خطبة عيد الأضحى نيابة عن الخليفة في المسجد الحرام بمكة المكرمة، وتوزيع هدايا الخليفة، وتعليق القناديل التي يبعث بها الخليفة وهي تكون عادة من الذهب والفضة، فيعلّقها خارج المسجد الحرام لمدة خمسة أيام ليراها الناس ويشاركوا بالاحتفال في تعليقها، ثم تنقل بعدها إلى داخل المسجد، كما يتولى نصب الأعلام الجندد التي حملها معه وعليها اسم الخليفة<sup>(٣٦٧)</sup>. ومن الواضح أن تأدية مناسك الحج بشعائرها وتقاليدها تعتبر بحد ذاتها احتفالاً مهيباً.

وعندما ينتهي الحج وتعود مواكب الحجاج إلى حاضرة الخلافة يتجمع الناس ثانية ويخرجون لاستقبالهم بالدفوف والأعلام، وتهنئتهم بسلامة العودة وبما آتاهم الله من فضله. ويأمر الخليفة بتوزيع الخلع والهدايا وبخاصة على من عاد من الحج من رجال الدولة ووجهاء الناس<sup>(٣٦٨)</sup>.

ويسمى اليوم العاشر من ذي الحجة يوم الأضحى ويوم النحر، وهو آخر يوم من أيام الحج وأول يوم من أيام عيد الأضحى، ويسمى اليوم الحادي عشر منه يوم القُرْلان لأن الناس يستقرون بمبى، واليومان الثاني عشر والثالث عشر أيام التشريق لأن لحوم الأضاحي تُشَرَّق فيها، ويقال أيضاً إنها سميت كذلك لأن الأضاحي لا تنحر حتى تشرق الشمس<sup>(٣٦٩)</sup>.

وتذبح في عيد الأضحى أعداد كبيرة من الإبل والبقر والغنم<sup>(٣٧٠)</sup>. وكان من الرسوم الجارية في دار الخلافة أن تفرّق على القواد والفرسان والغلمان والخدم وغيرهم من أفراد حاشية الخليفة وموظفي الدولة أعداد كبيرة من البقر والغنم والإبل ليضحووا بها. وأن يأمر الخليفة بإطلاق من يرى القاضي إطلاق سراحهم من المحبوسين. كما يأمر بأن تذبح سبعون ناقة في أبواب دار الخلافة<sup>(٣٧١)</sup>. وكذلك يفعل الأغنياء والمتمكنون من الناس رغبة في الأجر والثواب، فيمتار الفقراء ويؤجر الأغنياء<sup>(٣٧٢)</sup>. وذكر القاضي التنوخي طرفة عن كاتب أحد القواد، وكان جاهلاً، أنه كتب تذكرة بالأضاحي التي يُراد نحرها في دار صاحبه وقد قرب

(٣٦٦) الكازروني، المصدر نفسه، ص ٢٤.

(٣٦٧) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٧، ص ٥٣.

(٣٦٨) الكازروني، المصدر نفسه، ص ٢٥.

(٣٦٩) البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية، ص ٣٣٤.

(٣٧٠) الصابي، الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص ٢٨٩.

(٣٧١) المصدر نفسه، وفيه أن التوق تذبح في المصل، وابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم،

ج ٦، ص ٦٨ - ٦٩.

(٣٧٢) الكازروني، مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية، ص ٧٦.



موعد حلول عيد الأضحى، كما يلي: القائد ثور، وامرأته بقرة، وابنه كبش، وبنته نعجة، والكاتب تيس<sup>(٣٧٣)</sup>.

وجرت العادة أن يخطب الخليفة بالناس في صباح اليوم الأول من العيد، فركب إلى الجامع وعليه السواد من القباء والعمامة بموكب يحيط به حرسه وحاشيته، فيصلي بالناس ثم يخطب خطبة خفيفة<sup>(٣٧٤)</sup>. ويعود بعدها إلى الدار ليستقبل المهثين.

## ٢ - الاحتفالات

### أ - رأس السنة الهجرية

اعتبر اليوم الأول من المحرم معظماً لأنه غرة الحول ومفتتح السنة<sup>(٣٧٥)</sup>. ولم يصر رأس السنة الهجرية عيداً شعبياً بل اقتصر الاحتفال به على دار الخلافة، ولا يحيط به من فخامة الاحتفالات ما كان يحيط بالأعياد. إلا أن الناس اعتادوا أن يتهادوا فيه<sup>(٣٧٦)</sup>. على أن المقيزي يذكر أن الخلفاء الفاطميين في مصر كانت لهم عناية خاصة بليلة أول المحرم لأنها أولى ليالي السنة الجديدة، ومن رسومهم أن يعمل بمطبخ القصر طعام كثير من أنواع من الحلوى، ويُفَرَّق ذلك مع الخبز وجفان اللبن على أبواب الرتب وأصحاب الدواوين وأرباب السيوف والأقلام، ويعم ذلك سائر الناس أيضاً، ويركب الخليفة بزيه الرسمي ويُفَرَّق دنائير الصلة على رجاله وحاشيته<sup>(٣٧٧)</sup>. وأحسب أن الخلفاء الفاطميين انتهجوا ذلك أسوة بما كان يفعله الخلفاء العباسيون في بغداد وسامراء، لأنهم اعتادوا أن يقلدوهم وينافسهم في كل فضيلة يعرفونها عنهم. ولذا يرجح أن خلفاء بغداد وسامراء كانوا يقومون بذلك أيضاً بمناسبة حلول السنة الهجرية الجديدة.

### ب - أول الربيع

وكانوا يحتفلون بحلول فصل الربيع فيخرجون إلى الغياض والبساتين مستصحبين الجوارى والقيان، فيقضون نهارهم بأنس وطرب ومتعة. وقد اعتاد أهل بغداد أن يخرجوا في هذا الموسم إلى «المحول» وهو متنزه قريب من المدينة «فيخترقون أشجاره، ويقطعون ثماره ونواره، ثم تعزف القيان وتصطخب العيdan، وتصفق الغدران، وترقص الأغصان، وتجد الأنسان... وقد انتظموا في سلك الراحة واجتمعوا للاستراحة، كذلك أياماً لا يطعمون متاماً...»<sup>(٣٧٨)</sup>.

(٣٧٣) الترخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة أو جامع التواريخ، ج ٧، ص ١٧٠.

(٣٧٤) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٧، ص ٦٧.

(٣٧٥) البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية، ص ٣٢٩.

(٣٧٦) متر، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ج ٢،

ص ٢٤٨.

(٣٧٧) المقيزي، الخطط المقيزية للسنة بالمواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار يختص ذلك بأخبار

أقليم مصر والنيل وذكر القاهرة وما يتعلق بها وإقليمها، ج ١، ص ٤٩٠.

(٣٧٨) الكازروني، مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية، ص ٢٨.

## ج - النوروز والمهرجان

استمرت أقوام الولايات الشرقية من سكان الدولة العربية في الاحتفال بعيدين من أكبر أعيادهم قبل أن يعتنقوا الدين الاسلامي، هما النوروز والمهرجان. ويقع النوروز في أول يوم من السنة الشمسية أي في (٢١ آذار/ مارس من السنة الرومية. ويقع المهرجان في منتصف السنة الشمسية. كما استمرت أغلب الطقوس التي تتخذ فيها مما لا يتنافى مع الاسلام.

على أن مشاركة العرب بالاحتفالات بهذين اليومين اقتضت على تبادل الهدايا والخروج إلى المنزهات ترويحاً للنفس، والتفرج على ما يقوم به المحتفلون من مظاهر الأنس والفرح كالرقص والغناء. كما اعتاد الخلفاء أن يوزعوا هداياهم على حاشيتهم، ويتلقوا الهدايا من وزرائهم وقوادهم وأفراد عائلتهم<sup>(٣٧٩)</sup>. وكان المتوكل على الله أكثر خلفاء سامراء ميلاً إلى اللهو والتمتع بمباهج الورود والأزهار، والتفرج على أصحاب الملاهي، وهو ما جعله أكثر مشاركة في مثل هذه الاحتفالات. فكان يجلس للتفرج على أصحاب السجاجة، أو للشرب واللهو وقبول الهدايا في أيام النوروز<sup>(٣٨٠)</sup>.

ولكن رغم مشاركة العرب في بعض مظاهر هذين العيدين، فقد كانوا يعتبرونها من بقايا المجوسية. فقد أنشد الشاعر علي بن الجهم الخليفة المتوكل على الله في أحد أيام المهرجان قوله:

اغتنم جنة الزمان الجديد واجعل المهرجان آمين عيد

وكان الشاعر أبو السمط مروان الأصغر حاضراً، فقال: يا علي، اخبرني عن قولك: واجعل المهرجان آمين عيد، وهل المهرجان عيد أم يوم لهو؟ إنما العيد ما تعبد الله فيه الناس مثل الفطر والأضحى وأيام التشريق والجمعة، أما المهرجان والنيروز فإنما هما من أعياد المجوس ولا يجوز أن يقال لخليفة الله في عباده وخليفة رسول الله في أمته مثل هذا القول<sup>(٣٨١)</sup>.

## د - المشاركة باحتفالات النصارى في احتفالاتهم

إن التسامح الديني الذي تميز به الاسلام وانتهجته الدولة العربية مع أهل الذمة من رعاياها، أتاح لهم الاحتفال بأعيادهم الدينية وممارسة طقوسها. فقد استمر النصارى على عاداتهم بالاحتفال بأعيادهم الدينية كعيد رأس السنة، والأعياد الخاصة التي كانت كثيرة بسبب تعدد الطوائف النصرانية. وقد اعتاد طلاب اللهو والقصف على مشاركة النصارى في احتفالاتهم بأعيادهم، وبخاصة ما يقع منها في موسم الربيع. فيخرجون إلى الأديرة القريبة،

(٣٧٩) الشاشني، الديارات، ص ٥٧، والجلاظ، التاج في أخلاق الملوك، ص ١٤٦.

(٣٨٠) الشاشني، المصدر نفسه، ص ٣٩ - ٤٠، والجلاظ، المصدر نفسه، ص ٥٧.

(٣٨١) الأصبهاني، الأغاني، ج ٢٣، ص ٢١١ - ٢١٢.

ويتشرون في متنزهاتها وفي الحقول والبساتين التي حولها، ويشاركون المحتفلين في شراهم وصخبهم، طلباً للفرح والمتعة.

وكانت الأديرة تحتفل عادة بالأعياد فترين بأحسن زي، ويخرج رهبانها وقساوستها إلى المذبح وحولهم فتياهم بأيديهم المجامر، وقد تقلدوا الصلبان وتوشحوا بالمناديل المنقوشة، ثم يعودون إلى قلايهم بعد الاحتفال<sup>(٣٨٧)</sup>. وكان يتجمع حولهم النصارى رجالاً ونساءً محتفلين بالطقوس الدينية وهم يحملون تحف الرياحين والورود. فيخرج المسلمون لمشاركتهم في أفراحهم والتفرُّج على طقوسهم، والتمتع بجمال أزيائهم وبمفاتيح الطبيعة.

### هـ - الاحتفالات في المناسبات

لعل أفخم الاحتفالات التي شهدتها هذا القرن بالنظر لما أنفق عليها من الأموال، ومشاركة الخلفاء ورجال الدولة فيها، حفلة زواج المأمون، وحفلة زواج الحسن بن الأفشين، وحفلة ختان المعتز بن المتوكل على الله، وحفلة ختان أولاد المكتفي بالله.

تزوج المأمون بخديجة بنت الحسن بن سهل في سنة ٢٠٩ باحتفال فخم وصفه المسعودي وصاحب اللخائر والتحف. فقد نثر في ذلك الإملاك من الأموال ما لم ينثر مثلها من قبل. فقد نثرت على الهاشميين والقواد والكتاب والوجوه من حضر الاحتفال، بنادق من مسك فيها رقاق بأساء ضياع، وأسباء جوار، وصفات دواب، وغير ذلك. فكانت البندقة إذا وقعت في يد الرجل فتحها، فقرأ ما فيها، فيجد على قدر إقباله وسعوده فيها. ثم نثر بعد ذلك على سائر الناس الدنانير والدراهم ونوافج المسك ويض العنبر. وقد أنفق المأمون بهذا الاحتفال ثمانية وثلاثين ألف ألف درهم، وأوقد في تلك الليلة شمعة عنبر وزنها أربعون مثلاً<sup>(٣٨٨)</sup>. وقد سمي هذا الاحتفال لسعة ما أنفق عليه، دعوة الاسلام<sup>(٣٨٩)</sup>.

وأجريت حفلة زواج ابن الأفشين من أترجة بنت القائد اشناس في قصر الخليفة المعتصم بالله وبرعايته، وذلك تكريماً منه لاثنتين من كبار قواده، وقد حضرها عامة أهل سامراء، وكان المعتصم بالله يتفقد الحاضرين بنفسه، وأمر بأن يُطَيَّبوا بالغالية التي احضرت في ايجانات من الفضة<sup>(٣٩٠)</sup>.

أما حفلة ختان المعتز، فقد وصفها الشابشتي وصاحب اللخائر والتحف، وصفاً مسهباً يظهر روعتها وبذخها. وقد جرت الحفلة في قصر بركوارا الذي شيده المتوكل على الله في

---

(٣٨٢) الشابشتي، المصدر نفسه، ص ١٧٧.

(٣٨٣) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٤، ص ٣٠، وابن الزبير، اللخائر والتحف، ص ٩٨ - ١٠٠.

(٣٨٤) أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، ثمار القلوب في المضارب والمنسوب، تحقيق محمد أبو

الفضل إبراهيم القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٦٥، ص ١٦٦ - ١٦٧.

(٣٨٥) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ١٠١.

منطقة القادسية جنوبي سامراء. وفي يوم الاحتفال فرش ديوان القصر الواسع ببساط إيرسم طوله مئة ذراع وعرضه خمسون ذراعاً، ونصب للخليفة سرير، ومُدَّ بين يديه أربعة آلاف مرفع ذهب مرصع بالجواهر. وتغدى المتوكل على الله والناس، وقد أجلس الأمراء والقواد وكبار رجال الدولة على مراتبهم، وجعل بين صرانيهم والسباط فرجة صُبَّت فيها أكوام الدنانير والدراهم، وأمر الحاضرون أن يأخذ كل منهم ثلاثة حقنات ما حلت يده من ذلك المال. وخلع على سائر من حضر ثلاث خلع لكل واحد. واعتق المتوكل على الله عن المعتز ألف عبد وأمر لكل واحد منهم بمئة درهم وثلاثة أنواب.

وكان في صحن الدار أمام الإيوان أربع مئة بُلَّة مغنيات وراقصات، وبين أيديهن ألف طبق خيزران فيها أنواع الفواكه من الأترج والنانج والتفاح الشامي والليمون، وخمسة آلاف باقة نرجس، وعشرة آلاف باقة بنفسج. وأمر المتوكل على الله الفتح بن خاقان أن ينثر عليهم وعلى خدام الدار والحاشية عشرين ألف ألف درهم.

وكانت قبيحة أم المعتز قد تقدمت بأن تضرب دراهم للمناسبة كتب عليها «بركة من الله لإعذار أبي عبد الله المعتز» فضرب لها ألف ألف درهم نثرت على المزيّن ومن في حيزه من الغلمان والشاكريّة وقهارة الدار والخدم الخاصة من البيضان والسودان.

وأقام المتوكل على الله بركواراً ثلاثة أيام. وتقدم بإحضار إبراهيم بن العباس وأمره أن يعمل له عملاً بما أنفق في هذا الإعذار ويعرضه عليه. ففعل إبراهيم ذلك فاشتملت النفقة على ستة وثمانين ألف ألف درهم.

وكان الناس يستكثرون ما أنفق في زواج المأمون، وسميت حفلته دعوة الاسلام، ثم أتى من دعوة المتوكل على الله هذا ما أنسى ذلك<sup>(٣٨٦)</sup>. وقد ذكر الثعالبي جانباً من هذه الدعوة وقال إنها سميت دعوة الاسلام الثانية<sup>(٣٨٧)</sup>.

ولما أعذر المكتفي بالله ابنه أحمد في سنة أربع وتسعين ومئتين كان وزيره العباس بن الحسن قد سأل أن يجعل جمع الناس وإطعامهم عنده، فأجابه إلى ذلك. فجلس العباس في داره على دجلة، وأمر بإحضار الورد، فأحضر منه ما لم ير الناس مثله مجتمعاً قط، فقد مُدَّ بين صحن الدار بطول تسعين ذراعاً وعرض عشرة أذرع وبارتفاع يقرب من الذراع. وجمع القواد والغلمان مع الجلساء والمغنين. وجعلت الخلع تحيي الناس من الثريا - دار الخلافة - يُنفذها المكتفي بالله لواحد واحد من الحاضرين، برقاع في جيوبها: لكل انسان غلالة قصب وجبة ودرّاعة. ولم يبق أحد في المجلس إلا ناوله العباس من يده تحية من الورد<sup>(٣٨٨)</sup>.

---

(٣٨٦) انظر الوصف الكامل في: الشاشقي، الديارات، ص ١٥٠ - ١٥٥، وابن الزبير، الذخائر والنصف، ص ١١٣ - ١١٨.

(٣٨٧) الثعالبي، ثمار القلوب في المضام والمثوب، ص ١٦٦ - ١٦٧.

(٣٨٨) ابن الزبير، المصدر نفسه، ص ١٢٣.

### ٣ - الرياضة ووسائل اللهو

#### أ - الرياضة

يمكن القول إن أبرز أنواع الرياضة التي كان الناس يمارسونها آنذاك هي : الفروسية وسباق الخيل ، والصيد بنوعيه البري والنهري ، والسباحة ، والمصارعة ، وتربية الحمام والطيور بأنواعها . وفي ما يلي لمحة موجزة عنها :

#### (١) الفروسية وكرة الصولجان

من أنواع الفروسية التي كان الخلفاء وكبار رجال الدولة من الوزراء والقواد يمارسونها لعبة الكرة على ظهور الخيل ، وتسمى الصولجان ، وكان لها لباس خاص بها<sup>(٣٨٩)</sup> . وكانوا يلعبونها في ساحات خاصة في قصورهم . وقد اصطلح الوزير عبيد الله بن يحيى في أثناء لعبة كرة الصولجان وسقط عن فرسه ومات إثر ذلك . والصولجان رياضة حسنة تامة وصفها الحكماء لرياضة جسد الفارس والخيل أيضاً ، وهي تفيد جميع أعضاء البدن . وكانوا يعتبرون لعبها بالغدوات من أحسن أنواع الرياضة وأنفعها . فإن من أنواع الرياضة ما يختص بالرّجل كالشي والركض ، ومنها ما يختص بالكفوف والسواعد مثل الشباك وتناول الطابة . أما الصولجان فإنها تعم البدن جميعه ، فهو يتحرك بها حركات مختلفة ، فالبرص يتبعها ، والراس يلتفت إليها ، والخيل تترافض وتلين رؤوسها للجوال والكر والفر ، وفيها تحريك القوة الغضبية لما فيها من طلب المغالبة<sup>(٣٩٠)</sup> .

وللعبة الصولجان قواعد خلاصتها بأن تضرب الكرة قُدماً ضرب بخلسة ، وأن يكون الضرب متشازراً مترفقاً مترسلاً ، وأن يُتوخى لضرب الكرة تحت غرم الدابة ومن قِبَل لِبَتِها في رفق ، ولا تجوز الاستعانة في ضربها بسوط ، وعلى اللاعب أن يتلافى التأثير في الأرض أو كسر الصولجان جهلاً باستعماله ، أو عقر الدابة ، كما عليه أن يحترس من إيذاء من جرى معه في ميدانه ، وأن يحسن كَفَّ الدابة في شدة جريه ، وأن يتوقى من الصرعة والصدمة ، وأن يجانب الغضب والسب ، وأن يتحفظ من إلقاء الكرة على بيت<sup>(٣٩١)</sup> .

وهناك أمور يجدر باللاعب الانتباه إليها ، أهمها الاحتراز من السقوط والقنطرة والعتار والمصادمة ، وأن يتوقف عن اللعب عند ابتداء العَرَق أو الشعور بالتعب والإرهاق ، ويستحسن الدخول إلى الحَتَام إن أمكن لإزالة ما يخرج من العرق بتلك الرياضة<sup>(٣٩٢)</sup> .

وكان الخليفة المعتصم بالله يلعب بكرة الصولجان ويقسم أصحابه إلى فرق للعبها<sup>(٣٩٣)</sup> .

(٣٨٩) الطبري ، تاريخ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٩ ، ص ١٢١ .

(٣٩٠) العباسي ، آثار الأول في ترتيب الدول ، ص ١٢٩ .

(٣٩١) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج ٤ (القاهرة : وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، ١٩٦٣) ، ج ١ ، ص ١٣٣ - ١٣٤ .

(٣٩٢) العباسي ، المصدر نفسه ، ص ١٢٨ - ١٣٠ .

(٣٩٣) الطبري ، تاريخ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٩ ، ص ٤٧ - ٤٨ .

كما كان المنتصر بن المتوكل على الله من هوانها، وقد جاء عن مرضه الذي مات به، انه انصرف من الميدان حيث كان يلعب بالصولجان وهو عرق، فدخل الحام ثم تعرض للهواء، فركبته حتى هائلة<sup>(٣٩١)</sup>.

وبما يتصل بالفروسية سباق الخيل. وكان أكثر الخلفاء في هذا القرن يحضرون ساحة السباق للتفرج على الخيول وهي تسابق بعضها<sup>(٣٩٢)</sup>. ومن دلائل اهتمامهم بالفروسية وسباق الخيل أن خصصت في سامراء عند تأسيسها ساحة مسورة مستطيلة الشكل طولها ٥٣٠ متراً وعرضها ٦٥ متراً، إلى جانب قصر الخليفة. كما نظمت لسباق الخيل حلبة كانت تمتد خلف الدار إلى مسافة خمسة كيلومترات ونصف وتكون منحنيًا مسدوداً منطفاً يبلغ طوله أحد عشر كيلومتراً ونصف الكيلومتر. وقد أقيمت في منتصف القسم الخلفي من سور ساحة الصولجان بناية تطل على هذه الساحة وعلى حلبة السباق، وقد أعدت للخليفة وحاشيته ليتفرجوا منها على السباقات التي تجري على الساحتين<sup>(٣٩٣)</sup>.

## (٢) الصيد

وبما له علاقة بالخيل والفروسية من وسائل اللهو والرياضة في الوقت نفسه، الصيد والقنص. والصيد رياضة تعين على الهضم وتحفظ صحة المزاج، وهي تمرين على الركض والكثرة والعطف، وتصيد على الفروسية، وتمرين على الرمي بالنشاب والضرب بالسيف والدبوس، واختبار للخيول ومعرفة سبقتها وصبرها على دوام الركض<sup>(٣٩٤)</sup>. وكان المعتصم بالله المهج خلفاء سامراء بهذه الرياضة. فقد بنى في أرض دجيل حائطاً طوله عدة فراسخ، وكان هو وحاشيته يجذون الصيد ليدخلوه وراء ذلك الحائط فيصير بينه وبين دجلة فلا يكون له مجال للهروب، فإذا انحصر في ذلك الموضع، دخل المعتصم بالله وحاشيته وتأنقوا في صيد بعض الحيوانات، وأطلقوا الباقي. وكان من جملة ما يصيدونه حينذاك حمار الوحش، وقد وسم الخليفة بعضها وأطلقها لأنه بلغه أنها تعمّر طويلاً<sup>(٣٩٥)</sup>.

وكان الواثق بالله يخرج ليتصيد بالقاطول من الأوز والدراج وطيور الماء وغير ذلك<sup>(٣٩٦)</sup>. كما كان المعتز بالله يمارس هواية الخروج للصيد أيضاً. ويذكر الشاشي خبراً طريفاً عن خروج المعتز بالله مع صديقه ونديمه يونس بن بغا للصيد، ومروهما بأحد الأديرة وإضافتهما<sup>(٣٩٧)</sup>.

(٣٩٤) السعدي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٤، ص ١٣٣.

(٣٩٥) الأصبهاني، الأغاني، ج ٦، ص ٣١١.

(٣٩٦) أحمد سريكة، وفي سامراء في عهد الخلافة العباسية (بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٤٩)،

ص ٥٩.

(٣٩٧) ابن الطقطقي، الفخري في الأدب السلطانية والدول الإسلامية، ص ٤٩.

(٣٩٨) المصدر نفسه، ص ٤٧ - ٤٨.

(٣٩٩) الأصبهاني، الأغاني، ج ٥، ص ٣٩٤، وج ٧، ص ١٥٨.

(٤٠٠) الشاشي، الديارات، ص ١٦٤.

وقد اعتنى الناس بتربية الفهود والكلاب الجيدة الصالحة للصيد. وكانت حلية الجيد من الفهود أن يكون صغير السن، متسع الصدر، صغير الرأس، طويل العنق، واسع العينين مع استدارتهما، كما يستحسن فيه دقة الخصر، ولطف الكف، وبعد ما بين أذنيه. أما الكلب السلوقي فيجب أن يكون صغير الرأس، قصير العنق، عظيم المقلتين، نساء الجبهة عريضها، غليظ المشفر، قصير اليدين، طويل الرجلين، عريض الظهر، دقيق الخصر، في ظهره طول وفي ركبتيه انحناء، والأثني منه كلما لظفت كانت أجود، والذكر كلما كبر كان أبقى<sup>(١٠١)</sup>.

كما عتوا بتربية الجوارح من الطيور، وهي الباز والشاهين والعقاب والصقر. وأجود أنواع الباز الأشهب منه، وقد سمي ملك البوارح، وإذا كان لونه مدبجاً بالحمرة دل على فراسته، ويستحسن أن يكون ضخم المنسر، واسع العينين، رحب دائرة الأذنين، واسع الشدين، غليظ العنق، تام الأجنحة. ويمتاز الشاهين الجيد بخفة الطيران والتحليق البعيد، والشجاعة، وحرصه الشديد على الطريدة فلا تفوته. أما الصقر الجيد فيجب أن يكون أحمر اللون، عظيم الهامة، تام المنسر، طويل العنق، رحب الصدر، عظيم الوسط، قصير الساقين، طويل الجناحين. وكان العقاب يستخدم لصيد الغزلان والثعالب، وأجود أنواعه الجيلي<sup>(١٠٢)</sup>.

وبلغت نفقات أصحاب الصيد وهم الذين يعنون بطيور الصيد وبالفهود والكلاب، وثمن طعام الجوارح وعلاجها، وأرزاق الأعوان والحالين وغيرهم ممن يستخدمهم قصر الخلافة في أيام المعتضد بالله ٢٥٠٠ دينار في الشهر. وكان مجموع ما ينفق على ذلك في أيام التوكل على الله خمسمئة ألف درهم في السنة<sup>(١٠٣)</sup>.

وكان هناك من يمارس هواية الرمي بالبندق لصيد صغار الطيور. وهم يستخدمون القوس لرمي البندق، ويسمى قوس جلاهي<sup>(١٠٤)</sup>. ويقول الجاحظ وكل قوس بندق فإنما جرىء بها من يروض، ومُدح ببرها وصنعها عصفور القواس<sup>(١٠٥)</sup>.

وقد وضعت في القرن الثالث كتب في تربية الجوارح، منها: كتاب الجوارح واللعب بها، للقائد العربي أبي دلف القاسم بن عيسى المعجلي، وكتاب الجوارح، لمحمد بن عبد الله البازيار، وكتاب الصيد والجراح، المنسوب إلى الفتح بن خاقان<sup>(١٠٦)</sup>.

(١٠١) العباسي، آثار الأول في ترتيب الدول، ص ١٣٥ - ١٣٦.

(١٠٢) حول الجوارح وميزاتها، انظر: المصدر نفسه، ص ١٣٧ - ١٤١.

(١٠٣) الصائغ، الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص ٣٤، وابن الزبير، الخواص والتحف، ص ٢٢٠ على التوالي.

(١٠٤) الأصبهاني، الأغاني، ج ٢٣، ص ٢٠١، والوشاء، الموشى أو الظرف والظرفاء، ص ٢٤٨. والجلاهي هو البندق الذي يرمى به.

(١٠٥) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٣، ص ٩٣.

(١٠٦) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٥٢.

١٧٦.

وكان صيد السمك هواية أخرى مارسها كثير من الناس بما يفهم الخلفاء. وكان الواثق بالله أحد هؤلاء الهواة، فكان يخرج إلى دجلة ومعه قصبية فيها شخص يلقيه في النهر، وقد يقضي عامة نهاره في ذلك. وذكر ابن أبي أصيبعة خبراً للواثق بالله مع طبيبه الخالص يوحنا بن ماسويه، وكان خرج معه في أحد أيام خروجه لصيد السمك، يدل على شدة تولعه بهذه الهواية<sup>(٤٠٧)</sup>.

### (٣) السباحة والمصارعة

ومارس بعض الناس من أنواع الرياضة الأخرى السباحة. وكانوا يمارسونها على نطاق واسع حسبما يظهر من تعدد أنواعها. فقد كان هناك أكثر من عشرة أنواع، منها: الغمر، والاستلقاء، والطاوس، والعقري، والموزون، والكامل، والمقيد<sup>(٤٠٨)</sup>.

كما كانت رياضة المصارعة وحمل الأثقال شائعة أيضاً. ذكر أبو المحاسن عن الأمير جيش بن خمارويه أنه انصرف إلى اللهو مع رجلين من عامة العيارين الذين يحملون الحجارة الثقيل، والعمد الحديد، ويعانون الصراع<sup>(٤٠٩)</sup>.

### (٤) تربية الطيور والحيوانات

من وسائل اللهو الأخرى هواية تربية الحمام بأنواعه<sup>(٤١٠)</sup>. وقد كان في دار الطبيب بعثشوش بن جبرائيل أكثر من مئتي طير من الطيوليات والحصانيات والبيضانيات، وما يجري مجراها، ولها مسقاة ماء كبيرة<sup>(٤١١)</sup>. وقد أظهرت التنقيبات التي أجريت في أطلال سامراء أنه كان في كثير من مساكنها عجلات مخصصة لتربية الحمام، يقع بعضها في إحدى زوايا الدار، وبعضها الآخر تحت الدرج. وخصصت في بعض الدور غرف لتربيتها، وقد بنيت على جدرانها أكتان على نظام بديع<sup>(٤١٢)</sup>.

وكان لبعض الخلفاء هواية بتربية الحيوانات الأهلية والوحشية. فقد بنى المعتصم بالله ما يشبه حديقة الحيوان سمي «الحير» ووضع فيه الوحش من النطاء والأياثل والأرانب والنعام وحبر الوحش وغيرها<sup>(٤١٣)</sup>. وهناك من الأختبار ما يشير إلى أنه كان يمضي بعض ساعات لهوه في الحير، يتفرج على الحيوانات ويحارث بينها. وروى محمد بن عبد الملك الزيات، وزير

(٤٠٧) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٠٩.

(٤٠٨) أبو المظهر الأزدي، حكاية أبي القاسم البغدادني، ص ١٠٧.

(٤٠٩) ابن تغري بردي، التجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٣، ص ٨٨.

(٤١٠) العراق، مديرية الآثار القديمة العامة، حفريات سامراء، ١٩٣٦ - ١٩٣٩ (بغداد: مطبعة

الحكومة، [د.ت.])، ج ١، ص ٣١.

(٤١١) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٠٩.

(٤١٢) العراق، مديرية الآثار القديمة العامة، المصدر نفسه، ج ١، ص ٣١.

(٤١٣) البعقوبي، البلدان، ص ٢٦٣.



المتعصم بالله أن المتعصم أبرز للأسد جاموسين فغلبيتاه، ثم أبرز له جاموسة ومعها ولدها فغلبته وحمت ولدها منه وحصنته. ثم أبرز له جاموساً وحده فوائبه ثم أدبر عنه<sup>(١١٤)</sup>.

وقد وسّع المتوكل على الله هذا الحَيَر، وأنشأ فيه حديقة حيوان واسعة، حشد فيها صنوف الطير والحيوانات الأهلية والوحشية، وضع بعضها في أقفاص كبيرة واسعة، وأطلق بعضها ليعيش حراً على طبيعته، وكان يتردد عليها للتفرج على ما فيها من طير وحيوان<sup>(١١٥)</sup>. وقد وصف الشاعر البحتري هذه الحديقة وحيواناتها التي قُدِّر عددها بالفين، ومنها قوله<sup>(١١٦)</sup>:

ملك كملك سليمان الذي خضعت	له البرية: قاصيها ودانيها
وطاعة الوحش إذ جاءتك من خرق	احوى، وأمانة كحل ماقياها
كالسحاب الرود ينفى في ترائبها	ردع العبير ويبعدو في ترائبها
الفان والفت، على قدر، مسارعة	إلى قبول الذي حارلته فيها
إن سرت سارت وإن وقفتها وقفت	صوراً إليك بالحاظ ترائبها
يرغفن منك إلى وجه يَرَيْن له	جلالة، يكثر التسبيح رائبها

ولما تولى المهتدي بالله الخلافة ذبح الكباش والديوك التي كان يُنَاطح بها، ويهارش بينها، بين يدي الخلفاء، وقتل السباع المحبوسة<sup>(١١٧)</sup>.

#### (٥) الشطرنج والرد

وكان من جملة وسائل اللهو عند بعض الناس لعب الشطرنج والرد. ويقال إن الشطرنج وضعه أحد الفلاسفة للملك أراد أن يرى الحرب وتدبيرها وهو في خفص وذعة، فلما وضعه له أعجب به وتعجب منه<sup>(١١٨)</sup>. ولعب الشطرنج يتطلب مهارة ذهنية، وليس لإجادة اللعب فيه نهاية. إذ لا تكاد تتفق فيه لعبتان متجانستان. وقيل عن هذه اللعبة إنها تعلم فن الحرب، وتشجّل اللب، وتدريب الإنسان على التفكير، وتعلمه شدة البصيرة<sup>(١١٩)</sup>.

أما الرد فقد وضع على أساس البخت والرزق، أي أن اللعب به يخضع للتقدير لا للتدبير<sup>(١٢٠)</sup>. وقد شُبّه الحكماء رقعته بالأرض الممهدة لساكنها، وشبّهوا منازل الرقعة، وهي أربعة وعشرون، بساعات الليل والنهار، ويبادقها، وهي ثلاثون، بعدد أيام الشهر،

(١١٤) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ج ٧ (القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٣٨ - ١٩٤٥)، ج ٧، ص ١٣١.  
(١١٥) سريكة، ري سامراء في عهد الخلافة العباسية، ج ٢، ص ٢٩٩.  
(١١٦) أبو عبادة الوليد بن عبيد الله البحتري، ديوان البحتري (بيروت: [د.ن.، د.ت.])، ج ١، ص ٤٥ - ٤٦.

(١١٧) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٤، ص ١٩٠.  
(١١٨) العباسي، آثار الأول في ترتيب الدول، ص ١٣٠.  
(١١٩) التنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة أو جامع التواريخ، ج ٢، ص ٢٧١.  
(١٢٠) العباسي، المضمر نفسه، ص ١٣٠.

واختلاف ألوانها باختلاف بياض النهار وسواد الليل، وأنها أقيمت على أربع مراتب، وهي الفصول الأربعة، وشبهوا اللاعب في اتباعه لما يخرج بفعل العباد في اتباع القضاء<sup>(١٣١)</sup>.

وقال بعض المتكلمين: الشطرنج معتزلي والنرد مجبر، وذلك أن اللاعب بالشطرنج موكول إلى اختياره مع إشارته، والللاعب بالنرد مجبر على ما يخرج به الفضان<sup>(١٣٢)</sup>. على أن لاعب النرد وإن لم يكن مختاراً ولا خارجاً عن حكم الفضين وقضائهما، محتاج إلى أن يكون صحيح النقل وسابقه، صحيح الحساب، حسن الترتيب<sup>(١٣٣)</sup>.

ويظهر أن الفقهاء لم يتخرجوا من لعب الشطرنج أو النرد. فقد سئل ابن سيرين عن اللعب بالشطرنج، فقال: لا بأس به هو رفق. وسئل سعيد بن المسيب عن اللعب بالنرد، فقال: إذا لم يكن قياراً فلا بأس<sup>(١٣٤)</sup>. وسئل أبو العباس شريح القاضي عن اللعب بالشطرنج فقال: إذا سلمت أيديهما من الطغيان ولسانها من العدوان وصلواتها من النسيان، فهو مباح بين الإخوان غير محرّم على الخلان<sup>(١٣٥)</sup>. وكان بعض الفقهاء يلعبون بالنرد<sup>(١٣٦)</sup>. على أن أهل المدينة كانوا إذا خطب إليهم من يلعب بالشطرنج لم يزوجه، زاعمين أنه إحدى الضررتين<sup>(١٣٧)</sup>. وهم يعنون بذلك هو اللاعب وانغماسه فيه مما يصرفه عن الاهتمام بأهله وبيته.

وقد لعب هاتين اللعبتين، الشطرنج والنرد، بعض الخلفاء. فكان الراضي بالله يلعب الشاعر الحسين بن الضحاك بالنرد<sup>(١٣٨)</sup>. وكان المعتز بالله يلعب بالشطرنج لما أتى برأس المستعين بالله، فقال: ضعه هناك، ولما فرغ من لعبه دعا به فنظر إليه ثم أمر بدفنه<sup>(١٣٩)</sup>. كما كان المعتض بالله يلعب بالنرد مع نديمه عبد الله بن أحمد بن حمدون<sup>(١٤٠)</sup>.

كما لعب بهما الوزراء والأمراء وغيرهم. فقد كان الفضل بن الربيع يلعب النرد مع المغني الشهير اسحاق الموصلي<sup>(١٤١)</sup>. وكانت المغنيتان زُيْنُ وشارية تلعبان بالنرد بين يدي إبراهيم بن المهدي، وهو متكئ على شحّة يتفرج عليهما<sup>(١٤٢)</sup>. وكان إبراهيم بن المهدي نفسه

---

(٤٢١) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج ١، ص ٣٤٦.

(٤٢٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٤٧.

(٤٢٣) السعدي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٤، ص ٣٢٧.

(٤٢٤) ابن قتيبة، حيون الأخبار، ج ١، ص ٣٢٣ - ٣٢٤.

(٤٢٥) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج ١، ص ٣٤٥.

(٤٢٦) ابن قتيبة، المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٢٣ - ٣٢٤.

(٤٢٧) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٤٦.

(٤٢٨) الأصبهاني، الأغاني، ج ٧، ص ٢٠١.

(٤٢٩) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ٣٦٤.

(٤٣٠) التنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة أو جامع التواريخ، ج ١، ص ٢٦٦.

(٤٣١) الأصبهاني، الأغاني، ج ٥، ص ٣٤٦.

(٤٣٢) المصدر نفسه، ج ١٦، ص ١١.

يلعب بالشطرنج أحياناً<sup>(٤٣٣)</sup>. وتعتبر عَرِيبُ المغنية الشاعرة التي عاصرت خلفاء سامراء من أمهر لاعبي الشطرنج والنرد، حتى قيل ما رُئيَ ألعب بالشطرنج والنرد منها<sup>(٤٣٤)</sup>.

وكان من المعتاد أن يُلعب بهاتين اللعبتين برهان من الطعام يؤكل بعد اللعب، أو بشيء معين يدفعه المغلوب. قال أبو العيناء: دخلت على عبيد الله بن عبد الله، وكان يوماً صائفاً، وقوم بين يديه يلعبون بالشطرنج، فقال لي: يا أبا عبد الله إننا نلعب في ندب (أي رهان) إلى أن يدرك طعمانا، ففي أي الحزبين تحب أن تكون؟ قلت: في حزب الأمير أيده الله فإنه أعلى وأجس، فقلنا<sup>(٤٣٥)</sup>. وكان إبراهيم بن المدبر الكاتب يلاعب ابن حمدون نديم المتوكل على الله بالنرد، وكان إذا غلب شيئاً دفعه إلى إحدى الجوارى المغنيات<sup>(٤٣٦)</sup>.

وكان الشطرنج والنرد يُلعب بهما في الولائم قبل حلول موعد الطعام كوسيلة للهو وقضاء الوقت، كما كانا يلعب بهما بعد الانتهاء من الطعام إذا استمر الضيوف في المسامرة<sup>(٤٣٧)</sup>.

وذكر ابن النديم عدداً من الشطرنجيين المشهورين، مثل العدلي الذي وضع كتاباً في الشطرنج، والرازي الذي كان يلعب مع العدلي بين يدي المتوكل على الله، وقد صُنف هو الآخر كتاباً في الشطرنج، وأبي بكر محمد بن يحيى الذي صُنف أيضاً كتاباً في الشطرنج<sup>(٤٣٨)</sup>. كما أن الجاحظ صُنف كتاباً في النرد والشطرنج<sup>(٤٣٩)</sup>.

---

(٤٣٣) المصدر نفسه، ج ١٠، ص ١٠٨.

(٤٣٤) المصدر نفسه، ج ٢١، ص ٥٤.

(٤٣٥) الشابشي، الديارات، ص ٨٧.

(٤٣٦) المصدر نفسه، ص ١١.

(٤٣٧) أبو الطاهر الأزدي، حكاية أبي القاسم البغدادي، ص ٩٣.

(٤٣٨) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسياء كتبهم،

ص ٢٢٧ - ٢٢٨.

(٤٣٩) ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء أو طبقات الأدباء،

ج ٦، ص ٧٨.



الفصل الثالث

الأحوال الاقتصادية والمالية



## أولاً: الزراعة

### ١ - الاهتمام بالزراعة

أولت الدولة العربية بعد انتقال عاصمتها إلى بغداد، شؤون الزراعة اهتماماً كبيراً. وكان من الطبيعي أن يتميز هذا الاهتمام لأن الحراج المستوفى عن الأراضي الزراعية يؤلف القسم الأكبر من إيرادات بيت المال. فقد اهتم الخلفاء في بغداد وسامراء، بحفر الأنهر وشق الترع وإقامة السدود والقناطر في الأراضي التي تسقى سيحاً لتأمين المياه الضرورية للمزارع من جهة، ولحمايتها من انحطار الفيضان من جهة أخرى. كما كانت الدولة تشرف على توزيع المياه، وتنفق على إنشاء القنوات والسدود وصيانتها وتستخدم لذلك عدداً كبيراً من المهندسين<sup>(١)</sup>. وكانت القناطر تُبنى عادة بالأجر والثورة والجص<sup>(٢)</sup>. أما في السواد فكانت تتخذ من القصب والتراب<sup>(٣)</sup>، وكانت تقام في وجوه المياه الجارية لحماية الأراضي من طغيان المياه عند فيضانها.

وكان من أوائل المشاريع الإروائية التي أُقيمت في عهد العباسيين في العراق تلك التي أقامها الخليفة أبو جعفر المنصور عند تأسيسه مدينة بغداد. فقد حفر قناة تأخذ الماء من نهر كرخايا الأخذ من الفرات، فتدخل المدينة وتنفذ في أكثر شوارعها وأرياضها، وقد هندست

(١) عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري (بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٤٨)، ص ٥١.

(٢) أبو علي أحمد بن محمد مسكويه، تجارب الأمم، نسخة وصّحها هـ. ف. أمدرود (مصر: مطبعة شركة التمدن الصناعية، ١٩١٤)، ج ٢، ص ٤٠٦.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٩٦ - ٢٩٧.

بحيث لا ينقطع ماؤها صيفاً ولا شتاء، وجرت قناة أخرى من دجلة على هذا المثال وسماها دجيل، كما جرت لأهل الكرخ وما اتصل به نهراً يقال له نهر الدجاج، وقد سمي بهذا الاسم لأن باعة الدجاج كانوا يقفون عنده، ونهراً آخر إلى جانب نهر عيسى الأعظم الذي يأخذ مياهه من الفرات، سمي نهر طابق، فتدفقت المياه، وغرس الناس النخل الذي حمل من البصرة، وأنشأ الأشجار، فأثمرت الثمر العجيب، فكثرت البساتين والجنان في أرباض بغداد من كل ناحية لتوفر المياه<sup>(٤)</sup>. وصار ما بين بغداد والكوفة سواداً تشتبك فيه الأنهار التي تنحدر من الفرات<sup>(٥)</sup>.

وعندما بنى المعتصم بالله مدينة سامراء اهتم بالزراعة وشؤون الري. وكان يطبعه حب عمارة الأرض وكان يقول إن فيها أموراً محمودة فأولها عمران الأرض التي يحياها العالم وعليها يزكو الحراج وتكثر الأموال، وتعيش البهائم، وترخص الأسعار، ويزكو الكسب ويتسع المعاش. وكان يقول لوزير محمد بن عبد الملك الزيات «إذا وجدت موضعاً متى أنفقت فيه عشرة دراهم جاني بعد ستة أحد عشر درهماً فلا تؤامرني فيه»<sup>(٦)</sup>.

ولما كانت أراضي الجانب الشرقي من سامراء مرتفعة عن مستوى نهر دجلة مما يتعدى منه إنشاء المزارع والبساتين لصعوبة رفع المياه لريها، بعكس الجانب الغربي حيث الأرض منخفضة بالنسبة إلى مستوى النهر، فقد أمر بإحياء نهر الإسحاق، وهو نهر قديم مندرس يأخذ مائه من دجلة جنوبي مدينة تكريت، ويجري بموازاة دجلة من الغرب، ثم يعود فينتهي إليها جنوبي سامراء، بعد أن يروي بحدوده المتعددة الجانب المذكور من المدينة. وقد قسم النهر فرعين رئيسيين شبلي معسكر الجيش المسمى الاصطبلات، فيروي الفرع الشرقي منه المعسكر ثم ينتهي في مجرى نهر الدجيل. أما الشطر الغربي فيروي الأراضي التي بين دجلة والفرات ثم ينتهي بين الكتيبان الرملية. وكان الغرض الأساسي من إنشاء الإسحاق توفير المياه للمعسكر، إلا أنه صار محور العمران في الجانب الغربي من سامراء، إذ انتقل إلى هذا الجانب كثير من الناس وحفروا الجداول العديدة منه، وأنشأوا المزارع والبساتين، وقام عليه عديد من القرى. وكان المعتصم بالله قد أقدم من كل بلد من يعمل عملاً من الأعمال، أو يعالج مهنة من مهن العمارة والزراعة، كزراعة النخل والغرس ومعرفة هندسة الماء ووزنه واستنباطه، والعلم بمواضعه من الأرض<sup>(٧)</sup>، للإفادة منهم في تنظيم شؤون الري واستنباط المياه، وتوزيعها.

وعندما علم المعتصم بالله أن نهراً في بلاد الشاش كان قد اندثر في صدر الاسلام أنفق

(٤) أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، البلدان (لندن: مطبعة بريل، ١٨٩٢)، ص ٢٥٠ - ٢٥١.

(٥) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الكرخي الإصطخري، الأقاليم (نشره مولر سنة ١٨٣٩)، ص ٤٨.

(٦) أبو الحسن علي بن الحسين السمرقاني، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط ٥ [د.ن. : د.ن.]، ١٩٦٧، ج ٤، ص ٤٧.

(٧) اليعقوبي، البلدان، ص ٢٦٤.



ألقي درهم لكرويه وإحيائه<sup>(٨)</sup>. وكانت مدينة الرملة تعتمد في مياهها على آبار نظمت منها قنوات، ينفق عليها الخلفاء من باب البر والإحسان، فأمر المعتصم بالله بأن تكون النفقة عليها من بيت المال، فصارت نفقتها جارية يقوم بها العمال سنوياً<sup>(٩)</sup>.

ولم تقتصر عناية الدولة على توفير المياه وتوزيعها وصيانة الترع والجداول، بل شملت تخفيف العبء عن المزارعين. فخفضت الضرائب الزراعية، بل إنها ألغت الضرائب النقدية على بعض المحاصيل فأخذ منها عيناً وذلك بنسبة معينة من الغلة، أي أنها اتبعت طريقة مقاسمة الحاصل، وما لم يزرع من الأرض فلاخراج عليه. وقد بدأ بهذه السياسة أبو جعفر المنصور، ثم استقرت في عهد ابنه المهدي الذي عمّمها على جميع المزروعات والمغروسات وجعل الضريبة الزراعية تجبى دائماً بالنسبة إلى المحصول<sup>(١٠)</sup>. وقد اختلفت نسبة المقاسمة باختلاف ري الأرض، فما يسقى سيجاً منها يكون خراجها نصف الغلة، وما يسقى بالبدائي ثلث الغلة، وما يسقى بالذوالب ربعها<sup>(١١)</sup>. كما أعيد النظر في النسبة المذكورة وخفضت في أيام المأمون الذي أمر بمقاسمة أهل السواد على الخمسين وكانوا يقاسمون على النصف<sup>(١٢)</sup>. وكانت بعض الأراضي عشيرة الخراج<sup>(١٣)</sup>.

وكانت الدولة تسعى لتوسيع رقعة الأرض الزراعية، فكانت تُقطع بعض رجاها ممن يقومون بخدمات مهمة قطائع من الأرض يعمرونها بالزراعة مكافأة لهم، وعليهم أن يؤدوا بعض الضرائب ويقوموا بتصليح القنوات والسدود التي تقع في أراضيهم.

ومن مظاهر اهتمام الخلفاء بأمور الزراعة والعاملين فيها أن المتوكل على الله بينا كان يطوف في متصيد له رأى زرعاً لم يدرك بعد ولم يُستحصد، فقال: استأذني عبيد الله بن يحيى في فتح الخراج، وأرى الزرع أخضر فمن أين يعطى الناس الخراج، فقبل له إن هذا قد أضمر بالناس فهم يقترضون ويتسلفون، وينجلون عن أراضيهم، وكثرت شكاياتهم فقال: هذا شيء أحدث في أيامي أم لم يزل كذلك؟ فقبل له بل هو جار. ويعود سبب ذلك إلى أن موسم الجباية كان يبدأ بحلول النوروز من السنة الفارسية، ونظراً لمنع العرب كبس السنين باعتباره من النسيء الذي نهى الإسلام عنه، فقد صار النوروز يتقدم سنة بعد أخرى. فأمر

(٨) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ذخائر العرب، ٣٠ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٠ - ١٩٦٨)، ج ٩، ص ١٧١.

(٩) أحمد بن محمد بن الفقيه المجلاني، مختصر كتاب البلدان، المكتبة الجغرافية العربية؛ ٥ (لندن: مطبعة بريل، ١٨٨٥)، ص ١٠٢.

(١٠) محمد الحضرى، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية: الدولة العباسية، ط ٣، ج ٣ (القاهرة: مطبعة مصطفى محمد، [د.ت.ا.])، ج ٣، ص ١٠٠.

(١١) جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ٥ ج (القاهرة: دار الهلال، ١٩٢٢)، ج ٢، ص ٨٢.

(١٢) الميرون والحدائق في أخبار الحقائق، تحقيق نبيلة عبد المنعم دارد، ٤ ج (النجف: مطبعة النعمان، ١٩٧٢)، ج ٣، ص ٢٥٩، ومحمد بن علي بن طباطبا بن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية (مصر: مطبعة الموسوعات، ١٨٩٩)، ص ١٩٨.

(١٣) الإصطخري، الأقاليم، ص ٤٥.

المتوكل على الله ابراهيم بن العباس الصولي، وكان على ديوان الخراج، أن يجعل للجباية موعداً غير متغير وينشئ كتاباً إلى بلدان المملكة في تأخير موسم الجباية، وقد عزم الخليفة على تأخيره إلى اليوم السابع عشر من حزيران من السنة الشمسية، إلا أنه قتل فلم يتم تدبيره.

ولما تورط المعتضد بالله الخلافة أخذ بما حاوله جده، فأمر بترك افتتاح الخراج في النوروز الفارسي وأخره إلى الحادي عشر من حزيران/ يونيو من السنة الشمسية، فخرج أمره في المحرم من سنة ٢٨٠هـ بإنشاء الكتب إلى جميع العمال في النواحي والأمصار بأن يجعل افتتاح الخراج في التاريخ المذكور<sup>(١٤)</sup>. وكان إصلاح التقويم هذا اقتصر على العراق والأقاليم الشرقية، أما مصر فقد بقيت جبايتها على الحساب القبطي، كما استمرت بلاد الشام على الحساب الرومي.

## ٢ - الحاصلات الزراعية

كانت الدولة العربية قد بلغت أقصى اتساعها في القرن الثالث، ولذا اختلفت حاصلاتها الزراعية بين مختلف أقاليمها بحسب الموقع الجغرافي للأقليم ونوع تربته وتوفر المياه فيه. وكانت أهم الحاصلات الزراعية الحبوب بأنواعها كالحنطة والشعير والذرة والرز، ثم التمر، والكرام، والزيتون، والقطن، والكتان، وقصب السكر، والنيل، والزعفران، وتختلف أنواع الفواكه. وكانت الحنطة والشعير يزرعان في معظم الأقاليم حيثما تتوفر المياه. وفي الأماكن قليلة المياه يزرعان اعتماداً على المطر. وقد امتاز العراق بخصب تربته وفرة مياهه، فكانت الحنطة والشعير أهم حاصلاته الزراعية وهما يزرعان في معظم انحاءه. واشتهرت أواسط البلاد والجزيرة، وبخاصة منطقة الموصل، بزراعتها<sup>(١٥)</sup>. ويقول المقدسي إن الجزيرة والموصل كانت منها أكثر ميرة العراق<sup>(١٦)</sup>. وكانت في الموصل مطاحن تعرف بالعروب يقل نظيرها، قائمة في وسط ماء شديد الجريان وسط دجلة، وهي تتخذ من الخشب والحديد، وفي كل عربة منها أربعة أحجار، ويطحن كل حجرين في اليوم والليلة خمسين وقرأ من الحبوب<sup>(١٧)</sup>. واشتهرت واسط بزراعة الشعير<sup>(١٨)</sup>. وتعتمد الزراعة في العراق على مياه

- 
- (١٤) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ١٠، ص ١٣٩، أبو الريحان محمد بن أحمد البيهقي، الآثار الباقية عن القرون الخالية، تحقيق ادوارد سبخار (ليبسك: ادوارد سبخار، ١٩٣٣)، ص ٣١ - ٣٢، وأبو العباس أحمد بن علي المقرئ، المخطط القرطبية للمسألة بالمواضع والاعتبار بذكر الخطوط والآثار يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل وذكر القاهرة وما يتعلق بها وإقليمها، ج ٢ (مصر: مطبعة بولاق، ١٨٥٤)، ج ١، ص ٢٧٣ - ٢٧٥.
- (١٥) أبو القاسم محمد بن علي الموصلي بن حوقل، صورة الأرض (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦٤)، ص ١٩٦ - ١٩٧.
- (١٦) أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (لندن: مطبعة بريل، ١٩٠٦)، ص ١٣٦.
- (١٧) ابن حوقل، المصدر نفسه، ص ١٩٨.
- (١٨) مسكويه، مجارب الأمم، ج ١، ص ٢٩٤.

الرافدين، وأكثر الأراضي حولها تُسقى سباحاً. أما الأماكن المرتفعة من ضفافها فكانت تُسقى بواسطة الآلات الرافعة، وهي متعددة، منها الدولاب والدالية والزرنوق والناعورة<sup>(١٩)</sup>. أما المناطق الشمالية كسفوح الجبال والجزيرة فكانت تعتمد في رطبها على الأمطار.

كما كان هذان المحصولان الرئيسيان يزرعان في عُمان<sup>(٢٠)</sup>، ويزرعان في مصر، وقد اشتهرت الفيوم وطحا بالقمح الموصوف بالجودة<sup>(٢١)</sup>. وفي مدينة يشمور بصعيد مصر كان يزرع نوع من القمح يعرف باليوسفي المجزّع<sup>(٢٢)</sup>، ولاعتدال مناخ اليمن فقد كانت الحنطة والشعير والأرز تدرك أكثر من مرة في السنة<sup>(٢٣)</sup>.

واشتهرت خوزستان من الأقاليم الشرقية بزراعة هذه المحاصيل<sup>(٢٤)</sup>. كما اشتهرت من مناطق المغرب طبرقة ويونة ووهرا ن بزراعتها<sup>(٢٥)</sup>.

أما الذرة فقد اقتصرت زراعتها على المناطق الجافة، مثل جنوبي جزيرة العرب كزبيد. في اليمن، وفي بلاد النوبة، وأطراف الأهوار في جنوبي العراق وأواسطه، وفي كرمان من الأقاليم الشرقية<sup>(٢٦)</sup>. وفي سجلماسة بالمغرب حيث تزرع هي والدخن على الأمطار وكذلك في زويلة<sup>(٢٧)</sup>. وفي مدينة طحا بمصر، وهي مشهورة بكثيراتها الكبيرة التي يسميها المصريون البواقيل<sup>(٢٨)</sup>.

وكان الرز يزرع في المناطق غزيرة المياه كالعراق، إذ كان يزرع في الأماكن المنخفضة وأطراف الأهوار قرب الكوفة، وفي منطقة البطيحة وواسط<sup>(٢٩)</sup>. كما كان يزرع في مصر، إذ كانت تجود زراعتها في الفيوم والواحات الخارجة<sup>(٣٠)</sup>. وكان يزرع كذلك في أريحا وبيسان في فلسطين<sup>(٣١)</sup>. ويزرع في إقليم خوزستان، وأهلها يطحنونه ويخبزونه باعتباره غذاءهم

---

(١٩) أبو عبد الله محمد بن أحمد الخوارزمي، مفاتيح العلوم (القاهرة: دار الطباعة النصرية، ١٩٢٣)، ص ٤٦.

(٢٠) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٨٠.

(٢١) اليعقوبي، البلدان، ص ٣٣١.

(٢٢) المصدر نفسه، ص ٣٣٢.

(٢٣) أحمد بن عمر بن رسته، الأعلاق النقيصة، المكتبة الجغرافية العربية؛ ٧ (لندن: مطبعة بريل، ١٨٩١)، ص ١٠٩.

(٢٤) الإصطخري، الأقاليم، ص ٥٢ - ٥٣.

(٢٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٧٦ - ٧٧ و ٧٩.

(٢٦) المصدر نفسه، ص ٨٥ و ٤٧٠.

(٢٧) اليعقوبي، البلدان، ص ٢٥٣.

(٢٨) المصدر نفسه، ص ٣٣١.

(٢٩) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ص ٥٧.

(٣٠) اليعقوبي، المصدر نفسه، ص ٣٣٢، المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٢٠٨.

(٣١) المقدسي، المصدر نفسه، ص ١٨٠.

الرئيس<sup>(٣٢)</sup>. وفي بلاد ما وراء النهر كان يزرع في الشاش وبلغ<sup>(٣٣)</sup>. ويزرع كذلك في طبرستان<sup>(٣٤)</sup>.

أما التمر، فلين العراق كان ولا يزال يعتبر البلد الأول في إنتاجها. فكانت بساتين النخيل تغطي مساحات شاسعة من أراضيها، إذ تجود زراعته من البصرة جنوباً حيث تكثر أشجاره فيها حتى شمالي بغداد عند خط يمتد بين القادسية على دجلة وهي على الفرات<sup>(٣٥)</sup>. وكان نخيل البصرة متصلاً من عبداسي إلى عبادان على امتداد خمسين فرسخاً لا يكاد يرى الإنسان فيه مكاناً إلا نهراً أو نخيلاً<sup>(٣٦)</sup>. وكان نهر الأبله، وهو بين البصرة والأبله وطوله أربعة فراسخ، تقوم على صفتيه البساتين المتصلة كأنها بستان واحد<sup>(٣٧)</sup>. وبما ساعد على تكاثف بساتين النخيل في البصرة سهولة رباها، فإن المد والجزر، كما يقول المقدسي، نعمة على أهل البصرة يزودهم بالماء في كل يوم وليلة مرتين، ويدخل الأنهار ويسقي البساتين، ويحمل السفن إلى القرى، فإذا جَزَر أفاد أيضاً في عمل الأرحية لأنها على أفواه الأنهار، فإذا خرج الماء أدارها<sup>(٣٨)</sup>. وكانت تمر العراق وهي أجود الأنواع تحمل إلى أقطار عديدة. والنخل في العراق كثير الأجناس وخاصة في البصرة. وقد ذكر أنهم أحصوا أصناف النخيل في أيام المعتصم بالله فإذا بها ثلاثمائة وستون ضرباً<sup>(٣٩)</sup>. وقد سعى المقدسي من أجناس تمر البصرة على أيامه تسعة وأربعين جنساً<sup>(٤٠)</sup>.

كما كانت أشجار النخيل تكثر بمصر في الواحات الخارجية<sup>(٤١)</sup>. وكانت أكثر أموال أهل يثرب النخيل ومنها معاشهم وأقواتهم<sup>(٤٢)</sup>. وكذلك كانت بساتين النخيل كثيرة متكاثفة في عُمان وفي الأحساء وفي تيماء<sup>(٤٣)</sup>. وكان النخل يزرع أيضاً في أنحاء متفرقة من إفريقيا والمغرب. فكانت بالقرب من برقة مدينتان يقال لأحدهما جالو، وللأخرى ودان، يكثر النخل والتمر القسب الذي لا شيء أجود منه، وفي ودان خاصة أجناس مختلفة من التمر<sup>(٤٤)</sup>. كما اشتهرت مدينة فاس ومدينة زويلة بكثرة نخيلها<sup>(٤٥)</sup>.

(٣٢) الممذاني، مختصر كتاب البلدان، ص ٢٥٣.

(٣٣) المقدسي، المصدر نفسه، ص ٣٢٤ - ٣٢٥.

(٣٤) المصدر نفسه، ص ٣٥٤، والإصطخري، الأقاليم، ص ٨٩ و ٩٢.

(٣٥) الإصطخري، المصدر نفسه، ص ٨٣.

(٣٦) المصدر نفسه، ص ٤٥، وابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢١٢.

(٣٧) الإصطخري، المصدر نفسه، ص ٤٦.

(٣٨) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٢٤ - ١٢٥.

(٣٩) الممذاني، مختصر كتاب البلدان، ص ٢٥٣.

(٤٠) المقدسي، المصدر نفسه، ص ١٣٠ - ١٣١.

(٤١) المصدر نفسه، ص ٢٠٦، واليعقوبي، البلدان، ص ٣٣٢.

(٤٢) اليعقوبي، المصدر نفسه، ص ٣١٣.

(٤٣) المقدسي، المصدر نفسه، ص ٩٣ و ٢٥٢.

(٤٤) اليعقوبي، المصدر نفسه، ص ٣٤٥.

(٤٥) المصدر نفسه، ص ٣٤٥، والمقدسي، المصدر نفسه، ص ٢٣٩.

وفي الأقاليم الشرقية كانت أشجار النخيل كثيرة في خوزستان، وكرمان، وسجستان. ويقول المقدسي إنه ليس أحلى من تمر كرمان وهو لا يمكن أن يؤكل نيئاً لشدة حلاوته وإنما يصلح للعصائد، ويعدّ ستة من أجناس التمور فيها منسوبة إلى مصادرها الأصلية كالمديني والمعلقي والصيحان وآزاد الكوفة<sup>(٤٦)</sup>.

ولما كان الزيتون من نباتات البحر المتوسط فقد كثرت زراعته في بلاد الشام وشمال إفريقيا، إذ انتشرت أشجاره في دمشق وفلسطين حيث كانت مدن نابلس وطبريا وعكا كثيرة الزيتون ومنها يُصدّر زيت<sup>(٤٧)</sup>. وكذلك كان يزرع في مدينة الرقة ويستخدم زيتُه في صناعة الصابون فيها، وينقل منها إلى عدة بلدان<sup>(٤٨)</sup>. كما كانت تكثر زراعته في منطقة قسطنطينية على مقربة من مدينة القيروان<sup>(٤٩)</sup>، وفي تمودة قرب باجة، وفي مكنة وقبيشة، وفي مدينة بنونش التي كان فيها ثلاثمائة وستون معصرة للزيت<sup>(٥٠)</sup>، وفي قابس وسفاقس<sup>(٥١)</sup>. وكان زيت الزيتون يصدّر من بلاد المغرب إلى بلدان عديدة<sup>(٥٢)</sup>. كما كان الزيتون يزرع في بعض الأقاليم الشرقية التي يلائمها جوها كخوزستان، وجرجان بإقليم الديلم<sup>(٥٣)</sup>.

وكان قصب السكر تكثر زراعته في المناطق الملازمة له من حيث المناخ ووفرة المياه. فكان يزرع في العراق بكثرة وبخاصة في البطيحة وحوالي البصرة وفي سنجار<sup>(٥٤)</sup>. ويزرع كذلك في صور من بلاد الشام، وفي اليمن، وفي مصر<sup>(٥٥)</sup>، وفي خوزستان التي يقول المقدسي إن كل سكر ينقل إلى العراق وغيره من البلدان يحمل من هذا الإقليم<sup>(٥٦)</sup>، وفي إقليمي كرمان وطبرستان وفي مدينة بلخ<sup>(٥٧)</sup>، وفي المنصورة بإقليم السند حيث كان يصنع منه القند الكثير<sup>(٥٨)</sup>.

أما القطن فكانت زراعته تجود في سواد العراق، وأرض الجزيرة وبخاصة في رأس العين وفي حرّان. وكانت عرابان مركزاً لتجميع قطن الجزيرة ومنها ينقل إلى الموصل

(٤٦) المقدسي، المصدر نفسه، ص ٤٠٢، ٤٠٧، ٣٢٤ و٤٧٠، والإصطخري، الأقاليم، ص ٧٣.

(٤٧) المقدسي، المصدر نفسه، ص ١٦٢، ١٧٤ و١٨٠.

(٤٨) المصدر نفسه، ص ١٤١ و١٤٥.

(٤٩) اليعقوبي، البلدان، ص ٣٥٠.

(٥٠) المقدسي، المصدر نفسه، ص ٢٢٧.

(٥١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٧٢-٧٣.

(٥٢) المقدسي، المصدر نفسه، ص ١٤١ و١٤٥.

(٥٣) المصدر نفسه، ص ٣٥٧، ٣٥٤ و٤٠٧.

(٥٤) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ص ٥٩.

(٥٥) المقدسي، المصدر نفسه، ص ١٨٠، وابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص ١١١.

(٥٦) المصدر نفسه، ص ٤٠٨ و٤١٦.

(٥٧) الإصطخري، الأقاليم، ص ٧٤ و٩٢.

(٥٨) المصدر نفسه، ص ٧٦، وابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢٧٧.

وغيرها<sup>(٥٩)</sup>، كما كان يزرع في حلب، وفي فلسطين لا سيما في بيت المقدس<sup>(٦٠)</sup>. أما في شمال أفريقيا فكان يزرع في تونس ويحمل منها إلى القيروان<sup>(٦١)</sup>. وفي اليمن كان قطن صعدة وصنعاء يضرب به المثل لصفرة في لونه<sup>(٦٢)</sup>. كما كان يزرع في أكثر الأقاليم الشرقية وبخاصة كرمان، وطبرستان، حيث كان يحمل منها إلى بلدان أخرى<sup>(٦٣)</sup>.

واشتهرت مصر وبلاد المغرب بزراعة الكتّان، فكان يزرع في بوصير بمصر، وفيها تصنع منه الأنسجة الرفيعة، وفي وادي شلف قرب تاهرت<sup>(٦٤)</sup>.

وكان النبل الذي يستخرج منه الصبغ الأزرق للملابس، يزرع في زبيد باليمن وكان لا نظير له كأنه لازورد، وفي أرميا وبيسان بفلسطين<sup>(٦٥)</sup>. كما كان يزرع بكابل، ويعتبر نيلها أجود الأنواع «ويباع بها من النبل في كل حول مما يعمل بقصبتها دون الباقي منه بأيدي التجار على ما يذكر تجارهم بالنبل ألف دينار وزائد»<sup>(٦٦)</sup>.

واشتهرت مدينة لُربس بالمغرب بالقرب من باجة بزراعة الزعفران، وكانت فيها مزارع واسعة له، كما كان يزرع بإفريقيا<sup>(٦٧)</sup>. ويزرع كذلك في سومان قرب الصغانيان في ما وراء النهر، وفي مدينة باب الأبواب بأرمينيا<sup>(٦٨)</sup>. ويزرع في اصفهان، وكان ينبت فيها أجود أنواعه رائحة وصبغاً بحيث يفضل على ما في سائر المواضع منه<sup>(٦٩)</sup>. ويزرع كذلك في همدان بإقليم الجبال.

وما يشبه الزعفران في لونه واستخدامه في الصبغ المُصَفَّر، وكان يزرع في المغرب في وادي شلف قرب تاهرت<sup>(٧٠)</sup>، وكان يزرع في اليمن نبات يشبه العصفري يسمى الوُرس<sup>(٧١)</sup>.

وقد انتشرت أشجار الفاكهة في مختلف الأقاليم، ورغم تعدد أنواعها في معظم الأنحاء فإن بعض الأقطار أو المدن اشتهرت بنوع معين منها. وكانت الكروم أكثر ما يزرع من

(٥٩) الإصطخري، المصدر نفسه، ص ٤١.

(٦٠) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٨٠.

(٦١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٧٥.

(٦٢) المصدر نفسه، ص ٣٢٣.

(٦٣) المصدر نفسه، ص ٣٢٣، والإصطخري، الأقاليم، ص ٧٤.

(٦٤) الحملائي، مختصر كتاب البلدان، ص ٦٩، واليعقوبي، البلدان، ص ٣٥٨.

(٦٥) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٧٨ و ٩٨.

(٦٦) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٣٧٥.

(٦٧) المقدسي، المصدر نفسه، ص ٢٢٧ و ٢٣٩.

(٦٨) الإصطخري، الأقاليم، ص ٨٠ و ١١٥.

(٦٩) ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص ١٥٧.

(٧٠) البقوي، البلدان، ص ٣٥٨، وابن حوقل، صورة الأرض، ص ٧٥.

(٧١) الإصطخري، الأقاليم، ص ١٣.

الفواكه<sup>(٣٣)</sup>. ويظهر أن مناخ اليمن كان ملائماً جداً لزراعتها، وكان العنب فيها يدرك مرتين في السنة، وفيها قريب من سبعين نوعاً منه، وفي صنعاء نوع حَبَّته كبيرة الحجم يسمى المختم<sup>(٣٤)</sup>. وكذلك تعددت أنواعه في العراق، فقد اشتهر منها الملاحى ببغداد، والسراوى والخمري بقطر، والصقلي والأحر بسمراء والزراوى بالكوفة، والحلاوى والجرشي بالبصرة<sup>(٣٥)</sup>. واشتهر نوع في الشام يسمى عيون البقر<sup>(٣٦)</sup>. كما كانت زراعة الكروم تجود بفلسطين عند البحر الميت، وفي منبج قرب حلب، وفي نصيبين بإقليم الجزيرة<sup>(٣٧)</sup>. وقد أسهب ابن الفقيه في تعداد أصناف الكروم وخصائصها ومنافعها في معالجة بعض الأمراض، وهو يعتبر العنب سيد الثمار<sup>(٣٨)</sup>.

وكان شبالي إقليم الجزيرة، لا سيما منجار ونصيبين والرجبة، غنياً بأشجار اللوز والجوز والشاه بلوط والتين، والرمان الذي كان يجفف حبه ويحمل إلى مدن أخرى<sup>(٣٩)</sup>. وفي القرن الثالث نقل الأترنج والناونج إلى العراق من الهند فجادت زراعتها فيه، وقد قلما في المادب التي أقيمت في احتفالات ختان المعتز بالله<sup>(٤٠)</sup>. ويظهر مما ذكره القاضي التنوخي المتوفى سنة ٣٨٤ أن اليمون كان على أيامه يزروع في بعض بساتين البصرة، إلا أنه قليل جداً<sup>(٤١)</sup>. وكان الموفق بن المتوكل على الله إذا جلس للشراب يقدم إلى جلسائه النارنج<sup>(٤٢)</sup>. ويقول القرظي نقلاً عن المسعودي إن النارنج والأترج حملاً من أرض الهند بعد الثلاثمائة وزرعاً بعمان، ثم نقل إلى العراق والشام حتى كثر في دور الناس بقرسوس وانطاكية وغيرها من الثغور الشامية، وفي سواحل الشام وفلسطين ومصر<sup>(٤٣)</sup>. إلا أن تقديمها في حفلات ختان المعتز، واعتاد الموفق على تقديم النارنج لنعمائه في أواسط القرن الثالث قد يكون دليلاً على

- 
- (٧٢) آدم من: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ترجمة عماد عبد الهادي أبو رييدة، ج ٢ (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٠)، ج ٢، ص ٢٥٥.
- (٧٣) ابن رسته، الأعلام النقيصة، ص ١٠٩ و ١١١.
- (٧٤) الممداني، مختصر كتاب البلدان، ص ١٢٥.
- (٧٥) المصدر نفسه، ص ١٢٦.
- (٧٦) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٦٦، ١٦٩ و ١٩٤.
- (٧٧) الممداني، المصدر نفسه، ص ١٢٣ - ١٢٦.
- (٧٨) ابن حوقل، المصدر نفسه، ص ١٩٩، والمقدي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٤٥.
- (٧٩) أبو الحسن علي بن عماد الشافعي، الديارات، تحقيق كوركيس عواد، ط ٢ (بغداد: مكتبة المتن، ١٩٦٦)، ص ١٥٢.
- (٨٠) للحسن بن علي التنوخي، الفرج بعد الشدة (القاهرة: دار الطباعة المحمدية، ١٩٥٥)، ج ٤، ص ١٥٨.
- (٨١) أبو العباس أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق نزار رضا (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦٠)، ص ٢٧٦.
- (٨٢) القرظي، الخطط القرظية المسماة بالمواظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار يخصص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها، ج ١، ص ٢٨.

أنها كانا يزهران في العراق قبل التاريخ المذكور، إلا إذا كان ما قدم في ختان المعتر ومجالس الموقف مجلوباً من خارج العراق.

لقد اشتهرت بلاد اليمن بفواكهها المختلفة كالتفاح والشمش والاحصاص والخوخ والكمثرى، إضافة إلى العنب، كما كانت تزرع فيها أشجار اللوز والجوز والفسق، وأشجار الرمان والموز والسفرجل، وكذلك زرع فيها الأترج فجاء نوعه وكان كبير الحجم حلو الطعم<sup>(٨٢)</sup>.

واشتهرت من مدن الجزيرة العربية الطائف بكثرة الفواكه كالرمان والعنب والزبيب، وكانت الجرب بلاد الموز، وصحار قصبة عُمان سميت بلد الفواكه والخيرات<sup>(٨٣)</sup>.

كما اشتهرت بلاد الشام بكثرة فواكهها وتعدد أجناسها ولا سيما الكروم والتفاح الذي كان يهود نوعه في الشام وفي بيت المقدس، وكان يسمى الشامي، وكذلك كان يكثر فيها التين واللوز والجوز والشاه بلوط<sup>(٨٤)</sup>.

واشتهرت الأقاليم الشرقية بفواكهها المتعددة، فقد اشتهرت مدينة اصطخر بتفاحها، وجادت زراعة الأترج والنارنج بخوزستان وكرمان وطبرستان<sup>(٨٥)</sup>. وكان البطيخ في مدينة مرو يقَدَّد ويحمل إلى سائر البلدان، وكان يحمل في أوانه إلى الخلفاء ببغداد وسامراء، لشدة حلاوته ولذة طعمه وطيب نكهته، وذلك في قدور نحاس<sup>(٨٦)</sup>.

أما في إقليم السند فقد اشتهرت المنصورة بالليمون الحامض وهو بحجم التفاح حامض المذاق جداً، ويقول المقدسي إن الليمونة منه تشبه ثمرة الشمش وهي حامضة جداً، وإن بها نوعاً آخر من الليمون شبيه بالخوخ يسمونه الأنبيج وهو لذيق الطعم<sup>(٨٧)</sup>. كما كان يكثر الموز واللوز والجوز في مدينة وَهيد<sup>(٨٨)</sup>.

وقد أشرنا إلى كثرة النخيل في مصر، إلا أنها كان فيها إلى جانب ذلك أنواع أخرى من الفاكهة، منها الجميز وهو أصغر من التين، والموز وهو على مقدار الخيار، عليه قشر رقيق وله حلاوة وعفوصة، والترمس وهو على قدر الظفر يؤكل يابساً محلى أو مملحاً<sup>(٨٩)</sup>. وكان يهود فيها

(٨٢) ابن رسته، الأعلام النفيسة، ص ١١١.

(٨٣) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٧٩، ٨٦ و ٩٢، والإصطخري، الأقاليم، ص ١٤.

(٨٤) المقدسي، المصدر نفسه، ص ١٤٥ و ١٨٠.

(٨٥) الإصطخري، المصدر نفسه، ص ٥٤، ٦٦ و ٧٤ و ٩٢.

(٨٦) المصدر نفسه، ص ١٠٨؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٣٦٥، والمملائي، مختصر كتاب

البلدان، ص ٢٥٤ - ٢٥٥.

(٨٧) الإصطخري، المصدر نفسه، ص ٧٦، والمقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٤٨٢.

(٨٨) المقدسي، المصدر نفسه، ص ٤٨٠.

(٨٩) المصدر نفسه، ص ٢٠٤.



الأترج كبير الحجم، واشتهر فيها نوع من البطيخ يسمى العبدلي، وصنف من الليمون يقال له التفاحي يؤكل بغير سكر لقلته حموضته، ولذته طعمه، وأنواع عديدة من التفاح منها القاسمي والسكي، ونوع من الخوخ يسمى الزهري<sup>(٩١)</sup>.

ومن بلدان ما وراء النهر اشتهرت بخارى بفواكهها التي كانت أصح وألذ طعماً من بقية فواكه ما وراء النهر<sup>(٩٢)</sup>. وجادت زراعة الأترج في مدينة بلخ، وكذلك بقية الفواكه كالكروم والمان والتين واللوز والجوز<sup>(٩٣)</sup>. واشتهرت بعض قرى فرغانة بوفرة أشجار الجوز فيها، حتى ربما وجدت ألف جوزة بدرهم واحد<sup>(٩٤)</sup>.

### ٣ - تربية الحيوانات

تعتبر تربية الحيوانات الداجنة من مميزات الحياة الزراعية، فحيث توسعت الزراعة نشطت معها تربية الدواجن والأنعام وحيوانات الحمل والركوب. وكانت تربية الدجاج شائعة في جميع الأقاليم. وقيل إن البط كانت تروى بمصر كما يروى الغنم<sup>(٩٥)</sup>. وقد اختصت مصر بتفريخ الدجاج صناعياً، فكان فيها معامل كالتنانير يوضع فيها البيض بترتيب خاص ويوقد عليه بما يحاكي الحرارة الطبيعية في حضانة الدجاجة لبيضها، وتخرج من تلك المعامل الفراريج وهي معظم دجاج مصر، ولا يتم مثل هذا بغير إقليم مصر<sup>(٩٦)</sup>. واشتهرت مصر بالحمر الرئيسية<sup>(٩٧)</sup>، والبنغال المصرية والخليل العتاق والإبل والبقرة<sup>(٩٨)</sup>. ولهم وراء أسوان حمير صغار الحجم في مقدار الكباش الكبار، ملمعة الجلود، إذا خرجت من مواطنها ماتت<sup>(٩٩)</sup>. واشتهر صعيد مصر بكثرة المواشي من الضأن وغيره لكثرة إنتاجها. ويقول المقرئ إن كثيراً من الأغنام تلد أكثر من مرة في السنة وقد تلد في البطن الواحد ثلاثة أرؤس<sup>(١٠٠)</sup>.

(٩١) المقرئ، الحفظ القرية المسماة بالمواظ والاعتبار بذكر الحفظ والأثار يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها، ج ١، ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

(٩٢) الإصطخري، الأقاليم، ص ١١٨.

(٩٣) المصدر نفسه، ص ١١٠، والمقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٣٢٤.

(٩٤) المقدسي، المصدر نفسه، ص ٢٧١.

(٩٥) الهذلي، مختصر كتاب البلدان، ص ٦٠.

(٩٦) المقرئ، الحفظ القرية المسماة بالمواظ والاعتبار بذكر الحفظ والأثار يختص ذلك بأخبار إقليم

مصر والنيل وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها، ج ١، ص ٢٦.

(٩٧) يسمى أعلى الصعيد إلى بلاد النوبة مريس. انظر: الهذلي، المصدر نفسه، ص ٧٤. ويقول

اليقوي إن مدينة استا يقال لأهلها مريس ومنها الحمر الرئيسية. انظر: اليقوي، البلدان، ص ٣٣٤.

(٩٨) الهذلي، المصدر نفسه، ص ٦٩ و٢٥٢، والمقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،

ص ٢٠٣.

(٩٩) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٥٢.

(١٠٠) المقرئ، الحفظ القرية المسماة بالمواظ والاعتبار بذكر الحفظ والأثار يختص ذلك بأخبار

إقليم مصر والنيل وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها، ج ١، ص ١٩٠.

وكان اقليم الجزيرة غنياً بمراعيه وكثرة أغنامه، وبخاصة منطقة الموصل<sup>(١٠١)</sup>. كما كانت تربية الأغنام في تونس وفي ما وراء النهر واسعة<sup>(١٠٢)</sup>. كما كان اقليم الرحاب أوسع أقاليم الدولة العربية بتربية الأغنام، وثمن الخروف فيه درهمان<sup>(١٠٣)</sup>. واشتهرت أرمينيا من هذا الإقليم وبخاصة برزعة بتربية البغال والخيول، وكانت تحمل منها البغال الفرة إلى العراق والشام وخراسان<sup>(١٠٤)</sup>. كما اشتهرت المغرب بالبغال البربرية، وكانت برقة وسُرت واطرابلس وبونة ووهران تعنى بتربية الماشية، وتحمل الجلود من برقة إلى مصر لدباغتها، ويحمل الصوف من سُرت واطرابلس وبونة إلى مختلف بلدان المشرق؛ كما اشتهرت بونة بتربية البقر<sup>(١٠٥)</sup>.

ومن مدن الأقاليم الشرقية اشتهرت خوارزم بأغنامها وأبقارها<sup>(١٠٦)</sup>.

وكانت الخيول تُربى ويُعتنى بها في أكثر أقاليم الدولة. وتعتبر نجد موطن الخيول العربية العتاق الكرّمية الأصل. أما الخيول الجياد فكانت تجلب من اقليم الجزيرة<sup>(١٠٧)</sup>. واشتهرت جزيرة العرب بالنجائب وهي الجمال ذات السنم الواحد، وللجمال تأثير بالغ في حياة البدو الصحراوية. كما اشتهرت اليمن بالنجائب المهرية<sup>(١٠٨)</sup>، وحضرموت بنجب من الإبل تفضل غيرها في السير وحسن الرياضة<sup>(١٠٩)</sup>.

كما اشتهرت بلخ وسمرقند في ما وراء النهر بالنوق البخاتي، وهي الجمال ذات السنامين، وهي مقدمة على سائر الجمال<sup>(١١٠)</sup>. وكان في السند نوع من الجمال أعظم من البخت يسمى الفالج لا يستعمله ولا يملكه سوى الملك، وهو يتخذ لتتاج البخاتي البلخية والنوق السمرقندية<sup>(١١١)</sup>. وكانت الإبل تُربى كذلك في اقليمي الديلم وكرمان<sup>(١١٢)</sup>.

وكان الجاموس قد جلب إلى العراق أيام ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي، وقد بعث به والي السند محمد بن القاسم. وجاءت تربيته في منطقة البطائع، واستفيد منه في مكافحة السباع في تلك المناطق. ولما اشتهى أهل انطاكية من وجود مسبعة بقرب مدينتهم، أمر

(١٠١) ابن حوقل، المصدر نفسه، ص ١٩٦.

(١٠٢) المصدر نفسه، ص ٧٥، ٣٨٥ و ٣٩٤.

(١٠٣) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٣٧٣.

(١٠٤) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، التبصير بالتجارة، عني بنشره والتعليق عليه حسن حسني

عبد الوهاب، ط ٢ (مصر: المطبعة الرحمانية، ١٩٣٥)، ص ٣٢.

(١٠٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٧٧.

(١٠٦) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٣٢٥ و ٣٥٥.

(١٠٧) المصدر نفسه، ص ١٤٥.

(١٠٨) المصنوعي، مختصر كتاب البلدان، ص ٢٥٢.

(١٠٩) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٤٤.

(١١٠) الإصطخري، الأقاليم، ص ١١٠.

(١١١) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٢٨٢، وابن حوقل، المصدر نفسه،

ص ٢٧٩.

(١١٢) المقدسي، المصدر نفسه، ص ٣٥٦ و ٤٥٩.

الخليفة الوليد بن عبد الملك بتوجيه أعداد كبيرة من الجاموس من العراق إلى تلك المنطقة<sup>(١١٦)</sup>.

## ثانياً: الصناعة

### مقدمة

استلزم المرحلة الحضارية التي وصلت إليها الدولة العربية في خلال القرن الثالث تعدد الحاجيات وأنواع الأمتعة من ملابس وأثاث وغيرها مما يحتاجه الناس في حياتهم على اختلاف طبقاتهم. وكان للرعاة الذي حل بالبلاد منذ عهد هارون الرشيد تأثير بالغ في تنوع تلك الحاجيات واستجابتها والتأق في صناعتها. إذ على مقدار عمران البلد، كما يقول ابن خلدون، تكون جودة البضائع، وكلما ازداد العمران تعددت أنواع البضائع التي يتطلبها الناس، وتزايدت صنائع أخرى مما تدعو إليه عوائد الترف وأحواله<sup>(١١٧)</sup>.

وكان من عوامل تشجيع الصناعة حينذاك أن الخلفاء ورجال الدولة والأغنياء من الناس أخذوا يهاجرون على اقتناء الألبسة ولا يبالون كم يكون ثمنها. وربما لبس الواحد منهم تسعة أقبية كل قباء بلون خاص للمفاخرة بالبلد<sup>(١١٨)</sup>. فشجع ذلك الصناع على اتقان ما يصنعون من البضائع، فازدهرت الصنائع في معظم مدن الدولة العربية. وقد اقتص بعضهما بنوع معين من البضائع بحيث تحمل منتجاتها منه إلى بلدان أخرى. ومثلما استقطبت مدينة السلام عند تأسيسها في منتصف القرن الثاني حُدُاق أهل الصناعات وانتقلوا إليها من كل بلد، وأتوها من كل أقب في ما ذكره اليعقوبي<sup>(١١٩)</sup>، فإن المعتصم بالله عند تأسيسه سامراء وانتقال عاصمة الخلافة إليها، استقدم إليها من كل بلد من يعمل عملاً من الأعمال أو يعالج مهنة من المهن. فحمل من مصر من يعمل القراطيس وغيرها، ومن البصرة من يعمل الزجاج والخزف والخصر، ومن الكوفة من يعمل الخزف والأدهان، ومن سائر البلدان من أهل كل مهنة وصناعة، وجعل سوقاً لأهل المهن<sup>(١٢٠)</sup>.

---

(١١٦) أبو العباس أحمد بن يحيى البلاذري، فتوح البلدان، راجعه وعلق عليه رضوان محمد وضوان (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، [د.ت.د.])، ص ١٧٢.

(١١٧) أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: مقدمة ابن خلدون، ٧ ج (مصر: المطبعة الخيرية، ١٩٠٤)، ص ٢١٩.

(١١٨) أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني، الأغاني (القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، [د.ت.د.])، ج ٥، ص ٣٣، وأبو الطيب محمد أحمد الششاء، الموشى أو الظرف والظرفاء، حققه كمال مصطفى، ط ٢ (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٥٣)، ص ١٢٣.

(١١٩) اليعقوبي، البلدان، ص ٢٥١.

(١٢٠) المصدر نفسه، ص ٢٦٤.

وقد تكتل أرباب كل صناعة ليكونوا صنفاً خاصاً، ويظهر أنه كان هناك تنظيم متدرج عند أرباب الحرف المختلفة. فهناك الصناع والأساتذة، كما كان لكل حرفة رئيس من بين أصحابها<sup>(١١٨)</sup>. إن هذه الأصناف المهنية التي تسميها اليوم النقابات كانت الأساس الذي تقوم عليه الصناعات آنذاك، إذ كان لكل صناعة تقاليداً ونظمها. فلا يسمح لأي شخص أن يعمل في إحدى الصناعات ما لم يكن قد تدرّب واكتسب مهارة فيها. وكان أرباب كل صناعة يحرصون على حفظ صناعتهم وأسرارها، ولا يقبلون إليها سوى من يثقون به ممن يتقدم للعمل معهم. وكانوا يلقنونهم أسرار تلك الصناعة منذ صغرهم. وعلى الصبيان أن يثمنوا مدة غير قصيرة تحت إشراف مَنْ هم أقدم منهم حتى يحذقوا الصنعة قبل أن يُعترف بهم صناعاتاً ماهرين<sup>(١١٩)</sup>.

ومع حرص شيوخ الصناعات ورؤسائها على تحسين مصنوعاتهم ورفع مستوى نوعيتها، فقد كان لمؤسسة الحسبة دور مهم في الحفاظ على متانة تلك المصنوعات وجودتها سواء في المواد الخام التي تصنع منها أو في طريقة صنعها، وذلك بفضل الرقابة التي كان يتولاها المحتسب في المدينة. وقد تضمنت كتب الحسبة شروط كل صناعة ومهنة، واجبات القائمين بها والتزامهم بجودة الصناعة وافتانها. وسنذكر بعض ما يقوم به المحتسب في رقابته على بعض المصنوعات على سبيل المثال.

كانت واجبات المحتسب تجاه الحاكّة، أي النساجين، أن يأخذهم بجودة العمل والالتزام بالطول والعرض المقدرين للثوب الذي ينسجونه. وأن يعتنوا بصفافة النسيج وتنقيته من القشرة السوداء، ويمنعهم من نثر الدقيق والجسيمات عليها عند نسجها ليستروا وحاشتها فتبدو كأنها صفيقة. وإن أخذ أحدهم غزلاً فليأخذه بوزن، فإذا نسجه ثوباً غسله ثم دفعه إلى صاحبه بالوزن<sup>(١٢٠)</sup>. وفي ما يتعلق بباعة القطن ونذافيه، فعلى المحتسب أن يلاحظ عدم خلطهم جديد القطن بقديمه، ولا أحمره بأبيضه. وينبغي عليهم أن يندفوا القطن مكرراً حتى تطير القشرة والحب المكسور لأنه إذا بقي فيه ذلك ظهر في وزنه، وإذا ما استخدم في لحاف أو جبّة أو قبّاء قرضه الفأر. أما الكتانيون والحريريون فعليهم أن يلاحظوا عدم خلط الكتان الجيد برديته ولا الكتان النابلسي بالمصري، وأن لا يصبغوا الحرير القز قبل تبييضه لئلا يتغير بعد ذلك، وقد يفعلونه حتى يزيد لهم. وأن لا يثقلوا الحرير بالنشا ولا بالسمن والزيت<sup>(١٢١)</sup>. ومن الصباغين من يصبغ الحرير وغيره من الغزل والثياب بالحناء عوضاً عن القوّ، فيخرج الصبغ حسناً مشرقاً، فإذا أصابته الشمس تغير لونه وزال إشرافه. ومنهم من يُدكّن الثياب

(١١٨) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ص ٨١.

(١١٩) محمد عبد العزيز مرزوق، العراق مهد الفن الاسلامي (بغداد: وزارة الاعلام، ١٩٧١)،

ص ٥٧-٥٩.

(١٢٠) عبد الرحمن بن نصر الشيزري، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحرير السيد الباز العربي؛ إشراف

محمد مصطفى زيادة (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٦)، ص ٦٥.

(١٢١) المصدر نفسه، ص ٦٩ - ٧١.

بالعفص والزاج إذا أراد صبغها كحلياً ثم يدليها في الحايبة فتخرج صافية اللون شديدة السواد، فإذا مضت عليها مدة قصيرة تغير لونها ونقص صبغها. وهذا كله غش وتدليس، على المحتسب أن يمنعه من فعله<sup>(١٢٢)</sup>.

أما ما يلاحظه على الأساكفة فيجب أن لا يكثرُوا حشو الخرق البالية في ما بين الجزء العلوي من الحذاء وبطانته، ولا بين النعل والجلد الذي يُشدُّ إليه، ولا يستخدموا نعلًا أحرقته الدباغة، أو ما زال غير مدبوغ بصورة جيدة. وعليهم أن يحكموا إبرام الخيط ولا يطولونه أكثر من ذراع لأنه إذا طال أكثر من ذلك انسحق وانتفض إبراهيم<sup>(١٢٣)</sup>.

وبالنسبة إلى الصاغة والنحاسين والحدادين فإن أهم واجبات المحتسب في مراقبتهم أن يلاحظ عدم غش المعادن التي يستعملونها في صناعاتهم وأن لا يستخدموا مهاراتهم في الجلاء والصبغة وخطط المعادن لغش بضاعتهم، وأن لا يستعملوا ما هو قديم من المعادن ويعيدوا صنعه. ومراقبة هذه الأصناف تحتاج إلى مهارة ودقة ومعرفة يجب أن يمتاز بها المحتسب لكي لا يلدسوا عليه<sup>(١٢٤)</sup>.

## ١ - أهم الصناعات

سنستعرض في ما يأتي أهم الصناعات التي كانت منتجاتها تنقل من البلد الذي تصنع فيه إلى بلدان أخرى، ونذكر أهم مراكز تلك الصناعات:

### أ - صناعة النسيج (الأكسية والثياب)

وجد العرب في البلاد التي حرروها من نير الفرس والروم ثمة مصانع للنسيج تنتج أقمشة بأصناف عديدة ممتازة، فلم يقتصروا على تشجيعها بل صاروا ينشئون مصانع أخرى جديدة، وحصلوا على مركز القيادة في هذه الصناعة، وسيطروا تماماً على تجارة الحرير خاصة. ولعل أسماء أقمشة ومنسوجات عديدة ظل بعضها حياً في مجال الاستعمال حتى اليوم، تعين لنا الأماكن التي ترد منها، فالقماش المعروف باسم فوستيان (Fostian) مصدره مدينة القسطنطينية، والدمقس (Damask) جاء اسمه من دمشق، والموسلين (Muslin) هو ما كان يستورد من الموصل من النسيج القطني الرفيع<sup>(١٢٥)</sup>.

ولما كان لللباس أهم الحاجات الأساسية للإنسان بعد الطعام، كانت صناعة الملابس والتفنن بها من أوسع الصناعات. وكادت صناعة نسيج الأكسية والثياب تكون عامة في جميع

(١٢٢) المصدر نفسه، ص ٧٢.

(١٢٣) المصدر نفسه، ص ٧٣.

(١٢٤) المصدر نفسه، ص ٧٧ - ٧٩.

(١٢٥) توماس أرنولد [وآخرون]، تراث الإسلام، عَرَبَهِ وَعَلَى حواشيه جرجيس فتح الله، ط ٣

(بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٨)، ص ٢٠٠.

أقاليم الدولة العربية. فها من مدينة من أمهات المدن إلا واشتهرت بنوع من النسيج، بل إن بعض المدن الصغيرة والقرى اشتهرت بذلك أيضاً. فقد كانت تعمل ببغداد ألوان ثياب القز لا سيما العباداني والساماني الرفيع، والمنسوجات الحريرية كألأزر والعنائم والمناديل، والثياب القطنية البيض<sup>(١٢١)</sup>. وكان السقلاطون، وهو نسيج حريري سميك وردي اللون، يصنع بالدرجة الأولى ببغداد<sup>(١٢٢)</sup>. وكان مضرب الأمثال بجودته<sup>(١٢٣)</sup>. وكانت ترسم عليه صور الأشجار والحيوانات والطيور<sup>(١٢٤)</sup>. ويُشبهه صاحب المتكلم جلد الحمار المخطط بالثوب العتابي<sup>(١٢٥)</sup>. وقد اشتهرت بغداد بصنعه، وكان يصنع في حي العتابية بها، وهو نسيج حريري خاص، قُلد في اسبانيا وعرف فيها باسم الأتاي، وعرفته فرنسا وإيطاليا باسم تابيس (Tabis)، واشتهر باسمه التجاري هذا في بلدان أوروبا<sup>(١٢٦)</sup>. كما اشتهرت ببغداد بنسج نوع من الثياب عرفت بالمتوكلية، وهي نوع من الثياب المليحة كانت في نهاية الحسن والصنع وجودة الصنعة، وكان الخليفة المتوكل على الله قد فضلها على سائر الثياب فنسبت إليه، واقتدى الناس به وبالفوا في ثمنها<sup>(١٢٧)</sup>. وكانت تسج في الحظيرة، وهي من قرى بغداد، الثياب الكرباس الصفيق، ومنها يحمله التجار إلى البلاد الأخرى<sup>(١٢٨)</sup>.

واشتهرت البصرة بصنع الخز واليز<sup>(١٢٩)</sup>. ولجودة ما يصنع بالبصرة من المنسوجات قال الجاحظ: «الصناعة بالبصرة»<sup>(١٣٠)</sup>، إذ كانت تصنع بالأبله ثياب الكتان الرفيعة<sup>(١٣١)</sup>، والعنائم الجيدة التي كانت مضرب الأمثال<sup>(١٣٢)</sup>.

وامتازت الموصل بصنع نسيج قطني يسمى الشاش وكان له شهرة واسعة وقد انتشر في البلدان الغربية باسم الموسلين كما أشرنا آنفاً.

- 
- (١٢٦) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٢٨.  
 (١٢٧) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ص ٩٠.  
 (١٢٨) أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب (القاهرة: وزارة الثقافة والأرشاد القومي، [د.ت.])، ج ١، ص ٣٦٩.  
 (١٢٩) أبو الحسن أحمد بن الزبير، اللخائر والتحف، تحقيق محمد حميد الله، التراث العربي ١ (الكوت: دائرة المطبوعات والنشر، ١٩٥٩)، ص ٦٤.  
 (١٣٠) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، المتكلم في تاريخ الملوك والأمم (حيدر أباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، ١٩٣٨ - ١٩٣٩)، ج ١٠، ص ٢٤٤.  
 (١٣١) أرنولد [وآخرون]، تراث الإسلام، ص ٢٠١.  
 (١٣٢) للمسعودي، مروج الذهب ومعدن الجواهر، ج ٤، ص ٨٦.  
 (١٣٣) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، معجم البلدان، ٥ ج (بيروت: دار صادر، ١٩٧٥)، ج ٢، ص ٢٧٤.  
 (١٣٤) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٢٨.  
 (١٣٥) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ١، ص ٣٧٠.  
 (١٣٦) المقدسي، المصدر نفسه، ص ١٢٨.  
 (١٣٧) النويري، المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٦٩.

وتميّزت الكوفة بصناعة الوشي الذي كان مضرب الأمثال حيث يقول الجاحظ: «وخير الوشي في الثوب الكوفي»<sup>(١٣٨)</sup>، وكذلك يصنع الخز وبخاصة المعالم<sup>(١٣٩)</sup>.

وكان للنعمانية شهرة في نسيج الأكسية والثياب الصوفية العسيلة الحسنة الصنع<sup>(١٤٠)</sup>. كما كانت الحيرة تنسج الأقمشة القطنية والصوفية، وكان للثياب الحيرية شهرة خاصة<sup>(١٤١)</sup>.

وفي إقليم الجزيرة اشتهرت مدينة أمد بصنع ثياب الصوف والكتان الرومية الطراز<sup>(١٤٢)</sup>، والطيبالس الصوفية، والثياب الموشاة، والمناديل، وشراشف الفرش، والكلل<sup>(١٤٣)</sup>.

وكانت تصنع في اليمن أنواع البرود والأردية والثياب الموشاة، وقد تبلغ قيمة البرد الواحد عندهم خمسة دينار<sup>(١٤٤)</sup>.

أما في إقليم الرحاب فقد اشتهرت مدينة برذعة بأرمينية بانتاج الابرسم لكثرة ما يُربى فيها من دود القز، وصناعة الثياب الفاخرة منه<sup>(١٤٥)</sup>. أما مدينة دجيل، قسبة أرمينيا، فكانت تصنع فيها الثياب المرعزية، وكانوا يصبغون المرعزي بالقرمز. وأصله من دودة تنسج على نفسها كدودة القز<sup>(١٤٦)</sup>. وكانت تصنع في مدينة ميفارقين الثياب والمناديل والتكك الأرمينية الرفيعة المشهورة التي يبلغ ثمن الواحدة منها من دينار إلى عشرة دنانير، ولا نظير لها في سائر البلدان<sup>(١٤٧)</sup>.

وانتشرت صناعة النسيج في عدد غير قليل من مدن مصر حيث يزرع الكتان بكثرة. فكانت الثياب الصفاق الملونة تصنع في مدينة دمياط<sup>(١٤٨)</sup>، كما كان يصنع فيها القصب من كل نوع، ويبلغ ثمن الثوب الأبيض فيها وليس فيه ذهب ثلاثمئة دينار، ويعمل فيها الفرش

---

(١٣٨) الحمذاني، مختصر كتاب البلدان، ص ٢٥٢، والجاحظ، التبصر بالتجارة، ص ١٩.

(١٣٩) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٢٨.

(١٤٠) المصدر نفسه، ص ١٢٨.

(١٤١) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ص ٩٢.

(١٤٢) المقدسي، المصدر نفسه، ص ١٤٥.

(١٤٣) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص ٣٠.

(١٤٤) أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة، المسالك والممالك، تحقيق ميخائيل دو غويو، المكتبة الجغرافية العربية؛ ٦ (لندن: مطبعة بريل، ١٨٩٨)، ص ٧١، وابن رسته، الأعلاقي النفيسة، ص ١١٢.

(١٤٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢٩٠، والمقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٣٨٠.

(١٤٦) ابن حوقل، المصدر نفسه، ص ٢٩٤؛ المقدسي، المصدر نفسه، ص ٣٨١، والحمذاني، مختصر كتاب البلدان، ص ٢٩٧. وفيها أن القرمز دودة حمراء تظهر أيام الربيع فتلتقط ثم تطبخ ويصبغ بها.

(١٤٧) ابن حوقل، المصدر نفسه، ص ٢٩٦.

(١٤٨) اليعقوبي، البلدان، ص ٣٣٨، وابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ٢٠٤.

القلمون من كل لون، المعلم والمطرز، ومناشف الأبدان والأرجل<sup>(١٤٩)</sup>. واشتهرت ديق من قرى دمياط بصنع الثياب المثقلة، والعائم الشرب الملونة، والديبقي المذهب<sup>(١٥٠)</sup>. كما كانت الثياب القصب الجيدة تصنع في الفيوم<sup>(١٥١)</sup>. واشتهرت مدينة القيس بنسج الثياب القيسية المصنوعة من الصوف، وعمل الأكسية الصوفية الجيدة<sup>(١٥٢)</sup>. وكانت تنس من أهم المدن المصرية في صناعة النسيج وقد اشتهرت بأنوالها الخمسة الآلاف، وكان أهلها مياسير أثرياء وأكثرهم حاكمة، وبها تحاك الثياب الشرب من الكتان التي لا يصنع مثلها في الدنيا بحيث إن زنة كل درهم منها بدرهم فضة، وكان يصنع فيها للخليفة ثوب يقال له البدنة لا يدخل فيه من الغزل سدى ولحمة غير أوقيتين وينسج باقي الثوب بالذهب بصناعة محكمة لا تحوج إلى تفصيل ولا خياطة، وتبلغ قيمته ألف دينار<sup>(١٥٣)</sup>. كما كانت تصنع فيها الثياب الصفاق والثياب الرقيقة من الديبقي والقصب والبرود والمخمل والموشى، وأنواع ثياب الكتان والصوف، والفرش أبو قلمون<sup>(١٥٤)</sup>. واشتهرت كذلك بالحلل المنسوبة إليها والتي لا يوجد ما يدانيها في حسن الصنعة ودقتها وقيمتها التي قد تبلغ مئتي دينار للحلة الواحدة إذا كان فيها ذهب، وقد تبلغ قيمة ما لا ذهب فيها مئة دينار، وجميع ما يعمل فيها من الكتان، وربما بلغ مثقال غزل من غزولها عدة دنائير. وكان يحمل إلى العراق من هذه الحلل والثياب سنوياً ما قيمته من عشرين ألف دينار إلى ثلاثين ألف دينار<sup>(١٥٥)</sup>. وكانت مدينة تونة وهي إلى جانب تنيس تصنع الأكسية الكتانية الفاخرة الخاصة بالكعبة المشرفة<sup>(١٥٦)</sup>، وهي الأكسية التي حرص الخلفاء على عملها بدور الطراز وإرسالها سنوياً إلى مكة.

وكانت تصنع في مصر القراطيس التي لا يشاركها فيها أحد، وهي بُرد مصرية كانوا يحملون فيها الثياب والآنية، وقد اشتهرت بصنعها مدينة وسيمة على ساحل البحر، وبورة من أعمال دمياط<sup>(١٥٧)</sup>.

(١٤٩) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٧٣.

(١٥٠) المقريزي، الخطط القرية المسماة بالمواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل وذكر القاهرة وما يتعلق بها وإقليمها، ج ١، ص ٢٢٦، وذكرها باسم ذيق.

(١٥١) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٢٠٤.

(١٥٢) اليعقوبي، البلدان، ص ٣٣١.

(١٥٣) المقريزي، الخطط القرية المسماة بالمواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل وذكر القاهرة وما يتعلق بها وإقليمها، ج ١، ص ١٦٣ و١٧٧، وموريس سفن ديماندا، الفنون الإسلامية، تصدير أحد تكري؛ ترجمة أحمد محمد عيسى، ط ٢ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٤)، ص ٢٥٠.

(١٥٤) اليعقوبي، البلدان، ص ٢٣٧ - ٢٣٨؛ الهذلي، مختصر كتاب البلدان، ص ٢٥٢، وياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٥١.

(١٥٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٤٣، والمقريزي، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٧٧.

(١٥٦) ديماندا، الفنون الإسلامية، ص ٢٥٠.

(١٥٧) اليعقوبي، البلدان، ص ٣٣٨، وزيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج ١، ص ١٢٥.



وفي إقليم الشام كانت أقمشة الديباج والبرّ تحمل من دمشق وطبريا، وتصنع الثياب القطنية في حلب، والقوط في أكثر مدن فلسطين، والثياب المنيرة في القدس، والميازر في الرملة<sup>(١٥٨)</sup>.

وقد اشتهرت اصفهان في إقليم الجبال بصناعة الثياب من القطن والابرسم كالموشي والعنابي والسقلاطون والملاحم والحلل<sup>(١٥٩)</sup>. واشتهرت الري بصنع البرود الحريرية، والأكسية والطباسة القطنية، والثياب المنيرة<sup>(١٦٠)</sup>. وانفردت قزوین بصنع الجوارب<sup>(١٦١)</sup>.

واشتهر إقليم طبرستان بمنسوجات الابرسم كالثياب والمآزر والمناديل، وصنع الأكسية، والمطارف، والمدارح الصوفية الثمينة، ومناديل القطن<sup>(١٦٢)</sup>. ويقول ابن حوقل ان ليس في بلد آخر أكسية تبلغ قيمة اكسيتهن ومطارفهم لا سيما إذا كانت منسوجة بالذهب<sup>(١٦٣)</sup>. وقد امتاز الحاکة في مدينة أمل قصبه الإقليم بالمهارة<sup>(١٦٤)</sup>. وكان الابرسم يحمل من طبرستان إلى كثير من البلدان وليس هناك ما يضاهيه<sup>(١٦٥)</sup>.

وكانت في تُستَر في خوزستان صناعة واسعة لنسيج الابرسم والديباج والأزر الكبار، وكانت تعمل فيها كسوة الكعبة المشرفة، كما كان فيها دار للطراز خلفاء سامراء<sup>(١٦٦)</sup>. كما كانت مدينة بُم بإقليم کرمان تشتهر بصناعة الثياب القطنية الرفيعة التي كانت تُحمل إلى أباعد الديار، وقد تبلغ قيمة الثوب منها ثلاثين ديناراً، وتباع في خراسان والعراق ومصر، ومن طريف ما يعمل فيها الطباسة المقورة والمناديل وعنائم مشهورة يرغب فيها أهل العراق<sup>(١٦٧)</sup>.

وكانت أغلب مدن ما وراء النهر مشهورة بصناعة النسيج، فكانت تُحمل من بخارى ثياب القطن وتعرف بالثياب البخارية، إلى العراق وسائر البلدان، وهي كرابيس تُقال الأوزان غليظة السلك مبرمة الغزل. وتنسج في كابل الثياب القطنية الحسنة التي تعمل منها السبنيات الفاخرة والثرابيات الثمينة، وتُخرج إلى خراسان والسند والصين. واشتهرت سمرقند بصنع الثياب السمرقندية، وفرغانة بالثياب البيض، والشاش بصنع الأزر، ومهرات بنسيج الخبز والديباج<sup>(١٦٨)</sup>.

(١٥٨) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٨١.

(١٥٩) الإصطخري، الأقاليم، ص ٨٥، والمعداني، مختصر كتاب البلدان، ص ٢٥٤.

(١٦٠) المعداني، المصدر نفسه، ص ٢٥٤، وابن حوقل، صورة الأرض، ص ٣٢٢.

(١٦١) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٢٩٦.

(١٦٢) الإصطخري، الأقاليم، ص ٩٢.

(١٦٣) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٣٢٣.

(١٦٤) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٣٥٩.

(١٦٥) الإصطخري، الأقاليم، ص ٩٢، وابن حوقل، المصدر نفسه، ص ٣٢٣.

(١٦٦) المقدسي، المصدر نفسه، ص ٤٠٢، ٤١٦، والإصطخري، المصدر نفسه، ص ٥٤.

(١٦٧) المقدسي، المصدر نفسه، ص ٤٧٠، وابن حوقل، المصدر نفسه، ص ٢٧١.

(١٦٨) ابن حوقل، المصدر نفسه، ص ٣٧٥ - ٣٧٦، ٤٠٤، والمقدسي، المصدر نفسه، ص ٣٢٤.

واشتهرت برقة بصنع الثياب والأكسية الصوفية. وكان أكثر أهل مدينة سوسة حاكّة ينسجون الثياب السوسية الرقيقة وتُمن الثوب منها في بلدها عشرة دنائير، ويغزل بها غزل تباع زنة الثقال منه بمثقالين من الذهب<sup>(١٦٩)</sup>.

وبما له علاقة وثيقة بصناعة النسيج المصانع المسماة بدور الطراز، ويعتبر الطراز من مظاهر أبهة الملك والسلطان، وهو من شارات الخلافة. وذلك بأن ترسم أسماء الخلفاء، أو علامات تختص بهم في طراز أثوابهم المعدة للباسهم من الحرير والديباچ، فتخطّ في نسيج الثوب لحماً وأسدينة بخيوط الذهب، أو بما يخالف لون الثوب من الخيوط الملونة من غير الذهب. فتصير الثياب الخاصة بهم معلمة بذلك الطراز قصداً للتشويه بلايسها. وقد درج الخلفاء على كتابة أسمائهم مع عبارات تجري مجرى القال. وكانت الدور المعدة لنسج هذه الأنواب تسمى دور الطراز، ويسمى القائم على العمل فيها صاحب الطراز، وهو ينظر في أمور الصباغ والآلة، والحاكّة فيها وإجراء أرزاقهم، وتسهيل آلائهم والإشراف على أعمالهم. وكان الخلفاء يقلدون أمر هذه الدور لخواصهم وثقات مواليتهم. وقد تعددت دور الطراز وانتشرت في أرجاء مختلفة لا سيما في المدن التي تميّز حاكمها بالمهارة. وكان لبعض الأمراء في الأقاليم والولايات دور طراز خاصة بهم. كما أن هذه الدور لم تقتصر على نسيج الثياب فحسب، بل أخذت تنتج البسط والفرش والأعلام والبتود إلى جانب ذلك<sup>(١٧٠)</sup>.

## ب - الصناعات المعدنية واستخراج المعادن

قام كثير من الصناعات المعدنية في بعض مدن الدولة العربية وأقاليمها، وكانت مصنوعاتهما تُحمل إلى أقاليم أخرى. فقد عرفت اليمن منذ عهد قديم بصناعة السيوف المشهورة بالسبئية<sup>(١٧١)</sup>. كما كانت بعض مدن ما وراء النهر كخوارزم وفرغانة وسمرقند واسبجيجاب تصنع السيوف والدروع<sup>(١٧٢)</sup>. واشتهر إقليم خراسان كذلك بصناعة السيوف وتطعيمها، وعمل الجواشن والدروع<sup>(١٧٣)</sup>.

وأهم الصناعات المعدنية التي كانت في إقليم الجزيرة قامت في الموصل وحرّان ونصيبين. إذ كانت تصنع في الموصل مختلف المصنوعات الحديدية كالسلاسل والسكاكين والأسطال والنشاب، وتصنع في نصيبين الموازين والدوابات (المحابس) والكوانين (المواقد والمدافئ)، واشتهرت حرّان بصنع الموازين، وكانت بصحة موازينها ودقتها مضرب الأمثال،

---

(١٦٩) المقدسي، المصدر نفسه، ص ٣٢٥، وياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٨٣.  
(١٧٠) حول دور الطراز، انظر: ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ١٤٥، والدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ص ٩٥.  
(١٧١) المجلاني، مختصر كتاب البلدان، ص ٢٥٢.  
(١٧٢) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٣٢٥.  
(١٧٣) المصدر نفسه، ص ٣٢٨، والمجلاني، المصدر نفسه، ص ٣٥٤.

كذلك اشتهرت بصنع الآلات الهندسية مثل الإسطرلاب وغيره من الآلات الدقيقة الأخرى<sup>(١٧١)</sup>.

وفي صناعة الصُّفَر والأدوات النحاسية، فقد اشتهرت الموصل بصناعة أواني الطعام النحاسية<sup>(١٧٢)</sup>، ودمشق بصناعة الصفريات وبفن تكفيت المعادن بالذهب والفضة وهي صناعة تعرف بالصناعة الدمشقية<sup>(١٧٣)</sup>.

وكانت القامق النحاسية تصنع في مدينة قاشان في إقليم الجبال<sup>(١٧٤)</sup>. كما اشتهر إقليم سجستان بصنع المشارب السَّجْزِيَّة نسبة إلى الإقليم، وأدوات الصفر والشبه الأخرى<sup>(١٧٥)</sup>. وكانت تصنع في سمرقند القدور العظيمة الحجم من النحاس والقامق الجيدة<sup>(١٧٦)</sup>.

واختصت مدينة القدس بصنع القناديل<sup>(١٧٧)</sup>. واشتهرت كل من مدينة خوارزم واصفهان ونيسابور بصنع الأقفال<sup>(١٧٨)</sup>.

ومن الصناعات المعدنية المهمة العمل في استخراج المعادن التي انتشرت مناجمها في عدد من الأقاليم. فقد كانت في ما وراء النهر عدة مناجم لا سيما في جبال فرغانة التي استخرجوا منها الذهب والفضة والزيت والزاج والحديد والصفر والفيروز والنيشادر والفحم الحجري<sup>(١٧٩)</sup>. ووجد الذهب في مواضع على شواطئ نهر وخاب وهو أحد فروع نهر جيحون، يقطع صغار مثل رؤوس الإبر<sup>(١٨٠)</sup>. كما استخرجوا الذهب من وادي خَصْنَك بِسَمَرْقَنْد<sup>(١٨١)</sup>. واستخرجوا من جبال الباميان عند مدينة بلخ النحاس والرصاص والزيت<sup>(١٨٢)</sup>. وكانوا يجمعون الذهب من مياه السيول الجارية في منطقة خُتَل شَالِي طخارستان<sup>(١٨٣)</sup>. واستخرجوا بمدينة بُذْخْشَان بالمنطقة نفسها الباقوت والبلور واللازورد وحجر البازهر، وحجر الفتيلة وهو يشبه البردي لا تحرقه النار، يوضع في الدهن فيتقد كما تتقد الفتيلة ولا ينقص، ويُطرح في النار المتأججة فلا

---

(١٧٤) المقدسي، المصدر نفسه، ص ١٤٥ و١٤٦، ومتر، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ج ٢، ص ٣١٠.

(١٧٥) أرنولد [وآخرون]، تراث الإسلام، ص ١٨١ - ١٨٢.

(١٧٦) المصدر نفسه، ص ١٨٠ - ١٨١، والمقدسي، المصدر نفسه، ص ١٨٠.

(١٧٧) المقدسي، المصدر نفسه، ص ٣٩٦.

(١٧٨) المهلداني، مختصر كتاب البلدان، ص ٢٥٤.

(١٧٩) المقدسي، المصدر نفسه، ص ٣٢٥.

(١٨٠) المصدر نفسه، ص ١٨٠.

(١٨١) المصدر نفسه، ص ٣٢٥ و٣٩٦، والمهلداني، المصدر نفسه، ص ٢٤٥.

(١٨٢) الإصطخري، الأقاليم، ص ١١٨ - ١١٩، المقدسي، المصدر نفسه، ص ٣٢٦، وابن حوقل، صورة الأرض، ص ٤٠٢.

(١٨٣) ابن رسته، الأعلاق النفسية، ص ٩٣.

(١٨٤) البغدادي، البلدان، ص ٢٩٢.

(١٨٥) المصدر نفسه، ص ٢٨٩.

(١٨٦) الإصطخري، الأقاليم، ص ١١٥.

يحترق، وكذلك استخرجوا حجراً يجعل في البيت المظلم فيضيء<sup>(١٨٧)</sup>. وكان بأسيرة جبل حجارتة سود تحترق كما يمترق الفحم، كانوا يستخرجونها ويتبع كل ثلاثة أوقار منه بدرهم، فإذا ما احترق واشتد رماده استعملوه لتبييض الثياب<sup>(١٨٨)</sup>.

واستخرجوا الذهب والفضة والحديد والنحاس والنيشادر والتوتيا من مناجم مدينة دمنان بأقليم كرمان، وخاصة من جبال القفص<sup>(١٨٩)</sup>.

وكانت توجد في إقليم الرحاب بعض المناجم يستخرج منها الذهب والفضة والحديد والنحاس والزجاج والزيق<sup>(١٩٠)</sup>.

وكانوا يستخرجون الزبرجد من صعيد مصر من قرية منقطعة عن العبارة<sup>(١٩١)</sup>. واستخرجوا الشب من بعض جبال مصر وكان يعتبر من عجائبها<sup>(١٩٢)</sup>.

وكان في بلاد المغرب عدد من المناجم، وقد استخرجوا الذهب والفضة من سجلاسة، والزيق من مدينة جيان<sup>(١٩٣)</sup>. وكان على مقربة من القيروان مدينة يقال لها عجانة وفي جبالها معادن الفضة والحديد والكحل والرصاص، ويقال إن أهل هذه المدينة من سنجار من ديار ربيعة<sup>(١٩٤)</sup>. واستخرجوا الشب من مدينة سرت وكانت كمياته غزيرة، وقد عرف باسمها، وكان يُصدّر منه كثير<sup>(١٩٥)</sup>.

وقد استخرجوا الذهب من المنطقة الممتدة من ينبع والمروة على ساحل بحر القلزم، ومن سبأ بمدينة اليمن<sup>(١٩٦)</sup>. كما كانوا يجمعون التبر من بلاد البُجّة لاستخلاص الذهب، ومن وادي العلاقي بعد اسوان وما حوالها، وكان التجار وغيرهم ممن يعمل على استخراجهم يستخدمون العبيد السود في الحفر، فيخرجون التبر كالزرنخ الأصفر<sup>(١٩٧)</sup>.

وفي بلاد الشام استخرجوا الحديد من جبال بيروت، والمغرة من حلب، والكبريت من الأغوار<sup>(١٩٨)</sup>.

---

(١٨٧) المصدر نفسه، ص ١١٠، والمقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٣٠٣.

(١٨٨) الإصطخري، المصدر نفسه، ص ١٢٠، وابن حوقل، صورة الأرض.

(١٨٩) المقدسي، المصدر نفسه، ص ٤٧٠، والمقداني، مختصر كتاب البلدان، ص ٢٠٦.

(١٩٠) الإصطخري، المصدر نفسه، ص ٨٢ و٨٨، والمقداني، المصدر نفسه، ص ٢٩٧.

(١٩١) الإصطخري، المصدر نفسه، ص ٢٧.

(١٩٢) المقداني، المصدر نفسه، ص ٧٦.

(١٩٣) المصدر نفسه، ص ٨٧، والمقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٢٣١.

(١٩٤) اليعقوبي، البلدان، ص ٣٤٩.

(١٩٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٧١.

(١٩٦) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٠١، وابن رسته، الأعلاقي النفيسة،

ص ١١٣.

(١٩٧) الإصطخري، الأقاليم، ص ١٥ و١٨ و٢٩، واليعقوبي، البلدان، ص ٣٣٤.

(١٩٨) المقدسي، المصدر نفسه، ص ١٨٤.

كما استخرجوا الشَّبَّ في بلاد اليمن وقالوا عنه إنه ماء يتقطر من جبل شاهق فإذا صار في قعره تجمد وصار مادة الشَّب<sup>(١٩٩)</sup>. واشتهرت اليمن بالعقيق الجيد، ومن أراد الحصول عليه اشترى قطعة أرض بموضع في صنعاء، ثم حفر، فرمى خرج له شيء منه شبه صخرة أو أقل، وأوجد أنواعه ما استخرج من مَقَرى وجبل يقال له قساس، وكان يحمل بعضه إلى البصرة، وأغلاه ثمناً البقراني. أما المعرق من الجزع فكانوا يتخذون منه الأواني لكبر حجمه<sup>(٢٠٠)</sup>.

أما النفط فكانوا يستخرجونه من مدينة باكه أو باكوه على شاطئ بحر الخزر<sup>(٢٠١)</sup>، ومن خوزستان، وكان فيها جبل تنقد فيه النار أبداً لا تنطفئ، ويرى الاصطخري أن سبب ذلك وجود للنفط أو زفت، وقعت فيه النار فظل متقدماً<sup>(٢٠٢)</sup>.

وعندما يمر نهر الفرات بقرب مدينة بالس يشق جبل بارما الممتد وسط الجزيرة وفيه عيون للنفط والغاز<sup>(٢٠٣)</sup>. كما استخرجوا الغاز من الموصل<sup>(٢٠٤)</sup>.

### ج - صناعة السجاد والبسط والسائر

إن صناعة السجاد صناعة عربية قديمة، وقد ازدهرت في العراق مع ازدهار الحضارة، وبلغت درجة ممتازة من الرقي. فقد اشتهرت مدينة واسط بالصوف الجيد وبصناعة السجاد، وكانت تصنع الستور التي كانت مضرب الأمثال<sup>(٢٠٥)</sup>. وكان الصوف يحمل منها إلى أرمينيا فيغزل وتنسج منه البسط الأرمينية المشهورة<sup>(٢٠٦)</sup>. وكانت تصنع بمدينة ميسان البسط الفاخرة النسوبة إليها، والستور الحريرية، وأنواع الفرش والأثاث والوسائد<sup>(٢٠٧)</sup>. وكانت الطنافس الجيدة تصنع في مدينة الحيرة قديماً، ولذا فإن الطنافس التي كانت تصنع في النعمانية تسمى الطنافس الحيرية، وكانت ترسم عليها زخارف ورسوم الحيوانات كالفيلة والسمك والخيل والجمال والطيور<sup>(٢٠٨)</sup>. واشتهرت الموصل بصنع الستور الجيدة والمسوح، وتحمل منها إلى بلدان أخرى<sup>(٢٠٩)</sup>.

(١٩٩) الحمذاني، مختصر كتاب البلدان، ص ٢٤٧.

(٢٠٠) المصدر نفسه، ص ٣٦، والمقدسي، المصدر نفسه، ص ١٠١.

(٢٠١) الاصطخري، الأقاليم، ص ٨٢.

(٢٠٢) المصدر نفسه، ص ٥٣ - ٥٤، والمقدسي، المصدر نفسه، ص ٤٠٢.

(٢٠٣) الاصطخري، المصدر نفسه، ص ٤٢.

(٢٠٤) المقدسي، المصدر نفسه، ص ١٤٥.

(٢٠٥) المصدر نفسه، ص ١٢٩، والدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ص ٩٤.

(٢٠٦) يعقوبي، البلدان، ص ٣٢٢.

(٢٠٧) الجاحظ، التبرير بالتجارة، ص ٣٢.

(٢٠٨) ابن رسته، الأعلام النفيسة، ص ١٨٦، ومتر، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو

عصر النهضة في الإسلام، ج ٢، ص ٣٠٤.

(٢٠٩) الجاحظ، المصدر نفسه، ص ٣٣.

وفي مصر اشتهرت مدينة الفيوم بعمل الستور الثمينة والبسط الطوال، والخيام والفساطيط العظام من الصوف والكتان، وتصيب بالوان ثابتة بتصاوير وزخارف متنوعة، وقد يبلغ طول الستارة الواحدة ثلاثين ذراعاً فأكثر، وقيمة الزوج منها حوالي ثلاثمائة دينار<sup>(١١١)</sup>.

وكان اقليم الرجاب مشهوراً بصناعة الفرش والبسط الرقاع، والبراذع، واللبود، من الصوف<sup>(١١٢)</sup>. والمقاعد المعروفة بالأرمنية، والأنخاخ وهي البسط الطوال، ما يقل نظيره ولا يوجد بجودته<sup>(١١٣)</sup>. وذكر ابن الجوزي في حوادث سنة ٢٩٩هـ أن يوسف بن أبي الساج والي أرمينيا وأذربيجان بعث بهدايا إلى الخليفة المقتدر بالله، فيها فرش أرمني لم يُر مثله، فيه بساط طوله سبعون ذراعاً وعرضه ستون ذراعاً، عمل في عشر سنين، لا تُقدّر قيمته<sup>(١١٤)</sup>.

واشتهرت بعض مدن الأقاليم الشرقية بصناعة البسط والسجاد والستائر والفرش الرفيعة، مثل فسا وشيراز اللتين اشتهرتا بعمل البسط والستور المنسوبة إليهما<sup>(١١٥)</sup>.

## د - صناعة الفخار والخزف والزجاج

كانت صناعة الفخار والخزف والزجاج أهم صناعة تتطلب مهارة فنية وخبرة طويلة، وقد اشتهرت بها بعض المدن في هذا القرن. وتدل الحفريات التي أجريت في بعض المدن العراقية القديمة على أن صناعة الفخار والخزف قديمة جداً في العراق، وأنها بلغت درجة عالية من الكمال، لذا لا غرابة إن انتعشت هذه الصناعة بعد انتقال مركز الدولة العربية إلى العراق وتأسيس مدينتي بغداد وسامراء. فقد انتقل إلى بغداد حذّاق أهل الصناعات وقد أتوا من كل بلد، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك، كما ذكر أن المعتصم بالله جلب إلى سامراء من يعمل الخزف والزجاج من البصرة والكوفة.

لقد اشتهرت بغداد بصناعة الخزف ذي الألوان الجميلة الزاهية والغضار المذهب، وهو نوع يمتاز من الخزف سنائي على وصفه، والزجاج المحكم كالأقداح والكاسات والبطاسات والغضائر<sup>(١١٦)</sup>. وكانت الكوفة متفوقة في هذه الصناعة أيضاً، وبالقرب منها مدينة الحيرة التي كانت تصنع فيها الجرار والأواني الزاهية الألوان<sup>(١١٧)</sup>.

ويظهر أن سامراء بعد تأسيسها أصبحت من المراكز المهمة لهذه الصناعة، فقد عثر في أثناء الحفريات التي أجريت فيها (١٩٣٦ - ١٩٣٩) على أنواع متعددة من الأواني والقطع

(٢١٠) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٤٩.

(٢١١) الجاحظ، المصدر نفسه، ص ٣٤.

(٢١٢) ابن حوقل، المصدر نفسه، ص ٢٩٦.

(٢١٣) ابن الجوزي، المتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٦، ص ١١٠.

(٢١٤) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٤٣٣، وابن حوقل، المصدر نفسه،

ص ٢٦١.

(٢١٥) المعذاني، مختصر كتاب البلدان، ص ٢٥٢.

(٢١٦) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ص ٩٨.

الفخارية وعلى خزفيات متنوعة في أشكالها وألوانها ووجوه استعمالها، وكانت بعض القطع من الخزف البراق، وهي كسرات من صحنون اللون الغالب فيها الأرجواني والقهواني<sup>(١٣٣)</sup>. ويعتبر الرقيق المعدني الذي يكسب المينا أو المادة الزجاجية لمعاناً خزفياً ذا تأثير بديع، من ابتكار الخزّاف العراقي<sup>(١٣٤)</sup>. كما عثر بسامراء على مجموعة عظيمة الأهمية من بقايا قطع الزجاج البلوري تزينها زخارف محفورة حفراً غائراً، ويمكن اعتبار هذه المخلفات من انتاج العراق، ويحتمل أن تكون من انتاج بغداد لما ذاع عنها من شهرة في صناعة الزجاج ذي الزخارف المقطوعة<sup>(١٣٥)</sup>.

ولوحظ في شرقي سور القادسية، وهي إحدى قرى سامراء خرائب تكثر فيها كسر الزجاج، وكتل الزجاج المنصهر، والرماد، مما يدل على وجود معامل كانت في هذا الموضع لصناعة الزجاج، ويؤيد هذا قول ياقوت الحموي عن القادسية بأنها قرية كبيرة يعمل فيها الزجاج<sup>(١٣٦)</sup>.

وكانت كراهة استعمال الأواني والأدوات المصنوعة من الذهب والفضة عاملاً مهماً في ابتكار الخزف الذهبي اللامع الذي عرف بالغضار. وهناك شبه تأييد بين العلماء الآثاريين أن هذا الغضار ابتكار عراقي ظهر في سامراء يوم كانت عاصمة الدولة العربية<sup>(١٣٧)</sup>. وصنعت من الغضار الذهبي تربيعات مزينة بزخارف نباتية وهندسية استخدمت في تزيين جدران القصور ومحاريب المساجد. وقد نقل قسم من هذه التربيعات إلى القبروان وحلي بها خراب مسجدها عندما أعيد ترميمه في عهد الأمير الأغلي أبو إبراهيم أحمد<sup>(١٣٨)</sup>.

كما كانت صناعة الزجاج قائمة في عدد من المدن التي حررها العرب من الروم، فلما ورثها العرب حسّنها فصار زجاجهم أقوى من الزجاج الروماني<sup>(١٣٩)</sup>. وقد اشتهرت من هذه المدن دمشق بصناعة الخزف والزجاج بحيث اعتبرت موطن الزجاج الجيد ذائع الصيت<sup>(١٤٠)</sup>. ويظهر أن لتوفر المواد الخام الجيدة أثراً في ذلك. وقد تقدمت هذه الصناعة في العهد العربي بما أدخل عليها من تحسينات ولا سيما في ناحية الزخرفة، فأصبحت القوارير والكؤوس والصحاحيات وغير ذلك من الأنية تنقش برسوم الأشخاص، أو بالزخارف الهندسية، بالمينا

---

(٢١٧) العراق، مديرية الآثار القديمة العامة، حفريات سامراء، ١٩٣٦ - ١٩٣٩ (بغداد: مطبعة الحكومة، [د.ت.ع.])، ص ١٠.

(٢١٨) أرنيست كويل، الفن الإسلامي، ترجمة أحمد موسى (بيروت: دار صادر، ١٩٦٦)، ص ٤١.

(٢١٩) ديمان، الفنون الإسلامية، ص ٢٣٣ - ٢٣٤.

(٢٢٠) المصدر نفسه، ص ١٧٥، وياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٩٣.

(٢٢١) مرزوق، العراق مهد الفن الإسلامي، ص ٧٠.

(٢٢٢) المصدر نفسه، ص ٧١.

(٢٢٣) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ص ٩٩.

(٢٢٤) جوزيف جل، الحضارة العربية، ترجمة إبراهيم أحمد العلوي؛ مراجعة حسين مؤنس، الألف

كتاب؛ ٨٨ (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٦)، ص ٩٢.

الملونة، وقد تحلّل بالذهب أحياناً. ويظهر أنّ الفن العراقي قد أثر على صناعة الخزف في دمشق حيث ظهرت بعض التماذج محلاة برسوم وزخارف منقولة عن الخزف العراقي<sup>(٢٢٢)</sup>. كما اشتهرت مدينة القدس بصنع المرايا الجيدة<sup>(٢٢٣)</sup>. واشتهرت صور بصنع الزجاج والحُرز<sup>(٢٢٤)</sup>.

وبلغت صناعة الزجاج في مصر درجة كبيرة من الاتقان في عهد إمارة بني طولون، وكانت مراكز هذه الصناعة القسطنطينية والقيوم والاسكندرية<sup>(٢٢٥)</sup>.

### هـ - صناعة الجلود

اختصت بغداد بصنع نوعين من الجلود هما الداروش واللكاء<sup>(٢٢٦)</sup>. واشتهرت مدينة زبيد باليمن بدباغة الجلود وصناعتها، وكانت اليمن تصدر الأدم، وهي الجلود المدبوغة وعليها صوفها أو شعرها أو وبرها، إلى عدد من البلدان<sup>(٢٢٧)</sup>.

وكانت تصنع في مصر الجلود الجليدة الثخينة الصبورة على الماء<sup>(٢٢٨)</sup>. وكان التجار يحملون من المغرب جلود الفراء كالسمور وغيره<sup>(٢٢٩)</sup>.

واشتهرت من مدن ما وراء النهر مدينتا الجرجانية وبخارى بدباغة الجلود، وبخاصة جلود الفصان، وكذلك مدينة الجوزجان التي كانت تحمل منها الجلود المدبوغة إلى أقطار أخرى، واشتهرت خوارزم بصناعة القلاص وجلود الفرو كجلود السمور والمسك والسنجاب والفَنك والأرانب والثعالب، كما كانت تصنع في مدينة الشاش السروج الجليدة بعد أن تجلب الجلود من تركستان وتديغ فيها<sup>(٢٣٠)</sup>. وكذلك اشتهر إقليم الجبال والديلم بصنع الفرو من جلد السمور والفَنك والوشق والسنجاب والثعالب<sup>(٢٣١)</sup>.

### و - صناعة الصابون والعطور

كان الصابون يصنع في كثير من المدن، إلا أن النوع الجيد المشهور الذي يُحمل إلى البلدان الأخرى اختصت بصناعته بعض المدن. فقد اشتهرت الرُّقّة بإقليم الجزيرة بصنع

---

(٢٢٥) أرنولد [وأخرون]، تراث الإسلام، ص ١٩٥ - ١٩٦.

(٢٢٦) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٨٠.

(٢٢٧) المصدر نفسه، ص ١٨٠.

(٢٢٨) ديكاند، الفنون الإسلامية، ص ٢٣٤.

(٢٢٩) المصانير، مختصر كتاب البلدان، ص ٢٥٢ - ٢٥٣.

(٢٣٠) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٩٨، وابن رسته، الأعلاّق النفيسة،

ص ١١٢.

(٢٣١) المعقري، البلدان، ص ٣٢٢، والمقدسي، المصدر نفسه.

(٢٣٢) ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ١٥٣.

(٢٣٣) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٣٢٤ - ٣٢٥، ٣٧٠ و ٣٧٥.

(٢٣٤) المصدر نفسه، ص ٣٩٦، والمعقري، البلدان، ص ٢٨٧.



الصابون الجيد المنسوب إليها، واشتهرت مدن فلسطين بصناعة الأنواع الجيدة من الصابون، ومن مدن ما وراء النهر اشتهرت كل من مدينة بلخ ومدينة ترمذ في صناعة الصابون، وكذلك اشتهرت بصناعتها مدينة أُرْجان وكان يحمل منها إلى بلدان متعددة<sup>(٢٣٢)</sup>.

وكان أفضل نوع من ماء البنفسج يعمل في البصرة، كما كان يعمل الدهن الخيري ودهن البنفسج في الكوفة، وهو في غاية الجودة ويفضل على جميع الدهون المائية<sup>(٢٣٣)</sup>. واشتهرت دمشق كذلك بصنع دهن البنفسج الجيد<sup>(٢٣٤)</sup>. واختصت بخاري بصنع الدهن الخاص بالرأس<sup>(٢٣٥)</sup>.

واشتهرت مصر بصنع دهن الزنبق، وكانت مدينة الفرما أشهر المدن باستخراجه، ودهن البلسان الذي يتخذ من نبات البلسان، وقد سباه الإصطخري وابن حوقل نبات البلسم<sup>(٢٣٦)</sup>، ويقول الجاحظ إنه مفقود في كل الأرض ما خلا مصر<sup>(٢٣٧)</sup>.

### ز - صناعات أخرى

من المتوجات التي كانت تصنع في بعض البلدان وتحمل إلى بلدان أخرى، السمن وزيت الطعام، والكاغد، والحصر والحبال. وقد اشتهر إقليم الجزيرة، ومدينة بلخ في ما وراء النهر بتصدير السمن<sup>(٢٣٨)</sup>، وذلك لتوفر المراعي فيها وعنايتها بتربية الماشية. وكانت كل من الموصل وبخاري تصدر الشحوم<sup>(٢٣٩)</sup>. واستخرجت مصر زيت الفجل واشتهرت بذلك مدينة الفرما<sup>(٢٤٠)</sup>. وكان هذا الزيت يستعمل للمصابيح. أما زيت السمسم فكانت مدينة تكريت تعتبر معدن السمسم<sup>(٢٤١)</sup>، وبالنظر لوفرة إنتاجه فيها فلا شك في أنها كانت تعنى باستخراج زيتته وتصديره. ومن أهم البلدان الأخرى التي اشتهرت بزراعته مصر، وسنجان، وبلخ، ووادي شلت قرب مدينة تاهرت بالمغرب<sup>(٢٤٢)</sup>. كما اشتهرت بعض مدن خراسان

(٢٣٥) المقدسي، المصدر نفسه، ص ١٤٥، ١٨٠، ٣٢٤ و ٤٤٢.

(٢٣٦) المصدر نفسه، ص ١٢٨، وابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢٦١.

(٢٣٧) المقدسي، المصدر نفسه، ص ١٨١.

(٢٣٨) المصدر نفسه، ص ٣٢٤.

(٢٣٩) المصدر نفسه، ص ٢٠٣ - ٢٠٤؛ الإصطخري، الأقاليم، ص ٢٩، وابن حوقل، صورة

الأرض، ص ١٥٠.

(٢٤٠) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص ٣٢.

(٢٤١) المقدسي، المصدر نفسه، ص ١٤٥ و ٣٢٤.

(٢٤٢) المصدر نفسه.

(٢٤٣) المصدر نفسه، ص ٢٠٣.

(٢٤٤) المصدر نفسه، ص ١٢٣.

(٢٤٥) المصدر نفسه، ص ٣٢٤؛ البقوي، البلدان، ص ٣٥٨، وابن حوقل، صورة الأرض،

ص ١٩٩ و ١٩٨.

بزراعته واستخراج زيت<sup>(٢٤٦)</sup>. وقد سبقت الإشارة إلى أهم مناطق زراعة الزيتون واستخراج زيتة في موضوع الحاصلات الزراعية.

أما صناعة الكاغذ فقد كان الصينيون قد عرفوه منذ مطلع القرن الثاني الميلادي، وتطورت صناعته على أيديهم، وصارت الصين المصدر الوحيد لورق الكتابة، وظلت كذلك مدة طويلة. وقد مرّت ستة قرون قبل أن تنتقل هذه الصناعة غرباً نحو سواحل البحر المتوسط. فقد هاجمت في العام ٧٥١ للميلاد حملة صينية مدينة سمرقند التي كان قد افتتحها العرب، فدُحرت الحملة ووقع بعض أفرادها أسرى بيد العرب. وكان بعض هؤلاء الأسرى ماهرين بصناعة الورق، فأخذوا يصنعونه في سمرقند. وكان الكتان والقنب المادة الأولية لصناعته. وما ساعد على تصنيعه فيها توفر الكتان والقنب وغزارة مياهها الصالحة لصناعته<sup>(٢٤٧)</sup>.

ولما انتشر استعمال الورق في أرجاء الدولة العربية بسبب الازدهار الحضاري والتقدم العلمي، واستعماله في العدد العظيم من المخطوطات العربية، فقد انتقلت صناعته في خلال القرن الثامن للميلاد إلى بغداد<sup>(٢٤٨)</sup>. وقد ظهر أول مصنع للورق فيها العام ٧٩٤ للميلاد، وأخذ يستخدم في دواوين الدولة<sup>(٢٤٩)</sup>، وكان ذلك في عهد الخليفة هارون الرشيد. ثم ما لبثت صناعته أن انتقلت إلى دمشق، ثم إلى مصر. ولم تصل صناعته إلى أوروبا إلا في القرن الثاني عشر للميلاد، عن طريق الأندلس.

وقد طور العرب صناعة الورق عندما استعملوا الخرق والألياف النباتية، بعد أن كان يصنع من الكتان والقنب. وأنتجوا أنواعاً جديدة منه، مثل ورق الحرير، والورق الأبيض والملون<sup>(٢٥٠)</sup>.

وظلّ الورق من الصناعات الرئيسة في سمرقند، وكان ما يصنع فيها لا نظير له بالجودة والكثرة<sup>(٢٥١)</sup>. كما أنه أخذ يصنع في دمشق وطبريا من بلاد الشام<sup>(٢٥٢)</sup>.

ومن الصناعات الأخرى الواسعة الانتشار صناعة الحُصُر والحبال. وقد اشتهرت بعض المدن باتقان صنعها، مثل عبادان آخر حدود العراق مع خوزستان، إذ كان أكثر أهلها صُنّاع حُصُر، وهم يعملونها من الخلفاء<sup>(٢٥٣)</sup>. وكانت الحُصُر والحبال تعمل في مصر كذلك وبخاصة

---

(٢٤٦) القديسي، المصدر نفسه، ص ٣٢٤.

(٢٤٧)

(٢٤٨) المصدر نفسه، ج ١٧، ص ٢٨٠.

(٢٤٩) أرنولد [وآخرون]، تراث الاسلام، ص ٤٦٢، وجلّ، الحضارة العربية، ص ٩٣.

(٢٥٠) جلّ، المصدر نفسه، ص ٩٣.

(٢٥١) القديسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٣٢٦.

(٢٥٢) المصدر نفسه، ص ١٨٠ - ١٨١.

(٢٥٣) المصدر نفسه، ص ١١٨.

في مدينة القَرَمَا، وهم يعملونها من اللَّيْف بغاية الجودة<sup>(٢٥٤)</sup>. وفي مصر حشيشة يقال لها الدقس كان يتخذ منها حبال للسفن تسمى القرقس<sup>(٢٥٥)</sup>. وكانت الحبال الجيدة تصنع أيضاً في مدينة القدس<sup>(٢٥٦)</sup>. كما كانت الحصر والحبال تصنع من الليف في سجستان<sup>(٢٥٧)</sup>.

## ثالثاً: التجارة

### مقدمة

كان للعرب قبل الاسلام علاقات تجارية مع البلدان المجاورة وبخاصة مع بلاد الشام، وكان زعماء قريش من كبار التجار. وقد اهتم العرب بعد الاسلام بهذا المرفق الاقتصادي ولا سيما بعد اتصالهم بالأمم الأخرى، وتقدمهم في ميدان الحضارة. فكثرت عدد التجار الرحالين منهم، حتى صارت التجارة من المظاهر المهمة في حياة الدولة العربية ومن أسس حياتها الاقتصادية. وصارت سفن العرب تجوب الأنهار والبحار، وقوافلهم تخترق المهادر والسهوب، تنقل مختلف البضائع في ذهابها وإيابها. وصارت بغداد والبصرة والقلمز والقَرَمَا وعُمان وعدن وطرابلس وانطاكية أهم مراكز التجارة العربية وموانئها في هذا القرن. وقد شجع الخلفاء التجارة واهتموا بحماية سبلها. وكان التجار يستفيدون من التسهيلات المهيأة في طرق الحج ومنازل، كتوفر المياه والسكن. وكانت الدولة تهتم كثيراً بحماية الطرق التجارية وتأمين سلامة القوافل التي تسلكها، فقد طاردت قبائل الزط في عهد المعتصم بالله لأنهم كانوا يقطعون طرق القوافل التجارية والسفن التي تمر بمنطقة الباطخ.

إن ربط نهر دجلة بنهر الفرات بعدد من الأنهر والقنوات، كالصراة ونهر عيسى من جهة، وموقع مدينة بغداد من جهة أخرى، ساعدا هذه المدينة على أن تكون مركزاً تجارياً عظيماً بين الشرق والغرب، وبين أقاليم الدولة العربية نفسها ولولاياتها. إذ إن اتصالها بالفرات جعلها ترتبط بآسيا الصغرى وبلاد الشام ومصر، وكانت بضائع اقليم الرحاب وبقية أنحاء آسيا الصغرى، وحاصلات اقليم الجزيرة تنحدر إليها في دجلة من الموصل. وكانت السفن العظام القادمة من الرُّقَّة حاملة الدقيق والبضائع المختلفة من مصر وبلاد الشام تصير إلى بغداد عند فرضة قامت عليها الأسواق وحوانيت التجار<sup>(٢٥٨)</sup>. وكان الناس يذهبون ويحبسون في السفن وهم جلبة وضوضاء<sup>(٢٥٩)</sup>، مما يدل على نشاط الحركة التجارية. وقد ساعد

(٢٥٤) المصدر نفسه، ص ٢٠٤.

(٢٥٥) المجلد الثاني، مختصر كتاب البلدان، ص ٦٦.

(٢٥٦) المقدسي، المصدر نفسه، ص ١٨٠.

(٢٥٧) المصدر نفسه، ص ٣٢٤.

(٢٥٨) يعقوبي، البلدان، ص ٢٥٠.

(٢٥٩) المقدسي، المصدر نفسه، ص ١٢٤.

نهر دجلة كذلك على ارتباط بغداد بالبحر العربي فالهند والصين. كما كانت تصلها القوافل البرية من أواسط آسيا عبر الأقاليم الشرقية.

وكانت البصرة الميناء الرئيس على الخليج، وقد هباً لها موقعها الممتاز أن تصبح باب العراق الجنوبي. فهي محطة للتجارة القادمة من الشرق، والقوافل الآتية من الغرب عبر الصحراء. وقد امتاز التجار البصريون بروح المغامرة وعلوهمتهم في السفر والارتحال في سبيل الربح. فحينما بحثت في أصقاع الدنيا وجدت تاجراً بصرياً، وقد قيل: أبعد الناس نجعة في الكسب بصري، ومن دخل فرغانة القصوى، والسوس الأقصى، فلا بد أن يرى بصرياً<sup>(١١١)</sup>. وكان سوق المُرْتَد مركزاً لتجارة البصرة مع البادية، وغدا في هذا القرن مركزاً مهماً للنشاط التجاري إلى جانب أهميته الأدبية، وصار له من الأهمية بحيث سمي عين البصرة<sup>(١١٢)</sup>. كما كانت الأبله مرفأً للبصرة ومركزاً لتجاريتها البحرية، وكان فيها عدد كبير من الأسواق والخانات التجارية<sup>(١١٣)</sup>.

## ١ - اتساع نطاق التجارة العربية

لقد استطاع التجار العرب المسلمون أن يخرجوا التجار اليهود المعروفين بالرواذنية من البحار، وكانوا قد احتكروا التجارة بين الشرق والغرب مدة طويلة. فحلّ العرب محلّهم عندما وشعوا بتجارهم نحو بلاد الروس وحوض بحر البلطيق وكُونُوا مع تجارها علاقات تجارية مباشرة. بحيث أخذ بعض هؤلاء التجار يصلون إلى بغداد وهم يحملون بضاعتهم من جلود الثعالب، والحز، والسيف. وصارت بلاد الروس منذ ذلك العهد حتى الحروب الصليبية، هي الطريق التجاري الوحيد بين شمالي أوروبا والشرق<sup>(١١٤)</sup>. وقد أوضح كل من ابن خرداذبه وابن الفقيه معالم الطريق التي كان يسلكها هؤلاء التجار في مجيئهم إلى بغداد وإيابهم منها<sup>(١١٥)</sup>. ولعل خير دليل على قيام تلك العلاقات العنبر على كميات من النقود العربية التي يعود أكثرها إلى القرن الثالث، في حوض بحر البلطيق، كما وجدت مجموعات أخرى من النقود الفضية في منطقة البحيرات الروسية الكبرى في روسيا الوسطى وفي حوض الفولغا<sup>(١١٦)</sup>.

كانت السفن التجارية العربية تتمخر في بحر الروم من سواحله الشرقية والجنوبية حتى سواحله الشمالية وأقصى الغرب. وكانت انطاكية، وهي ثغر عربي اهتم المعتصم بالله

(٢٦٠) المزداني، مختصر كتاب البلدان، ص ١٩١.

(٢٦١) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ص ١٣٠.

(٢٦٢) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١١٧.

(٢٦٣) متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ج ٢، ص ٣١٤.

(٢٦٤) ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ١٥٤ - ١٥٥، والمزداني، مختصر كتاب البلدان، ص ٢٧٠ - ٢٧١.

(٢٦٥) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري.

بتحصينه، مركزاً تجارياً هاماً تنطلق منه السفن المحملة ببضائع الشرق وتعود إليه موقرة ببضائع الغرب. ومثل ذلك صارت طرابلس أهم الموانئ التجارية في بلاد الشام. وقد تعجب اليعقوبي من سعتها عندما زارها، فقال «ميناء عجيب يحتمل ألف مركب»<sup>(٣٦٦)</sup>. كما كانت هذه السفن تنقل البضائع إلى بلدان الشرق الأقصى كالهند وبورما والملايو والصين عبر الخليج العربي والمحيط الهندي. وكانت موانئ الخليج العربي مثل: سيراف، وغبان، وعدن، التي سماها المقدسي «دعبلز الصين وفرضة اليمن ومعدن التجارات»<sup>(٣٦٧)</sup>، مراسي لهذه السفن، والسفن القادمة من الشرق محملة ببضائع الهند والصين. وصارت كل من عمان وعدن مركزاً لتجمع البضائع الواردة إلى أقطار الدولة العربية، والصادرة منها. فكانت تصل إليها آلات الصيادلة، والعطور، والبسك، والزعفران، والساج، والعاج، والديباج، والأبنوس، والনারجيل، والسكر، والصبر، والحديد، والرمصاص، والياقوت، والجزع، واللؤلؤ، والخيزران، والصندل، والبلور، والفلفل<sup>(٣٦٨)</sup>.

لقد وصل التجار العرب إلى الصين، وقد استقر بعضهم في مدينة خانفو، جنوبي مدينة شنغهاي - وتسمى اليوم كانتون - وكوّنوا هناك جالية كبيرة عملت على نشر الدين الاسلامي في تلك الأصقاع. وصارت تلك المدينة مركزاً للمتاجرة مع الصين. ومن هناك أخذ التجار والملاحون العرب يمعنون في التوغل شمالاً، ومن المحتمل أنهم وصلوا إلى كوريا وجزر اليابان. وقد استمر هذا النجاح التجاري في الصين حتى أواخر القرن الثالث عندما وقعت اضطرابات سياسية فيها أدت إلى خراب مدينة خانفو<sup>(٣٦٩)</sup>.

كما أن استيلاء العرب على إقليم السند قد وسّع مجال عمل العرب التجاري في الهند، ونشرهم الدين الاسلامي في تلك الأرجاء. وكانت سفنهم نشطة دائمة الإبحار إلى جزيرة سرينديب (سيلان) وسواحل الهند. وكانت في الهند جالية اسلامية غنية تقطن مدينة صيبور، المجاورة لمدينة بومبي، وكانت مدينة ذيبل الواقعة في إقليم السند من جملة التخوم العربية، هي الأخرى مركزاً تجارياً مهماً لتلك النواحي<sup>(٣٧٠)</sup>.

وكانت السفن والقوافل العربية تحمل إلى البلدان الأخرى حاصلات أقطار الدولة العربية وبضائعها الصناعية، كالحنطة والشعير والأرز والسكر والزجاج والأقمشة الحريرية والصوفية والكتانية، والزيت والعطور والزعفران وشراب العنب<sup>(٣٧١)</sup>، والمرابا والجواهر والخرز وسنائر صيد الحوت<sup>(٣٧٢)</sup>.

(٢٦٦) اليعقوبي، البلدان، ص ٣٢٧.

(٢٦٧) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٨٥.

(٢٦٨) المصدر نفسه، ص ٩٧.

(٢٦٩) أرنولد وآخرون، تراث الإسلام، ص ١٤٨.

(٢٧٠) المصدر نفسه، ص ١٤٩.

(٢٧١) مولاري سيد أمير علي، مختصر تاريخ العرب، ترجمة عفيف البعلبكي (بيروت: دار العلم

للملايين، ١٩٦١)، ص ٣٦٦.

(٢٧٢) جبل، الحضارة العربية، ص ٩١.

ويظهر مما ذكره ابن خردادبه وابن الفقيه أن البضائع التي كانت تجلب من الهند هي التوابل والأحجار الكريمة والتارجيل والتوتياء والخيزران والساج والصندل والكافور والعود الهندي والياب القطنية المخملية والطاووس والفيل. أما البضائع التي كانت تجلب من الصين فهي الحرير الصيني والدارصيني والمسلك والعود والسروج والسمور والغضار، والسيوف<sup>(٣٣)</sup>.

هذا فضلاً عن نشاط التجارة الداخلية التي اتسعت حركتها بين أقاليم الدولة العربية نفسها، لتبادل منتجاتها وبضائعها بما تحتاجه من بضائع ومنتجات بلدان أخرى. وكانت مكة المكرمة تصبح في موسم الحج من المراكز التجارية النشطة. إذ يلتقي فيها التجار المسلمون القادمون من مختلف الأقطار والأمصار، وتُعرض فيها مختلف البضائع والمنتجات المستوردة من البلدان المختلفة، ويقبل الحجاج على شرائها لحملها معهم عند عودتهم للتبرك بها، أو لغرض التجارة.

وكان هذا النشاط التجاري الواسع عاملاً في انتعاش مهنة الصيرفة التي ساعدت التجار كثيراً، فلم يعمدوا يحملون معهم المبالغ الكبيرة من النقود، بل يستعاضون عن ذلك بسفاتيح يحملونها إلى البلدان التي يقصدونها بأسماء الصرافين فيها، وهي خفيفة الحمل بعيدة عن متناول اللصوص<sup>(٣٤)</sup>.

وعندما شيد المعتمد بالله مدينة سامراء اختط بها سوقاً خاصة بالتجار، وجعلت منفردة فيها على مثل ما رسمت عليه أسواق بغداد، وكان من الشوارع الرئيسة بها شارع الخليج على دجلة، وفيه الفرض والسفن والتجارات التي ترد من بغداد وواسط وكسكر وسائر السواد، ومن البصرة والأبلة والأحواز وما اتصل بذلك، ومن الموصل وديار ربيعة وما اتصل بها. وكان قرب سامراء من الموصل وديار الجزيرة سبباً في رخص أسعار الميرة فيها<sup>(٣٥)</sup>. وفي عهد الواثق بالله ألغيت العشور على السفن<sup>(٣٦)</sup>، وذلك تشجيعاً للتجارة الخارجية مع الهند والصين.

ويظهر أن التجار كانوا ينجون من تجاراتهم أرباحاً طائلة بحيث إنهم كونوا الطبقة الغنية في المجتمع. وكان الكبار منهم يتعاملون بأمتعة الترف كالجواهر والرياش الثمينة وغالي الثياب. وقد أصبح بعضهم على درجة كبيرة من الثراء، فقد بلغت ثروة تاجر بصري عشرين ألف ألف دينار<sup>(٣٧)</sup>. وتوفي تاجر بغداد وخلف لابنه خمسمئة ألف دينار<sup>(٣٨)</sup>. وبلغت قيمة ما

---

(٢٧٣) ابن خردادبه، المسالك والممالك، ص ٦٠-٦٢، والمعداني، مختصر كتاب البلدان، ص ٢٥١.

(٢٧٤) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ص ١٧٣-١٧٤.

(٢٧٥) البغدادي، البلدان، ص ٢٦٣-٢٦٥.

(٢٧٦) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ١٥٠.

(٢٧٧) زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج ٥، ص ٤٢.

(٢٧٨) المحسن بن علي التنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة أو جامع التواريخ، بتحقيق عبود

الشاذلي، ج ٨ (بيروت: دار صادر، ١٩٧١)، ج ١، ص ١٨٤.

في دكان أحد التجار أكثر من مئتي ألف درهم، وخسر في حريق حلَّ به ما يزيد على أربعمئة ألف درهم<sup>(١٧٨)</sup>. ووقع حريق بعيان فأحرق لتاجر فيها من العبيد السود سوى البيض اثني عشر ألف نسمة، وأحرق له من الأمتعة والبضائع والعطور ما لا يُحصى، إلا الكافور فقد احترق له أربعمئة بركة، والبركة خمسون وقرناً<sup>(١٧٩)</sup>. وكان لتاجر ثمانون ألف دينار دفنها في بئر<sup>(١٨٠)</sup>.

وكان الخلفاء والوزراء عند حاجتهم إلى المال، وبخاصة في أثناء الحروب، يستدينون من كبار التجار بشهادة القضاة والشهود العدول. كما فعل الخليفة المعتمد على الله عندما احتاج إلى المال للإنفاق على الجيوش الموجهة إلى حرب الزنج<sup>(١٨١)</sup>.

## ٢ - طرق التجارة الداخلية

لقد اهتمت كتب البلدانين بهذه الطرق وأشارت إلى المهم منها وما يتفرع عنها من طرق فرعية. ويعتبر ما كتبه ابن خرداذبة في كتاب المسالك والممالك، أدق وأوضح مما كتبه غيره، لأنه كان قد تولى البريد مدة، الأمر الذي أكسبه معرفة بالطرق. وهو يذكر أسماء جميع السكك والمدن التي تمر بها والمسافات بين سكة وأخرى، ومدينة وأخرى. ولذلك سوف نعتمد عليه في بحثنا هذا، إلا ما نشير إلى مصدره.

ويمكن تقسيم هذه الطرق بحسب اتجاهاتها إلى ما يلي:

### أ - طريق المشرق

ونعني به الطريق الذي يربط حاضرة الخلافة بمدن الولايات الشرقية وما وراء النهر حتى تخوم الصين. وهو يمتد من بغداد حتى نيسابور حاضرة خراسان، ويمرُّ بأهمّ المدن. إذ بعد أن يبلغ حلوان يقطع إقليم الجبال ماراً بقرميسين ثم الدكان فهمدان، ومنها يتجه فرع من الطريق إلى اليمن ليصل إلى نهاوند وأصبهان، ويتجه فرع آخر نحو البسار إلى قومس، ثم يدخل بعدها إقليم خراسان، ويستمر بعدها إلى سرخس ومرو، وعند مرو يتفرع طريق إلى أمل ثم بخارى فسمرقند فالشاش ثم إلى فرغانة. ويذكر المقدسي أن بمدينة سمرقند باباً يسمى «باب الصين»<sup>(١٨٢)</sup> مما يدل على أن هناك طريقاً بينها وبين تخوم الصين.

### ب - طريق بغداد - البصرة

يمر هذا الطريق بالمداين فدير العاقول ثم جرجرايا، ثم جُبَل، ثم فم الصلح،

(٢٧٩) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٠٤.

(٢٨٠) الإصطخري، الأقاليم، ص ٦٦.

(٢٨١) الترخي، المصدر نفسه، ج ٨، ص ١٠٠.

(٢٨٢) المصدر نفسه، ج ٨، ص ٢٥ - ٢٧.

(٢٨٣) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٢٧٨.

فواسط. وعمر بالطائح حتى يصل معقل البصرة. ويسير طريق من البصرة إلى الأحواز ومنها إلى شيراز. ثم يتجه نحو الشمال إلى أصبهان ثم الري. ويتجه طريق نحو الجنوب إلى سیراف وهي أكبر الموانئ حينذاك على الساحل الشرقي للخليج العربي. وهناك طريق يمتد بين البصرة وعيوان ماراً بعبادان والعقير وقطر.

### ج - طريق الفرات

يربط هذا الطريق حاضرة الخلافة بم مدن الولايات الغربية وهي بلاد الشام ومصر وأفريقيا. وهو يمر بالأنبار ثم هيت والوسية حتى يصل إلى قرقيسيا ثم الرقة. ويتفرع من الرقة طريقان يذهب أحدهما إلى دمشق ماراً بحلب وقنسرين ثم حماة وحمص ويعلبك فدمشق. ويربط الآخر بين الرقة والثغور الجزرية ماراً بسميساط وحصن منصور، ثم زبطرة وملطية والحديث حتى يصل إلى مرعش.

وثمة طريق يربط بين حلب والثغور الشامية، يبدأ من حلب إلى قنسرين، ومنها إلى المصيبة وعين زربة والهارونية، ثم إلى أذنة ومنها إلى طرسوس ثم البدندون فلؤلؤة.

وهناك طريق بين دمشق وبيت المقدس يمر بطبريا وهي مدينة الأردن، ومنها إلى الرملة مدينة فلسطين، ثم إلى بيت المقدس. ويخرج طريق آخر من الرملة إلى القسطنطينية مصر ويمر بغزة ورفح والعريش، ومنها إلى القراما ولبليس فالقسطنطينية. ويمتد طريق من القسطنطينية إلى القيروان ماراً بالاسكندرية ومنها إلى برقة واجدادية ثم إلى سرت، ومنها إلى طرابلس ثم إلى قابس فالقيروان.

### د - طريق بغداد - الموصل

وهو طريق الشمال. ويبدأ من بغداد ماراً بالقادسية فسامراء ثم تكريت فالسنن الواقعة عند مصب الزاب الصغير بدجلة. ومنها إلى الحديثة الواقعة على مصب الزاب الكبير في دجلة، ثم إلى بني طحيان ومنها إلى الموصل.

ويمتد طريق من الموصل نحو الشمال إلى آمد ماراً ببلد ثم نصيبين ومنها إلى آمد، ويتفرع من آمد طريقان يذهب أحدهما إلى ميافارقين وأرزون والآخر إلى سميساط.

وهناك طريق آخر يبدأ من الموصل ويتجه غرباً إلى قرقيسيا على الفرات ماراً ببلد وتلعفر ثم سنجان فقرقيسيا.

### هـ - طرق الحج

ويمكن اعتبار طرق الحج من الطرق التجارية الموسمية لما يرافق موسم الحج من نشاط تجاري ذكرناه آنفاً. ويظهر من كتب البلدانيين أنه كان في خلال القرنين الثالث والرابع طريقان للحج من العراق، أحدهما عن طريق الكوفة والآخر عن طريق البصرة. وكلا



الطريقين يَخْتَرَقَانِ صحاري الجزيرة العربية ووديانها ويمران بالواحات والأماكن التي تتوفر فيها المياه<sup>(٢٨١)</sup>.

ويبلغ طول الطريق من بغداد إلى مكة عن طريق الكوفة ٢٧٥ فرسخاً وتساوي ٨٢٧ ميلاً<sup>(٢٨٢)</sup>. أما طول الطريق من البصرة إلى مكة فيقرب من ٧٠٠ ميل<sup>(٢٨٣)</sup>. والطريقان مقسمان إلى منازل تتوفر فيها المياه سواء من البرك المتجمعة من الأمطار والسيول، أو من الآبار والعيون عذبة الماء. ومجموع منازل طريق الكوفة ثلاثون منزلاً، ومنازل طريق البصرة خمسة وعشرون منزلاً.

وهناك إلى جانب هذين الطريقين طرق أخرى يسلكها الحجاج إلى الديار المقدسة، وهي تبدأ من بعض المدن مثل دمشق واليامة وصنعاء وعُمان ومصر. وكان التجار يستخدمون هذه الطرق في رحلاتهم، كما أشرنا آنفاً.

### و - طرق التجارة الخارجية

وصف ابن خرداذبه الطرق التي اعتاد التجار سلوكها في رحلاتهم التجارية آنذاك، فيقول إنهم كانوا يسافرون من المشرق إلى المغرب وبالعكس براً وبحراً. ويتبين مما ذكره أنه كانت هناك أربعة طرق رئيسية هي<sup>(٢٨٤)</sup>:

(١) الطريق الذي يبدأ من فرنجة في البحر الغربي، فينزل التجار بالفَرَمَا بمصر ويحملون تجارتهم على ظهور الحيوانات إلى ميناء القلزم، ثم يركبون البحر الشرقي فيمضون إلى السند والهند والصين. ثم يرجعون إلى القلزم فالفرما ثم يركبون البحر الغربي. وربما عدلوا بتجاراتهم إلى القسطنطينية فباعوها من الروم، أو صاروا بها إلى فرنجة لبيعها هناك.

(٢) الطريق الذي يبدأ من فرنجة، فينزل التجار بأنطاكية ويسرون براً إلى الجابية ثم يركبون نهر الفرات إلى بغداد، ثم يركبون من دجلة إلى الأبلّة ومنها إلى عُمان، والسند والهند والصين.

(٣) طريق بحر قزوين، وكان يسلكه عادة التجار الروس فيمرون بالبحر الرومي وبحر جرجان (طبرستان) فيخرجون في أحد موافيه، ومنها إلى مدينة جرجان، ثم يحملون تجارتهم على الإبل إلى بغداد.

---

(٢٨٤) انظر: ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ١٢٥ - ١٢٨، ١٣١ - ١٣٢، ١٤٦ - ١٤٧؛  
العقري، البلدان، ص ٣١١ - ٣١٢؛ القليسي، المصدر نفسه، ص ١٠٦ - ١٠٩، ابن رسته، الأعلام  
النقبيّة، ص ١٧٢ - ١٨٣، وأبو الفرج قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، حققه محمد حسين الزبيدي  
(بغداد: دار الحرية، ١٩٨١)، ص ٧٨ - ٨٦.

(٢٨٥) ابن خرداذبه، المصدر نفسه، ص ١٢٢. والميل يساوي أربعة آلاف ذراع. انظر: ياقوت  
الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٣٦.

(٢٨٦) القليسي، المصدر نفسه، ص ١٠٩.

(٢٨٧) ابن خرداذبه، المصدر نفسه، ص ١٥٣ - ١٥٥.

(٤) الطريق البري، ويبدأ من فرنجة فيعبر إلى طنجة ثم إلى إفريقيا - تونس - ثم إلى مصر، ومنها إلى دمشق ثم إلى بغداد فالبصرة فالأحواز، ومنها إلى كرمان وإلى السند والهند والصين. وربما أخذ بعض التجار بعد رومية في بلاد الصقالبة إلى خليج الخزر ثم في بحر جرجان ومنها إلى بلخ وما وراء النهر، ثم إلى تغزغر فالصين. إلا أن وعورة الطريق البري الموصل إلى السند وصعوبة اختراق مسالكه ومفاوزه في جبال أفغانستان، وضرورة اختراق المناطق التي تسكنها قبائل التتر للوصول إلى الصين، جعلت رحلات التجار إلى هذين البلدين تتم عن طريق البحر، مما أكسب الملاحين العرب خبرة واسعة عن البحار التي يسلكونها للوصول إليها. وكان نشاط العرب التجاري في الخليج العربي والبحر العربي والمحيط الهندي قد مهد الطريق للمستكشفين الأوروبيين الذين جاءوا في ما بعد<sup>(١٨٨)</sup>.

ويظهر من فحوى ما ذكره ابن خرداذبه أن هذه الطرق كان يسلكها أول الأمر التجار الغربيون الذين يأتون إلى الشرق ببضائع بلادهم ويعودون ببضائع الشرق ومصنوعاته. كما يجدر ملاحظة أن هذه الطرق سلكها العرب أيضاً أيام ازدهار تجارتهم، إضافة إلى الطرق العديدة التي سبقت الإشارة إليها.

## رابعاً: الحالة المالية

### ١ - مصادر الجباية «الإيرادات»

كانت مصادر إيرادات بيت المال تتكون من الخراج وتوابعه، وأموال الجزية والزكاة، وإيرادات متفرقة أخرى. وسنحاول في ما يأتي أن نلّم بطبيعة كل من هذه المصادر وأحكامها وأهميتها في تمويل بيت المال.

#### أ - الخراج

هو ضريبة الأرض الزراعية. ويعرفه أبو الحسن الماوردي: هو ما يوضع على رقاب الأرض من حقوق تُؤدّى عنها<sup>(١٨٩)</sup>. وهو يؤخذ عن الأرض التي فتحها العرب أو استحوذوا عليها صلحاً ثم تركوها بيد أهلها لقاء خراج معين يؤدونه سنوياً إلى بيت المال. وهناك أراض زراعية لا يُفرض عليها الخراج وإنما يدفع أصحابها عشر غلتها، وتسمى الأراضي العشرية. فكل أرض أسلم أهلها عليها فهي لهم وهي أرض عشرية، وكل أرض استولى عليها الإمام وترك في أيدي أهلها فهي أرض خراج، إلا إذا قسمها بين الذين غنموها فهي أرض عشرية<sup>(١٩٠)</sup>. كما أن هناك صنفاً آخر من الأراضي تدفع عنها ضرائب خاصة، وهي أراضي

(٢٨٨) أرنولد [وآخرون]، تراث الإسلام، ص ١٥٠.

(٢٨٩) أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، عني بتصحيحه محمد

بدر الدين النعماني (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٠٩)، ص ١٣١.

(٢٩٠) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، الخراج، ط ٢ (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٩٣٣)،

بعض كبار المزارعين الذين عقدوا مع العرب عند الفتح عقوداً خاصة يدفعون بموجبها مقداراً معيناً من الضريبة لا يتغير<sup>(١١١)</sup>. كما اعتاد الخلفاء أن يقطعوا بعض القواد أو كبار رجال الدولة أو غيرهم قطائع من الأراضي الزراعية، وإن الشخص الذي يجوز هذه الإقطاعات كان يؤدي عنها الخراج<sup>(١١٢)</sup>. وكانت هناك (الضياع السلطانية) وهي أراضي الأمويين التي صادرها العباسيون ثم توسعت بطرق مختلفة، وكانت واسعة ومتفرقة في أنحاء مختلفة كالعراق والشام ومصر وطبرستان وخراسان والبيامة. وكانت هذه الضياع تعطى بالمزارعة بموجب اتفاق خاص بين المزارع وديوان الضياع<sup>(١١٣)</sup>.

وكان الأساس الذي تقوم عليه ضريبة الأرض الزراعية، أن الأرض ملك الدولة، وأن الناس يستغلونها وللدولة حق في غلتها<sup>(١١٤)</sup>. وكان الخراج يؤخذ إما مقداراً معيناً من المال أو من الحاصلات. على أن أسس الخراج لم تكن قد استقرت إذ كانت تتغير تبعاً للظروف<sup>(١١٥)</sup>. ولا ريب في أن جباية الخراج كانت تقل أو تزيد حسب الاهتمام بتعمير الأرض وتحسين وسائل ريها. وقد حاول الخليفة هارون الرشيد أن يضع قواعد ثابتة لجبايتها، فسأل قاضي قضائه أبا يوسف أن يضع له كتاباً جامعاً يعمل به في جباية الخراج والعشور والصدقة والجزية<sup>(١١٦)</sup>. فوضع أبو يوسف كتاب الخراج معتمداً على الناحيتين الفقهية والتاريخية لتلك الضرائب مع الأخذ بنظر الاعتبار واقعها حينذاك. وقد انطوى الكتاب على مقترحات مهمة وملاحظات جديرة بالاهتمام. فقد ثبت أبو يوسف نسبة تلك الضرائب وشروط تحققها وكيفية استيفائها. أما عن نسبة ما يستوفى فقد اقترح ما يلي<sup>(١١٧)</sup>:

(١) أن يقاسم على الخنطة والشعير من أهل السواد جميعاً على خمسين للسَّيْح منه، وخمس ونصف على الدوالي، أي السقي بالواسطة.

(٢) ويقاسم على النخل والكرم والرطاب والبساتين على الثلث، أما غلال الصيف فيُقاسم على الربع.

(٣) أما القطائع فما كان منها سيحاً فعلى العشر، وما سقي بالدلو والقِرْب فعلى نصف العشر، مراعيّاً في ذلك مؤونة السقي.

(٢٩١) عبد العزيز الدوري، النظم الإسلامية: الخلافة، الضرائب، الدواوين والوزارة (بنداد: مطبعة

نجيب، ١٩٥٠)، ص ١٧٢.

(٢٩٢) المصدر نفسه، ص ٢٤٤.

(٢٩٣) المصدر نفسه، ص ١٧٣.

(٢٩٤) زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج ١، ص ٢١٣.

(٢٩٥) الدوري، المصدر نفسه، ص ١٦٢.

(٢٩٦) الأنصاري، الخراج، ص ٣.

(٢٩٧) المصدر نفسه، ص ٥٠ - ٥١.

## (١) جباية الخراج

كان الخلفاء يُعيّنون ولاية على الخراج مرتبطين بهم مباشرة، يتولون جبايته. وبعد أن يتفقوا منه على أرزاق الجند ورواتب الموالي والدواوين التي في الولاية وما تقتضيه المصالح العامة من النفقات، وما جرت العادة بإفناقه من بيت المال، يرسلون بالباقي إلى بيت المال في حاضرة الخلافة. ويُعين أبو يوسف الصفات والشروط التي يجب توفرها فيمن يعين لولاية الخراج. وذلك بأن يكون فقيهاً عالماً، مشاوراً لأهل الرأي، عفيفاً، لا يطلع الناس منه على عورة، ولا يخاف في الله لومة لائم، ولا يخاف منه جور في الحكم، ويجب أن لا يكون عسوفاً لأهل عمله محتقراً لهم، أو مستخفاً بهم<sup>(٢٩٨)</sup>. أما الماوردي فيرى أن عامل الخراج يُعتبر في صحة ولايته: الحرية والأمانة والكفاية، وإذا ما ولي وضع الخراج اعتبر فيه أن يكون فقيهاً من أهل الاجتهاد، أما إذا ولي جبايته فقط فإن ولايته تصح وإن لم يكن فقيهاً<sup>(٢٩٩)</sup>. ويرى صاحب آثار الأول في ترتيب الدول أن على عامل الخراج أن يتعهد الرعية بالتقوية والإعانة والمساعدة في عمارة الأرض، والرفق في الاستيفاء، والصبر إلى حين الميسرة<sup>(٣٠٠)</sup>.

وفي ما يتعلق بطرق الجباية فقد نبه أبو يوسف إلى مساوئ بعضها، كطريقة حزر ما في البياذر بأن تقدر بأكثر من محتوياتها الحقيقية، ثم يؤخذ صاحب الخراج بنقائص الحزر، وفي هذا هلاك لأهل الخراج وخراب للبلاد. ونبه على مضار إعطاء الخراج بالالتزام ونهى عنه، لأن الملتزم، وهو يستهدف الربح، يلجأ إلى القسوة والتعسف في تحصيل الضريبة، ويقول: وليس يمكنه ذلك إلا بشدة منه على الرعية وضرب لهم شديد، وإقامة لهم في الشمس، وتعليق الحجارة في الأعناق، وعذاب عظيم ينال أهل الخراج، مما ليس يجب عليهم من الفساد الذي نهى الله عنه. كما أشار إلى عدد من مظاهر التعسف التي كان الجباة يمارسونها في عملهم تنسم بالقسوة والظلم. وطلب إلى الخليفة أن يأمر بمنعها، كتحميل المكلفين رسوماً إضافية على الخراج المتحقق، ومطالبتهم بفروق الدراهم التي يدفعونها، إضافة إلى ضربهم وإيقافهم في الشمس، وتعليق الجرار عليهم، وتقييدهم بما يمنعونهم من الصلاة<sup>(٣٠١)</sup>.

وميز أبو يوسف بين مشاريع الري التي تتحمل الدولة نفقاتها وبين المشاريع التي يتحملها المزارعون. فيقول: إذا احتاج أهل السواد إلى كرى أنهارهم العظام التي تأخذ مياهها من دجلة والفرات كريت لهم وكانت النفقة من بيت المال ومن أهل الخراج، ولا يجوز أن يحمل ذلك على أهل الخراج وحدهم. أما الأنهار التي يجرونها إلى أراضيهم ومزارعهم وبساتينهم فكرياً عليهم. إلا أن البثوق والمسنات والبريدات التي تكون على دجلة والفرات وغيرهما من الأنهار العظام فإن جميع النفقة على هذه من بيت المال، لأن منفعتها عامة<sup>(٣٠٢)</sup>.

(٢٩٨) المصدر نفسه، ص ١٠٧.

(٢٩٩) الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص ١٣٦.

(٣٠٠) الحسن بن عبد الله العباسي، آثار الأول في ترتيب الدول (مصر: مطبعة بولاق، ١٢٩٥هـ)،

ص ٧١.

(٣٠١) الأنصاري، الخراج، ص ١٠٥ و ١٠٨ - ١٠٩.

(٣٠٢) المصدر نفسه، ص ١١٠.

وعلى الرغم من تمحّس الخليفة هارون الرشيد للموضوع إلا أنه ليس هناك ما يدل على أنه أخذ بنصائح أبي يوسف وتوصياته خارج السواد، وذلك لصعوبة مراقبة العمال<sup>(٣٠٣)</sup>.

كما اهتم الخلفاء العباسيون وبخاصة خلفاء العصر الأول، بمواعيد جباية الخراج. وقد أشرنا إلى ذلك في الباب الخاص بالزراعة.

## (٢) توابع الخراج

إن توابع الخراج هي: المكوس، وأخماس المعادن، والمستعلات، وإيرادات متفرقة أخرى. وضريبة المكوس هي ما نسميه اليوم بالرسوم الجمركية، وكانت تؤخذ على البضائع التجارية التي يحملها التجار من الهند والصين بحرًا إلى الموانئ العربية. وتسعى هذه الرسوم البحرية (أعشار السفن) وكانت نسبتها عشر قيمة ما يحمله التجار من أموال وبضائع، وتستوفى نقدًا أو عينًا. ويُعتقد أن إيراداتها كانت كبيرة بالنظر إلى اتساع التجارة حينذاك بين بلدان الدولة العربية وأقطار العالم الأخرى، فكانت السفن كثيرة وأحمالها ثمينة. وكان الخليفة الواصل بالله أمر بترك جباية أعشار السفن، تشجيعاً لحركة التجارة<sup>(٣٠٤)</sup>.

كما كانت ضريبة المكوس تؤخذ على البضائع التجارية التي ينقلها التجار بين بلد وآخر. فكان يؤخذ من التجار المسلمين ربع العشر، وأهل الذمة نصف العشر، ومن أهل دار الحرب العشر، وذلك عن كل بضاعة بلغت قيمتها مئتي درهم فصاعدًا<sup>(٣٠٥)</sup>. وقد أنشئت محلات خاصة تدعى (المراسد) لجباية هذه الضريبة<sup>(٣٠٦)</sup>. ونظرًا لأهمية ضريبة المكوس فقد طلب أبو يوسف إلى الخليفة هارون الرشيد أن يوليها قوماً من أهل الصلاح والدين، ويأمرهم بعدم التعدي على الناس أو ظلمهم، وأن لا يأخذوا منهم أكثر مما يجب عليهم<sup>(٣٠٧)</sup>.

أما أخماس المعادن فهي ضريبة تفرض على ما يستخرج من باطن الأرض من المعادن والمعادن على رأي الفقهاء نوعان: معادن ظاهرة كالملح والنفط والكحل والنفط وهي مباحة في الشرع الاسلامي كالماء الجاري من العيون، لا يجوز احتكارها، والناس فيها سواء. ومعادن باطنة وهي ما كان جوهراً مستكناً في الأرض لا يوصل إليها إلا بالعمل كالذهب والفضة والنحاس والحديد<sup>(٣٠٨)</sup>.

وبالنظر إلى سعة الدولة العربية وتباين طبيعة أراضيها، فقد انتشرت المناجم لاستخراج

---

(٣٠٣) الدوري، النظم الاسلامية: الخلافة، الضرائب، الدواوين والوزارة، ص ١٦٤.

(٣٠٤) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسائل والملوك، ج ٩، ص ١٥٠، وأحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢ (بيروت: دار صادر، ١٩٦٠)، ج ٢، ص ٤٨٣.

(٣٠٥) الأنصاري، الخراج، ص ١٣٢ - ١٣٣.

(٣٠٦) الدوري، النظم الاسلامية: الخلافة، الضرائب، الدواوين والوزارة، ص ١٨٠.

(٣٠٧) الأنصاري، المصدر نفسه، ص ١٣٢.

(٣٠٨) المواردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص ١٧٤.

أنواع المعادن في أقاليمها المختلفة. وقد ذكرنا في الفصل الخاص بالصناعة بعض المعادن التي كانت تستخرج وأماكن وجودها. وكانت أخماس المعادن المستخرجة تحقق لبيت المال إيراداً لا بأس به. ويتضح ذلك مما ذكره المقدسي من أن مقاطعة معادن نيسابور من الفيروزج وغيره كانت أخماسها ٧٥٨٧٢٠ درهماً على عهده<sup>(٣٠٩)</sup>.

وأما المستغلات فيراد بها ما يُجبي لبيت المال من ضريبة على الأسواق والمنازل والخانات والطواحين، مما ابتناه الناس على أراضٍ تعود للدولة، إذ يؤدّون عليها اجرة لبيت المال<sup>(٣١٠)</sup>. وكانت مبالغ إيرادات المستغلات كبيرة نسبياً. فقد ذكر ابن خردادبه أن غلات الأسواق والأرجاء ودور الضرب بلغت في مدينة السلام ألف ألف وخمسمئة ألف درهم في السنة<sup>(٣١١)</sup>. ويقول اليعقوبي إن اجرة الأسواق ببغداد في الجانبين جميعاً من رجب ابن البطريق وما اتصل بها في كل سنة اثنا عشر ألف ألف درهم، كما يقول إن غلات مستغلات سمرّ من رأى وأسواقها بلغت عشرة آلاف ألف درهم في السنة<sup>(٣١٢)</sup>.

وتشمل الإيرادات المتفرقة خمس سيب البحر<sup>(٣١٣)</sup>، وذلك مما يقذف به أو يستخرج منه، مثل العنبر واللؤلؤ والمرجان. وأثان الأباقي من العبيد، وما يؤخذ من اللصوص من الأموال والأمتعة مما لم يطالب به أحد. وما يؤخذ من ميراث من يموت وليس له وارث، وكان لا يؤخذ لبيت المال إلا من ميراث المسلمين<sup>(٣١٤)</sup>. وبقيت هذه الضريبة حتى سنة ٢٨٣ حينما أمر الخليفة المعتضد بالله بالكتابة إلى جميع البلدان برّد الفاضل من سهام الموارث إلى ذوي الأرحام، وإبطال ديوان الموارث<sup>(٣١٥)</sup>.

## ب - الجزية

هي مبلغ من المال يُفرض على رؤوس أهل الذمة ويسقط بالإسلام، حتى وإن أسلم الدّمي في آخر السنة فلا شيء عليه، وكذلك إذا مات ولم يكن قد دفع الجزية فلإنها تسقط عن ورثته<sup>(٣١٦)</sup>. واسم الجزية مشتق من الجزاء، أي أنها تؤخذ منهم جزاء كفرهم صغاراً لهم، كما ورد بنص القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدنوا دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يُعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾<sup>(٣١٧)</sup>.

(٣٠٩) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٣٤١.

(٣١٠) زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج ٢، ص ٨٩.

(٣١١) ابن خردادبه، المسالك والممالك، ص ١٢٥.

(٣١٢) اليعقوبي، البلدان، ص ٢٥٤ و ٢٦٣.

(٣١٣) الأنصاري، الخراج، ص ٧٠.

(٣١٤) مئز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ج ١،

ص ١٨٩.

(٣١٥) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ١٠، ص ٤٤، وأبو الحسن علي بن الأثير،

الكامل في التاريخ، ج ١٣ (بيروت: دار صادر، ١٩٦٥ - ١٩٦٧)، ج ٧، ص ٤٨٢.

(٣١٦) قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص ٢٢٦.

(٣١٧) القرآن الكريم، «سورة التوبة»، الآية ٢٩.

وعند فرضها على أهل الذمة يستوجب لهم حقان، أحدهما الكف عنهم والثاني حمايتهم، ليكونوا بالكف آمنين وبالحماية محروسين<sup>(٣١٨)</sup>. وذلك لأن دماهم قد أحرزت بأداء الجزية<sup>(٣١٩)</sup>.

وهناك من يعتبر فرض الجزية على أهل الذمة يقابل فرض الزكاة على المسلمين، حتى يتكافأ الفريقان لأنها رعية لدولة واحدة ويتشفعون بمرافقتها سواسية<sup>(٣٢٠)</sup>. وشبهها بعض الباحثين بضريبة الدفاع الوطني، فكان لا يدفعها إلا الرجل القادر على حمل السلاح<sup>(٣٢١)</sup>.

والجزية واجبة على جميع أهل الذمة من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والسامرة، ما عدا نصارى تغلب ونجران. فقد عاهد رسول الله ﷺ أهل نجران على أن يعاملهم معاملة المسلمين، وصالح عمر بن الخطاب نصارى تغلب على أن يسقط الجزية عن رؤوسهم<sup>(٣٢٢)</sup>، إلا أنه ضاعف الصدقة عليهم بسبب نصرتهم للعرب الفاتحين. وهي تفرض على الرجال دون النساء والصبيان. ولا تؤخذ من المسكين الذي يُتصدق عليه، ولا من الشيخ الكبير المعتمد، ولا من المغلوب في عقله، ولا من الأعمى الذي لا حرفة له، ولا من مُقعّد. على أن الأعمى والمقعّد إذا كان لهما مال أخذت الجزية منها. وكذلك المترهبون في الديارات وأهل الصوامع لا تؤخذ منهم إلا إذا كان لهم مال. ويرى الماوردي أن المرأة والصبي والعبد والمجنون اعفوا من الجزية لأنهم أتباع<sup>(٣٢٣)</sup>. وأن الجزية تقبل من غير المسلمين أيّا كانوا، إلا إذا كانوا عرباً عبدة الأوثان أو من المرتدين، فهؤلاء لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف، والقصد من ذلك توحيد أمة العرب.

وسارت الجزية في السودان في عهد العباسيين على سنة عمر بن الخطاب<sup>(٣٢٤)</sup>. وهي أن يدفع الموسر ثمانية وأربعين درهماً، والمتوسط أربعة وعشرين درهماً، والفقير اثني عشر درهماً<sup>(٣٢٥)</sup>. ويرى الماوردي أن هذا التحديد مما ذهب إليه الإمام أبو حنيفة، وأن الإمام الشافعي قد ذهب إلى أن الجزية يجب ألا تقل عن دينار، أما غيرهما من أئمة الفقهاء فقد ذهبوا إلى أن تقدير الجزية إنما يكون باجتهاد الولاة<sup>(٣٢٦)</sup>.

وقد اعتبر قاضي القضاة أبو يوسف الجزية بمنزلة الخراج وأوصى بأن يُصير أمرها إلى

(٣١٨) الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص ١٢٧ - ١٢٨.

(٣١٩) قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص ١٢٣.

(٣٢٠) الدوري، النظم الإسلامية: الخلافة، الضرائب، الدواوين والوزارة، ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

(٣٢١) مكي، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ج ١، ص ٧٤ - ٧٥.

(٣٢٢) الأنصاري، الخراج، ص ٧٢ و ١٢٠.

(٣٢٣) الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص ١٢٨.

(٣٢٤) الدوري، النظم الإسلامية: الخلافة، الضرائب، الدواوين والوزارة، ص ١٧٥.

(٣٢٥) الأنصاري، الخراج، ص ١٢٥.

(٣٢٦) الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص ١٢٨.

رجل من أهل الصلاح، وأن يكون عن يوثق بدينه وأمانته، وأن يُصبرَّ معه أعوان يجمعون أهل الذمة ويأخذون الجزية منهم على طبقاتهم بالمبالغ المعينة لكل طبقة، وأوصى بالرفق في استيفائها، فلا يُضرب أحد من أهل الذمة في استيذانهم الجزية، ولا يقاموا في الشمس ولا غيرها، ولا يجعل عليهم في أبدانهم شيء من المكروه، ولكن يُرفق بهم ويحبسون حتى يؤدوا ما عليهم، وذلك عملاً بالسنة النبوية التي توصي بأهل الذمة خيراً، إذ روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا حبيبه»، كما روي عن عمر بن الخطاب أنه قال عند وفاته: «أوصي الخليفة من بعدي بلمة رسول الله ﷺ أن يرفي بمعهدهم وأن يقتل من ورائهم ولا يكلفون فوق طاقتهم»<sup>(٣٢٧)</sup>.

### ج - الزكاة

أو الصدقة، ضريبة مفروضة على الأغنياء من المسلمين. ومعنى الزكاة الطهارة، وكان الخارج من المال يظهور من تبة الحق الذي جعل الله فيه للمساكين. فقد قال سبحانه وتعالى ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم﴾<sup>(٣٢٨)</sup>. وهي شرعاً تمليك جزء من المال عبثه الشارع لمستحقه بشروط معينة، ولا يجب على المسلم في ماله سواها، وهي واجبة في الأموال المرصدة للنهال إما بنفسها أو بالعمل<sup>(٣٢٩)</sup>. وهي تؤخذ من أموال أغنياء المسلمين وتقسّم في فقرائهم. وقد روى عن الرسول ﷺ، قوله «أمرت أن أؤخذ من أموالكم وأؤدّها على فقرائكم» والأموال التي تؤخذ عنها الصدقة هي المواشي من الإبل والبقر والغنم، وثمار النخل والشجر والزروع والفضة والذهب، وقد بين الفقهاء الأحكام الخاصة بتحقيق الزكاة على هذه الأموال<sup>(٣٣٠)</sup>.

ومن شروط الزكاة أنه لا يجوز أن تنقل زكاة بلد إلى غيره إلا عند عدم توفّر مستحقيها ممن نصّت الشريعة عليهم، على أنه لا مانع من أن تعطى في صنف واحد من المستحقين<sup>(٣٣١)</sup>.

وقد أورد الفقهاء الأحكام الخاصة بتعيين الأشخاص الذين خصّتهم الآية الكريمة بالصدقة. ومستحقوها هم مَنْ ذكر الله تعالى بقوله ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾<sup>(٣٣٢)</sup>. والفقراء هم الذين لديهم شيء قليل جداً لا يقوم بأودهم، والمساكين هم الذين ليس لديهم أي شيء، أي المعدوم، ويشمل لفظ المساكين فقراء أهل الذمة، أما الفقراء فيطلق على المسلمين منهم فقط<sup>(٣٣٣)</sup>. وكان الخليفة عمر بن الخطاب رأى شيخاً ضريباً من اليهود يسأل،

(٣٢٧) الأنصاري، المصدر نفسه، ص ١٢٣ - ١٢٥.

(٣٢٨) القرآن الكريم، «سورة التوبة»، الآية ١٠٣.

(٣٢٩) الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص ٩٩.

(٣٣٠) المصدر نفسه، ص ١٠٠ - ١٠٩.

(٣٣١) المصدر نفسه، ص ١٠٧، والأنصاري، الخراج، ص ٨١.

(٣٣٢) القرآن الكريم، «سورة التوبة»، الآية ٦٠.

(٣٣٣) زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج ١، ص ٢٠٤.



فعلهم منه أنه مُعَدَّم فأعفاه من الجزية واعتبره من المساكين وأمر خازن بيت المال أن يعطيه من أموال الصدقة<sup>(٣٣١)</sup>. أما العاملون عليها فهم القائمون بشؤون الصدقات من كُتَّاب وُجَّاه. والمؤلفة قلوبهم هم الذين كان النبي ﷺ يتألفهم لكفِّ الأذى عن المسلمين أو لترغيبهم وقومهم في الإسلام، وقد انقطع هذا الصنف بعد أن انتصر الإسلام وقوي شأنه، وفي فك رقاب العبيد أو الأسرى بعثهم، أو المكاتبين، وهم العبيد الذين يكتبون مواليتهم بيمينهم فإذا أدوه فهم أحرار، وقد جُوزت عليهم الصدقة لِيُعَانُوا على تحرير أنفسهم. والغارمون عليها هم الذين استدانوا في غير سلفة ولا معصية وعجزوا عن سداد ديونهم. وفي سبيل الله، يراد بهم الغزاة المجاهدون يعطون ما ينفقون في غزوهم، أو إنفاقها في كل طريق يؤدي إلى مرضاة الله تعالى، وابن السبيل هو المسافر البعيد عن وطنه وانقطعت به الأسباب فلا يجد نفقة سفره وعودته<sup>(٣٣٢)</sup>.

وقد اشترط القاضي أبو يوسف في والي الصدقات أن يكون ثقة أميناً، عفيفاً، ناصحاً، مأموناً على بيت المال وعلى الرعية، وأن يوجه أقواماً يرتضيهم ويتحرى عن سلوكهم وأمانتهم ليجمعوا إليه الزكاة من البلدان<sup>(٣٣٣)</sup>. أما الماوردي فيرى أن الشروط المتبعة في والي الصدقات أن يكون مسلماً حراً عادلاً عالماً بأحكامها، وأنه قد يُقلد على أخذها وقسمتها، أو أن يُقلد على أخذها فقط<sup>(٣٣٤)</sup>.

وكثيراً ما كان جباة الزكاة يظلمون ويتعسفون، بحيث إن أبا يوسف نُهي الخليفة هارون الرشيد إلى ذلك، وطلب إليه أن يتخذ للصدقة أهل العفاف والصلاح. كما نصحه أن لا يوليها عمال الخراج، لأن مال الصدقة ينبغي أن لا يُدخل في مال الخراج، لأن الخراج فيء للمسلمين عامة، والصدقة لمن سُمي الله عز وجل في كتابه الكريم<sup>(٣٣٥)</sup>.

## ٢ - مبالغ الجباية

لم تلتفت مصادرنا الأولية إلى ذكر إيرادات الدولة أو نفقاتها في خلال القرن الثالث بشكل واضح وإف، وإنما تناول بعضها - عَرَضاً - ذكر قسم من الإيرادات أو النفقات في عهد بعض الخلفاء. وما وصلنا من نصوص عن الإيرادات ما ذكره ابن خلدون في مقدمته عما كان يحمل إلى بيت المال ببغداد في أيام المأمون، ولا يعين السنة التي تعود إليها هذه الأموال، إلا أنها تعود إلى ما بعد قدوم المأمون إلى بغداد في سنة ٢٠٤، وما جاء في كتاب

(٣٣٤) الأنصاري، الخراج، ص ١٢٦.

(٣٣٥) الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص ١٠٧ - ١١٠، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء أبو علي، الأحكام السلطانية، ص ٦٩ وعلق عليه محمد حامد الفقي (القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٣٨)، ص ١١٦ - ١١٩، والأنصاري، المصدر نفسه، ص ١٨١.

(٣٣٦) الأنصاري، المصدر نفسه، ص ٨٠.

(٣٣٧) الماوردي، المصدر نفسه، ص ٩٩.

(٣٣٨) الأنصاري، المصدر نفسه، ص ٨٠.

الخراج وصناعة الكتابة لقدامة بن جعفر الكاتب البغدادي عن الإيرادات في عهد المعتصم بالله. ثم ما ذكره ابن خرداذبه في كتابه المسالك والممالك من جباية الأقاليم في أواسط هذا القرن. وتعرض في ما يأتي مفردات الإيرادات ومجموعها في كل بلد من المصادر الثلاثة المذكورة.

### أ - الإيرادات في أيام الخليفة المأمون

ذكر ابن خلدون في مقدمته عند كلامه عن «أن آثار الدولة كلها على نسبة قوتها في أصلها»، ما يحمل من الأموال إلى بيت المال ببغداد أيام المأمون من جميع النواحي<sup>(٣٣٩)</sup>. وقد رتب صاحب كتاب تاريخ التمدن الاسلامي هذه الإيرادات في جدول يتضمن الأقاليم والولايات وما يجبي منها من الأموال النقدية والبضائع والأمتعة والمحصولات. وكان مجموع جباية الدولة بموجب هذا الجدول ثلاثمئة وتسعين ألف ألف وثلاثمئة وخمسين ألف درهم، أي ما يقرب من أربعمئة ألف ألف درهم<sup>(٣٤٠)</sup>، يضاف إلى ذلك قيمة المواد العينية التي ذكرت دون بيان قيمتها. ويمكن ترتيبها كالآتي:

- (١) إيرادات السواد ومجموعها ٦٠٢٠٠٠٠٠ درهم.
  - (٢) إيرادات بقية ولايات العراق، وقد بلغ مجموعها ٦٤٧٠٠٠٠٠ درهم.
  - (٣) إيرادات أقاليم المشرق ومجموعها ١٦٢٧٠٠٠٠٠ درهم.
  - (٤) إيرادات مصر وولايات الشام والجزيرة العربية ومجموعها ٤٨١٧٠٠٠ دينار وتعادل ٧٢٢٥٠٠٠٠ درهم، باعتبار أن الدينار آنذاك يعادل ١٥ درهماً.
  - (٥) إيرادات أرمينيا وأذربيجان ومجموعها ١٧٠٠٠٠٠٠ درهم.
  - (٦) إيرادات افريقيا وقدرها ١٤٠٠٠٠٠٠ درهم.
- وبذلك يكون مجموع هذه الإيرادات ٣٩٠٨٥٥٠٠٠ درهم.

### ب - الإيرادات في أيام الخليفة المعتصم بالله

خصص قدامة بن جعفر في كتابه الخراج وصناعة الكتابة قسماً من الباب السادس لإيرادات الدولة العربية<sup>(٣٤١)</sup>، فذكر إيرادات السواد بقسميه الغربي والشرقي، مفصلاً ذلك بحسب الطساسيج والكور، مبيناً مقادير جباية الغلال من الحنطة والشعير مع ما يجبي نقداً. وأتبع ذلك ذكر جباية الأقاليم الشرقية للدولة، وذكر مثل ذلك عن الولايات الغربية، ثم

(٣٣٩) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ٩٨ - ٩٩.

(٣٤٠) زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي، ج ٢، ص ٥١ - ٥٣.

(٣٤١) قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص ١٦٢ - ١٨٤.

الحق ذلك بجدول موحد يتضمن أسماء الولايات والبلدان مع المبالغ المجبأة منها. وكان ما ذكره من أرقام بعبرة سنة ٢٠٤هـ، وقد تكون للربيع الأول من القرن الثالث الهجري.

ويلاحظ أن هناك اختلافاً بين الأرقام التي يوردها في الحالة الأولى عن الأرقام التي يذكرها في الجداول، وقد يكون ذلك نتيجة أخطاء في الحساب أو اضطراب في النسخ. ومع هذا الاختلاف سنعتبر الأرقام التي جاءت في الجداول هي التي تمثل الأموال المجبأة لبيت المال. ويظهر أن قدامة حصل على هذه الأرقام مما وصلت يده إليه من الوثائق الرسمية عن إيرادات السنة ٢٢٥ أي في عهد الخليفة المعتصم بالله<sup>(٣١)</sup>. وفي ما يأتي خلاصة هذه الجداول وفق الترتيب الذي وضعه قدامة في كتابه.

(١) إيرادات السواد في الجانب الشرقي ٣٢٤٠٠ كر من الخنطة، و٣٨٩٢١ كر من الشعير، و٣١٦٣٠٠٠ درهم.

(٢) إيرادات السواد في الجانب الغربي ٨٣٢٠٠ كر من الخنطة، و٨٥٠٠٠ كر من الشعير، و٥٦٥٨٨٠٠ درهم.

أي ما مجموعه ١١٥٦٠٠ كر من الخنطة، و١٢٣٩٢١ كر من الشعير، و٨٨٢١٨٠٠ درهم. ثم احتسب أثمان كميات الخنطة والشعير بأوسط الأسعار السائدة حينذاك، وذلك بحسب الكُرين المقرنين من الخنطة والشعير بستين ديناراً. ثم حوّل الدينانير إلى دراهم بمعدل ١٥ درهماً لكل دينار، فبلغ ذلك ١٠٠٣٦١٨٥٠ درهماً. وبإضافة المبالغ المجبأة نقداً، و٦٠٠٠٠٠٠ درهم إيرادات صدقات البصرة، يصبح مجموع إيراد السواد بقسميه بموجب احتسابه ١١٤٤٥٧٦٥٠ درهماً.

(٣) إيرادات بقية ولاية العراق، وبلغ مجموعها ٣٧٩٨٥٠٠٠ درهم.

(٤) إيرادات ولايات المشرق ومجموعها ١٥٤٦٣٨٠٠٠ درهم.

(٥) إيرادات ولايات الشام ومجموعها ١٠٩٢٠٠٠ دينار، وتعادل ١٦٣٨٠٠٠٠ درهم.

(٦) إيرادات ولايات الجزيرة العربية وقدرها ١٥١٠١٠٠ دينار، وتعادل ٢٢٦٥٠٠٠٠ درهم.

(٧) إيرادات مصر وقدرها ٢٥٠٠٠٠٠ دينار، وتعادل ٣٧٥٠٠٠٠٠ درهم.

(٨) إيرادات أذربيجان وقدرها ٤٥٠٠٠٠٠ درهم.

وبعد إضافة ٢٠٠٠٠٠ درهم وهي جزيرة مدينة السلام، يبلغ المجموع الكلي للإيرادات ٣٨٨٣١١٣٥٠ درهماً.

---

(٣٤٢) فارس الخوري، موجز في علم المالية (دمشق: مطبعة الحكومة، ١٩٢٤)، ص ٣٣، وزيدان، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٠.

### ج - الإيرادات في أواسط القرن الثالث

دراج ابن خرداذبه في كتابه المسالك والممالك على أن يذكر جباية كل اقليم بعد أن يذكر ما يتعلق بالطرق والمسالك المؤدية إلى أهم مدنه. أما ما يختص بالسواد فقد ذكر جبايته بقسميه الغربي والشرقي بالدرهم وبالحاصلات<sup>(٣٤٣)</sup>.

وعندما تكلم على أقاليم المشرق ذكر جباية كل منها<sup>(٣٤٤)</sup>. وكذلك يفعل عند كلامه على أقاليم المغرب<sup>(٣٤٥)</sup>. وقد احتسب صاحب تاريخ التمدن الاسلامي أثبات تلك الكميات من الحاصلات بحسب السعر السائد آنذاك، وأضافها إلى الجباية النقدية، ونظم بها جدولاً تضمن الإيرادات موزعة على الأقاليم. وقد بلغت مجملتها ٢٩٩٢٦٥٣٤٠ درهماً<sup>(٣٤٦)</sup>. وهي تعود إلى ما قبل سنة ٢٣٢هـ في عهد المعتصم بالله أو الواثق بالله، ويمكن عرضه مختصراً كالآتي:

- (١) إيرادات السواد: ٧٨٣١٩٣٤٠ درهماً.
- (٢) إيرادات بقية ولايات العراق: ١٧٣٠٠٠٠٠ درهم.
- (٣) إيرادات ولايات المشرق: ١٣٢٠٩٦٠٠٠ درهم.
- (٤) إيرادات ولايات الشام: ١٩٩٠٠٠٠ دينار، وتعادل ٢٩٨٥٠٠٠٠ درهم.
- (٥) إيرادات مصر: ٢١٨٠٠٠٠٠ دينار، وتعادل ٣٢٧٠٠٠٠٠ درهم.
- (٦) إيرادات اليمن: ٦٠٠٠٠٠٠ دينار، وتعادل ٩٠٠٠٠٠٠٠ درهم.

وبمقارنة مجموع الإيرادات في الجداول المذكورة يظهر أن الجباية كانت تميل إلى الانخفاض، بحيث بلغ الفرق بين الجباية على عهد المأمون، وما صارت إليه في أواسط القرن الثالث، قريباً من المئة ألف ألف درهم. ويعود الانخفاض في الإيرادات إلى عوامل عديدة، منها ما هو معروف موثق، ومنها ما يمكن استنتاجه من سير الأحداث التاريخية. فمن العوامل المؤثرة أن الخليفة المأمون خفض نسبة الخراج إلى خمسي الغلة بدلاً من نصفها<sup>(٣٤٧)</sup>. وكان الخليفة الواثق بالله أمر بإلغاء أعشار السفن التجارية تشجيعاً للتجارة، وقد سبق الإشارة إلى ذلك في باب التجارة. كما أن الخليفة المهدي بالله أمر في سنة ٢٥٢ بإسقاط ما تبقى على أصحاب الأراضي من الديون التي كانوا يؤدونها مقسطة، وكانت مبالغها للسنة

(٣٤٣) ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ٨ - ١٥.

(٣٤٤) المصدر نفسه، ص ٢٠، ٥٧ و ١٢٠.

(٣٤٥) المصدر نفسه، ص ٧٥ و ٨٣.

(٣٤٦) زيدان، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٠ - ٦١.

(٣٤٧) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص ١٩٨.

المذكورة نحو اثني عشر ألف ألف درهم<sup>(٣١٨)</sup>. أما العوامل الأخرى فممنها أن قيام بعض الإمارات شبه المستقلة أدى إلى انخفاض المبالغ المتبقية من الضرائب بعد إخراج النفقات المحلية، فقلت المبالغ التي تحول إلى بيت المال. ومنها انخفاض مبالغ الجزية لدخول أعداد كبيرة من أهل ما وراء النهر وأقاليم أخرى في الإسلام. يضاف إلى ذلك سوء استعمال المكلفين بجباية الضرائب من خراج وغيره.

وإن الطريقة التي اتبعت في تنظيم الإيرادات بحسب الولايات والأقاليم تفيدنا في معرفة التنظيم الإداري للدولة العربية في القرن الثالث. وإن تفصيل جباية السواد بقسميه الشرقي والغربي تظهر أن معظم الجباية من الحاصلات الزراعية كانت من الحنطة والشعير، تعطي صورة جلية عن ازدهار الزراعة آنذاك.

وسبق أن أشرنا إلى أن الإيرادات التي يصار بها إلى بيت المال هي صوافي ما يجبي من الخراج والمكوس والجزية والمستغلات وغيرها. أي أن الأرقام التي ذكرت في الجداول المعروضة آنفاً تمثل ما بقي من الإيرادات بعد أن صرفت منها النفقات المحلية، إذ كانت دواوين الخراج في الولايات تقوم مقام بيت المال، وكل ولاية تستوفي النفقات اللازمة لها كرواتب الوالي والقاضي، وموظفي الدواوين، والجند، ونفقات الجيش الأخرى، وما ينفق على مرافق وشؤون مما يتحمله بيت المال، ثم يحمل الباقي إلى بيت المال في حاضرة الخلافة. أي أن ميزانية الدولة العربية كانت تنظم على قاعدة التخصيص، وهي إحدى القواعد الحديثة المتبعة في تنظيم إيرادات بعض الدول في ميزانيتها.

### ٣ - النفقات

لا تتوفر في مصادرها الأولية نصوص بمبالغ النفقات السنوية للدولة وأوجه إنفاقها. على أن هناك جدولين يمكن اعتبارهما يمثلان نفقات دار الخلافة، الأول خاص بنفقات المتوكل على الله السنوية وقد ذكره صاحب كتاب الذخائر والتحف<sup>(٣١٩)</sup>. ويمثل الثاني النفقات في عهد المعتضد بالله الذي تولى الخلافة في منتصف سنة ٢٧٩هـ وقد ذكره الملل الصابي في كتابه الوزراء<sup>(٣٢٠)</sup>.

ويلاحظ أن غالب النفقات في أيام المتوكل على الله غصصة لأثمان المواد والخدمات إلى جانب الرواتب، بينما القسم الغالب في النفقات في عهد المعتضد بالله غصص للرواتب ولا يحتوي من نفقات المواد والخدمات إلا اليسير جداً. وكما يظهر من مجموع كل من الجدولين أن

---

(٣١٨) زيدان، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١١٨، نقلاً عن: الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص ٧٧.

(٣١٩) ابن الزبير، الذخائر والتحف، ص ٢١٨ - ٢٢٠.

(٣٢٠) أبو الحسين هلال بن الحسن الصابي، الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، بتحقيق عبد الستار أحمد فراج (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، [د.ت.]]، ص ١٥ - ٢٧.

لا بد أن تكون هناك نفقات أخرى في أيام المعتضد بالله مخصصة لأنثان المواد والخدمات لم يرد ذكرها، أي أن هذا الجدول لا يمثل جميع نفقات دار الخلافة كما يمثلها الجدول الأول.

وفي ما يلي نعرض محتويات جدول نفقات المتوكل على الله البالغة ألف دينار وثلاثمائة ألف دينار، وستة وعشرين ألف ألف درهم وسبعمئة ألف درهم:

درهم	دينار	
	٢٠٠٠٠٠	نفقات المطابخ
	٣٠٠٠٠٠	البناء والمرونة
١٠٠٠٠٠٠		أرزاق الخشم
٥٠٠٠٠٠		نفقات ذوات الخاصة
	٣٠٠٠٠٠	الكسوة
	١٠٠٠٠٠	الطبيب
	١٠٠٠٠٠	تجديد آلات الخزائن وصياغة الذهب والفضة
١٢٠٠٠٠٠		الخيش والشمع
٢٠٠٠٠٠٠		التلج
	١٠٠٠٠٠	الفرش
٢٠٠٠٠٠٠		خزائن الشراب
٥٠٠٠٠٠		أرزاق التمام
٥٠٠٠٠٠		أرزاق الكلّيين والبازاريين والفهادين
	١٠٠٠٠٠	ما يتنازع من الرقيق
	٣٠٠٠٠٠	ما يتنازع من الجوهر
	٨٠٠٠٠٠	أرزاق الفرائشين
٥٠٠٠٠٠٠		نفقات الحراقات وما أشبهها
٥٠٠٠٠٠		أرزاق الصفاة والمضحين والكباشين والدياكين وأصحاب كلاب المراث
٢٦٧٠٠٠٠٠	٢٣٠٠٠٠٠	المجموع
		ويضاف إلى ذلك ٦٠٠٠٠٠٠ دينار للسيدة شجاع أم المتوكل على الله

وكان المعتضد بالله عندما تولى الخلافة أظهر اهتماماً ملحوظاً بالتعرف على إيرادات الدولة ونفقاتها، إذ قال لوزير عبيد الله بن سليمان: «قد دعت إليّ ملكاً غنلاً، ودنيا خراباً، وأريد أن أعرف ارتفاع النواحي لأجري النفقات والرواتب على موجب ذلك، فأعمل به عملاً مشروحاً واتني به وعجله». غير أن مصادرها الأولية لم تحفظ لنا شيئاً عن إيرادات الدولة ونفقاتها في أيامه سوى ما جاء في كتاب الوزراء للصايغ عن نفقات دار الخلافة فقط، وليس نفقات الدولة جميعاً.

ويمكن ترتيب ما ذكره الصايغ بجدول بحسب المفردات ومبالغها، مما تعهد به المدعو أحمد بن محمد الطائي، أن يقدمه يومياً، لقاء ضمانه أعمال سقي الفرات ودجلة وخراسان وجوخي وكلواذي ونهر بين والراذاذين وطريق خراسان. وكان قد اشترط على نفسه أن يؤدي إلى بيت

المال يومياً من العين سبعة آلاف دينار، أي ما يساوي مئتين عشرة آلاف دينار شهرياً ومجموعه سنوياً ألفاً ألف وخمسة وعشرون ألف دينار.

إن هذه المبالغ التي تعهد الضامن بدفعها تمثل ما كان ينفق على دار الخلافة كرواتب للموظفين وأئشان ما تحتاجه من مواد وخدمات. وفي ما يلي مفردات هذه النفقات مرتبة بحسب الجهات التي تنفق عليها.

دينار يومياً	
١٠٠٠	أرزاق أصحاب التوبة من الرجالة، ومن برسمهم من البوابين ولهم البيضان من الجنائين والبصريين، وأصحاب المصاف يباب العامة والسودان وأكثر عمالك الموفق (أي) إلمتضد بالله).
١٠٠٠	أرزاق الغلمان الخاصة، وهم الذين اعتقهم الموفق، ولهم حاجب الخليفة، وخلفاء الحجاب الملازمين والمتاوين.
١٥٠٠	أرزاق الفرسان من الأحرار والمميزين.
٦٠٠	أرزاق المختارين، وهم الجند المنتخبون لمواكبة الخليفة وملازمة داره.
٥٠٠	أرزاق الفرسان المثبتين.
١١٠	أرزاق الأصناف المرسومين بخدمة الدار، كأصحاب الأخبار، والمؤذنين والمتجمين والفرائقين (أي السماء) والمضحكين واليوثيين والطبايين.
٣٠٠	أثمان إنزال الغلمان والماليك - أي نفقات ضيافتهم.
١٠٠	ثمن الشراب للخاصة والعامة وآلاته، ونفقات خزائن الكسوة والحلج، والطبيب، وحوائج الوضوء، وخزائن السلاح، والمفرش.
$٣٣٣ \frac{1}{3}$	نفقات المطابخ الخاصة والعامة، والمخابز، وإنزال الخدم والحشم وغايز السودان.
٤	أرزاق السقائين بالقرب في القصر والخزائن والمطابخ والمخابز والدور... الخ.
١٦٧	أرزاق الخاصة من الغلمان والماليك دون الأكابر الأحرار.
١٠٠	أرزاق الحشم من المستخدمين في شراب العامة وخزائن الكسوة والصناع على اختلاف مهامهم.
٤٠٠	ثمن علوفة الكراع في الإصطبلات الخمسة من الخيل والبغال والحمير.
$٦٦ \frac{2}{3}$	ما يُصرف في ثمن الكراع والإبل، وما يتناع من الخيل الموصوفة في أحياء العرب - أي العتاق الأصلية.
٣٠	أرزاق المطبخين.
٣٠	أرزاق الفَرَّاشين، والمجلسين، وغُرُان الفرش، والشمع وأجور الجمالين.
$٦ \frac{2}{3}$	ثمن الشمع والزيت.
٥	أرزاق أصحاب الركاب والجنائب والسروج ومن يخدم في دواب البريد.
$٤٤ \frac{1}{3}$	أرزاق الجلساء وأكابر الملّهي ومن يجري بجراهم.
$٢٣ \frac{1}{3}$	جماعة رؤساء المتطيين وتلاميذهم الملازمين وثمن الأدوية.
٧٠	أصحاب الطيور من البازياريين والفهادين والكلابين والصقارين والصيدان، وثمن طعام الجوارح وعلاجها، والأعوان والحلّالين وغيرهم.
$١٦ \frac{2}{3}$	أرزاق الملاحين في الطيارات والشلوات والسميريات والحراقات والآلات وزوارق المعابر.

٢	ثمن: التفط والمشاقة للسرّج والمشاغل وأجرة الرجال في خدمتها.
١٥	الصدقة التي تدفع في كل يوم عند صلاة الصبح في خروقة سوداء.
١٠٠	أرزاق الحرم.
$٣٣ \frac{1}{3}$	جاري أولاد التوكّل على الله وأولادهم رجالاً ونساء.
$١٦ \frac{1}{3}$	جاري ولد الوائق والمهتدي والمستعين وسائر أولاد الخلفاء.
$١٦ \frac{1}{3}$	جاري ولد المولق وأخواته.
$٣٣ \frac{1}{3}$	جاري جمهور بني هاشم من العباسيين والظالميين.
$٣٣ \frac{1}{3}$	أرزاق الوزير وابنه.
$١٥٦ \frac{2}{3}$	أكابر الكتّاب وأصحاب الدواوين والخزّان والبوابين والمديرين والأعوان وسائر من في الديوان، وثمن الصحف والقراطين والكاغد، سوى كتّاب دواوين الإعطاء وخزّان بيت المال (لأنهم يأخذون أرزاقهم بما يوفّرونه من أموال الساقطين وغرم المخلين بدوايهم).
$١٦ \frac{2}{3}$	جاري القاضي وخليفته.
٢٠	أرزاق مشايخ الهاشميين وأصحاب المراتب والخطباء في المساجد الجامعة بمدينة السلام.
$٣ \frac{1}{3}$	أرزاق المؤذنين في المسجد الجامع، والمكبرين والقوّام والأئمة والبوابين، وثمن الزيت والمصاييح، والحصر والبوابي.
٥٠	نفقات السجون وثمن أقوات المسجونين.
١٠	نفقات الجسرين وثمن ما يبذل من سفنها والقلوس، وأرزاق الجسّارين.
١٥	نفقات البيمارستان الصاعدي وأرزاق المتطيين والكمّالين، ومن يخدم المغلوبين على عقولهم، والبوابين والخيازين وغيرهم، وأثمان الطعام والأشربة والأدوية.
٥٠	أرزاق المرتزقة يرسم الشرطة بمدينة السلام والأعوان والسجّانين وأصحاب الطوف والماسرين (الذين يتولون نقض المشاجرات)
٦٩٨١	المجموع، قل ٧٠٠٠ دينار يومياً.



الفصل الرابع  
المُؤْمَرُ الدِّينِيَّةُ



## أولاً: العلوم القرآنية

### ١ - علم التفسير

هناك فرق بين التفسير والتأويل، فالتفسير أهم وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها، بينما يستعمل التأويل في المعاني والجمل، وأكثر ما يستعمل في الكتب الإلهية، بينما يستعمل التفسير فيها وفي غيرها. وقد أورد السيوطي آراء بعض علماء القرآن والتفسير في الفرق بينهما. فقال بعضهم إن التفسير بيان لفظ لا يمتثل إلا وجهاً واحداً، والتأويل ترجيه لفظ متوجه إلى معاني مختلفة، إلى واحد منها بما ظهر من الأدلة. وقال آخرون إن التفسير كشف معاني القرآن وبيان المراد، وهو أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره، وبحسب المعنى الظاهر وغيره، والتأويل أكثر في الجمل. والتفسير إما أن يستعمل في غريب الألفاظ، أو في وجيز تبين الشروح، أو في كلام متضمن لقصة لا يمكن تصويره إلا بمعرفتها. وقال غيرهم إن التفسير هو القطع على أن المراد من اللفظ هذا، والشهادة على الله أنه عني باللفظ هذا، فإن قام دليل مقطوع به فهو صحيح، وإلا فتفسير بالرأي. والتأويل ترجيح أحد المحتملات من دون القطع والشهادة على الله<sup>(١)</sup>.

والتفسير اصطلاحاً، هو علم نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكّيها ومدنيها، وعحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ويحتملها ومفسرها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها<sup>(٢)</sup>.

(١) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢ (القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٥١)، ج ٢، ص ١٧٣.  
(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٧٤.

وجاء في كشف الظنون أن التفسير هو علم يُبحث فيه عن مراد الله تعالى من قرآنه المجيد بفهم ألفاظه من حيث دلالتها على مراده تعالى على ما يُعلم أو يُظن بقدر الطاقة الانسانية<sup>(٣)</sup>. وهو أعم من التأويل وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها، بينما التأويل أكثر استعماله في المعاني والجمل، وذلك بصرف الجملة إلى ما تحتمله من المعاني وترجيح أحد تلك الاحتمالات. ويمكن القول إن التفسير ينصبّ على اللفظ، والتأويل على المعنى<sup>(٤)</sup>.

ولما كان القرآن الكريم أصل التشريع الاسلامي، فإن علم التفسير يعتبر أول العلوم الدينية. لقد نزل القرآن الكريم بأفصح لغات العرب وأكثرها تداولاً ومألوفاً، ولذا فإن معاني مفرداته، وتراكيبه، لم تكن تخفى على العرب في عهد نزوله إلا نادراً. فكان بعض الصحابة يستفسرون عن بعض أمور دينهم ودنياهم، وكان الرسول ﷺ يشرح لهم الآيات الخاصة بما يسألونه عنه، مفسراً وموضحاً ما يستعصى على أفهامهم من بعض الكلمات والآيات، ويبين لهم الناسخ من المنسوخ وأسباب نزول الآيات. وكان الصحابة المقربون منه يحفظون أقواله فأخذوا بعد وفاته يروون ذلك ويشرحونه للسائلين والمفسرين.

وعندما توسعت الدولة العربية وانتشر العرب في مختلف أرجائها، واعتنقت أقوام أخرى الدين الاسلامي، كان يصعب على أبناء هذه الأقوام فهم معنى كثير من الآيات القرآنية ومعناها دون شرحها وتوضيحها. كما كان من نتائج اختلاط العرب بتلك الأقوام أن عرض لكثير من الألفاظ والكلمات التي كانت معروفة أيام نزول القرآن الكريم، وصارت غريبة على كثير من العرب أنفسهم، بعيدة عن أفهامهم، مما استلزم تفسيرها وتوضيح معانيها. ومن الطبيعي أن لا يتيسر هذا لمن يريد أن يتصدى لذلك ما لم يكن ملماً بالما كافيًا بكلام العرب، متمكناً من اللغة العربية وأساليبها، لا سيما أن القرآن الكريم جاء على أعلى درجات البلاغة اللغوية وتفننها بمحاسن المجاز والكناية والاستعارة وغيرها من الأساليب البلاغية، غير أن علماء الفقه ورجال اللغة وبخاصة أهل المنقول منهم، تخرجوا أول الأمر من تفسير كلمات القرآن الكريم وآياته ورعاً وتقوى. فقد سأل رجل سعيد بن جبير المشؤفي سنة ٩٥ أن يكتب له تفسير القرآن فغضب وقال: «لأن يسقط شئني أحب إلي من ذلك»<sup>(٥)</sup>. وكان الأصمعي عبد الملك بن قريب إمام اللغة والنحو «شديد الاحتراز في تفسير القرآن والسنة، فإذا سئل عن شيء منها يقول: العرب تقول معنى هذا كذا، ولا أعلم المراد منه في الكتاب والسنة أي شيء»<sup>(٦)</sup>. وقد سأل سائل عن معنى قول الرسول ﷺ جاءكم أهل اليمين وهم أبغض أنفساً، ما معنى أبغض؟ قال: يعني

(٣) مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، عني بتصحيحه محمد شريف ياللقاوي ووفعت الكليسي، ج ٢ (استانبول: مطبعة الحكومة، ١٩٤١ - ١٩٤٣)، ج ١، ص ٤٢٧ - ٤٢٨.

(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٣٤.

(٥) شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ج ٦ (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٥٠)، ج ٢، ص ١١٣.

(٦) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٤٥.

أقبل، ثم أقبل منتدماً على نفسه كاللحم لما<sup>(٧)</sup>.

ولكن بعد ظهور الحاجة إلى تفسير كثير من الكلمات والآيات التي أخذ فهمها يستعصي على المسلمين من العرب والأعاجم، كما أشرنا آنفاً، شعر المتحرجون أن لا ضير من تفسير معاني كلمات القرآن الكريم، وتوضيح مغزى آياته. إلا أنهم رأوا عدم السجح بالقيام بذلك إلا لذوي العلم من الفقهاء واللغويين. وكان المقصود بالعلم هنا هو ما تتصل روايته بسند صحيح إلى الرسول ﷺ أو صحابته المقربين ممن كانوا يعنون بشؤون العقيدة. وهذا اقتصر تليعة المفسرين على التفسير اللغوي المحض، أو ما يستند إلى حديث أو عمل وارد عن الرسول ﷺ أو صحابته، وليس إلى التأويل والاجتهاد. وقد استطاع الشيخ جلال الدين السيوطي المتوفي سنة ٩١٠ أن يجمع أكثر من عشرة آلاف حديث تدور حول تفاسير الرسول ﷺ في كتاب سباه الدر المنثور في التفسير المأثور.

وعبر الزمن وازدياد الحاجة إلى التبسيط والتوضيح، وللتقدم الحضاري الذي صار العرب إليه، لم يعد هؤلاء المفسرون يقتصرون على ذلك، بل أخذوا يستعينون بالشعر لما قبل الاسلام ويعدّه، وبالأمثال العربية ويبيعض ما ورد في الكتب المقدسة الأخرى. بل إن بعض العلماء المفسرين تجاوزوا هذا الخرج باجتهادات مقبولة تعتمد على الرأي أكثر من اعتيادها على الرواية، كما فعل المفسرون من فقهاء المعتزلة. ويبرر الطبري جواز تفسير القرآن بأن من المحال أن يُطلب ممن لا يفهم ما يُقال له أو يقرأه ولا يعرف تأويله، أن يعتبر بما لا يفهمه، إلا على معنى الأمر بأن يفهمه ويفقهه، ومن ثم يتدبره ويعتبر به، ومن المحال أن يقال ذلك لبعض الأقوام الذين لا يعرفون كلام العرب ولا يفهمونه إلا بعد العلم بمنطقه ومعانيه<sup>(٨)</sup>.

وعزّو ابن خلدون ظهور علم التفسير وتطوره إلى التقدم الحضاري الذي صار العرب إليه بحيث احتاجوا إليه، وبخاصة عندما صارت علوم اللسان صناعة. وهو يصنف التفسير إلى صنفين: أحدهما تفسير نقلي يعتمد على الآثار المنقولة عن السلف، وهي معرفة الناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، ومقاصد الآي. وكل ذلك لا يُعرف إلا بالنقل عن الصحابة والتابعين. وقد عُني المتقدمون بجمع ذلك المأثور، إلا أن منقولاتهم اشتملت على الغث والسمين والمقبول والمردود. والسبب في ذلك أن العرب كانوا أول أمرهم تغلب عليهم البداوة والأمية، فإذا تشوقوا إلى معرفة شيء عن بدء الخليقة، وأسرار الوجود، وأسباب المكنونات وغيرها، سألوا عنها أهل الكتاب من اليهود والنصارى ممن اعتنق الاسلام. فامتلات التفاسير الأولى من منقولات هؤلاء في أمثال الأغراض المذكورة. والصنف الآخر من التفسير ظهر بعد ارتفاع مستوى العرب العلمي وركونهم إلى التحقيق والتمحيص، والرجوع فيه إلى اللسان

(٧) أبو البركات عبد الرحمن محمد بن الأنباري، نزعة الألباء في طبقات الأدباء أي النحاة، تحقيق عطية عامر (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٣)، ص ١٢٢.

(٨) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، حققه وعلّق حواشيه محمود محمد شاكر، وراجعه وخرّج أحاديثه أحمد محمد شاكر، ط ٢، ج ٢ (القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٥٤)، ج ١، ص ٣٥.

من معرفة اللغة والإعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب. وهذا الصنف من التفسير قل أن يفرد عن الصنف الأول الذي هو المقصود بالذات<sup>(٩)</sup>.

وكان علم التفسير كثيره من العلوم الأخرى قد نشط رجاله في هذا القرن فصنفوا فيه. فوضع عدد من مشاهير الفقهاء وعلماء اللغة تفاسير عديدة، أغلبها من الصنف الذي يلتزم بالموروث الذي رسخت أسسه وآدابه في هذا القرن. ومن أشهر هذه التفاسير: تفسير ابن دكين أبي نعيم الفضل بن دكين، المتوفى سنة ٢١٩ وهو محدث من شيوخ البخاري ومسلم، وكان إماماً وإليه تنسب الطائفة الدكينية، دعي إلى القول بخلق القرآن في أيام المأمون فلم يستجب<sup>(١٠)</sup>. وتفسير ابن أبي شيبة أبي بكر عبد الله، المتوفى سنة ٢٣٥ وقد لخصنا ترجمته في الفصل الخاص بالحديث<sup>(١١)</sup>. وتفسير أبي يعقوب اسحاق بن إبراهيم بن غلغل الحنظلي النخعي، وقد أوردنا خلاصة سيرته في موضوع الحديث<sup>(١٢)</sup>. وتفسير الأشعج أبي سعيد عبد الله بن سعيد الكندي، المتوفى سنة ٢٥٧ وكان محدث الكوفة في أيامه<sup>(١٣)</sup>. وتفسير ابن ماجه أبي عبد الله محمد بن يزيد أحد أئمة علم الحديث، وقد ترجمنا له في الفصل الخاص بالحديث<sup>(١٤)</sup>. وتفسير الثقفي أبي اسحاق إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الكوفي الأمامي، المتوفى سنة ٢٧٣<sup>(١٥)</sup>. وتفسير الدينوري أبي حنيفة أحمد بن داود، المتوفى سنة ٢٩٠ من أعلام القرن الثالث الموسوعيين<sup>(١٦)</sup>. وتفسير النسفي أبي اسحاق إبراهيم بن معقل بن محمد بن الحجاج قاضي نسف، وقد أشرنا إليه في موضوع الحديث<sup>(١٧)</sup>. وتفسير ابن سلمة المفضل بن سلمة بن عاصم، المتوفى سنة ٢٩٠ وهو عالم لغوي له عدد من الكتب في علم اللغة<sup>(١٨)</sup>. وتفسير الجبائي محمد بن عبد الوهاب، أحد رؤساء المعتزلة، وقد ذكرنا ترجمته في

---

(٩) أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المعبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: مقدمة ابن خلدون، ٧ ج (مصر: المطبعة الخيرية، ١٩٠٤)، ص ٢٣٩ - ٢٤٠.

(١٠) أبو الفرج محمد بن اسحق بن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم (طهران: مكتبة الأسد، ١٩٧١)، ص ٣٧، وخير الدين الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط ٢، ١٠ ج في ٥ (القاهرة: مطبعة كونستانتينوس، ١٩٥٤ - ١٩٥٥)، ج ٥، ص ٣٥٣.

(١١) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٧.

(١٢) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ١، ص ٤٤٢.

(١٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٤٢، وابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٧.

(١٤) حاجي خليفة، المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٣٩.

(١٥) اسماعيل بن محمد أمين البغدادي، هدية العارفين: أسما المؤلفين وآثار المصنفين، ج ٢ (استانبول: وكالة المعارف العامة، ١٩٥٤)، ج ١، ص ٣.

(١٦) حاجي خليفة، المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٤٧.

(١٧) البغدادي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٤.

(١٨) أبو الفرج محمد بن اسحق بن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٢٠)، ص ١١٥.

الفصل الخاص بعلم الكلام<sup>(١٩)</sup>. وتفسير الانماطي ابراهيم بن اسحاق، المتوفى سنة ٣٠٣ وهو من كبار رجال الحديث<sup>(٢٠)</sup>. وتفسير الزجاج أبي اسحاق ابراهيم بن السري، المتوفى سنة ٣١١ من رجال اللغة والنحو<sup>(٢١)</sup>. وتفسير الكعبي أبي القاسم عبد الله بن أحمد الحنفي المعتزلي، المتوفى سنة ٣١٩ وقد أوردنا ترجمته في فصل علم الكلام<sup>(٢٢)</sup>. وتفسير الأشعري علي بن اسماعيل إمام الأشعرية وقد ترجمنا له في فصل علم الكلام أيضاً<sup>(٢٣)</sup>.

### أ - الطبري وتفسيره

وكان أبرز من صُنّف في علم التفسير دون منازع، في هذا القرن، هو الإمام الفقيه المؤرخ أبو جعفر عماد بن جرير بن يزيد بن خالد بن غالب - وقيل يزيد بن كثير بن غالب - ولد بأمل قاعدة طبرستان فنسب إليها. وكان أبوه من ذوي اليسار، وقد ورث الطبري عنه ضيعة واسعة في طبرستان اعتمد في معيشته عليها<sup>(٢٤)</sup>. كان مولده في سنة أربع أو خمس وعشرين ومئتين، فمثل الطبري كيف وقع الشك في ذلك فقال: لأن أهل بلدنا يؤرخون بالأحداث دون السنين فأرخ مولدي بحدث كان في البلد، فلما نشأت سألت عن ذلك الحادث فاختلف المخبرون لي فقال بعضهم كان ذلك في آخر سنة أربع وقال آخرون بل كان أول سنة خمس<sup>(٢٥)</sup>.

ويظهر أن الطبري حفظ القرآن الكريم وسعى إلى طلب العلم بسن مبكرة، قال عن نفسه: حفظت القرآن ولي سبع سنين، وصليت بالناس وأنا ابن ثمان سنين، وكتبت الحديث وأنا ابن تسع سنين<sup>(٢٦)</sup>. ولذا حرص أبوه على تشجيعه على طلب العلم والاستزادة من المعارف. ولما ضاقت به أمل رحل إلى مدينة الري فدرس الفقه العراقي على علمائها، وكتب عنهم شيئاً من الحديث. ثم رحل إلى العراق قاصداً الإمام أحمد بن حنبل، إلا أنه لما وصلها كان الامام أحمد قد انتقل إلى جوار ربه. وهذا يعني أن الطبري كان آنذاك في حدود السابعة

(١٩) المصدر نفسه، ص ٥٧.

(٢٠) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ١، ص ٤٤٣، والزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ١، ص ٢٥.

(٢١) حاجي خليفة، المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٤٨.

(٢٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٤١.

(٢٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٤٠.

(٢٤) أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ١٤ ج (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٥٦)، ج ٢، ص ١١٦؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٣، ص ٣٣٢، وشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأديباء أو طبقات الأديباء، تحقيق د. ص. مرجليوث، ط ٢، ٩ ج (القاهرة: مطبعة هندية، ١٩٢٣ - ١٩٢٦)، ج ٢، ص ٤٢٣.

(٢٥) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٤٢٩.

(٢٦) المصدر نفسه، ج ٦، ص ٤٢٩ - ٤٣٠.

عشرة من عمره، فلم تطل إقامته ببغداد، فأخذ سبيله إلى البصرة وسمع من شيوخها، ثم إلى الكوفة وأخذ من علمائها، ثم عاد إلى بغداد، ومنها غادر إلى مصر ماراً ببلاد الشام فوصل القسطنطينية في سنة ٢٥٣، فاتصل بكبار علمائها وأخذ عنهم فقه الامام الشافعي. ويقول الطبري: «لما دخلت مصر لم يبق أحد من أهل العلم إلا لقيني وامتحني في العلم الذي يتحقق به، فجاءني يوماً رجل فسألني عن شيء من العروض، ولم أكن نشطت له قبل ذلك، فقلت له: عليّ قول إلا أتكلم اليوم في شيء من العروض، فإذا كان في غد فصرّ إليّ». وطلبت من صديق لي العروض للخليل بن أحمد فجاء به، فنظرت فيه ليلتي فأمسيت غير عروضي وأصبحت عروضياً<sup>(٣٧)</sup>. وبعد أن تردّد مرة بين بغداد والقسطنطينية والشام وطبرستان وراء رجال اللغة والنحو وشيوخ الفقه والمحدثين والقراء، عاد الطبري إلى مدينة السلام وقد نال قسطاً كبيراً من المعرفة والعلم بالقرآن والفقه والحديث واللغة والنحو والشعر. ولما عاد إلى مدينة السلام لأخر مرة واستقر بها نزل في قنطرة البردان، واشتهر اسمه بالعلم وشاع خبره بالفهم والتقدم<sup>(٣٨)</sup>.

أجمعت المصادر التراثية على علو كعب الطبري في علوم زمانه وبخاصة علوم القرآن والفقه والحديث واللغة والنحو. قال عنه ابن النديم: «علامة رفته وإمام عصره وفقه زمانه... كان متفنناً في جميع العلوم: علوم القرآن والنحو والشعر واللغة والفقه، كثير الحفظ»<sup>(٣٩)</sup>. وقال الخطيب البغدادي: «كان أحد أئمة العلماء، يُحكى بقوله ويُرجع إلى رأيه، لمعرفته وقضيه، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشأه فيه أحد من أهل عصره. وكان حافظاً لكتاب الله، عارفاً بالقراءات، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطريقها وصحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين»<sup>(٤٠)</sup>. وقال ياقوت الحموي: «كان أبو جعفر من الفضل والدكاء والحفظ على ما لا يبيحله أحد عرفه، لجمعه من علوم الإسلام ما لم تعلمه اجتماع لأحد من هذه الأمة، ولا ظهر في كتب المصنفين وانتشر من كتب المؤلفين ما انتشر له. وكان راجحاً في علوم القرآن والقراءات، وعلم التاريخ من الرسل والخلفاء والملوك، واختلاف الفقهاء... وكان فيه من الزهد والورع والخشوع والأمانة وتصفية الأعيال وصدق النية وحقائق الأنفال ما دُلّ عليه كتابه في آداب النفوس»<sup>(٤١)</sup>. وقال ابن خلكان: «كان اماماً في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك. وله مصنفات مليحة في فنون عديدة تدل على سعة معرفته وغزارة فضله»<sup>(٤٢)</sup>.

وكان أبو جعفر إلى جانب ما ذكر، قد نظر في المنطق والحساب والجبر والمقابلة، وفي الطب. «وكان كالقاريء الذي لا يعرف إلا القرآن، وكالمحدث الذي لا يعرف إلا الحديث، وكالفقيه الذي لا يعرف إلا الفقه، وكالنحوي الذي لا يعرف إلا النحو، وكالحاسب الذي لا يعرف إلا الحساب. وكان عاملاً للعبادات، جامعاً للعلوم، وإذا جمعت بين كتبه وغيره وجدت لكتبه فضلاً على غيرها»<sup>(٤٣)</sup>.

(٢٧) المصدر نفسه، ج ٦، ص ٤٣٤ - ٤٣٥.

(٢٨) المصدر نفسه، ج ٦، ص ٤٣٥.

(٢٩) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٣٤٠ - ٣٤١.

(٣٠) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٢، ص ١٦٣.

(٣١) ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأديباء أو طبقات الأديباء، ج ٦، ص ٤٣٧.

(٣٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٣، ص ٣٣٢.

(٣٣) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٤٣٨ - ٤٣٩.



كان الطبري يذهب إلى ما عليه الجماعة من السلف ماضياً في مهاجمهم متمسكاً بالسنة شديداً على مخالفيها، وهو يذهب إلى مخالفة أهل الاعتزال فيما خالفوا فيه الجماعة من مقولاتهم<sup>(٣٤)</sup>. وقد انعكست عقيدته هذه على كتابه في التفسير المسمى: جامع البيان عن تأويل القرآن الذي بناه على أساس المأثور مما ثبت عن صحابة رسول الله ﷺ وتابعيه من الروايات الموثقة المطردة التسلسل في الرواية. وقد وضعه في ٣٠ جزءاً، جعل الجزء الأول منها مقدمة مسهبة تكلم فيها على الإعجاز في القرآن، وطرق القراءات، وتفسير أسماء السور، وناسخ الآيات ومنسوخها، وأحكام القرآن. وأوضح فيها الأساس الذي بنى عليه تفسيره، والطريقة التي انتهجها فيه. وذكر أسباب التخرج من تفسير القرآن الكريم، وبين المقصود مما ورد من النهي عن تأويله، وما ورد في جواز تفسيره، وعدد أوجه هذا الجواز والأسباب المبررة لذلك<sup>(٣٥)</sup>.

وقد تميّز الطبري في تحريره الدقة في نقل الروايات المختلفة وانتقاد ما يراه من ضعف في الرواية أو نقص في التفسير. ولم يكن يركن إلا إلى ما يرتضيه العقل والمنطق وما يجمع عليه الرواة. وقد اعتبر آيات القرآن الكريم من حيث تفسيرها ثلاثة أصناف في ضوء ما روي عن عبد الله بن عباس أن تفسير القرآن على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وجه من التفسير لا يعوز أحد بجهالته، وتفسير تعرفه العلماء، وتفسير لا يعرفه إلا الله. فجعل الطبري الصنف الأول هي الآيات التي لا سبيل للوصول إلى تفسيرها، وهي التي استأثر الله جل شأنه بعلمها، وحجب ذلك عن جميع عباده، كالروح والفخ في الصور وموعد الساعة وما أشبه ذلك. ويتناول الصنف الثاني ما خصّ الله تعالى النبي ﷺ بعلم تفسيرها وتأويلها دون سائر أمته، ولا سبيل إلى العلم بها إلا ببيان الرسول ﷺ وتأويله لها. أما الصنف الثالث فقد شمل ما كان عند أهل اللسان الذي نزل به القرآن الكريم، وهو تأويل عريته معنى وإعراباً، وذلك يتم من قبل أهل اللغة. ولذا فإن أحقّ المفسرين في تأويل أي القرآن الكريم وأوضحهم حجّة فيها تأول وفسّر من كان تأويله إلى رسول الله ﷺ من أخباره الثابتة عنه بالطرق المقبولة، أو ما كان مدركاً علمه من جهة اللسان مدلولاً بالشواهد من الأشعار والأقوال. على أن لا يكون تأويله وتفسيره خارجاً عما تأوله السلف وفسروه<sup>(٣٦)</sup>.

وما ساعد الطبري على النهوض بهذا العمل الكبير معرفته بعلوم اللغة العربية وأساليبها على اختلاف مدارسها، وإطلاعه الواسع على الشعر العربي القديم، وتخصّصه بعلوم الفقه والحديث، وإحاطته التامة بالقراءات. وسبق أن أشرنا إلى أهمية العلم واللغة في التفسير، وقد اجتمع في الطبري، مما جعل تفسيره جماع التفسير المأثور.

ويقال إنه قدّر لتفسير القرآن الكريم ثلاثين ألف ورقة إلا أنه اختصره في نحو ثلاثة

(٣٤) المصدر نفسه، ج ٦، ص ٤٥٣.

(٣٥) الطبري، تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ج ١، ص ٣٥ - ٣٦.

(٣٦) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤١.

آلاف ورقة، لأن ذلك العدد الكبير من الأوراق مما تقصر عنه الأعصار<sup>(٣٧)</sup>. وقد نال تفسير الطبري شهرة واسعة، وامتدحه العلماء والفقهاء على مر العصور وأجمعوا على أنه أجل التفسير وأعظمها، لم يُصنّف مثله، بحيث لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل عليه لم يكن ذلك كثيراً<sup>(٣٨)</sup>. وقد طبع لأول مرة كاملاً بثلاثين جزءاً بالمطبعة الأميرية ببولاق بمصر في سنة ١٣٢٢م<sup>(٣٩)</sup>.

## ٢ - علم القراءات

هو علم يُبحث فيه عن صور نظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلافات المتواترة، وهو مرتبط بعلوم اللغة العربية. والغرض منه ضبط هذه الاختلافات صوتاً لكلامه تعالى من أن يتطرق إليه التحريف والتغيير، وقد يُبحث فيه أيضاً نظم الكلام من حيث الاختلافات غير المتواترة الواصلة حد الشهرة المروية عن الأحاد الموثوق بهم<sup>(٤٠)</sup>. ويقول ابن خلدون عن نشوء علم قراءة القرآن: «والقرآن هو كلام الله المنزل على نبيه المكتوب بين دفتي المصحف وهو متواتر بين الأمة... روي عن رسول الله ﷺ على طرق مختلفة في بعض الفاظها وكيفيات الحروف في أدائها. وتنوّل ذلك واشتهر إلى أن استقرت منها سبع طرق معينة تواتر نقلها أيضاً بأدائها واختصت بالانتساب إلى من اشتهر بروايتها من الجُمّ الغفير، فصارت هذه القراءات السبع أصولاً للقراءة... ربما زيد بعد ذلك قراءات أخرى لحقت بالسبع إلا أنها عند أئمة القراء، لا تقوى قوتها في النقل. وهذه القراءات السبع معروفة في كتبها... ولم يزل القراء يتداولون هذه القراءات وروايتها إلى أن كتبت العلوم ودونت فيها كتب من العلوم وصارت صناعة مخصوصة وعلماً منفرداً وتناقله الناس»<sup>(٤١)</sup>.

ومن الواضح أن غاية علم القراءات التوصل إلى قراءة القرآن الكريم بالنص الذي أوحى به إلى الرسول ﷺ وعدم السماح بتغيير قراءته بشكل قد تسمح به اللهجات العربية المعروفة عند نزوله، أي عدم إقرار ما لم تثبت قراءته على عهد الرسول ﷺ. لأن معاني الكلمات قد تتغير بتغير قراءتها بسبب خاصية الحرف العربي. فالكلمة الواحدة قد تقرأ بأكثر من شكل واحد تبعاً لوضع التنقيط والشكل. وذلك بسبب سعة اللغة العربية في وضع الكلمة وهيئتها مما يؤدي إلى اختلاف في قراءتها ومن ثم اختلاف في معانيها. وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك واعتبر رسم الحروف، أي أوضاع حروف القرآن ورسموها الخطية، من أسباب اختلاف القراءات. لأن هناك حروفاً رسمت على غير المعروف كزيادة الألف أو الواو إلى بعض الكلمات، أو حذفها منها<sup>(٤٢)</sup>.

(٣٧) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٤٢٥.

(٣٨) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ١، ص ٤٣٧.

(٣٩) يوسف إيلان سركيس، معجم المطبوعات العربية والمعربة: وهو شامل لأسماء الكتب المطبوعة في الأقطار الشرقية والغربية مع ذكر أسماء مؤلفيها ولمة من ترجمتهم وذلك من يوم ظهور الطباعة إلى نهاية السنة الهجرية ١٣٣٩ الموافقة لسنة ١٩١٩ الميلادية (القاهرة: مطبعة سركيس، ١٩٢٨)، ص ١٢٣١.

(٤٠) حاجي خليفة، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٣١٧.

(٤١) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ٢٣٨.

(٤٢) المصدر نفسه.

وهناك عامل آخر أثر في اختلاف القراءات، وهو «أن الجهات التي وجهت إليها المصاحف - في عهد الخليفة عثمان بن عفان - كان بها من الصحابة من حمل عنه أهل تلك الجهة، وكانت المصاحف خالية من النقط والشكل، فثبت أهل كل ناحية على ما كانوا تلقوه سماعاً عن الصحابة بشرط موافقة الخط»<sup>(١٣)</sup>، مما أدى إلى بعض الاختلافات في قراءة قراء الأمصار. وكان ذلك من أهم العوامل التي استدعت إعجام المصحف وشكله، للمحافظة على أداء قراءته على الوجه الذي نزل به دوغماً تغيير.

يقول السيوطي إن كفايات القراءة ثلاث: الأولى (التحقيق) وهو إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد وتحقيق الهمزة، وإتمام الحركات واعتناء الإظهار والتشديدات، وبيان الحروف، وتفكيكها، وإخراج بعضها من بعض بالسكوت والترتيل والتؤدة، وملاحظة الجائز من الوقوف بلا قصر ولا اختلاس ولا إسكان عرك ولا إدغامه. والثانية (الحذر) وهو إدراج القراءة وسرعتها وتخفيفها بالقصر والتسكين والاختلاس والبدل والإدغام الكبير وتخفيف الهمزة ونحو ذلك مما صحّت به الرواية مع مراعاة إقامة الإعراب وتقويم اللفظ. والثالثة (التدوير) وهو التوسط بين التحقيق والحذر وهو الذي ورد عن أكثر أئمة القراءة عن مد المنفصل ولم يبلغ فيه الإشباع، وهو مذهب سائر القراء والمختار عند أكثر أهل الأداء. وواضح أن الفرق بين التحقيق والترتيل أن التحقيق يكون للتمرين والتعليم، والترتيل يكون للتدبر والتفكير والاستنباط، وعلى هذا فكل تحقيق ترتيل، وليس كل ترتيل تحقيقاً<sup>(١٤)</sup>.

وقد استقر منذ مطلع القرن الثاني سبع قراءات، تختلف عن بعضها في قراءة بعض الأحرف، وقد نسب كل منها إلى من اشتهر بروايتها من كبار القراء، وهم<sup>(١٥)</sup>: عبد الله بن عامر اليحصبي الشامي أبو عمران، المتوفى سنة ١١٨. وعبد الله بن كثير (أبو سعيد) المكي المتوفى سنة ١٢٠، وعاصم بن أبي النجود بهذلة، أبو بكر الأسدي الكوفي، المتوفى سنة ١٢٧، وأبو عمرو بن العلاء واسمه زُيَّان بن العلاء بن عمار البصري التميمي المتوفى سنة ١٥٤، وحزمة بن حبيب بن عماره التيمي الكوفي الملقب بالزيات، المتوفى سنة ١٥٦، ونافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي المدني، المتوفى سنة ١٥٦، وعلي بن حمزة بن عبد الله الأسدي الكوفي الملقب بالكسائي، المتوفى سنة ١٨٩.

يتضح مما تقدم أن القراءات المذكورة إنما هي اختلاف في صورة بعض الكلمات، وليس بزيادة كلمة أو حذفها. هذا مع العلم أن تلك القراءات جاءت بروايات ضيقة السند يرونها واحد عن آخر، أي أنها بخبر واحد. وهي تقوم على مخالفة الرسم المتداول للقرآن الكريم، مما لا يوجب الالتزام بها لأنها واجتهادات من القراء أنفسهم وليست متواترة عن النبي ﷺ لولا

(١٣) أبو القاسم الحفوي، البيان في تفسير القرآن (التجف: المطبعة العلمية، ١٩٥٧)، ص ١١٦.

(١٤) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج ١، ص ١٠٠.

(١٥) اعتمدنا في تثبيت أسانهم وتواريخ وفاتهم على: ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم؛ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، المعارف، حققه وقدم له ثروت عكاشة (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٠)، وابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان.

ورد اعتراض على إحدى القراءات كان ذلك دليلاً على بطلان تلك القراءة نفسها، دون أن يمس بعظمة القرآن وكرامته<sup>(١١)</sup>.

ومما يجب ملاحظته أن هذه القراءات السبع لا تمثل الأحرف السبعة التي وردت فيها روي عن الرسول ﷺ أنه قال: أنزل القرآن على سبعة أحرف. وإنما هي، كما قلنا، اجتهدات القراء الذين نسبت إليهم. وذلك أن كلاً منهم اختار أن يقرأ القرآن بطريقة اعتبرها أحسن من غيرها، فعرفت باسمه. ويظهر أن هذه القراءات كانت أكثر قبولاً من غيرها لدى الفقهاء وعلما القرآن، لصوابها وصحتها، بحيث أبيع القراءة بها في الصلاة.

### أ - أشهر القراء

لقد كان من مظاهر النهضة العلمية العربية في القرن الثالث الاهتمام بقراءات القرآن الكريم، فبرز عدد من القراء اشتهروا بجودة قراءتهم والتزامهم بالقراءات الموروثة. غير أن بعضهم اجتهدوا في قراءتهم رغبة في التجديد، بحيث صار لبعضهم قراءة خاصة بهم، مما زاد في عدد القراءات. ولهذا انبرى عدد من العلماء لتصنيف الكتب بتلك القراءات وضبطها، بحيث تم في أوائل القرن التالي حصر القراءات المسموح بها بالقراءات السبع فقط. فلا يسمح لأحد من القراء بأي تغيير في أصولها وقواعدها، وإذا ما قرأ أحد بما يخالف تلك القواعد استتيب، فلن تاب وتعهده بعدم الخروج على تلك القراءات المألوفة عفي عنه، وإلا عوقب بصرامة.

وفيما يلي خلاصة بسيرة المشهورين من قراء القرن الثالث وطريقتهم التي اتخذوها في القراءة، ثم نذكر أهم من صنف في علم القراءات:

#### (١) قالون

أبو موسى عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى، من أهل المدينة، رومي الأصل من موالي الأنصار<sup>(١٢)</sup>. قرأ على نافع أحد القراء السبعة، ومهر في قراءته، وصار إماماً فيها فبعد صيته وقصده طلاب الإقراء من بلدان مختلفة<sup>(١٣)</sup>. ورغم أنه أصم الأذنين فقد كان يستمع إلى طلابه ويميز الخطأ واللحن من حركات شفاههم أو بأن يقرأ القارئ منهم في أذنه مباشرة<sup>(١٤)</sup>. وروي عنه أنه قال عن سبب تسميته بقالون، إنه كان إذا قرأ على أستاذه نافع قال له: قالون

(٤٦) الخنوي، البيان في تفسير القرآن، ص ٦٠.

(٤٧) ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدياب أو طبقات الأدياب،

ج ٦، ص ١٠٣ - ١٠٤.

(٤٨) جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تفرج بردي، التيجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة

(القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، [د.ت.ج]، ج ٢، ص ٢٣٥.

(٤٩) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ١٠٣، والزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر

الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ٥، ص ٢٩٧.

قالون، أي جيد بلغة الروم، لجودة قراءته واتقان أدائه. وإنما كان نافع يكلمه بذلك تليظاً له باعتبار أصله من الروم<sup>(٥٠)</sup>.

وعُمر قالون طويلاً واختلف في سنة وفاته. يقول ياقوت الحموي إنه توفي سنة ٢٠٥ في أيام المأمون، بينما يعتبره أبو المحاسن من وفيات سنة ٢٢٠، ويقول السيوطي إنه توفي في أيام المعتصم بالله. وقد بُثت قاموس الاعلام وفاته في سنة ٢٢٠<sup>(٥١)</sup>.

## (٢) خلف البزار

أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب الأسدي البغدادي. ويقال هشام بن طالب. أصله من قم الصلح، صار إلى مدينة السلام فنشأ بها. سمع الحديث على محدثي زمانه منهم القاضي شريك بن عبد الله النخعي الفقيه المحدث، ومحمد بن زيد البصري، وأخذ القراءة عن سليم بن عيسى الكوفي أخص أصحاب حمزة وأضبطهم<sup>(٥٢)</sup>.

كان خلف البزار ثقة في رواية الحديث، روى عنه الإمام أحمد بن حنبل وأبو زرعة المحدث الدمشقي، إلا أن بعض أحاديثه تعرضت للطعن، فقال بعض منتقديه: خلف البزار لم يكن يدري إيش الحديث، إنما هو يبيع البز<sup>(٥٣)</sup>. وقد اجتهد خلف في قراءة القرآن الكريم وخالف حمزة ببعض الحروف، وصارت له قراءة خاصة به نسبت إليه، وقد وضع كتاباً في القراءات. وكان خلف، إضافة إلى علمه، سمح الأخلاق نبلاً مع طلابه الذين كانوا يدرسون القراءة عليه.

وكاد خلف البزار أن يعتبر في عداد الفقهاء لولا اعتياده شرب النبيذ، وقد تركه بعد أربعين عاماً عندما لأمه ابن أخته الذي كان يقرأ عليه، وألزم نفسه بالعادة وإعادة صلاة المدة الطويلة التي كان مدمناً فيها على الشرب<sup>(٥٤)</sup>.

توفي خلف ببغداد في جمادى الآخرة سنة ٢٢٩، ويقال إنه مات مختفياً خوفاً من أن يمتحن بالقول بخلق القرآن<sup>(٥٥)</sup>.

---

(٥٠) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، والزركلي، المصدر نفسه.

(٥١) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ١٠٣؛ ابن خريز بردي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٣٥؛ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط ٢ (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٥٩)، ص ٣٤٠، والزركلي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٩٧.

(٥٢) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٥٣، والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٨، ص ٣٢٥.

(٥٣) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٨، ص ٣٢٦.

(٥٤) المصدر نفسه، ج ٨، ص ٣٢٦.

(٥٥) المصدر نفسه، ج ٨، ص ٣٢٧؛ ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٥٣، والزركلي، الاعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ٢، ص ٣٦٠.

### (٣) ابن سعدان

أبو جعفر محمد بن سعدان الضرير النحوي المقرئ، بгдаدي المولد كوفي النشأة، كان معلماً لمبیین العامة، وقد أخذ بقراءة حمزة عن سليم بن عيسى وصار ثقة بها. ثم اختار لنفسه قراءة ففسد عليه الأصل والفرع<sup>(٥٦)</sup>. وقد طُوف في البلدان طلباً للقراءة، فأخذ عن قراء مكة والمدينة والشام والكوفة والبصرة، وكان ذا علم بالنحو واللغة، فآلم بمختلف القراءات وتعرف على أوجه الخلاف بينها<sup>(٥٧)</sup>. ولعل هذا مما ساعده على أن يحاول الانفراد بقراءة خاصة به.

صنف ابن سعدان كتباً في النحو وفي القراءات، ومن كتبه، كتاب القراءات ويضيف أبو البركات الأنباري كتاب في معرفة القرآن<sup>(٥٨)</sup>.

توفي ابن سعدان في يوم عرفة من سنة ٢٣١هـ<sup>(٥٩)</sup>.

### (٤) يوسف بن عمرو

أبو يعقوب الأزرق صاحب ورش، كان مقرئ ديار مصر في زمانه، واسمه يوسف بن عمرو بن يسار المدني المصري، لزم ورشاً، وهو عثان بن سعيد بن عدي من كبار قراء مصر، أخذ القراءة عن نافع<sup>(٦٠)</sup>. فاتفق يوسف عنه الأداء وخلفه في الاقراء بالديار المصرية. ثم انفرد عنه بتخليط الرءاء وترقيق اللامات، وسادت قراءته أهل مصر والمغرب، وقد توفي سنة ٢٤٠هـ<sup>(٦١)</sup>.

### (٥) حفص الدوري

حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهيب، أبو عمر الأزدي الدوري نسبة إلى الدور وهي عملة بالجناب الشرقي ببغداد، نزل سامراء وسكنها، وكان عالماً محدثاً سمع الحديث

---

(٥٦) ابن التديم، المصدر نفسه، ص ١١٠، وياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمجمع الأدياب أو طبقات الأدياب، ج ٧، ص ١٢.

(٥٧) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٧، ص ١٢.

(٥٨) ابن التديم، المصدر نفسه، ص ١١٠؛ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفيدي، نكت الهميان في نكت الهميان، وقف على طبعه أحمد زكي (مصر: المطبعة الجاهلية، ١٩١١)، ص ٢٥٢، وابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدياب أي النحاة، ص ١٠٤.

(٥٩) ابن التديم، المصدر نفسه، ص ١١٠؛ الصفيدي، المصدر نفسه، ص ٢٥٢، وياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٧، ص ١٢ وفيه: مات يوم عيد الأضحى.

(٦٠) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٣٣.

(٦١) أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج ٢ (بيروت: المكتبة التجارية للطباعة والنشر، [د.ت.د.])، ج ٢، ص ٩٥.

ورواه، وكتب عنه الإمام أحمد بن حنبل<sup>(٣٧)</sup>. وحُدِّث عنه ابن ماجة وأبو زرع<sup>(٣٨)</sup>.

ويعتبر حفص الدوري إمام القراء في زمانه، رحل في طلب الحديث والقراءة فدرس على اسماعيل بن جعفر المدني، التوفي سنة ١٨٠، قارئ أهل المدينة، وعلى سليم بن عيسى الكوفي، والكسائي، إلا أنه مال إلى قراءة الكسائي فصار ثقة فيها ضابطاً لها، فاشتهر بها وأخذ يدرسها<sup>(٣٩)</sup>. ويقال إنه أول من جمع القراءات وألفها. فقصده الطلاب من الآفاق وازدحم عليه الخذاق لعلو سنده وسعة علمه. وقد صنف كتاباً في القراءات، وذهب بصره في أواخر عمره<sup>(٤٠)</sup>.

ويظهر مما ذكره الخطيب أن أبا عمر الدوري تعرض للمحنة فلم يجب، إذ يقول: وسئل عما يقوله في القرآن، فقال: كلام الله غير مخلوق<sup>(٤١)</sup>. وذكر له ياقوت الحموي من مصنفاته في علوم القرآن: كتاب ما اتفقت ألفاظه ومعانيه من القرآن، وكتاب أجزاء القرآن<sup>(٤٢)</sup>.

توفي حفص في شوال سنة ٢٤٦هـ<sup>(٤٣)</sup>.

#### (٦) محمد بن يزيد

أبو هشام محمد بن يزيد بن محمد بن كثير الرفاعي، الفقيه المحدث، ولي القضاء ببغداد في سنة ٢٤٢ وكان عالماً بالأحكام، ومحدثاً صدوقاً روى عنه البخاري عدداً من الأحاديث، كما كان أحد أعلام القراء في زمانه، حافظاً للقراءات، وقد توفي ببغداد في سنة ٢٤٨ ويقال سنة ٢٤٩ وكان لا يزال على قضائها<sup>(٤٤)</sup>. ومن مصنفاته كتاب في القراءات<sup>(٤٥)</sup>.

#### (٧) محمد بن حماد

أبو بكر محمد بن حماد بن بكر المقرئ صاحب خلف بن هشام، وقد قرأ عليه القرآن

---

(٦٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٨، ص ٢٠٣، وياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ١١٨.

(٦٣) الصفي، نكت الهميان في نكت العميان، ص ١٤٦.

(٦٤) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٨، ص ٢٠٣، وياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ١١٨.

(٦٥) الصفي، المصدر نفسه، ص ١٤٦.

(٦٦) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٨، ص ٢٠٣.

(٦٧) ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأديب أو طبقات الأديب، ج ٤، ص ١١٨.

(٦٨) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٨، ص ٢٠٤؛ ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ١١٨؛ الصفي، نكت الهميان في نكت العميان، ص ١٤٦، وابن تيري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٢، ص ٣٢٣.

(٦٩) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٧٥ - ٣٧٧.

(٧٠) المصدر نفسه، والبغدادي، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ٢، ص ١٥.

وسمع منه الحديث، فكان أحد القراء المجيدين، صالحاً تقياً، بحيث كان الإمام أحمد بن حنبل يحمله ويكرمه ويصلي خلفه في شهر رمضان وغيره<sup>(٣١)</sup>. وقد لزم الاستقامة على الخبر وضبط الحروف - فكان محافظاً لا يغير ما تعلمه من طريقة القراءة<sup>(٣٢)</sup>.

توفي ابن حماد بمدينة السلام يوم الجمعة لأربع خلون من ربيع الآخر سنة ٢٦٧. ودفن بمقابر التباين<sup>(٣٣)</sup>.

## (٨) قُتُبِلْ

اسمه محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن خالد المخزومي المكي، أبو عمر، وقُتُبِلْ لقب غلب عليه، أخذ القراءة عن عبد الله بن كثير المكي وكان من جلة أصحابه وراويته الذي نشر قراءته<sup>(٣٤)</sup>. وإليه انتهت رئاسة الإقراء بالحجاز في أيامه، وكان مثقفاً ذاع صيته، فرحل إليه طلاب القراءة من أقطار مختلفة. ومن قرأ عليه ابن مجاهد أبو بكر أحمد بن موسى. وقد قطع قبل الإقراء قبل موته بعدة سنين لأنه اضطرب وخلط في القراءة.

وكانت وفاته في سنة ٢٩١ عن ست وتسعين سنة<sup>(٣٥)</sup>.

## (٩) ابن مجاهد

أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد المقرئ، كان شيخ القراءة في وقته والمقدم منهم على عصره. سمع الحديث، وكان محدثاً ثقة مأموناً، وقيل عنه: ما بقي في عصرنا هذا أحد أعلم بكتاب الله من أبي بكر بن مجاهد<sup>(٣٦)</sup>. وصنف في القراءات عدداً من الكتب هي: كتاب القراءات الكبير، وكتاب القراءات الصغير، وصنف ثمانية كتب أخرى أولها خلاص بقراءة النبي ﷺ والسبعة الباقية يختص كل واحد منها بأحد القراء السبعة<sup>(٣٧)</sup>.

ويظهر مما رواه ابن الخطيب أن أبا بكر كان يحسن الغناء أيضاً. فقد حضر مع بعض

(٧١) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٧٠.

(٧٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٧١، وأبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، ١٩٣٨ - ١٩٣٩)، ج ٥، ص ٦١ - ٦٢.

(٧٣) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٧٢؛ ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٦١، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٣، ص ٤٣.

(٧٤) ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمجمع الأدباء أو طبقات الأدباء، ج ٦، ص ٢٠٧. إلا أن ابن كثير قد توفي سنة ١٢٠، وأن قُتُبِلْ ولد في سنة ١٩٥، وقد يقصد أنه أخذ بطريقته وقرأ على قراءته.

(٧٥) المصدر نفسه، والزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ٧، ص ٦٢.

(٧٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٥، ص ١٤٤ - ١٤٥.

(٧٧) ابن التديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٥٣.



أصحابه دعوة، فأخذ قضياً وقّع به واندفع يغني، فغنى نيفاً وأربعين صوتاً في غاية الحسن والطيلة والإطراب، فأشجى الحاضرين وحيرهم<sup>(٣٨)</sup>.

توفي ابن مجاهد يوم الأربعاء وقت العصر ودفن يوم الخميس لعشر بقين من شعبان سنة ٣٢٤هـ<sup>(٣٩)</sup>.

#### (١٠) ابن شنيوذ

محمد بن أحمد بن أيوب بن شنيوذ بن الصلت أبو الحسين البغدادي. قرأ على محمد بن أحمد العنبري، والوزير بن محمد بن عبد الله العمري المدني صاحب قالون، وغيرهما، وقرأ القرآن ببغداد سنين وقرأ عليه كثيرون<sup>(٤٠)</sup>. وقد اشتهر رغم أنه كان كثير اللحن قليل العلم، ومع هذا أباح لنفسه أن يتفرد بقراءات من الشواذ<sup>(٤١)</sup>. ويظهر أنه اتخذ ذلك وسيلة للشهرة. إلا أن القراء أنكروا عليه قراءته، فبلغ أمره الوزير ابن مقلة محمد بن علي في عهد الخليفة الراضي، فأمر بإحضاره ومناظرته، فناظره جماعة من القراء على رأسهم ابن مجاهد كبير العلماء بالقراءات في زمانه، بحضور الوزير والقاضي أبي الحسن عمر بن محمد، فأغلظ في الخطاب واتهم مناظره بقلّة العلم والجهل بالقراءات وأصوها وأنهم لم يسافروا مثله في طلب العلم، فأمر الوزير بضربه، ثم استتابه، فتاب. فكتب عليه حضراً ذكر نصه ابن النديم وابن خلكان، ويتضمن الآيات القرآنية التي سئل عن قراءتها فأعترف بها. ثم أخذ منه التعهد التالي نصه: «يقول محمد بن أحمد بن أيوب المعروف بابن شنيوذ: ما في هذه الرقعة صحيح وهو قولي واعتقادي، واشهد الله تعالى وسائر من حضر على نفسي بذلك، وكتب بخطه، متى خالفت ذلك أو بان مني غيره فأمر المؤمنين في حل من دعي وسّعة، وذلك يوم الأحد لسبع خلون من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين وثلاثمئة، في مجلس الوزير أبي علي محمد بن علي بن مقلة أدام الله توفيقه»<sup>(٤٢)</sup>. ويقول ابن النديم «وأخذ خطه بالتوبة فكتب: يقول محمد بن أحمد بن أيوب قد كنت أقرأ حروفاً تخالف مصحف عثمان المجمع عليه والذي اتفق أصحاب رسول الله ﷺ على قراءته ثم بان لي أن ذلك خطأ وأنا منه تائب وعنه مقلع وإلى الله جل اسمه منه بري، إذ كان مصحف عثمان هو الحق الذي لا يجوز خلافه ولا يقرأ غيره»<sup>(٤٣)</sup>.

مات ابن شنيوذ ببغداد في يوم الاثنين لثلاث خلون من صفر سنة ٣٢٨، وهناك قول

---

(٧٨) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٤٧.

(٧٩) المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٤٨، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،

ج ٣، ص ٢٥٨.

(٨٠) ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٦٧، وفي: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنبأ أبناء الزمان، ج ٣، ص ٢٦٦، يكتبه: أبو الحسن.

(٨١) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماؤهم كتبهم، ص ٥٣ -

٥٤، وابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٢٦.

(٨٢) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٢٧.

(٨٣) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٥٤.

إنه مات في الحبس<sup>(٨٤)</sup>. وله كتاب ما خالف فيه ابن كثير أبا عمرو في القراءات<sup>(٨٥)</sup>.

## ب - كتب في القراءات

صنفت في خلال هذا القرن كثير من الكتب التي تبحث في طرق القراءات وأصحابها، ومن أهم من صنف فيها من مشاهير علماء هذا القرن:

أبو عبد القاسم بن سلام الهروي البغدادي، كان له ما ينيف على عشرين مصنفاً في مختلف المواضع، منها كتاب القراءات وجاء في كشف الظنون أنه أول ما صُنّف من الكتب المعتمدة في القراءات. وكان جعل القراء فيه خمسة وعشرين قارئاً مع السبعة المشهورين<sup>(٨٦)</sup>.

وأبو محمد خلف البزار، وقد سبق أن ذكرنا شيئاً عن سيرته. ويظهر مما ذكره ابن النديم أن البزار صُنّف كتابين في القراءات: كتاب القراءات، وكتاب الوقف والابتداء<sup>(٨٧)</sup>.

ومحمد بن يزيد بن محمد بن كثير، أبو هشام الرفاعي الكوفي. كان حافظاً للقراءات وله من التصنيفات كتاب في القراءات<sup>(٨٨)</sup>.

وأبو حاتم السجستاني سهل بن محمد بن عثمان الجشعي البصري، العالم الثقة في علوم القرآن واللغة والشعر، وهو أستاذ المبرد، كان كثير التصنيفات منها: كتاب في القراءات، وهناك خلاف في سنة وفاته بين سنة ٢٤٨ وسنة ٢٥٠ و٢٥٥، وقد اعتبره قاموس الأعلام من وفيات سنة ٢٤٨<sup>(٨٩)</sup>.

وابن قتيبة عبد الله بن مسلم، ذكر له ابن النديم كتاباً في القراءات<sup>(٩٠)</sup>. وقد ذكره ابن قتيبة نفسه في كتابه المطبوع مشكل القرآن<sup>(٩١)</sup>.

(٨٤) المصدر نفسه، ص ٥٣؛ ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٢٨، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٣، ص ٢٦٧.

(٨٥) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٥٤، والبغدادي، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وأثار المصنفين، ج ٢، ص ٣٥.

(٨٦) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ١١٢، وحاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ٢، ص ١٤٤٩.

(٨٧) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٥٩ - ٦٠.

(٨٨) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٣، ص ٣٧٥ و٣٧٧، والزركل، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ٨، ص ١٥٨.

(٨٩) ابن النديم، المصدر نفسه، ج ٩٢ - ٩٣؛ ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأديباء أو طبقات الأديباء، ج ٤، ص ٢٥٨؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ١، ص ١٥١ - ١٥٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٢، ص ٣٣٢، والزركل، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢١٠.

(٩٠) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ١٢١.

(٩١) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، شرح وتحقيق السيد أحمد صقر (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٤)، ص ٤٥.

واسماعيل بن اسحاق بن اسماعيل بن حماد الأزدي، وكان عالماً في فقه الإمام مالك بن أنس، وقد تولى قضاء بغداد بجانيها، ومن مصنفاته: كتاب في القراءات، وجاء في كشف الظنون أنه جمع فيه عشرين إماماً منهم السبعة<sup>(٩٢)</sup>.

والمرئذ محمد بن يزيد إمام البصريين في النحو، صنّف كتاباً بعنوان احتجاج القراءة كما ذكره ابن النديم، أو احتجاج القراءة وإعراب القرآن كما ذكره ياقوت الحموي<sup>(٩٣)</sup>.

وثعلب أبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني إمام الكوفيين في النحو واللغة في زمانه، من مصنفاته كتاب القراءات<sup>(٩٤)</sup>.

والطبري محمد بن جرير الفقيه المؤرخ، كان بين مصنفاته كتاب في القراءات سيّاه الجامع قال عنه ياقوت الحموي: «وله كتاب في القراءات جليل كبير، رأيت في ثلثي عشرة مجلدة، إلا أنه كان بخطوط كبار. ذكر فيه جميع القراءات من المشهور والشاذ، وعلل ذلك وشرحه. واختار منها قراءة لم يخرج بها عن المشهور، ولم يكن منتصباً للإقراء، ولا قرأ عليه أحد إلا أحد من الناس»<sup>(٩٥)</sup>.

ونفطويه إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي الواسطي، من كبار علماء النحو واللغة وآدابها، من مصنفاته كتاب الاستثناء والشروط في القراءات<sup>(٩٦)</sup>.

### ٣ - علم التجويد

ومما له علاقة بقراءة القرآن الكريم، علم التجويد، وهو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها برد الحرف إلى مخرجه وأصله، وتلطيف النطق به على كمال هيئته، من غير إسراف ولا تعسف، ولا إفراط ولا تكلف<sup>(٩٧)</sup>. وترتيل النظم المبين بإعطاء حقه من الوصل والوقف والد والقصر والإدغام والإظهار والإمالة والتفخيم والترقيق وغيرها. والتجويد كالموسيقى لا يكفي العلم فيه بل هو ملكة خاصة تمكن صاحبها من الأداء<sup>(٩٨)</sup>.

وأول من صنّف في موضوع التجويد المقرئ أبو مزاحم موسى بن عبيد الله بن

---

(٩٢) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٥٧، وحاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ٢، ص ١٤٤٩.

(٩٣) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنّفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٩٤، وياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٧، ص ١٤٣.

(٩٤) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ١١٧؛ ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٥٢، وابن خلكان، وفیات الأعيان وأنباء الزمان، ج ١، ص ١٤٣.

(٩٥) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٤١، وياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٤٢٧ و٤٤١.

(٩٦) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ١٢٧، وياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٣١٠ وفيه الاستثناءات والشروط.

(٩٧) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج ١، ص ١٠٠.

(٩٨) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ١، ص ٣٥٣.

خاقان، المتوفى سنة ٣٢٥ وكان عالماً باللغة وأديباً شاعراً، وله قصيدة في التجويد<sup>(٩٩)</sup>. وذكر له صاحب هدية العارفين: القصيدة الخاقانية في التجويد<sup>(١٠٠)</sup>. وقد تكون هي القصيدة المذكورة.

#### ٤ - دراسات قرآنية أخرى

شهد القرن الثالث اهتماماً كبيراً بدراسة القرآن الكريم، فقامت إلى جانب علم التفسير وعلم القراءات وعلم التجويد، دراسات أخرى تتعلق بأحكامه، وفوائده، وإعجازه، ونظمه. كما تناولت دراسته لغوياً من حيث معانيه، وغريبه، ومتشابهه، ولغاته، وإعراجه، ونقطه وشكله. وقد صنف كبار العلماء والأدباء والفقهاء ورجال اللغة في هذه الموضوعات. فقد صُنّف في معاني القرآن الكريم عدة كتب منها كتاب معاني القرآن للعالم اللغوي سعيد بن مسعدة المجاشعي البصري المعروف بالأخفش الأوسط<sup>(١٠١)</sup>. وصنف في الموضوع نفسه كل من الفقيه العالم أبي عبيد القاسم بن سلام<sup>(١٠٢)</sup>، والمفضل بن سلمة العالم اللغوي، وله أيضاً كتاب ضياء القلوب في معاني القرآن وغريبه ومشكله<sup>(١٠٣)</sup>، وعحمد بن يزيد البرد إمام اللغة والنحو في البصرة، ويعرف كتابه باسم الكتاب التام، وله كتاب آخر بعنوان كتاب الحروف في معاني القرآن<sup>(١٠٤)</sup>، وأحمد بن يحيى المعروف بـثعلب إمام أهل الكوفة في اللغة والنحو<sup>(١٠٥)</sup>، وأبو اسحاق إبراهيم بن محمد الزّجاج من كبار أهل اللغة<sup>(١٠٦)</sup>، وابن قتيبة عبد الله بن مسلم الفقيه الأديب، وله كتاب آخر بعنوان كتاب تأويل مشكل القرآن<sup>(١٠٧)</sup>، والقاضي إسماعيل بن إسحاق الأزدي المالكي<sup>(١٠٨)</sup>.

وصُنّف في موضوع غريب القرآن كل من: ابن قتيبة عبد الله بن مسلم<sup>(١٠٩)</sup>، وهو متمم لكتابه تأويل مشكل القرآن، وعحمد بن سلام الجمحي الأديب الراوية<sup>(١١٠)</sup>، وأبو عبيد

(٩٩) ابن تقي بريدي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٣، ص ٢٦١، والزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ٨، ص ٢٧٥.

(١٠٠) البغدادي، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ٢، ص ٤٧٨.

(١٠١) ابن التديم، المصدر نفسه، ص ٥٧.

(١٠٢) المصدر نفسه، ص ١١٧.

(١٠٣) المصدر نفسه، ص ٥٨.

(١٠٤) المصدر نفسه، ص ٩٤.

(١٠٥) المصدر نفسه، ص ١١٧.

(١٠٦) المصدر نفسه، ص ٥٨ و ٩٧.

(١٠٧) المصدر نفسه، ص ١٢٢.

(١٠٨) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، حَقَّقَه محمد أبو الفضل إبراهيم، ج ٢ (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٦٤ - ١٩٦٥)، ج ١، ص ٤٤٣.

(١٠٩) ابن التديم، المصدر نفسه، ص ٥٨.

(١١٠) المصدر نفسه، ص ٥٨.

القاسم بن سلام<sup>(١١١)</sup>، ومحمد بن عزيز السجستاني الأديب المفسر<sup>(١١٢)</sup>، ويقال إنه صنّفه في خمس عشرة سنة<sup>(١١٣)</sup>، ونقطويه إبراهيم بن محمد بن عرفة<sup>(١١٤)</sup>.

وفي موضوع النسخ والنسوخ من الآيات القرآنية؛ صنّف أبو عبيد القاسم بن سلام<sup>(١١٥)</sup>، وأبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني<sup>(١١٦)</sup>، وجعفر بن مبشر بن أحد الثقفي من علماء الكلام المعتزلة<sup>(١١٧)</sup>، وابن فضال محمد بن علي الكوفي من علماء الشيعة الإمامية<sup>(١١٨)</sup>، والإمام أحمد بن حنبل<sup>(١١٩)</sup>، والفقيه المحدث إبراهيم الحارثي<sup>(١٢٠)</sup>، وأبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي صاحب الإمام الشافعي<sup>(١٢١)</sup>.

وصنّف في أحكام القرآن: الفقيه المالكي القاضي إسماعيل بن إسحاق الأزدي، وقد وضعه على مذهب الإمام مالك<sup>(١٢٢)</sup>، وأبو سليمان داود بن خلف الظاهري أحد الأئمة المجتهدين<sup>(١٢٣)</sup>، والقاضي يحيى بن أكثم التميمي وعنوان كتابه إيجاب التمسك بأحكام القرآن<sup>(١٢٤)</sup>، والفقيه الحنفي أحمد بن محمد الطحاوي<sup>(١٢٥)</sup>، ومحمد بن عبد الله بن الحكم المالكي المصري<sup>(١٢٦)</sup>.

وصنّف في موضوع فضائل القرآن؛ أبو عبيد القاسم بن سلام<sup>(١٢٧)</sup>، والفقيه المحدث محمد بن عثمان بن أبي شيبة<sup>(١٢٨)</sup>، والمقرئ حفص بن عمر الدوري<sup>(١٢٩)</sup>، والمقرئ خلف بن

---

(١١١) المصدر نفسه، ص ٥٨.

(١١٢) المصدر نفسه، ص ٥٨.

(١١٣) ابن الأنباري، نزعة الألباء في طبقات الأدباء أي التحفة، ص ٣١٤.

(١١٤) ابن التديم، المصدر نفسه، ص ١٢٧.

(١١٥) المصدر نفسه، ص ٦٢ و ١١٣.

(١١٦) المصدر نفسه، ص ٦٢.

(١١٧) المصدر نفسه، ص ٦٢.

(١١٨) البغداد، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ١، ص ٢٦٧.

(١١٩) ابن التديم، المصدر نفسه، ص ٦٣.

(١٢٠) المصدر نفسه، ص ٦٣.

(١٢١) البغداد، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢.

(١٢٢) ابن التديم، المصدر نفسه، ص ٦٣.

(١٢٣) المصدر نفسه، ص ٦٣.

(١٢٤) المصدر نفسه، ص ٦٣.

(١٢٥) ابن خلكان، وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ١، ص ٥٤.

(١٢٦) الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين،

ج ٧، ص ١٩٥.

(١٢٧) ابن التديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٦١.

(١٢٨) المصدر نفسه، ص ٦١.

(١٢٩) المصدر نفسه، طبعة طهران، ص ٣٩.

هشام البزار<sup>(١٣٠)</sup>، وأبو داود سليمان بن الأشعث<sup>(١٣١)</sup>، والزراد الحسن بن محبوب الكوفي الإمامي<sup>(١٣٢)</sup>.

ومن صنفوا في موضوع نظم القرآن: أبو عثان عمرو بن بحر الجاحظ<sup>(١٣٣)</sup>، وأبو داود سليمان بن الأشعث<sup>(١٣٤)</sup>، ومحمد بن زيد بن علي الواسطي المتكلم المعتزلي ويسمى كتابه كتاب اعجاز القرآن في نظمه وتأليفه<sup>(١٣٥)</sup>.

وفي موضوع متشابه القرآن، أي الآيات المشتهات ويقصد بها الخبر المروي في عدة صور، بأن يأتي في موضع مقدماً، وفي موضع آخر مؤخراً، أو في موضع زيادة وفي موضع آخر من دونها، أو يأتي منفرداً أحياناً أو جمعاً أحياناً أخرى، إلى غير ذلك<sup>(١٣٦)</sup>.

وقد اختلف الفقهاء في تعيين المحكم والمتشابه من الآيات على أقوال، منها أن المحكم من الآيات ما عُرف المراد منه بالظاهر أو بالتأويل. والمتشابه منها ما استأثر الله تعالى بعلمه كقيام الساعة والحروف المقطعة في أوائل بعض السور، وقيل: المحكم ما وضح معناه والمتشابه نقيضه، وقيل: المحكم ما كان معقول المعنى والمتشابه بخلافه، وقيل: المحكم هو الفرائض والوعد والوعيد، والمتشابه هو القصص والأمثال، وروي عن عبد الله بن عباس قوله: المحكمات ناسخه وحلاله وحرامه وحدود فرائضه وما يؤمن به ويعمل به، والمتشابهات منسوخه ومقدمه ومؤخره وأمثاله وأقسامه، وما يؤمن به ولا يعمل به<sup>(١٣٧)</sup>.

وصنف في هذا الموضوع كل من أبي الهذيل العلاف شيخ معتزلة البصرة ومن كبار علمائهم<sup>(١٣٨)</sup>، والمقرئ خلف بن هشام البزار<sup>(١٣٩)</sup>، وجعفر بن حرب الهمداني من أئمة المعتزلة<sup>(١٤٠)</sup>، وأبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي شيخ الطائفة الجبائية من المعتزلة<sup>(١٤١)</sup>، وأبو سهل بشر بن المعتز البغدادي من كبار متكلمي المعتزلة وفقهائهم<sup>(١٤٢)</sup>، والحسن بن موسى النويختي من معتزلي الشيعة الإمامية ومن كبار علماء الكلام<sup>(١٤٣)</sup>.

(١٣٠) المصدر نفسه.

(١٣١) المصدر نفسه، طبعة القاهرة، ص ٣٣٨.

(١٣٢) البغدادي، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ١، ص ٢٦٦.

(١٣٣) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٦٣.

(١٣٤) المصدر نفسه، ص ٣٣٨.

(١٣٥) المصدر نفسه، ص ٦٣ و٢٥٩.

(١٣٦) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ١، ص ٢٠٣.

(١٣٧) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٢.

(١٣٨) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٦١.

(١٣٩) المصدر نفسه، ص ٦١.

(١٤٠) المصدر نفسه، ص ٦١.

(١٤١) المصدر نفسه، ص ٦١.

(١٤٢) المصدر نفسه، ص ٦٣.

(١٤٣) البغدادي، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ١، ص ٢٦٨.

وفي موضوع اختلاف المصاحف، صنّف المقرئ خلف بن هشام البزار<sup>(١١١)</sup>، وأبو داود سليمان بن الأشعث<sup>(١١٢)</sup>، وأبو حاتم سهيل بن محمد السجستاني<sup>(١١٣)</sup>.

أما فيما يتعلق بالجانب اللغوي من القرآن الكريم فقد صنّف في موضوع لغات القرآن ابن دريد محمد بن الحسن الأزدي من كبار علماء العربية<sup>(١١٤)</sup>، والمؤرخ الهيثم بن عدي<sup>(١١٥)</sup>. وفي إعراب القرآن صنّف كل من المبرّد محمد بن يزيد<sup>(١١٦)</sup>، وابن فتيبة عبد الله بن مسلم<sup>(١١٧)</sup>، وأبو حاتم سهيل بن محمد السجستاني<sup>(١١٨)</sup>، وثعلب أحمد بن يحيى<sup>(١١٩)</sup>. وصنّف في موضوع ما اتفقت ألفاظه واختلفت معانيه في القرآن المبرّد محمد بن يزيد<sup>(١٢٠)</sup>. وصنّف الفقيه المالكي المحدث يعقوب بن شيبّة بن الصلت كتاباً في هجاء المصحف<sup>(١٢١)</sup>. وفي موضوع فقط القرآن وشكله صنّف كل من: أبو حاتم السجستاني<sup>(١٢٢)</sup>، وأبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري<sup>(١٢٣)</sup>، وأبراهيم بن سفيان الزياتي الأديب الراوية<sup>(١٢٤)</sup>.

وصنّفت إلى جانب الكتب الخاصة بعلم القراءات، كتب أخرى ذات صلة بقراءة القرآن الكريم، منها في موضوع الوقف والابتداء في القرآن وقد صنّف فيه المقرئ النحوي ابن سعدان محمد الضرير<sup>(١٢٥)</sup>. ومنها كتاب وقف التمام صنّفه الأخفش محمد سعيد بن مسعدة<sup>(١٢٦)</sup>.

كما صنفت كتب عديدة أخرى في مواضيع شتى تتعلق بجوانب معينة من القرآن الكريم، منها كتاب المسائل في القرآن لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ<sup>(١٢٧)</sup>، وكتاب

---

(١٤٤) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٦٠.

(١٤٥) المصدر نفسه، ص ٦٠.

(١٤٦) المصدر نفسه، ص ٩٣.

(١٤٧) المصدر نفسه، ص ٥٩.

(١٤٨) المصدر نفسه، ص ٥٩.

(١٤٩) المصدر نفسه، ص ٩٤.

(١٥٠) المصدر نفسه، ص ١٢٢.

(١٥١) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ١، ص ٣٣.

(١٥٢) البغدادى، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ١، ص ٥٤.

(١٥٣) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٦١ و٩٤.

(١٥٤) المصدر نفسه، ص ٦١.

(١٥٥) المصدر نفسه، ص ٥٩.

(١٥٦) المصدر نفسه، ص ٥٩.

(١٥٧) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ٢، ص ١٤٦٧.

(١٥٨) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٦٠.

(١٥٩) المصدر نفسه، ص ٦٠.

(١٦٠) المصدر نفسه، ص ٦٣.

المخلوق لعبد الوهاب بن محمد الجبائي<sup>(١٦١)</sup>، وكتاب في أجزاء القرآن لحفص بن عمر الدوري<sup>(١٦٢)</sup>، وكتاب عدد آي القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام<sup>(١٦٣)</sup>، وكتاب الشواهد من القرآن لابن فضال أبو محمد حسن بن علي الكوفي<sup>(١٦٤)</sup>. وصنف المحدث ابن المديني علي بن عبد الله كتاباً في أسباب النزول، وجاء في كشف الظنون أنه أول من صنف في هذا الموضوع<sup>(١٦٥)</sup>. وصنف القاضي المالكي اسماعيل بن اسحاق كتاب حجاج القرآن<sup>(١٦٦)</sup>.

## ثانياً: الحديث النبوي

### ١ - علم الحديث

يتناول علم الحديث دراسة ما روي عن الرسول ﷺ من أقواله وأفعاله، وما أقر عليه قومه من أفعال لم ينكرها عليهم، وينقسم إلى قسمين، الأول: علم دراسة الحديث، ويشتمل على دراسة متن الحديث، بالبحث عن المعنى المفهوم من ألفاظ الحديث المروي والغاية منه، بالاستناد إلى قواعد اللغة العربية وأسس الشريعة الإسلامية، ومطابقته أحوال الرسول ﷺ وانفاقه مع زمان ومكان قوله وفعله. والثاني: علم رواية الحديث، ويتناول دراسة سند الحديث المروي للتأكد من حقيقة روايته وصدقيها، وكيفية اتصاله بالرسول ﷺ، والتعرف على رواته من حيث ضبطهم وعدالتهم، والتأكد من اتصال سنده وعدم انقطاعه. ويسمى أصول الحديث.

ظهر علم الحديث عندما ظهرت الحاجة إلى تدوين الأحاديث النبوية. فقد كان الاعتقاد في روايته أول الأمر على ما كان يحفظه الصحابة وما أخذوه عنهم تابعوهم والذين بعدهم، كما كان الأمر في حفظ القرآن الكريم. إلا أنه عندما انتشر العرب في الأمصار وتفرق حفاظ الحديث وطوى الموت أغلبهم، شعر رجال الدين بالحاجة إلى تدوين الأحاديث المروية عن الرسول ﷺ. وتفرغ قسم منهم للعمل في جمع الحديث من حفاظه والسعي وراءهم أينما كانوا، وتدوين ما يتأكدون من صحته. وقد تواضع أئمة الحديث على ضوابط ومقاييس لتحقيق ما تتناوله دراسة علم الحديث بقسميه الرئيسين. فنشأ عن ذلك ما عرف بعلم أسماء رجال الحديث، أي روايته، ومعرفة الثقات منهم والضعفاء في روايتهم، وصنفت فيه كتب عديدة، منها ما عني بالأسماء والكنى والألقاب، ومنها ما اهتم بالمؤلف

(١٦١) المصدر نفسه، ص ٦٣.

(١٦٢) المصدر نفسه، ص ٦١.

(١٦٣) المصدر نفسه، ص ١١٢.

(١٦٤) البغدادي، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ١، ص ٢٦٧.

(١٦٥) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ١، ص ٧٦.

(١٦٦) ابن التديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم،

ص ٢٩٦.



والمختلف، ومنها ما عني بالمشابه، ومنها ما عني بالثقات والضعفاء من الرواة، ومنها ما جمع التراجم مطلقاً<sup>(١٦٧)</sup>.

كما نشأ عن ذلك علم آخر هو علم الجرح والتعديل، أي جرح الرواة وتعديلهم بألفاظ خاصة، وذلك حفاظاً على صحة الحديث لا طعنًا في أشخاص الرواة. فقد جاء في مقدمة كتاب الجرح والتعديل، لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم المتوفى سنة ٣٢٧: أنه لما لم يجد سبيلاً إلى معرفة شيء من معاني كتاب الله تعالى ولا من سنن رسول الله ﷺ إلا من جهة النقل والرواية وجب أن يُمَيَّز بين العدول الناقلة وثقاتهم، وأهل الحفظ والثبت والانتقان منهم، وبين أهل الغفلة والوهم وسوء الحفظ والكذب واختراع الحديث الكاذب<sup>(١٦٨)</sup>.

وقد صار لعلم الحديث أصول وأحكام وقواعد واصطلاحات ذكرها العلماء وشرحها رجال الحديث والفقهاء، ومن الضروري أن يلمَّ بها طالب الحديث، منها: العلم بالرجال بالتعرف على أسانئهم وأعيارهم ووقت وفاتهم، وصفاتهم التي يجوز معها قبول روايتهم. والعلم بمسند الرواة وكيفية أخذهم الحديث وطرقه، ومعرفة حفظهم وإيرادهم ما سمعوه، واتصاله إلى من أخذ عنه. والعلم بجواز نقل الحديث بالعمى أو رواية بعضه بالإضافة إليه. والعلم بالمسند من الحديث وشرائطه، والمرسل وأقسامه: المنقطع والموقوف والمفضل وغيرها. والعلم بأقسام الصحيح من الحديث والكذب منه، وانقسام الخبر إليها وإلى الغريب والحسن وغيرها. والعلم بأخبار التواتر والأحاد والناسخ والمنسوخ. وغير ذلك مما اتفق عليه أئمة الحديث.

وكانت أهم الصفات التي اشترط توفرها في الرواة هي: البلوغ، والعقل، والعدالة في الدين، والأمانة من السهو والزلل، وأن يكون الراوي صدوقاً موثقاً به، كما اشترط في الرواية التأكد من السند بأن يكون متصلاً بالرسول ﷺ غير مرسل أو منقطع، والتأكد من صحة نص الحديث المروي، وأن يتفق مع زمان قوله ومكانه<sup>(١٦٩)</sup>.

لقد حلَّ القرن الثالث ورجال الحديث منهمكون في جمع ما صبح عندهم منه في ضوء المقاييس والضوابط التي قررت في الأمور آنفة الذكر. وارتحل كثير منهم من بلد إلى آخر في طلب الأحاديث وساعها من روايتها بحيث صار الارتحال من سياتهم. وقد تمثل الاهتمام بجمع الحديث وتدوينه في خلال هذا القرن بما قام به كبار المحدثين، وهم البخاري ومسلم وابن حنبل والترمذي وابن ماجة والنسائي وغيرهم. وقد تم على يد الإمامين البخاري ومسلم تدوين جميع الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ مما قطعاً بصحته وتأكدًا من سلامة روايته، ومئاته سننه. وتبعهما آخرون من أئمة هذا القرن، بحيث كان العمل فيه خلاصة ما تم في

(١٦٧) حاجي خليفة، المصدر نفسه، ج ١، ص ٨٧-٨٨.

(١٦٨) المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٨٢-٥٨٣.

(١٦٩) أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، أدب القاضي، تحقيق محي هلال السرحان (بغداد: مطبعة

الإرشاد، ١٩٧١)، ج ١، ص ٣٩٨ و٤٠٣.

القرن الماضي، من تحصيل الحديث وضبطه وتدوينه. وقد سبق أن ألفت مجاميع ومساند قبل ذلك، أهمها موطأ الإمام مالك بن أنس المتوفى سنة ١٧٩ ومسنَد الإمام أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ وغيرهما من سيأتي ذكره.

كما تعددت أوجه دراسة الحديث والتصنيف فيه في هذا القرن. فمنهم من صنف الأحاديث بحسب مواضعها، منها ما له علاقة بالصلاة، ومنها ما يتصل بالزكاة، وغير ذلك. ومنهم من أثبت الأحاديث بحسب أسانيد روايتها فيذكر مسند أبي بكر الصديق ويثبت فيه كل ما روي عنه، ثم يذكر بعده الصحابة واحداً بعد واحد، كما فعل أبو إسحاق إبراهيم الحري<sup>(١٧٠)</sup>. ومنهم من استخرج أحاديث تتضمن ألفاظاً لغوية ومعاني مشككة وقصر كتابه على ذكر متن الحديث وشرح غريبه وإعرابه ومعناه، كما فعل أبو عبيد القاسم بن سلام وأبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة<sup>(١٧١)</sup>. ومنهم من قصد ذكر الغريب دون متن الحديث فاستخرج الكلمات الغريبة ودونها مرتبة وشرحها، كما فعل أحمد بن محمد بن هارون الخلال، المتوفى سنة ٣١١ في كتابه تفسير غريب الحديث<sup>(١٧٢)</sup>. ومنهم من اكتفى بتدوين الحديث مطلقاً ليحفظ لفظه ويستنبط منه الحكم، كما فعل أبو داود الطيالسي همام بن عبد الملك، المتوفى سنة ٢٢٧<sup>(١٧٣)</sup>.

وكان علم غريب الحديث قد صنفت فيه كثير من الكتب وضعها علماء فقهاء أو من رجال اللغة. والغريب من الكلام هو الغامض المبهم البعيد عن الفهم، والذي يتطلب الشرح والإيضاح. وقد جاء في الأحاديث النبوية كثير من الكلمات الغريبة، كان يكون بعضها من لغة قبيلة معينة لا تفهمها القبائل الأخرى. وكان الرسول ﷺ يوضح لأصحابه ما يهمهم عليهم من تلك الكلمات. ويعتبر القاسم بن سلام أول من صنف من الفقهاء في هذا الموضوع، فوضع كتابه الغريب المصنف الذي صار قدوة في هذا الشأن. وكان يقول: إني جمعت كتابي هذا في أربعين سنة، وربما كنت أستفيد الفائدة من الأنواء فأضعها في موضعها<sup>(١٧٤)</sup>. وأبرز من صنف بعده في هذا الموضوع ابن قتيبة عبد الله بن مسلم فوضع كتابه غريب الحديث وحذا فيه حذو أبي عبيد القاسم بن سلام، وقال في مقدمته، أرجو أن لا يكون بقي بعد هذين الكتابين من غريب الحديث ما يكون لأحد فيه مقال<sup>(١٧٥)</sup>. ويعتبر

---

(١٧٠) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٣٣٧.

(١٧١) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ١، ص ٦٣٨.

(١٧٢) الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ١، ص ١٩٦.

(١٧٣) حاجي خليفة، المصدر نفسه، ج ١، ص ٦٣٨.

(١٧٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ١٢، ص ٤٠٧، وابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٣، ص ٢٢٥.

(١٧٥) حاجي خليفة، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٢٠٤.

كتابه هذا ذيلًا لكتاب ابن سلام أو متممًا له. وصنف ابراهيم بن اسحاق الحربي كتاباً كبيراً في خمسة أجزاء بسط فيه القول واستقصى الأحاديث بطرق أسانيدھا وأطال بذكر بنودھا<sup>(١٧٦)</sup>. وصنف في هذا الموضوع عدد آخر من رجال اللغة والفقه، منهم: أبو مروان عبد الملك بن حبيب المالكي القرطبي، المتوفى سنة ٢٣٨، ومحمد بن حبيب النحوي البغدادي، المتوفى سنة ٢٤٥، والمبرد أبو العباس محمد بن يزيد، وأحمد بن يحيى ثعلب، وقاسم بن محمد الأنباري المتوفى سنة ٣٠٤<sup>(١٧٧)</sup>.

## ٢ - كتب الصحاح الستة

اتجه أهل الحديث في القرن الثالث إلى التمسك بالنصوص وحرصوا على البحث عنها وجمعها في مختلف أمصار الدولة العربية وأقاليمها. وشهد هذا القرن حركة واسعة نشطة في تدوين الحديث، كانت من أهم مميزاته. وصار فيه للمحدثين أثر بارز في الفقه الاسلامي بحيث غدا الإمام أحمد بن حنبل، وهو زعيم أهل الحديث، رئيس مذهب فقهي هو المذهب الحنبلي، من دون أن يكون عالماً في شؤون الدين الأخرى فقيهاً فيها. بل لقد أنكر عليه بعض العلماء أن يحسب من الفقهاء. فإن الطبري لما صنف كتابه اختلاف الفقهاء، لم يذكر ابن حنبل فيه، ولا سئل عن ذلك قال: إنما هو رجل حديث لا فقه، مما أغضب اتباع ابن حنبل عليه<sup>(١٧٨)</sup>. كما أن المقدسي شمس الدين محمد بن أحمد، المتوفى سنة ٣٨٠ اعتبره من أصحاب الحديث، ولم يعتبره من الفقهاء<sup>(١٧٩)</sup>. وبازدياد أهمية الحديث باعتباره مصدر أمور الفقه والعبادات إلى جانب القرآن الكريم، ازدادت العناية بجمعه وتصنيفه، فوضعت كتب المساند الصحاح والكتب التي عرفت بـ السنن.

وقد نظم الحديث أول الأمر بشكل بسيط يقتصر على ما يرتبط بصحته بحيث يتصل اسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى متناه من غير ارسال إلى الصحابي، وترتب الأحاديث التي يرجع اسنادها إلى صحابي معين بجانب بعضها، وهي طريقة لا تقوم على مادة الأحاديث أو محتوياتها، بل إن الأمر الفاصل فيها هو الصحابي الذي أسندت إليه، وسميت هذه المجموعات بالمسند ومفردها المسند، باعتبار أن ما تضمنته من أحاديث متصلة بالصحابي مستندة إلى الرسول ﷺ<sup>(١٨٠)</sup>.

(١٧٦) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٢٠٥.

(١٧٧) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ١١٧.

و١٣٥، وحاجي خليفة، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٢٠٥.

(١٧٨) أبو الحسن علي بن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١٣ (بيروت: دار صادر، ١٩٦٥ - ١٩٦٧)،

ج ٨، ص ١٣٤.

(١٧٩) أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (لندن: مطبعة بريل،

١٩٠٦)، ص ٣٧.

(١٨٠) علي حسن عبد القادر، نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي، ط ٢ (القاهرة: مطبعة القاهرة

الحديثة، ١٩٥٦)، ص ٣٠١ - ٣٠٢.

ثم تطورت طريقة تنظيم الحديث من مساند بحسب الرجال إلى مصنفات بحسب الأبواب. والمسند عبارة عن تنظيم الأحاديث بحسب موضوعاتها من فقه وعبادات وتاريخ وأخلاق وغير ذلك، ويوضع الحديث المسند بطرق مختلفة حسب الأبواب المشار إليها. وهكذا تم في خلال النهضة العلمية العربية تصنيف أمهات كتب الحديث التي عرفت بالصحيح والمساند والسنن. ويطلق على كتاب صحيح البخاري، وكتاب صحيح مسلم، وكتاب جامع الترمذي، وكتب السنن لكل من ابن ماجة والنسائي وأبي داود، كتب الصحيح الستة، باعتبارها المعول عليها في علم الحديث. وسنستعرض فيما يأتي كتب الصحيح المذكورة وسيرة مصنفها. ثم نستعرض أهم ما صنف إلى جانبها من كتب المساند والسنن في خلال هذا القرن، وطلبة المصنفين في هذا الباب.

وما هو جدير بالذكر أن نشير إلى أن كتب المساند أقرب ما تكون إلى صحيحي البخاري ومسلم من حيث مضامينها واهتمامها بالحديث، بينما تعنى كتب السنن بالأحكام والأمور الفقهية والأحاديث المتعلقة بها. وهي أكثر تسامحاً في شروط إسناد الأحاديث وعدالة رواها، لأنه بغیر هذا التسامح لم يكن ممكناً أن يؤق لكل مسألة فقهية بحديث يناسبها، ولذا كان هناك بعض الأحكام مما يستند إلى أحاديث حسنة وليس إلى أحاديث صحيحة<sup>(١٨١)</sup>.

### أ - البخاري وكتابه الجامع الصحيح

الإمام الخافظ كبير المحدثين في عصره أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم، ولد يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من شوال سنة ١٩٤ في مدينة بخارى<sup>(١٨٢)</sup>، فنسب إليها. وكانت بخارى آنذاك أعظم مدن ما وراء النهر، حسنة العمران، كثرة السكان، ومن المراكز العلمية المهمة. فنشأ أبو عبد الله معياً للعلم، راغباً في الدروس، وكان حاد الذهن سريع الحفظ. فأخذ في حفظ الحديث وهو لم يتعد العاشرة من عمره<sup>(١٨٣)</sup>. وخرج في أول شبابه مع أمه وأخيه إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، فتخلف عنها وبقي فيها طلباً للحديث. ولما بلغ الثامنة عشرة من عمره كان قد ألم بقضايا الصحابة والتابعين وأقوالهم، فصنّف كتاب التاريخ<sup>(١٨٤)</sup>. ورحل إلى سائر محدثي الأمصار وسمع أغلبهم، في خراسان والجيل والعراق والشام ومصر والحجاز. وتردد كثيراً على بغداد مركز النهضة العلمية، وفي إحدى قدماته إليها امتحنه بعض أصحاب الحديث فوجهوا إليه من يسأل عن أحاديث قبلوا متونها وأسانيدها،

(١٨١) المصدر نفسه، ص ٣٠١ - ٣٠٢.

(١٨٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٢، ص ٦؛ ابن خلكان، وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٣، ص ٣٣٠، وابن السكيت، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج ٢، ص ١٣٥.

(١٨٣) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦.

(١٨٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٧.

فأنكرها جميعاً، ثم أصلح ما سئل عنه من الأحاديث فرد كل متن إلى إسناده، وكل اسناد إلى متنه، فأقر له الحاضرون بالحفظ وسعة الاطلاع<sup>(١٨٨)</sup>.

ومن مظاهر سرعة حفظ البخاري أنه تردد إلى أحد مشايخ الحديث في البصرة دون أن يكتب شيئاً، حتى أتى على ذلك أيام، فسأله زملاؤه: إنك تختلف دون أن تكتب شيئاً فما معنى ما تصنع؟ قال: فأعرضوا علي ما كتبتهم. فأخرجوا ما كان عندهم، فقرأه كله عن ظهر قلب، حتى أنهم أخذوا يصححون بعض ما كانوا كتبوه، على حفظه<sup>(١٨٩)</sup>. ولكثرة ما كان يحفظ من الأحاديث بأسانيدها لقبه بعض طلاب الحديث بالكبش النطاح<sup>(١٩٠)</sup>. ويظهر أنه كان يسهر الكثير من ليله في تدوين ما يحفظه من أحاديث في نهاره، قال محمد بن أبي حاتم والوراق: كان أبو عبد الله إذا كنت معه في سفر يجمعنا بيت واحد، فكنت أراه يقوم في ليلة واحدة خمس عشرة إلى عشرين مرة، في كل ذلك يأخذ القداحة فيوري ناراً ويسرج، ثم يخرج أحاديث فيعلم عليها. ويذكر مثل هذا محمد بن يوسف الفريزي أقرب تلاميذ البخاري إليه<sup>(١٩١)</sup>.

لقد بلغ البخاري من علمه بالحديث وعلمه وتاريخ رجاله درجة تثير الإعجاب. قال أبو عيسى الترمذي: لم أر أحداً بالعراق ولا بخراسان بمعنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من محمد بن اسماعيل<sup>(١٩٢)</sup>. وقال عنه أبو حاتم الرازي، وهو أحد حفاظ الحديث، توفي سنة ٢٧٧: محمد بن اسماعيل أعلم من دخل العراق<sup>(١٩٣)</sup>. وقال أبو بكر محمد بن اسحاق السلمي المحدث المجتهد المتوفى سنة ٣١١: ما رأيت تحت أديم هذه السماء أعلم بالحديث من محمد بن اسماعيل<sup>(١٩٤)</sup>.

وكانت حصيلة رحلات البخاري التي استغرقت أكثر سني حياته، أن جمع ستمئة ألف حديث اختار منها ما وثق برواته، وأخرج كتابه المشهور صحيح البخاري، أو الجامع الصحيح وقد سماه الجامع الصحيح المستند من حديث رسول الله ﷺ الذي اعتبر أول الكتب الستة في الحديث، وقد اتفق علماء الحديث على أنه أصح الكتب بعد القرآن الكريم<sup>(١٩٥)</sup>. وكان البخاري نفسه يقول: «صنفت كتابي الصحيح لست عشرة سنة أخرجته من ستمئة ألف حديث،

(١٨٥) الخبر مفصل في: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٠ - ٢١؛ ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٢٩ - ٣٣٠، وتاج الدين أبو النصر عبد الوهاب بن علي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٦ (القاهرة: المطبعة الحسينية، ١٩٠٦)، ج ٢، ص ٦.  
(١٨٦) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٥، والسبكي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥.  
(١٨٧) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٣٠.  
(١٨٨) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٣ - ١٤، والسبكي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٧.

(١٨٩) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٧.

(١٩٠) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٣.

(١٩١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٧.

(١٩٢) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ١، ص ٥٤١.

وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى»<sup>(١٩٣)</sup>. وقد التزم في تصنيفه بدقة التحري والتحقق في كل حديث أخذ به، بحيث لم يأت بحديث من الصحابة والتابعين إلا بعد أن تعرف على مولدهم ووفاتهم ومسكنهم، ولم يرو عن أحدهم إلا وله في ذلك أصل<sup>(١٩٤)</sup>. كما أنه التزم بالشروط التي أوجب علماء الحديث توفرها في الرواة. ويبدو أنه كان مستقلاً بأرائه في المسائل المختلف عليها بين تلك المذاهب<sup>(١٩٥)</sup>.

وكان البخاري إلى جانب التزامه بصحة الأحاديث وسلامة أسانيدها قد استنبط منها الفوائد الفقهية، واستخرج من متونها معاني كثيرة فرقها في أبواب الكتاب بحسب أبواب الفقه. وقبلما أورد حديثاً في موضوعين بإسناد واحد أو لفظ واحد، وإنما يورده عن طريق آخر<sup>(١٩٦)</sup>. وعدد أحاديثه نقلاً عن ابن الصلاح عشرين بن عبد الرحمن من كبار محدثي القرن السابع، سبعة آلاف ومئتان وسبعون حديثاً، بالأحاديث المكررة. أما الحافظ ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي من فقهاء القرن التاسع، فقد قال إن أحاديثه بالمكرر سوى المعلقات والمتابعات سبعة آلاف وثلاثمائة وسبعة وتسعون حديثاً، والخالص من ذلك بلا تكرار ألفا حديث وستمئة وحديثان، وإذا ضمت إليه المتون المعلقة وهي مئة وتسعة وخمسون حديثاً صار مجموع الخالص ألفي حديث وسبعمئة وواحد وستين حديثاً، جملة ما فيه بالمكرر تسعة آلاف واثنان ومئتان حديثاً<sup>(١٩٧)</sup>.

يقول ابن خلدون مشيداً بجهود البخاري: «وجاء محمد بن إسماعيل البخاري إمام المحدثين في عصره فخرج أحاديث السنة على أبوابها في مسنده الصحيح بجميع الطرق التي للحجازيين والعراقيين والشاميين، واعتمد منها ما أجمعا عليه دون ما اختلفوا فيه. وكرر الأحاديث بسوقها في كل باب بمعنى ذلك الباب الذي تضمنه الحديث، فكررت لذلك أحاديثه، حتى يقال إنه اشتمل على تسعة آلاف حديث ومئتين، منها ثلاثة آلاف متكررة»<sup>(١٩٨)</sup>.

ويقول الأستاذ أحمد أمين إن عدد أحاديثه إذا ما حذفت الأحاديث المتكررة واقتصرت على الأحاديث الموصولة السند كانت ألفين وسبعمئة واثنين وستين حديثاً<sup>(١٩٩)</sup>. وهو بهذا يتفق مع ما جاء في كشف الظنون.

ومع ضخامة العمل الذي أنجزه البخاري وما استنفده منه من جهود وما لقيه من ترحاب وتقدير من رجال الحديث، فقد وجهت إليه بعض الانتقادات حول ترتيب أبواب

(١٩٣) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٥، والسبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٢، ص ٧.

(١٩٤) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٤، والسبكي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٨.

(١٩٥) عبد القادر، نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي، ص ٣٠٦.

(١٩٦) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ١، ص ٥٤٢-٥٤٣.

(١٩٧) المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٤٤.

(١٩٨) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ٢٤١.

(١٩٩) أحمد أمين، ضحى الإسلام، ط ٧ (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٤)، ج ٢، ص ١١٣.

الكتاب وعدم التزامه بها، وطريقة الاستشهاد بالأحاديث، إذ إنه يكتفي أحياناً بذكر قسم من الحديث في باب ويذكر القسم الثاني في باب آخر. كما طعن في صحة بعض الأحاديث وفي عدالة عدد من الرواة، لعلل مختلفة. ويرى ابن خلدون أن الناس استصعبوا شرحه واستغلغوا منه من أجل ما يحتاج إليه من معرفة الطرق المتعددة ورجالها من أهل الحجاز والشام والعراق ومعرفة أحوالهم واختلاف الناس فيهم. ولذلك يحتاج إلى إمعان النظر في التفقه في تراجمه، لأنه يترجم الترجمة ويورد فيها الحديث بسند أو طريق، ثم يترجم أخرى ويورد فيها ذلك الحديث بعينه لما تضمنه من المعنى الذي ترجم به الباب. بحيث يتكرر الحديث في أبواب كثيرة بحسب معانيه واختلافها<sup>(٢٠٠)</sup>.

ويظهر أن الترتيب الذي ابتكره البخاري في صحيحه كان جديداً على الناس لم يألفوه من قبل في كتاب آخر، وهو أول كتاب يوضع في الحديث على هذا النحو، مما جعلهم يجدون بعض العنت في فهمه.

لقد صنف البخاري إلى جانب صحيحه هذا وكتاب التاريخ الخاص برجال الحديث، كتاباً آخرى ذكرها ابن النديم، منها: كتاب الأسماء والكنى، وكتاب الضعفاء، وكتاب السنن في الفقه، وكتاب الأدب المفرد، وكتاب خلق أفعال العباد<sup>(٢٠١)</sup>. وما يضيفه صاحب هدية العارفين: تفسير القرآن، وكتاب أسماء الصحابة، وكتاب العوالي في الحديث، وكتاب المبسوط في الحديث<sup>(٢٠٢)</sup>. ويلاحظ أن أكثر مصنفاته في موضوع علم الحديث ورجاله.

عاد البخاري في أواخر أيامه إلى بلده بخاري ليستقر بها. وتتفق الروايات على أن وحشة قامت بينه وبين واليها الأمير خالد بن أحمد الذهلي، ففناه إلى قرية خرتنك إحدى قرى سمرقند على بعد فرسخين منها. ويقول الخطيب البغدادي عن سبب تلك الوحشة إن الوالي طلب إلى البخاري أن يحمل إليه كتابيه الصحيح والتاريخ ليقراها عليه، فلم يستجب البخاري وقال لرسول الوالي: أنا لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب الناس، فإن كانت للأمير حاجة منه فليحضرني في مسجدي أو في داري، وإن لم يعجبه هذا فهو سلطان يستطيع منعي من الجلوس، ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة لأنني لا أكتم العلم. فامتنع الوالي واستعان على البخاري ببعض أهل العلم ببخارى حتى تكلموا في مذهبه، ففناه من البلد<sup>(٢٠٣)</sup>.

ولم يلبث البخاري أن مات بعد مدة قصيرة في القرية المذكورة، وكانت وفاته في ليلة القدر من سنة ست وخمسين ومئتين<sup>(٢٠٤)</sup>.

(٢٠٠) ابن خلدون، المصدر نفسه، ص ٢٤١.

(٢٠١) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٣٣٠ - ٣٣٦.

(٢٠٢) البغدادي، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ٢، ص ١٦.

(٢٠٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٢، ص ٣٣.

(٢٠٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٤ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٣، ص ٣٣٠، وابن العباد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج ٢، ص ١٣٥.

## ب - مسلم وكتابه الجامع الصحيح

أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن الحسين القشيري، نسبة إلى قشير بن كعب<sup>(٢٠٥)</sup>، وهي قبيلة كبيرة من القبائل العربية التي قدم بعض أبنائها إلى خراسان أيام الفتح العربي واستوطنوا فيها. وهو من كبار أعلام المحدثين الفقهاء، وقد اشتهر بكتابه الجامع الصحيح في الحديث. ولد بنيسابور قاعدة إقليم خراسان في سنة ٢٠٤ ويقال سنة ٢٠٦<sup>(٢٠٦)</sup>. وبها نشأ واشتهر إماماً من أئمة الحديث مصنفاً فيه.

ارتحل مسلم في طلب الحديث من رواته في بغداد والبصرة والكوفة والحجاز والشام ومصر. فاستمع إلى الإمام أحمد بن حنبل، والقعنبي عبد الله بن مسلمة، والبخاري وغيرهم من كبار رجال الحديث، كما روى عنه عدد كبير من المحدثين<sup>(٢٠٧)</sup>. وكان ثقة في حفظه وروايته ومعرفته بالحديث. فكان المحدثان الكبيران في أيامه، أبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم، وأبو حاتم محمد بن إدريس الحنظلي، يقدمانه في معرفة الصحيح على مشايخ عصرهما<sup>(٢٠٨)</sup>.

وعندما ورد البخاري إلى نيسابور لازمه مسلم ولم يكده يفارقه، إعجاباً بشخصيته، وسعة علمه، ومعرفته بالحديث وروايته. وبلغ من تقديره حبه للبخاري أن جاءه مرة فقبل بين عينيه وقال: دعني حتى أقبل رجلك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث في علله<sup>(٢٠٩)</sup>. وقد هجر مسلم مجلس أستاذه محمد بن يحيى بن عبد الله الهذلي الذي دعا إلى مقاطعة البخاري لقوله إن اللفظ بالقرآن مخلوق. ويظهر أن مسلماً كان يؤيد البخاري في رأيه، إذ يقول ابن خلكان «أنه إلى محمد بن يحيى أن مسلم بن الحجاج على مذهبه قدماً وحديثاً، وأنه عوتب في ذلك بالحجاز والعراق، ولم يرجع عنه. فلما كان يوم مجلس محمد بن يحيى، قال في آخر مجلسه: ألا من قال باللفظ فلا يحمل له أن يحضر مجلسنا. فأخذ مسلم الرداء فوق عمامته وقام على رؤوس الناس وخرج من مجلسه، وجمع ما كتب عنه وبعث به على ظهر حمار إلى باب محمد بن يحيى. فاستحكمت بذلك الوحشة بينهما، وتحلف عنه وعن زيارته»<sup>(٢١٠)</sup>.

لقد التزم مسلم بمنهج البخاري في تصنيفه وفي دقته وتحريه صحة الحديث وسلامته رواته. ولما صنف كتابه الجامع الصحيح حذا حذو البخاري، وقفا أثره، في نقل المجمع على

---

(٢٠٥) قشير بن كعب... بن عامر بن صعصعة من هوازن من العدنانية. انظر: عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط ٢، ج ٣ (بنغازي: دار مكتبة الأنجلو، ١٩٦٨)، ج ٣، ص ٩٥٤. (٢٠٦) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٨١، وابن نغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٣، ص ٣٣.

(٢٠٧) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ١٣، ص ١٠٠ - ١٠١ ابن الجوزي، المنظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٥، ص ٣٢، وابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٨٠. (٢٠٨) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ١٣، ص ١٠١.

(٢٠٩) المصدر نفسه، ج ١٣، ص ١٠٢.

(٢١٠) المصدر نفسه، ج ١٣، ص ١٠٣، وابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٨١.



صحته من الأحاديث وحذف المتكرر منها، ووجد الطرق والأسانيد، وبوّبه على أبواب الفقه<sup>(٢١١)</sup>. وجاء في كشف الظنون أن كتاب الجامع هذا من الكتب الستة وأحد الصحيحين اللذين هما أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز، وقد انفرد بميزة جعلته سهل التناول، إذ إنه جعل لكل حديث موضعاً واحداً يليق به، وجمع فيه طرقه التي ارتضاها، وأورد فيه أسانيد المتعددة والأفاظه المختلفة، والتزم بأن يكون الحديث متصل الإسناد برواته الثقة عن الثقة من أوله إلى منتهاه، سالماً من الشذوذ والعلل، مما جعل بعض علماء الحديث وطلابه يفضلونه على صحيح البخاري، حتى قال أحد كبار الفقهاء المحدثين: ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم في علم الحديث<sup>(٢١٢)</sup>. ويقول ابن خلدون إن علماء المغرب أكبوا على صحيح مسلم، وكثرت عنايتهم به، وأجمعوا على تفضيله على كتاب البخاري<sup>(٢١٣)</sup>.

ويرى عن مسلم أنه قال: صنف هذا المسند من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة<sup>(٢١٤)</sup>. كما نسب إليه أنه قال إن كتابه أربعة آلاف حديث أصول دون المكورات، والمكورات سبعة آلاف ومئتان وخمسون حديثاً<sup>(٢١٥)</sup>. وذكر مسلم في مقدمة كتابه المذكور أنه قسم الأحاديث إلى ثلاثة أقسام: الأول ما رواه الحفاظ المتقنون، والثاني ما رواه المستورون المتوسطون في الحفاظ والاعتقان، والثالث ما رواه الضعفاء المتروكون. وقد اختلف علماء الحديث في مراده بهذا التقسيم. فقال ابن عساکر علي بن الحسن، إنه رتب كتابه على قسمين. وقصد أن يذكر في الأول أحاديث أهل الثقة والاعتقان، وفي الثاني أحاديث أهل الستر والصدق الذين لم يبلغوا درجة المثبتين، فحالت المنية بينه وبين هذه الأمنية، فبات قبل إتمام كتابه واستيعاب تراجمه وأبوابه، غير أن كتابه مع إعوازه اشتهر وطار صيته في الآفاق<sup>(٢١٦)</sup>.

وصف مسلم إلى جانب كتابه الكبير هذا، كتباً أخرى ذكر ابن النديم منها: كتاب الأسماء والكنى، وكتاب الأوحاد، وكتاب الطبقات، وكتاب المفرد، وكتاب التاريخ<sup>(٢١٧)</sup>. ويضيف صاحب المنتظم عدة كتب أخرى في الحديث منها: كتاب العلل، وكتاب القرائن، وكتاب المسند الكبير على الرجال، ويقول: ما نظن أنه سمعه منه أحد<sup>(٢١٨)</sup>.

(٢١١) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ٢٤١.

(٢١٢) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ١، ص ٥٥٥.

(٢١٣) ابن خلدون، المصدر نفسه، ص ٢٤١.

(٢١٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ١٣، ص ١٠١ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٤، ص ٢٨٠، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٣، ص ٣٣.

(٢١٥) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ١، ص ٥٥٦، وابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٣ وفيه أنه اثني عشر ألف حديث بالمرور.

(٢١٦) حاجي خليفة، المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٥٦.

(٢١٧) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٣٣٦.

(٢١٨) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٥، ص ٣٢.

توفي مسلم عشية يوم الأحد ودفن يوم الاثنين لخمس بقين من رجب من سنة ٢٦١ بظاهر مدينة نيسابور<sup>(١١٩)</sup>.

### ج - أحمد بن حنبل وكتابه المستند

أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، ولد كما قال هو عن نفسه في سنة ١٦٤<sup>(١٢٠)</sup>. وكانت ولادته ببغداد في شهر ربيع الأول وقيل إنه ولد بمرو وحمل إلى بغداد رضيعاً<sup>(١٢١)</sup>. نشأ ببغداد، فدرس الفقه والحديث على كبار فقهاءها ومحدثيها، ورحل إلى الكوفة والبصرة، وكان من المراكز العلمية المهمة، كما سافر إلى مكة والمدينة واليمن والشام والجزيرة، طلباً للحديث، فاتصل بمحدثيها وكتب عن ثقات حفاظها، كإسماعيل بن إبراهيم المعروف بابن عُثَيْم، وأبي داود الطيالسي، وسفيان بن عيينة، وأبي مسهر الدمشقي. وعندما كان الإمام الشافعي ببغداد درس ابن حنبل عليه الفقه والحديث وكان من المقربين إليه<sup>(١٢٢)</sup>. ومع أنه درس على الإمام الشافعي وكان من خواص أصحابه فقد اختلف عنه فاعتبر الحديث أفضل من الرأي، أخذوا برأي الإمام مالك بن أنس بالاعتقاد على الحديث دون الرأي في المسائل الفقهية.

كان الإمام أحمد من أحفظ الناس للحديث وأعلمهم بفقهه ومعانيه، وقد غدا من أئمة عصره فيه. كما اشتهر بالزهد والورع والنزاهة وسمو الخلق. مما أكسبه احترام رجال عصره من أهل العلم والفقه والحديث فكانوا يعظمونه ويحلقونه، ويقصدونه بالسلام عليه، حتى أن الإمام الشافعي كان يأتيه إلى منزله تقديرًا له<sup>(١٢٣)</sup>. وامتدحه كثير منهم، قال أحدهم: كان أحمد بن حنبل أفضل أهل زمانه، وقال آخر: أحمد بن حنبل حجة بين الله وبين عبده في أرضه<sup>(١٢٤)</sup>. وقال إبراهيم الحربي: أدركت ثلاثة لن يرى مثلهم أبداً ويعجز النساء أن يلدن مثلهم، رأيت أبا عبيد القاسم بن سلام... ورأيت أحمد بن حنبل كأن الله عز وجل جمع له علم الأولين من كل صنف يقول ما شاء ويمسك ما شاء<sup>(١٢٥)</sup>. وقال عنه الإمام الشافعي: خرجت من بغداد وما خلفت بها أحداً أتقى ولا أروع ولا أفقه من أحمد بن حنبل<sup>(١٢٦)</sup>.

- 
- (٢١٩) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ١٣، ص ١٠٣ - ١١٠٤ ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٣٣، وابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، ج ٤، ص ٢٨١.  
 (٢٢٠) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٤١٤ - ٤١٥.  
 (٢٢١) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٧.  
 (٢٢٢) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٤١٢.  
 (٢٢٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤١٦، وابن العباد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج ٢، ص ٩٥.  
 (٢٢٤) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٤١٨.  
 (٢٢٥) ابن العباد الحنبلي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٩٨.  
 (٢٢٦) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٤١٩، وابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، ج ١، ص ٤٨.

أخذ الحديث عن الامام أحمد كثيرون من كبار المحدثين وأئمتهم، منهم البخاري، ومسلم، وسليمان بن الأشعث، وإبراهيم الحري<sup>(٣٣١)</sup>. واشتهر الامام أحمد بصلاية الرأي والثبات على العقيدة. فقد عاصر حركة القول بخلق القرآن، وكان الخليفة المأمون قد ناصر المعتزلة وأيد مقولتهم بأن القرآن مخلوق، وهو عكس ما يعتقد أهل السنة الذين يرون أن القرآن كلام الله تعالى وأنه من صفاته الأزلية. وعندما خرج المأمون إلى غزو بلاد الروم في سنة ٢١٥هـ أمر خليفته ببغداد اسحاق بن إبراهيم أن يمتحن علماء بغداد وفقهاءها بالقول بخلق القرآن، فإن أقروا بذلك فهم من المهتدين، وألا يبقى من لم يقر بخلق القرآن، لا يبقيه في منصبه. وبسبب على إصرار الخليفة وتهديد نائبه، أجاب أكثر الفقهاء والعلماء عدا الإمام أحمد بن حنبل والفقهاء الزاهد عماد بن نوح، فقيدا وأرسلا إلى الخليفة الذي كان آنذاك في طرسوس، ليرى فيها رأيه. ولما وصلا مدينة الرقة جاءت الأنباء بوفاة المأمون فأعيدا إلى بغداد، فتوفي ابن نوح في الطريق.

وكان المأمون قد عهد بالخلافة إلى أخيه المعتصم بالله، وأوصاه بأن يأخذ بسيرته في حل الناس على القول بخلق القرآن. فأبقى المعتصم بالله الإمام أحمد مقيدا في سجنه. ويقال إنه وضع في حبس ضيق بقي فيه ما يقرب من ثلاثين شهرا. وكان يستدعى بين حين وآخر للمناظرة فلم تلن قناته. وقد حاول الخليفة المعتصم بالله أن يستميله فأحضره لمناظرته أمامه قبل أن ينتقل إلى عاصمته سامراء، وقد جمع له كبار المعتزلة وعلى رأسهم قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد وكان من رؤوس المعتزلة، وقد حاول الخليفة اقناع الإمام أحمد أن يقول بخلق القرآن فأصر على رفض ذلك، والثبات على القول بأن القرآن كلام الله. فأمر الخليفة بضربه، فجلد حتى تقطع جلده وفقد وعيه فأعيد إلى عيسه. وبعد أن لبث مدة أمر الخليفة بإخلاء سبيله وقد ذكرت المصادر حبس ابن حنبل ومناظرته وجلده، كما وصفها هو بنفسه<sup>(٣٣٢)</sup>. وكان ذلك مما زاد في علو مركزه بين أتباعه وإجلالهم له. قال الفقيه المحدث علي المدني: أعز الله هذا الدين برجلين ليس لهما ثالث، أبو بكر الصديق يوم الردة، وأحمد بن حنبل يوم المحنة<sup>(٣٣٣)</sup>. وقال فقيه آخر: لولا أحمد بن حنبل لأحدثوا في الدين نفسه<sup>(٣٣٤)</sup>.

جمع الإمام أحمد كثيراً من الأحاديث مما لم يتفق لغيره، فصنف كتاب المسند الذي يحتوي على نيف وأربعين ألف حديث<sup>(٣٣٥)</sup>. ويقول ابن خلدون إنه تضمن خمسين ألف

(٢٢٧) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٤١٣.

(٢٢٨) حول تفصيلات موضوع المحنة، انظر: أبو جعفر عماد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق عماد أبو الفضل إبراهيم، ذخائر العرب؛ ٣٠ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٠ - ١٩٦٨)، ج ٨، ص ٦٣١ - ٦٤٩، وابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ٤٤٥.

(٢٢٩) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٤١٨.

(٢٣٠) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤١٧.

(٢٣١) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٣٣٤، وابن خلكان، وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ١، ص ٤٧.

حديث<sup>(٢٣٢)</sup>. وقد دَوَّن فيه ما سمعه من ثقات المحدثين، وبخاصة ما جاء في موطأ الإمام مالك من أحاديث الرسول ﷺ وفتاوى الصحابة، وما يتصل بذلك من أمور فقهية. ويقول صاحب كشف الظنون إنه يشتمل على ثلاثين ألف حديث، وهو كتاب جليل من جملة أصول الإسلام، وفيه نيف وثلاثمائة حديث ثلاثية الإسناد، وأن أحمد بن حنبل شرط فيه أن لا يخرج إلا حديثاً صحيحاً عنده، وإن فيه أحاديث موضوعة، وأن ولده عبد الله زاد فيه<sup>(٢٣٣)</sup>.

لقد كان مسند الإمام أحمد أقل تأثراً في أوساط المحدثين من صحيح البخاري وصحيح مسلم، لأن فيه كثيراً من الأحاديث الضعيفة، وذلك بسبب نظرته إلى الحديث، فهو يرجحه على الرأي والقياس وإن كان مرسلاً أو مقطوعاً، وتفضيله المنقول على المعقول بحيث كان يمتنع عن الفتوى إذا لم يجد ما يدعمها من حديث أو أثر من فتاوى الصحابة<sup>(٢٣٤)</sup>.

وقد اختلف فيما إذا كان الإمام أحمد فقيهاً، فقد ذكرنا أن الطبري عندما صَنَّف كتابه في اختلاف الفقهاء، أهمل ذكر ابن حنبل، ولما سئل عن ذلك، قال: إنما هو رجل حديث لا رجل فقه، مما أغضب أتباع أحمد عليه. والواقع أن الإمام أحمد لم يصف في أبواب الفقه، وإنما كانت له آراء فقهية أفتى بها في أوقات مختلفة، فجمعها أصحابه. ولذا كان أثره في الحديث أكبر منه في الفقه<sup>(٢٣٥)</sup>.

وللإمام أحمد إلى جانب مسنده مصنفات أخرى أغلبها في الحديث، منها: كتاب التفسير، وكتاب النسخ والمنسوخ، وكتاب الزهد، وكتاب العلل، وكتاب المسائل، وكتاب الإيمان، وكتاب الفضائل، وكتاب الفرائض، وكتاب المناسك، وكتاب طاعة الرسول، وكتاب الرد على الجهمية<sup>(٢٣٦)</sup>.

توفي الإمام أحمد ضحوة نهار الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ويقال ربيع الآخر، من سنة ٢٤١ في بغداد، ودفن بمقبرة باب حرب في الجانب الغربي من بغداد، ومثى في جنازته خلق عظيم من الرجال والنساء، ويصف المسعودي والخطيب البغدادي حمل نعشه والصلاة عليه ودفنه وبعض ما قيل فيه<sup>(٢٣٧)</sup>.

(٢٣٢) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ٢٤٢.

(٢٣٣) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ٢، ص ١٦٨٠.

(٢٣٤) أمين، ضحى الإسلام، ج ٢، ص ٢١٥.

(٢٣٥) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٣٦.

(٢٣٦) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم،

٣٣٤، والبغدادي، هدية العارفين: أسما المؤلفين وآثار المصنفين، ج ١، ص ٤٨.

(٢٣٧) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ١، ص ٤٢٢؛ أبو الحسن علي بن الحسين

المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد عبد الحميد، ط ٥ (د.م. : د.ن.)،

(١٩٦٧)، ج ٤، ص ١٠٢، وابن خلكان، وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ١، ص ٤٨.

## د - ابن ماجة وكتابه السنن

أبو عبد الله الحافظ محمد بن يزيد بن ماجة الرُّبَيعي نسبة إلى ربيعة، ولد في قزوين سنة ٢٠٩هـ (٢٣٨)، وهي مدينة مشهورة على حدود الديلم بينها وبين الري سبعة وعشرون فرسخاً، فنسب إليها<sup>(٢٣٩)</sup>. وهو من أعيان رجال الحديث، رحل في طلبه رجعه إلى العراق فزار بغداد والبصرة والكوفة، وسافر إلى مكة والشام ومصر، واستمع إلى كبار المحدثين، فصار من أئمة الحديث عارفاً بعلمه وجميع ما يتعلق به<sup>(٢٤٠)</sup>. صنّف كتابه المشهور باسمه سنن ابن ماجة في الحديث، وهو أحد كتب الصحاح الستة المعتمدة<sup>(٢٤١)</sup>. ولما صنّفه عرض النسخة على المحدث الكبير أبي زرعة، فنظر فيها وقال: أظن هذه إن وقعت في أيدي الناس تعطلت هذه الجوامع كلها، أو قال أكثرها، ثم قال: لعله لا يكون فيه تمام ثلاثين حديثاً مما في أسناده ضعف، أو قال عشرين أو نحو هذا<sup>(٢٤٢)</sup>. وقال عنه ابن كثير المؤرخ الحافظ: «السنن لابن ماجة دالة على عمله وعلمه وتبحره وإتباعه للسنّة في الأصول والفروع، وهو يشتمل على اثنين وثلاثين كتاباً واثني وخمسة باب، وعلى أربعة آلاف حديث كلها جياد سوى السيئ<sup>(٢٤٣)</sup>».

توفي ابن ماجة في يوم الاثنين ودفن في يوم الثلاثاء لثان بقين من شهر رمضان من سنة ٢٧٣هـ (٢٩١). وله من المصنفات إضافة إلى كتاب السنن، تفسير القرآن الكريم، وتاريخ قزوين<sup>(٢٤٤)</sup>.

## هـ - الترمذي وكتابه الجامع والعلل

أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي، الضرير الحافظ، ولد بمدينة ترمذ في سنة بضع ومئتين<sup>(٢٤٥)</sup>. وترمذ من أمهات مدن ما وراء النهر، تقع على الجانب الشرقي من نهر جيحون، وهي مدينة قديمة، وتلفظ بكسر التاء والميم<sup>(٢٤٦)</sup>، وقد نشأ

---

(٢٣٨) ابن الجوزي، المتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٥، ص ٩٠، وابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٠٧.

(٢٣٩) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، معجم البلدان، ج ٥ (بيروت: دار صادر، ١٩٧٥)، ج ٤، ص ٣٤٢.

(٢٤٠) ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٩٠، وابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٠٧.

(٢٤١) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٠٨، وحاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ٢، ص ١٠٠٤.

(٢٤٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٤٤.

(٢٤٣) أنور الرفاعي، تاريخ العلوم في الإسلام (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٣)، ص ٦٧.

(٢٤٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٣، ص ٤٠٨، ابن الجوزي، المتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٥، ص ٩٠، وياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٤٢.

(٢٤٥) ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٩٠، ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٠٧، وياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٤٢.

(٢٤٦) الصنفدي، نكت الهميان في نكت الهميان، ص ٢٦٤.

(٢٤٧) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٦.

وأقام بها فنسب إليها. وتطلع منذ نشأته إلى دراسة علم الحديث، فرحل إلى كثير من الأمصار واتصل بمحدثي عصره وأخذ عنهم، وتلمذ على إمام المحدثين أبي عبد الله البخاري وشاركه في بعض شيوخه، واعتبر خليفته في علم الحديث وعلمه ورجاله، وكان مضرب المثل بسرعة حفظه وإتقانه ما يحفظ، واعتبر من ثقات المحدثين ممن جمع وصنف وحفظ وذاكر<sup>(١١٨)</sup>. يقول عنه ياقوت الحموي: هو أحد الأئمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث<sup>(١١٩)</sup>.

صنف الترمذي كتابه المشهور الجامع والعلل تصنيف رجل متقن وبه كان يضرب المثل<sup>(١٢٠)</sup>. ويعتبر ثالث كتب السنة في الحديث، ونقل عنه أنه قال: صنف هذا الكتاب فعرضته على علماء الحجاز والعراق وخراسان فرفضوا به، وقد اشتهر بـ جامع الترمذي، ويقال له السنن أيضاً، وله شروح ومختصرات عديدة<sup>(١٢١)</sup>. كما صنف كتباً أخرى في رجال الحديث ومراتبهم ودرجة الثقة بهم، وهي: كتاب التاريخ، وكتاب العلل، وكتاب الرباعيات<sup>(١٢٢)</sup>.

وقد أقبل رجال الحديث على جامع الترمذي وكانوا يوازون بينه وبين صحيح البخاري، قال أحد العلماء: كتاب الترمذي عندي أنور من كتاب البخاري، لأنه لا يصل إلى الفائدة من البخاري إلا من هو من أهل المعرفة التامة بهذا الفن، وكتاب الترمذي قد شرح أحاديثه وبيّنها ليصل إليها الناس من الفقهاء والمحدثين وغيرهم<sup>(١٢٣)</sup>.

عمي الترمذي في أواخر عمره، ومات ليلة الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب سنة ٢٧٩ بمدينة ترمذ، وقيل إنه مات في سنة ٢٧٥ بقرية بوغ وهي من قرى ترمذ على ستة فراسخ منها. وقد ينسب إليها الترمذي أحياناً<sup>(١٢٤)</sup>.

## و- النسائي وكتابه السنن الكبير

أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر. هكذا جاء اسمه ونسبه في وفيات الأعيان وفي النجوم الزاهرة، إلا أنه جاء في المنتظم وفي كتاب الولاة والقضاة وفي كشف الظنون: أحمد بن شعيب بن علي.. وأخذ قاموس الأعلام بالرواية

---

(٢٤٨) الصفدي، المصدر نفسه، ص ٢٦٥، وابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٣، ص ٤٠٧.

(٢٤٩) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٧.

(٢٥٠) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٧، وابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٠٧.

(٢٥١) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ١، ص ٥٥٩.

(٢٥٢) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٣٣٩، والبغداد، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ٢، ص ١٩.

(٢٥٣) الرفاعي، تاريخ العلوم في الإسلام، ص ٦٧.

(٢٥٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٣، ص ٤٠٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٧؛ الصفدي، نكت الهميان في نكت العميان، ص ٢٦٤، وابن نوري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٣، ص ١١.

الأولى<sup>(٢٥٥)</sup>. ولد في نسا وهي من مدن خراسان، بينها وبين مرو خمسة أيام<sup>(٢٥٦)</sup>، فنسب إليها. إلا أنه سكن مصر وبها اشتهر وانتشرت كتبه، ويقال إن مولده كان في سنة ٢١٤ أو ٢١٥<sup>(٢٥٧)</sup>.

سافر النسائي في طلب الحديث والاستماع إلى رجاله، فزار نيسابور ومرو، ورحل إلى بغداد والشام ومصر التي استقر فيها، وأخذ الحديث عن كبار محدثي المدن المذكورة، وروى عنهم. وكان فقيهاً حافظاً للحديث، وراوية ثقة، وقد صنف كتاب السنن الكبير، وهو من الكتب الستة، وكتاب المجتبى في مختصر السنن الكبير. وله كذلك كتاب مناسك الحج، ومسند مالك في الحديث، وكتاب خصائص الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وكتاب الجمعة<sup>(٢٥٨)</sup>.

ويقال إنه عندما صنف كتاب السنن الكبير سأله أحد الأمراء: أكله صحيح؟ فقال: لا، فقال: فاكتب لنا الصحيح. فلخص النسائي السنن الصغيرة منه، وترك كل حديث أورده في الكبير مما تكلم في إسناده بالتعليل، وسماه المجتبى فحل محله، وإذا ما أطلق أهل الحديث على أن النسائي روى حديثاً فإنما يريدون المجتبى<sup>(٢٥٩)</sup>.

وسئل النسائي عن اللحن هل يوجد في الحديث، فقال: «إن كل شيء نقوله العرب وإن كان لغة غير قریش: لا يغير، لأن النبي ﷺ كان يكلم الناس بكلامهم وإن كان ما لا يوجد في لغة العرب، فرسول الله ﷺ لا يلحن»<sup>(٢٦٠)</sup>.

خرج النسائي في أواخر حياته إلى دمشق فامتنح بها فأجاب بما أغضب سائله، فغضبوه. فطلب أن يحمّل إلى مكة، فحمل إليها وهو عليل، فتوفي فيها ودفن بين الصفا والمروة، وكانت وفاته في شعبان سنة ٣٠٣، ويقال إنه مات بالرملة في فلسطين في صفر من السنة المذكورة<sup>(٢٦١)</sup>.

---

(٢٥٥) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٥٩؛ ابن تقيي بردي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٨٨؛ أبو عمر محمد بن يوسف المصري الكندي، كتاب الولاة وكتاب القضاة، تهذيب وتصحيح رفن كست (بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٠٨)، ص ٥٦٥؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٦، ص ١٣١؛ حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ٢، ص ١٠٠٦، والزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ١، ص ١٦٤. (٢٥٦) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٨٢. (٢٥٧) المصدر نفسه؛ ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ١، ص ٦٠، وابن تقيي بردي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٨٨.

(٢٥٨) البندادي، هدية العارفين: أساء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ١، ص ٥٦. (٢٥٩) (٢٥٩) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ٢، ص ١٠٠٦. (٢٦٠) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٨٢. (٢٦١) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٨٢؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ١، ص ٦٠؛ ابن تقيي بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٣، ص ١٨٨، وابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٦، ص ١٣١ - ١٣٢.

### ٣ - محدثون اشتهروا بمساندهم وسنتهم

اشتهر في هذا القرن أيضاً رهط من المحدثين بمصنفاتهم من المساند والسنتن، ومن هؤلاء:

#### أ - الحنّاني

أبو زكريا يحيى بن عبد الحميد بن عبد الرحمن الحنّاني الكوفي أحد حُفَظ الحديث والرحالين في طلبه، وكان جده عبد الرحمن محدثاً عُرف بالصدق والثقة في روايته، فنشأ يحيى معنياً بعلم الحديث، وقد عرف بسرعة الحفظ وقوة الذاكرة حتى قال عنه المحدث الكبير يحيى بن معين: ما كان بالكوفة من يحفظ معه<sup>(٢٦٦)</sup>. أخذ عن جده، وسافر إلى بغداد ليستمع إلى كبار محدثيها، وأخذ عنهم كثيراً. وقيل عنه إنه حفظ عشرة آلاف حديث يسردها سرّاً<sup>(٢٦٧)</sup>. ولا يخلو الخبر من المبالغة، لأن الخطيب البغدادي رغم اعترافه بقدرته الحنّاني الفائقة على الحفظ، يقول إنه كان يسرد مسنده وفيه أربعة آلاف حديث سرّاً<sup>(٢٦٨)</sup>.

على أن بعض رجال الحديث وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل كانوا يطعنون بروايته، ويسقطون كثيراً من أحاديثه، وأنكر الإمام أحمد حديثاً كان الحنّاني رواه عنه، مستشهداً بذلك على عدم صدقه، وقال عنه: إنه يسرق الأحاديث أو يلتقطها أو يتلقفها، وأنه قد طلب وسمع ولو اقتصر على ذلك لكان فيه كفاية<sup>(٢٦٩)</sup>. إلا أن الحنّاني ردّ على الطاعنين بصحة روايته واتهم علماء الكوفة بأنهم يقولون ذلك حسداً له لأنه أول من جمع المسند، وقد تقدمهم في ذلك<sup>(٢٧٠)</sup>. ويؤيد الخطيب البغدادي موقف الحنّاني، إذ يقول: ما كان بالكوفة مثل ابن الحنّاني، وما يقال فيه إلا من حسد<sup>(٢٧١)</sup>. وجاء في قاموس الأعلام أن يحيى الحنّاني أول من صنف المسند بالكوفة<sup>(٢٧٢)</sup>.

توفي الحنّاني بسر من رأى في شهر رمضان سنة ٢٢٨. ويقول الخطيب البغدادي إنه أول من مات بسر من رأى من المحدثين الذين قدموا إليها<sup>(٢٧٣)</sup>.

---

(٢٦٦) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج ١، ص ٤٠٤.

(٢٦٧) ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٥٤.

(٢٦٨) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ١٤، ص ١٦٨.

(٢٦٩) المصدر نفسه، ج ١٤، ص ١٧١ - ١٧٢.

(٢٧٠) المصدر نفسه، ج ١٤، ص ١٧٠.

(٢٧١) المصدر نفسه، ج ١٤، ص ١٦٩.

(٢٧٢) الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين،

ج ٩، ص ١٨٨.

(٢٧٣) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ١٤، ص ١٧٧. ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون،

ج ١، ص ٤٠٤، وابن تغري بردي، التجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٢، ص ٢٥٤.



## ب - نعيم بن حماد

نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث بن همام، أبو عبد الله الخزاعي الفارسي، كان من الرحالة في طلب الحديث، نشأ في مرو من أسرة عربية ورحل إلى العراق والحجاز ثم سكن مصر، ولم يزل مقيماً فيها إلى أن شخص إلى سامراء في أيام الخليفة المعتصم بالله. سمع الحديث على بعض محدثي عصره واختص بالمحدث عبد الله بن المبارك، وسمي الفارسي لأنه كان من أعلم الناس بالفرائض<sup>(٣٧١)</sup>. ويقال إنه أول من جمع المسند في الحديث وصنفه<sup>(٣٧٢)</sup>.

وقد اختلف في نعيم رجال الحديث، فمنهم من وثق بروايته واعتبره ثقة صدوقاً فروى عنه، ومنهم من اتهمه بوضع الحديث والحكايات المزورة ووصفه بالوهم فيما يرويه<sup>(٣٧٣)</sup>. وقال بعضهم إنه ليس من الحديث في شيء<sup>(٣٧٤)</sup>.

وحمل نعيم بن حماد وآخرون عن لم يستجيبوا إلى القول بخلق القرآن إلى دار الخلافة في سنة ٢٢٤، وهناك قيد وسجن. وظل محبوساً حتى مات في جمادى الأولى سنة ٢٢٨ ويقال سنة ٢٢٩، وكان أوصى أن يدفن في قيوده، وقال: إني مخاصم، فحُجِر في قيوده وألقي في حفرة دون أن يكفن أو أن يصلي عليه أحد<sup>(٣٧٥)</sup> لأن دعوة المعتزلة كانت في عنقوان قوتها.

ولنعيم كتب عدة في الرد على الجهمية، وهو الخبير بأرائهم وأقوالهم، وقد قال: أنا كنت جهمياً فلذلك عرفت كلامهم، فلما طلبت الحديث عرفت أنهم يدعون إلى التعطيل<sup>(٣٧٦)</sup>. ومن هنا انبرى للرد عليهم. وجاء في هدية العارفين أن له ثلاثة عشر كتاباً في الرد عليهم، وكتباً في الرد على أبي حنيفة ومحمد بن الحسن الشيباني، ومن تصانيفه أيضاً كتاب الملاحم والفتن، ومسند في الحديث<sup>(٣٧٧)</sup>.

## ج - ابن المديني

أبو جعفر علي بن عبد الله بن جعفر بن يحيى بن بكر بن سعد بن البصري المعروف بابن المديني، وقيل جعفر بن نعيم بن بكر، الحافظ الناقد العالم باختلاف الحديث، ولد سنة ١٦١ وكان أبوه محدثاً مشهوراً فسمع منه، ومن سفيان بن عيينة، وابن عُلمة أسماعيل بن

---

(٢٧٠) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ١٣، ص ٣٠٧، وابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ٢،

ص ٢٥٤.

(٢٧١) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ١٣، ص ٣٠٦.

(٢٧٢) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج ٢، ص ٦٧.

(٢٧٣) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ١٣، ص ٣١٢.

(٢٧٤) المصدر نفسه، ج ١٣، ص ٣١٣ - ٣١٤، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر

والقاهرة، ص ٢٥٤ و ٢٥٧.

(٢٧٥) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ١٣، ص ٣١٢.

(٢٧٦) البغدادي، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ٢، ص ٤٩٧.

ابراهيم الكوفي، وغيرهم من رجال الحديث، وروى عنه أعلام الحديث في أيامه، البخاري، وأحمد بن حنبل، وابن ماجه، والنسائي<sup>(٣٧٣)</sup>.

اشتهر ابن المديني بمعرفته الواسعة بعلوم الحديث وبخاصة ما يتعلق بالعلل وتنجيح الرواة وتعديلهم، بحيث صار إماماً فيه. وقد أعجب به البخاري وتبني أن يقدم العراق وعليه حي فيجالسه، كما أشاد النسائي بسعة علمه فقال: كأن الله خلق علي بن المديني لهذا الشأن، ومع أن ابن عيينة من أساتذته فقد قال عنه: والله إني لأتعلم من علي أكثر مما يتعلم مني<sup>(٣٧٤)</sup>. واعتبره القاسم بن سلام أحد أربعة انتهى إليهم علم الحديث، وإن علياً كان أعلمهم به<sup>(٣٧٥)</sup>.

وكان ابن المديني عن ابنه بالمحنة بالقول بخلق القرآن، فاستجاب بعد أن سجن في بيت مظلم ثمانية أشهر وفي رجليه قيود بشائية أمان، إلا أنه سمع منه قبل وفاته بشهرين يقول إن القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال إنه مخلوق فقد كفر. وصنف ابن المديني عدداً كبيراً من الكتب في الحديث ورجاله، ويقال إن له في الحديث نحو مئتي مصنف<sup>(٣٧٦)</sup>، وأهمها: كتاب المسند بعلله، وكتاب المدلسين، وكتاب الضعفاء، وكتاب العلل، وكتاب الأسماء والكنى، وكتاب التنزيل<sup>(٣٧٧)</sup>.

توفي ابن المديني ليومين بقيا من ذي القعدة سنة ٢٣٤، وهذا ما اتفقت عليه عدة مصادر وأخذ به صاحب قاموس الأعلام، إلا أن ابن النديم يقول إن ابن المديني توفي بسر من رأى يوم الاثنين لثلاث بقين من ذي القعدة من سنة ٢٥٨<sup>(٣٧٨)</sup>.

#### د - ابن أبي شيبة

أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم العيسوي الكوفي، المعروف بابن أبي شيبة، أحد كبار حفاظ الحديث ورواته. أخذ الحديث عن سفيان بن عيينة، وشريك بن عبد الله، وعبد الله بن المبارك، واعتماداً على رواية ما يحفظه روى عنه الإمام أحمد بن حنبل وإبراهيم الحاربي وغيرهما من كبار رجال الحديث<sup>(٣٧٩)</sup>.

(٢٧٧) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ١١، ص ٤٥٨، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٢، ص ٢٧٦.

(٢٧٨) ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٧٧.

(٢٧٩) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٨٢.

(٢٨٠) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٧٧.

(٢٨١) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسسهم كتبهم،

ص ٣٣٦.

(٢٨٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ١١، ص ٤٧٢؛ ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج ١، ص ٤١٨؛ ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٧٧؛ الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ٥، ص ١١٨، وابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٣٦.

(٢٨٣) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ١٠، ص ٦٦، وابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ٢،

ص ٢٨٢.

وكان أبو بكر وأخوه عثان ممن استدعاهم المتوكل على الله من الكوفة عندما أبطل المحنة، ليجلسا للناس في سامراء ويغداً ويحدثاهم بأحاديث تردُّ على آراء المعتزلة وتنقض عقائدهم. فجلس عثان في مدينة أبي جعفر المنصور ونصب له منبر، وجلس أبو بكر في مسجد الرصافة، فكان أكثر تقدماً من أخيه، يجتمع إليه لسباعة عدد كبير من الناس يقدرهم الخطيب البغدادي بنحو من ثلاثين ألفاً<sup>(١٨٨)</sup>.

اشتهر أبو بكر بقوة حافظته، وبكثرة ما يحفظ من الأحاديث، وبحسن روايته. وقد اعتبره أبو عبيد القاسم بن سلام أحد العلماء الأربعة الذين انتهى إليهم علم الحديث وقال عنه إنه أسردهم وأحفظهم للحديث<sup>(١٨٩)</sup>. وقال ابن النديم عن أبي بكر بن أبي شيبة إنه من المحدثين المصنفين، وعدد له من الكتب: كتاب السنن في الفقه، وكتاب التفسير، وكتاب التاريخ، وكتاب المسند في الحديث، وكتباً تاريخية أخرى<sup>(١٩٠)</sup>. ويعتبر كتاب المسند أهم كتبه في الحديث، إذ جمع فيه ما حفظه ورواه مما صح لديه من الأحاديث<sup>(١٩١)</sup>.

توفي أبو بكر في سنة ٢٣٥هـ<sup>(١٩٢)</sup>.

أما أخوه عثان بن محمد بن أبي شيبة المتوفى سنة ٢٣٧ فقد كان من المحدثين المصنفين أيضاً، وله كتاب المسند في الحديث، وكتاب السنن في الفقه، وكتاب التفسير<sup>(١٩٣)</sup>.

#### هـ - ابن البهلول

أبو يعقوب اسحاق بن البهلول بن حسان التنوخي الأنباري، الفقيه المحدث، رحل في طلب العلم إلى أمهات الأمصار وسمع كثيراً من المحدثين وروى عنهم، وكان ثقة صدوقاً، درس الفقه على الحسن بن زياد اللؤلؤي من أشهر أتباع أبي حنيفة، وعلى الهيثم بن موسى صاحب القاضي أبي يوسف، وكانت له مذاهب وآراء في الفقه تفرّد بها<sup>(١٩٤)</sup>.

كان المتوكل على الله استدعى ابن البهلول إلى سامراء فحدثه وسمع منه، وأمر فنصب له منبر في المسجد الجامع بسر من رأى، وفي رحبة زيوك بالقرب من باب الفراغة، وأكرمه، فأقام في سامراء إلى أن هرب المستعين بالله إلى بغداد فانحدر ابن البهلول إليها أيضاً، ولم

(١٨٨) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ١٠، ص ٦٧.

(١٨٩) المصدر نفسه، ج ١٠، ص ٦٩، وابن خلدون، المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٢٢.

(١٩٠) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم، ص ٣٣٤.

(١٩١) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ٢، ص ١٦٧٨.

(١٩٢) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٣٤، وتاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ١٠، ص ٧١.

(١٩٣) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٣٤، والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ١٠، ص ٧١.

(١٩٤) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٣٤، والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ١٠، ص ٧١.

(١٩٥) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٣٦٧.

يحمل من كتبه شيئاً، فطلب إليه أمير بغداد محمد بن عبد الله أن يحدث الناس فحدث من حفظه بخمسين ألف حديث لم يخطيء في شيء منها<sup>(٣١١)</sup>.

ولد ابن البهلول بالأنبار في سنة ١٦٤، ومات بها سنة ٢٥٢<sup>(٣١٢)</sup>. وله من المصنفات كتاب في الفقه سواه المتضاد، وكتاب القراءات، وكتاب المسند في الحديث<sup>(٣١٣)</sup>.

## و - الدارمي

أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي، من دارم بن مالك بن تميم، الحافظ المحدث، ولد بسمرقند وإليها نسب وبها اشتهر وكان يضرب به المثل في الحلم والرزانة. وقد رحل في طلب الحديث والاستماع إلى رجاله حتى صار من أئمنه بحيث لم يكن في عهده أحد أعلم منه بحديث رسول الله ﷺ، وقد سمي إمام أهل زمانه. قدم بغداد وحديث بها واتصل بالإمام أحمد بن حنبل الذي كان يحترمه كثيراً ويسميه السيد، وقال: عُرِضَ عليَّ الكفر فلم أقبل، وعُرِضَتْ عليه الدنيا فلم يقبل. لأنه سبق أن عرض والي سمرقند على الدارمي أن يتولى قضاءها فأبى، ولما ألحَّ عليه وافق وقضى في قضية واحدة ثم استعفى.

صنَّف الدارمي عدداً من الكتب منها: كتاب المسند في الحديث، وكتاب التفسير، وكتاب الجامع، وكتاب الثلاثيات في الحديث، وكتاب السنة.

كان مولد الدارمي، كما قال عن نفسه، في سنة ١٨١، وقد توفي يوم التروية سنة ٢٥٥ ودفن يوم عرفة<sup>(٣١٤)</sup>.

## ز - أبو داود

سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير الأزدي، من فقهاء أتباع الإمام أحمد بن حنبل، نشأ بالبصرة، وقد عُرف بالنسك والورع والصلاح، وانصرف منذ نشأته إلى دراسة الحديث والتفقه فيه حتى غدا من أعلامه، وقد رحل إلى كثير من البلدان مطوفاً في طلبه وجمعه، فذهب إلى خراسان والشام ومصر والجزيرة، وسمع المحدثين وكتب عنهم، وروى كثيرون عنه، وبلغ من حفظه الحديث وروايته وعلمه بعلمه وسنده أن صار إمام أهل الحديث

---

(٢٩١) المصدر نفسه، ج ٦، ص ٣٦٨.

(٢٩٢) المصدر نفسه، ج ٦، ص ٣٦٩، وابن تفرج يروي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،

ج ٢، ص ٣٣٦.

(٢٩٣) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٣٦٧، والبغدادي، هدية العارفين: أسماؤه

المؤلفين وآثار المصنفين، ج ١، ص ١٤٨.

(٢٩٤) حول الدارمي، انظر: الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ١٠، ص ٢٩ - ٣٠ ابن خلدون،

مقدمة ابن خلدون، ج ٢، ص ١٩ ابن تفرج يروي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٣، والبغدادي، المصدر

نفسه، ج ١، ص ٤٤١.

في عصره. وأهم مصنفاته فيه: كتاب السنن، وقد جمع فيه المهم من السنن والأحاديث الفقهية، وقدم بغداد مراراً وروى فيها كتابه المذكور ونقله أهل الحديث عنه، ويقال إنه عرضه على الإمام أحمد بن حنبل فاستحسنه واستجاده<sup>(٢٩٥)</sup>.

ولما أنجز أبو داود كتاب السنن قال: «كتب من أحاديث الرسول ﷺ خمسة ألف حديث، انتخبت منها ما ضمتها هذا الكتاب، جمعت فيه أربعة آلاف وثلاثة حديث، ذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه، ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث: أحدها «إنما الأعمال بالنيات» والثاني «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» والثالث «لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يرضى ل أخيه ما يرضاه لنفسه» والرابع «الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشبهات»<sup>(٢٩٦)</sup>.

ولد أبو داود في سنة ٢٠٢ حسب قوله، أما وفاته فكانت في البصرة في يوم الجمعة منتصف شوال سنة ٢٥٧، ويقول ابن خلكان إن أبا داود لقب بالسجستاني نسبة إلى سجستان أو سجستان قرية من قرى البصرة<sup>(٢٩٧)</sup>.

\* \* \*

وصنف في خلال هذا القرن عدد آخر من كبار رجال الفقه وحفاظ الحديث «مسانده»، إلا أنها لم تكن في تأثيرها وانتشارها بدرجة ما أسلفنا بيانه من كتب المساند والسنن. ونذكر فيما يأتي بعضهم ممن ذكرهم ابن النديم وصاحب كشف الظنون، وصاحب هدية العارفين، وابن خلكان، وقاموس الأعلام، وغيرها من المصادر:

مُسَدَّد بن مُسَرَّهَد بن مُسَرَّهَل الأسدي البصري، من المحدثين الثقات وأول من صنف المسند في البصرة، وقد توفي سنة ٢٨٢<sup>(٢٩٨)</sup>.

وأبو جعفر عبد الله بن محمد بن عبد الله الجعفي البخاري المتوفى سنة ٢٢٩ وكان حافظاً للحديث وراوي له، ثقة في حفظه وروايته، وقد لقب بالمستندي لأنه أول من جمع مسند الصحابة، بما وراء النهر وكان إمام أهل الحديث هناك<sup>(٢٩٩)</sup>.

(٢٩٥) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٩، ص ٥٦؛ ابن الجوزي، المتظلم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٥، ص ٩٧، وابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٢، ص ١٣٨.

(٢٩٦) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٩، ص ٥٧؛ ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٩٧؛ ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٣٩؛ حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ٢، ص ١٠٠٤ وفيه أنه ضمَّه أربعة آلاف حديث وثلاثة أحاديث.

(٢٩٧) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٩، ص ٥٧ و ٥٩؛ ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٩٨؛ ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٣٩ - ١٤٠؛ ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٣٣٨ وفيه أنه توفي سنة ٣١٦ وهو وأهم في ذلك.

(٢٩٨) حاجي خليفة، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٦٨٤؛ البغدادي، هدية العارفين: أسماؤه المؤلفين وآثار المصنفين، ج ٢، ص ٤٢٨، والزرزكي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ٨، ص ١٠٨.

(٢٩٩) الزركلي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٦٠.

وأبو خيثمة زهير بن حرب بن شداد المتوفى سنة ٢٣٤ محدث بغداد في عصره، وقد أكثر مسلم في الرواية عنه، وله كتاب المسند في الحديث<sup>(٣٠١)</sup>.

ومحمد بن يحيى بن أبي عمر، أبو عبد الله العَدَنِي، ويقال له ابن أبي عمر، وهو أحد كبار علماء الحديث، تولى القضاء في عدن، وسمع عنه مسلم بن الحجاج والترمذي، وله كتاب المسند في الحديث، وقد توفي سنة ٢٤٣<sup>(٣٠٢)</sup>.

والحافظ أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن كثير العبدي البكري البغدادي المعروف بالدورقي، نسبة إلى عمل أوليس القلائس الطويلة الخاصة بأهل النسك وتسمى الدورقية، وهو محدث العراق في زمنه، كان حافظاً متقناً، صنف المسند في الحديث، وتوفي سنة ٢٥٢<sup>(٣٠٣)</sup>.

وأبو اسحاق إبراهيم بن سعيد الجوهري البغدادي من أعلام رجال الحديث، سمع سفيان بن عيينة وغيره من المحدثين، وروى عنه كثيرون منهم أصحاب الصحاح عدا البخاري، ويعتبره الإمام أحمد من الثقات، وله المسند في الحديث، انتقل عن بغداد ورابط في عين زربي إلى أن مات بها سنة ٢٥٣ على ما ذكره الخطيب البغدادي، إلا أن صاحب كشف الظنون، وصاحب النجوم الزاهرة يقولان إنه توفي سنة ٢٤٧ ولكن قاموس الأعلام اعتبره من وفيات سنة ٢٤٨<sup>(٣٠٤)</sup>.

ومحمد بن عبد الله بن سنجر الجرجاني أبو عبد الله المتوفى سنة ٢٥٨ وهو من رجال الحديث، ولد بجرجان فنسب إليها، إلا أنه كان قد استوطن مصر، وبها توفي، وله مسند في الحديث في عشرين جزءاً<sup>(٣٠٥)</sup>.

ويعقوب بن شببة بن الصلت أبو يوسف السدوسي البصري المتوفى سنة ٢٦٢ من كبار علماء الحديث، وكان يتفقه على مذهب الإمام مالك، وله كتاب المسند الكبير معللاً، وهو في مثات الأجزاء إلا أنه لم يتمه، ويقول صاحب هدية العارفين إنه يقع في خمسة مجلدات<sup>(٣٠٦)</sup>.

---

(٣٠١) ابن النديم، الفهرست في اختيار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٣٣٥، والزركلي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٨٧.

(٣٠٢) الزركلي، المصدر نفسه، ج ٨، ص ٣، وحاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ٢، ص ١٦٧٨، ويكتبه: ابن أبي عمرو.

(٣٠٣) الزركلي، المصدر نفسه، ج ٩، ص ٢٥٣، والبغدادي، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ٢، ص ٥٣٧.

(٣٠٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٦، ص ٩٥؛ حاجي خليفة، المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٨١؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٢، ص ٣٢٦، والزركلي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٣.

(٣٠٥) الزركلي، المصدر نفسه، ج ٧، ص ٩٤، والبغدادي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٦.

(٣٠٦) حاجي خليفة، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٦٧٨؛ ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٧، والبغدادي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٣٧.

ومحمد بن ابراهيم بن مسلم البغدادي، أبو أمية، كان من حَفَظ الحديث ورواته، وله مسند في الحديث، توفي بطرسوس سنة ٢٧٣<sup>(٣٠٦)</sup>.

وأبو سعيد الدارمي عثمان بن سعيد بن خالد المتوفى سنة ٢٨٠ محدث مدينة هرات في زمانه، له مسند في الحديث كبير<sup>(٣٠٧)</sup>.

وأحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن غلغل الشيباني ويلقب بابن النبيل، كان عالماً بالحديث، وهو من أهل البصرة وقد ولي قضاء أصبهان أكثر من عشر سنين وله ثلاثمائة مصنف منها المسند الكبير في الحديث، ويضم نحو خمسين ألف حديث، وقد ذهب كتبه في فترة الزنج، وكانت وفاته في سنة ٢٨٧<sup>(٣٠٨)</sup>.

وأبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، حافظ من علماء الحديث، من أهل البصرة، حدث ببغداد والشام، وتوفي بالرملة في سنة ٢٩٢ وله مسندان أحدهما كبير سماه البحر الزاخر والآخر صغير<sup>(٣٠٩)</sup>.

وأبو عبد الله محمد بن نصر المتوفى سنة ٢٩٤، ولد ببغداد واستوطن سمرقند وبها اشتهر، كان امام الفقه والحديث ومن أعلم الناس باختلاف الصحابة والتابعين بالأحكام، له المسند في الحديث<sup>(٣١٠)</sup>.

وأبو اسحاق محمد بن ابراهيم بن معقل بن محمد الحنفي الحافظ السُني المتوفى سنة ٢٩٤ من رواية الجامع الصغير والصحيح بإجازة من الإمام البخاري، وله كتاب المسند في الحديث<sup>(٣١١)</sup>.

وأبو جعفر محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي المتوفى سنة ٢٩٨ من المحدثين الثقات، له كتاب المسند، وكتاب تفسير المسند<sup>(٣١٢)</sup>.

والحسن بن سفيان بن عامر الشيباني أبو العباس، كان محدث خراسان في زمانه، عالماً

---

(٣٠٦) البغدادي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٨، والزركلي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ١٨٣.

(٣٠٧) البغدادي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٦٥١، والزركلي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٦٦.

(٣٠٨) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ٢، ص ١٦٧٨، البغدادي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٣، والزركلي، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٨١ - ١٨٢.

(٣٠٩) حاجي خليفة، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٦٨٢، الزركلي، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٨٢، والبغدادي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٤.

(٣١٠) الزركلي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٦٣ - ٦٤.

(٣١١) حاجي خليفة، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٦٨٥، والبغدادي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٤.

(٣١٢) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٣٣٨.

بالفقه والأدب، له المسند في الحديث، توفي سنة ٣٠٣ في البوز إحدى قرى نسا على ثلاثة فراسخ منها<sup>(٣١٣)</sup>.

وأبو القاسم البغوي عبد الله بن محمد بن عبد العزيز ويعرف بابن بنت منيع، ولد ببغداد وبها توفي سنة ٣١٧، وكان محدث العراق في أيامه، حافظاً للحديث ثقة في روايته، وله من الكتب في الحديث: كتاب المسند، وكتاب معجم الصحابة، كبير وصغير، وكتاب الجعديات<sup>(٣١٤)</sup>.

وعُدَّ صاحب كشف الظنون عدداً آخر من المسانيد في الحديث، نذكر منها ما يعود لمحدثي هذا القرن<sup>(٣١٥)</sup>:

مسند الحميدي للحافظ أبي بكر عبد الله بن الزبير المكي المتوفى سنة ٢١٩ وهو بأحد عشر جزءاً. ومسند أبي علي محمد بن أسلم المتوفى سنة ٢٤٢. ومسند أبي حفص أحمد بن منيع الأصم المتوفى سنة ٢٤٤. ومسند الكشي أبي محمد عبد الله بن حميد المتوفى سنة ٢٤٩. ومسند أبي جعفر محمد بن مهدي المديني المتوفى سنة ٢٧٢. ومسند أبي عبد الرحمن بقي بن مخلد القرطبي الحافظ المتوفى سنة ٢٧٦ قال عنه ابن حزم إنه روى فيه عن ألف وثلاثمئة صحابي ونيف، ورتب حديث كل صحابي على أبواب الفقه، فهو مسند ومصنف ليس لأحد مثله. ومسند العنبري للحافظ أبي إسحاق إبراهيم بن إسماعيل المتوفى سنة ٢٨٠ في أكثر من مئتي جزء. ومسند أبي أسامة الحارث بن محمد التميمي المتوفى سنة ٢٨٢. والمسند المنتخب لعل بن عبد العزيز البغوي المتوفى سنة ٢٨٧. ومسند الأزرق أبي الوليد محمد بن عبد الله المتوفى سنة ٢٩٧. ومسند أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف المستنجاني المتوفى سنة ٣٠١.

#### ٤ - محدثون آخرون

وهناك عدد كبير من العلماء والفقهاء ممن عُنوا بدراسة الحديث وجمعه وحفظه وروايته دون أن يصنفوا فيه مسنداً. وسنعدد فيما يأتي بعض من اشتهر منهم في خلال القرن الثالث: عَفَّان بن مسلم بن عبد الله أبو عثمان الصُّفَّار، من حفاظ الحديث الثقات من أهل البصرة، وسكن بغداد. امتنع عن الاجابة في المحنة فقطع رزقه الشهري وقدره خمسمئة درهم، وهو أول من أصابته المحنة، مات ببغداد في سنة ٢٢٠<sup>(٣١٦)</sup>.

---

(٣١٣) البغدادي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٦٩، الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ٢، ص ٢٠٦، وياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٣٢٩ - ٣٣٠.

(٣١٤) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٣٩، والبغدادي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٤٤.

(٣١٥) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ٢، ص ١٦٧٨ - ١٦٨٥.

(٣١٦) الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ٥، ص ٣٤.



وهشام بن عبد الملك الطيالسي الباهلي المتوفى سنة ٢٢٧ كان من كبار حفاظ الحديث، روى عنه البخاري نيفاً ومئة حديث<sup>(٣١٧)</sup>.

ويحيى بن معين بن عون بن زياد البغدادي أبو زكريا الحافظ، كان من أئمة الحديث ومؤرخي رجاله، سباه الذهبي «سيد الحفاظ» وقال عنه الإمام أحمد بن حنبل: إنه أعلمنا جميعاً، وقال عنه أيضاً: كل حديث لا يعرفه يحيى بن معين فليس هو بحديث. ولد بإحدى قرى الأنبار يقال لها (نقياي)، وعاش ببغداد، وتوفي بمكة المكرمة حاجاً في سنة ٢٣٣. وقد روى عنه كثيرون منهم البخاري ومسلم وأبو داود، وله من المصنفات: كتاب التاريخ والعلل، وكتاب معرفة الرجال، ويعتبره عبد القاهر البغدادي معول أهل الحديث في الجرح والتعديل<sup>(٣١٨)</sup>.

وأبو عبد الرحمن محمد بن عبد الله بن غير الحمداني الحارفي نسبة إلى خارف بن عبد الله أحد بطون همدان. روى عنه البخاري حوالي عشرين حديثاً، وروى مسلم عنه عدداً كبيراً من الأحاديث. وقد توفي سنة ٢٣٤<sup>(٣١٩)</sup>.

وأبو يحيى الباهلي عبد الأعلى بن حماد الترمي، ونرس لقب جده لقبته به الأنباط وكان اسمه نصراً فقالوا نرساً. سكن عبد الأعلى بغداد وحديث بها عن الإمام مالك بن أنس، وروى عنه البخاري ومسلم أحاديث عديدة في صحيحيهما، ومات سنة ٢٣٧ بالبصرة، وله في علم الحديث مصنفات ذكر منها صاحب هدية العارفين: كتاب الحديث، وكتاب الغريب، وكتاب ما جاء من الحديث المأثور عن النبي ﷺ<sup>(٣٢٠)</sup>.

وأحمد بن صالح أبو جعفر المصري، أحد حفاظ الأثر. كان عالماً بعلل الحديث بصيراً باختلافه. ورد ببغداد وجالس بها الحفاظ وكان الإمام أحمد بن حنبل يثني عليه، وقد كتب كل واحد منها عن صاحبه. روى عنه البخاري وأبو داود، وقال عنه البخاري: أحمد بن صالح ثقة صدوق ما رأيت أحداً يتكلم فيه بحجة. عاد إلى مصر فأقام بها وانتشر علمه عند أهلها، وكانت وفاته بها لثلاث خلون من ذي القعدة سنة ٢٤٨<sup>(٣٢١)</sup>.

وأبو المثنى محمد بن المثنى بن عبيد بن قيس، أبو موسى العنزي، عالم بالحديث ومن

---

(٣١٧) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ٣٣٣، وسماه: همام بن عبد الملك. انظر أيضاً: الزركلي، المصدر نفسه، ج ٩، ص ٨٥.

(٣١٨) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٥، ص ١٩٠ - ١٩١؛ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي، أصول الدين (استانبول: دار الفنون، ١٩٢٨)، ص ٣١٣؛ ابن تقي بريدي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٢، ص ٢٧٢، والزركلي، المصدر نفسه، ج ٩، ص ٢١٨.

(٣١٩) الزركلي، المصدر نفسه، ج ٧، ص ٩٢.

(٣٢٠) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ١١، ص ٧٥ و٧٧، والبغدادي، هدية المارفين: أسماهم المؤلفين وآثار المصنفين، ج ١، ص ٤٩٣.

(٣٢١) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٩٥ - ٢٠٢، وابن تقي بريدي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٢، ص ٣٢٨ - ٣٢٩.

حَفَظَهُ، من أهل البصرة، وكان ثقة في روايته، زار بغداد وحلّث بها، وروى عنه البخاري ومسلم أحاديث عديدة، توفي بالبصرة في سنة ٢٥٢<sup>(٣٢١)</sup>.

والذَّهَلِيُّ محمد بن يحيى المتوفى سنة ٢٥٨ الذي انتهى إليه علم الحديث في نيسابور، روى عنه البخاري عدداً من الأحاديث رغم ما كان بينها من خلاف أشرنا إليه في سيرة البخاري. وللذهلي كتاب ضمّنه أحاديث الزهري سنّها الزُّهْرِيَّاتُ<sup>(٣٢٢)</sup>.

وأبو بكر محمد بن يوسف بن عيسى الطَّبَّاعُ، سمع الحديث ورواه، وكان ثقة صدوقاً، وهو من أهل سامراء، زار بغداد وحلّث بها. توفي سنة ٢٧٥ وقيل سنة ٢٧٦<sup>(٣٢٣)</sup>.

وأبو اسحاق إبراهيم بن اسحاق بن أبي العنيس الزهري الكوفي. كان عالماً فقيهاً محدثاً، سمع الحديث على رجال زمانه ورواه، وكان طلاب الحديث يكتبون عنه وهو على قضاء مدينة المنصور، وكان صدوقاً ثقة محل الناس عنه حديثاً كثيراً، توفي سنة ٢٧٧<sup>(٣٢٤)</sup>.

وأبو حاتم محمد بن إدريس بن المنذر بن داود الحنظلي، أحد كبار حفاظ الحديث ويعتبر من أقران البخاري ومسلم، وله من المصنفات في الحديث: كتاب طبقات التابعين، توفي ببغداد في سنة ٢٧٧<sup>(٣٢٥)</sup>.

وأبو زرعة الدمشقي عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصرى من أهل دمشق، المتوفى سنة ٢٨٠، كان من أئمة زمانه في الحديث ورجاله، وله كتاب التاريخ وعلل الرجال، وكتاب مسائل في الحديث والفقه<sup>(٣٢٦)</sup>.

ومحمد بن بشار بن عثمان بن داود العبدى أبو بكر البصري ويعرف بِبُشار، كان من المحدّثين الثقات، روى عنه إبراهيم الحري وعبد الله بن أحمد بن حنبل، وأبو داود سليمان بن الأشعث، وكان قدم بغداد وحلّث بها، ويروى عن أبي داود أنه قال: كتبت عن بُشار نحو خمسين ألف حديث. ويقول صاحب الأعلام إن البخاري ومسلم كتبا عنه الحديث أيضاً. وقد توفي في رجب سنة ٢٥٢.

---

(٣٢٢) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٨٣، والزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ٧، ص ٢٤٠.

(٣٢٣) الزركلي، المصدر نفسه، ج ٨، ص ٣، والبغدادي، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ٢، ص ١٦. وسعي الكتاب: علل حديث الزهري.

(٣٢٤) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٩٤ - ٣٩٥.

(٣٢٥) المصدر نفسه، ج ٦، ص ٢٥ - ٢٦؛ أبو بكر محمد بن خلف وكيع، أخبار القضاة، صححه وعلّق عليه عبد العزيز مصطفى المراغي، ج ٣ (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٤٧)، ج ٣، ص ١٩٨، وابن تغييّر يردى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٣، ص ٧٦.

(٣٢٦) الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ٦، ص ٢٥٠، والبغدادي، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ٢، ص ١٩.

(٣٢٧) الزركلي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٩٤.

## ثالثاً: الفقه وأشهر الفقهاء

### ١ - علم الفقه وأصوله

القرآن الكريم هو المصدر الرئيسي للتشريع في الإسلام، إذ تضمنت آياته قواعد العلاقات الأساسية في المجتمع كالزواج والميراث والحرب والمعاملات وغيرها، إلى جانب الفروض الدينية وما تتضمنه من أوامر ونواهي. وتليه السنة النبوية وهي ما روي عن الرسول ﷺ من أقوال وأفعال بسند موثوق متصل. والفقه على رأي ابن خلدون هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والنذب والكراهية والإباحة، وهي مستمدة من الكتاب والسنة، وما نصبه الشارع لمعرفة من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لذلك فقه. ولا يخفى أن الأدلة من النصوص القرآنية والسنة قد يقع فيها الخلاف، لأن النصوص بلغة العرب وفي اقتضاءات ألفاظها لكثير من معانيها وخصوصاً الأحكام الشرعية اختلاف بينهم معروف. وكذلك السنة مختلفة الطرق في ثبوتها وتعارض بعض أحكامها مما يحتاج إلى الترجيح. كما أن بعض الوقائع المتجددة لا توفي بها النصوص، وما كان منها غير ظاهر في النصوص فيحمل على نص آخر لمشابهة بينها، بأن تقاس القضايا بما يشابهها. وكان الذي يتولى البت فيما يختلف عليه في صدر الإسلام حاملو القرآن العارفون بناسخه ومسحوخه، وبحكمه ومشابهه، وبسائر دلالاته، وكان يسمون القراء. إلا أنه بعد أن انتشر العرب وتقدموا في ميدان الحضارة أصبح الفقه صناعة وعلماً وأطلق على أصحابه اسم الفقهاء والعلماء بدلاً من القراء<sup>(٣٢٨)</sup>.

ولا يخفى أن توسع شؤون الحياة بمختلف نواحيها، وتنوع العلاقات الاجتماعية وازديادها، نتجت عنه مشاكل جديدة لا توفي بها نصوص القرآن والحديث والأحكام المستنبطة منها، فكان لا مناص من اللجوء إلى الاجتهاد إلى جانب القياس لإيجاد الحلول المناسبة لها. يقول الشهرستاني عن الحاجة إلى الاجتهاد والدجوء إلى القياس «وبالجملة نعلم قطعاً وقيناً أن الحوادث والوقائع في العبادات والتصرفات بما لا يقبل الحصر والعد. ونعلم قطعاً أيضاً أنه لم يرد في كل حادثة نص، ولا يتصور ذلك أيضاً. والنصوص إذا كانت متناهية والوقائع غير متناهية، وما لا يتناهى لا يضبط ما يتناهى، عُلم قطعاً أن الاجتهاد والقياس واجب الاعتبار حتى يكون بصدد كل حادثة اجتهاد. ثم لا يجوز أن يكون الاجتهاد مرسلاً خارجاً عن ضبط الشرع»<sup>(٣٢٩)</sup>.

وهكذا أخذ الفقه منذ القرن الثاني طريقتين: الأولى طريقة أصحاب الرأي، وهم أهل العراق: «وإذا سموا أصحاب الرأي والقياس لأن أكثر عنايتهم بتحصيل وجه القياس والمعنى المستنبط من الأحكام، وبناء الحوادث عليها. وربما يقدمون القياس الجلي على آحاد الأخبار. وقد قال أبو حنيفة - رأس أهل الرأي -: علمنا هذا رأي وهو أحسن ما قلنا عليه، فمن قدر على غير ذلك فله ما رأى، ولنا رأيانا»<sup>(٣٣٠)</sup>.

(٣٢٨) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ٢٤٣.

(٣٢٩) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، ج ٢ ص ١

(القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٦٧)، ج ١، ص ١٩٩.

(٣٣٠) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٠٧.

والثانية طريقة أصحاب الحديث وهم أهل الحجاز أصحاب الإمام مالك بن أنس «وإنما سموا أصحاب الحديث لأن عنايتهم بتحصيل الأحاديث ونقل الأخبار، وبناء الأحكام على النصوص، ولا يرجعون إلى القياس الجلي والخفي ما وجدوا خيراً أو أثراً»<sup>(٣٣١)</sup>.

والاجتهاد هو تحكيم الرأي للوصول إلى المقصود، ولذلك يسمى بالرأي أيضاً. أما القياس فهو مشابه القضايا المستجلة التي لا حل لها بأمثالها وأشباهها من القضايا السابقة. والقياس نوعان: قياس علة وقياس شبه، وقياس العلة أن تجمع المقيس والمقيس به علة، أما قياس الشبه فلا تجمع بينهما علة وإنما يقاس به عن طريق التشبيه، إلا أن كثيراً من الفقهاء لا يفرقون بينهما<sup>(٣٣٢)</sup>. على أن الرأي والقياس خضعا لما عُرِف بإجماع الأمة، ويقصد به ما اتفق عليه الصحابة من المهاجرين والأنصار، وكذلك ما اتفق عليه العلماء في كل زمن دون غيرهم من العامة<sup>(٣٣٣)</sup>.

لقد ساعد الاجتهاد والقياس والاجماع على توميع أمس التشريع وأصوله في الدولة العربية، وساعد على مرونته ومسايرته تطور المجتمع العربي الاسلامي بعد اتصال العرب بالأمم الأخرى، مما جعله قادراً على مواجهة المشاكل والقضايا التي تعترض الناس في حياتهم اليومية، دينية كانت أو دنيوية. وبذلك أصبح واجب الفقهاء أن يستخلصوا الحلول لما ينشأ من تصرفات الأشخاص من مشاكل وقضايا ضمن حدود الشريعة، ليضعوا كلاً منها في مكانها المناسب ويبينوا ما يترتب عليها من ثواب أو عقاب. وتسهيلاً لذلك حدد الفقهاء الأعمال بخمسة أنواع هي: أعمال يجب أداؤها، فيثاب فاعلها ويعاقب تاركها، وهي الفروض والواجبات. وأعمال نهى عنها الشرع يعاقب فاعلها، وهي المحرمات. وأعمال حض الشرع على فعلها فيثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها. وأعمال أحلها الشرع، فلا يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها، وهي المباحات من الأعمال. وأعمال لا يقرها الشرع، ولا يعاقب فاعلها، وهي المكروهات من الأعمال.

## ٢ - المذاهب الفقهية

قامت بين أصحاب الرأي وأهل الحديث خلافات كثيرة، ولهم فيها مصنفات ومناظرات، إلا أنها لم تخرج عن حدود الشريعة، وليس يلزم من ذلك تكفير ولا تفضيل، بل كل مجتهد مصيب<sup>(٣٣٤)</sup>. وكان لكل من اتباع الفريقين حججه وأسانيده. كما كثر الخلاف بين الفقهاء في الأحكام التي يستنبطونها من الأدلة الشرعية باختلاف مداركهم ووجهات نظرهم،

(٣٣١) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٠٦.

(٣٣٢) أبو عبد الله محمد بن أحمد الخوارزمي، مفاتيح العلوم (القاهرة: دار الطباعة المنيرية، ١٩٢٣)،

ص ٧.

(٣٣٣) المصدر نفسه، ص ٧.

(٣٣٤) الشهرستاني، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٠٧.

وهو خلاف لا بد من وقوعه لكثرة المسائل والشواهد والفروع. وكان للمقلدين من الناس أن يقلدوا من شاءوا من أولئك الفقهاء. وقد بدا لبعض من الوقت أن أصحاب الحديث قد تغلبوا على أهل الرأي والقياس عندما نادى الفقيه داود بن علي بن خلف الظاهري بالاعتدال في الأحكام الشرعية على المنقول، والتمسك بظواهر النصوص والاكتفاء بها. أي الاكتفاء بالكتاب والسنة وطرح ما سواهما من رأي وقياس. وقد تبعه خلق من الناس. إلا أنه لما أدل برأيه في القرآن بقوله: «إن الذي في اللوح المحفوظ غير مخلوق، وأما الذي هو بين الناس فمخلوق، أغضب جماعات كثيرة وبخاصة الحنابلة وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل الذي رفض أن يقابله»<sup>(٣٣٥)</sup>. وانتقده ابن الجوزي على تمسكه باللفظ ووصمه بالجمود والغفلة، فقال إن: «مذهبه طريق يدعى الجمود على النقل ويخالف كثيراً من الأحداث ويلتفت على مفهوم الحديث إلى صرورة لفظ وفي هذا تغفيل»<sup>(٣٣٦)</sup>. ولهذا ما لبث أن ضعف شأن مذهب داود وأصحابه ولم يستطع الاستمرار فاندثر واندرس بمرور الزمن.

ولما انتهى القرن الثالث كان التقليد قد انتهى إلى عدد من أئمة الفقه فاقصر الناس على تقليدهم، وتوقف الاجتهاد لصعوبته وتشعب مواده، وخشية اسناده إلى غير أهله. وكان الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت المتوفى سنة ١٥٠ إمام أهل العراق، وكان للرأي والقياس المكان الأول في فقهه، إذ «كان لفقهائه الحنفية اليد الطولى من الغوص على التكت الفقهية والتقاط هذه القوانين من مسائل الفقه ما أمكنهم»<sup>(٣٣٧)</sup>.

أما مالك بن أنس الملقب بإمام دار الهجرة، المتوفى سنة ١٧٩ فقد كان إمام أهل الحجاز، وهم أصحاب طريقة الحديث في الفقه باعتماد السنة النبوية، وكان يكره الأخذ بالرأي، إلا أنه أضاف إلى الحديث مبدأ الإجماع، ويقصد به أعمال أهل المدينة باعتبارهم قد اتبعوا نهج التابعين والصحابة قبلهم.

ثم كان بعده الإمام محمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤ وقد نهج أول أمره نهج الإمام مالك باتباع طريقة الحديث. إلا أنه عندما رحل إلى العراق واتصل بأصحاب أبي حنيفة وأخذ عنهم، مزج بين طريقة أهل الحجاز وطريقة أهل العراق، واختص بمذهب وسط بينهما، خالف فيه الإمام مالكاً في كثير من المسائل.

وجاء بعد الشافعي الإمام أحمد بن حنبل الذي كان أبرز محدثي عصره، فابتعد عن طريقة أهل الرأي والقياس والترم ب القرآن والحديث. ويعتبر مقلدوه أكثر الفئات الإسلامية حفظاً للسنة ورواية للحديث.

---

(٣٣٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٨، ص ٣٧٣، وابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٩، ص ٧٦.  
(٣٣٦) ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٧٥.  
(٣٣٧) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ٢٤٨.

وكان الشيعة قد انفردوا بنهج فقهي خاص يقر الاجتهاد وعصمة الائمة من آل بيت الرسول ﷺ، والأخذ بالأحاديث المروية بطريق الائمة.

يتضح مما سبق ذكره عن علم الفقه وأصوله أنه علم عربي اسلامي نشأ وتطور بحسب مقتضيات الزمن، وأنه لم يتأثر بأية آراء أو أفكار خارجية مما نقل وترجم من الكتب اليونانية وغيرها. وسبب ذلك واضح، هو أن قواعد هذا العلم وأصوله هي القرآن الكريم والسنة النبوية.

### ٣ - أشهر الفقهاء ومصنفاتهم

برز في خلال القرن الثالث عدد كبير من الفقهاء الأعلام من أتباع المذاهب الفقهية التي ذكرناها آنفاً، وكان لهم أثر مهم في تطوير تلك المذاهب ونشرها. وسنورد فيما يلي موجزاً بسيرة المشهورين منهم على اختلاف انتبائاتهم الفقهية، ونذكر مصنفاتهم الفقهية. ولا يغرب عن البال أن أسس هذه المذاهب قد ثبتت منذ النصف الثاني من القرن الثاني عدا المذهب الحنبلي الذي ثبتت أصوله في منتصف القرن الثالث. ولهذا فإن أغلب مصنفات الفقهاء في هذا القرن إنما هي شروح وتوضيحات أو اختصاصات وتلخيصات للأسس الفقهية المثبتة. وكلها تستهدف التبسيط والتوضيح. وسنعرض سير هؤلاء الفقهاء بحسب تسلسلهم الزمني:

#### أ - عبد الله القعني

أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسلمة بن قعنب الحارثي، ونسبته إلى جده وهو من أهل المدينة، أخذ العلم والحديث والفقه عن الامام مالك بن أنس وهو من جلة أصحابه وفضلائهم وثقاتهم. وقد روى عنه أصول فقهه وكتابه الموطأ. وسمي «الراهب» لزهده ونسكه وعبادته. سكن البصرة وبها توفي سنة ٢٢١، وهناك قول إن وفاته كانت بطريق مكة.

لم يذكر ابن النديم شيئاً عن مصنفاته<sup>(٣٣٨)</sup>.

#### ب - الحسن السراة

أبو علي الحسن بن محبوب السراة أو الزراد الكوفي، فقيه من علماء الشيعة الإمامية، من أصحاب الإمام علي الرضا وابنه الإمام محمد التقي المعروف بالجواد. نشأ السراة بالكوفة وعاش بها. وكان كثير التصانيف له ما يربو على خمسين كتاباً أغلبها في الفقه وعلوم القرآن، منها: كتاب الفرائض والحدود والديات، وكتاب النكاح، وكتاب الاحتجاج، وكتاب فضائل الأعيال، وكتاب فضائل القرآن، وكتاب التفسير، وكتاب طبقات الرجال، وكتاب

---

(٣٣٨) حول القعني، انظر: ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٢٩٥ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٢، ص ٢٤٤، والزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ٤، ص ٢٨٠.

النوادر<sup>(٣٣٩)</sup>. ويظهر أن له كتاباً في الأصول والفقه رواه عن الأئمة<sup>(٣٤٠)</sup>. توفي الحسن السُرّاد في سنة ٢٢٤هـ<sup>(٣٤١)</sup>.

### ج - يوسف البويطي

أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي، الفقيه الشافعي المصري، من قرية بويط - وهناك قريتان بهذا الاسم إحداهما بصعيد مصر والأخرى بقرى أسبوط، وهو منسوب إلى إحداهما<sup>(٣٤٢)</sup>. درس الفقه والحديث على الإمام الشافعي، وصار أقرب طلابه إليه، بما كان يتمتع به من صفات النباهة وقوة الحافظة والمواظبة على الدرس، فكان لا يفارق مجلسه، وقام مقامه في الدرس بعد وفاته. وقد اعتمده الشافعي في الفتاوى «وكان الرجل ربما يسأله عن المسألة فيقول له: سل أبا يعقوب، فإذا أجابه أخبره، فيقول: هو كما قال»<sup>(٣٤٣)</sup> وذلك دليل على عمق معرفته بفقه الشافعي وسعة اطلاعه عليه. وشهد له الشافعي ببراعته في الاحتجاج بالآيات القرآنية الكريمة، فقال: ما رأيت أحداً أبرع بحجة من كتاب الله مثل البويطي<sup>(٣٤٤)</sup> وقال عنه: «ليس أحد أحق مجلسي من يوسف، وليس أحد من أصحابي أعلم منه»<sup>(٣٤٥)</sup>.

كان البويطي، إلى براعته في الفقه، محدثاً ثقة أخذ الحديث، كما قلنا، عن الإمام الشافعي وعن محدثين آخرين، وروى عنه عديد من المحدثين والفقهاء منهم الربيع بن سليمان المرادي زميله في الدراسة على الشافعي، وإبراهيم الحربي<sup>(٣٤٦)</sup>.

وتعرض البويطي للمحنة وأريد على القول بخلق القرآن فلم يجب، فحمل من مصر إلى دار الخلافة مقيداً مغلولاً، فحبس بقيوده وأغللاه، وظل عيسياً إلى أن مات في شهر رجب سنة ٢٣١هـ<sup>(٣٤٧)</sup>. وللبويطي عدد من المصنفات في الفقه، ذكر ابن النديم منها كتاب المختصر الكبير، وكتاب المختصر الصغير، وكتاب الفرائض<sup>(٣٤٨)</sup>. ويضيف صاحب هدية

---

(٣٣٩) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٢٢٣؛ البندادي، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ١، ص ٢٦٦، والزركلي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٢٩ - ٢٣٠.

(٣٤٠) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٢٢.

(٣٤١) الزركلي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٢٩، والبندادي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٦٦.

(٣٤٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٢، ص ٢٦٠.

(٣٤٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٦، ص ٦١، والسبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٢، ص ٢٧٥.

(٣٤٤) ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٦٠.

(٣٤٥) السبكي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٧٥.

(٣٤٦) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٧٥، وابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٦، ص ٦٠.

(٣٤٧) الخطيب البندادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٤، ص ٣٠٣؛ ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٦٢، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٢، ص ٢٦٠.

(٣٤٨) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٣١٢.

العارفين كتاب مختصر الفروع، وكتاب النزهة الزهية<sup>(٣٤٩)</sup>. وجاء في قاموس الأعلام أن كتاب المختصر في الفقه اقتبسه البويطي من كلام الإمام الشافعي<sup>(٣٥٠)</sup>.

#### د - محمد بن سباعة

القاضي أبو عبد الله محمد بن سباعة بن عبيد الله بن هلال التميمي، من كبار الفقهاء وثقات المحدثين حتى قيل «لو كان أصحاب الحديث يصدقون في الحديث كما يصدق محمد بن سباعة في الرأي لكانوا فيه على نهاية»<sup>(٣٥١)</sup>. كان أحد أصحاب الرأي على مذهب أبي حنيفة، صاحب أبان يوسف القاضي ومحمد بن الحسن الشيباني، وهما قطبا مذهب أبي حنيفة بعد وفاته، وأخذ عنها أصول الفقه الحنفي، وروى عن ابن الحسن كنية<sup>(٣٥٢)</sup>. يقول عنه أبو المحاسن: «كان إماماً عالماً صالحاً بارعاً صاحب اختيارات وأقوال في المذهب، وله المصنفات الحسان وهو من الحفاظ الثقات»<sup>(٣٥٣)</sup>.

ولاه المأمون قضاء مدينة المنصور بعد وفاة القاضي يوسف بن أبي يوسف<sup>(٣٥٤)</sup>، واستمر في عمله على القضاء، رغم أنه لم يستجب للقول بخلق القرآن. ويظهر أن ورعه وسيرته الحسنة وعلمه الجم وعذله في أحكامه كانت أسباب استمراره<sup>(٣٥٥)</sup>. إلا أنه لما تقدمت به السن وضعف بصره صرف عن عمله.

ولد ابن سباعة في سنة ١٣٠ وبعد أن عُمِّر طويلاً مات ببغداد في سنة ٢٣٣ وهو معافى الجسم صحيح العقل<sup>(٣٥٦)</sup>. وله عدد من المصنفات في الفقه وأصوله، ذكر ابن النديم منها كتاب أدب القاضي، وكتاب المحاضر والسجلات، ويقول المسعودي: «لابن سباعة تصنيفات حسان في الفقه منها: كتاب نواذر المسائل، وقد وضعه عن أساتذته محمد بن الحسن، وهو في ألوف الأوراق. ويضيف صاحب هدية العارفين: كتاب مختصر الاكتساب في الرزق المستطاب»<sup>(٣٥٧)</sup>.

(٣٤٩) البغداد، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ٢، ص ٥٤٩.

(٣٥٠) الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين،

ج ٩، ص ٣٣٨.

(٣٥١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٥، ص ٣٤٢.

(٣٥٢) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم،

ص ٣٠٣؛ الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٣٤٢، وابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج ١،

ص ٤١٤.

(٣٥٣) ابن تقي بريدي، التاجم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٢، ص ٢٧١.

(٣٥٤) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٠٣، والخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٣٤١.

(٣٥٥) ابن تقي بريدي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٧١.

(٣٥٦) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٠٣؛ الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٤٤٣؛

المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٤، ص ٩٤، وابن تقي بريدي، المصدر نفسه، ج ٢،

ص ٢٧١.

(٣٥٧) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٠٣؛ المسعودي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٩٥، والبغداد،

هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ٢، ص ١٢.



## هـ - اسحاق بن ابراهيم الحنظلي

الفيق المحدث أبو يعقوب اسحاق بن ابراهيم بن مخلد بن ابراهيم الحنظلي التميمي - نسبة إلى حنظلة بن مالك وينسب إليه بطن من تميم - وقد اشتهر بابن راهويه . وقد لقب أبو اسحاق براهويه لأنه ولد في الطريق إلى مكة ، وروي عن اسحاق أن أباه كان يكره هذا اللقب ، وكذلك كان الإمام أحمد بن حنبل يكره أن يقال ابن راهويه ، ويقول : هو اسحاق بن ابراهيم الحنظلي ، ولم يعبر الجسر إلى خراسان مثله ، واعتبره علماً من أعلام الدين<sup>(٣٥٨)</sup> . وقد اجتمع لاسحاق الحديث والفقه والورع والزهد والحفظ والصدق ، وصار عالم خراسان في عهده ، وعاش أكثر أيامه في مرو ، ولهذا يقال له المروزي أحياناً . وهو من جلة أصحاب أحمد بن حنبل<sup>(٣٥٩)</sup> .

رحل اسحاق بن ابراهيم في طلب العلم والحديث والفقه إلى العراق والحجاز واليمن وبلاد الشام ، وسمع من ثقات المحدثين مثل اسماعيل بن عُلَية ، وسفيان بن عيينة ، وكيع بن الجراح ، وروى عنه كبار المحدثين كأحمد بن حنبل والبخاري ومسلم ، والترمذي<sup>(٣٦٠)</sup> . واشتهر اسحاق بقوة حفظه ، قال عنه أبو زرعة الفقيه المحدث ما روي احفظ من اسحاق ، وأنه كان يحفظ المتون بأساندها<sup>(٣٦١)</sup> . وقيل له يوماً إنك تحفظ مئة ألف حديث؟ قال : مئة ألف حديث! ما أدري ما هو ، ولكني ما سمعت شيئاً قط إلا حفظته ، ولا حفظت شيئاً قط فنسيته<sup>(٣٦٢)</sup> .

كانت ولادة اسحاق في سنة ١٦١ وقيل ١٦٣ وقيل ١٦٦ ، وقد سكن آخر عمره في نيسابور ، وبها توفي ليلة الخميس النصف من شعبان سنة ٢٣٧ وقيل ٢٣٨<sup>(٣٦٣)</sup> . وذكر له ابن النديم من مصنفاته الفقهية : كتاب السنن في الفقه ، وكتاب التفسير<sup>(٣٦٤)</sup> .

---

(٣٥٨) الخطيب البغدادي ، المصدر نفسه ، ج ٦ ، ص ٤٤٨ ، وابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ١ ، ص ١٧٩ .

(٣٥٩) ابن النديم ، المصدر نفسه ، ص ٣٣٥ .

(٣٦٠) الخطيب البغدادي ، المصدر نفسه ، ج ٦ ، ص ٣٤٥ - ٣٤٦ ، وابن خلكان ، المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٧٩ .

(٣٦١) الخطيب البغدادي ، المصدر نفسه ، ج ٦ ، ص ٣٥٣ .

(٣٦٢) المصدر نفسه ، ج ٦ ، ص ٣٥٥ ، وابن خلكان ، المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٧٩ .

(٣٦٣) الخطيب البغدادي ، المصدر نفسه ، ج ٦ ، ص ٣٥٥ ، ابن خلكان ، المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٧٩ - ١٨٠ ؛ محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء أبو يعلى ، طبقات الختابة ، وقفت على طبعه محمد حامد الفقي ، ج ٢ ، ١ (القاهرة : مطبعة السنة المحمدية ، ١٩٥٢) ، ج ١ ، ص ١٠٩ وفيه أنه توفي سنة ٢٤٣ ، وابن تفرج برقي ، التجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ٢ ، ص ٢٩٠ .

(٣٦٤) ابن النديم ، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم ، ص ٣٣٥ .

## و- بشر بن الوليد

أبو الوليد بشر بن الوليد بن خالد الكندي الحنفي، من أصحاب القاضي أبي يوسف وعنه أخذ أصول الفقه الحنفي، وسمع الحديث على ابن عيينة، وكان ابن عيينة يتوسم فيه نجابة وخيراً، قال بشر «كنا نكون عند ابن عيينة فإذا وردت عليه مشكلة، يقول: هل من أحد من أصحاب أبي حنيفة؟ فيقال له: بشر، فيقول لي: أحب فيها، فأجيب، فيقول: التسليم للفقه سلامة في الدين»<sup>(٣٦٥)</sup>. يقول عنه ابن النديم إنه من كبار أصحاب الرأي صليب النسب، عفيف، ولي القضاء للمأمون<sup>(٣٦٦)</sup>.

تولى بشر القضاء بعسكر المهدي من جانب بغداد الشرقي، ثم نقل إلى قضاء مدينة المنصور، وما لبث أن صرف عنه، ولما عزل المأمون إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة، أعاد بشر بن الوليد على قضاء مدينة المنصور<sup>(٣٦٧)</sup>. وقد اتصف بشر بالجرأة والصراحة وصلابة الرأي، وابتلي بالحنة فلم يستجب، فأعفاه المعتصم بالله من القضاء، وأمر أن يحبس في منزله، ووكل ببابه الشرط، ونهاه عن أن يفتي أحداً بشيء. إلا أنه لما تولى المتوكل على الله الخلافة وألغى المحنة أمر بإطلاق بشر بن الوليد وأن يفتي بالناس ويحدثهم<sup>(٣٦٨)</sup>.

توفي بشر بن الوليد ببغداد في شهر ذي القعدة من سنة ٢٣٨ وكان قد أصيب بالفالج، ودفن في مقابر باب الشام<sup>(٣٦٩)</sup>. أما مصنفاته فلم يذكر ابن النديم عنها شيئاً، إلا أن صاحب هدية العارفين يقول إنه صنف جوامع أبي يوسف في الفروع وهو كتاب في الفقه<sup>(٣٧٠)</sup>.

## ز- عبد السلام سحنون

أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي، الملقب بسحنون - وسحنون اسم طائر بالمغرب حاد الذهن - وأصله من حمص، ولد بالقيروان وبها نشأ ودرس على فقهاءها وعلماؤها، ثم رحل إلى مصر لتلقي العلم على أشهر تلاميذ الإمام مالك: عبد الرحمن بن القاسم العتقي، وعبد الله بن وهب بن مسلم الفهري، وأشهد بن عبد العزيز القيسي، ثم عاد إلى القيروان، وقد صنف كتاب المدونة في فقه الإمام مالك، وكان قد أخذها عن ابن القاسم ورتبها واحتج لبعض مسائلها بالأثار من روايته من موطأ ابن وهب وغيره، وعليها يعتمد أهل القيروان<sup>(٣٧١)</sup>.

(٣٦٥) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٧، ص ٨٢.

(٣٦٦) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٠٠.

(٣٦٧) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٧، ص ٨١.

(٣٦٨) المصدر نفسه، ج ٧، ص ٨٣.

(٣٦٩) المصدر نفسه، ج ٨، ص ٨٤، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،

ج ٢، ص ٢٩٢.

(٣٧٠) البغدادي، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ١، ص ٢٣٢.

(٣٧١) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٢، ص ٣٥٢، والزركلي، الأعلام: قاموس

تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ٤، ص ١٢٩.

لقد اشتهر الفقيه سحنون وحصل له من الأصحاب والتلاميذ ما لم يحصل لأحد من أصحاب مالك، وعنه انتشر المذهب المالكي في ديار المغرب، وإليه انتهت رياسته هناك<sup>(٣٧٧)</sup>.

وكان سحنون زاهداً جريئاً لا يهاب أحداً في حق يقوله، وقد أعجب به الأمير ابن الأغلب محمد الأول (٢٢٦ - ٢٤٢) وولاه القضاء بعد أن أبي وامتنع مدة مخافة أن يتدخل أحد في عمله، فتعهد له الأمير بأن يطلق يده في أحكامه وتنفيذها، ولم يزل على القضاء حتى وفاته<sup>(٣٧٨)</sup>.

وكانت العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه تدرس في حلقات التعليم بجامع القيروان، وكان أصحاب الآراء والمذاهب المختلفة يتناظرون في مذاهبهم. ولما تولى سحنون القضاء منع التدريس لمن لم يكن على مذاهب السنة، ففرق حلقات أهل البدع والأهواء من المسجد الجامع وأمرهم ألا يجتمعوا فيه<sup>(٣٧٩)</sup>.

كانت ولادة سحنون بالقيروان في أول ليلة من رمضان سنة ١٦٠، وبها توفي لتسع خلون من رجب سنة ٢٤٠<sup>(٣٨٠)</sup>.

### ح - يحيى بن أكثم

أبو محمد يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي، من ولد أكثم بن صيفي التميمي حكيم العرب قبل الإسلام وأحد المعمرين المشهورين. وكان يحيى فقيهاً من أصحاب الشافعي، مجتهداً، بصيراً بالأحكام، عالماً بالقرآن والحديث واللغة، يوصف بسعة العلم واتقان الفقه، سمع الحديث على عبد الله بن المبارك وسفيان بن عيينة الهلالي الكوفي، وغيرهما، وروى عنه عدد من كبار أهل الحديث منهم أبو عيسى الترمذي<sup>(٣٨١)</sup>. وقد عارض المعتزلة في قولهم بخلق القرآن، فكان يقول: القرآن كلام الله فمن قال إنه مخلوق يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه<sup>(٣٨٢)</sup>.

تولى يحيى بن أكثم قضاء البصرة وهو في حوالى العشرين من عمره، فاستصغره شيوخها فسألوه عن سنه إخراجاً له، فأجاب بأنه أكبر من عتاب بن أسيد حين ولاه

---

(٣٧٢) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٥٤.

(٣٧٣) أبو عبد الله محمد بن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج. س. كولان وليفي بروفسال، ج ٤ (بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٧)، ج ١، ص ١٠٩.

(٣٧٤) حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية في الريف الشامي (تونس: مطبعة المنار، ١٩٦٤)، ص ١٠٧.

(٣٧٥) ابن خلكان، وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٢، ص ٣٥٤؛ ابن تقي بريدي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٢، ص ٣٠٣، والزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ٤، ص ١٢٩.

(٣٧٦) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٩٧.

(٣٧٧) المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٩٨.

الرسول ﷺ القضاء على مكة، فكان جوابه احتجاجاً أفتهم بلباقته<sup>(٣٧٨)</sup>. وقد اتصل يحيى بالخليفة المأمون لما كان بمرو، ويقال إنه استدعاه للقضاء فنظر إليه، وكان يحيى دميم الخلق، فلم أن الخليفة استحققه، فقال: يا أمير المؤمنين، سلمي إن كان القصد علمي لا خلقي<sup>(٣٧٩)</sup>. وتغير يحيى بسعة العلم وحدة الذهن وحضور البديهة مع دهاء وقدرة عظيمة على الجدل، بحيث أخذ بمجامع قلب المأمون فلم يتقدم عليه أحد من الناس عنده، فقلده منصب قاضي القضاة وأوكل إليه تدبير أهل مملكته، فكان الوزراء لا يعملون في شيء إلا بعد مطالعته<sup>(٣٨٠)</sup>. وكان الخليفة يستصحبه معه في بعض رحلاته وغزواته، فيركب يحيى معه بمنطقة وقباء وسيف بمعلق، وفي الشتاء يركب في أقبية الحز، وقلانس السّمور، والسروج المكشوفة<sup>(٣٨١)</sup>.

إلا أن المأمون لما خرج إلى مصر في سنة ٢١٦ سخط على يحيى بن أكنم وأمر بنفيه من عسكره، ونزع السواد عنه، وأخرجه إلى بغداد، وأمره ألا يغادر منزله<sup>(٣٨٢)</sup>. ويظهر مما جاء في وصية المأمون إلى أخيه أبي اسحاق أنه كان يتهم يحيى بالخيانة وخبث السيرة، إذ جاء فيها «ولا تتخذن بعدي وزيراً تلقى إليه شيئاً، فقد علمت ما تكبني به يحيى بن أكنم في معاملة الناس وخبث سيرته حتى أبان الله ذلك منه في صحة مني، فصرّت إلى مفارقتي، قالياً غير راض بما صنع في أموال الله وصدقائه، لا جزاء الله عن الاسلام خيراً»<sup>(٣٨٣)</sup>. وظل مبعداً عن القضاء طيلة أيام المعتصم بالله وابنه الواثق بالله.

ويعزو اليعقوبي غضب المأمون على يحيى بن أكنم إلى الوشاية، إذ سبق ليحيى أن وشى بالمعتصم إلى المأمون وقال له: إنه بلغني أنه يحاول الخلع. وكان المأمون قد بعث أخاه أبا إسحاق إلى مصر في سنة ٢١٤ عندما استفصلت الأمور فيها، فرجه إليه بأمره بالقدوم. ولما خرج المأمون بنفسه إلى مصر في سنة ٢١٦ ومعه يحيى بن أكنم، وشى محمد بن أبي العباس وأحمد بن أبي دؤاد يبيحان إلى المأمون تقريباً إلى أبي اسحاق، فسخط عليه المأمون<sup>(٣٨٤)</sup>.

ولما عزل المتوكل على الله قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد في سنة ٢٣٧ أعاد يحيى بن أكنم إلى منصب قاضي القضاة وأضاف إليه النظر في المظالم وخلع عليه خمس خلع<sup>(٣٨٥)</sup>. إلا

(٣٧٨) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ١٤، ص ١٩٨ ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٩٥، وابن العباد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج ٢، ص ١٠١.  
(٣٧٩) ابن العباد الحنبلي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٠٢.  
(٣٨٠) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ١٤، ص ١٩٧ ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٩٨، وابن العباد الحنبلي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٠١.  
(٣٨١) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٤، ص ٢٢.  
(٣٨٢) أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢ (بيروت: دار صادر، ١٩٦٠)، ج ٢، ص ٤٦٦، والمسعودي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٣.  
(٣٨٣) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٦٤٩.  
(٣٨٤) اليعقوبي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٦٥ - ٤٦٦.  
(٣٨٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ١٤، ص ٢٠١، والطبري، المصدر نفسه، ج ٩، ص ١٨٨.

أنه ما لبث أن غضب عليه فعزله في سنة ٢٤٠ وأمر بمصادرته وألزمه بيته. وخرج يحيى إلى الحج في موسم سنة ٢٤٢ ويقال إن المتوكل على الله نفاه إلى مكة<sup>(٣٨٦)</sup>. وعند عودته توفي بقرية الرُبذة في يوم الجمعة منتصف ذي الحجة من السنة المذكورة، ويقال في مطلع السنة التالية، فدفن هناك<sup>(٣٨٧)</sup>.

أما مصنفات يحيى بن أكثم فيقول عنها ابن خلكان «وكانت كتب يحيى في الفقه أجل كتب إلا أن الناس تركوها لطولها، وله كتب في الأصول، وكتاب أورده على العراقيين سواه كتاب التبيين»<sup>(٣٨٨)</sup>. ويذكر له صاحب هدية العارفين كتاب إيجاب التمسك بأحكام القرآن<sup>(٣٨٩)</sup>.

### ط - الفضل بن شاذان

أبو محمد الفضل بن شاذان بن الخليل الأزدي، من كبار فقهاء الشيعة الإمامية وأحد علماء الكلام البارزين، وقد سبق أن ذكرنا في موضوع علم الكلام أن ابن النديم اعتبره أحد الأئمة في علوم القرآن والروايات، وذكر مصنفته في علوم القرآن. وكان ابن شاذان من الفقهاء المصنفين، يقول صاحب هدية العارفين إن له ١٨٠ مصنفاً، ذكر له منها ما يتعلق بعلم الفقه: كتاب الإيمان، وكتاب السنن، وكتاب الفرائض الكبير، وكتاب الفرائض الأوسط، وكتاب الفرائض الصغير، وكتاب المسائل الأربع في الإمامة، وكتاب الطلاق<sup>(٣٩٠)</sup>. كما ذكر له ابن النديم كتاباً فقهياً هو كتاب السنن<sup>(٣٩١)</sup>. توفي ابن شاذان في سنة ٢٦٠<sup>(٣٩٢)</sup>.

### ي - عمر الخصاف

أبو بكر أحمد بن عمر بن مهير الشيباني البغدادي المعروف بالخصاف الحنفي، من أعلام أصحاب أبي حنيفة، أخذ الفقه عن أبيه عن الحسن بن زياد اللؤلؤي عن أبي حنيفة<sup>(٣٩٣)</sup>. كان ورعاً زاهداً يأكل من كسب يده<sup>(٣٩٤)</sup>، وفقهياً فرضياً حاسباً، عالماً بمذهب أبي

(٣٨٦) (٢٨٦) وكيع، أخبار القضاة، ج ٣، ص ٣٠٣.

(٣٨٧) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ١٤، ص ٢٠٣، وابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٥، ص ٢١٢.

(٣٨٨) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٠٠ - ٢٠١.

(٣٨٩) البغدادي، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وأثار المصنفين، ج ٢، ص ٥١٥.

(٣٩٠) المصدر نفسه، ج ١، ص ٨١٧.

(٣٩١) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٣٣٧.

(٣٩٢) الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين،

ج ٥، ص ٣٥٥، والبغدادي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٨١٧.

(٣٩٣) عبد القادر، نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي، ص ٢٥٠.

(٣٩٤) الزركلي، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٧٨.

حنيفة، متقدماً عند الخليفة المهدي بالله وقد وضع له كتاب الخراج، فلما قتل الخليفة نهب بيت أبي بكر فذهب بعض كتبه<sup>(٣٩٥)</sup>.

صنف الخصاف عدداً من الكتب في مواضيع فقهية، ذكر ابن النديم منها: كتاب الحبل، وكتاب الوصايا، وكتاب الشروط الكبير، وكتاب الشروط الصغير، وكتاب الرضاع، وكتاب المحاضر والسجلات، وكتاب أدب القاضي، وكتاب أحكام الوقوف، وكتاب إقرار الورثة بعضهم لبعض<sup>(٣٩٦)</sup>.

توفي الخصاف ببغداد في سنة ٢٦١هـ<sup>(٣٩٧)</sup>.

### ك - الأثرم

أبو بكر أحمد بن محمد بن هاني الطائي، ويقال له الكلبي الأثرم، صاحب الإمام أحمد بن حنبل، سمع الحديث عن الإمام أحمد وعفان بن مسلم وأبي الوليد الطيالسي والقعني وغيرهم من رجال الحديث، وروى عنه عدد من كبار المحدثين منهم يحيى بن محمد بن صاعد وعمر بن محمد الجوهري، وكان فقيهاً محدثاً يُعَدُّ في الحفاظ الأذكياء، يقطاً شديداً للملاحظة، حتى قال عنه يحيى بن معين: أحد أبوي الأثرم جني<sup>(٣٩٨)</sup>.

نقل عن الإمام أحمد مسائل كثيرة صنّفها ورتبها أبواباً، وكان يحفظ الحديث عارفاً به ويأبواه ومسانده، فلما صحب أحمد بن حنبل ترك ذلك وأقبل على مذهب أبي عبد الله، ويرى عنه قوله: كنت أحفظ الفقه والاختلاف فلما صحبت أحمد بن حنبل تركت ذلك كله<sup>(٣٩٩)</sup>.

ومن مصنفاته الفقهية التي ذكرها ابن النديم: كتاب السنن في الفقه على مذهب أحمد وشواهد من الحديث، وذكر مصنفاته في الحديث<sup>(٤٠٠)</sup>. ويقول الخطيب البغدادي إن كتابه في علل الحديث ومسائل أحمد تدل على علمه ومعرفته<sup>(٤٠١)</sup>.

---

(٣٩٥) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٣٠٤.

(٣٩٦) المصدر نفسه، ص ٣٠٤ - ٣٠٥.

(٣٩٧) الزركلي، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٧٨، والبغدادي، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ١، ص ٤٩.

(٣٩٨) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٥، ص ١١٠، وأبو يعلى، طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٦٦ و٧٣.

(٣٩٩) أبو يعلى، المصدر نفسه، ج ١، ص ٦٦ و٧٢.

(٤٠٠) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٣٣٥.

(٤٠١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٥، ص ١١٠.

كانت وفاته في اسكاف بني الجنيد وهو من أهلها، وذلك في سنة ٢٦١ ويقال في سنة ٢٧٠هـ.

## ل - إسماعيل المُرَني

أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن عمرو بن إسحاق المُرَني، نسبة إلى مُرَنة وهي قبيلة مضرية كبيرة، ولد بمصر سنة ١٧٥ وبها نشأ وعاش، درس الحديث على الإمام الشافعي ونعيم بن حماد، وروى عنه أبو بكر بن خزيمة والطحاوي أحمد بن محمد بن سلامة وغيرهما من علماء الشافعية، وكان من الأئمة المشهورين وقد تفقه به جماعة<sup>(١)</sup>.

صحب المُرَني الإمام الشافعي ولازمه ودرس عليه فقهه، وكان مجتهداً قوي الحجة، بارعاً في معرفة طرق إمامه وفتاويه وما ينقله عنه. قال عنه ابن النديم إنه كان ورعاً فقيهاً على مذهب الشافعي، ولم يكن في أصحاب الشافعي أفقه منه<sup>(٢)</sup>. وكان الإمام الشافعي يراه لما يراه فيه من حماسة المذهب، وإعجاباً ببراعته وقوة حجته وبيانه، فقال عنه: «كان جبل علم مناظراً عجائباً لو ناظر الشيطان لغلبه»، وكثيراً ما كان يقول: المُرَني ناصر مذهبي<sup>(٣)</sup>. وقال الربيع بن سليمان، وهو من تلاميذ الشافعي وأصحابه المقربين إليه: «كنا جلوساً بين يدي الشافعي رضي الله عنه أنا والبيوطي والمُرَني... ثم نظر إلى المُرَني فقال: ترون هذا؟ إنه سيأتي زمان لا يفسر شيئاً فيخطئه...» وقال الربيع أيضاً «دخلت على الإمام الشافعي عند وفاته، وعنده البيوطي والمُرَني وابن عبد الحكم، فنظر إلينا ثم قال وأما أنت يا أبا يعقوب... وأما أنت يا مُرَني فستكون لك في مصر منات ومهات، ولنترك زماناً تكون فيه أقيس أهل زمانك...»<sup>(٤)</sup>.

كان المُرَني قد صنف كتباً كثيرة أغلبها في الفقه الشافعي، ذكر ابن النديم منها: كتاب المختصر الصغير، وكتاب المختصر الكبير، وكتاب الوثائق، وذكر ابن خلكان إضافة إليها: كتاب الجامع الكبير، وكتاب الجامع الصغير، وكتاب مختصر المختصر، وكتاب المشور، وكتاب المسائل المعتبرة، وكتاب الترغيب في العلم، وكتاب الوثائق. ويضيف صاحب هدية العارفين: كتاب المبسوط في الفروع، وكتاب المختصر في الفروع. وقد اعتبر كتابه المختصر أصل الكتب المصنفة في المذهب الشافعي وعليه يعول أصحابه وله يقرأون، وقد تناوله من

(٤٠٢) المصدر نفسه، ج ٥، ص ١١٢؛ الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ١، ص ١٩٤، والبغداد، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وأثار المصنفين، ج ١، ص ٥٠.

(٤٠٣) ابن خلكان، وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ١، ص ١٩٦؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ١، ص ٢٣٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٣، ص ٣٩، وابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٣١٢. وجاء اسمه فيه: أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم المُرَني.

(٤٠٤) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣١٢ - ٣١٣.

(٤٠٥) السبكي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٣٨، وابن خلكان، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٩٦.

(٤٠٦) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٢.

جاء بعد المزي من فقهاء الشافعية بالشرح والاختصار، والتصنيف على منواله<sup>(٤٠٧)</sup>.

توفي المزي بمصر سنة ٢٦٤ إلا أنه اختلف في يوم وفاته، يقول ابن النديم إنه توفي بمصر يوم الأربعاء ودفن يوم الخميس سلخ شهر ربيع الأول، ويقول ابن خلكان إنه توفي لست بقين من شهر رمضان ودفن بالقرب من تربة الإمام الشافعي بسفح المقطم. ويقول مثله صاحب الطبقات الكبرى<sup>(٤٠٨)</sup>.

## م - محمد بن الثلجي

أبو عبد الله محمد بن شجاع ويعرف بابن الثلجي البغدادي، فقيه أهل العراق في أيامه، من أصحاب أبي حنيفة، قرأ الفقه على الحسن بن زياد اللؤلؤي تلميذ أبي حنيفة، وأخذ الحديث عن إساعيل بن عُلَيْيَّة ووكيع وطبقتهما، وصار إماماً وعليه تخرج غالب علماء عصره<sup>(٤٠٩)</sup>. ولد، كما قال عن نفسه في اليوم الثالث والعشرين من رمضان سنة ١٠١ وتوفي فجأة وهو يؤدي صلاة العصر، لأربع أو عشر خلون من ذي الحجة سنة ٢٦٦<sup>(٤١٠)</sup>. إلا أن ابن النديم يقول إنه توفي سنة سبع وقيل ست وخمسين ومئتين، يوم الثلاثاء لعشر خلون من ذي الحجة<sup>(٤١١)</sup>.

كان ابن الثلجي أبرز فقهاء الحنفية في أيامه وله جهود كبيرة في نشر مذهب أبي حنيفة وتثبيته، ويقول عنه ابن النديم إنه كان «مرزاً على نظرائه من أهل زمانه، فقيهاً ورعاً وثباتاً على رأيه، وهو الذي نثرت فقه أبي حنيفة واحتج له وأظهر علله، وقوّاه بالحديث، وحلّاه بالصدور، وكان من الواقفة على الفرائض، وإلا أنه يرى رأي أهل العدل والتوحيد»<sup>(٤١٢)</sup>. ويفهم من هذا أن ابن الثلجي كان يميل إلى مذهب المعتزلة. وكان الإمام أحمد بن حنبل يطلع في روايته الحديث ويتهمه بالكذب، وأنه مبتدع كذاب لا تجوز الرواية عنه، ويقال إن المتروكل على الله سأل الإمام أحمد عن ابن

---

(٤٠٧) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٣١٣؛ ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٩٦؛ حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ٢، ص ١٦٣، والبغدادي، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ١، ص ٢٠٧.

(٤٠٨) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣١٣؛ ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٧٦، والسبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٢، ص ٢٣٩.

(٤٠٩) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٥، ص ٣٥٠؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٥، ص ٥٧، وابن تقيي بريدي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٣، ص ٤٢.

(٤١٠) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٣٥٢؛ ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٥٨، وابن تقيي بريدي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٢.

(٤١١) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٣٠٥.

(٤١٢) المصدر نفسه.



الثلجي لولاية القضاء فطعن في أمانته<sup>(١١٦)</sup>. ويظهر أن ميول ابن الثلجي الاعتزالية هي التي جعلت الإمام أحمد بن حنبل يقف منه موقفه المذكور.

أما عن مصنفات ابن الثلجي فقد ذكر ابن النديم من مصنفاته الفقهية، كتاب تصحيح الآثار الكبير، وكتاب النوادر، وكتاب المضاربة، ويضيف صاحب هدية العارفين: كتاب التجريد في الفقه، وكتاب الكفارات، وكتاب المناسك<sup>(١١٧)</sup>.

#### ن - ابن عبدون

محمد بن عبدون بن أبي ثور الرُعيني، أبو العباس، من كبار فقهاء الخفية في القيروان، كان بارعاً في الأمور الشرعية، وقد ولي القضاء في إفريقية في أيام الأمير إبراهيم الثاني (٢٦١ - ٢٨٩) الذي كان معجباً به لعلمه وفطنته. بحيث لما خرج إلى صقلية غازياً وخلفه ابنه عبد الله في الإمارة أوصاه بابن عبدون، وقال له: احفظه لي.

توفي ابن عبدون بالقيروان سنة ٢٠٧ بعد استيلاء الفاطميين على إفريقية<sup>(١١٨)</sup>.

#### س - ابن عبد الحكم

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين الفقيه المصري من أصحاب الإمام مالك. وكان أبوه عبد الله بن عبد الحكم المتوفى بمصر سنة ٢١٤ عالماً فقيهاً من جلة أصحاب مالك وأعلمهم، وروى عن الإمام مالك الموطأ سماعاً<sup>(١١٩)</sup>.

لما قدم الإمام الشافعي إلى مصر صحبه محمد بن عبد الحكم وأخذ عنه، ويبدو أنه رغم روايته عنه وملازمته له حتى عرف بصاحب الشافعي، ظل على انتسائه إلى فقه الإمام مالك، وقد انتهت إليه رياسته في مصر<sup>(١٢٠)</sup>.

يقول ابن النديم عن ابن الحكم إنه أخذ عن الشافعي وروى عنه وتميَّز عن أخويه المالكيين، وله من الكتب كتاب السنن على مذهب الشافعي<sup>(١٢١)</sup>. ويقول أبو المحاسن: أبو عبد الله فقيه أهل مصر ومحدثهم، وكان يعرف بصاحب الشافعي لأنه أسند عنه، وكان

---

(٤١٣) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٣٥١، وابن الجوزي، المصدر نفسه، ج ٥،

ص ٥٧.

(٤١٤) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٠٥، والبغدادي، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار

المصنفين، ج ٢، ص ١٧.

(٤١٥) عبد الوهاب، وركات عن الحضارة العربية في إفريقيا الشمالية، ص ٢٦٠ - ٢٦١.

(٤١٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٢، ص ٢٣٩.

(٤١٧) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٣٣، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،

ج ٣، ص ٤٤.

(٤١٨) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم،

ص ٣١٢.

مالكى المذهب، وامتنحن بعد أن حل إلى بغداد فثبت على السنة<sup>(١١١)</sup>. ويقول ابن خلكان إنه حل في المحنة إلى القاضي أحمد بن أبي دؤاد فلم يجب إلى ما طلب منه، فردَّ إلى مصر، ويقول إن النسائي روى عنه عدداً من الأحاديث في سنته<sup>(١١٢)</sup>.

كان مولد أبي عبد الله محمد بن الحكم بمصر في سنة ١٨٢ وبها كانت وفاته في يوم الأربعاء ليلة خلت من ذي القعدة، وقيل منتصفه، من سنة ٢٦٨<sup>(١١٣)</sup>.

ومن مصنفاته الأخرى في الفقه: كتاب الرد على الشافعي فيما خالف فيه الكتاب والسنة، وكتاب الرد على فقهاء العراق، وكتاب مصابيح الظلم<sup>(١١٤)</sup>.

### ع - بكار بن قتيبة

القاضي أبو بكر بن قتيبة بن أبي بردة بن عبيد الله بن بشر، من أحفاد الحارث بن كلدة الثقفي طبيب العرب وأحد الحكماء المشهورين. ولد بالبصرة في سنة ١٨٢ وبها نشأ محدثاً فقيهاً، من أصحاب أبي حنيفة<sup>(١١٥)</sup>. أخذ الفقه عن هلال بن يحيى المشوفي سنة ٢٤٥ الملقب بالرأي لسعة علمه وأخذته بالقياس، وعيسى بن أبان قاضي البصرة ومن كبار فقهاء الحنفية، وأخذ الحديث عن عدد من مشهوري محدثين آنذاك<sup>(١١٦)</sup>.

كان بكار واسع العلم عارفاً بأصول الفقه، وقد ولاه التوكل على الله قضاء مصر في سنة ٢٤٦ وأجرى عليه راتباً شهرياً قدره ١٦٨ ديناراً، فكان يتحرى العدل في أحكامه، ويكثر النصح والوعظ للخصوم، ويحاسب أمناءه، ويسأل عن الشهود، وإذا ما خلا بنفسه استعرض من تقدم إليه وما حكم به<sup>(١١٧)</sup>.

ولما جاء الأمير أحمد بن طولون والياً على مصر في سنة ٢٥٤ أعجب بالقاضي بكار لعدالته ونزاهته وسعة علمه ومعرفته بالحديث، فكان يعظمه ويرفع من قدره، ويمنحه في كل سنة ألف دينار خارجاً عن الراتب المقرر له<sup>(١١٨)</sup>. إلا أنه لما اختلف ابن طولون مع الأمير الموفق وخلعه من ولاية العهد لمخالفته أخيه الخليفة المعتمد على الله، وأعلن ذلك في مجلسه وأشهد عليه الحاضرين، شهد أغلبهم وأيدوا ابن طولون. أما بكار فقد امتنع عن الشهادة

(١١٩) ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٤.

(١٢٠) ابن خلكان، وفیات الأعيان وأنباء الزمان، ج ٣، ص ٣٣٣.

(١٢١) المصدر نفسه، وابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٤.

(١٢٢) البغدادي، هدية العارفين: أسناء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ٢، ص ١٨، والزركلي، الأعلام:

قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ٧، ص ٩٤ - ٩٥.

(١٢٣) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٥٢ - ٢٥٣، والكندي، كتاب الولاية وكتاب القضاة،

ص ٥٠٥، وفيه: بكار بن قتيبة بن عبيد الله بن أبي بردة.

(١٢٤) الكندي، المصدر نفسه، ص ٥٠٥.

(١٢٥) المصدر نفسه، ص ٥٠٧.

(١٢٦) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٥٢، والكندي، المصدر نفسه، ص ٥١٢.

والخلع وقال: لم يصح عندي ما فعله أبو أحمد الموفق، ولم أعلمه. فغضب ابن طولون عليه وطالبه برد الجوائز التي كان أجازها بها، فأحضرت وكانت على حالها بأختامها، وأمر بسجنه وسجن كاتبه وأصحابه وأمرهم برفع حساب ما جرى على أيديهم<sup>(١١٣)</sup>. ولبت بكار في السجن قرابة الستين، فشكا طلاب الحديث إلى ابن طولون انقطاع سماعهم من بكار وسألوه أن يأذن له بالحديث ففعل، فكان بكار يحدّثهم من طاق في السجن<sup>(١١٤)</sup>.

توفي بكار بن قتيبة في سجنه بمصر يوم الخميس لخمس خلون من ذي الحجة سنة ٢٧٠. وله من الكتب الفقهية كتاب الرد على الشافعي، وكتاب الشروط، وكتاب المحاضر والسجلات، وكتاب الوثائق والعهود<sup>(١١٥)</sup>.

### ف - الربيع بن سليمان

أبو محمد الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المصري الرمادي، من قبيلة مراد، كان مؤدناً بالمسجد الجامع ببسطاط مصر، صاحب الإمام الشافعي وروايته، وكان ثقة ثباتاً فيما يرويه عنه، حتى قال الشافعي: الربيع راويتي<sup>(١١٦)</sup>. وأول ما روى عنه كتاب الأصول، ويسمى ما رواه الميسوط، وقد رواه عنه الزعفراني أبو عبد الله الحسن بن محمد بن الصباح المتوفى سنة ٢٦٠ مع بعض الاختلاف، ولذا لم يرغب الناس فيه، ويعتمد الفقهاء على ما رواه الربيع<sup>(١١٧)</sup>.

ويعتبر الربيع الرمادي آخر من روى عن الشافعي، ويحكى عنه أنه قال: «دخلت على الإمام الشافعي عند وفاته وعنده البويطي والمزني وابن الحكم، فنظر إلينا ثم قال: وأما أنت يا مزني... وأما أنت يا ربيع فانت أنتمهم لي في نشر الكتب»<sup>(١١٨)</sup>. وعندما بنى ابن طولون جامعاً بمصر أجلس الربيع بن سليمان فيه ليحدث الناس ويعلّمهم<sup>(١١٩)</sup>.

توفي الربيع يوم الاثنين لعشر بقين من شوال سنة ٢٧٠ بمصر، وبها كانت ولادته في سنة ١٧٤<sup>(١٢٠)</sup>.

(٤٢٧) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٥٢، والكنتي، المصدر نفسه، ص ٢٢٦، و٤٧٧ - ٤٧٨.

(٤٢٨) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٥٢، والكنتي، المصدر نفسه، ص ٤٧٨.

(٤٢٩) البغدادي، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ١، ص ٢٢٣.

(٤٣٠) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٣١١، وابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٢.

(٤٣١) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٠٩ و٣١١، وابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٢.

(٤٣٢) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٢، والسبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ١، ص ٢٣٨.

(٤٣٣) الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ٣، ص ٣٩.

(٤٣٤) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٣١١، ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٣، والسبكي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٦٠.

## ص - ابن الحجاج

أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج من أصحاب الإمام أحمد بن حنبل الذي كان يقدمه على جميع أصحابه ويأنس به ويأتمنه ويطمئن إليه، وإذا ما بعثه في حاجة قال له: قل فلما قلت فهو على لساني وأنا قلته<sup>(١٣٧)</sup>. كان فقيهاً محدثاً لزم الإمام أحمد ونقل عنه مسائل فقهية كثيرة، وكان الناس يحترمونه لغزارة علمه. ويقال إنه لما خرج إلى إحدى الغزوات شيعه الناس إلى سامراء فجعل يردهم فلا يرجعون، فحزروا فإذا هم بسامراء، سوى من رجع، نحو خمسين ألف إنسان، فقيل له: يا أبا بكر أحمد الله فهذا علم قد نشر لك، فبكى وقال: ليس هذا علم لي إنما هذا علم أحمد بن حنبل<sup>(١٣٨)</sup>. وهو يدل بهذا على احترامه وتقديره لاستاذه ابن حنبل ووفائه له.

قال ابن النديم عن ابن الحجاج: فقيه على مذهب أحمد، وله كتاب السنن بشواهد الحديث<sup>(١٣٩)</sup>. وقد توفي ابن الحجاج لست خلون من جمادى الأولى من سنة ٢٧٥ ودفن إلى جانب الإمام أحمد بن حنبل<sup>(١٤٠)</sup>.

## ق - ابن طالب

عبد الله بن أحمد بن طالب بن سفيان التميمي، أبو العباس، من بني عم الأغلبية ومن كبار تلاميذ سحنون عالم إفريقيًا. رحل إلى مصر وأخذ عن محمد بن عبد الحكم ويونس بن عبد الأعلى. وكان محدثاً ثقة سمع منه الكثيرون من محدثي المغرب، وفطناً جيد النظر، مشغولاً بالمناظرة يجمع في مجلسه بين المتخالفين ويغري بينهم في المناظرة. وكان إذا تكلم أبان وأجاد فيستحلي السامع لفظه ويستحسن كلامه. تولى قضاء إفريقيًا فكان عدلاً في قضاؤه ورعاً في أحكامه. من مصنفاته كتاب الرد على من خالف الإمام مالك بن أنس. غضب عليه الأمير إبراهيم الثاني فعزله من القضاء وسجنه في رقادة، فلم يلبث أن مات في محبسه في سنة ٢٧٥<sup>(١٤١)</sup>.

## ر - إسماعيل بن إسحاق الجهمي

أبو إسحاق القاضي إسماعيل بن إسحاق بن حماد الأزدي البصري، الفقيه المحدث، درس الحديث على عبد الله بن مسلمة القعنبي وأبي الوليد الطيالسي وعلي بن

---

(٤٣٥) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٥، ص ٩٤، وأبو يعلى، طبقات الختابة، ج ١، ص ٥٦.

(٤٣٦) ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٩٤ - ٩٥.

(٤٣٧) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٣٣٥.

(٤٣٨) ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٩٥، وأبو يعلى، طبقات الختابة، ج ١، ص ٦١.

(٤٣٩) عبد الوهاب، وفيات عن الحضارة العربية في إفريقيا الشمالية، ص ٢٦٤ - ٢٦٥، والزركلي،

الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ٤، ص ١٨٩.

المديني، وروى عنه الإمام أحمد بن حنبل، وأبو القاسم البغوي، وإبراهيم بن محمد بن عرفة وغيرهم<sup>(١١١)</sup>. وكان علماً فقيهاً محدثاً، من أتباع الإمام مالك بن أنس، أخذ الفقه المالكي عن أحمد بن المذلل، وصار علماً فيه نشره وشرحه وصنف الكتب فيه والاحتجاج له، مما صار لأهل هذا المذهب مثلاً يحتذونه. وكان من أشهر من دعا إلى مذهب الإمام مالك ورغب الناس فيه<sup>(١١٢)</sup>.

استوطن اسماعيل بن اسحاق بغداد وتولى القضاء بها ولم يزل يتقلده حتى وفاته، وقد جمع له القضاء على جانبي المدينة، وكان مقدماً على سائر القضاة<sup>(١١٣)</sup>. وكان مولده في سنة ٢٠٠ بالبصرة، ووفاته ببغداد وهو على قضائهما لسبع أو ثمان بقين من ذي الحجة سنة ٢٨٢، وقت صلاة العشاء، وكان موته فجأة<sup>(١١٤)</sup>. وله من المصنفات في الفقه وأبوابه: كتاب المبسوط، وكتاب حجاج القرآن، وكتاب شواهد الموطأ، وكتاب الرد على محمد بن الحسن، وكتاب الأصول، وكتاب الفقه وما روي فيه من الآثار وكتاب الفرائض<sup>(١١٥)</sup>.

### ش - أبو اسحاق الثقفي

إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال، من ولد سعد بن مسعود الثقفي. وسعد هذا هو أخو عبيد بن مسعود الثقفي صاحب معركة الجسر مع الفرس في أيام عمر بن الخطاب، وعم المختار بن أبي عبيد الثقفي<sup>(١١٦)</sup>. ويعتبر أبو اسحاق الثقفي من أبرز فقهاء الشيعة الإمامية في القرن الثالث، وأصله من الكوفة، انتقل إلى أصفهان وأقام بها حتى وفاته، وكان أول أمره زدياً ثم انتقل إلى القول بالإمامية<sup>(١١٧)</sup>. يقول عنه ابن النديم إنه من الثقات، العلماء المصنفين، ولكن لم يذكر من كتبه سوى كتاب واحد هو كتاب أخبار الحسن بن علي، ويرجح أن ذلك مما سقط أو ضاع من أصل الكتاب<sup>(١١٨)</sup>. وذكره محمد بن الحسين الطوسي في مصنفه الإمامية، وقال إنه مات في سنة ٢٨٣<sup>(١١٩)</sup>.

- 
- (٤٤٠) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٦، ص ٢٨٤؛ ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٥٣، والسيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج ١، ص ٤٤٣.
- (٤٤١) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٢٨٥، وابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماؤهم، ص ٢٩٦.
- (٤٤٢) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٢٨٧ - ٢٨٨؛ ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٥٢، والسيوطي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٤٣.
- (٤٤٣) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٢٩٦، والخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٢٩٠، وابن الجوزي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٥٣.
- (٤٤٤) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٢٩٦، والبغدادي، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ١، ص ٢٠٧.
- (٤٤٥) ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء أو طبقات الأدباء، ج ١، ص ٢٩٤.
- (٤٤٦) المصدر نفسه.
- (٤٤٧) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٢٧.
- (٤٤٨) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٩٥.

وذكر له ياقوت الحموي وصاحب هدية العارفين ما يزيد على خمسين كتاباً في الفقه والتاريخ والمغازي والسيرة، يتضح منها أنه كان عالماً فقيهاً واسع الاطلاع وبخاصة في الفقه الشيعي وفي التاريخ. ومن مصنفاته الفقهية: كتاب الجامع الكبير، وكتاب الجامع الصغير، وكتاب الإمامة الكبير، وكتاب الإمامة الصغير، وكتاب الوصية، وكتاب الحجة، وكتاب الدلائل، وكتاب المعرفة، وكتاب المبتدأ<sup>(١١٩)</sup>.

### ت - ابراهيم الحربي

أبو اسحاق ابراهيم بن اسحاق بن ابراهيم بن بشير بن عبد الله الحربي، من أهل بغداد ونسبته إلى محلة فيها، قال عن نفسه: صحبت قوماً من أهل الحربية بالكرخ لسحاق الحديث فسموني بالحربي<sup>(١٢٠)</sup>. وهو من كبار حفاظ الحديث وأعلامهم، سمع أبا نعيم الفضل بن دكين وعفان بن مسلم والإمام أحمد بن حنبل، وقد تأثر كثيراً بأبن حنبل ونقل عنه مسائل فقهية كثيرة. كما روى الحديث فأخذ عنه عدد من كبار المحدثين منهم ابن صاعد يحيى بن محمد، وسليمان بن الأشعث، ووصف ابراهيم الحربي بأنه كان إماماً بالحديث مميّزاً لعلله، رأساً في الزهد، عارفاً بالفقه، بصيراً بالأحكام، قيباً بالأدب واللغة<sup>(١٢١)</sup>. وقال عنه الدارقطني علي بن عمر: أبو اسحاق الحربي إمام مصنف عالم بكل شيء، بارع في كل علم، يقاس بأحمد بن حنبل في علمه وزهده وورعه<sup>(١٢٢)</sup>. وقال عنه الخطيب البغدادي: لا يُعرف أن بغداد أخرجت مثل ابراهيم بن اسحاق الحربي في الأدب والفقه والحديث والزهد<sup>(١٢٣)</sup>.

قال ابراهيم الحربي: ما أخذت على علم قط أجراً إلا مرة واحدة، فإني وقفت على بقال فوزنت له قراطاً إلا فلساً، فسألني عن مسألة فأجبته، فقال للغلام اعطه بغير ط ولا تنقصه شيئاً، فزادني فلساً<sup>(١٢٤)</sup>. وكنا أشرنا في البحث الخاص بخزان الكتب إلى حرص ابراهيم على خزانة كتبه وأن أكثرها كان بخطه، وأنه يعتبرها ثروة يخلفها لولده.

كان ابراهيم الحربي معجباً بالإمام أحمد بن حنبل ومتأثراً به وبأسلوبه في الحياة، مقتدياً به، قال لأصحابه: كل شيء أقول لكم هذا قول أصحاب الحديث، فهو قول أحمد بن

(١٤٩) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٩٥، والبغدادي، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين،

ج ١، ص ٣.

(١٥٠) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٦، ص ١٤ ياقوت الحموي، المصدر نفسه،

ج ١، ص ٣٧-٣٨، وابن الأنباري، نزعة الألباء في طبقات الأدباء أي النحلة، ص ٢١٣.

(١٥١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٦، ص ٢٨ ابن الجوزي، المصدر

نفسه، ج ٦، ص ١٤ ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٧، وأبو يعلى، طبقات الختابة، ج ١، ص ٩٦.

(١٥٢) أبو يعلى، المصدر نفسه، ج ١، ص ٩١.

(١٥٣) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٣٥.

(١٥٤) ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأديباء أو طبقات الأديباء،

ج ١، ص ٤٠.

حنبل، هو ألقى في قلوبنا مذكناً غلباً أتباع حديث النبي ﷺ وأقارب الصحابة والأتقاء بالتابعين. وقال عنه: أنا ذاك علمي وعنه أخذت، وصحبته وأنا غلام، وكل شيء يلقيه إلينا أخذته عنه، وتمسك به قلبي فأنا عليه<sup>(١٠٠)</sup>.

ولد إبراهيم الحسبي ببغداد في سنة ١٩٨، وبها توفي يوم الاثنين لتسع بقين من ذي الحجة سنة ٢٨٥ ودفن في اليوم الثاني في بيته بشارع باب الأنبار<sup>(١٠١)</sup>. وصنف إبراهيم في كثير من العلوم وبخاصة في الحديث والفقه، يقول عنه ابن التديم إنه من جلة المحدثين العارفين بالحديث وكان من الحفاظ، وله من الكتب: كتاب غريب الحديث، وأخرج من تفسيره نيلاً وعشرين مسنداً لكبار الصحابة وغيرهم<sup>(١٠٢)</sup>. وله كتب فقهية أخرى منها: كتاب سجون القرآن، وكتاب مناسك الحج، وكتاب القضاة والشهود<sup>(١٠٣)</sup>.

### ث - الأنماطي

أبو القاسم عثمان بن سعيد بن بشار الأنماطي، ونسبته إلى الأنماط وبيعها، وهي البسط وغيرها من آلات الفرش، وهو من كبار فقهاء الشافعية. درس الفقه على أساعيل بن يحيى المزني، والربيع بن سليمان المرادي<sup>(١٠٤)</sup>، وهما أبرز طلاب الإمام الشافعي. وكان الأنماطي يقول: النص أكد من الاجتهاد، وعليه تفقه شيخ المذهب الشافعي أبو العباس بن سريج<sup>(١٠٥)</sup>.

ويعتبر الأنماطي من أئمة المذهب الشافعي، وقد سعى في نشره، وكان سبب نشاط الناس ببغداد لكتب الإمام محمد بن إدريس<sup>(١٠٦)</sup>.

توفي الأنماطي ببغداد في شوال سنة ٢٨٨<sup>(١٠٧)</sup>.

- 
- (٤٥٥) أبو يعلى، طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٩٢.  
 (٤٥٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٦، ص ٤٠، ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٦، ص ٤ و ١٧ السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج ١، ص ٤٠٨، وأبو يعلى، المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٠٨.  
 (٤٥٧) ابن التديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٣٣٧.  
 (٤٥٨) ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدياء أو طبقات الأدياء، ج ١، ص ٤٥ - ٤٦، والبغدادي، هدية العارفين: أسما المؤلفين وآثار المصنفين، ج ١، ص ٤.  
 (٤٥٩) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٢، ص ٤٠٦.  
 (٤٦٠) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٢، ص ٥٢.  
 (٤٦١) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٠٦.  
 (٤٦٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٠٦، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٣، ص ١٢٥.

## خ - ابن القيَّار

أبو العباس أحمد بن القيَّار من أشهر علماء القيروان وفقهائها على مذهب الإمام أبي حنيفة. برع في علم الكلام والجدل، وكان مقرباً من الأمير عبد الله بن إبراهيم الثاني، لأنه هو الذي دُرِّسه الفقه ولقنه طرق المناظرة، ولازمه طيلة حياته في صقلية وفي رقادة. وقد توفي في سنة ٢٩٠هـ<sup>(١١٧)</sup>.

## ذ - ابن سُرَيْج

القاضي أبو العباس أحمد بن عمر بن سُرَيْج البغدادي، الفقيه الشافعي، تفقه على أبي القاسم الأنطاقي، وعنه أخذ كثير من الفقهاء، فانتشر مذهب الشافعي في أكثر الأمصار، وقام ابن سُرَيْج بنصرة المذهب ونشره والرد على مخالفيه من أهل الرأي وأصحاب الظاهر، حتى قيل إن الله تعالى من به على رأس الثلاثمائة، فُنصرت السنن وتخذلت البدع، فكان محترماً من العلماء والفقهاء والقضاة<sup>(١١٨)</sup>. وقد لقب بالباز الأشهب لسعة علمه وعلو منزلته<sup>(١١٩)</sup>.

كان ابن سُرَيْج حاضر البديهة سريع الجواب ومناظراً لا يجارى، وإليه انتهت رئاسة أصحاب الشافعي في وقته فسمي بشيخ المذهب، وقيل عنه: كان أربع أصحاب الشافعي في علم الكلام كما هو أربعمهم في الفقه، وسماه بعضهم الشافعي الصغير<sup>(١٢٠)</sup>.

كانت تصانيفه عديدة ويقال إنها بلغت ٤٠٠ مصنف، منها: كتاب الرد على محمد بن الحسن، وكتاب الرد على عيسى بن أبان، وكتاب التقريب بين المذنب والشافعي، وكتاب مختصر في الفقه، وكتاب الخصال في الفروع، وكتاب الغنية في الفروع، وكتاب المعين والدين، وكتاب الودائع لمنصوص الشرائع في أحكام مجردة عن الأدلة<sup>(١٢١)</sup>.

توفي ابن سُرَيْج لخمس بقين من جمادى الأولى، وقيل في الخامس والعشرين من ربيع الأول، من سنة ٣٠٦هـ ودفن في حجرة بسوقة غالب بالجانب الغربي من بغداد<sup>(١٢٢)</sup>.

---

(٤٦٣) عبد الوهاب، ووقات عن الحضارة العربية في إفريقيا الشمالية، ص ٢٥٤ - ٢٥٥.

(٤٦٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٤، ص ٢٨٧ - ٢٨٩ ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٩ - ٥٠، والسبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٢، ص ٨٧.

(٤٦٥) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٩، والزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ١، ص ١٧٨ - ١٧٩.

(٤٦٦) السبكي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٨٧.

(٤٦٧) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٨٨؛ ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٣١٣ - ٣١٤، والبغدادي، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ١، ص ٥٧.

(٤٦٨) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٤، ص ٢٩٠ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ١، ص ١٥٠ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٦، ص ١٥٠، وأبو يعلى، طبقات الخبائلة، ج ٢، ص ٨٩.



## ض - الخلال

أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال. من كبار فقهاء الحنابلة في بغداد، مفسر عالم بالحديث واللغة، وكانت حلقاته بجامع المهدي، بالجانب الشرقي من مدينة السلام<sup>(١٧١)</sup>. صرف عنايته إلى جمع علوم الإمام أحمد بن حنبل فسافر لأجلها إلى بلدان عديدة وجمع منها ما لم يجمعه أحد، وصنفها ورتبها، وكل من تبع مذهب الإمام ابن حنبل يأخذ من كتب الخلال<sup>(١٧٢)</sup>. ويقول ابن أبي يعلى في طبقاته: له التفاسير الدائرة والكتب السائرة<sup>(١٧٣)</sup>. وهو دليل على انتشار مصنفاته.

للخالل عدد من التصانيف منها: تفسير الغريب، وطبقات أصحاب ابن حنبل، وكتاب الجامع لعلوم أحمد بن حنبل، وكتاب السنن، وكتاب العمل<sup>(١٧٤)</sup>.

توفي الخلال يوم الجمعة ليومين خلوا من ربيع الأول سنة ٣١١هـ<sup>(١٧٥)</sup>.

## ظ - ابن البهلول

القاضي أبو جعفر أحمد بن اسحاق بن البهلول التنوخي من أهل الأنبار ولد فيها في المحرم سنة ٢٣١ وبها نشأ ودرس، فسمع الحديث على أبيه اسحاق بن البهلول الذي كان من كبار المحدثين. وعلى إبراهيم بن سعيد الجوهري، وغيرهما، وروى عنه محدثون آخرون منهم الدارقطني. وكان ابن البهلول ضابطاً للحديث ثقة فيه، ومتفناً في علوم الفقه على مذهب أبي حنيفة، وتام المعرفة باللغة والنحو على مذهب الكوفيين وله كتاب صنفه فيه، كما كان واسع الحفظ للشعر القديم والأخبار والسير، حسن الخطابة لسناً، مترسلاً في الكتابة، بليغاً في المخاطبة. وقد عُدَّ من أبرز فقهاء أبي حنيفة في أيامه<sup>(١٧٦)</sup>.

تولى أحمد بن البهلول القضاء بالأنبار وما حواليتها في سنة ٢٧٦ في أيام المعتمد على الله، ثم تولى القضاء بمدينة المنصور في أيام المقتدر بالله. واستمر في عمله حتى صرف عنه في

---

(٤٦٩) الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين،

ج ١، ص ١٩٦.

(٤٧٠) ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ١٧٢.

(٤٧١) أبو يعلى، طبقات الحنابلة، ج ١، ص ١٢.

(٤٧٢) البندادي، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ١، ص ٥٧، والزركلي، الأعلام:

قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ١، ص ١٣٦.

(٤٧٣) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٦، ص ١٧٤؛ ابن تقيي بريدي، النجوم

الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٣، ص ٢٠٩، والزركلي، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٩٦.

(٤٧٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٤، ص ٣١؛ ابن الجوزي، المصدر

نفسه، ج ٦، ص ٢٣١، وابن الأباري، نزهة الألباء في طبقات الأدياء أي النخلة، ص ٢٥٣.

سنة ٣١٧هـ<sup>(١٧٧)</sup>. وكان متخشناً في الحكم عادلاً. ولم يلبث بعد تحليله عن القضاء غير قليل حتى وافته المنية في ربيع الآخر من سنة ٣١٨هـ<sup>(١٧٨)</sup>.

وقد صف أحمد بن البهلول عدداً من الكتب، ذكر صاحب هدية العارفين عدداً منها وهي: كتاب ناسخ الحديث ومنسوخه، وكتاب أدب النديم، وكتاب الدعاء، وليس بينها شيء من كتب الفقه، ويضيف صاحب الأعلام كتاب أدب القاضي ويقول إنه لم يتمه<sup>(١٧٩)</sup>.

## غ - الطحاوي

أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك الأزدي الطحاوي نسبة إلى قرية طحاً (بفتح الطاء) بصعيد مصر، وإلى الأزد القبيلة اليمنية المشهورة<sup>(١٨٠)</sup>. يقول عنه ابن النديم إنه كان يتفقه على مذهب أهل العراق وكان أوحد زمانه علماً وزهداً<sup>(١٨١)</sup>. ويقول ابن خلكان: انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة بمصر، وكان أول دراسته بقرأ الفقه الشافعي على خاله المزني، إلا أنه اختلف معه، فانتقل إلى حلقة أبي جعفر بن أبي عمران الحنفي فدرس عليه، ويقال إنه سئل لماذا ترك خاله واختار مذهب أبي حنيفة، قال لأني كنت أرى خالي يديم النظر في كتب أبي حنيفة فلذلك انتقلت إليه<sup>(١٨٢)</sup>. ومهما كان سبب دراسته فقه أبي حنيفة فقد بذل فيه جهوده فصار من أئمة المشهورين.

كان الطحاوي إمام عصره في الفقه والحديث واختلاف العلماء والأحكام واللغة والنحو، وانتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة بمصر. وكان قد ارحل إلى عديد من البلدان واستمع إلى عدد من المحدثين ودرس الفقه على كبار الفقهاء، فكان فقيهاً وعُدثاً ثباً<sup>(١٨٣)</sup>.

ولد الطحاوي في سنة ٢٣٩، وتوفي بمصر في سنة ٣٢١ ليلة الخميس مستهل ذي

---

(٤٧٥) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٢؛ ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٢٢٢، وابن الأنباري، المصدر نفسه، ص ٢٥٤.

(٤٧٦) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٤؛ ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٢٣٤، وابن الأنباري، المصدر نفسه، ص ٢٥٥، ويقول إنه توفي سنة ٣١٧.

(٤٧٧) البغدادي، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ١، ص ٥٨، والزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ١، ص ٩١.

(٤٧٨) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، ج ١، ص ٥٣ و٥٥؛ ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٢٥٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٣، ص ٢٣٩، وابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٣٠٦، واسمه فيه: أحمد بن محمد بن سلمة بن سلامة.

(٤٧٩) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٠٦.

(٤٨٠) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٣.

(٤٨١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٣، ص ٢٣٩، وابن الجوزي،

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٦، ص ٢٥٠.

الفقهاء<sup>(١٨١)</sup>. أما مصنفاته الفقهية فقد ذكر ابن النديم منها كتاب الشروط الكبير، وكتاب الشروط الصغير، وكتاب المختصر الصغير، وكتاب المختصر الكبير، وكتاب شرح الجامع الكبير لمحمد، وكتاب شرح الجامع الصغير، وكتاب المحاضر والسجلات، وكتاب الوصايا، وكتاب الفرائض، وكتاب العقيدة<sup>(١٨٢)</sup>. ويقول صاحب كشف الظنون عن كتابه (مختصر الطحاوي) في فروع الحنفية، ألفه كبيراً وصغيراً، ورتبه كترتيب مختصر المزني الشافعي، وقال في مقدمته إنه جمع في كتابه هذا أصناف الفقه التي لا يسع الإنسان جهلها، وثبت الجوابات عنها من أقوال أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن<sup>(١٨٣)</sup>. ويقول عن كتابه عقائد الطحاوي إنه سماه: بيان السنة والجماعة<sup>(١٨٤)</sup>.

## أ - الكليني

أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني، من مواليد كُليْن بالري، وقد نشأ وعاش ببغداد، وهو من كبار محدثي فقهاء الشيعة الإمامية، وأعلام منزلة، وكان شيخ الشيعة الإمامية ببغداد في زمانه<sup>(١٨٥)</sup>.

ولُقّب الكليني بثقة الإسلام لأنه كان أثبت الناس في الحديث<sup>(١٨٦)</sup>. وله عدد كبير من المصنفات الفقهية، وفي علم الكلام، منها: الكافي في علم الدين، ويعتبر أشهر مصنفاته وأهمها، وهو في جزئين يعرف الأول بأصول الكافي، والثاني بفروع الكافي، ويقال إنه صنفه في عشرين سنة، وهو كتاب كبير يحتوي على ستة عشر ألف حديث، صنفها إلى صحيحة، وحسنة، وموثقة، وقوية، وضعيفة<sup>(١٨٧)</sup>. وكتاب رسائل الأئمة، وكتاب الرد على القرامطة، وكتاب الصلاة والصيام، وكتاب التوحيد، وكتاب العلم، وكتاب العقل، وكتاب الأئمة والأشربة<sup>(١٨٨)</sup>.

توفي الكليني ببغداد سنة ٣٢٩هـ<sup>(١٨٩)</sup>.

(١٨١) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٥؛ ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٢٥٠؛ ابن تهريري، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٤٠، وابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٣٠٦، وفيه توفي سنة ٣٢٢.

(١٨٢) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٠٦.

(١٨٣) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ٢، ص ١٢٢٧.

(١٨٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١١٤٣.

(١٨٥) دوايت م. دونالدسون، عقيدة الشيعة: وهو كتاب عن تاريخ الاسلام في إيران والعراق (القاهرة: مكتبة الحاتجي، ١٩٤٦)، ص ٢٨٣؛ الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ٨، ص ١٧، والبغدادي، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ٢، ص ٣٥.

(١٨٦) دونالدسون، المصدر نفسه، ص ٢٨٤.

(١٨٧) المصدر نفسه، ص ٢٨٣ - ٢٨٤.

(١٨٨) البغدادي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٥، والزركلي، المصدر نفسه، ج ٨، ص ١٧.

(١٨٩) دونالدسون، المصدر نفسه، ص ٢٨٤، والزركلي، المصدر نفسه، ج ٨، ص ١٧.

## ٤ - فقهاء مجتهدون

قام إلى جانب العدد الذي ذكرناه من الفقهاء على اختلاف انتماءاتهم الفقهية، عدد آخر من الفقهاء المجتهدين الذين لم يرتضوا لأنفسهم أن يقلدوا أحد أئمة الفقه من إشرنا إليهم، وإنما انتهج كل منهم لنفسه فقهاً خاصاً به يقوم على الكتاب والسنة وعلى اجتهاده الشخصي. وقد اتصف كل منهم بسعة العلم وشدة الورع والتمسك بأحكام الشريعة. ولهذا نجد بعضهم قد قلده آخرون من فقهاء وغيرهم وانتموا إلى مذهبه الفقهي. على أن هذه المذاهب الأحادية الضيقة لم تلبث أن اندثرت بمرور الزمن.

ومن أشهر هؤلاء الفقهاء المجتهدين في عصر النهضة العلمية العربية؛ أبو ثور ابراهيم بن خالد الكلبي، وأبو عبد الله البخاري، وداود الظاهري، وابن قتيبة، والطبري. وفيما يلي موجز بسيرة كل منهم واجتهاده الفقهي:

### أ - أبو ثور

ابراهيم بن خالد بن أبي اليان، أبو ثور الكلبي، الفقيه المحدث. سمع الحديث على كبار محدثي أيامه مثل سفيان بن عيينة، وإسماعيل بن علية، ووكيع القاضي، والإمام الشافعي، وروى عنه كثيرون منهم المحدثان مسلم بن الحجاج، وسليمان بن الأشعث<sup>(١)</sup>. كان أحد الثقات المأمونين، قال عنه الإمام أحمد بن حنبل: اعرفه بالسنة منذ خمسين سنة، هو عندي، في سلاح سفيان الثوري، وكان يعتبره من خيرة الفقهاء، وإذا ما سئل عن مسألة في الحلال والحرام أحال السائل على الفقيه أبي ثور<sup>(٢)</sup>.

كان أبو ثور يتفقه أول أمره بالرأي ويذهب إلى قول أهل العراق، ولما قدم الإمام الشافعي بغداد اختلف إليه أبو ثور ولزمه وأخذ عنه، ورجع عن الرأي إلى الحديث وصار من أعلام المذهب الشافعي<sup>(٣)</sup>. ويقول ابن النديم عنه إنه أخذ عن الشافعي وروى عنه، إلا أنه انحرف عن مذهبه وخالفه في أشياء، وأحدث لنفسه مذهباً خاصاً اشتقه من مذهب الشافعي، وإن أكثر أهل أذربيجان وأرمينيا يتفقهون على مذهبه<sup>(٤)</sup>.

---

(٤٩١) الخطيب البغدادي، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ٦، ص ٦٥؛ ابن خلكان، وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ١، ص ٧، وابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٣١١، وجاء اسمه فيه: ابراهيم بن خالد بن اليان.

(٤٩٢) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٦٦، وابن خلكان، المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٧.

(٤٩٣) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٦٧، وابن خلكان، المصدر نفسه، ج ١، ص ٧.

(٤٩٤) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣١١.

ولأبي ثور عدد من الكتب المصنفة في الأحكام جمع فيها بين الفقه والحديث، ذكر ابن النديم منها: كتاب الطهارة، وكتاب الصلاة، وكتاب الصيام، وكتاب المناسك، ويضيف صاحب هدية العارفين: كتاب أحكام القرآن، كما ذكر له قاموس الأعلام: كتاب اختلاف مالك والشافعي، ويقول إنه ذكر فيه مذهبه، وهو أكثر ميلاً إلى الشافعي<sup>(١٩٨)</sup>.

توفي أبو ثور ببغداد في شهر صفر من سنة ٢٤٠هـ<sup>(١٩٩)</sup>.

## ب - البخاري

أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، وقد سبق أن أشرنا في البحث الذي وضعناه عنه وعن كتابه الجامع الصحيح في الحديث، إلى اطلاعه الواسع في علم الحديث بمختلف فروعه، وإلى أنه كان مستقلاً بأرائه الفقهية فلم يتحيز لأحد المذاهب منها. فقد كان حراً موضوعياً في استنتاجاته وبيان آرائه الشخصية في المسائل المختلف عليها بين تلك المذاهب. مما يجعلنا نستنتج أن البخاري لم يكن يتفقه على أحد من أئمة المذاهب الفقهية المعروفة وإنما اجتهد لنفسه فقهاً خاصاً به. ويمكن القول بأن ما اتهم به في عقيدته كان بسبب استقلاله الفقهي هذا. فقد كان يقول إن أفعال العباد مخلوقة لأن النبي ﷺ قال: إن الله يصنع كل صانع وصنعه. وعلى هذا فإن حركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة. أما القرآن المتلو المبين المثبت في المصاحف المسطور في الكتب الموعى في القلوب فهو كلام الله ليس بمخلوق، قال الله تعالى ﴿بَلْ هُوَ آيَات بَيِّنَات فِي صُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ...﴾<sup>(٢٠٠)</sup>. فقال محمد بن يحيى الذهلي إمام خراسان وعحدثها آنذاك: «من زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر وخرج عن الإيمان... ومن زعم أن لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتلع لا يجالس، ولا يكلم، ومن ذهب بعد جلسنا هذا إلى محمد بن إسماعيل البخاري فاتهموه، فإنه لا يحضر مجلسه إلا من كان على مذهبه»<sup>(٢٠١)</sup>.

فرد البخاري على ذلك بقوله: من زعم أني قلت لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب فإني لم أقله، إلا أني قلت إن أفعال العباد مخلوقة<sup>(٢٠٢)</sup>. ويقول السبكي: «لا يرتب المنتصف في أن محمد بن يحيى الذهلي لحقته آفة الحسد التي لم يسلم منها إلا أهل العصمة»<sup>(٢٠٣)</sup>. أي أنه يعزى موقف الذهلي من البخاري، كان بدافع حسده على ما وصل إليه البخاري من علم وشهرة.

(١٩٥) المصدر نفسه، ص ٣١١ البندادي، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ١، ص ٢-٣، والزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ١، ص ٣٠.

(١٩٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٦، ص ٦٩؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ملوك مصر والقاهرة، ج ٢، ص ٣٠١، وابن خلكان، وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ١، ص ٧١، وفيه أن وفاته كانت سنة ٢٤٦هـ.

(١٩٧) القرآن الكريم، «سورة النكبات»، الآية ٤٩.

(١٩٨) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣١-٣٢، والسبكي، طبقات الشافعية الكبرى،

ج ٢، ص ١٢.

(١٩٩) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٣، والسبكي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٢.

(٢٠٠) السبكي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٣.

## ج - داود الظاهري

داود بن علي بن خلف، أبو سليمان البغدادي إمام أهل الظاهر، ولد بالكوفة في مطلع القرن الثالث، ونشأ ببغداد واشتهر بها، وقد درس الفقه على إسحاق بن إبراهيم الحنظلي وأبي ثور الكلبي، واختص بالإمام الشافعي وكان أكثر أصحابه تعصباً له وتأييداً لفقهه، حتى إنه صنف كتابين في فضائله والثناء عليه<sup>(٥٠٠)</sup>.

كان داود أحد الأئمة المجتهدين في الإسلام و«هو أول من استعمل قول الظاهر، واخذ بالكتاب والسنة والفتى ما سوى ذلك من الرأي والقياس»<sup>(٥٠١)</sup>. وله رسالة ردّها على إسماعيل المزني، ينكر فيها القياس ويقول: الحكم بالقياس لا يجب، والقول بالاستحسان لا يجوز<sup>(٥٠٢)</sup>. وقد استقل عن الإمام الشافعي وأحدث مذهباً فقهياً خاصاً عُرف بالمذهب الظاهري، وتبعه جمع كثير عرفوا بالظاهرية<sup>(٥٠٣)</sup>. وهو يدعو إلى التمسك بظواهر النصوص من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية، والاعتداد عليها وحدها، ونفى القياس في الأحكام الشرعية، ولو أنه كان يضطر إليه أحياناً، ويسميه الدليل<sup>(٥٠٤)</sup>.

وقد وصف ابن الجوزي داود الظاهري بالجمود والغفلة، فقال: مذهبه طريق يدعي الجمود على النقل ويخالف كثيراً من الأحاديث ويلتفت على مفهوم الحديث إلى صورة لفظ وفي هذا تغفيل<sup>(٥٠٥)</sup>. وقال عنه أبو العباس ثعلب: «كان عقل داود أكثر من علمه»<sup>(٥٠٦)</sup>. وغضب عليه الإمام أحمد بن حنبل، لقوله في القرآن إنه محدث، فإن «الذي في اللوح غير مخلوق والذي بين الناس مخلوق»<sup>(٥٠٧)</sup>.

ومع هذا كان داود بن علي من أبرز الفقهاء وأشهرهم في زمانه، فكان يحضر مجلسه كل يوم عدد كبير من طلاب الفقه، وقيل إنه كان يحضر مجلسه أربعمئة صاحب طيلسان أخضر<sup>(٥٠٨)</sup> - وهو شعار الفقهاء - كما عرف بورعه وزهده عن الدنيا، وروى ابن خلكان ما يؤكد زهده ونسكه وقناعته<sup>(٥٠٩)</sup>.

(٥٠١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٢ - ٤٣، وابن خلكان، وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٢، ص ٢٦ - ٢٧.

(٥٠٢) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٣١٧.

(٥٠٣) السبكي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٦.

(٥٠٤) ابن خلكان، وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٢، ص ٢٦.

(٥٠٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٨، ص ٣٧٤.

(٥٠٦) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٥، ص ٧٥.

(٥٠٧) ابن خلكان، وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٢، ص ٢٧.

(٥٠٨) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٨، ص ٣٧٤، وابن الجوزي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٧٦.

(٥٠٩) طبقات الشافعية الكبرى، ج ٢، ص ٤٣، وابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٧.

(٥١٠) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٦ - ٢٧.

توفي داود ببغداد في شهر رمضان وقيل في شهر ذي القعدة، من سنة ٢٧٠ ودفن في مقبرة الشونيزية، وقيل بل دفن في منزله<sup>(٥١١)</sup>.

وصنف داود الظاهري عدداً كبيراً من الكتب أغلبها في الفقه وبعضها في شؤون القضاء، وذكر له ابن النديم ما ينيف على الخمسين كتاباً، نقلها عنه صاحب هدية المعارفين، منها: كتاب الايضاح، وكتاب الدعوة والبيئات، وكتاب الأصول، وكتاب المناسك، وكتاب الماذون له في التجارة، وكتاب الرهن، وكتاب المزارعة، وكتاب الايمان، وكتاب الكفارة، وكتاب الجهاد، وكتاب الخراج، وكتاب الجزية، وكتاب القضاء، وكتاب أدب القاضي، وكتاب الذب عن السنن والأحكام والأخبار، وكتاب الزكاة، وكتاب صيام التطوع، وكتاب صيام الفرض، وكتاب النكاح، وكتاب الطلاق، وكتاب الفرائض، وكتاب الوصايا، وكتاب علم الفقه<sup>(٥١٢)</sup>.

#### د - ابن قتيبة

أبو محمد عبد الله بن مسلم، وقد ذكرنا خلاصة سيرته في فصل آخر، وإن الذي يعيننا هنا نهجه في التفكير والتصنيف في اختصاصاته المختلفة وآراؤه في ذلك. فقد عرف عنه أنه درس الحديث ورواه، وكان عالماً أديباً مؤرخاً، جمع بين الأخبار واللغة وآدابها وعلوم القرآن والفقه والحديث، وأنه كان ذا رأي خاص في أكثر ما عالج من المواضيع وبخاصة الفقهية منها والأدبية. يقول محقق كتاب المعارف في مقدمته إن ابن قتيبة شارك في غنة القول بخلق القرآن وكان له رأي فيها، وشارك في الخلاف بين المشبهة والمجسمة وكان له فيه رأي، وشارك في الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين وكان له رأي في ذلك أيضاً. أما عن عقيدته فقد وثقه فيها قوم واتهمه فيها آخرون<sup>(٥١٣)</sup>.

والواقع أن من أرخوا لابن قتيبة من المؤرخين والفقهاء اختلفوا فيما يتعلق بعقيدته، يقول الخطيب البغدادي «وكان ثقة ديناً فاضلاً وهو صاحب التصانيف المشهورة والكتب المعروفة...»<sup>(٥١٤)</sup>. ويقول ابن الجوزي مثل ذلك وأحسبه أخذته عن الخطيب<sup>(٥١٥)</sup>. ويقول ابن خلكان «كان فاضلاً ثقة... وتصانيفه كلها مفيدة»<sup>(٥١٦)</sup>. بينما يقول عنه الدارقطني علي بن عمر «كان

---

(٥١١) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماؤهم كتبهم، ص ٣١٩؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٨، ص ٣٧٥؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٥، ص ٧٧؛ وابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٨.  
(٥١٢) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣١٧ - ٣١٩، والبغدادي، هدية المعارفين: أسماؤهم المؤلفين وأثار المصنفين، ج ١، ص ٣٥٩.

(٥١٣) انظر مقدمة المحقق ثروت عكاشة، في: ابن قتيبة، المعارف، ص ٥٧.  
(٥١٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ١٠، ص ١٧٠.  
(٥١٥) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٥، ص ١٠٢.  
(٥١٦) ابن خلكان، وفیات الاعيان وأنباء أبنائه الزمان، ج ٢، ص ٢٤٦.

ابن قتيبة يميل إلى التشبيه منحرفاً عن العقيدة وكلامه يدل عليه<sup>(٥١٧)</sup>. ويقول البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين «كان ابن قتيبة يرى رأي الكرامة وليس بين الكرامة والمشبهة كبير فرق»<sup>(٥١٨)</sup>. ويقول أبو المحاسن «وكان ابن قتيبة خبيث اللسان يقع في حق كبار العلماء»<sup>(٥١٩)</sup>.

ومما تقدم ذكره نستطيع القول إن ابن قتيبة، الذي له رأيه الخاص في كل أمر أو موضوع يعالجه، لا بد وأنه لم يكن يقلد أحد أصحاب المذاهب الفقهية، وإنه كان له مذهبه الفقهي الخاص به، والذي توصل إليه بعلمه واجتهاده.

## هـ - الطبري

كان أبو جعفر محمد بن جرير الطبري العالم الفقيه المؤرخ إماماً في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ، مجتهداً في الأحكام لا يقلد أحداً بل قلده بعض الفقهاء وعملوا بقواله وآرائه الفقهية فنسبوا إليه<sup>(٥٢٠)</sup>. ويظهر أنه كان أول أمره على مذهب الإمام الشافعي قبل أن يستقل باجتهاد فقهي خاص به، فقد قال: أظهرت فقه الشافعي وأفتيت به ببغداد عشر سنين<sup>(٥٢١)</sup>. وصفه ابن النديم بأنه علامة وقته وإمام عصره وفقه زمانه، وكان له مذهب في الفقه اختاره لنفسه، وله في ذلك كتب عدة<sup>(٥٢٢)</sup>. وقال عنه ابن سريج: «عمد بن جرير الطبري فقيه العالم»<sup>(٥٢٣)</sup> وقال عنه ياقوت الحموي «كان أبو جعفر يذهب في جل مآذبه إلى ما عليه الجماعة من السلف وطريق أهل العلم المتمسكين بالسنة»<sup>(٥٢٤)</sup>.

ويعتبر كتاب الطبري المسمى اللطيف في أحكام شرائع الإسلام خير ما يعبر عن مذهبه الفقهي وعليه يعول جميع أصحابه، وهو من أنفس كتبه وكتب الفقهاء، وأفضل أمهات المذاهب وأسدّها تصنيفاً. وقيل فيه: ما عمل كتاب في مذهب أجود من كتاب أبي جعفر اللطيف لمذهبه<sup>(٥٢٥)</sup>. وقد سّاه اللطيف لا لصفه وخفة حمله، وإنما أراد بذلك لطيف القول ودقة المعاني وكثرة ما فيه من النظر والتعليلات، وهو في نحو ألفين وخمسمئة ورقة<sup>(٥٢٦)</sup>.

وللطبري عدد من الكتب الفقهية، منها: كتاب الشروط الكبير، وكتاب الوصايا،

(٥١٧) انظر مقدمة المحقق ثروت عكاشة، في: ابن قتيبة، المعارف، ص ٥٨.

(٥١٨) المصدر نفسه، ص ٥٨.

(٥١٩) ابن نوري بدي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٣، ص ٧٥.

(٥٢٠) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٣، ص ٣٣٢.

(٥٢١) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج ٢، ص ١٣٧.

(٥٢٢) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسياء كتبهم،

ص ٣٤٠.

(٥٢٣) السبكي، المصدر نفسه.

(٥٢٤) ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأديب أو طبقات الأديب،

ج ٦، ص ٤٥٣.

(٥٢٥) المصدر نفسه، ج ٦، ص ٤٤٧.

(٥٢٦) المصدر نفسه، ج ٦، ص ٤٤٨.



وكتاب الصلاة، وكتاب الزكاة، وكتاب تهذيب الآثار، وكتاب اختلاف الفقهاء، وكتاب المسترشد<sup>(٢٢٢)</sup>.

وذكر ابن النديم عدداً من الفقهاء الذين تفقهوا على مذهب الطبري، منهم القاضي المعافي النهرواني أبو الفرج بن زكريا من أهل النهروان. وكان واحد عصره في مذهب أبي جعفر وحافظ كتبه، ولقب بالجريري نسبة إلى ابن جرير الطبري، كما ذكر له عدداً من تصانيفه الفقهية. ومنهم أبو الحسن أحمد بن يحيى وهو حفيد علي بن يحيى النجم نديم المتوكل على الله، وذكر ابن النديم بعض مصنفاته<sup>(٢٢٣)</sup>.

#### و - سعيد بن الحداد

أبو عثمان سعيد بن محمد بن صبيح المعروف بابن الحداد الغساني، وقد ذكرناه في مشاهير المتكلمين، كان عابداً ورعاً، درس العلوم الدينية على سحنون وغيره، وتلمذ عليه جماعة كبيرة من معاصريه واقتدوا به في أسلوبه وآرائه.

لم يقلد ابن الحداد مذهباً فقهياً معيناً، بل اتخذ من النظر والقياس والاجتهاد مذهباً خاصاً به، وكان يقول: إنما أدخل كثير من الناس إلى التقليد نقص العقول وقلة الفهم. ويقول: كيف يسع مثلي ممن آتاه الله فهماً أن يقلد أحداً من العلماء بلا حجة ظاهرة؟

توفي ابن الحداد سنة ٣٠٢ وله عدد من الكتب في الرد على أهل البدع والزندقة ذكرناها عند الكلام عنه في موضوع علم الكلام<sup>(٢٢٤)</sup>.

#### ز - القاسم بن سلام

ويمكن اعتبار الفقيه المجتهد القاسم بن سلام ممن لم يتبعوا مذهباً فقهياً معيناً بالنظر لسعة علمه في الفقه والحديث واللغة. قال عنه ابن النديم «وكان ذا فضل ودين وستر ومذهب حسن»<sup>(٢٢٥)</sup>. وقال عنه ابن خلكان «كان أبو عبيد فاضلاً في دينه وعلمه، ربانياً، متفتناً في أصناف علوم الاسلام من القراءات والفقه والعربية والأخبار»<sup>(٢٢٦)</sup>.

والقاسم بن سلام ببغداد، كان أبوه رومياً مملوكاً لرجل من هرات، ونشأ القاسم بها فنسب إليها، ثم انتقل إلى بغداد ودرس بها على كبار المحدثين واللغويين، فكان متميزاً،

---

(٢٢٢) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماؤهم، ص ٣٤٠ - ٣٤١.

(٢٢٣) المصدر نفسه، ص ٣٤٢ - ٣٤٣.

(٢٢٤) انظر حوله: عبد الوهاب، ورفقات عن الحضارة العربية في إفريقيا الشمالية، ص ٢٥٨ - ٢٦٢، والزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ٣، ص ١٥٤.

(٢٢٥) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ١١٢.

(٢٢٦) ابن خلكان، وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٣، ص ٢٢٥.

واسع المعرفة، حتى وصف بأنه جبل نفخ فيه روح فهو يحسن كل شيء<sup>(٣٣١)</sup>. وقد وضع عديداً من الكتب في علوم القرآن والفقه والحديث واللغة، وروى الناس عنه كثيراً منها. قال الجاحظ عن مصنفاته إنه لم يكتب للناس أصح من كتبه ولا أكثر فائدة<sup>(٣٣٢)</sup>. وقد ذكر له ابن النديم أسماء عشرين كتاباً، سبعة منها في علوم القرآن، وثلاثة في اللغة وآدابها، وكتابين في الحديث، ومثلها في التاريخ وستة في الفقه. وأشهر مصنفاته كتاب الأموال، ويعتبر من أحسن ما صنف في الفقه، وهو أوسع كتاب في موضوعه وقد جمع كل ما يتعلق بأحكام الأموال في الشريعة الإسلامية. وكتاب غريب المصنف الذي قال عنه ابن سلام نفسه إنه أحب إليه من عشرة آلاف دينار، وروى عنه أنه قال عملت كتاب غريب المصنف في ثلاثين سنة<sup>(٣٣٣)</sup>. ويقال إنه أول من صنف في غريب الحديث<sup>(٣٣٤)</sup>.

خرج ابن سلام إلى مكة حاجاً، ثم أقام هناك مجاوراً إلى أن توفي سنة ٢٢٤هـ<sup>(٣٣٥)</sup>.

## رابعاً: علم الكلام

### ١ - نشوء علم الكلام وموضوعه

إن العقائد الإيمانية في الإسلام معللة بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة، إلا أن بعض الآي المشابهة، والاختلاف في رواية كثير من الأحاديث، سبباً خلافاً في تفصيل هذه العقائد. فقد وردت آيات في وصف الخالق عز وجل بالتنزيه المطلق من غير تأويل، وهي صريحة توجب الإيمان بها. كما وردت آيات أخرى قليلة توهم التشبيه في ذاته تعالى وصفاته. فغلب المسلمون الأوائل أدلة التنزيه لكثرتها ووضوحها، ونفوا التشبيه ولم يتعرضوا لتأويل آياته وتفسيرها. إلا أن بعض المبتدعة شذوا عن ذلك وأخذوا بظواهر ما تشابه من الآيات. فقالوا بالتشبيه في الصفات كإثبات الاستواء والنزول، والصوت وأمثال ذلك، بما يخالف آيات التنزيه. فانبرى القائلون بالتنزيه إلى حجاجهم دفاعاً عن العقيدة، وإعادة تمهيد إلى الصواب. وتطرق المعتزلة في أي التنزيه، ونفي الصفات، والقول بخلق القرآن مما كان سبباً لانتهاض أهل السنة لحجاجهم والرد على مقولاتهم.

وكانت هناك عوامل أخرى استدعت ذلك الحجاج، منها تصرفات الإنسان وأعماله،

(٣٣٢) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٢٥.

(٣٣٣) الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين،

ج ٦، ص ١٠.

(٣٣٤) ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأديب أو طبقات الأديب،

ج ٦، ص ١٦٣ و١٦٦، وابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٢٥.

(٣٣٥) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٢٥.

(٣٣٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ١٢، ص ٤١٦؛ ابن الأثير، الكامل في

التاريخ، ص ٥٠٩، وابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج ١، ص ٣٩٠.

وهل هو خيرٌ مختار لها بمحض إرادته ورغبته، أم هو مسيرٌ مجبور عليها. ومنها ما كان يشيره بعض أهل الذمة من التساؤلات حول النبوة والوحي وغيرهما من المواضيع الدينية رغبة في إحراج المسلمين. وقد أدى هذا الحجاج الذي قام بين مختلف الأطراف، ومحاولة كل طرف أن يقنع الطرف الآخر بصحة رأيه، إلى نشوء ما عرف بعلم الكلام. ويقول ابن خلدون إنه سمي بعلم الكلام «لما فيه من المناظرة على البلع، وهي كلام صرف وليست براجعة إلى عمل، وإما لأن سبب وضعه والخوض فيه هو تنازعهم في إثبات الكلام النفي... وبالجملة فنموضوع علم الكلام عند أهله إنما هو العقائد الإيمانية بعد فرضها صحيحة من الشرع، من حيث يمكن أن يستدل عليها بالأدلة العقلية، فترفع البلع وتزول الشكوك والشبه عن تلك العقائد»<sup>(٥٣٧)</sup>.

ويتضح من هذا أن علم الكلام هو البرهنة على صحة أسس العقيدة وأصولها، واستنهاض الحجج بمختلف أنواعها لإثبات ذلك، لرد المبتدعة من المشككين بها أو القائلين بخلافها. وبالنظر لتوسع الاتجاهات الفقهية ونشوء الاختلافات بينها حول عدد من الأسس والأصول، فقد استخدم علم الكلام في المناقشات بين الفرق الفقهية الإسلامية. وقد أطلق اسم «التكلمون» على الفقهاء الذين يتخذون من المسائل الدينية المثارة موضوع جدل ومناظرة للبرهنة عليها، فيناقشونها بأسلوب يؤدي إلى الاقتناع بصحتها. ولاختصاص جدل ومناظرة بالحجاج عن أسس الدين فقد يسمى أحياناً بعلم أصول الدين. يقول الخوارزمي إن أصول الدين التي يتكلم فيها المتكلمون عديدة متفرعة، منها القول في حدوث الأجسام، وهم يردون بذلك على الدهرية القائلين بقدم الدهر، والدلالة على أن للعالم عدشاً هو الله جلّ جلاله فيردون بذلك على المعطلة، وأن الخالق عز وجل قديم قادر حي، وهو واحد، ويردون بذلك على الثنوية من المجوس والزنادقة وعلى المثلثة من النصارى وغيرهم عن قالوا بتعدد الآلهة. والخلاف حول صفات الخالق عز وجل وإرادته وكلامه، وهل هي قديمة أزلية أم محدثة. وأفعال الانسان وهل هي من عمله أم أنها مخلوقة بمحدثها الباري سبحانه وتعالى، وهل الاستطاعة على فعل ما كائنة قبل الفعل أو أنها تكون معه. والكلام للدلالة على نبوة محمد ﷺ، والقول في الإمامة وشروطها وظروفها ومن يصلح لها<sup>(٥٣٨)</sup>.

ولخص عبد القاهر البغدادي مواضيع علم الكلام الأساسية التي هي أصول الدين بأنها هي: حدوث العالم وأعراضه، ومعرفة الخالق عز وجل ونعوته في ذاته وأسمائه وعدله وحكمه، ومعرفة الرسل والأنبياء ومعجزاتهم، وأركان الشريعة الإسلامية وأصول الإيمان، وأحكام الإمامة وشروطها، وأحكام العلماء، وأحكام أهل الأهواء والبلع<sup>(٥٣٩)</sup>.

ويمكن اعتبار علم الكلام فلسفة دينية، إذ كان المتكلمون يتخذون من المسائل المختلف عليها مواضيع يناقشونها بأسلوب جدلي يؤدي إلى البرهنة على صحتها والاقتناع بها.

(٥٣٧) ابن خلدون، المصدر نفسه، ص ٢٥٣ - ٢٥٤.

(٥٣٨) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ٢٧ - ٢٨.

(٥٣٩) البغدادي، أصول الدين، ص ١ - ٢.

وقد اتخذ هذا العلم وسيلة لإسناد المذاهب الفقهية، فكان أهم العوامل لاستخدام العقل في الأمور الدينية. وكان المعتزلة من علماء الكلام الرواد في ذلك، إذ رفعوا من شأن العقل ومرتبته في أمور العقيدة والايان.

وكان علم الكلام في أول أمره يقتصر على احتجاجات ضيقة النطاق يحتاج بها الفقهاء ضد أهل البدع ومن اتهموا بالزندقة لرد دعاوهم وإبطالها، وتكاد حججهم تقتصر على ما يناسب الموضوع من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فكان بهذا الاعتبار جانباً من علم الفقه. إلا أنه بعد ذبوع الفلسفة اليونانية صار من الضروري لمن يريد أن يتصدى لهذا العلم أن يدرس المنطق، ويتعرف على آراء الفلاسفة. وقد مر في موضوع حركة الترجمة أن كتب أرسطوطاليس في المنطق قد نقلت إلى اللغة العربية، فتولاها فيلسوف العرب الكندي وغيره من العلماء الفلاسفة بالشرح والتفسير مما كان له أثر مهم في تطور علم الكلام، بحيث تسنى لهذا العلم في القرن الثاني - الرابع - أن يستقل عن علم الفقه، وتثبت أسسه وأركانه القائمة على المناظرة والمنطق والمعرفة الواسعة، والبراهين العقلية والنقلية. فوجد فيه الفقهاء وبخاصة المعتزلة منهم مادة غزيرة تساعدهم في محاجة الزنادقة وأهل الذمة، ومناظرة أصحاب المذاهب الفقهية الأخرى.

## ٢ - أشهر المتكلمين

اشتهر من رجال علم الكلام، في القرن الثالث، إلى جانب المتكلمين من المعتزلة ممن ستكلم عليهم فيما بعد، عدد من الفقهاء والأدباء، منهم: الفضل بن شاذان، والناسي الكبير، وإبراهيم القويصري، ومحمد الواسطي، والحسين بن كرنيب والحسن بن موسى النوبختي، وسعيد بن الحداد الغساني.

أ - الفضل بن شاذان بن الخليل، أبو محمد الأزدي، المتوفى سنة ٢٦٠ من فقهاء الإمامية ومن مشاهير علماء الكلام في زمنه. ولد في نيسابور فكان ينسب إليها أحياناً. وقد اعتبره ابن النديم أحد الأئمة في علوم القرآن والروايات، واعتمد عليه فيما ذكره عن ترتيب القرآن الكريم في مصحف عبد الله بن مسعود، ومصحف أبي بن كعب<sup>(١)</sup>. وعُد من مصنفاته كتاب التفسير، وكتاب القراءات، وكتاب السنن في الفقه<sup>(٢)</sup>. ويقال إن الفضل بن شاذان مئة وثلاثين مصنفًا، ذكر صاحب هدية العارفين نيفًا وخمسين منها، وأغلبها في علم الكلام، منها: كتاب الرد على الباطنية، وكتاب الرد على الثنوية، وكتاب الرد على المرجئة، وكتاب الرد على الفلاسفة، وكتاب الايمان، وكتاب التوحيد<sup>(٣)</sup>.

(٥٤٠) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٤٥ -

(٥٤١) المصدر نفسه، ص ٣٣٧.

(٥٤٢) البغدادي، هدية العارفين: أسماهم المؤلفين وأثار المصنفين، ج ١، ص ٨١٧، والزركلي،

الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ص ٣٥٥.

ب - الناشئ الكبير هو أبو العباس عبد الله بن محمد الأنباري، من كبار شعراء القرن الثالث، ومن رجال النحو والعروض، وأحد المتكلمين المشهورين. يقول عنه ابن النديم: «كان متكلياً، شاعراً، مترسلاً، حسن الأدب، وله قصيدة أربعة آلاف بيت على روي واحد وقافية واحدة في الكلام، سلك فيها طريق الفلسفة، فسقط عند أهل طبقة من المتكلمين»<sup>(٥٤٦)</sup>. ويقول ابن خلكان إنه «كان من الشعراء الجليدين، نحويًا، عروضيًا، متكليًا، وكان متبحراً في عدة علوم من جللتها علم المنطق وكان بقوة علم الكلام. وقد نقض على النحاة، وادخل على قواعد العروض شبهاً ومثلاً بخير أمثلة الخليل، وذلك بحلقة وقوة فطنته»<sup>(٥٤٧)</sup>.

ويظهر أن الناشئ لقي معارضة من المتكلمين والشعراء والنحاة وقد جفوه، مما اضطره إلى هجر بغداد والانتقال إلى مصر، وقد قيل عنه إنه «أخذ نفسه بالخلاف على أهل المنطق والشعر والعروضيين وغيرهم، وروى أن يحدث لنفسه أقوالاً ينقض بها ما هم عليه، فسقط ببغداد فلجأ إلى مصر»<sup>(٥٤٨)</sup>. أما مصنفاته فلم يذكر له ابن النديم شيئاً، ويقول ابن خلكان إن له عدة تصانيف دون أن يذكر شيئاً منها. إلا أن صاحب هدية العارفين يذكر له: طرديات على أسلوب أبي نواس، وقصيدة في الفنون في أربعة آلاف بيت، والمقاطيع<sup>(٥٤٩)</sup>.

ج - كان أبو اسحاق ابراهيم القويري، المتوفى سنة ٢٩٥ بارعاً في العلوم الحكمية ومن أساتذة علم المنطق والكلام، وقد درس عليه كثير من الطلاب علم المنطق، منهم أبو بشر متى بن يونس الذي غدا كبير المنطقيين في زمانه. وكان القويري من جملة النقلة إلى اللغة العربية، وصنف عدداً من الكتب، منها، تفسير قاطيغورياس (المقولات) وتفسير أنالوطيقا الأول والثاني (تحليل القياس والبرهان) وبارمينيئاس (العبارة) وسوفسطيقا (المغالطة). ويقول ابن النديم وابن أبي أصيبعة عن مصنفاته إنه كان مفسراً وكتبه مطرحةً مجفوةً لأن عبارته كانت عظيمة غليظة<sup>(٥٥٠)</sup>.

د - أما أبو عبد الله محمد بن زيد بن علي بن الحسين الواسطي المتوفى سنة ٣٠٦ أو ٣٠٧ فهو من واسط، وسكن بغداد وبها اشتهر باعتباره من كبار علمائها في الكلام. وكان قد درس علم الكلام على محمد بن عبد الوهاب الجبائي رئيس معتزلة البصرة في زمانه، وانتمى

(٥٤٣) ابن النديم، المصدر نفسه، طبعة طهران، ص ٢١٧.

(٥٤٤) ابن خلكان، وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٢، ص ٢٧٧ - ٢٧٨.

(٥٤٥) الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين،

ج ٤، ص ٢٦١.

(٥٤٦) البغدادي، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ١، ص ٤٤٢.

(٥٤٧) حول القويري، انظر: ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماؤهم، ص ٣٥٥ و ٣٨١؛ أبو العباس أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق نزار رضا (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦٠)، ص ٣١٧، وأبو الحسن علي بن يوسف الفسفي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوذي المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحرير يوليوس ليرت (لبنك: ديتريخ، ١٩٠٣)، ص ٣٦ - ٣٧ و ٣٢٣.

إلى فرقة في الاعتزال وأخذ بأقواله. ودرس على الواسطي كثير من الطلاب علم الكلام. وله كثير من الكتب منها: كتاب الإمامة وقد جُود فيه، وكتاب إعجاز القرآن في نظمته وتأليفه، والزمام في علم القرآن، وكتاب الرد على قسطين لوقا.

وكان الواسطي ينظم الشعر، وله مداعبات مع نقطويه العالم النحوي الشهير، وهو القائل فيه:

أحرقه الله بنصف اسمه وصير الباقي صراخاً عليه

ومن طريف قوله في نقطويه: من أراد أن يتناهى في الجهل فليتعرف الكلام على مذهب الناشئ، والفق على مذهب داود بن علي، والنحو على مذهب نقطويه، لأن نقطويه كان يتعاطى الكلام على مذهب الناشئ، ويتفق بمذهب داود، وهو نفسه نقطويه، فهو إذا في نهاية الجهل<sup>(٥١٨)</sup>.

هـ- وأما أبو أحمد الحسين بن اسحاق بن إبراهيم الكاتب المعروف بابن كرنيب، فكان من أبرز المتكلمين وفي نهاية المعرفة بالعلوم الطبيعية القديمة، يذهب فيها مذاهب الفلاسفة الطبيعيين. وله من التصانيف: كتاب الرد على ثابت بن قرة في نفيه وجود سكوتيين بين كل حركتين متضادتين<sup>(٥١٩)</sup>. وكتاب مقالة في الأجناس والأنواع في الأمور العامة<sup>(٥٢٠)</sup>.

يقول القفطي إن ابن كرنيب صنف كتاب الرد على ثابت بن قرة بعد وفاة ثابت بما لا فائدة منه ولا طائل<sup>(٥٢١)</sup>. ونستفيد من هذا أن ابن كرنيب كان لا يزال حياً بعد سنة ٢٨٨، وهي السنة التي توفي بها ابن قرة. كما يقول إنه فسر المقالة الأولى وبعض المقالة الرابعة من كتاب الساع الطيعي لأرسطوطاليس، وأن أبا بشر متى بن يونس قد درس عليه<sup>(٥٢٢)</sup>.

و- كان أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي المتوفى سنة ٣١٠ فيلسوفاً ومتكلماً ومعتزلياً من الشيعة الإمامية، عارفاً بالفلسفة والفلك مجيداً فيها، وهو من أهل بغداد بها نشأ ودرس واشتهر. وكان يجتمع إليه جماعة من نقلة الكتب الفلسفية مثل أبي عثمان الدمشقي واسحاق بن حنين وثابت بن قرة وغيرهم. كما كان جماعة للكتب، وقد نسخ بخطه شيئاً كثيراً منها. وله مصنفات عديدة، منها: كتاب الآراء والديانات، وكتاب الرد على أصحاب

---

(٥١٨) حول الواسطي، انظر: ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٢٥٨ - ٢٥٩؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ١، ص ٣٠ - ٣١؛ البغدادي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٥، والزركلبي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ٦، ص ٣٦٧. (٥١٩) هكذا جاء عنوانه في: ابن النديم، المصدر نفسه؛ وجاء في ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، والقفطي، المصدر نفسه: بين كل حركتين متساويتين.

(٥٢٠) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٨١؛ القفطي، المصدر نفسه، ص ١٦٩؛ ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٣١٧، والبغدادي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٣٢.

(٥٢١) القفطي، المصدر نفسه، ص ١١٦.

(٥٢٢) المصدر نفسه، ص ٣٩ و ٣٢٣.

التناسخ، وكتاب التوحيد وحدث العلل، وكتاب الإمامة، واختصار كتاب الكون والفساد لأرسطوطاليس، وكتاب الجزء الذي لا يتجزأ<sup>(٥٥٦)</sup>. وذكر له محقق كتاب فرق الشيعة أربعة وأربعين كتاباً، منها: كتاب الرد على أصحاب المنزلة بين المنزلتين في الوعيد، وكتاب الرد على أبي الهذيل العلّاف في أن نعيم أهل الجنة منقطع، وكتاب في الرد على أبي علي الجبائي في رده على المنجمين، وكتاب فرق الشيعة<sup>(٥٥٧)</sup>. كما ذكر صاحب هدية العارفين كتاباً أخرى منها: كتاب الاستطاعة، وكتاب ذكر مشايه القرآن<sup>(٥٥٨)</sup>.

ز - وقد اشتهر من المتكلمين في إفريقيا (تونس) سعيد بن محمد بن صبيح المعروف بابن الحداد الغساني، أبو عثمان، من كبار المتكلمين الأفريقيين في عصره إن لم يكن أشهرهم وأعلمهم. درس العلوم الدينية على سحنون وغيره، ثم مال إلى الفلسفة وعلم الكلام واتقن أصول المناظرة والجدل، حتى لم يعد ينازعه فيها منازع. وعظمت شهرته، وعلت منزلته بعدما ناظر الدعاة الفاطميين في رقادة عقب استيلائهم على إفريقيا مما دلل على جرأته وسعة علمه وقوة حججه، حتى مثله أهل السنة في القيروان بأحمد بن حنبل في أيام المحنة بسامراء. ولابي عثمان مصنفات في علم الكلام في الرد على المخالفين من أهل المخارق والزنادقة، منها: كتاب المقالات، وكتاب توضيح المشكل في القرآن، وكتاب الأسالي، وكتاب الاستيعاب، وكتاب الاستواء.

وكان مولد أبي عثمان الغساني في سنة ٢١٩ ووفاته بالقيروان في سنة ٣٠٢<sup>(٥٥٩)</sup>.

### ٣ - المعتزلة وعلم الكلام

المعتزلة طائفة من المفكرين المسلمين ظهرت في البصرة في أوائل القرن الثاني. وسبب ظهورها معروف متفق عليه، هو اختلافهم مع أصحاب المذاهب الأخرى بشأن مرتكبي الكبائر من المسلمين. وقد لخص الشهرستاني ذلك بقوله: «دخل واحد على الحسن البصري وقال: يا إمام الدين، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة وهم وعبيدة الخوارج، وجماعة يرجنون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان... فكيف تحكم في ذلك اعتقاداً؟ ففكر الحسن في ذلك، وقبل أن يجيب، قال وأصل بن عطاء: أنا لا أقول صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً ولا كافر مطلقاً بل هو في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر. ثم قام واعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزل وأصل عنا، فسمي هو وأصحابه معتزلة»<sup>(٥٦٠)</sup>.

(٥٥٣) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٢٦٥ - ٢٦٦، والزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ٢، ص ٢٣٩.  
(٥٥٤) فرق الشيعة، ص ١٢١ - ١٢٥.

(٥٥٥) البغدادي، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ٢، ص ٢٦٨.  
(٥٥٦) حول الغساني، انظر: عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية في إفريقيا الشمالية، ص ٢٥٨ - ٢٦٢، والزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ٣، ص ١٥٤.  
(٥٥٧) الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ٤٨.

يقول المؤرخ المسعودي، وهو أقدم من كتب عن ظهور الاعتزال وأصوله، عن تسميتهم بالمعتزلة أو أهل الاعتزال إن «واصل بن عطاء شيخ المعتزلة وأول من أظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين وهو أن الفاسق من أهل الملة ليس بمؤمن ولا كافر، وبه سميت المعتزلة وهو الاعتزال»<sup>(٥٥٨)</sup> أي يعزلهم الفاسق عن منزلة المؤمنين والكافر.

ويقول ابن النديم سميت المعتزلة بهذا الاسم لأن الاختلاف وقع في أسماه مرتكبي الكبائر من أهل الصلاة، فقال الخوارج: هم كفار مشركون وهم مع ذلك فساق. وقالت المرجئة: هم مؤمنون مسلمون ولكنهم فساق. وقالت الزيدية والإباضية: هم كفار نعمة وليس بمشركين ولا مؤمنين ولكنهم فساق. وقال أصحاب الحسن: هم منافقون وهم فساق. فاعتزلت المعتزلة جميع ما اختلف عليه هؤلاء، وقالوا: نأخذ بما اجتمعوا عليه من تسميتهم بالفلسق وندع ما اختلفوا فيه من تسميتهم بالكفر والإيمان والنفاق والشرك»<sup>(٥٥٩)</sup>.

ويقول عبد القاهر البغدادي في ذلك «اتفقهم على دعواهم في الفاسق من أمة الاسلام بالمنزلة بين المنزلتين. . . ولأجل هذا ساهم المسلمون - معتزلة - لاعتزالهم قول الأمة»<sup>(٥٦٠)</sup>.

ويقول ابن خلكان: «فلما ظهر الاختلاف وقالت الخوارج بتكفير مرتكب الكبائر، وقالت الجماعة إنهم مؤمنون وإن فسقوا بالكبائر، فخرج واصل بن عطاء على الفريقين وقال: إن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر بل منزلة بين منزلتين، فطرده الحسن عن مجلسه، فاعتزل عنه وجلس إليه عمرو بن عبيد، فقبل لها ولأتباعها «معتزلون»<sup>(٥٦١)</sup>. ويقول في مكان آخر من كتابه إن قتادة بن دعامة العالم المحدث البصري «دخل مسجد البصرة فإذا بعمرو بن عبيد ونفسر معه قد اعتزلوا من حلقة الحسن البصري، وحلقوا وارتفعت أصواتهم، فألهم وهو يظن أنها حلقة الحسن، فلما صار معهم عرف أنها ليست هي، فقال: إنما هؤلاء معتزلة، ثم قام عنهم. فمئذ يومئذ سموا المعتزلة»<sup>(٥٦٢)</sup>.

وهناك قول شبيه بهذا، هو أن عمرو بن عبيد كان يقول بالقدر ويدعو إليه، واعتزل الحسن وأصحابه فسموا معتزلة»<sup>(٥٦٣)</sup>.

وقد انفرد ابن النديم برواية عن أبي بكر بن الإخشيد، أن الاعتزال لم ينشأ في أيام الحسن البصري وإنما حدث بعده، يقول: «والسبب فيه أن عمرو بن عبيد لما مات الحسن وجلس قتادة مجلسه، فاعتزل عمرو ونفر معه فساهم قتادة معتزلة، واتصل ذلك بعمرو فأظهر تقبله والرضاء به»<sup>(٥٦٤)</sup>.

(٥٥٨) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٢، ص ٣٨١.

(٥٥٩) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، طبعة طهران، ص ٢٠١.

(٥٦٠) أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي، الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية منهم، تحقيق محمد زاهد بن الحسن الكوثري؛ نشره عزت عطار الحسني [د.م. : د.د.، ١٩٤٠]، ص ٦٨.

(٥٦١) ابن خلكان، وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٥، ص ٦١.

(٥٦٢) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٤٨.

(٥٦٣) أحمد بن عمر بن رسته، الأعلام النفيسة، المكتبة الجغرافية العربية؛ ٧ (لندن: مطبعة بريل، ١٨٩١)، ص ٢٢٠.

(٥٦٤) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، طبعة طهران، ص ٢٠١.



ويظهر أن ما قيل عن عمرو بن عبيد في هذه الرواية، إنما وضع للتغطية على ما تم من خلاف بين واصل بن عطاء وشيخه الحسن البصري، ومن ثم التغطية على ما قام من خلاف بين الفرق المذكورة حول موضوع الفاسق من الملة أو مرتكب الكبيرة. إلا أنه حتى إذا ما كانت هذه الرواية صحيحة فإن اعتزال عمرو مجلس قتادة أو الحسن لا ينفي ما قام به واصل بن عطاء في مجلس الحسن البصري. وبالنظر لتواتر الرواية عن اعتزال واصل عن حلقة الحسن البصري، وتعدد مصادرها، فإن رواية ابن الأختيد هذه لا تكفي لنفي ظهور الاعتزال في أيام الحسن، لا سيما وأن هذه الرواية قد أوردها ابن خلكان بشكل آخر ذكرناه آنفاً، يظهر منه أن الحسن كان لا يزال حياً وأن قتادة أطلق على عمرو بن عبيد وجماعته اسم المعتزلة لاعتقاده أنهم اعتزلوا حلقة الحسن البصري.

ما لبث المعتزلة أن غدوا أكثر الفرق الإسلامية نشاطاً وبخاصة في خلال النصف الأول من القرن الثالث، حتى صار الاعتزال المذهب الرسمي للدولة العربية منذ عهد المأمون حتى أيام المتوكل على الله الذي ألغى المحنة ومنع القول بخلق القرآن وناصر أهل السنة. ومما ساعد المعتزلة على ذلك أنهم كان فيهم رجال مفكرون بارعون في الجدل والمناقشة، اتصلوا بالخلفاء منذ أيام أبي جعفر المنصور الذي كان يجترم عمرو بن عبيد لعلمه ورعده، وهو من شايع واصل بن عطاء ونحا نحوه. وكان ثمة بن أشرس، وهو أحد أئمة الاعتزال، من المقربين من هارون الرشيد والمأمون بعده. كما كان أبو الهذيل العلاف، وهو أشهر رؤسائهم، مقرباً من المأمون لا يغيب عن مجالسه. ومثله قاضي القضاة أحمد بن أبي ذؤاد الذي حمل المعتصم بالله وابنه الواثق بالله في سامراء على اتخاذ الاعتزال مذهباً للدولة، والتشدد في المحنة وإكراه القضاة والفقهاء على القول بخلق القرآن.

ويلاحظ أن حركة الاعتزال بدأت فقهية وما لبثت أن تحولت إلى حركة فكرية عقلية تدعو إلى حرية الفكر والرأي في مسائل العقيدة، وتقلل من شأن الاعتقاد على المنقولات. وأخذ شيوتها ببادئ الفلسفة الطبيعية، وجاءوا بمقولات لا يتفق بعضها وأصول الدين الإسلامي. وقد حافظ معتنقو الاعتزال على انتهاءهم الفقهية فكان فيهم من أهل السنة على اختلاف مذاهبهم ومن الشيعة، مما يؤكد أنها لم تعد حركة فقهية فحسب.

ويمكن اعتبار المعتزلة الفئة المتطرفة من المسلمين في معارضتهم الزندقة والثنية ورد دعاوهم وإبطاها. وقد رأوا أن استخدام الجدل العقلي أشد فعالية وأكثر اقناعاً، ووجدوا فيا ترجم من كتب المنطق اليونانية ما يساعدهم على دحض هذه الدعوات الوثنية. يقول المستشرق هاملتون جب «ومن الصعب أن تصور أن المأمون أسس بيت الحكمة بدافع من رغبته الشخصية في الفلسفة اليونانية وأقرب إلى المنطق أن نقول إنه اقنع بأن الترجمة ستعلمه بوسائل جد ملائمة تعينه على أن يظهر الإسلام من بقايا زندقة الوثنية»<sup>(٥٦٥)</sup>.

(٥٦٥) هاملتون الكسندر روسكن غب، دراسات في حضارة الإسلام، تحرير ستانفورد شو ووليم بولك؛ ترجمة إحسان عباس، محمد يوسف نجم ومحمود زايد (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٤)، ص ٩٣.

لقد تميَّز المعتزلة عن غيرهم باعتقاد أصول الجدل والمناظرة في مناقشتهم ومساجلاتهم الدينية والفكرية. والجدل كما يعرفه ابن خلدون وهو معرفة آداب المناظرة التي تحري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم... ولذلك قيل فيه إنه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه، سواء كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره<sup>(٥٦٦)</sup>. والجدل، بالأصل، من بحوث المنطق إلا أنه حُصِّص بالعلوم الدينية، وهو كالمناظرة في إيراد الكلام بين المناظرين واتخاذهم الأدلة لإثبات ما يدعون به حتى يتضح الصواب. ولما كان أهم سلاح للمجادل إضافة إلى علمه وسعة معارفه، طريقته في النقاش، فقد تفوق متكلمو المعتزلة على غيرهم من متكلمي المذاهب الأخرى، لما كانوا يتصفون به من سعة العلم، والاعتناء على العقل، واتقان أصول الجدل والمناظرة، مما أتاح لهم الخوض في بحث كثير من المسائل الخلافية والتصدي للرد على ما كان يشيره أصحاب الأديان والمذاهب الأخرى من المسائل ومجادلتهم وقطعهم. فكانوا كما نوهنا، أكثر الفرق الإسلامية اعتياداً على علم الكلام، فكان سلاحهم الذي تفوقوا به على خصومهم، واستطاعوا بأساليبهم وحججهم واستخدامهم العقل إلى جانب القياس والدليل في مواضع العقيدة الدينية، أن يوسعوا معين العلم والمعرفة الدينية.

#### ٤ - أصول المعتزلة

إن ما كان يتميز به المعتزلة من حرية في التفكير والقول وترجيح العقل على النقل، أدى إلى تعدد فرقهم باختلاف شيوخهم حول بعض المسائل المنيقة عن أصولهم، أو بما كانوا ينفردون به من مقولات. على أنهم رغم هذا التعدد يتفقون على القول بمبادئ يمكن اعتبارها أصول مذهب الاعتزال. ومن أقدم من ثبتت هذه الأصول مما وصلنا من المصادر التراثية هو المسعودي المؤرخ، وهي على رأيه خمسة أصول اجتمع عليها معتزلة البصرة وبغداد بمختلف فروعهم، وهي<sup>(٥٦٧)</sup>:

أ - التوحيد: وهو أن الله تعالى لا كالأشياء، وأنه ليس بجسم ولا غرض ولا عنصر ولا جوهر ولا جزء، بل هو الخالق للجسم والعرض والجوهر والجزء. وإن الخواص لا تدرسه في الدنيا ولا في الآخرة، وأنه لا يحصره مكان ولا تحتويه الأفكار. بل هو الذي لم يزل ولا زمان ولا مكان ولا نهاية ولا حد، وأنه خالق الأشياء، المبدع لها من لا شيء، وأنه القديم وسواه محدث.

ب - العدل: إن الله تعالى لا يحب الفساد، ولا يخلق أفعال العباد، بل أنهم يفعلون ما أمرهم به ربنا عنه بالقدرة التي جعلها الله لهم وركبها فيهم. وأنه لم يامر إلا بما أراد ولم ينه إلا عما كره، وأنه ولي كل حسنة أمر بها بريء من كل سيئة نهى عنها. لم يكلفهم ما لا يطيقونه ولا أراد منهم ما لا يقدرون عليه. وأن أحداً لا يقدر على قبض ولا بسط إلا بقدرة الله تعالى التي أعطاهم إياها، وهو المالك لها دونهم ويفنيها إذا شاء ويبقيها إذا شاء. ولو شاء

(٥٦٦) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ٢٤٩.

(٥٦٧) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٣، ص ٢٣٤ - ٢٣٥.

لجبر الخلق على طاعته ومنعهم اضطراباً عن معصيته، ولكن على ذلك قادراً غير أنه لم يفعل إذ كان في ذلك رفع للمحنة وإزالة للبلوى.

ج- القول بالوعيد: إن الله تعالى لا يغفر لمرتكب الكبائر إلا بالتوبة وأنه لصديق وعده ووعيده ولا مبدل لكلماته.

د- القول بالمتزلة بين المنزلتين: وهو أن الفاسق المرتكب للكبائر ليس بمؤمن ولا كافر، بل يسمى فاسقاً على حسب ما ورد التوقيف بتسميته وأجمع أهل الصلاة على فسوقه.

هـ- القول بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: إن ما ذكر على سائر المؤمنين واجب على حسب استطاعتهم في ذلك، بالسيف فيها دونه وإن كان كالجهاد، ولا فرق بين مجاهدة الكافر والفاسق.

ويقول المسعودي: «هذا ما اجتمعت عليه المعتزلة، ومن اعتقد بما ذكرنا من هذه الأصول الخمسة كان معتزلياً، فإن اعتقد الأكثر أو الأقل لم يستحق اسم الاعتزال، فلا يستحقه إلا باعتقاده بهذه الأصول الخمسة، وقد تَنَزَّع فيها عدا ذلك من فروعهم»<sup>(٥٦٨)</sup>.

ومن الذين كتبوا عن المعتزلة بعد المسعودي أبو منصور عبد القاهر البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩ وأبو محمد علي بن حزم الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٦ وأبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ وأبو العباس تقي الدين القميري المتوفى سنة ٨٤٥. هذا إلى جانب ما سبق أن كتبه عنهم الأشعري علي بن إسماعيل المتوفى سنة ٣٢٤، سواء فيما أجمعوا عليه أو اختلفوا فيه من مقولات، وفيما اتفقوا فيه مع أصحاب المذاهب الفقهية الأخرى. فقد عقد في كتابه مقالات الإسلاميين واختلاف المسلمين باباً خاصاً بالمعتزلة ذكر فيه مقولاتهم وما اختلفوا فيه، ونسب كل قول أو خلاف إلى صاحبه من رؤساء الاعتزال<sup>(٥٦٩)</sup>.

وقد عدَّ البغدادي اثنتين وعشرين فرقة للمعتزلة وقال إنها مع اختلافها على بعض المسائل، فإنها تجمعها أمور، وهي لا تختلف في فحواها عن الأصول التي ذكرها المسعودي، سوى اغفاله ما يتعلق بالوعيد والوعيد. وما ذكره ابن حزم يقرب من أقوال المسعودي أيضاً. فهو يقول «وأما المعتزلة فعملتهم التي يتمسكون بها الكلام في التوحيد وما يوصف به الله تعالى، ثم يزيد بعضهم الكلام في القدر والتسمية بالفسق والإيمان والوعيد... ومن خالف المعتزلة في خلق القرآن والرؤية والتشبيه والقدر وإن صاحب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر بل فاسق، فليس منهم. ومن وافقهم فيما ذكرنا فهو منهم وإن خالفهم فيما سوى ما ذكرنا عما اختلف فيه المسلمون»<sup>(٥٧٠)</sup>. وتكلم الشهرستاني بشيء من التفصيل عن خمس عشرة طائفة من المعتزلة، ولخص الأصول التي يقول بها جميع الطوائف. وهي

(٥٦٨) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٩١.

(٥٦٩) أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج ٢ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٠)، ج ١، ص ٢١٦-٣١١.

(٥٧٠) أبو محمد علي بن أحمد بن حزم، الفصل في الملل والأهواء والتحل (ببروت: مكتبة خياط، د.ت.ل.)، ج ٢، ص ١١٢-١١٣.

كذلك لا تتعدى ما ذكره المسعودي<sup>(٥٧١)</sup>. أما المقرئزي - وهو متأخر نسبياً - فقد سمي عشرين فرقة منهم وعدد القواعد التي تقوم عليها كل فرقة منها. وهو يسميهم «الغلاة في نفي الصفات الالهية، القائلون بالعدل والتوحيد، وإن المعارف كلها عقلية حصولاً ووجوباً قبل الشرع وبعبء»<sup>(٥٧٢)</sup>.

## ٥ - فرق المعتزلة في القرن الثالث

أشرنا إلى تعدد فرق المعتزلة وإن كل فرقة تنتسب إلى أحد أئمة الاعتزال وتختلف عن الفرق الأخرى ببعض المسائل والمقولات. فقد كان رؤساؤهم رغم اتفاقهم على الأصول الأساسية لعقيدتهم، يختلفون مع بعضهم حول مسائل معينة باختلاف اجتهاداتهم. وكان الخلاف بينهم يشتد أحياناً حتى يصل إلى تكفير بعضهم البعض. فقد رد أبو الهذيل على النظام بكتابه الرد على النظام، وصنف جعفر بن حرب كتاباً في تكفير النظام ومحمد بن عبد الله الاسكافي كتاباً في الرد على النظام أيضاً. ووضع المردار كتاباً في فضائح أبي الهذيل وجعفر بن حرب كذلك كتاب أسماه توبيخ أبي الهذيل<sup>(٥٧٣)</sup>.

وكانت أول فرق المعتزلة «الواصلية» وهم الذين تابعوا واصل بن عطاء في أقواله، وكانوا طليعة المعتزلة. وخلاصة ما قال به واصل أنه نفى صفات الباري عز وجل وقال إن من أثبت معنى صفة له فقد ثبت الهين. وقال بالقدر، أي إن الإنسان هو القادر على أعماله، لأن الباري تعالى حكيم عادل لا يجوز أن يضاف إليه شر ولا ظلم، ولا يجوز أن يريد من العباد خلاف ما يأمرهم به ثم يجازيهم عليه. فالعبد هو الفاعل للخير والشر فيجازي على أفعاله. وقال بالمنزلة بين المنزلتين وإن صاحب الكبيرة ليس مؤمناً مطلقاً ولا كافراً مطلقاً، وذلك أن الإيمان خصال خير إذا اجتمعت في إنسان سمي مؤمناً، والفاسق هو من لم يستجمع خصال الخير، فلا يسمى مؤمناً ولا هو بكافر أيضاً. لأن الشهادة وسائر أعمال الخير موجودة فيه ولا وجه لإنكارها. ومن خرج من الدنيا على كبيرة من غير توبة فمصيره النار خالداً فيها، ولكنه يخفف عنه العذاب<sup>(٥٧٤)</sup>. وكانت مقولته هذه سبب اعتزاله عن حلقة شيخه الحسن البصري، ومن ثم كانت بداية المعتزلة.

وواصل بن عطاء من أهل المدينة المنورة، ولد في سنة ٨٠ وتوفي سنة ١٣١ وكان فصيحاً لساناً من أئمة علماء الكلام. ولأنه ألغى في حرف الراء فقد كان يتجنبها في كلامه. ولقب بالغزالي لملازمته مسوق الغزاليين ليتعرف على النساء العفيفات ليجمع صدقته لهن.

(٥٧١) الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ٤٣ - ٤٦.

(٥٧٢) أبو العباس أحمد بن علي المقرئزي، الخطط المقرئزية المسماة بالمواظع والاعتبار بذكر الخطط والأثار يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها، ج ٢ (مصر: مطبعة بولاق، ١٨٥٤)، ج ٢، ص ٣٤٥ - ٣٤٨.

(٥٧٣) البغدادي، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، ص ٧٣.

(٥٧٤) الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ٤٦ - ٤٨، والمقرئزي، المصدر نفسه، ج ٢،

ص ٣٤٥.

ولواصل من المصنفات: كتاب أصناف المرجئة، وكتاب المنزلة بين المنزلتين، وكتاب معاني القرآن، وكتاب الخطب في التوحيد والعدل، وكتاب السبيل إلى معرفة الحق، وكتاب في الدعوة، وكتاب في التوبة، وكتاب طبقات أهل العلم والجهل<sup>(٥٧٧)</sup>.

ويمكن القول إن أبرز فرق المعتزلة في القرن الثالث كانت: البشرية، والهلونية، والنظامية، والجاحظية، والجبائية. وسنعرض فيما يأتي موجزاً بسيرة رؤساء هذه الفرق، وسنرى من خلالها أوجه الخلاف بينهم رغم اتفاقهم في الأصول.

### أ - بشر بن المعتمر

أبو سهل بشر بن المعتمر البغدادي، من كبار متكلمي المعتزلة وفقهائهم، أصله من الكوفة إلا أنه قضى حياته ببغداد وبها مات في سنة ٢١٠هـ<sup>(٥٧٨)</sup>. أخذ أصول الاعتزال عن عمرو بن عبيد، وجاء ببعض المقولات مخالفاً فيها شيوخ الاعتزال الآخرين، وتبعه فريق من المعتزلة كَوْنُوا طائفة منهم عرفت بالبشرية. ويرى عن الشريف المرتضى علي بن الحسين المتوفى سنة ٤٣٦هـ أنه قال: «يقال إن جميع معتزلة بغداد كانوا من مستجيبه»<sup>(٥٧٩)</sup>. وكان حسباً يقول الشهرستاني من أفضل علماء المعتزلة، وهو الذي أحدث القول بالتولد وأفرط فيه<sup>(٥٨٠)</sup>. ويقول ابن حزم إن أبا سهل بشر بن المعتمر كان نخاساً يتاجر بالرقيق<sup>(٥٨١)</sup>.

إن أهم المسائل التي انفرد بها بشر عن غيره من شيوخ الاعتزال هي: قوله إن اللون والطعم والرائحة والسمع والرؤية وسائر الإدراكات كلها متولدة عن فعل الإنسان إذا كانت أسبابها من فعله. ونظرية التولد هذه قال بها عدد من رؤساء المعتزلة، وخلاصتها أن الإنسان قد يفعل في نفسه فعلاً يتولد من فعل في غيره ويكون هو الفاعل لما تولد، كما أنه الفاعل لسببه. ويقول الأشعري إن المعتزلة اختلفت في التولد ما هو؟ فقال بعضهم هو الذي يكون بسبب مني ويحل في غيري، وقال بعضهم هو الفعل الذي أوجب سببه فخرج من أن يمكن تركه وقد أفعله في نفسي وأفعله في غيري، وقال بعضهم هو الفعل الثالث الذي يلي مرادي مثل الألم الذي يلي الضرب، ومثل الذهاب الذي يلي الدفع. وقال الاسكافي: كل فعل ينهياً وقوعه على الخطأ دون القصد إليه والإرادة له فهو متولد. ويقول الشهرستاني إن بشرأ أخذ هذا القول من أقوال الفلاسفة الطبيعيين. وكفر عبد القاهر البغدادي بشرأ لزعمه أن الإنسان يخلق الألوان والطعم والروائح والسمع والبصر وسائر الإدراكات على سبيل التولد.

(٥٧٥) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ١٥١، وابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٥، ص ٦٠ - ٦٣.

(٥٧٦) ابن النديم، المصدر نفسه، طبعة طهران، ص ٢٠٥.

(٥٧٧) الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين،

ج ٢، ص ٢٨.

(٥٧٨) الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ٦٤.

(٥٧٩) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٤، ص ١٩٢.

ثم قوله إن إرادة الله تعالى من جملة أفعاله، وهي على وجهين: صفة ذات، أي أن الله تعالى لم يزل مريداً لجميع أفعاله ولجميع الطاعات من عباده، فهو حكيم ولا يجوز أن يعلم الحكيم صلاحاً ولا يريده، وصفة فعل، فإن أراد بها فعل نفسه في حالة إحداثه فهي خلقه له، وإن أراد بها فعل عباده فهي أمره به.

وقوله إن عند الله تعالى لطفاً لو أتى به لأمن جميع من في الأرض إيماناً يستحقون عنه الثواب. وليس يجب على الله أن يفعل ذلك بعباده، وليس عليه رعاية الأصلح لهم، لأنه لا غاية لما يقدر عليه سبحانه وتعالى من الصلاح، وإنما عليه أن يمكن العبد بالقدرة والاستطاعة، ويُزجِ العلة بالدعوة والرسالة، ويسمي المقرِزي هذه المقولة «اللفظ المخزون». والاستطاعة على رأي بشر هي سلامة النية والجوارح وتخليتها من الآفات<sup>(٥٨٠)</sup>.

وكان بشر إلى جانب تميّزه في المناظرة وعلم الكلام شاعراً أديباً بين اللسان، بليغ القلم، يتخبر ألفاظه وينوع معانيه. وذكر له الجاحظ في كتابه البيان والتبيين شيئاً من كتاباته، كما ذكر له في كتابه الحيوان بعضاً من شعره. وما ذكره له قصيدتين جمع فيها بشر كثيراً من الغرائب والفرائد، وثبّه على وجوه كثيرة من الحكمة والموعظة. تقع القصيدة الأولى في ستين بيتاً وتقع الثانية في سبعين بيتاً. وفسر الجاحظ أغلب أبيات القصيدة الأولى، وبعض أبيات القصيدة الثانية بإسهاب واستطراد مما يتفق ومنهجه في كتابه. وجاء في القصيدة الثانية عدد من الأبيات يمجّد بشر بها العقل ويمتدحه، وهي<sup>(٥٨١)</sup>:

لو فُكّر الناقلُ في نفسه	مُدّة هذا الخلق في المُسر
لم يَرِ إِلَّا عَجَباً شاملاً	أو حجة تُنقش في الصخر
فكم ترى في الخلق من آية	خفيّة الجسمان في قعر
أبرزها الفكرُ على فكرة	يمار فيها وضُحُ الفجر
لله درُّ العقل بين رائلٍ	وصاحب في المُسر والمُسر
وحاكم يُقضي على غائب	قضية الشاهد للأمر
وإن شُيخاً بعض أفعاله	أن يفصل الخير بين الشر
بليّ قوي قد خصّه ربه	بخالص التقدير والظهر
بل أنت كالعَيْن وإنسانها	ومخرج الخيسوم والنحر

(٥٨٠) حول مقولات بشر بن المعتز، انظر: البندادي، الفرق بين الفرق وبيان الفرقه الناجية منهم، ص ٩٥ - ٩٦؛ الأشعري، مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين، ج ١، ص ٢٧٤ و٢٨٧، وج ٢، ص ١٧٤ الشهرستاني، المصدر نفسه، ج ١، ص ٦٤؛ المقرِزي، الخطط المقرِزية المسماة بالمواظف والاعتبار بذكر الخطط والأشبار يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها، ج ٢، ص ٣٤٦، والبندادي، أصول الدين، ص ١٣٧.

(٥٨١) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ج ٧ (القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٣٨ - ١٩٤٥)، ج ٦، ص ٢٩١ - ٢٩٢.

## ب - أبو الهذيل العلاف

محمد بن الهذيل بن عبد بن مكحول العبدي الملقب بالعلاف<sup>(٥٨٦)</sup>. ولد بالبصرة وقد تردد ابن خلكان في تثبيت سنة مولده بين سنتي ١٣١ و١٣٥، إلا أن أبو الهذيل نفسه قال عن سنة مولده: اخبرني أبوي أن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن قتل ولي عشر سنين<sup>(٥٨٧)</sup>. وقد نشأ أبو الهذيل في البصرة ودرس على علمائها الفقه واللغة، ومال إلى دراسة علم الكلام فنبغ فيه في سن مبكرة. ويمكن اعتباره أول المتكلمين الذين استخدموا الفلسفة في علم الكلام. يقول الشهرستاني إن أبو الهذيل اقتبس أقواله في ذات الله تعالى وصفاته الأزلية من الفلاسفة<sup>(٥٨٨)</sup>.

كان أبو الهذيل العلاف مناظراً قوي الحججة، سريع الخاطر، مقنناً ببراعته الكلامية فيما يجادل عنه، فكان بحق صاحب مجلس ومناظرة كما يصفه ابن النديم وابن خلكان<sup>(٥٨٩)</sup>. ولم يكن يتردد في استعمال الكلمات القاسية والتهجم على مناظريه. يقول عنه أبو المحاسن إنه «قدم بغداد وناظر العلماء وإبادهم، وكان خبيث اللسان»<sup>(٥٩٠)</sup>. وروى أبو الهذيل نفسه إنه ناظر لأول مرة وعمره خمس عشرة سنة يهودياً جاء إلى البصرة فناظر علماءها وقطعهم، فناظره هو فأفحمه وأظهر بطلان أقواله بحيث أخذت أيدي الحاضرين اليهودي بالنعال، فخرج هارباً من البصرة<sup>(٥٩١)</sup>.

اختلف القدامى في أبي الهذيل، فقال ابن النديم إنه كان شيخ البصريين في الاعتزال ومن أكبر علمائهم وهو صاحب مقالات في مذهبه<sup>(٥٩٢)</sup>، وقال الشهرستاني إنه شيخ المعتزلة ومقدمهم ومقرر الطريقة والمناظر عليها<sup>(٥٩٣)</sup>، وقال الخطيب البغدادي إنه كان خبيث القول

---

(٥٨٦) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٢٥١؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٣، ص ٣٩٦؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ٤٩، وجاء اسمه فيه حمدان بن الهذيل، والصفي، نكت المعيان في نكت المعيان، ص ٢٧٧، وفيه قبل اسمه أحمد.

(٥٨٧) ابن النديم، المصدر نفسه، طبعة طهران، ص ٢٠٤، والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٣، ص ٣٧٠.

(٥٨٨) الشهرستاني، المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٠ و٥٠.

(٥٨٩) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٢٥١، وابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٣، ص ٣٩٦.

(٥٩٠) ابن تغري بردي، التيجون الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٢، ص ٢٤٨.

(٥٩١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٣، ص ٣٤٨، والصفي، نكت المعيان

في نكت المعيان، ص ٢٧٨.

(٥٩٢) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٢٥١.

(٥٩٣) الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ٤٩.

فارق إجماع المسلمين، وردَّ عليه بعض أقواله<sup>(٥٩٠)</sup>، ومع أن ابن الأثير اعتبره كبير المعتزلة في زمانه إلا أنه قال إن له مسائل في الأصول قبيحة تفرد بها<sup>(٥٩١)</sup>.

انفرد أبو الهذيل ببعض المقولات وتابعه عليها بعض أهل الاعتزال وأخذوا بأقواله، عرفوا بالهذيلية، ويمكن تلخيص أهم أقواله بما يأتي: أن الباري عز وجل عالم وقادر وحى، وإن علمه وقدرته وحياته هي ذاته، وإنه تعالى لم يزل سمياً بصيراً غفوراً... الخ من صفاته، بمعنى أن ذلك سيكون منه. وإن بعض إرادات الباري عز وجل وكلامه لا في محل ولكنه مريد بها، فإن إرادته تعالى لتكوين الشيء وقوله: كن، إنما هو خلق لذلك الشيء، وإن بعض كلامه سبحانه وتعالى في محل كالأمر والنهي والخير. وإن حركات أهل الخلدتين - الجنة والنار - تنقطع ويصرون إلى سكون دائم تجتمع فيه اللذات لأهل الجنة والألام لأهل النار. وإن الإدراك والعلم يندعها الخالق تعالى، وإنها ليسا من أفعال العباد، وإن المكلف يعرف بفطرته وقبل ورود السمع عليه، ما عليه من التكليف، ولذا وجب عليه أن يعرف ربه بالدليل، وإن قصر في المعرفة استوجب العقوبة الأبدية. وعليه كذلك أن يميز بين الحسن والقيح فيقدم على الحسن ويعرض عن القبيح. وقد ميز أبو الهذيل بين أفعال القلوب وأفعال الجوارح وقال لا يصح وجود أفعال القلوب مع عدم القدرة، فلا استطاعة معها في حالة الفعل، وجوز ذلك في أفعال الجوارح<sup>(٥٩٢)</sup>.

ولأبي الهذيل نحو من خسين مصنفاً أغلبها في علم الكلام للرد على أصحاب الأديان الأخرى، وأصحاب المذاهب الإسلامية، وعلى النظام، وفي الاعتزال، منها: كتاب طاعة لا يراد الله بها، والرد على السوفسطائية، والرد على المجوس، والرد على اليهود، وكتاب الوعد والوعيد، وكتاب صنعة الله بالعدل ونفي القبيح، وكتاب الحججة على الملحدين، والرد على النصارى، وكتاب مسائل في الحركات وغيرها، وكتاب الرد على القدرية والجبرية، وكتاب في خلق الشيء عن الشيء، وكتاب التفهم، والرد على أصحاب الحديث في التشبيه، وكتاب الجواهر والأعراض، وكتاب ميلاس - وهو رجل مجوسي أسلم، وكان سبب إسلامه أنه جمع بين أبي الهذيل وجماعة من الثنوية في مناظرة، فقطعهم أبو الهذيل، فأسلم ميلاس عند ذلك<sup>(٥٩٣)</sup>.

لقد بلغ أبو الهذيل من الكبر عتياً، وكُتِّفَ بصره ولحقه خرف في آخر عمره، وضعف

(٥٩٠) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٣، ص ٣٦٦.

(٥٩١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ٥٢١.

(٥٩٢) حول مقولات أبي الهذيل، انظر: البغدادي، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، ص ٧٣ - ٧٩؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ٤٩ - ٥٣؛ القرطبي، المخطوط القرطبي المسماة بالمواعظ والاعتبار يذكر المخطوط والآثار يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها، ج ٢، ص ٣٤٦، والصفدي، نكت العميان في نكت العميان، ص ٢٧٧.

(٥٩٣) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، طبعة طهران، ص ٢٠٤.



عن مناهضة المناظرين ومعالجة المخالفين له، إلا أنه كان لا يذهب عليه شيء من أصول المذهب<sup>(١٠١)</sup>. وقد اختلف في سنة وفاته، فاعتبره المسعودي من وفيات سنة ٢٢٧ وتابعه على ذلك أبو المحاسن<sup>(١٠٢)</sup>. وقال ابن الأثير إنه توفي سنة ٢٢٦ وإن عمره زاد على مئة سنة<sup>(١٠٣)</sup>. وجاء في نكت الهميان أنه توفي سنة ٢٢٧ غير أنه يعود ويقول إنه توفي سنة ٢٣٩<sup>(١٠٤)</sup>. أما ابن خلكان فيقول إنه توفي سنة ٢٣٥ بسر من رأى، وهو يتفق بهذا مع ابن النديم<sup>(١٠٥)</sup>. ويظهر أن هذا أقرب إلى الصواب إذا ما صحت رواية ابن الأثير عن عمره، ورواية ابن النديم والخطيب عن سنة ميلاده، وهو ما أثبتته صاحب قاموس الأعلام<sup>(١٠٦)</sup>.

## ج - النظام

إبراهيم بن سيار بن هاشم البصري، أبو اسحاق الملقب بالنظام، من أهم شيوخ الاعتزال في هذا القرن وأبرزهم. نشأ بالبصرة ودرس على علمائها الفقه واللغة وآدابها، ودرس علم الكلام وأصول الاعتزال على خاله أبي الهذيل العلاف، فنشأ أديباً شاعراً وفقهياً متكهماً، ولما انتقل إلى بغداد كان أحد فرسان أهل النظر والكلام على مذهب الاعتزال، وكان قوي الحجج في الجدل بحيث يضرب به المثل<sup>(١٠٧)</sup> كما كان واسع الاطلاع على أكثر ما كتبه الفلاسفة العرب، وما نقل من فلسفة أرسطوطاليس وأفلاطون. ويظهر تأثير ذلك في آرائه ومقولاته، وأنه كان أكثر ميلاً إلى الأخذ بمذاهب الطبيعيين من الفلاسفة دون الإلهيين<sup>(١٠٨)</sup>. ويقول أبو المحاسن في حوادث سنة ٢٢٠ «وفيها ظهر إبراهيم النظام وقرر مذهب الفلاسفة وتكلم في القدر فتبعه خلق»<sup>(١٠٩)</sup>.

أما سبب تلقبه بالنظام فيقول عبد القاهر البغدادي «والمعتزلة يوهمون على الأغيار بدينه ويوهمون أنه كان نظاماً للكلام المنثور والشعر الموزون، وإنما كان ينظم الحرز في سوق البصرة ولأجل ذلك قيل له النظام»<sup>(١١٠)</sup>. وكان الجاحظ قد درس أصول الاعتزال على النظام، وكان شديد الإعجاب

- 
- (٥٩٤) المصدر نفسه، ص ٢٠٤، وابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، ج ٣، ص ٣٦٧.  
 (٥٩٥) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٢، ص ٣٨١، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٢، ص ٢٤٨.  
 (٥٩٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ٥٢١.  
 (٥٩٧) الصنفي، نكت الهميان في نكت العميان، ص ٢٧٩.  
 (٥٩٨) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، ج ٣، ص ٣٩٣، وابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، طبعة طهران، ص ٢٠٤.  
 (٥٩٩) الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ٧، ص ٣٥٥.  
 (٦٠٠) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٦، ص ٩٨، ابن النديم، المصدر نفسه، طبعة طهران، ص ٢٠٦، وياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء أو طبقات الأدباء، ج ٦، ص ٧٠.  
 (٦٠١) الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ٥٣ - ٥٤.  
 (٦٠٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٢، ص ٢٣٤.  
 (٦٠٣) البغدادي، الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية منهم، ص ٧٩.

به، عظيم التقدير له، بحيث اعتبره أحد أولئك الذين يقول عنهم الأول إن في كل ألف سنة يقوم رجل لا نظير له<sup>(٦٠٤)</sup>. ونقل كثيراً من أقواله وردوده في كتابيه البيان والتبيين، والحيوان.

خالف النظم أصحابه المعتزلة ببعض مقولات انفرادها، وأهمها: قوله إن الله تعالى لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصي. ففاعل العدل لا يوصف بالقدرة على الظلم، وإنه تعالى لا يقدر أن يفعل بعباده إلا ما كان فيه صلاحهم في أمور الدنيا، أما في أمور الآخرة فإن الباري عز وجل لا يوصف بالقدرة على أن يزيد في عذاب أهل النار أو ينقص منه شيئاً، وكذلك لا يقدر أن ينقص نعيم أهل الجنة أو أن يخرج أحداً منها<sup>(٦٠٥)</sup>. وقوله إن أفعال العباد كلها حركات فحسب، والكون حركة اعتقاد، والعلوم والإرادة حركات النفس. ومع أنه اتفق مع ما يقوله أهل الاعتزال في أن الإنسان هو النفس والروح وأن البدن ألتها وقالها، إلا أنه أضاف إلى ذلك أن الروح جسم لطيف مشابه للبدن مداخل للقلب بأجزائه، كالدهن في السمس والسمنة في اللبن، وأن لها قوة وحياة ومشية، وهي مستطبعة بنفسها وأن الاستطاعة قبل الفعل<sup>(٦٠٦)</sup>.

ووافق النظام الفلاسفة في نفي الجزء الذي لا يتجزأ، وقال: لا جزء إلا وله جزء، وإن الجزء جائز التجزئة أبداً<sup>(٦٠٧)</sup>. وأحدث القول بالطفرة، فزعم أنه يجوز أن يكون الجسم الواحد في مكان ثم يصير إلى المكان الثالث دون أن يمر بالمكان الثاني<sup>(٦٠٨)</sup>. وقال بنظرية الكمون، وخلصتها أن الله سبحانه وتعالى خلق العالم والموجودات كافة دفعة واحدة منذ الأزل على ما هي عليه الآن، معادن ونباتاً وحيواناً وإنساناً، ولكنه أبقاها في حالة سكون، ويخرجها إلى الوجود الفعلي في أوقات متلاحقة. فإن خلق آدم لم يتقدم على خلق أولاده، غير أنه تعالى أكمن الموجودات بعضها في بعض، وأن التقدم والتأخر إنما يقع في ظهورها من مكانها دون إحداثها وإيجادها<sup>(٦٠٩)</sup>. ويقول الشهرستاني إن النظام أخذ هذه المقالة من أصحاب الكمون والظهور من الفلاسفة<sup>(٦١٠)</sup>. وقد لقيت مقولة النظام هذه معارضة شديدة

---

(٦٠٤) الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين،

ج ١، ص ٣٦.

(٦٠٥) البغدادي، المصدر نفسه، ص ٨٠؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ٥٤، والمقرئزي، الحطوط القرظية المسماة بالمواظ والاعتبار بذكر الخطوط والأثار يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل وذكر القاهرة وما يتعلق بها وإقليمها، ج ٢، ص ٣٤٦.

(٦٠٦) البغدادي، المصدر نفسه، ص ٨٢-٨٣؛ الشهرستاني، المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٥، والمقرئزي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٤٦.

(٦٠٧) البغدادي، المصدر نفسه، ص ٨٤-٨٥، والشهرستاني، المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٥.

(٦٠٨) البغدادي، المصدر نفسه، ص ٨٥؛ الشهرستاني، المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٥-٥٦، والمقرئزي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٤٦.

(٦٠٩) البغدادي، المصدر نفسه، ص ٨٦؛ الشهرستاني، المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٥-٥٦، والمقرئزي، المصدر نفسه.

(٦١٠) الشهرستاني، المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٦.

من رؤساء المعتزلة وغيرهم، فردّ عليهم النظام معللاً أقواله بالأمثلة ومفصلاً إياها بالشروح. وقد ذكر الجاحظ بعض ردود النظام على من أنكر قوله في الكمون<sup>(١١١)</sup>.

وقال النظام عن إعجاز القرآن هو ما فيه من الاخبار عن الغيوب ماضيها ومستقبلها، أما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله تعالى منعهم بعجز أحدته فيهم<sup>(١١٢)</sup>.

وزعم أن الباري عز وجل غير موصوف بالإرادة على الحقيقة وإن ورد الشرع بذلك، وإن المراد بكونه مريداً لأفعاله أنه خالقها ومنشئها. وإذا ما وصف بكونه مريداً لأفعال العباد، فالمراد بذلك أنه أمر بها. وإذا وصف بكونه مريداً في الأزل، فالمراد بذلك أنه عالم بها فقط<sup>(١١٣)</sup>.

وقد أنكر بعض رؤساء الاعتزال وغيرهم بعض مقولات النظام، وبخاصة قوله في الطفرة والتولد. فقد وضع أبو الهذيل عدداً من الكتب في الرد على بعض مقولاته منها: كتاب الرد على النظام، وكتاب التوليد على النظام، وكتاب على النظام في تجويز القدرة على الظلم، وكتاب على النظام في خلق الشيء وجوابه عنه، وكتاب على النظام في الإنسان<sup>(١١٤)</sup>. وكفره الجبائي على مقولته في قدرة الله تعالى وقوله في الطباع وله في ذلك كتاب، وللإسكافي كتاب على النظام كفره فيه في أكثر أقواله، ولجعفر بن حرب كتاب في تكفير النظام بإبطاله الجزء الذي لا يتجزأ<sup>(١١٥)</sup>. كما أن عبد القاهر البغدادي كفره في أغلب مقولاته وبخاصة قوله في الجزء الذي لا يتجزأ، وزعمه أن الإنسان هو الروح، وقوله بالطفرة<sup>(١١٦)</sup>.

توفي النظام في سنة ٢٣١هـ<sup>(١١٧)</sup>. وله عدد كبير من المصنفات ذكر ابن النديم أربعين كتاباً منها أغلبها في علم الكلام وأصول الاعتزال، منها: كتاب إثبات الرسل، وكتاب التوحيد، وكتاب الرد على الدهرية، وكتاب الرد على أصناف الملحدين، وكتاب التعديل والتجويز، وكتاب القدر، وكتاب الوعيد، وكتاب المعرفة، وكتاب التوليد، وكتاب الطفرة، وكتاب

---

(١١١) الجاحظ، الحيوان، ج ٥، ص ١٠-١٣، ٥٢-٥٣، ٨١-٨٦.

(١١٢) البغدادي، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، ص ٨٧، والشهرستاني، المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٦-٥٧.

(١١٣) الشهرستاني، المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٥، وأبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، نهاية الاقدام في علم الكلام، ص ٣٢٥ وحزرة الفرد جيوم (بغداد: مكتبة المتنبي، [١٩٥٠]، ص ٣٣٨.

(١١٤) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسابيع كتبهم، طبعة طهران، ص ٢٠٤.

(١١٥) البغدادي، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، ص ٨٠.

(١١٦) البغدادي، أصول الدين، ص ٣٣٥.

(١١٧) الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ١، ص ٣٦.

المكاملة، وكتاب المنطق، وكتاب خلق الشيء، وكتاب الجواهر والأعراض، وكتاب حركات أهل الجنة، وكتاب الصفات، وكتاب القرآن ما هو، وكتاب الرد على المرجئة<sup>(١١١)</sup>.

#### د - الجاحظ

أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الأديب البليغ، والعالم الموسوعي، صاحب المصنفات العديدة، كانت ولادته بالبصرة، وقد روى عن نفسه أنه ولد في أول سنة ١٥٠<sup>(١١٢)</sup>. وكانت البصرة آنذاك من مراكز الفقه والأدب واللغة وعلم الكلام. فدرس على علمائها ما تيسر له من علوم اللغة وفنون الأدب وأخبار العرب، كما درس علم الكلام على رئيس معتزلة أيامه والمتكلم المشهور إبراهيم النظام، وعنه أخذ أصول الاعتزال<sup>(١١٣)</sup>. وكان الجاحظ شديد الإعجاب به وبأصحابه المتكلمين، وقال عنهم «وإنا أقول على تثبيت ذلك بالحنة، ونعوذ بالله من الهذر والتكلف، وانتحال ما لا أقوم به، أقول إنه لولا مكان المتكلمين هلكت العوام من جميع الأمم، ولولا مكان المعتزلة هلكت العوام من جميع النحل فإن لم أقل ولولا أصحاب إبراهيم وإبراهيم هلكت العوام من المعتزلة، فإني أقول: إنه قد أنتج لهم سيلاً، وفتح لهم أموراً، واختصر لهم أبواباً ظهرت فيها المنفعة، وشملتهم بالنعمة»<sup>(١١٤)</sup>. ودرس الجاحظ الكثير من كتب الفلاسفة وروّج كثيراً من مقالاتهم.

تميّز الجاحظ بأسلوبه السهل وعبارة البليغة، وبراكته في العرض. فغطت مهارته في الأدب واللغة على سائر معارفه، وطبقت شهرته آفاق الدولة العربية، وسنقص بحثنا هذا على الجانب الكلامي من معارف الجاحظ باعتباره أحد رؤساء الاعتزال. يقول عنه ياقوت الحموي «كان أبو عثمان الجاحظ من أصحاب النظام، وكان واسع العلم بالكلام كثير التبحر فيه، شديد الضيق لحدوده، ومن أعلم الناس به وبغيره من علوم الدين والدنيا»<sup>(١١٥)</sup>. وقد اجتهد الجاحظ في مقولات رؤساء الاعتزال، وجاء بمقولات جعلته رئيساً لطائفة من المعتزلة أخذت بأقواله وسميت بالجاحظية. وكانت بعض مقولاته في الاعتزال صدى لأراء استاذة النظام وآراء أبي الهذيل. فهو يؤكد ما سبق أن قال أبو الهذيل بأن الإنسان مكلف بالفطرة بأن يعرف الله، وأن يميز بين الحسن والقبيح من الأفعال. إلا أنه يعرض ذلك بشكل آخر فيقول: إن المعارف كلها ضرورية طبعاً وليس شيء من ذلك من أفعال العباد، وليس للعبد فيها كسب سوى الإرادة، وإن أفعاله تحصل منه طبعاً. والإرادة على رايه ليست جنساً من الأعراض، وإذا ما

(٦١٨) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، طبعه طهران، ص ٢٠٦.

(٦١٩) ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدياب أو طبقات الأدياب، ج ٦، ص ٥٦.

(٦٢٠) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٤، ص ١٩٦، وابن خلكان، وفیات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٣، ص ١٤٠.

(٦٢١) الجاحظ، الحيوان، ج ٤، ص ٢٠٦.

(٦٢٢) ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدياب أو طبقات الأدياب، ج ٦، ص ٥٧.

انتفى السهو عن الفاعل وكان عالماً بما يفعله فهو مريد له . وعلى هذا فإن الخلق كلهم عالمون بأن الله تعالى خالقهم، وعارفون بأنهم محتاجون إلى النبي، وهم صنفان: عالم بالتوحيد وجاهل به، فالجاهل معذور والعالم محجوج. ومن انتحل دين الاسلام عليه أن يعتقد ويقر بأن الله تعالى ليس بجسم ولا صورة ولا يرى بالأبصار، وأنه عدل لا يجر ولا يريد المعاصي، وعكس هذا من عرف ذلك ثم جمده وأنكره وقال بالتشبيه والجر، فهو مشرك كافر حقاً<sup>(١١٣)</sup>.

ومن الطبيعي أن يقول الجاحظ، وهو أحد رؤساء الاعتزال، بأن القرآن مخلوق، إلا أنه يضيف أن القرآن مثل الأجساد<sup>(١١٤)</sup>، وهو يدافع عن هذه المقولة بأسلوب المتبسط الساخر، فيقول «زعم أكثرهم أن كلام الله حسن... وأن الإنجيل غير القرآن، والبقرة غير آل عمران، وأن الله تولى توليفه وجعله برهانه على صلق رسوله... ولو شاء الزيادة فيه زاد، ولو شاء أن ينقص عنه نقص... ولو شاء أن ينسخه كله بغيره نسخه، وأنه أنزل تنزيلاً، وأن فصله تفصيلاً، وأنه بالله كان دون غيره، ولا يقدر عليه إلا هو. غير أن الله مع ذلك لم يخلق. فاعطوا جميع صفات الخلق ومنعوا اسم الخلق... والعجب ان الذي منعه أن يزعم أنه خلق انه لم يسمع ذلك من سلفه، وهو يعلم أنه لم يسمع أيضاً من سلفه انه ليس بمخلوق»<sup>(١١٥)</sup>.

ومن مقولات الجاحظ الأخرى قوله يقدم المادة وباستحالة عدم الجوهر، وأن الاعراض مخلوقة وهي عرضة للتغير، والجواهر لا يجوز أن تفتى، وأن الله تعالى يقدر على خلق الشيء، ومتى ما خلقه فإن لا يقدر على إفثائه. وأن الله تعالى لا يدخل النار أحداً من العباد وإنما النار هي تجذب أهلها إلى نفسها بطبيعتها، وأنهم إذا ما دخلوها لا يخلدون فيها عذاباً، بل يصيرون إلى طبيعتها بتطهيرها إياهم<sup>(١١٦)</sup>.

يقول الشهرستاني إن مذهب الجاحظ هو بعينه مذهب الفلاسفة، وهو أكثر ميلاً إلى الطبيعيين منهم<sup>(١١٧)</sup>. ويعتبر عبد القاهر البغدادي أن الجاحظ قد كفر بزمعه بأن لا فعل للإنسان إلا الإرادة، وأن المعارف ضرورية ومن لم يضطر إلى معرفة الله لم يكن مكلفاً ولا مستحقاً للعقاب، وأن الله تعالى لا يدخل أحداً النار وإنما هي تجذب أهلها إلى نفسها وتغسكهم فيها بطبيعتها<sup>(١١٨)</sup>.

---

(٦٢٣) البغدادي، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، ص ١٠٥ - ١١٦، القريزي، الحفظ المبرزة المسألة بالمواظع والاعتبار بذكر الحفظ والآثار يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها، ج ٢، ص ٣٤٨؛ الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ٧٥، ونهاية الاقدام في علم الكلام، ص ٢٣٨ - ٢٣٩.

(٦٢٤) الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ٧٦، والقريزي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٤٨.  
(٦٢٥) أحمد أمين، ظهر الاسلام، ط ٣، ج ٤ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٢)، ج ٣، ص ١٤١.

(٦٢٦) البغدادي، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، ص ١٠٦؛ الشهرستاني، المصدر نفسه، ج ١، ص ٧٥، والقريزي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٤٨.  
(٦٢٧) الشهرستاني، المصدر نفسه، ج ١، ص ٧٦.  
(٦٢٨) البغدادي، أصول الدين، ص ٣٣٦.

توفي الجاحظ في المحرم سنة ٢٥٥ بالبصرة في خلافة المعتز بالله، وقد أناف على التسعين من عمره<sup>(١٢٢)</sup>. ويروى أن المعتز بالله لما ورد الخبر بموت الجاحظ، قال لأحد ندمائه هو أحمد بن يزيد المهلبلي: لقد كنت أحب أن أشخصه إليّ وأن يقيم عندي<sup>(١٢٣)</sup>.

يقول المسعودي عن مصنفات الجاحظ «ولا يعلم أحد من الرواة وأهل العلم أكثر كتباً منه... وكتب الجاحظ، مع انحرافه المشهور، تجلوا صدى الأذهان وتكشف واضح البرهان، لأنه نظمها أحسن نظم ورفضها أحسن رفض، وكساها من كلامه أجزل لفظ... وله كتب حسان»<sup>(١٢٤)</sup>. ويقول ياقوت الحموي «وله كتب مشهورة جليلة في نصرة الدين وفي حكاية مذهب المخالفين... وإذا تدبر العاقل المميز أمر كتبه علم أنه ليس في تلقيح العقول وشحذ الأذهان ومعرفة أصول الكلام وجواهره، وابطصال خلاف الإسلام ومذاهب الاعتزال إلى القلوب كتب تشبهها. والجاحظ عظيم القدر في المعتزلة وغير المعتزلة من العلماء»<sup>(١٢٥)</sup>. وذكر له ما ينيف على مئة وعشرين كتاباً، وهي تقارب ما ذكره ابن النديم، منها الكتب التالية في الاعتزال وعلم الكلام، وقد أورد صاحب هدية العارفين أغلبها<sup>(١٢٦)</sup>: كتاب الرد على أصحاب الأفيهام - وفي الفهرست: أصحاب الإلهام - وكتاب فضيلة المعتزلة، وكتاب الرد على المشبهة، وكتاب الرد على النصاري، وكتاب الرد على اليهود، وكتاب المخاطبات في التوحيد - وفي هدية العارفين: كتاب الخطب في التوحيد - وكتاب الوعيد، وكتاب الاستطاعة وخلق الأفعال، وكتاب الرد على من ألحد في كتاب الله عز وجل، وكتاب إحالة القدرة على الظلم، وكتاب الاعتزال وفضله على الفضيلة، وكتاب الرد على من زعم أن الإنسان جزء لا يتجزأ، وكتاب صياغة الكلام - في هدية العارفين: كتاب صناعة الكلام - وكتاب مقالة في أصول الدين.

### هـ - الجبائفي وابنه هاشم

أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن حران، من معتزلة البصرة بها ولد في سنة ٢٣٥ وبها نشأ وعاش أكثر أيام حياته. ونسبته إلى جُبَي وهي كورة في طرف من البصرة<sup>(١٢٧)</sup>. درس على أبي يوسف يعقوب بن عبد الله الشحام البصري تلميذ أبي الهذيل العلاف. كان

(٦٢٩) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، طبعة طهران، ص ٢٠٨؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٣، ص ١٤٤؛ ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأديباء أو طبقات الأديباء، ج ٦، ص ٥٦، والمسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٤، ص ١٩٥، وجاء فيه: وقيل سنة ٢٥٦.

(٦٣٠) ابن النديم، المصدر نفسه، طبعة طهران، ص ٢٠٨.  
(٦٣١) للمسعودي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٩٥ - ١٩٦.

(٦٣٢) ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأديباء أو طبقات الأديباء، ج ٦، ص ٥٧.

(٦٣٣) ابن النديم، المصدر نفسه، طبعة طهران، ص ٢١٠ - ٢١٢؛ ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٧٦ - ٧٧، والبندادي، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ١، ص ٨٠٢ - ٨٠٣.  
(٦٣٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٩٧.

الجبائي إماماً في الاعتزال وإليه انتهت رئاسة معتزلة البصرة في أيامه<sup>(٣٣٠)</sup>. وله مسائل انفرد بها وتابعه عليها أكثر المعتزلة فيها فكُونوا الطائفة التي نسبت إليه.

قال الجبائي إن حقيقة الطاعة موافقة الإرادة، وكل من فعل مراد غيره أطاعه، وسمي الله عز وجل مطيعاً لعبده إذا فعل مراد العبد، وإن أساء الله جارية على القياس، وجوز اشتقاق اسم له من كل فعل فعله، فهو يحبل النساء يخلق الولد فيهن. وقال بوجود عَرَض واحد في أمكنة عديدة كوجود كلام واحد في محلات عديدة، وإن الكلام المكتوب في محل إذا كتب في غيره كان موجوداً في المحلين من غير انتقال منه عن المكان الأول إلى الثاني ومن غير حدوث في الثاني، وإن كلامه تعالى عَرَض وقد يوجد في أمكنة كثيرة، وفي مكان بعد آخر في وقت واحد، أي أنه عندما ينتقل إلى مكان آخر لا يعدم وجوده في المكان الأول. وقال بإثبات الفعل الواحد للعبد خلقاً وإبداعاً؛ وإضافة الخير والشر والطاعة والمعصية إليه استقلالاً واستعداداً. وزعم أن الله تعالى إذا أراد أن يغي العالم خلق عَرَضاً لا في محل وأفى به جميع الأجسام والجواهر، ولا يصح في قدرته أن يغي بعض الجواهر مع بقاء بعضها.

ويرى الشهرستاني أن بعض مقولات الجبائي قريبة من مذهب الفلاسفة<sup>(٣٣١)</sup>. وقال عبد القاهر البغدادي إن الجبائي قد كفر بقوله إن الله تعالى يطيع عباده إذا فعل مرادهم<sup>(٣٣٢)</sup>.

وصار محمد الجبائي في أواخر حياته إلى بغداد، وكان يتردد بينها وبين سامراء حاضرة الخلافة آنذاك. وقد توفي بها في شعبان سنة ٣٠٣ وكان أوصى أن يدفن هناك إلا أن ابنه هاشم حمل جثمانه إلى جُبي فدُفِنه هناك في مقبرة بها والدة أبي علي وزوجته<sup>(٣٣٣)</sup>.

وللجبائي تفسير حافل مطول، ردُّ عليه الأشعري<sup>(٣٣٤)</sup>.

أما ابنه أبو هاشم عبد السلام بن محمد الجبائي فقد ولد بالبصرة في سنة ٢٤٧<sup>(٣٣٥)</sup>، ونشأ بها في رعاية أبيه العلمية والفقهية، فدرس عليه علم الكلام وأصول الاعتزال، وقال بمقولات أبيه. كما درس الأدب والنحو على علماء البصرة فبلغ أعلى مراتب النحو<sup>(٣٣٦)</sup>.

---

(٦٣٥) ابن النديم، المصدر نفسه، طبعة طهران، ص ٢١٧ - ٢١٨، وابن خلكان، وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٣، ص ٣٩٣.

(٦٣٦) الشهرستاني، الملل والنحل، ج ٢، ص ٨٠.

(٦٣٧) البغدادي، أصول الدين، ص ٣٣٧.

(٦٣٨) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، طبعة طهران، ص ٢١٨، وابن خلكان، وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٣، ص ٣٩٤.

(٦٣٩) الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ٧، ص ١٣٦.

(٦٤٠) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٥٥.

(٦٤١) ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمجمع الأدباء أو طبقات الأدباء، ج ٥، ص ٢٧٦.

نشأ أبو هاشم متمرساً في علم الكلام وأصول الاعتزال ومقولات مختلف فرقههم، وكان وافق أباه في مقولاته، ثم انفرد عنه ببعض الأقوال أيلده بعض أتباع أبيه وسموا البهشمية نسبة إلى كنيته. وقد توسعت هذه الطائفة حتى صار أكثر معتزلة أهل البصرة على مذهبه، وكانوا يسمون (الدُّمِيَّة) لقولهم باستحقاق الذم لا على فعل<sup>(١١١)</sup>.

وأهم الأقوال التي أضافها أبو هاشم إلى مقولات أبيه، قوله باستحقاق العبد الذم والعقاب من غير ذنب، أي لا على فعل ارتكبه ولكن من أجل أنه لم يفعل ما أمر به مع قدرته عليه وتوفر الآلة له، وارتفاع الموانع، وسمي من لم يفعل ما أمر به عاصياً وإن لم يفعل معصية. وقوله باستحقاق الإنسان الذم والشكر على فعل الغير، أي أنه يستحق الشكر أو الذم على أمر يأمر به غيره لا على الفعل المأمور به الذي فعله غيره. وقوله في التوبة أنها لا تصح عن ذنب مع الإصرار على فعل قبيح آخر يعلمه أو يعتقد قبيحاً وإن كان حسناً. كما أنها لا تصح عن الذنب بعد العجز عن القيام بمثله. وخالف أبو هاشم أباه في صفات البارئ عز وجل. فبينما كان أبوه يقول إن صفات الله هي لذاته بما لا يستلزم كونه متصفاً بها، فإذا قلنا إنه عالم فهو عالم لذاته ولا يقتضي كونه عالماً صفة هي العلم أو أية حالة توجب كونه عالماً، قال أبو هاشم إن الله تعالى عالم لذاته بمعنى أنه ذو حالة هي صفة معلومة وراء كونه ذاتاً موجوداً، وإنما تعلم الصفة على الذات لا بانفرادها. وأثبت أحوالاً هي صفات لا موجودة ولا معدومة ولا معلومة ولا مجهولة، أي أنها لا تعرف إلا مع الذات، فزعم أن البارئ عز وجل سميع بصير، إنما هي حالة صفة معلومة وراء كونه ذاتاً، أي أنها صفات لا توجد إلا مع الذات<sup>(١١٢)</sup>.

قدم أبو هاشم مدينة السلام في سنة ٣١٤ واشتهر بها متكلماً صانعاً للكلام مقتدراً عليه، وبها توفي يوم الأربعاء لثنتي عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة ٣٢١. وفي هذا اليوم مات أيضاً محمد بن الحسن العالم اللغوي المعروف بابن دريد فقيلاً: مات علم اللغة وعلم الكلام<sup>(١١٣)</sup>، وذلك إشارة إلى ما وصل إليه كل منهما من منزلة عالية في موضوعه. ولأبي هاشم عدد من المصنفات أغلبها في علم الكلام ومذهب الاعتزال، منها: كتاب الجامع الكبير، وكتاب الجامع الصغير، وكتاب الأبواب الكبير، وكتاب الأبواب الصغير، وكتاب الانسان، وكتاب الاجتهاد، وكتاب الطبائع والنقض على القائلين بها، وكتاب العوض<sup>(١١٤)</sup>.

(٦٤٢) البغدادي، الفرق بين الفرق وبيان الفرقه الناجية منهم، ص ١١١.

(٦٤٣) حول مقولاته، انظر: المصدر نفسه، ص ١١١ - ١١٥؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ٨٢ - ٨٣، والمقرئزي، الخطط القريرية المسية بالمواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل وذكر القاهرة وما يتعلق بها ويقتضيها، ج ٢، ص ٣٤٨.

(٦٤٤) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، طبعه طهران، ص ٢٢٢؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٢، ص ٣٥٥، وياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدياء أو طبقات الأدياء، ج ٦، ص ٤٨٣.

(٦٤٥) ابن النديم، المصدر نفسه، طبعه طهران، ص ٢٢٢، والبغدادي، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ١، ص ٥٦٩.



## ٦ - المعتزلة وأهل السنة

حقق المعتزلة نجاحاً كبيراً عندما أخذ ثلاثة من الخلفاء على التوالي هم المأمون والمعتصم بالله والواثق بالله، بأصول مذهبهم واعتبروه المذهب الرسمي للدولة العربية. إلا أنهم رغم ذلك لم يستطيعوا الثبات في ميدان المذاهب الفقهية. وكان لتطرفهم واستعمالهم العنف في إكراه الفقهاء والقضاة على القول بخلق القرآن رد فعل شديد لدى أكثرية المسلمين على مختلف انتماءاتهم الفقهية. وقد ظهر ذلك واضحاً عندما ناصر المتوكل على الله أهل السنة، فأخذ هؤلاء وأصحاب الانتفاءات الفقهية الأخرى ينتقمون من المعتزلة ويبحرحوهم في عقيدتهم ويرمونهم بالمرق والحروج عن الدين القويم. وقد نصبت المنابر لرجال الحديث في سامراء وبغداد وغيرهما من الأمصار، ليحدثوا الناس بأحاديث الصفات والرؤية وأمثال ذلك من المواضيع التي أنكر المعتزلة القول بها. وكان فقهاء الخنابلة ثم الأشعرية أبرز أهل السنة ممن قاوموا المعتزلة، مما أضعف شأنهم وأدى إلى انحصارهم عن الميدان الديني تدريجياً.

وكان أئمة الإسلام منذ القرن الثاني قد اهتموا المعتزلة في عقيدتهم. فقد صنف الإمام جعفر الصادق المتوفى سنة ١٤٨ كتاباً في الرد عليهم، وقال عنهم: أرادت المعتزلة أن توحيد ربها فألحدت<sup>(١١٧)</sup>. وصنف الإمام أبو حنيفة كتاباً في الرد عليهم سماه الفقه الأكبر، وقال صاحبه أبو يوسف فيهم إنهم زنادقة. وللإمام الشافعي كتاب في الرد على أهل الأهواء، وذكر في كتابه القياس أنه رجع عن قبول شهادة المعتزلة وأهل الأهواء<sup>(١١٨)</sup>. وقال محمد بن الحسن الشيباني المتوفى سنة ١٨٩: من صلى خلف القدري القائل بخلق القرآن يعيد صلاته<sup>(١١٩)</sup>.

لقد كانت بعض أصول المعتزلة ومقولات رؤسائهم تخالف آراء أهل السنة وعقيدتهم في عديد من المسائل. وذكر الشهرستاني أوجه هذا الخلاف بين الفئتين كما يلي<sup>(١٢٠)</sup>: قال أما التوحيد فقد قال أهل السنة وجميع الصفاتية إن الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له. وقال أهل العدل - المعتزلة - إن الله تعالى واحد في ذاته لا قسمة له ولا صفة، وواحد في أفعاله لا شريك له، فلا قديم غير ذاته، ولا قسيم له في أفعاله، ومحال وجود قديمين ومقدورين بين قادرين.

أما العدل فعلى مذهب أهل السنة أن الله تعالى عدل في أفعاله بمعنى أنه متصرف في ملكه وملكه، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. فالعدل وضع الشيء موضعه، وهو التصرف في الملك على مقتضى المشيئة والعلم، والظلم بضده فلا يتصور منه جور في الحكم وظلم في التصرف. وعلى مذهب أهل الاعتزال فإن العدل هو ما يقتضيه العقل من الحكمة، وهو إصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة.

(٦٤٦) البغدادى، أصول الدين، ص ٣٠٨.

(٦٤٧) المصدر نفسه.

(٦٤٨) المصدر نفسه، ص ٣١٢.

(٦٤٩) الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ٤٢.

وأما الوعد والوعيد، فقد قال أهل السنة: الوعد والوعيد كلامه الأزلي، وَعَدَ عَلَى مَا أمر وَأُوْعِدَ عَلَى مَا نهي، فكل من نجا واستوجب الثواب فيوعده، وكل من هلك واستوجب العقاب فيوعده. فلا يجب عليه شيء من قضية العقل. وقال أهل العدل: لا كلام في الأزل وإنما أمر ونهى وَأُوْعِدَ وَأُوْعِدَ بكلام محدث فمن نجا فبفعله استحق الثواب، ومن خسر فبفعله استوجب العقاب، والعقل من حيث الحكمة يقتضي ذلك.

وأما السمع والعقل فقد قال فيها أهل السنة: الواجبات كلها بالسمع، والمعارف كلها بالعقل، والعقل لا يحسن ولا يقبح ولا يقتضي ولا يوجب، والسمع لا يعرف، أي لا يوجد المعرفة بل يوجبها. وقال أهل العدل: المعارف كلها معقولة بالعقل، واجبة بنظر العقل، وشكر النعم واجب قبل ورود السمع، والحسن والقبح صفتان ذاتان للحسن والقبح من الأفعال.

وكان علم الكلام الذي تسلم به المعتزلة وتفوقوا على غيرهم باستخدامه، هو السلاح الذي حوربوا به. فقد خرج الفقيه المتكلم أبو الحسن الأشعري على أستاذه محمد بن عبد الوهاب الجبائي رئيس معتزلة البصرة في أيامه، وكان قد درس عليه علم الكلام، وأخذ منه أصل الاعتزال. فناصر أهل السنة بنقضه أصول المعتزلة والرد عليهم وبخاصة ما يتعلق بالاختيار المطلق ونفي الرؤية والصفات والقول بخلق القرآن، مستفيداً من دراساته العميقة لتلك الأصول، ومعرفته بنقاط الضعف فيها والمآخذ عليها. وفيما يأتي موجز بسيرته وآرائه لتبين مدى تأثيره في دحر الاعتزال وانتصار أهل السنة.

## ٧ - أبو الحسن الأشعري وأصول الأشعرية

هو علي بن اسماعيل بن أبي بشر اسحاق بن سالم، ويرتقي نسبة إلى الصحابي أبي موسى الأشعري وتكاد أغلب المصادر الأولية تجمع على أنه ولد بالبصرة سنة ٢٦٠هـ<sup>(١)</sup>. وبها نشأ وأقام أكثر أيام حياته. درس اللغة والفقه والحديث على علماء البصرة وشيوخها، وأخذ علم الكلام وأصول الاعتزال عن زوج أمه رئيس المعتزلة محمد بن عبد الوهاب الجبائي، وظل أربعين سنة ملازماً له مقتدياً برأيه في الاعتزال، حتى صار من أئمة<sup>(٢)</sup>.

وكان من الطبيعي أن ينشأ من الاختلافات الحادة التي قامت بين المعتزلة العقليين، وأهل السنة الملتزمين بالنصوص، رأي آخر يتوسط بينهما ويحاول التوفيق بين ما تنص عليه المنقولات وما يقوله أهل الرأي حول المسائل التي قام الخلاف والجدل حولها بينهما. وكان أبو

(٦٥٠) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ١١، ص ٣٤٧، ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٦، ص ٣٣٣، وابن خلكان، وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٢، ص ٤٤٦.  
(٦٥١) ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٣٣٣، والمقرئزي، الخطط القرطبية المسماة بالمواظع والاعتبار بذكر الخطط والآثار يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها، ج ٢، ص ٣٥٩.

الحسن الأشعري الذي غدا من كبار المعتزلة المتمرسين في أصولها، قد خرج عليهم لما لمس من تطرفهم في آرائهم وتصبيهم لها وإكراههم الآخرين عليها، فخرج في يوم جمعة إلى المسجد الجامع بالصرة، وَرَقِيَ كرسياً وأعلن على رؤوس الأشهاد أنه كان معتزلياً يقول بخلق القرآن، وأن الله لا يرى بالأبصار، وقد تاب الآن وأقلع عن القول بذلك، وأنه سريد على المعتزلة أقوالهم ويفضح معانيهم. ويقول ابن الجوزي إنه كان معه شريط فشده على وسطه ثم قطعه وأعلن توبته عن القول بالاعتزال<sup>(٣٠٣)</sup>.

إلا أن الأشعري لم يستطع التخلي عن جميع ما كان قد رسب في ذهنه من الآراء والمفاهيم التي يقول بها المعتزلة وقد كان عليها طيلة أربعين عاماً. فحاول أن يأخذ موقفاً وسطاً بين افراط المعتزلة ومغالاتهم في نزعتهم العقلية وحريتهم الفكرية من جهة، وجود أهل النص وركوبهم إلى ظاهر معانيه من جهة أخرى. منطلقاً من أن المذاهب الفقهية جميعها مصيبة في اجتهداتها، وأن الخلافات فيما بينها إنما تقتصر على الفروع دون الأصول. ولما حاول أن يوفق بين ما يقوله المعتزلة وقول أهل السنة في مسألة خلق القرآن مثلاً، قال: إن كلام الله عز وجل ليس مجرد أصوات وكلمات بل إنه حديث نفسي وهو أزلي مثل الصفات الدلالية الأخرى، غير مخلوق، ولكنه غير مستقل عن الحديث اللفظي الذي هو فعل زمني مخلوق، «إذ إن الألفاظ المنزلة على لسان الملائكة إلى الأنبياء دلالات على الكلام الأزلي، والدلالة خلوقة معدة، والدلول قديم أزلي»<sup>(٣٠٤)</sup>. وكأنه بهذا جعل للباري عز وجل نوعين من الكلام أحدهما أزلي غير مخلوق، وهو قول يرضي به أهل السنة، والآخر مخلوق بزمان قاله ليرضي به المعتزلة. وكذا فعل في قوله عن صفات الله تعالى التي جرده عنها المعتزلة واعتبروها معاني استخدمت مجازاً واستعاراً للتشبيه والتوضيح، لأنه ليس كمثله شيء، واعتبرها أهل السنة صفات إضافية على ذاته عز وجل وأخذوا بمعانيها الظاهرة وفسروها تفسيراً حرفياً، قال الأشعري إن الباري عز وجل يتصف حقيقة بالأوصاف التي وردت في القرآن الكريم، وهي صفات أزلية قائمة بذاته، إلا أنها مغايرة لذاته ولا وجود لها خارج ذاته<sup>(٣٠٥)</sup>. فاعترف بوجودها، كما يقول أهل السنة، وبعدم وجودها، على رأي أهل الاعتزال. وكذلك مزج بين آراء الجانبين وأقوالهم في وجوب معرفة الله بالسمع والعقل لإرضاء لكليهما، فقال «إن الواجبات كلها سمعية والعقل لا يوجب شيئاً... ومعرفة الله بالعقل تحصل وبالسمع تحجب»<sup>(٣٠٦)</sup>.

أما أصول الأشعرية وهي جملة عقيدة الأشعري وآرائه الفقهية فقد أوضحها كل من الشهرستاني والمقرئزي، كالآتي: إن الباري عز وجل قادر بقدرة، حي ب حياة، مريد بإرادة، متكلم بكلام، سميع يسمع، بصير يبصر، وهذه الصفات أزلية قائمة بذاته تعالى. وإن الألفاظ المنزلة على لسان الملائكة إلى الأنبياء عليهم السلام، دلالات على الكلام الأزلي،

(٣٠٢) ابن التديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٢٧١؛ ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٣٣٣، وابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٤٧.  
(٣٠٣) الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ٩٦.  
(٣٠٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٩٥.  
(٣٠٥) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٠١.

والدلالة مخلوقة محدثة، والمبدول قديم أزلي. أما أفعال العباد فجميعها مخلوقة مبدعة من الله تعالى، مكتسبة للعبد، والكسب عبارة عن الفعل القائم بمحل قدرة العبد. وقال كل موجود يصح أن يُرى والباري عز وجل موجود فيصح أن يُرى، وقد ورد السمع بأن المؤمنين يرونه في الآخرة ولكنه لا يجوز أن يُرى في مكان ولا صورة ولا مقابلة ولا اتصال شعاع، فإن ذلك كله محال. وعن الإيمان قال الأشعري، إنه التصديق بالجنان، أما القول باللسان والعمل بالأركان فإنها فروع الإيمان، فمن صدق بالقلب، أي أقر بوحداية الله واعترف بالرسول تصديقاً لهم فيها جاءوا به من عند الله فهو مؤمن. وصاحب الكبيرة إذا خرج من الدنيا من غير توبة، فإن الأشعري يرى أن حكمه إلى الله تعالى، إما أن يغفر له برحمته، أو يشفع له رسول الله ﷺ وإما أن يعذبه بمقدار جرمه ثم يُدخله الجنة، ولا يجوز أن يخلد في النار مع الكفار، وليس من الواجب على الله أن يقبل توبته بحكم العقل، لأنه هو الموجب ولا يوجب عليه شيء أصلاً، بل لقد ورد السمع بقبول توبة التائبين، وأن الواجبات كلها سمعية، فلا يوجب العقل شيئاً البتة.

وقال إن بعث الرسل جائز لا واجب ولا مستحيل. فإذا بعث الله الرسول وأيده بالمعجزة الخارقة للعادة، وتحدى الناس ودعاهم، وجب الإصغاء إليه والاستماع منه والامتثال لأوامره ونواهيهِ. وإن ما ورد به السمع من الأخبار عن الأمور الغائبة عنا كاللوح والقلم والعرش والكرسي والجنة والنار، وما ورد به من الأخبار التي ستقع في الآخرة مثل سؤال القبر والثواب والعقاب فيه، والحشر والمعاد والميزان والحساب والصراف، كل ذلك حق ومصدق يجب الإيمان به واجراؤه على ظاهره. وإن الاسماة تثبت بالاتفاق والاختيار دون النص والتعيين على واحد معين<sup>(١٠٦)</sup>.

يُلاحظ أن محاولة الأشعري التوفيق بين مقولات المعتزلة وما يقول به أهل السنة قادته إلى أقوال تبريرية تستهدف إرضاء الجانبيين. إلا أنها في الواقع أغضبت عليه المعتزلة، كما أغضبت المتطرفين من أهل السنة وبخاصة أتباع الإمام أحمد فاتهموه بأنه أربك العقيدة. وقد اختلفت أقوال الفقهاء والمؤرخين بشأن الأصول التي وضعها أبو الحسن الأشعري. يقول عبد القاهر البغدادي عنه «شيخ النظر وإمام الألقا في الجدل والتحقيق أبو الحسن الأشعري الذي صار شجى في حلق القدرة وقد ملا الدنيا بكتبه، وما رزق أحد من المتكلمين ومن التبع ما قد رزق، لأن جميع أهل الحديث وكل من لم يتممزل من أهل الرأي على مذهبه»<sup>(١٠٧)</sup>. ويقول الخطيب البغدادي «قال أبو بكر الصيرفي: كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله الأشعري فجحرمهم من أفاع السمسم»<sup>(١٠٨)</sup>. ويقول

(١٠٦) المصدر نفسه، ج ١، ص ٩٥-١٠٣، والمقريري، الخطط المقريرية المسببة بالمواظف والاعتبار بذكر الخطط والآثار ينخص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل وذكر القاهرة وما يتعلق بها وإقليمها، ج ٢، ص ٣٦٠.

(١٠٧) البغدادي، أصول الدين، ص ٣٠٩-٣١٠.

(١٠٨) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ١١، ص ٣٤٧. والصيرفي أبو بكر محمد بن عبد الله المتوفى سنة ٣٣٠، أحد كبار المتكلمين الفقهاء من الشافعية، وله كتب في أصول الدين. انظر: الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ٧، ص ٩٦.

عنه ابن الجوزي «كان على مذهب المعتزلة زماناً طويلاً ثم عن له مخالفتهم وأظهر مقالة خبطت عقائد الناس وأوجبت الفتن المتصلة، وكان الناس لا يحتفظون في أن هذا المسموع كلام الله وأنه نزل به جبريل عليه السلام على محمد ﷺ، فالأئمة المتمد عليهم قالوا إنه قديم، والمعتزلة قالوا إنه مخلوق، فوافق الأشعري المعتزلة في أن هذا مخلوق، وقال ليس هذا كلام الله، إنما كلام الله صفة قائمة بذاته ما نزل ولا هو مما يسمع. وما زال «الأشعري» منذ أظهر هذا خائفاً على نفسه لخلافه أهل السنة حتى أنه استجار بدار أبي الحسن التميمي حذراً من القتل»<sup>(٣٩٤)</sup>. ويقول عنه ابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ «هو صاحب الأصول والقائم بنصرة مذهب أهل السنة، وإليه تنسب الطائفة الأشعرية، وشهرته نفي عن الاطالة في تعريفه»<sup>(٣٩٥)</sup>. ويقول أبو الفداء المتوفى سنة ٧٣٢ «اشتغل بعلم الكلام على مذهب المعتزلة زماناً طويلاً، ثم خالف المعتزلة والمشبهة فكانت مقالته أمراً متوسطاً... وصارت مقالته أشهر المقالات حتى طبق الأرض ذكرها»<sup>(٣٩٦)</sup>.

لقد استطاع أبو الحسن الأشعري أن ينحو منحى جديداً في التفكير الذي يقوم على نصرة أهل السنة. ومع أن تبريراته في التوفيق بين الرأي والنقل لا تجتهد فيها، فقد لقيت كتبه رواجاً، وآراؤه تأييداً، مما أتاح لأقواله الانتشار بحيث غدا مذهبه في القرن التالي - الرابع - أوسع المذاهب انتشاراً. ويمكن القول إنه أول من استخدم العقل لنصرة مذهب أهل السنة في مناظرة المعتزلة، مما جعله كبير متكلمي أهل السنة.

وقد صُنِّفَ الأشعري عدداً كبيراً من الكتب ذكر ابن النديم منها كتاب المعجم، وكتاب الشرح والتفصيل في الرد على أهل الإلحاد والتضليل، وكتاب الموجز، وكتاب إيضاح البرهان، وكتاب التبيين عن أصول الدين<sup>(٣٩٧)</sup>. وذكر المقرئ أن الأشعري صنف خمسة وخمسين كتاباً وعدد منها سبعة هي التي ذكرها ابن النديم، وأضاف كتاب الإبانة، وكتاب تفسير القرآن، ويقال إنه في سبعين مجلداً<sup>(٣٩٨)</sup>. وذكر له صاحب هدية العارفين نحواً من ثمانين كتاباً بضمنها الكتب التي ذكرها ابن النديم والمقرئ، وأغلبها في الجدل والرد على بعض مقولات المعتزلة، وعلى من يسميهم أهل الزيغ وأهل التناسخ، وقليل منها في الفقه والتفسير<sup>(٣٩٩)</sup>.

اختلفت المصادر الأولية في سنة وفاة الأشعري، فبعضها يقول إنه توفي سنة ٣٢٠، وبعضها يقول في سنة ٣٢٤، واعتبره بعضها من وفيات سنة ٣٣١، وقد ثبته صاحب قاموس

(٦٥٩) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٦، ص ٣٣٢.

(٦٦٠) ابن خلكان، وفیات الأعيان وأنباء الزمان، ج ٢، ص ٤٤٦.

(٦٦١) عباد الدين إسماعيل بن علي أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج ٤، ص ٢ (القاهرة: المطبعة

الحسنية، ١٨٦٩)، ج ٢، ص ٩٠.

(٦٦٢) ابن النديم: الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم،

ص ٢٧١.

(٦٦٣) المقرئ، الخطط المقرئية المسماة بالمواظ والاعتبار يذكر الخطط والآثار يختص ذلك بأخبار

إقليم مصر والنيل وذكر القاهرة وما يتعلق بها ويقتضيها، ج ٢، ص ٣٥٩.

(٦٦٤) البندادي، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ١، ص ٦٧٦ - ٦٧٧.

الأعلام من وفيات سنة ٣٢٤ . وقد دفن في الجانب الغربي من مدينة السلام في مقبرة مشرعة الروايا<sup>(٣٣٠)</sup>.

---

(٦٦٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ١١، ص ٤٣٧؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٦، ص ٣٣٠؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٢، ص ٤٤٦؛ أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج ٢، ص ٨٩؛ المقرئ، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٥٩؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٣، ص ٢٥٩.

الفصل الخامس

حركة الترجمة وخزائن الكتب





## أولاً: حركة الترجمة

### ١ - بداية حركة الترجمة

يمكن تقسيم حركة الترجمة تاريخياً إلى عهدين: يبدأ العهد الأول منذ أيام الخليفة أبي جعفر المنصور حتى وفاة هارون الرشيد. ويمتد العهد الثاني منذ تولي المأمون الخلافة حتى منتصف القرن الرابع. ولا يخفى أن هذا التقسيم شكلي تنظيمي، إذ إن حركة الترجمة التي بدأت في أيام المنصور سارت قُدماً، وإن قسماً من المترجمين الذين برزوا في العهد الأول كانوا من المبرزين في العهد الثاني أيضاً. والذي يعنينا في هذا البحث أن نتابع هذه الحركة في عهدها الثاني طيلة القرن الثالث، ونتعرف على أشهر النقلة في خلاله. على أننا نرى من الضروري أن نلقي قبل ذلك نظرة خاطفة على سير الحركة في عهدها الأول.

ويمكن القول إن حركة الترجمة بدأت في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور عندما قدم عليه الحكيم الهندي (مانكا) وهو عالم بالرياضيات وعلم النجوم، وقد جاء معه بكتاب السد هانت وهو في علم الفلك عند الهنود. وكان المنصور شديد الاهتمام بأحكام النجوم كلفاً بها بحيث أنه لما بنى مدينة بغداد وضع أساسها في وقت اختاره المنجمون<sup>(١)</sup>. فكلف الخليفة الحكيم الهندي بإملاء مختصر الكتاب المذكور، ثم أمر بترجمته إلى اللغة العربية، وإن يؤلف منه كتاب تتخذة العرب أصلاً في حركات الكواكب<sup>(٢)</sup>. فتولى ذلك إبراهيم بن حبيب الفزاري الذي

(١) أحمد بن أبي يعقوب البغدادي، البلدان (لندن: مطبعة بريل، ١٨٩٢)، ص ٢٣٨.

(٢) أبو الحسن علي بن يوسف الفطفي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمتنقيات المتنقيات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحرير يوليوس ليرت (لبنك: ديتريخ، ١٩٠٣)، ص ٢٧٠.

كان من جملة منجمي المنصور الذين اختاروا وقت وضع أسس مدينة بغداد<sup>(٣)</sup>. وفي هذا الوقت نفسه بدأت الترجمة من اللغة اليونانية كذلك على أيدي عدد من المترجمين. ويروى أن الخليفة المنصور طلب إلى الامبراطور الروماني أن يرسل إليه مخطوطات يونانية في العلوم الرياضية<sup>(٤)</sup>.

وكان الخليفة هارون الرشيد قد أولى حركة الترجمة أهمية خاصة، فقد جلب في عودته من إحدى حملاته على بلاد الروم عدداً من كتب الحكمة اليونانية ووضعها في خزانة خاصة، وولى أبا سهل الفضل بن نويخت القيام بأمر هذه الخزانة<sup>(٥)</sup>. وجعل الطبيب يوحنا بن ماسويه أميناً على الترجمة ورتب له كتاباً حذاقاً يكتبون بين يديه<sup>(٦)</sup>. فأسس الرشيد بذلك ما عرف ببيت الحكمة. ومن أبرز مترجمي هذا العهد من أشارت إليهم مصادرنا التراثية:

الحجاج بن يوسف بن مطر، وهو من أهل الكوفة عاش ببغداد وكان يعمل في بيت الحكمة، وقد توفي سنة ٢٢٠هـ. ذكره ابن النديم في قائمة النقلة إلى اللسان العربي<sup>(٧)</sup>. ومن أهم أعماله في الترجمة أنه نقل كتاب اقليدس في أصول الهندسة إلى اللغة العربية، وقد نقله مرتين: النقل الأول في أيام هارون الرشيد وسمي الهاروني، والنقل الثاني في عهد المأمون فسعي المأموني، وهو أجود وعليه يُعْمَل<sup>(٨)</sup>.

وعمر بن الفرساني أبو حفص، أحد رؤساء الترجمة والمحققين بعلم حركات النجوم<sup>(٩)</sup>. وكان من حذاق الترجمة الأربعة في الاسلام<sup>(١٠)</sup>. وقد اتصل بالمأمون وترجم له بعض الكتب، وألف له كتاباً في النجوم وفي الفلسفة، منها: كتاب تفسير الأربع مقالات

(٣) اليعقوبي، المصدر نفسه، ص ٢٤١، وجاء اسمه فيه إبراهيم بن محمد الفزاري، وذكره الففطي باسم محمد بن إبراهيم الفزاري، والأصح ما ذكرناه استناداً إلى تحقيق: كارلو ألفونسو نالينو، علم الفلك: تاريخه عند العرب في القرون الوسطى (روما: مطبعة روما، ١٩١١)، ص ١٦٢.

(٤) فاسيل فلاديميروفيج بارتولد، تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمه عن الروسية حمزة طاهر، ط ٤ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٤٤)، ص ٢١.

(٥) الففطي، تاريخ الحكاء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمتنقيات المتنقيات من كتاب إخبار العلماء بإخبار الحكاء، ص ٢٥٥.

(٦) المصدر نفسه، ص ٣٨٠.

(٧) توماس أرنولد [وأخرون]، تراث الإسلام، عربي وعلّق حواشيه جرجيس فتح الله، ط ٣ (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٨)، ص ٥٦٩.

(٨) أبو الفرج محمد بن إسحق بن النديم، الفهرست في إخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماؤهم (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٢٠)، ص ٣٥٥.

(٩) المصدر نفسه، ص ٣٨٥، والففطي، تاريخ الحكاء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمتنقيات المتنقيات من كتاب إخبار العلماء بإخبار الحكاء، ص ٦٤، وأبو العباس أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق نزار رضا (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦٠)، ص ٩٦.

(١٠) الففطي، المصدر نفسه، ص ٢٤١ - ٢٤٢.

(١١) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٨٦.

لبطلميوس، وكان قد نقلها إلى العربية أبو يحيى البطريق<sup>(١٢)</sup>. وفسر عمر كلاً من كتاب بطلميوس إلى تلميذه سوري، وكان إبراهيم بن الصلت نقله إلى العربية وأصلحه حين بن اسحاق، والكتب الخمسة في علم الفلك والأحكام النجومية للورثيوس<sup>(١٣)</sup>.

ويحيى بن البطريق، وكان أميناً على الترجمة حسن التأدية للمعاني<sup>(١٤)</sup> ذكره ابن النديم في جملة المترجمين<sup>(١٥)</sup>. وهو من مترجمي بيت الحكمة وقد نقل عدداً من الكتب إلى اللغة العربية، وتوفي في سنة ٢٠٠هـ<sup>(١٦)</sup>. ومن أبرز أعماله في الترجمة نقله إلى العربية بعض كتب أرسطوطاليس، منها: كتاب أرسطو إلى الاسكندر ويعرف بـ *سر الأسرار*، وهو كتاب السياسة في تدبير الحروب. ويبدو أنه بحث عن الكتاب فعثر عليه وترجمه بطلب من الخليفة<sup>(١٧)</sup>. وكتاب *السما والعالَم*<sup>(١٨)</sup>، وكتاب *النفْس* وكتاب *الحيوان*<sup>(١٩)</sup>.

وبما يجدر ذكره أن البطريق أبا يحيى كان من المترجمين الأوائل أيضاً. فقد طلب إليه المنصور نقل بعض الكتب القديمة، وهو جيد النقل، ويقول ابن أبي أصيبعة إنه وجد بنقله كتباً في الطب من كتب أبقرات وجالينوس<sup>(٢٠)</sup>.

## ٢ - الترجمة في القرن الثالث

عندما تولى المأمون الخلافة في سنة ١٩٨ بدأ عهد جديد لحركة الترجمة هو العهد الثاني الذي امتد حتى منتصف القرن الرابع. وفيه تمت ترجمة أغلب كتب أبقرات وجالينوس وأرسطو وبطلميوس وأفلاطون. وصنفت كثير من الشروح والتفسيرات لتلك الكتب. وتميّز هذا العهد بدقة الترجمة، إذ بعد أن كان المترجمون الأول يتقيدون بالألفاظ فينقلون كل كلمة إلى ما يقابلها باللغة العربية أو السريانية، أخذ مترجمو هذا العهد يستوعبون معنى العبارات والجملة اليونانية ثم يعبرون عنها بما يؤدي المعنى نفسه بالعربية أو بالسريانية. ولذا أعيدت ترجمة عدد من الكتب المهمة، رغبة في الحصول على أصح النقل لها.

---

(١٢) القفطي، المصدر نفسه، ص ٢٤٢.

(١٣) المصدر نفسه، ص ٩٨ و ١٨٤.

(١٤) أبو داود سليمان بن حسان بن جلجل، طبقات الأطباء والحكباء، تحقيق فؤاد سيد، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية بالقاهرة، نصوص وترجمات؛ ١٠ (القاهرة: المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، ١٩٥٥)، ص ٦٧، والقفطي، المصدر نفسه، ص ٣٧٩.

(١٥) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٣٥٥.

(١٦) أرنولد [وآخرون]، تراث الإسلام، ص ٥٣٢.

(١٧) ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكباء، ص ٦٧.

(١٨) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٣٦٥.

(١٩) القفطي، تاريخ الحكباء: وهو مختصر الزوزني السمي بالمنتخبات المنقطعات من كتاب إخبار

العلماء بأخبار الحكباء، ص ٤١.

(٢٠) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٨٢.

كان الخليفة المأمون واسع الثقافة، بارعاً في الفقه، كلفاً بالفلسفة وعلم النجوم، يأنس بمجالسة العلماء والمتكلمين، فيعقد المجالس للمناظرة والمحادثة. مما شجّع على نشر الروح العلمية التي تمثلت بترجمة الكتب وتصنيفها. وبما يذكر عن سبب اهتمام المأمون بنقل كتب الحكمة اليونانية إلى اللغة العربية «ان المأمون رأى في منامه كان رجلاً أبيض اللون... جلس على سرير، قال للمأمون: فسررت به وقلت: أيها الحكيم، أسألك؟ قال: سل، قلت: ما الحسن؟ قال: ما حسن في العقل، قلت: ثم ماذا؟ قال: ما حسن في الشرع، قلت: ثم ماذا؟ قال: ما حسن عند الجمهور، قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم لا ثم... فكان هذا المنام من أوكد الأسباب في إخراج الكتب. فإن المأمون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات، وقد استظهر عليه المأمون فكتب يسأله الإذن في انفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلد الروم. فلجاب ملك الروم إلى ذلك بعد امتناع. فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحاجب بن مطر، وابن البطريق، وسلم صاحب بيت الحكمة، وغيرهم، فأخذوا ما وجدوا ما اختاروا. فلما حلوه إليه أمرهم بنقله ففعل<sup>(٣١)</sup>.

وسواء أكان ما جاء عن رؤيا المأمون حقيقياً أو موضوعاً، فإنه كان من محبي العلوم ونشرها، فشمع على اقتناء الكتب القديمة ونقلها إلى اللغة العربية ليعم الانتفاع بها.

على أن حركة نقل الكتب إلى اللغة العربية التي نشطت وازدهرت في أيام المأمون قد أصابها التفتت في عهد الخليفة المعتصم بالله الذي تولى الخلافة بعد أخيه المأمون وبمهد منه، وكان حريصاً على أن يقتدي بأخيه في جميع أعماله. ولكن اهتمامه بتأسيس مدينة سامراء لتكون معسكراً كبيراً لجند الأتراك وعاصمة جديدة للدولة العربية، وانشغاله بالحروب الداخلية والخارجية، شغله عن متابعة الحركة الثقافية، هذا مع ضالة ثقافته وانصرافه عن العلم. إلا أنه عندما تولى ابنه الواثق بالله عرش الخلافة - وقد عرف عنه عنايته بأمر العلم والأدب، وأنه كان يعقد المجالس العلمية والأدبية ليستمع إلى مناقشات العلماء والأدباء في مواضيع مختلفة - أخذت حركة الترجمة تنشط مجدداً. وقد بلغت أوج نشاطها في أيام المتوكل على الله الذي خلف أخاه الواثق بالله. وكان من أهم أسباب هذا النشاط ما ساد عهد المتوكل على الله من الاستقرار السياسي إذ لم يكن هناك من الحروب الخارجية والاضطرابات الداخلية المهمة ما يستدعي انصراف جهوده إليها والاتفاق عليها. والواقع أن أيام المتوكل على الله كانت «في حسنها ونضارتها ورفاهية العيش بها، وجد الخاص والعام لها ورضاعهم عنها، أيام سراء لا ضراء»<sup>(٣٢)</sup>. ولا ينكر أن في عهود الاستقرار السياسي من حياة الأمم تنشط الحياة الاقتصادية والحركة العمرانية، وتزدهر العلوم والأدب، وتوسع الثقافة. ويظهر أن المتوكل على الله قد أخذ بمنهج عمه المأمون في رعاية العلم والعلماء، ولا سيما جانب الترجمة من ذلك. فقد عقد إلى طييبه البارع والمترجم القدير حنين بن إسحاق العبادي إدارة بيت الحكمة ورياسة الترجمة فيه وجعل له كتّاباً نحارير عالين بالترجمة، كانوا يترجمون ويصنفون ما ترجمه<sup>(٣٣)</sup>. فجدد هذه الحركة الثقافية المهمة ومهد سبيل البحث العلمي وشجع الباحثين

(٢١) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٣٥٣.

(٢٢) أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط ٥ (٢٠٠٤: د.ن.، ١٩٦٧)، ج ٤، ص ١٢٢.

(٢٣) الفطحي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني السمي بالمختبرات المنتقاة من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ١٧١.

والعلماء على البحث عن المخطوطات اليونانية وحملها إلى بغداد لترجمتها. فاستأنفت حركة الترجمة نشاطها، وظلت ترجمة التراث اليوناني ودراسته متواصلة بأشد ما يمكن من العزيمة والنشاط.

### ٣ - توسع حركة الترجمة

إن الاهتمام بإخراج الكتب من بلاد الروم لم يقتصر على الخلفاء وحدهم، فقد عُني بذلك آخرون من رجال الدولة وأعيانها وعلماؤها؛ فقد كان بعضهم من محبي اقتناء الكتب وبخاصة تلك التي تنقل من اليونانية وهي تحمل اسم أبقرات وجالينوس وسقراط وأفلاطون وأرسطوطاليس وغيرهم من حكماء اليونان. بل إن كتباً معينة (ترجمت بناء على طلب بعضهم. فإن حنين بن اسحاق نقل كتاب الصوت لجالينوس إلى اللغة العربية للوزير محمد بن عبد الملك الزيات<sup>(٢٤)</sup>)، الذي كان ينفق على المترجمين والنسائخين قرابة ألفي دينار في الشهر<sup>(٢٥)</sup>.

كما أخذ عمو الكتب ينقبون في أسفارهم عن الكتب القديمة النادرة ويعهدون إلى المترجمين بترجمتها. ومن عني بذلك أبناء موسى بن شاكر أحد منجمي المأمون، وهم أحمد ومحمد والحسن، فقد «بللوا الرغائب، وأنفلوا حنين بن اسحاق وغيره إلى بلد الروم، فجاءهم بطرائف الكتب وغرائب المصنفات في الفلسفة والهندسة والموسيقى والأرناطيقى والطب، وانهم كانوا يبرزقون جماعة من النقلة منهم حنين بن اسحاق، وحبيش، واسحاق بن حنين وثابت بن قرّة، وغيرهم، في الشهر خمسين ديناراً للنقل والملازمة»<sup>(٢٦)</sup>. وبذلوا جهوداً في ترجمة بعض الكتب النادرة. ومثال ذلك كتاب المخروطات لأبلونيوس، وكانت أجزاءه الثمانية متفرقة بين الناس فسعوا إلى جمعها حتى عثروا على سبعة منها، توفروا على ترجمتها هلال الحمصي وثابت بن قرّة<sup>(٢٧)</sup>، وترجم عيسى بن يحيى بن ابراهيم كتاب الأخطاط لجالينوس لأحمد بن موسى<sup>(٢٨)</sup>. وترجم حنين بن اسحاق كتاب الكسر لأبقرات بتفسير جالينوس لمحمد بن موسى<sup>(٢٩)</sup>.

وذكر ابن أبي أصيبعة عدداً ممن شجعوا النقل من اللغة اليونانية، منهم: تادرس الأسقف وكان اسقفاً في الكرخ، حريصاً على طلب الكتب متقرباً إلى قلوب نقلتها، فحصل منها شيئاً كثيراً، وصنّف له بعض الأطباء كتباً لها قدر وجعلوها باسمه<sup>(٣٠)</sup>. ومحمد بن

(٢٤) المصدر نفسه، ص ١٣٠.

(٢٥) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٨٤.

(٢٦) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٣٤٥،

والقفطي، المصدر نفسه، ص ٣٠ - ٣١.

(٢٧) القفطي، المصدر نفسه، ص ٦١ - ٦٢.

(٢٨) المصدر نفسه، ص ٩٥.

(٢٩) المصدر نفسه، ص ٩٤.

(٣٠) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٨٣.

موسى بن عبد الملك، وهو من رجال الدولة وقد تولى رياضة عدد من الدواوين في أيام المتوكل على الله بسامراء، ونقلت له كتب طبية. وكان يلخص الكتب ويميز جيد الكلام من رديته فيها<sup>(٣١)</sup>. وعيسى بن يونس الكاتب الحاسب، وهو من فضلاء الكتاب، كان كثير العناية بتحصيل الكتب القديمة والعلوم اليونانية<sup>(٣٢)</sup>. وأحمد بن محمد المعروف بابن المدبر وهو من رؤساء الدواوين، كان يصل إلى النقلة من أفضله شيء كثير<sup>(٣٣)</sup>. وإبراهيم بن محمد بن موسى الكاتب من رجال الدولة، كان حريصاً على نقل الكتب اليونانية إلى لغة العرب، ويرعى أهل العلم والنقلة<sup>(٣٤)</sup>.

وبالإضافة إلى ما حظيت به حركة الترجمة من تشجيع الخلفاء ورجال الدولة وأعيانها، كانت هناك عوامل أخرى تدفع إلى الاهتمام بترجمة الكتب اليونانية وغيرها إلى اللغة العربية. فإن مرحلة التطور الحضاري التي صار إليها العرب في القرن الثالث وازدياد ثروتهم العامة، جعلهم يتطلعون إلى معرفة ما عند غيرهم من العلوم. والمعارف والعلوم - كما يقول ابن خلدون - «تكثر حيث يكثر العمران وتعلم الحضارة»<sup>(٣٥)</sup>. فكانت الترجمة إحدى وسائل تحقيق هذه الغاية. وكان الجدل الذي قام بين رجال المذاهب الإسلامية، كالجدل الطويل الذي نشب بين أهل السنة والمعتزلة، ثم الجدل مع أهل السنة والزندقة والملاحدين، أحوج إلى الإلزام بقواعد الجدل وأصوله، فسعوا إلى ترجمة كتب المنطق من التراث اليوناني وما يتعلق منه بالكلام والجدل. كما أن الأقوام المختلفة التي انضوت تحت لواء الدولة العربية، وبخاصة أولئك الذين اعتنقوا الدين الإسلامي وأرادوا المساهمة في حركة الترجمة لإظهار معارفهم وتراثهم في شتى العلوم، ونقلها إلى اللغة العربية التي أصبحت اللغة الأساس في جميع أنحاء الدولة. ولا ننسى أهمية تقدم صناعة الورق آنذاك، وانتشار استعماله، فكان من أهم العوامل في اتساع حركة الترجمة والتأليف وازدهارهما.

#### ٤ - الترجمة من اللغتين الفارسية والهندية

هناك ظاهرتان بارزتان في موضوع حركة الترجمة تستحقان الوقوف عندهما قليلاً لمعرفة أسبابهما. الأولى عدم الاهتمام بكتب تاريخ أمة اليونان وأدبها، والثانية عدم النقل من التراث الفارسي والهندي إلا ما ندر. إن سبب عدم نقل شيء يستحق الذكر من كتب تاريخ اليونان وأدبها واضح، وهو أن ما يحتويه هذان الموضوعان من الأساطير بعيد عن العقلية العربية، وما

(٣١) المصدر نفسه.

(٣٢) المصدر نفسه.

(٣٣) المصدر نفسه، ص ٢٨٤.

(٣٤) المصدر نفسه.

(٣٥) أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المعبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: مقدمة ابن خلدون (مصر: المطبعة الخيرية، ١٩٠٤)، ص ٢٣٦.

يشوبها من الوثنية وتعدد الآلهة يعتبر كفراً يخالف روح الاسلام. أما النقل من اللغة الفارسية فقد كان ضئيلاً جداً قليل الأثر. وسبب ذلك، كما نرى، أن الفرس لم يكن لهم تراث طبي يستحق النقل لعلبة الطب اليوناني عليه. وإن تراثهم الأدبي والتاريخي محشو بالأغاليط والمخترافات والمبالغة مما لا يستسيغه العقل. يقول المؤرخ اليعقوبي: «فارس تدعى لمومها أسوراً كثيرة، مما لا يقبل مثلاً، من الزيادة في الخلقة حتى يكون للواحد عدة أفواه وعيون، ويكون للآخر وجه من نحاس، ويكون على كتفي آخر حيتان تطلعان أدمغة الرجال، وطول المدة في العمر، ودفع الموت عن الناس، وأشباه ذلك مما تدفعه العقول ويحرق في مجرى اللعاب والمزول، وبما لا حقيقة له»<sup>(٣٧)</sup>. أما تراثهم الروحي فقد كان ثوباً يقوم على الزعم بأن النور والظلمة أزليان، وذلك مما يعتبر شركاً في الإسلام. ولذلك اقتصر النقل من الفارسية على بعض الفرس المتعصبين ممن أرادوا التباهي بمراث أجدادهم، أمثال عبد الله بن المقفع الذي كان متضلعا من اللغتين العربية والفارسية فنقل كتاب كليله ودمنة، وهو كتاب هندي الأصل، تقوم حكاياته على أسنة الحيوانات. ونقل كتاب خدينامه في السير، وكتاب التاج في سيرة أنوشروان، وكتاب آيين نامه<sup>(٣٨)</sup>.

وعُرف عدد من عملوا في حقل الترجمة من الفارسية إلى العربية، منهم: علي بن زياد التميمي ويكنى بأبي الحسن، نقل من الفارسية إلى العربية كتاب زيج الشهريار<sup>(٣٩)</sup>. وأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، وقد ترجم عهد اردشير شعراً<sup>(٤٠)</sup>. واسحاق بن يزيد وقد نقل كتاب سيرة الفرس المعروف باختيارنامه<sup>(٤١)</sup>. وأبوسهل الفضل بن نوبخت وكان على خزانة بيت الحكمة في أيام الرشيد، وقد نقل بعض الكتب من الفارسية إلى العربية، ومُعَرِّف في علمه على كتب الفرس كما يقول ابن النديم والفقفي، وقد ذكر له بضعة كتب في التنجيم<sup>(٤٢)</sup>، وليس من الواضح أنه صنفها أو نقلها من الفارسية.

وذكر ابن النديم عدداً آخر من ساهموا بنقل الفارسية إلى العربية، دون أن يذكر ما ترجموه من الكتب<sup>(٤٣)</sup>، مما يستنتج منه أنها ضئيلة قليلة الأهمية.

وكذلك كان النقل من اللغة الهندية قليلاً جداً. لأن النهج في الطب الهندي جيء به إلى مدرسة جنديسابور الطبية وأضيف إلى النهج اليوناني الذي كان واضح التغلب<sup>(٤٤)</sup>. وقد

(٣٦) أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢ ج (بيروت: دار صادر، ١٩٦٠)، ج ١، ص ١٨٥.

(٣٧) ابن النديم، الفهرست في إخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ١٧٨.

(٣٨) المصدر نفسه، ص ٣٥٦.

(٣٩) المصدر نفسه، ص ١٧٠.

(٤٠) المصدر نفسه، ص ٣٥٦.

(٤١) المصدر نفسه، ص ٣٩٦، والفقفي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمتنقيات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٢٥٥.

(٤٢) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٥٥.

(٤٣) اسماعيل مطهر، تاريخ الفكر العربي (القاهرة: دار العصور، ١٩٢٨)، ص ١٢٤.

سبق أن أشرنا إلى أن حركة الترجمة كانت بدأت بنقل الكتاب الهندي السد هانت في علم الفلك عند الهند. وكانت ترحت بعض الكتب في الرياضيات وبخاصة في الحساب مما أشرنا إليه بشيء من التوضيح في الفصل الخاص بالرياضيات. ولم يذكر ابن النديم من النقلة من اللغة الهندية والنبطية إلى اللغة العربية سوى اثنين هما: ابن دهن الهندي، ويظهر أنه كان طبيياً، وابن وحشية وكان ينقل من النبطية إلى اللغة العربية<sup>(١٤)</sup>.

## ٥ - أبرز المترجمين وما ترجموه من الكتب

لقد كانت حصيلة حركة الترجمة أن نُقل إلى اللغة العربية واللغة السريانية كثير من كتب اليونان وغيرهم في الطب والفلسفة والرياضيات. وهي العلوم التي نالت اهتمام العلماء العرب آنذاك «بحيث لم يعد باقياً الشيء الكثير من العلم المعروف في عالم ذلك الزمن ولم ينقل إلى العربية»<sup>(١٥)</sup>. وقد أحصى ابن النديم والفقفي وابن أبي أصيبعة جانباً مهماً من تلك الكتب مع مترجميها، مما تسرت لهم معرفته. وفيما يأتي نذكر أبرز مترجمي القرن الثالث وأهم ما ترجموه من الكتب:

### أ - حنين بن اسحاق

أبو زيد العبادي، كان ماهراً في الترجمة إلى جانب مهارته في الطب. وقد انصرف إلى ترجمة الكتب اليونانية وإخراجها باللغة العربية، أو السريانية، إذ كان فصيحاً في اللسان اليوناني واللسان العربي «دخل إلى بلاد الروم لأجل تحصيل كتب الحكمة، وتوصل في تحصيلها غاية إمكانه، وأحكم اليونانية عند دخوله إلى تلك الجهات، وحصل نفائس هذا العلم»<sup>(١٦)</sup>. «وكان حنين أعلم أهل زمانه باللغة اليونانية، وبالسريانية، وبالفارسية، والدراية فيها، مما لا يعرفه غيره من النقلة الذين كانوا في زمانه، مع ما دأب عليه أيضاً في اتقان اللغة العربية والاشتغال بها حتى صار من جملة المتميزين فيها»<sup>(١٧)</sup>.

ولتعلم حنين اللغة اليونانية وتمهده فيها قصة يروها الفقفي وابن أبي أصيبعة، وخلاصتها: أن حنيناً تتلمذ على يوحنا بن ماسويه أحد كبار أطباء عصره، فكان يتردد على مجلسه ليدرس عليه كتاب هيراسيس لجالينوس، وهو مما يقرأه المبتدئون بصناعة الطب. ويبدو أن يوحنا ضاق بكثرة أسئلة حنين واستفساراته، فغضب عليه وطرده من مجلسه باعتباره لا يصلح لهذه الصناعة، وأن العمل في الصيرفة أجدر به باعتباره من أهل الحيرة التي اشتهر أبناءها بالعمل بهذه المهنة<sup>(١٨)</sup>. ويرى الفقفي أن ابن ماسويه لم يرق له أن يتعلم حنين صناعة الطب وهو عبادي بعيد عن أسرة الطب لأن «هؤلاء الجنديسابوريين كانوا يعتقدون أنهم أهل هذا

(١٤) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٥٦.

(١٥) أرنولد [وآخرون]، تراث الاسلام، ص ٣٦٥.

(١٦) الفقفي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات المنتقاة من كتاب إخبار العلماء باخبار الحكماء، ص ١٧٣.

(١٧) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٥٩.

(١٨) الفقفي، المصدر نفسه، ص ١٧٤، وابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٥٧ - ٢٥٨.



العلم ولا يخرجونه عنهم وعن أولادهم وجنسهم»<sup>(١٤٩)</sup> ويؤيده في ذلك ابن أبي أصيبعة<sup>(١٥٠)</sup>. فتألم حنين من سوء معاملة ابن ماسويه، وآلى على نفسه ألا يتعلم الطب حتى يحكم اللسان اليوناني احكاماً لا يكون في دهره من يحكمه إحكامه<sup>(١٥١)</sup>. فسافر إلى بلاد الشام ومصر. ويقول ابن النديم إنه دخل بلاد الروم<sup>(١٥٢)</sup>. ويرى المستشرق أوليري أنه ذهب إلى الاسكندرية ولم يكتسب مجرد التدريب الذي كان يعتبر حينذاك مدرسة الطب الأولى، بل اكتسب معرفة قوية باللغة الاغريقية التي نقل عنها في ترجماته إلى السريانية والعربية<sup>(١٥٣)</sup>. أما المستشرق بارتولد فيقول: «وقد أقام نحو ستين في بوزنطة وتعلم اللغة اليونانية وأدبها، ثم رجع منها بمخطوطات»<sup>(١٥٤)</sup>. على أن حنين بن اسحاق نفسه قال: إنه سافر إلى بلاد كثيرة ووصل إلى أقصى بلاد الروم لطلب الكتب التي قصد نقلها<sup>(١٥٥)</sup>. وقد يتبادر إلى الذهن أن هذه السفرات كانت لجمع الكتب اليونانية بعد أن كلّف حنين برياسة الترجمة في بيت الحكمة. وسواء كان حنين قد تعلم اليونانية في الاسكندرية التي كانت من مراكز الثقافة اليونانية رداً طويلاً من الزمن، أم في بلاد الروم، فإنه أتقن أصول تلك اللغة وقواعدها وآدابها.

كان حنين عند عودته من سفرته العلمية إلى بغداد يلازم أبناء موسى بن شاكر الذين رغبوه في النقل من اليونانية إلى العربية، وأنفقوا على ذلك مبالغ جمة، كما أشرنا آنفاً. وقد بلغ حنين من دقة الترجمة واتقانها أن تنبأ له جبرائيل بن بختيشوع طبيب الخليفة بمستقبل عظيم. ذكر يوسف الطيب أحد أصحاب حنين قال: «دخلت على جبرائيل بن بختيشوع فوجدت عنده حنيئاً، وقد ترجم له أقساماً من كتب التشریح لجالينوس، وجبرائيل يناطبه بالتهجيل ويقول له: يا ابن حنين، ومعنى دين معلم، فأعظمت ما رايت. فتبين ذلك جبرائيل مني. فقال لي: لا تستكثر هذا مني في أمر هذا الفتى، فوالله لئن مُدَّ له في العمر ليفضحن سرجيس. وسرجيس هذا الذي ذكره بختيشوع هو الرأس عيني وهو أول من نقل من علوم اليونان إلى السريانية»<sup>(١٥٦)</sup>. وكان حنين بعث مع يوسف المذكور إلى يوحنا بن ماسويه ترجمة للفصول المسماة الجوامع. فلما ذهب بها إليه قرأها يوحنا فكثر تعجبه بها وقال: أنرى أوحى الله في دهرنا إلى أحد؟ قال: كيف؟ قال يوحنا: هذا ليس إلا اخراج مؤيد بروح القدس. فقال: هذا اخراج حنين بن اسحاق الذي طرده من مجلسه. وحذّنه بما سمعه من جبرائيل عن حنين، فسأله يوحنا أن يتلطف في إصلاح ما بينهما، ففعل. فأفضل يوحنا على حنين وأحسن إليه، فاستأنف حنين دراسة الطب عليه، ولازمه ونقل له كتباً كثيرة من كتب جالينوس<sup>(١٥٧)</sup>.

(١٤٩) الففطي، المصدر نفسه، ص ١٧٤.

(١٥٠) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

(١٥١) المصدر نفسه، ص ٢٥٨.

(١٥٢) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٤٢٣.

(١٥٣) مظهر، تاريخ الفكر العربي، ص ١٢٧.

(١٥٤) بارتولد، تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٢١.

(١٥٥) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٦٠.

(١٥٦) الففطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمختبرات المنتقاة من كتاب إخبار

العلماء بأخبار الحكماء، ص ١٧٤ - ١٧٥، وابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

(١٥٧) الففطي، المصدر نفسه، ص ١٧٥، وابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٥٩.

لقد سبقت الإشارة إلى اهتمام المأمون بنقل كتب الحكمة من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية، وقلنا إن ذلك كان بداية لعهد الترجمة الثاني الذي ازدهر في القرن الثالث. وكان المأمون قد أحضر حنين بن اسحاق أحد مترجمي بيت الحكمة، وكان فتي السن، وقد اشتهر بمعرفته الجيدة باللغة اليونانية وبمهارته في الترجمة إلى العربية إلى حدٍ يثير الإعجاب، فأمره بنقل ما يقدر عليه من كتب الحكماء اليونانيين، وإصلاح ما ينقله غيره<sup>(٥٨)</sup>. ويستدل من هذا أنه كان في بيت الحكمة قسم خاص بالترجمة، فأناط المأمون رئاسته بحنين ليتولى شؤون الترجمة والإشراف عليها. وبلغ من حرص حنين واهتمامه بما أوكل إليه أن تولى بنفسه ترجمة عدد كبير من الكتب إلى العربية أو السريانية، كما كان يعيد النظر فيما يترجمه غيره من النقلة ويصلحه<sup>(٥٩)</sup>، بحيث يمكن القول إن جميع ما ترجم في بيت الحكمة في عهد حنين قد عرض عليه وراجع وأجرى فيه ما رآه ضرورياً من التصحيحات قبل صدوره.

وقد أولى المأمون حركة الترجمة عناية فائقة، فكان يتابع أعمال حنين ومن معه. ويقول ابن أبي أصيبعة إنه رأى عدداً من كتب جالينوس وغيره بخط الأزرق كاتب حنين وعلى بعضها هوامش بخط حنين باليوناني، وعلى تلك الكتب علامة المأمون<sup>(٦٠)</sup>.

كان حنين طبيباً ماهراً في صناعته، فلا غرابة في أن يهتم بنقل الكتب الطبية وبخاصة كتب أبقراط وجالينوس، بحيث لا يوجد منها كتاب إلا وهو بنقل حنين أو بتصحيحه. وإذا ما وجد كتاب قد تفسد بنقله غيره من النقلة، فإنه لا يرغب فيه. وذلك لفصاحة حنين وبلوغته ومعرفته بأراء جالينوس لتمهوه فيها<sup>(٦١)</sup>. ويقول ابن أبي أصيبعة إنه وجد في أيامه كثيراً من هذه الكتب وقد اقتنى بعضاً منها، وهي بخط الأزرق كاتب حنين، بحروف كبار وبخط غليظ في أسطر متفرقة، وكل ورقة من ورقها بسمك ثلاث أو أربع ورقات اعتيادية. ولذلك لم يستغرب ابن أبي أصيبعة بقاء الكتب المذكورة هذه السنين الطوال<sup>(٦٢)</sup>. وقد توفي ابن أبي أصيبعة سنة ٦٦٨ - أي بعد مضي أكثر من أربعة قرون على كتابتها، وهي قيد التداول والاستعمال. ويقول: وكان قصد حنين بذلك تعظيم حجم الكتاب وتكثير وزنه لأجل ما يقابل ذلك بزنه من الدراهم<sup>(٦٣)</sup>. وقد جاء في رسالة حنين بن اسحاق التي ألفها فيما أصابه من المحن والشدائد، قوله: «وصرت أنقل لهم الكتب على الرسم بغير عوض ولا جزاء، وأسارع إلى جميع عابهم بعد أن كنت إذا نقلت لأحدهم كتاباً أخذت منه وزنه دراهم»<sup>(٦٤)</sup>. وهو يؤيد ما قاله ابن أبي أصيبعة.

- 
- (٥٨) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٣٥٣، وابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٥٩ - ٢٦٠.  
 (٥٩) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٤١٧.  
 (٦٠) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٦٠.  
 (٦١) المصدر نفسه، ص ٢٦٢.  
 (٦٢) المصدر نفسه، ص ٢٧٠ - ٢٧١.  
 (٦٣) المصدر نفسه، ص ٢٧١.  
 (٦٤) المصدر نفسه، ص ٢٧٠.

لقد اعتبر حنين بن اسحاق الشخصية الرئيسة في حركة الترجمة لما كان يتمتع به من اطلاع واسع في الطب والفلسفة وإلمام تام بالعربية والسريانية واليونانية. إضافة إلى مقدرته العجيبة في النقل من لغة إلى أخرى بأسلوبه السهل الخالي من التعقيد، ودقته في التعبير ومحافظته على المعنى المقصود في الأصل المترجم. وقد بلغ من الدقة في الترجمة أنه «كان يقول بأنه يود على الدوام لو يشتغل على ثلاث نسخ يونانية على الأقل من الكتاب المقدم لينسى له المقابلة بينها واستخراج الأصل الصحيح منها»<sup>(٦٥)</sup>. وهي نزعة علمية قديمة عُيِّر بها حنين، وقد ظهرت آثارها على ما ترجمه من الكتب. يقول ابن جليل عنه: «وهو الذي أوضح معاني كتب أبقراط وجالينوس وخصها أحسن تلخيص، وكشف ما استغل عنده وأوضح شكلها. وله توافيق نافعة متقنة بارعة. وعمد إلى كتب جالينوس فاحتذى فيها حذو الاسكندرانيين، فصنعها على سبيل المسألة والجواب، فأحسن في ذلك»<sup>(٦٦)</sup>.

أما انتجازات حنين في الترجمة فقد عمل على ترجمة ما عثر عليه من كتب جالينوس الأصلية، أو ما شرحه من كتب أبقراط. وقد استرعى نظر ابن النديم كثرة ما ينسب إلى حنين من تراجم كتب جالينوس، فقال: «من سعادات حنين أن ما نقله حبش بن الأعسم، وعيسى بن يحيى وغيرهما إلى العربي يُنحل إلى حنين، وإذا رجعنا إلى فهرست كتب جالينوس الذي عمله حنين إلى علي بن يحيى، علمنا أن الذي نقل حنين أكثره إلى السرياني، وربما أصلح العربي من نقل غيره أو صححه»<sup>(٦٧)</sup>. ويرى القفطي أن سبب ذلك هو التقارب في كتابة الاسمين: حنين، وحبش، «وكثيراً ما يرى الجهال شيئاً من الكتب القديمة مترجماً بنقل حبش، فيظن الغر منهم أن الناسخ أخطأ في الاسم، ويغلب على ظنه أنه حنين وقد صُفِّت فيكسطة ويعمله حنين»<sup>(٦٨)</sup>. إلا أننا سبق أن ذكرنا أن ابن أبي أصيبعة قال إن حنيناً اهتم بنقل كتب جالينوس بحيث لا يوجد منها إلا وهي بنقله أو بإصلاحه ما نقله غيره.

ويستدل من رسالة حنين أن ما ترجمه من كتب جالينوس إلى السريانية جاوز المئة كتاب، وما نقل منها إلى العربية تسعة وثلاثون كتاباً، وهي في الطب والفلسفة<sup>(٦٩)</sup>. ويتضح من قائمة ابن النديم بما ترجم من كتب جالينوس وشروحه على بعض كتب أبقراط، أن حنيناً ترجم أغلب الكتب الستة عشر التي يقرأها طلاب الطب على التوالي من كتب جالينوس. فقد ترجم منها الكتب الآتية<sup>(٧٠)</sup>: كتاب الفرق، كتاب الصناعة، كتاب في النبض، كتاب في التآني لشفاء الأمراض، كتاب المقالات الخمس في التشريح، كتاب الاسطقصات، كتاب المزاج، كتاب القوى الطبيعية، كتاب العلل والأعراض، كتاب الحمايات<sup>(٧١)</sup>، كتاب

(٦٥) أرنولد [وآخرون]، تراث الإسلام، ص ٤٥٧.

(٦٦) ابن جليل، طبقات الأطباء والحكباء، ص ٦٩.

(٦٧) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٤١٧.

(٦٨) القفطي، تاريخ الحكباء، وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب إخبار

العلماء بأخبار الحكباء، ص ١٧٧.

(٦٩) أرنولد [وآخرون]، تراث الإسلام، ص ٤٥٤.

(٧٠) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٤١٧،

والقفطي، المصدر نفسه، ص ١٢٩.

(٧١) ورد في: القفطي، المصدر نفسه، الحمايات.

البحران، كتاب أيام البحرين، ويضيف القفطي كتاب تعرف على الأعضاء الباطنة الذي اعتبره ابن النديم من ترجمة حبيش.

وترجم حنين مما فسر جالينوس من كتب أبقراط الكتب التالية<sup>(٣٧)</sup>: كتاب عهد أبقراط نقله إلى السريانية وأضاف إليه، كتاب الفصول عن طريق المسألة والجواب سبع مقالات إلى السريانية، ونقل منه إلى العربية المقالات الأربع الأول لمحمد بن موسى، كتاب مقدمة المعرفة نقل النص إلى العربية عن طريق المسألة والجواب، كتاب الكسر ترجمه إلى العربية لمحمد بن موسى<sup>(٣٨)</sup>، كتاب قاطيطريون ترجمه إلى العربية لمحمد بن موسى، كتاب الماء والهواء ترجم النص إلى العربية عن طريق المسألة والجواب، كتاب طبيعة الانسان ترجمه إلى العربية.

ويضيف ابن أبي أصيبعة كتاب ثمار تفسير جالينوس لكتاب أبقراط في تدبير الأمراض الحادة عن طريق المسألة والجواب<sup>(٣٩)</sup>. فيها جاء في الفهرست أن الذي ترجمه هو عيسى بن يحيى.

أما كتب جالينوس الأخرى التي نقلها حنين إلى السريانية والعربية فهي<sup>(٤٠)</sup>: كتاب الصوت نقله إلى العربية للوزير محمد بن عبد الملك الزيات، كتاب أفضل الميقات نقله إلى العربية والسريانية، كتاب سوء المزاج، كتاب الأدوية المفردة، كتاب المولود لسبعة أشهر، كتاب رداءة التنفس نقله لولده، كتاب الذبول على طريق المسألة والجواب، كتاب تدبير الملقط، كتاب قوى الأغذية، كتاب تدبير أبقراط للأمراض الحادة، كتاب في أن الطبيب الفاضل فيلسوف، كتاب في كتب أبقراط الصحيحة وغير الصحيحة، كتاب عن الطبيب، كتاب في أن المحرك الأول لا يتحرك، مقالة في أصناف الغلظ الخارج عن الطبيعة عن طريق المسألة والجواب، كتاب في الحث على تعلم الطب على طريق المسألة والجواب، كتاب السبع عشرة مقالة الموجودة من كتاب جالينوس أبيديميا لأبقراط عن طريق المسألة والجواب، كتاب حل بعض شكوك جاسيوس الاسكندراني على كتاب الأعضاء الآلة.

وترجم حنين بن اسحاق من كتب أرسطو ما يلي<sup>(٤١)</sup>: كتاب قاطيغوريوس (المقولات) إلى اللغة العربية، وكتاب باريارمانياس أو باريرمينياس (العبارة) إلى اللغة السريانية، وقسماً من كتاب انولوطيكا الأول (التحليل) إلى اللغة السريانية، وبعض أقسام من كتاب انولوطيكا

---

(٧٢) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٤١٥ - ٤١٦.

(٧٣) ورد في: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٧٢، كتاب في جراحات الراس عن طريق المسألة والجواب.

(٧٤) المصدر نفسه، ص ٢٧٢.

(٧٥) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٤١٨ - ٤١٩؛ القفطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزروني المسمى بالمتنقيات المنقطعات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ١٣٠ - ١٣١، وابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٧٢ - ٢٧٤.

(٧٦) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٦١ - ٣٦٢، والقفطي، المصدر نفسه، ص ٣٥ - ٣٦.

الثاني (البرهان) إلى اللغة السريانية، وكتاب الكون والفساد، وكتاب النفس إلى اللغة السريانية، وكتاب الأخلاق إلى اللغة المذكورة<sup>(٧٧)</sup>.

وعما ترجمه حين من كتب أخرى، كتاب المترادفات لأورياسيوس المسمى السبعين مقالة، والكتب السبعة لبولس الأجنيطي، وكتاب مادة الطب لديوسقوريدس<sup>(٧٨)</sup>.

## ب - ثابت بن قُرَّة

كان ثابت بن قرة الحرّاني الرياضي الفيلسوف المتوفى سنة ٢٨٨ عن برعوا في الترجمة وبرزوا فيها. ويظهر من عدد الكتب واختلاف مواضيعها مما نقله إلى اللغة العربية من اللغتين اليونانية والسريانية، أنه كان يجيد هاتين اللغتين إلى جانب اللغة العربية. يقول القفطي عنه: «وَمَا نَقَلَهُ مِنْ لُغَةٍ إِلَى لُغَةٍ كَثِيرٌ»<sup>(٧٩)</sup>. ويقول ابن أبي أصيبعة: «كَانَ جِدَّ النَّقْلِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ، حَسَنَ الْعِبَارَةِ، قَوِيَ الْمَعْرِفَةُ بِاللُّغَةِ السَّرْيَانِيَّةِ وَغَيْرِهَا»<sup>(٨٠)</sup>. ويقول عنه المستشرق أوليري: «وَمِمَّا عَلِمَ يَعْرِفُ اللُّغَةَ الْإِغْرِيْقِيَّةَ وَالسَّرْيَانِيَّةَ وَالْعَرَبِيَّةَ»<sup>(٨١)</sup>. وجاء في تراث الإسلام عنه «كَانَ ثَابِتٌ يَعْرِفُ اللُّغَتَيْنِ السَّرْيَانِيَّةَ وَالْيُونَانِيَّةَ إِضَافَةً إِلَى الْعَرَبِيَّةِ فَتَرَجَمَ الْكَثِيرَ عَنْ هَاتَيْنِ اللُّغَتَيْنِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ»<sup>(٨٢)</sup>. وجاء في تراث العرب العلمي «كَانَ ثَابِتٌ يَحْسُنُ إِلَى جَانِبِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ اللُّغَاتِ السَّرْيَانِيَّةَ وَالْيُونَانِيَّةَ وَالْعَبْرِيَّةَ، وَلَمَّا عَمِلَ فِي نَقْلِ بَعْضِ الْكُتُبِ مِنَ الْيُونَانِيَّةِ أَبْدَى كَفَايَةً عَالِيَةً بِحَيْثُ عُدَّ مِنْ كِبَارِ الْمُتَرَجِّمِينَ»<sup>(٨٣)</sup>.

وعما ترجمه ثابت إلى اللغة العربية: المقالات السبع من كتاب المخروطات لأبلونيوس<sup>(٨٤)</sup>. ويقال إن الكتاب ثنائي مقالات فقدت منه مقالة عندما أخرجت الكتب من بلاد الروم إلى المأمون<sup>(٨٥)</sup>. وترجم كتاب الأثرطاطيقي لنيقوماخس<sup>(٨٦)</sup>، وكتاب أصول الهندسة للمناولس<sup>(٨٧)</sup>، وكتاب بطلميموس في جغرافية العمور<sup>(٨٨)</sup>، ونقل المجسطي لبطلميموس نقلاً

(٧٧) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٦٥ - ٣٦٦، والقفطي، المصدر نفسه، ص ٣٩ - ٤٢.

(٧٨) أرنولد [وآخرون]، تراث الإسلام، ص ٤٥٥.

(٧٩) القفطي، المصدر نفسه، ص ١٢٠.

(٨٠) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٩٥.

(٨١) مظهر، تاريخ الفكر العربي، ص ١٣٣.

(٨٢) أرنولد [وآخرون]، تراث الإسلام، ص ٥٧٨.

(٨٣) قدرتي حافظ طوقان، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك (القاهرة: مطبعة المتنطف،

١٩٤١)، ص ١٠٣.

(٨٤) المصدر نفسه، ص ١٠٦، وأرنولد [وآخرون]، المصدر نفسه، ص ٥٧٧. وقد ورد في: القفطي، تاريخ الحكمة: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات المتنطفات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٦١ - ٦٢، وابن النديم، الفهرست في إخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٣٨٧، أن ثابت بن قرة قد ترجم المقالات الثلاث الأواخر منه.

(٨٥) القفطي، المصدر نفسه، ص ٦١، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٣٠٠.

(٨٦) القفطي، المصدر نفسه، ص ٣٣٦ - ٣٣٧.

(٨٧) أرنولد [وآخرون]، تراث الإسلام، ص ٥٦٤، وطوقان، تراث العرب العلمي في الرياضيات

والفلك، ص ١٠٦.

(٨٨) طوقان، المصدر نفسه، ص ١٠٣.

جيداً وأصلحه ووضحه<sup>(٨٨)</sup>، وكتاب اقليدس (الأسطروشيا) في أصول الهندسة وأصلحه ووضحه<sup>(٨٩)</sup>. ونقل تفسير كلام أرسطو في مقالة قوس قزح<sup>(٩٠)</sup>. وترجم جوامع كتاب انولوطيقا الأول<sup>(٩١)</sup>. وترجم كتاب تفسير بنس لكتاب تسطيح الكرة لبطلميموس<sup>(٩٢)</sup>.

وترجم ثابت بن قرة من كتب جالينوس<sup>(٩٣)</sup>: كتاب الأدوية المفردة، وكتاب المرة السوداء، وكتاب سوء المزاج المختلف، وكتاب الأمراض الحادة، وكتاب تشريح الرحم، وكتاب في المولودين لسبعة أشهر، وكتاب الفصم، وجوامع ما قاله جالينوس في تشريف صناعة الطب، وكتاب في قوى الأغذية، وجوامع تفسير جالينوس لكتاب أبقراط في الأهوية والمياه والبلدان، وكتاب في الذبول والأدوية المنقية، وكتاب الأعضاء الآلة.

ونقل كتاب الكيموس بالاشتراك مع حبشيس الأعسم<sup>(٩٤)</sup>. وأصلح كتاب المجسطي الذي سبق أن نقله أبو حسان وسلم وفره أبو العباس الفضل بن حاتم النيرزي<sup>(٩٥)</sup>. ويعتقد الأستاذ للينون أن ترجمة أبي حسان وسلم كانت من ترجمة بالسريانية وليس من الأصل اليوناني<sup>(٩٦)</sup>. وقام ثابت بإصلاح كتاب الأصول لأقليدس الذي ترجمه حنين بن اسحاق إلى العربية، ففقه وأوضح منه ما كان مستعجباً<sup>(٩٧)</sup>. وكان قد أصلح أيضاً ترجمة حنين لـ كتاب المجسطي أصلاً جيداً<sup>(٩٨)</sup>.

### ج - اسحاق بن حنين

تعلم اسحاق صناعة الطب ومارسها بمهارة، فكان واحد عصره فيها. وكان يجاري أباه حنياً في سعة معرفته باللغة العربية واللغتين اليونانية والسريانية، بل كان يزيد عليه فصاحة، وقد عمل معه في الترجمة فتميز بصحة النقل وجودته. إلا أن نقله للكتب الطبية قليل جداً بالنسبة إلى ما نقله من كتب الحكمة. لحقه الفالاج آخر عمره وبه مات في ربيع الآخر سنة ٢٩٨هـ<sup>(٩٩)</sup>.

(٨٩) الففطي، المصدر نفسه، ص ١١٩.

(٩٠) المصدر نفسه، ص ١١٩، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٩٩.

(٩١) الففطي، المصدر نفسه، ص ٥٩.

(٩٢) المصدر نفسه، ص ١١٨، وابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٩٨.

(٩٣) الففطي، المصدر نفسه، ص ١٠٠.

(٩٤) المصدر نفسه، ص ١١٦ - ١١٩، وابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٩٨ - ٢٩٩.

(٩٥) ابن التديم، الفهرست في إخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٤١٨.

(٩٦) المصدر نفسه، ص ٣٨٨.

(٩٧) علم الفلك عند العرب، ص ٢٢٥.

(٩٨) شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق

محمد عبي الدين عبد الحميد، ٦ (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٥٠)، ج ١، ص ٢٧٨.

(٩٩) الففطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمتخيات المنقطات من كتاب إخبار

العلماء بإخبار الحكماء، ص ١١٩.

(١٠٠) المصدر نفسه، ص ٨٠؛ ابن التديم، الفهرست في إخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين

ولاسحاق مصنفات في الطب، أما الكتب التي ترجمها إلى اللغة العربية فعديدة منها: أنولوطيقا الأول (التحليل) بالاشتراك مع أبيه<sup>(١٠١)</sup>. وكتاب أبوطيقا (الشعر)، وريطوريقا (الخطابة)، وسوفسطيقا (المغالطة)<sup>(١٠٢)</sup>، وطوييقا (الجدل)<sup>(١٠٣)</sup>، وباريميئياس (العبارة)<sup>(١٠٤)</sup>، وكتاب النفس تفسير ثامسطيوس<sup>(١٠٥)</sup>. وكتاب ايساغوجي (المدخل إلى صناعة المنطق)<sup>(١٠٦)</sup>، وكتاب الكون والفساد عن ترجمة أبيه حنين إلى السريانية<sup>(١٠٧)</sup>، وعدة مقالات من كتاب الإلهيات - الحروف<sup>(١٠٨)</sup>. وهذه الكتب كلها لأرسطوطاليس.

وترجم من كتب جالينوس: كتاب المقولات، وشرح جالينوس لكتاب الفصول لأبقراط<sup>(١٠٩)</sup>. وكتاب ان المحرك الأول لا يتحرك<sup>(١١٠)</sup>، واشترك مع اصطفن بن بسيل في نقل كتاب عدد المقاييس بناء على طلب علي بن يحيى<sup>(١١١)</sup>.

كما ترجم تعليقات فروريوس والاسكندر الأفروديسي وامنونيوس<sup>(١١٢)</sup>. ونقل كتاب اقليدس في أصول الهندسة، ووضع مختصراً له<sup>(١١٣)</sup>. وكتاب المجسطي لبطليموس<sup>(١١٤)</sup>، وقسماً من طيماؤس لأفلاطون<sup>(١١٥)</sup>. وترجم كتاب انولوطيقا الثاني (البرهان) وطوييقا (الجدل) إلى اللغة السريانية<sup>(١١٦)</sup>.

#### د - حبيش بن الأعسم

هو ابن أخت حنين بن اسحاق وقد درس عليه صناعة الطب، واتقن اللغتين السريانية واليونانية إلى جانب اللغة العربية، وحذا حذو خاله في الترجمة من حيث الدقة

---

= وأسماهم كتبهم، ص ٤٢٩؛ ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٨٥ - ١٨٦، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، ص ٢٧٤ - ٢٧٩.

(١٠١) القفطي، المصدر نفسه، ص ٣٦.

(١٠٢) المصدر نفسه، ص ٥٤.

(١٠٣) المصدر نفسه، ص ٢٧.

(١٠٤) المصدر نفسه، ص ٣٥.

(١٠٥) المصدر نفسه، ص ٤١.

(١٠٦) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٧٥.

(١٠٧) القفطي، المصدر نفسه، ص ٤٠.

(١٠٨) المصدر نفسه، ص ٤٢.

(١٠٩) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٧٥.

(١١٠) القفطي، المصدر نفسه، ص ١٣١.

(١١١) المصدر نفسه، ص ١٣٠.

(١١٢) مظهر، تاريخ الفكر العربي، ص ١٢٨.

(١١٣) القفطي، المصدر نفسه، ص ٦٤.

(١١٤) المصدر نفسه، ص ٩٨.

(١١٥) المصدر نفسه، ص ١٣١.

(١١٦) المصدر نفسه، ص ٣٦.

والأسلوب، فكان من البارزين فيها. وأكثر نقله من اللغة السريانية، وكان حينئذ يقدمه ويثني على نقله<sup>(١١٧)</sup>. وكان ممن ينقلون الكتب إلى اللغة العربية لأبناء موسى بن شاعر<sup>(١١٨)</sup>. يقول عنه ابن أبي أصيبعة «هو ناقل مجود يلحق بحتين واسحاق»<sup>(١١٩)</sup>.

نقل حبش عدداً كبيراً من كتب جالينوس، منها<sup>(١٢٠)</sup>: قسم من كتاب النبض الكبير، وقسم من كتاب تدبير الأصحاء، ونقل كتاب حيلة البرء، وكتاب التشريح الكبير، وكتاب اختلاف التشريح، وكتاب تشريح الحيوان الميت، وكتاب تشريح الحيوان الحي، وكتاب تشريح الرحم، وكتاب علم إبقراط بالتشريح، وكتاب علم أرسطوطاليس في التشريح، وكتاب الحاجة إلى النبض، وكتاب الحركة المجهولة، وكتاب منافع الأعضاء بتصحيح حينئذ، وكتاب تركيب الأدوية، وكتاب الحث على تعلم الطب، وكتاب الكيموس بالاشتراك مع ثابت بن قرة، وكتاب الرياضة بالكرة الصغيرة، وكتاب الأخلاق، وكتاب في أن قوى النفس تابعة لمزاج البدن.

كما ترجم كتاب مقدمة المعرفة المسمى أفوريزما لأبقراط، وكتاب الحمية الفعالة، وكتاب التشخيص<sup>(١٢١)</sup>. وكتاب في قوى الأطعمة، وقد ترجمه أكويريوس عن العربية إلى اللاتينية<sup>(١٢٢)</sup>.

وفسر حبش كتاب الماء والهواء تفسيرا لجالينوس الذي ترجمه حينئذ بن إسحاق إلى اللغة العربية<sup>(١٢٣)</sup>.

### هـ - اصطفت بن بسيل

من الكتّاب النحارير الحاذقين في الترجمة عن عيّنهم المتوكل على الله ليعملوا بمعية حينئذ بن إسحاق عندما أناط به رياسة بيت الحكمة<sup>(١٢٤)</sup>. ويظهر أنه كان جيد النقل، يقارب في نقله حينئذ بن إسحاق ولو أنه كان دونه فصاحة<sup>(١٢٥)</sup>. وقد ترجم للخليفة المتوكل على الله كتاب مسائل الطب المعروف بكتاب الحشائش لديسقوريدس<sup>(١٢٦)</sup>، وصحّح الترجمة حينئذ بن

---

(١١٧) المصدر نفسه، ص ١٧٧؛ ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنّفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٤٢٨، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٧٩.

(١١٨) القفطي، المصدر نفسه، ص ٣٠.

(١١٩) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٧٩.

(١٢٠) القفطي، المصدر نفسه، ص ١٢٩ - ١٣٢.

(١٢١) أرنولد [وآخرون]، تراث الإسلام، ص ٤٩٥.

(١٢٢) المصدر نفسه، ص ٥٠١.

(١٢٣) القفطي، المصدر نفسه، ص ٩٥.

(١٢٤) المصدر نفسه، ص ١٧١، وابن جليل، طبقات الأطباء والحكماء، ص ٦٩.

(١٢٥) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٨١.

(١٢٦) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنّفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٤٢٢. وقد يسمى كتاب الحشائش والنباتات، أو هيولى علاج الطب، أو كتاب الأدوية المفردة. انظر: ابن جليل، المصدر نفسه، هامش ص ٢٢.



اسحاق. ويقول عنه ابن جليل: «إن كتاب ديسقوريدس ترجم بمدينة السلام في الدولة العباسية في أيام جعفر المتوكل، وكان المترجم له اصطف بن بسيل الترجمان من اللسان اليوناني إلى اللسان العربي، وتصنف ذلك حين بن اسحاق المترجم فصّح الترجمة وأجازها، فما علم اصطف من تلك الأسماء اليونانية في وقته له اسماً في اللسان العربي فسرّه بالعربية، وما لم يعلم له في اللسان العربي اسماً تركه في الكتاب على اسمه اليوناني اتكلاً منه على أن يبعث الله بعده من يعرف ذلك ويفسره باللسان العربي»<sup>(١٢١)</sup>. وديسقوريدس من أهل عين زربي التي أصبحت من الثغور العربية، شامي يوناني حشائشي. ومعنى اسمه في اليونانية «شجار الله»، ويطلقون عليه «صاحب النفس الزكية، والنافع للناس، والسائح، عاش في الدور الأول والثاني من التاريخ المسيحي ولا يعرف وقته تماماً، وقد تكلم في العلاج الطبي والعقاقير المفردة»<sup>(١٢٢)</sup>.

ومن الكتب الأخرى التي ترجمها اصطف، كتاب الأدوية المستعملة للطبيب اليوناني اوريباسيوس<sup>(١٢٣)</sup>. كما أنه نقل إلى العربية من كتب جالينوس: كتاب حركات الصدر والرقبة، وكتاب الفصد بالاشتراك مع عيسى بن يحيى، وكتاب عدد المقاييس بالاشتراك مع اسحاق بن حنين، وكتاب علل النفس، وكتاب حركة العضل، وكتاب الحاجة إلى النفس، وكتاب الامتلاء، وكتاب المرأة السوداء<sup>(١٢٤)</sup>.

## و - قسطا بن لوقا البعلبكي

كان بارعاً في علوم كثيرة منها الطب والفلسفة والهندسة والموسيقى، فصيحاً باللغتين اليونانية والسريانية وباللغة العربية، جيد النقل، وقد نقل عدداً من الكتب وأصلح نقولات كثيرة<sup>(١٢٥)</sup>. دخل بلاد الروم وجمع عدداً من التصنيفات القديمة وعاد إلى الشام. ويقول أوليري إنه تعلم في بلاد الاغريق ولذا امتاز بالترجمة<sup>(١٢٦)</sup>. وقد استدعي إلى العراق ليعمل في الترجمة<sup>(١٢٧)</sup>. ويعتبر قسطا من فلاسفة المترجمين<sup>(١٢٨)</sup>، ومن مترجمي بيت الحكمة المشهورين وقد عمل بمعية حنين بن اسحاق<sup>(١٢٩)</sup>. توفي قسطا في أرمينيا حوالي سنة ٣٠٠ وكان بطريقها أبو

(١٢٧) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٤٩٣.

(١٢٨) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٤٢١، والقفطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ١٨٣.

(١٢٩) القفطي، المصدر نفسه، ص ٧٤.

(١٣٠) المصدر نفسه، ص ١٣٠ - ١٣٢، وابن النديم، المصدر نفسه، ص ٤١٨ - ٤١٩.

(١٣١) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٥٥ و٣٢٤، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٣٢٩.

(١٣٢) مظهر، تاريخ الفكر العربي، ص ١٢٨.

(١٣٣) القفطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٢٦٢.

(١٣٤) ت.ج. دي بور، تاريخ الفلسفة في الاسلام، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٨)، ص ٣٩.

(١٣٥) أرنولد [وأخرون]، تراث الإسلام، ص ٤٥٣.

الغطريف يقدر فيه علمه وبراعته، فشملة برعايته، ولما مات أقام على قبره قبة إكراماً له وتقديراً<sup>(١٣٧)</sup>.

ترجم قسطاً بن لوقا عدداً من الكتب اليونانية إلى اللغة العربية منها<sup>(١٣٨)</sup>: كتاب شرح الاسكندر الأفروديسي، وكتاب شرح يحيى النحوي على كتاب السماع الطبيعي لأرسطو، وكتاب شرح الاسكندر على كتاب الكون والفساد لأرسطو أيضاً، وكتاب آراء الفلسفة المنسوب إلى فلوطرخس.

ويقول القفطي إنه ترجم قسماً من كتاب السماع الطبيعي، والمقالة الأولى من كتاب الكون والفساد، وأنه نقل كتاب الرياضة لفلوطرخس<sup>(١٣٩)</sup>. وجاء في كشف الظنون أنه عرّب كتاب الفلاحة الرومية تأليف الحكيم قسطوس بن اسكور<sup>(١٤٠)</sup>. ونقل كتاب نوادر اليونانيين، وكتاب شرح مذاهب اليونانيين، وفسر ثلاث مقالات ونصف مقالة من كتاب ديوفانتس في المسائل العددية<sup>(١٤١)</sup>.

### ز - متى بن يونس

أبو بشر من أهل دير قُتي، أحد الأديرة القريبة من بغداد، ودرس في مدرسة مار ماري التابعة لهذا الدير، عاش ببغداد ودرس كتب أرسطو في المنطق على إبراهيم القويري. وإليه انتهت رئاسة المنطقيين في عصره، وصنف عدداً من الكتب والتفاسير في المنطق، ودرس عليه هذا العلم عدد كبير من الطلاب، وكانت وفاته ببغداد سنة ٣٢٨هـ<sup>(١٤٢)</sup>.

ترجم أبو بشر إلى اللغة العربية كتب أرسطو في المنطق والطبيعيات، منها<sup>(١٤٣)</sup>: كتاب انولوطيقا الثاني (البرهان) نقله من السريانية، وكتاب سوفسطيقا (المغالطة) نقله من

---

(١٣٦) القفطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٢٦٣، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٣٠.

(١٣٧) دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام، ص ٣٧.

(١٣٨) القفطي، المصدر نفسه، ص ٣٨، ٤٠ و ٢٥٧.

(١٣٩) مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، عني بتصححه محمد شريف يالتقاي ورفعت الكليسي، ج ٢ (استانبول: مطبعة الحكومة، ١٩٤١ - ١٩٤٣)، ج ٢، ص ١٤٤٧.

(١٤٠) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٤٢٥.

(١٤١) المصدر نفسه، ص ٣٨٢ - ٣٨٣، القفطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٣٢٣، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٣١٧.

(١٤٢) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٨٢ - ٣٨٣، والقفطي، المصدر نفسه، ص ٣٨ - ٤٠ و ٤٢ على التوالي.

السريانية، وكتاب أبوطيقا (الشعر) نقله من السريانية كذلك، وكتاب الكون والفساد بتفسير الاسكندر الأفروديسي، وكتاب الآثار العلوية، ومقالة اللام من كتاب الآليات.

وفسر أبو بشر كتب المنطق الأربعة<sup>(١١١)</sup>: فاطيغوريوس (المقولات) الذي نقله حنين بن اسحاق إلى العربية، واثولوطيقا الأول (التحليل) وكان ثيادورس نقله إلى العربية وأصلحه حنين، والمقالة الأولى من طويقا (الجدل)، وكتاب ايساغوجي لفرغوريوس وهو المدخل إلى المنطق، وعلى هذه التفسيرات يعول الناس في القراءة.

### ح - أبو عثمان الدمشقي

سعید بن یعقوب من أهل دمشق سكن بغداد واشتهر بها طبيباً في أواخر القرن الثالث، وكان منقطعاً إلى أبي الحسن علي بن عيسى وزير المقتدر بالله، وقد أناط به رئاسة البيمارستان الذي أسسه في سنة ٣٠٢ في محلة الحربية بالجانب الغربي من بغداد وأنفق عليه من ماله، ثم أضاف إلى أبي عثمان رئاسة جميع البيمارستانات في بغداد ومكة والمدينة. ولأبي عثمان الدمشقي عدد من التصانيف الطبية، وكان من النقلة المجيدين إلى اللغة العربية. وذكره ابن النديم في قائمة المترجمين<sup>(١١٢)</sup>. وكان فصيحاً باللغتين اليونانية والعربية معتمد النقل<sup>(١١٣)</sup>.

نقل إلى العربية مقالات من أصول الهندسة لاقليدس<sup>(١١٤)</sup>، وكتاب طويقا من ترجمة اسحاق بن حنين إلى السريانية<sup>(١١٥)</sup>. كما نقل قسماً من السماع الطبيعي<sup>(١١٦)</sup>، وكتاب الكون والفساد من الترجمة السريانية<sup>(١١٧)</sup>، وكتاب المدخل إلى القياسات الحملية لفرغوريوس<sup>(١١٨)</sup>.

### ط - عيسى بن يحيى بن ابراهيم

أحد تلاميذ حنين بن اسحاق، وقد درس عليه صناعة الطب، وعمل معه في الترجمة في بيت الحكمة، وكان من الناقلين المجودين من اليونانية إلى اللغة العربية، وقد أثنى حنين على نقله، وكان عيسى يقلده في الترجمة، وله مصنفات في الطب<sup>(١١٩)</sup>.

(١٤٣) القفطي، المصدر نفسه، ص ٣٢٣.

(١٤٤) المصدر نفسه، ص ٤٠٩؛ ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٥٥ و٤٢٩، وابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٨٢ و٣١٦.

(١٤٥) شمس الدين محمد بن محمد الشهرزوري، نزهة الأرواح وروضة الأفراح رتب في تواريخ الحكماء المتقدمين والمتأخرين (حيدر آباد الدكن: [د.ن.]، ١٩٧٦)، ص ٦.

(١٤٦) القفطي، المصدر نفسه، ص ٦٤.

(١٤٧) المصدر نفسه، ص ٣٧.

(١٤٨) المصدر نفسه، ص ٣٨.

(١٤٩) المصدر نفسه.

(١٥٠) المصدر نفسه، ص ٢٥٧.

(١٥١) المصدر نفسه، ص ٢٤٧؛ ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٤٢٨، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٧٩.

ساهم عيسى بن يحيى في حركة الترجمة مساهمة فعالة فنقل عدداً من الكتب من اليونانية أو مما ترجم منها إلى السريانية. ومما نقله إلى اللغة العربية: كتاب السبعين مقالة للطبيب اليوناني أوريباسيوس، من اللغة السريانية<sup>(١٥٠)</sup>. ونقل مما فسر جالينوس من كتب أبقرات<sup>(١٥١)</sup>: كتاب عهد أبقرات وكان حنين نقله إلى السريانية وأضاف إليه، فترجمه عيسى بالاشتراك مع حيش<sup>(١٥٢)</sup>، وكتاب الأمراض الحادة، وكتاب الفصول، وكتاب الأخلاط. وفُسر القسم السادس من كتاب ابيديا، كما فُسر كتاب طبيعة الانسان وكان حنين قد نقل نصه إلى العربية.

ونقل إلى العربية من كتب جالينوس<sup>(١٥٣)</sup>: كتاب مقدمة المعرفة، وكتاب الفصد، وكتاب الأدوية المقابلة للأدواء، وكتاب المحرك الأول لا يتحرك، بالاشتراك مع اسحاق بن حنين.

كما نقل أربع مقالات من كتاب البرهان<sup>(١٥٤)</sup>.

وهناك عدد آخر من المترجمين ذكر ابن النديم وابن أبي أصيبعة أسماءهم ولم يذكرنا ما نقلوه من الكتب إلا نادراً، وإنما اكتفينا بالتعريف بهم<sup>(١٥٥)</sup>.

## ٦ - أهمية حركة الترجمة

كان لحركة الترجمة - التي أولاها الخلفاء في بغداد وسامراء رعاية خاصة وشجعها رجال الدولة العربية وأعيانها، فتشظت وازدهرت في خلال القرن الثالث - أهمية خطيرة في مسيرة الحضارة العربية. فقد ساعدت العلماء والدارسين على أن يتعرفوا على ثقافات الأمم السابقة وعلومها، في حقول الفلسفة والطب والرياضيات والفلك وأحكام النجوم وغيرها، وأن يلموا بها وينهلوا منها بما وسع آفاق تفكيرهم العلمي بما يناسب المستوى الحضاري الذي وصلوا إليه. فأفادوا منها كثيراً في مختلف العلوم وبخاصة في الطب والفلسفة وعلم الفلك. فقد استفاد الأطباء مما اطلعوا عليه من كتب التشريح العديدة مما ترجم لأبقرات وجالينوس وغيرهما، لأن الدين الاسلامي لا يبيح المثلة بالانسان حياً أو ميتاً. فكانت هذه الترجمات خير ما وضع لهم مبهمات هذا الموضوع. كما أخذت مصنفاتهم الطبية تعكس جوانب عديدة من الطب اليوناني. فإن ما صنفه يوحنا بن ماسويه، وحنين بن اسحاق، وأبو بكر الرازي، وغيرهم من علماء الأطباء، كان متأثراً بما جاء في كتب جالينوس إلى حد كبير.

(١٥٢) الففطي، المصدر نفسه، ص ٧٤.

(١٥٣) المصدر نفسه، ص ٩٤ - ٩٥، وابن النديم، المصدر نفسه، ص ٤١٥ - ٤١٦.

(١٥٤) يظهر مما جاء في: الففطي، المصدر نفسه، أن عيسى نقله وحده.

(١٥٥) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٤١٨ - ٤١٩، والقفطي، المصدر نفسه، ص ١٣١.

(١٥٦) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ١٤٧.

(١٥٧) المصدر نفسه، ص ٢٧٩ - ٢٨٣، وابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٥٤ - ٣٥٥.

وكذلك انتفع رجال الدين وبخاصة علماء الكلام منهم، بكتب الفلسفة والمنطق والجدل. وقد ظهرت آثار ذلك على عدد غير قليل منهم. وكان علماء المعتزلة أكثر استفادة من غيرهم فصاروا أقدر على الجدل والمناظرة. وغدا تأثير الفلسفة اليونانية ومنهجها واضحاً في تفكير رجال مختلف المذاهب الإسلامية وأعمالهم. وكان الكندي فيلسوف العرب يحذو حذو أرسطو في منهجه الفلسفي وفي تصانيفه الفلسفية.

ومن النتائج المهمة الأخرى لحركة الترجمة ان ظهرت حركة تأليف في بعض فنون المعرفة. فقد بدأ المترجمون يضعون الرسائل والكتب ليستعملها الطلاب، وهي بشكل ملخصات في شتى أنواع العلوم وبخاصة الطبية منها<sup>(١٥٨)</sup>. ثم ما لبثت هذه الحركة أن توسعت بين العلماء العرب الذين أخذوا يكتبون على أسس متينة من المعرفة. فقد ظهرت في الطب والفقه والتاريخ واللغة مثلاً، كتب كثيرة وبعضها بعدة أجزاء بحيث كان بعضها أشبه بالموسوعات. كما كان المؤلف الواحد يصنف عشرات الكتب في مختلف المواضيع مثلاً على سعة معرفته وتفنته بمختلف العلوم. فقد صنف الكندي ما يزيد على ٢٥٠ كتاباً في الفلسفة والجدل والمنطق والرياضيات والفلك والطب والسياسة وغيرها. وقد دُلَّ في أكثرها على اطلاع واسع ومعرفة عميقة. وصنف محمد بن زكريا الرازي عميد الأطباء ما يزيد على ٢٣٠ كتاباً في الطب والصيدلة والكيمياء والفلسفة والرياضيات والفلك وأحكام النجوم وغيرها. وهي أيضاً تدل على سعة علمه وعمق تفكيره. وصنف ثابت بن قرة الرياضي الفيلسوف ما ينيف على السبعين كتاباً في فنون مختلفة.

ولم تقتصر حركة التأليف ووفرة ما صنف من الكتب على المواضيع التي عالجها الفلاسفة والأطباء والرياضيون فحسب، بل تناولت العلوم القرآنية من تفسير وقراءات، وعلوم الحديث، وعلوم الفقه والكلام. اضافة إلى ما صنف في التاريخ والجغرافيا وأحوال البلدان. أما في ميدان اللغة والشعر والأدب عامة فقد نبغ شعراء مفكرون مجدودون إلى جانب أساتذة الأدب واللغة المتقدمين. فإن ما صنفه الطبري وابن قتيبة والجاحظ وأبو حنيفة الدينوري، وغيرهم من علماء هذا القرن وأدبائه لجدير بالإعجاب سواء من حيث كميته أو نوعيته. ولكن مما يؤسف له أن هذا العدد العظيم من الكتب المصنفة والمترجمة لم يصلنا منه سوى النزر اليسير، إذ ضاع القسم الأعظم بفعل عوادي الزمن المختلفة، ولم يبق من تلك الكتب سوى عناوينها وأسماؤها مصنفها بفضل محمد بن اسحاق المعروف بابن النديم المتوفى سنة ٣٨٠ في كتابه القيم الفهرست.

إن ما تضمنه الفهرست وبعض الكتب الأخرى التي عنيت بالمصنفات وأصحابها، كـ تاريخ الحكماء، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء، من عناوين الكتب وكثرة عدد المؤلفين والمترجمين دليل على ذلك النشاط العلمي الواسع الذي شهده القرن الثالث مما يجعله بحق عصر النهضة العلمية العربية. إذ ثبتت في خلاله أسس العلوم الدينية واللغوية والأدبية

---

(١٥٨) أرنولد [وآخرون]، تراث الإسلام، ص ٤٥٨.

والفلسفة وعلوم الرياضة والطبيعة والتاريخ والجغرافيا، وتقدمت الدراسات فيها تقدماً كبيراً على أيدي رجال أفاض وعلماء موهوبين دفعوا بجهودهم ومبادراتهم وإبداعهم مسيرة الحضارة الانسانية قدماً إلى الامام .

كما أن ما نقله العرب من كتب أرسطو وأفلاطون وأبقراط وجالينوس وغيرهم من حكماء اليونان حفظ تلك الكتب من الضياع بعد أن فقدت أصولها اليونانية<sup>(١٠٩)</sup>. فإن التراجم العربية التي يعود الفضل في نقلها إلى حنين بن اسحاق ومعاوية، حفظت كثيراً من مؤلفات جالينوس التي ضاع أصلها اليوناني. إذ كان جبرار القرموني الايطالي المتوفى سنة ١١٨٧م أشهر مترجمي الكتب العربية إلى اللغة اللاتينية. فقد نقل الترجمة العربية لكتاب المجسطي لبطلميوس، ومترجمات كتب أبقراط وجالينوس، وآثار الكندي، وثابت بن قرة إلى اللغة اللاتينية. وترجم آخرون مثل مرقس اللاهوتي من طليطلة، وروفيو الايطالي، كثيراً من الكتب العربية الأصلية والمترجمة عن اليونانية في موضوعي الطب والطبيعات.

وكانت بعض الكتب الطبية والفلسفية المترجمة من العربية إلى اللاتينية، قد صارت المصدر الأساسي للتدريس في مدارس أوروبا ومعاهدها العلمية طيلة قرون عدة.

## ثانياً: خزائن الكتب

تمامه علاقة وثيقة بالهضة العلمية العربية التي شهدتها القرن الثالث ما يلاحظ من ازدياد الكتب كمية ونوعاً، واتساع خزانة بيت الحكمة لتستوعب المصنفات الجديدة الكثيرة العدد من الكتب المترجمة. ولم يقتصر فيض الكتب هذا على خزانة بيت الحكمة وحدها بل شمل المكتبات الخاصة الكثيرة التي تعود لبعض رجال الدولة وأعيانها وأهل العلم وطلابه ومكتبات الجوامع. وسنلقي فيما يلي نظرة عامة على بعض ما كان قائماً من هذه المكتبات ودورها في نشر العلم والثقافة في المجتمع العربي آنذاك.

### ١ - بيت الحكمة

إن الخزانة التي أنشئت ببغداد في عهد أبي جعفر المنصور، قد نمت وتطورت بصورة تدريجية حتى استوت على أيام هارون الرشيد على شكلها كبيت لخزن الكتب وترجمتها ونسخها وتجليدها. وقد أشرنا إلى حرص أبي جعفر المنصور على جمع الكتب، فقد نقل له طبيبيه جورجيس بن جبرائيل عدداً من الكتب من اليونانية إلى اللغة العربية<sup>(١١٠)</sup>. ولما قدم

---

(١٠٩) حول تأثير العرب في حفظ التراث اليوناني، انظر: المصدر نفسه، ص ٤٥٦، ٤٩٧ و ٥٤٦، وغوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة محمد عادل زعيتر، ط ٢ (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٤٨)، ص ٦٧٨.

(١١٠) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ١٨٣، والفطحي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ١٥٨، وفيه جورجيس بن بختيشوع.

عليه أحد حكماء الهنود، ومعه كتاب السُّدّهانت أمر بتلخيصه وترجمته<sup>(١٦١)</sup>. ولما علم الخليفة أن لقداً اليونانيين مخطوطات في العلوم الرياضية طلب إلى الامبراطور الروماني أن يعث إليه بقسم منها<sup>(١٦٢)</sup>. مما يجعلنا نستنتج أنه كانت للمنصور خزانة للكتب يودع فيها ما يتوفر لديه منها، وما يصف أو يترجم له. ومن الطبيعي أن تكون هذه الكتب بأكثر من لغة واحدة، وأن أغلبها يتصل بكتب الرياضيات وأحكام النجوم.

وأصبحت خزانة المنصور في عهد حفيدة هارون الرشيد حافلة بمختلف المصنفات، إذ لم يكن أقل من جده ولماً بالكتب والعلوم. وقد اتسعت فعين لها خزنة ونساختين وعهد إلى الفضل بن نوبخت القيام عليها ورعاية شؤونها. ولما عاد من إحدى حملاته العسكرية على بلاد الروم جاء معه مجموعة من الكتب اليونانية القديمة مما عثر عليه هناك ووضعها بتلك الخزانة، وطلب إلى الطبيب يوحنا بن ماسويه أن يترجمها، وجعله أميناً على الترجمة ورُتب له كتاباً حاذاً يكتوب بين يديه<sup>(١٦٣)</sup>. فلم تعد الخزانة المذكورة تقتصر على حفظ الكتب فقط بل أصبحت داراً للترجمة والنسخ. ومن الطبيعي أن يلحق بذلك من العاملين فيها يتعلق بالتجليد والتنضيد والتنظيم. وقد ذكر ابن النديم أن ابن أبي الخريش كان يجلد في خزانة الحكمة<sup>(١٦٤)</sup>. وبهذا يكون الرشيد قد أرسى قواعد بيت الحكمة كخزانة للكتب، ودار للترجمة والنسخ والتجليد، كما أصبح مكتبة عامة يرتادها الباحثون. وقد تعددت أسماؤه، فيسمى خزانة الحكمة، أو دار الحكمة أيضاً. ويظهر أن التسمية الأولى كانت هي الغالبة عليه، وهي بيت الحكمة.

ورغم تعدد الاشارة إلى بيت الحكمة البغدادي في ثنايا المصادر التراثية، فإننا لم نعر على ما يشير صراحة إلى مكانه أو محتوياته من القاعات والحجرات وغيرها من مرافق البناء التي تؤمن مهامه كدار علمية. ولكن يظهر أنه كان في جناح أحد قصور الخلافة أو في بناية ملحقة بها. وإنما استنتجنا ذلك لأن الخليفة المأمون لما طلب إلى الفراء، يحيى بن زياد، النحوي المتوفى سنة ٢٠٧ أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو، أمر أن تغرد له حجرة من حجر الدار وصير له الوراقين يكتبون له<sup>(١٦٥)</sup>. وقد تكون هذه الدار هي بيت الحكمة نفسه. كما أن المعتضد بالله أبو العباس أحمد بن الموفق لما أراد «بناء قصره في الشامية ببغداد استأجر في الدرع بعد أن فرغ من تقدير ما أراد، فسئل عن ذلك فذكر أنه يريد له بيتاً فيه دوراً ومسكناً ومغاصير يرتب في كل موضع رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعملية...»<sup>(١٦٦)</sup>.

(١٦١) القفطي، المصدر نفسه، ص ٢٧٠.

(١٦٢) بارتولدا، تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٢١.

(١٦٣) القفطي، المصدر نفسه، ص ٣٨٠.

(١٦٤) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٢٠.  
(١٦٥) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمجمع الأديباء أو طبقات الأديباء، تحقيق د. ص. مرجليوث، ط ٢، ج ٩ (القاهرة: مطبعة مصرية، ١٩٢٣ - ١٩٢٦)، ج ٧، ص ٢٧٧.

(١٦٦) أبو العباس أحمد بن علي القرظي، الخطط القرظية المسماة بالمواظف والاعتبار بذكر الخطط =

لقد لعب بيت الحكمة دوراً مهماً في النهضة العلمية العربية مما أشرنا إليه في موضوع حركة الترجمة التي رعاها الخلفاء منذ أيام المنصور. ولأهمية بيت الحكمة ودوره الحضاري فقد كانت رئاسة أقسامه، وبخاصة قسم الترجمة تعهد إلى كبار الأدباء والعلماء والأطباء كسهل بن هارون ومحمد بن موسى الخوارزمي اللذين توليا أمره في أيام المأمون. أما رئاسة البيت فقد أنيطت ببوحنا بن ماسويه رئيس أطباء البلاط، وقد استمر عليها مدة نصف قرن، منذ عهد الرشيد حتى أيام المتوكل على الله الذي عين حنين بن اسحاق لإدارة البيت ورئاسة قسم الترجمة فيه. وكان يعمل معه في الترجمة من المترجمين القديرين أمثال ابن أخته حبيش، وابنه اسحاق بن حنين، وتلميذه ثابت بن قرة، وتلميذه الآخر قسطا بن لوقا، فضلاً عن عدد كبير ممن اضطلعوا بأعمال النسخ والتنظيم.

وقد ازدهر بيت الحكمة في عهد حنين، واتسعت حركة الترجمة، فترجم عدد كبير من الكتب اليونانية في الطب والفلسفة والرياضيات وغيرها إلى اللغة العربية، مما سبقت الإشارة إليه في موضوع حركة الترجمة. وقد ذكر ابن النديم وابن أبي أصيبعة أسماء كثير من عملوا في قسم الترجمة في بيت الحكمة<sup>(١١٧)</sup>. ويظهر أن الاهتمام ببيت الحكمة تضاعف بعد المتوكل على الله، ولا سيما في خلال النزاع الذي نشب بين سامراء وبغداد في أيام المستعين بالله، وما عقب ذلك من فتنة الزنج وانشغال الخلافة بها. مما صرف الخلفاء عن الاهتمام به، بحيث لا نكاد نجد له ذكراً بعد وفاة حنين بن اسحاق في سنة ٢٦٠.

## ٢ - خزائن الكتب الأخرى

كان إلى جانب مكتبة بيت الحكمة التي تنفق عليها الدولة، مكتبات أخرى ينفق عليها أصحابها من أموالهم، وكان بعضهم يفتح أبواب مكتبته للمطالعين والدارسين. فإن النهضة العلمية التي بدأت في مدينة السلام منذ منتصف القرن الثاني ازدهرت وتوسعت في خلال القرن الثالث، وأقبل بعض العلماء والأدباء ورجال الدولة على إنشاء المكتبات وتزويدها بالكتب في مختلف العلوم. ومن هذه المكتبات أو الخزائن التي وصلتنا بعض أخبارها، المكتبات التالية:

### أ - خزانة الواقدي

أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي المتوفى سنة ٢٠٧ من أهل المدينة المنورة انتقل إلى بغداد وعاش عمره بها. كان راوية أخباراً عالماً بالمغازي والفتوح والسير، واختلاف الناس في

= والأثار يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها، ج ٢ (مصر: مطبعة بولاق، ١٨٥٤)، ج ٢، ص ٣٦٢-٣٦٣.  
(١٦٧) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٣٥٥، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٧٩ - ٢٨١.



الحديث والفقه<sup>(١٦٦)</sup>. وهو «أحد أوعية العلم وله التصنيفات الكثيرة»<sup>(١٦٧)</sup>. كان جماعةً للكتب فصارَت عنده خزانة كبيرة تضم كثيراً من الكتب في مختلف التصنيفات، ويرجح أنها كانت تاريخية اخبارية وفقهية وفي السير، بالنظر إلى اختصاص الواقدي بذلك. وكان الرشيد ولأه القضاء بشرقي بغداد، ولأه المأمون القضاء على عسكر المهدي. «ولما تحوّل الواقدي من الجانب الغربي يقال إنه حل كتبه على عشرين رمتة وقر، وقيل كان له ستمئة قمطر كتب»<sup>(١٦٨)</sup>. ويقول ابن النديم «خلف الواقدي بعد وفاته ستمئة قمطر كتباً في كل قمطر منها حمل رجلين، وكان له غلامان مملوكان يكتبان الليل والنهار، وقبل ذلك بيع له كتب بالفن دينار»<sup>(١٦٩)</sup>. وللواقدي مصنفات عديدة ذكر بعضها ابن النديم وياقوت الحموي<sup>(١٧٠)</sup>.

### ب - خزانة علي بن يحيى المتجم

كان علي بن يحيى المتوفى سنة ٢٧٥ نديم الخليفة المتوكل على الله، مولعاً بالكتب، شديد الاهتمام بالأدب والأدباء. وكان المتوكل على الله قد اختص به لحسن مجالسته وسعة معارفه. واستمرت علاقته ببقية خلفاء سامراء، فكان نديمهم وجليسهم المقرب إليهم. وكان له بالفقّص، وهي من قرى بغداد<sup>(١٧١)</sup>، قصر واسع اتخذ فيه خزانة كتب عظيمة سبأها «خزانة الحكمة» يقصدها الناس من كل بلد، فيقيمون فيها ويتعلمون منها صنوف العلم، وينسخون من كتبها. وكان علي بن يحيى يقوم بالنفقة على الغرباء منهم طيلة إقامتهم فيها<sup>(١٧٢)</sup>. وقد جمع فيها كتباً في مختلف العلوم والفنون. وكان بعضها قد نقل من لغات أخرى وبخاصة من اللغة اليونانية، أو صنّف لصاحب الخزانة. فقد نقل حنين بن اسحاق لعلي بن يحيى رسالة فيها أصابه من المحن والشدائد جواباً على كتابه دعاه إليه من دين الاسلام<sup>(١٧٣)</sup>. كما عمل له فهرساً لكتب جالينوس التي نقلت إلى العربية أو السريانية<sup>(١٧٤)</sup>. ونقل له حنين أيضاً الجزء

(١٦٨) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ١٥٠.

(١٦٩) ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء أو طبقات الأدباء،

ج ٧، ص ٥٥.

(١٧٠) المصدر نفسه، ج ٧، ص ٥٧ - ٥٨، وأبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو

مدينة السلام، ج ١٤ (بيروت: دار الكتاب العربي، [د.ت.د.])، ج ٣، ص ٥.

(١٧١) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم،

ص ١٥٠.

(١٧٢) المصدر نفسه، ص ١٥٠، وياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٧، ص ٥٨.

(١٧٣) بينا وبين عكبرا، وكانت من مواطن اللهو ومعاهد التنزه ومجالس الفرح، وقد أكثر الشعراء من ذكرها. انظر: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، معجم البلدان، ٥ ج (بيروت: دار صادر، ١٩٧٥)، ج ٤، ص ٣٨٢.

(١٧٤) ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء أو طبقات الأدباء، ج ٥، ص ٤٦٧.

(١٧٥) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٧٤.

(١٧٦) الففطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمتنخبات المتنقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ١٢٨ - ١٢٩.

الأول من كتاب جالينوس في الأدوية المفردة<sup>(١٧٧)</sup>. وصُنّف له ثابت بن قرة كتاباً فيها سألته عن أبواب علم الموسيقى<sup>(١٧٨)</sup>. ونقل له اصطفت بن بسيل وإسحاق بن حنين كتاب عدد المقاييس لجالينوس<sup>(١٧٩)</sup>.

وقد وُصفت هذه الخزانة لأبي مُعَصر جعفر بن عمر البلخي، وكان قدم من خراسان يريد الحج، وهو إذ ذاك لا يحسن كثير شيء من النجوم، فمضى ورأها فهاله أمرها فأقام بها مدة، تعلم فيها علم النجوم وأغرق فيه<sup>(١٨٠)</sup>. وهذا الخبر دليل على كثرة الكتب التي تبحث في هذا العلم في الخزانة. ولما توفي عمر بن شُبة الراوية الأخباري وآلت كتبه إلى ابنه أحمد ابتاعها منه علي بن يحيى وأضافها إلى خزائنه<sup>(١٨١)</sup>.

### ج - خزانة الفتح بن خاقان

كان الفتح بن خاقان القائد التركي مستشار المتوكل على الله وصاحبه الذي لا يفارقه، وقد اغتيل معه في القصر الجعفري سنة ٢٤٧، قد عُرِف عنه حبه الشديد للمطالعة واقتناء الكتب، بحيث لا يفارقه الكتاب ولو كان في مجلس الخليفة<sup>(١٨٢)</sup>. ويقول ابن النديم: «وكان له خزانة جمعها له علي بن يحيى النجم، لم يُرَ أعظم منها كثرة وحسنًا»<sup>(١٨٣)</sup>. ويقول: «وعمل له خزانة حكمة نقل إليها من كتبه وما استكتبه الفتح أكثر مما اشتملت عليه خزانة حكمة قط»<sup>(١٨٤)</sup>. وكان يحضر دار الفتح فصحاء الأعراب وعلماء الكوفيين والبصريين<sup>(١٨٥)</sup>، لحضور مجالسه الأدبية والاستفادة من خزانة كتبه.

### د - خزانة محمد بن عبد الملك الزيات

كان الوزير ابن الزيات المتوفى سنة ٢٣٥ إلى جانب براعته في الإدارة والسياسة، أدبياً شاعراً، وقد وُزِرَ لثلاثة خلفاء على نسق واحد: المعتصم بالله، والرائق بالله، والمتوكل على الله الذي أمر بقتله. كانت له بسماء مكتبة غنية بكتبها، وكان يزودها باستمرار بما يبتاعه أو ينسخ له، أو يترجم من الكتب أو يهْدِي إليه أو يصنّف باسمه. وقد كان ينفق على النساخين

(١٧٧) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٧٢.

(١٧٨) القفطي، المصدر نفسه، ص ١١٧.

(١٧٩) المصدر نفسه، ص ١٣٢.

(١٨٠) ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بجميع الأدياء أو طبقات الأدياء،

ج ٥، ص ٤٦٧.

(١٨١) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم،

ص ١٦٩.

(١٨٢) المصدر نفسه، ص ١٧٥، وياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٥٦ - ٥٧.

(١٨٣) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ١٧٥.

(١٨٤) المصدر نفسه، ص ٢١١.

(١٨٥) المصدر نفسه، ص ١٧٥.

والمترجمين ما يقرب من ألفي دينار في الشهر<sup>(١٨٧)</sup>. ومن الأدباء المقرئين إلى ابن الزيات الجاحظ عميد أدباء عصره، وقد أهدى إليه كتابه المشهور الحيوان فمنحه ابن الزيات خمسة آلاف دينار<sup>(١٨٨)</sup>. كما أهدى إليه أيضاً رسالة الحنين إلى الأوطان<sup>(١٨٩)</sup>. ويروي الجاحظ أنه قدّم إلى ابن الزيات نسخة من كتاب سيبويه بخط الفراء ومقابلة الكسائي وتهذيب الجاحظ نفسه، اشتراها من ميراث الفراء، فقال له ابن الزيات إن خزانتنا ليست خالية من هذا الكتاب، ولكن هذه أجلّ نسخة وأعزّها، وقد سرّ بها<sup>(١٩٠)</sup>.

إن انفاق هذا المبلغ الكبير من المال شهرياً على مكتبة محمد بن عبد الملك الزيات يُستدل منها أنها كانت غنية بكتبها مفتوحة لمن يريد الانتفاع من كتبها من الدارسين وطلاب العلم.

#### هـ - خزانة بني موسى بن شاكر

اشتهر أبناء موسى بن شاكر بحب الكتب وجمعها. قال عنهم ابن النديم: «وهؤلاء القوم من تناسى في طلب العلوم القديمة وبذل فيها الرغائب، وأنكبوا فيها نفوسهم. وأنفلتوا إلى بلاد الروم من أخرجها إليهم، فاحضروا النقلة من الأصفاق والأماكن بالبدل السني فأظهروا عجائب الحكمة»<sup>(١٩١)</sup>. وأنهم كانوا يتفقون على المترجمين خمسمئة دينار في كل شهر<sup>(١٩٢)</sup>. فترجمت لهم كتب عديدة من اللغتين اليونانية والسريانية. وسبقت الإشارة في موضوع حركة الترجمة إلى بعض الكتب التي ترجمت لهم. ولذا فإن خزانة كتبهم كانت غنية بمحتوياتها من الكتب في مختلف صنوف العلوم. ولا بد أنهم كانوا يفتحون أبوابها للمطالعين والدارسين.

#### و - خزانة جعفر بن حمدان الموصلي

كان أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان المتوفى سنة ٣٢٣ من أبرز فقهاء مدينة الموصل وأدبائها في زمانه، متقدماً في الفقه والنحو، راوية للأخبار، عارفاً بالكلام والجدل،

(١٨٦) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٨٤.

(١٨٧) ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدياء أو طبقات الأدياء، ج ٦، ص ٧٦.

(١٨٨) يوسف البان سركيس، معجم المطبوعات العربية والعربية: وهو شامل لأسماء الكتب المطبوعة في الأقطار الشرقية والغربية مع ذكر أسماء مؤلفيها ولغة من ترجمتهم وذلك من يوم ظهور الطباعة إلى نهاية السنة الهجرية ١٣٣٩ الموافقة لسنة ١٩١٩ الميلادية (القاهرة: مطبعة سركيس، ١٩٢٨)، ص ٦٦٧.

(١٨٩) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٣، ص ١٣٣، وياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٨٥.

(١٩٠) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٣٩٢ - ٣٩٣.

(١٩١) المصدر نفسه، ص ٣٥٤، والقفطي، تاريخ الحكاء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات المنقذات من كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكاء، ص ٣٠ - ٣١.

بصيراً بأحكام النجوم<sup>(١١٨)</sup>. له مصنفات عدة في الفقه الشافعي، وفي الأدب ونقد الشعر، ذكر ابن التديم وياقوت الحموي بعضهما<sup>(١١٩)</sup>. وذكر ياقوت أنه «كانت له ببلده دار علم قد جعل فيها خزانة كتب من جميع العلوم وفقاً على كل طالب لعلم لا يمنع أحد من دخولها، إذا جاءها غريب يطلب الأدب، وإن كان مُعسراً أعطاه ورقاً وورقاً، تفتح في كل يوم»<sup>(١٢٠)</sup>.

### ز - خزانة اسحاق الموصلي

عُرف عن مخني الخلفاء إسحاق بن إبراهيم الموصلي المتوفى سنة ٢٣٥ ولعه الشديد بالكتب، وقد جمع لنفسه خزانة كتب كبيرة. يقول عنه ابن خلكان إنه كان كثير الكتب، ونقل عن أبي العباس ثعلب النحوي أنه قال «رايت لاسحاق الموصلي ألف جزء من لغات العرب وكلها بسباعه، وما رايت اللغة في منزل أحد قط أكثر منها في منزل اسحاق ثم منزل ابن الاعرابي»<sup>(١٢١)</sup>.

وقال الأصمعي: خرجت مع الرشيد إلى الرقة فلقيت اسحاق الموصلي بها، فقلت له: هل حملت شيئاً من كتبك؟ فقال: حملت ما خف. فقلت كم مقداره؟ فقال: ثمانية عشر صندوقاً. فعجبت وقلت: إذا كان هذا ما خف فكيف يكون ما ثقل؟ فقال: أضعاف ذلك<sup>(١٢٢)</sup>. وكان أبو الحسن علي بن محمد المدائني الراوية المؤرخ مقبلاً في بيت اسحاق مستفيداً من خزانة كتبه في الدرس والتأليف، وقد أدركته منيته وهو في بيت صديقه اسحاق<sup>(١٢٣)</sup>.

وكان ممن يرتاد مجلس اسحاق ومكتبته من رجال اللغة ابن الاعرابي، محمد بن زياد، وقد أهدى اسحاق شيئاً من كتابه النواذر كتبه له بخطه، وقال عن داره: «هذه دار الذي تأخذ من ماله ومن ادبه»<sup>(١٢٤)</sup>. ويظهر أنه كان يستفيد مما في مكتبة اسحاق من كتب اللغة والأدب مما لا تحتوي مكتبته. كما يظهر من ذلك أنها كانت مفتوحة الأبواب للأخريين من العلماء والأدباء والدارسين.

### ح - خزانة الجاحظ

كان أبو عثمان الجاحظ، وهو الأديب المبرز وصاحب التصانيف الكثيرة في كل علم وفن، وأكثر أدباء عصره اطلاعاً على أنواع المعارف، من المولعين بالمطالعة واقتناء الكتب. حتى قيل عنه: لم يُرَ قط ولم يسمع من أحب الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ، فإنه لم يقسح

- 
- (١٢٢) ابن التديم، المصدر نفسه، ص ٢١٩، وياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأديباء أو طبقات الأديباء، ج ٢، ص ٤١٩.  
 (١٢٣) ابن التديم، المصدر نفسه، وياقوت الحموي، المصدر نفسه.  
 (١٢٤) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٢٠.  
 (١٢٥) ابن خلكان، وفیات الأعيان وأنباء الزمان، ج ١، ص ١٨٣ - ١٨٤.  
 (١٢٦) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٩٨ - ١٩٩.  
 (١٢٧) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٣٠٩.  
 (١٢٨) أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني، الأغاني (القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د.ت.)، ج ٥، ص ٢٧٤.

بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته كائناً ما كان، حتى انه كان يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للمطالعة<sup>(١١٧)</sup>.

وروى أبو الفداء عن سبب موت الجاحظ أنه كان يوقع مجلدات الكتب عليه، إذ اعتاد أن يصف كتبه قائمة مخططة به ويجلس إليها، وكان عليلاً فسقطت عليه فقتلته<sup>(١١٨)</sup>. ومع أن هذا الخبر ينبغي أن يؤخذ بحذر، فإنه يمكن أن يستدل منه أن الجاحظ كانت له خزانة كتب خاصة به، تضم عدداً كبيراً من المجلدات في مختلف فروع المعرفة لا سيما الأدب وعلم الكلام، وهما اشتهر الجاحظ، وأنها كانت من ينابيع علمه الغزير ومعرفته الواسعة التي تتمثل بما وصلنا من مصنفاته من الكتب والرسائل.

### ط - خزانة الكندي

كان العالم الفيلسوف يعقوب بن اسحاق الكندي من مدمني الدرس والمطالعة وكانت له مكتبة خاصة فيها كتب في مختلف صنوف المعرفة من الفلسفة والمنطق والطب والرياضيات والفلك وعلم النجوم، ناهيك عن مصنفاته التي زادت على ٢٧٠ كتاباً. وكان الكندي مقرّباً من خلفاء سامراء المعتصم بالله وإبنيه الواثق بالله والمتوكل على الله، مما كان يشير حسد الأخوين محمد وأحمد ابني موسى بن شاكر، فسعيًا في الوشاية به لدى الخليفة المتوكل على الله المتقلب الزجج. وأحسب أنها اتهمه بالاعتزال فأوغرا صدر الخليفة عليه، فغضب عليه وأمر بضربه. فاعتنت الفرصة ووجهها إلى داره من أخذ كتبه بأسرها، مما مكّنها من الاستفادة مما فيها من الكتب الخاصة بالآلات المتحركة وهندسة حفر الأنهار. وكان قد تعهدا للخليفة بحفر نهر الجعفرى، إلا أنها فشلا في إجراء الماء فيه. ولكي يأمنا غضب الخليفة استنجد بالمهندس سند بن علي الذي كلفه المتوكل على الله بالكشف عن النهر وما إذا كان صالحاً. فكان من شروط سند بن علي لمساعدتها أن يسعيًا لدى الخليفة للعفو عن الكندي، وأن يرّدًا إليه مكتبته. فاستعاد الكندي المكتبة كاملة. وبما يدل على ضخامتها وكثرة كتبها أنها لما صودرت أفردت لها خزانة خاصة سميت الكندية<sup>(١١٩)</sup>.

### ي - خزانة الامام أحمد بن حنبل

كان للإمام أحمد بن حنبل خزانة كتب خاصة به، حذرت يوم مات فبلغت اثني عشر حملاً وعدلاً. وروى ابنه صالح بن أحمد أن الخليفة المتوكل على الله أمر ابن طاهر خليفته في

(١١٩) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٥٦.

(١٢٠) عباد الدين اسماعيل بن علي أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج ٤، في ٢ (القاهرة: المطبعة

الحسنية، ١٨٦٩)، ج ٢، ص ٤٧.

(١٢١) الخبر مفضل في: أبو جعفر أحمد بن يوسف بن الداية، المكافاة، صححه وضبطه وشرحه أحمد أمين وعلى الجارم (القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٩٤١)، ص ١٩٥ - ١٩٦، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ٢٨٦ - ٢٨٧.

بغداد بتعزية ذوي الإمام لما توفي، ويأمره بحمل كتبه، إلا أنهم دافعوه فلم تخرج عن أيديهم<sup>(١٠١)</sup>.

### ك - خزانة ابن الأعرابي

ومن اشتهر بحب الكتب واقتنائها، اللغوي الراوية الشهير أبو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي المتوفى سنة ٢٣١. فقد بعث أحد أصدقائه غلامه إليه يسأله أن يجيء إليه، فعاد الغلام وقال: قد سألته المجيء فقال: عندي قوم من الأعراب فإذا انتهيت منهم أتيت. وقال الغلام: ولكنني لم أر أحدا عنده، إلا أني رأيت بين يديه كتاباً ينظر فيها، في هذا مرة وفي هذا مرة<sup>(١٠٢)</sup>. وقد سبقت الإشارة إلى تعجب ثعلب النحوي من كثرة كتب اللغة في منزل اسحاق الموصلي وفي منزل ابن الأعرابي.

ولابن الأعرابي تصانيف عديدة في اللغة والأنساب والشعر، ذكر ابن النديم وياقوت الحموي وابن خلكان قسماً منها<sup>(١٠٣)</sup>.

### ل - خزانة اسماعيل بن اسحاق

ومن الفقهاء الذين عرفوا بحب الكتب قراءة واقتناء قاضي بغداد بجانيها اسماعيل بن اسحاق الأزدي المالكي المتوفى سنة ٢٨٢. قال عنه أبو هفان: «لم أر قط ولا سمعت من أحب الكتب والمعلوم أكثر من الجاحظ... واسماعيل بن اسحاق القاضي، فإن ما دخلت عليه إلا رأته ينظر في كتاب أو يقلب كتاباً أو يفتضها»<sup>(١٠٤)</sup>. وكان قد جمع في داره خزانة كتب تطرق إليها غير واحد من المؤرخين<sup>(١٠٥)</sup>.

واسماعيل بن اسحاق من أصحاب مالك وهو الذي بسط الفقه المالكي ودعا الناس إليه ورغبهم فيه، وصنف فيه الكتب<sup>(١٠٦)</sup>.

### م - خزانة ابراهيم الحربي

كان الفقيه المحدث ابراهيم بن اسحاق الحربي المتوفى سنة ٢٨٥ ممن عرف بحب الكتب وجمعها، وكان يضمن بكتبه ويعتز بها. فقد عدم وعياله القوت يوماً ولم يسمح لنفسه

---

(٢٠٢) كوكيس عواد، خزائن الكتب القديمة في العراق (بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٤٨)، ص ١٩٦-١٩٧.

(٢٠٣) ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء أو طبقات الأدباء، ج ٧، ص ٨.

(٢٠٤) المصدر نفسه، ج ٧، ص ٨-٩ ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ١٠٩، وابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٣، ص ٤٣٤.

(٢٠٥) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٥٦.

(٢٠٦) عواد، خزائن الكتب القديمة في العراق، ص ٢٠٧.

(٢٠٧) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٢٩٦.

بيع شيء منها أو رهنه . وكان له بيت في دهليز داره فيه مكتبه، وفيه يجلس للنسخ والدرس<sup>(٢٠٠)</sup>. روى الخطيب البغدادي خبراً يؤكد حرص إبراهيم الحربي على كتبه وأنه كان يعتبرها ثروة يتركها لأبنائه بعد موته أماناً لهم من الفقر، ولما شكت بنته الفقر، وهو على فراش الموت، قال لها من عنده هذه الكتب وكل جزء منها بدرهم، ومن كانت عنده اثنا عشر ألف درهم ليس بفقر<sup>(٢٠١)</sup>. مما يدل على أنه كان فيها من كتب اللغة فقط مما خطه بيده اثنا عشر ألف جزء.

### ن - خزانة ثعلب النحوي

كان لإمام النحويين الكوفيين أبي العباس أحمد بن يحيى المتوفى سنة ٢٩١ مكتبة ثمينة، قال عنها السيوطي إنها تساوي مبلغاً كبيراً من المال<sup>(٢٠٢)</sup>. وعندما حضرته الوفاة أوصى إلى علي بن محمد الكوفي وهو أحد تلاميذه، وتقدم إليه في دفع كتبه إلى أبي بكر أحمد بن اسحاق القطريلي. فقال الزجاج للقاسم بن عبيد الله وكان جاعاً للكتب: هذه كتب جليلة فلا تفوتك، فاحضر خيران الوراق فقوم ما كان يساوي عشرة دنائير بثلاثة، فبلغت أقل من ٣٠٠ دينار، فأخذها القاسم<sup>(٢٠٣)</sup>. وأضافها إلى مكتبته الخاصة.

### ٣ - مكتبات خاصة أخرى لبعض الرجال والعلماء

هناك معلومات ونبذ متناثرة بين ثنايا الأخبار والروايات في المصادر التراثية عن بعض المكتبات الخاصة، نورد فيها يأتي ما تيسر لنا الاطلاع عليه، ومعرفة بعضها:

١ - يذكر ابن النديم في أخبار النحوي الزّجاج إبراهيم بن محمد خزانة كتب الخليفة المعتضد بالله المتوفى سنة ٢٨٩ وهو الخليفة الذي هجر سامراء وعاد إلى مدينة السلام في سنة ٢٧٩. وكان الزجاج قد فسر جداول كتاب جامع النطق لمحمد بن يحيى بن أبي عباد الملقب بمحبرة النديم، بناء على طلب الخليفة، وأمره بعمل البتاني، ففسره كله، وكتبه بخط الترمذي الصغير أبي الحسن وجلده، وحمله الوزير إلى المعتضد بالله فاستحسنه وأمر له بثلاثمئة دينار. ولم يخرج لما عمله الزّجاج نسخة إلى أحد إلا إلى خزانة المعتضد بالله<sup>(٢٠٤)</sup>.

(٢٠٨) ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأديب أو طبقات الأدباء،

ج ١، ص ٣٩.

(٢٠٩) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٠؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٦، ص ٣٣، وأبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، ١٩٣٨ - ١٩٣٩)، ج ٦، ص ٦.

(٢١٠) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، ج ٢ (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٦٤ - ١٩٦٥)، ص ١٧٣.

(٢١١) أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، إنباء الرواة على إنباء النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج ٤ (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٥٠ - ١٩٧٣)، ج ١، ص ١٤٥، وياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٤٤ - ١٤٥.

(٢١٢) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٩٦.

وقد عُرف عن المعتضد بالله حبّه للكتب، إذ كان يشجّع مناديه من الأدباء والعلماء والفلاسفة على أن يصنّفوا له كتباً في مواضيع معينة يسألهم عنها، فيودعها في خزّانة كتبه. فقد صنّف له معلمه ونديمه الفيلسوف أبو العباس أحمد بن الطيّب عدداً من الكتب منها<sup>(١١٣)</sup>: كتاب اللّهُو والملاهي ونزهة المفكر الساهي في الفناء والمغنين والمجالسة وأنواع الأخبار والملح. وقال ابن الطيّب إنه صنّفه وقد مرّ له من العمر إحدى وستون سنة، وكتاب الطيّب ألفه على الشهور والأيام، وكتاب في أدب النفس. كما صنّف ثابت بن قُرّة الفيلسوف الرياضي كتاباً في جزمين جواباً عن مسائل سأله عنها المعتضد بالله<sup>(١١٤)</sup>. وصنّف يحيى بن عليّ المنجم للمعتضد بالله رسالة في الموسيقى<sup>(١١٥)</sup>. ويظهر أن يحيى كان قد استشار ثابت بن قُرّة في موضوع الرسالة، فأجابه بكتاب فيها سأله عن أبواب علم الموسيقى<sup>(١١٦)</sup>.

ب - يشير ابن خلّكان إلى مكتبة خاصة بأحد وجهاء مدينة همدان. فقد قصد الشاعر أبو تمام الطائي عبد الله بن طاهر وإلى خراسان، وعند عودته وصل همدان، وكان الموسم شتاء والبرد بتلك النواحي شديداً قارس، وقد قطعت الثلوج عليه طريق العودة، فنزل عند أحد وجهاء المدينة من العرب هو أبو الوفاء بن سلمة، فوجد في خزّانة كتبه دواوين من الشعر الجاهلي والاسلامي، فعكف على دراستها وانتخب منها ما صنّف منه كتاب الحماسة<sup>(١١٧)</sup>.

ج - وكانت لحنين بن اسحاق الطيّب الحاذق والمترجم القدير خزّانة كتب تضم الكتب التي تجشم الصعاب في رحلاته إلى بلدان مختلفة للحصول عليها. وهي من كتب الأقدمين في الطب والحكمة<sup>(١١٨)</sup>. إضافة إلى مصنفاته العديدة، وما نقله إلى العربية والسريانية من اللغة اليونانية. وقد أشار بنفسه إلى مكتبته في مقالته في فهرست كتب جالينوس بقوله: «إن جميع ما كان يملكه من الكتب ذهب حتى لم يبق عنده منها ولا كتاب»<sup>(١١٩)</sup>. كما ذكرها في رسالته التي ألفها فيها أصابه من المحن والشدائد من الذين ناصبوه العداء من أبناء صنعته في أيام التوكل على الله، فغضب الخليفة عليه، فقال «ثم أمر - الخليفة - بإحضاري فأحضرت إليه... ووجه فحمل جميع ما كان لي من رجل وأثاث وكتب وما شاكل ذلك...»<sup>(١٢٠)</sup>.

د - وكانت للعالم اللغوي ابن دريد أبي بكر محمد بن الحسن الأزدي المتوفى سنة ٣٢١

---

(٢١٣) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٩٤ - ٢٩٥.  
 (٢١٤) القفطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزرني السمي بالمنتخبات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بإخبار الحكماء، ص ١١٨.  
 (٢١٥) عواد، خزائن الكتب القديمة في العراق، ص ١١٤.  
 (٢١٦) القفطي، المصدر نفسه، ص ١١٧.  
 (٢١٧) ابن خلّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٢، ص ٢٧٢ - ٢٧٣.  
 (٢١٨) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٤٢٣.  
 (٢١٩) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٦٢.  
 (٢٢٠) المصدر نفسه، ص ٢٦٨.



خزانة كتب ورد ذكرها في معجم الأدباء في سيرة علي بن أحمد الدردي، وهو وراق ابن دريد، إذ يقول: «والله صارت كتب ابن دريد بعد موته»<sup>(٣٣٣)</sup> وكان أحمد الدردي أبو علي المذكور أحد تلاميذ ابن دريد وخصيصاً به<sup>(٣٣٤)</sup>.

هـ - كما كان لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري المتوفي سنة ٣٢٨ مكتبة عامرة تشغل بيتاً كاملاً، أشار إليها ابن الجوزي وأبو البركات الأنباري، فقد ذكرا «أن أبا بكر الأنباري مرض فدخل عليه أصحابه يهودونه، فأروا من انزعاج والده وقلقه عليه أمراً عظيماً، فطهبوا نفسه ورجوا عافية أبي بكر، فقال لهم: كيف لا أنزعج وأقلق لمة من يحفظ جميع ما ترون وأشار إلى حبري ملوه كتباً»<sup>(٣٣٥)</sup>. والحبري هو البيت المشيد على الطراز الحبري الذي كان قد أحدثه المتوكل على الله، نسبة إلى مدينة الحيرة، وبني الناس جميعاً بسامراء هذا البناء»<sup>(٣٣٦)</sup>.

و - ومن كانت له خزانة كتب خاصة، القاسم بن عبيد الله بن سليمان وزير الخليفة المعتضد بالله وابنه المكتفي بالله. ويستنتج ذلك مما ورد في ترجمة ثعلب النحوي أحمد بن يحيى في معجم الأدباء من أن الوزير القاسم المذكور كان قد اشترى كتب ثعلب بعد وفاته بثمان بخص، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك عند الكلام على خزانة كتب ثعلب.

ز - وجاء في مخطوطة تاريخ أصبهان لأبي نعيم، إنه توفي في سنة ٢٧٢ أحد علماء أصبهان، وكانت له خزانة كتب، يقال إنه انفق في شراء كتبه ثلاثمائة ألف درهم<sup>(٣٣٧)</sup>.

ح - ذكر ابن خلكان عن المحدث الكبير يحيى بن معين، المتوفي سنة ٢٣٣ أنه قال: كتبت بيدي هذه ستمئة ألف حديث. وسواء كتبها بنفسه كلها أم عاونه طلابه وأصحابه في كتابتها، فهي مما يلا عدة خزائن، ويقول عنه: وخلف من الكتب مئة قمطر وأربع حباب شرايبة ملوثة كتباً<sup>(٣٣٨)</sup>، مما نستطيع معه أن نقول إن له خزانة كتب خاصة من القضاطر والحجاب.

ط - وما له علاقة بحب الكتب واقتنائها ما ذكره أبو المحاسن عن أبي داود السجستاني سليمان بن الأشعث الأزدي، المتوفي سنة ٢٧٥ إمام أهل الحديث في زمانه، قال: «وكان له كم

(٢٢١) ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء أو طبقات الأدباء،

ج ٥، ص ٨١.

(٢٢٢) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسباب كتبهم، ص ٩٧.

(٢٢٣) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٦، ص ٣١٢، وأبو البركات عبد الرحمن عماد بن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء أبي النحاة، تحقيق عطية عامر (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٣)، ص ٢٧١.

(٢٢٤) السعدي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٢، ص ٣٦٩، وأحمد بن أبي يعقوب البقوي،

مشكلة الناس لزمانهم، تحقيق وليم ملورد (بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٦٢)، ص ٣٢.

(٢٢٥) آدم مزر، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ترجمة محمد

عبد الهادي أبو ريذة، ج ٢ (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٠)، ج ١، ص ٢٨٩.

(٢٢٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٥، ص ١٩٠.

واسع وكم ضيق، فقيل له في ذلك، فقال: الواسع للكتب والآخر لا احتاج إليه<sup>(٣٣٣)</sup>. وهو يعطينا دلالة على حبه للكتب وأنه لا يكاد يفارقها، ويستنتج منه كذلك أنه كانت له خزانة عامرة بالكتب.

## ٤ - مكتبات الجوامع

لم يقتصر وجود خزائن الكتب على العلماء ورجال الدولة ممن يعنون بالعلوم والآداب أمثال من ذكرناهم فيها تقدم، بل إن أغلب الجوامع كانت لها مكتباتها الخاصة بها، يستفيد منها طلاب العلم والمعرفة. فقد كان من المألوف أن كل جامع كبير يكون من ممتلكاته خزانة كتب تحتوي على كتب مختلفة وبخاصة ما يتعلق بالعلوم الدينية كال تفسير والحديث والقراءات والفقه، والعلوم اللغوية. وهي تفتح للمطالعة والاستنساخ. كما كانت مكتبات الجوامع تتخذ مجتمعا للعلماء وطلاب العلم يتدارسون فيه ويتداولون في المسائل العلمية<sup>(٣٣٤)</sup>. وكانت مكتبات الجوامع تتسع وتزداد كتبها بما يقفه عليها العلماء والأثرياء من كتبهم وأموالهم. وقد عدد الأستاذ ناجي معروف عدداً من العلماء والأعيان ممن أوقفوا خزانة كتبهم في خلال القرون التالية<sup>(٣٣٥)</sup>. ولا شك في أن هذا التبرع نشأ بنشوء المساجد والجوامع. ولذا فمن الطبيعي أن تكون مكتبات الجوامع عامرة بالكتب المختلفة في القرن الثالث.

وهناك إشارة صريحة إلى وجود مكتبة في جامع القيروان. إذ كان يوجد في إحدى حجرات الجامع المذكور مكتبة أنشئت في عهد الأغلبية، وكانت حافلة بالمصنفات القيمة، دامت العناية بها إلى القرن الخامس، وقد أوقف عليها الأمراء والأعيان وسائر الناس كتباً جليلة عديدة ما بين مصاحف مزخرفة، وتصانيف من أمهات كتب الفقه والحديث واللغة والأدب<sup>(٣٣٦)</sup>.

## ٥ - بيت الحكمة في رقادة

ومما يجدر ذكره أن بعض أمراء بني الأغلب في إفريقيا (تونس) كانوا يراعون العلماء ويهتمون بنشر العلم وتوسيع آفاقه. وقد تميز الأمير إبراهيم الثاني الذي تولى الإمارة سنة ٢٦١ بميله إلى العلوم الفلكية والحكمة، فوجه عناية خاصة لتشجيع الحركة العلمية في إمارته، وتوجهها بتأسيس «بيت الحكمة» على غرار بيت الحكمة ببغداد. فقد بنى مدينة رقادة واتخذها

(٢٢٧) جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، [د.ت.])، ج ٣، ص ٧٣.  
(٢٢٨) أحمد أمين، ظهر الإسلام، ط ٣، ج ٤ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٢)، ج ٢، ص ٢٢٢.

(٢٢٩) ناجي معروف، أصالة الحضارة العربية، ط ٢ (بغداد: مطبعة التضامن، ١٩٤٩)، ص ٤٠٧.  
(٢٣٠) حسن حسني عبد الوهاب، وقلات عن الحضارة العربية في إفريقيا الشمالية (تونس: مطبعة المنار، ١٩٦٤)، ص ١١٤.

عاصمة له في سنة ٢٦٤، وكان من أهم منشأته فيها انشاؤه بيت الحكمة، واتخذ له قيمين مرتبين للقيام بمختلف شؤونه، يدعى رئيسهم صاحب بيت الحكمة، وكان ممن تولى هذا المنصب أبو اليسر ابراهيم بن محمد الشيباني الأديب الرياضي البغدادي الأصل.

وكان في البيت المذكور مكتبة غنية بما تحتويه من الكتب في سائر العلوم والفنون، وقد جُلب أكثرها من المشرق وبخاصة من بغداد. وكانت تفتح للمطالعة والدرس، ويسمح بنسخ الكتب المتوفرة فيها، إذ رخص للنسّاج أن يجلّوا في أماكن معدة لهم، سواء كانوا ينسخون لأنفسهم أو لغيرهم بالأجرة.

كما كان في بيت الحكمة هذا قسم خاص بعلم الفلك وفيه الآلات الفلكية اللازمة لرصد الكواكب، وتحقيق الأوقات، وضبط الأطوال والعروض، كالاصطرابات والمقنطرات وغيرها من العدد التي تستعمل في الفلك والتنجيم.

وهناك من يرجع أنه كان في بيت الحكمة برقادة قسم خاص بالترجمة، نقلت فيه بعض الكتب من اللغة اللاتينية.

ولما كان من عادة أمراء بني الأغلب أن يبعثوا في كل عام إلى عاصمة الدولة العربية، عندما كانت في سامراء وبعد عودتها إلى بغداد، وفداً لتأكيد ولائهم للخليفة، فقد كان ابراهيم الثاني يكلف هذه الوفود بجلب بعض العلماء البارزين في سائر العلوم وشراء نسخ من الكتب العلمية ولا سيما المؤلفات والمترجمات في الحكمة والرياضيات، وذلك لمكتبة بيت الحكمة، ولأقسام البيت الأخرى.

ولشغف ابراهيم الثاني بالمكتبة المشار إليها وحرصه على أن تكون فيها نفائس الكتب وأصحها، فقد كان يدعو إلى رقادة بعض علماء القيروان وتونس من المبرزين في اللغة والنحو، ويقيهم في ضيافته مدة لتصحيح مخطوطات المكتبة وضبط شكلها وتفسير مفرداتها.

وظل بيت الحكمة في رقادة قائماً حتى سقوط إمارة بني الأغلب بيد الفاطميين في عام ٢٩٦ فتوقفت رسالته الثقافية. إلا أن آثاره في الحركة العلمية استمرت مدة طويلة بعد ذلك، لأن الكثير من علمائه والباحثين فيه تفرقوا في أنحاء المدن الافريقية حاملين معهم شعلة العلم والمعرفة<sup>(٢٣١)</sup>.

---

(٢٣١) حول بيت الحكمة في رقادة، انظر: المصدر نفسه، ص ٢٢٢ - ٢٢٥ و ٢٢٩ - ٢٢٩.



الفصل السادس

اللغة العربية وآدابها



## أولاً: اللغة والنحو وأشهر رجالها

عندما حلَّ القرن الثالث كان للنحو مدرستان: مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة، ولكل منهما رأيها في النحو وطريقة تحريجه، ولكل رأي أتباعه وأشياعه. وكان النحو في المدرستين يقوم على دراسات واصطلاحات في التصريف والاشتقاق والإعراب، وما يتعلق بالبناء العام للكلمة، وعرض بعض المظاهر اللغوية التي تبنى على ما للأصوات من خصائص عند تأليفها مع بعضها البعض في ثنایا الكلمات، كالإدغام والإمالة والإبدال وغيرها. فكان لكل كلمة أو جملة على رأي أهل البصرة أسس عقلية أو منطقية تقوم عليها من حيث صورها وموقعها في الكلام، وقواعد عامة تربط بين اللفظ والمعنى. وقد اعتبرت هذه الأسس والقواعد أصول اللغة التي يجب التقيد بها وعدم التساهل بالخروج عليها ولو كان بالقياس على غرارها، وأن كل ما يخرج عنها يعتبر شاذاً، وهو مذهب محافظ متشدد أقرب إلى الجمود.

وعلى النقيض من هذا، أخذت مدرسة الكوفة بقاعدة القياس واعتبار الشذوذ عن الأصل قاعدة جديدة قائمة بذاتها يُبنى عليها ويقاس على غرارها، فنشأت بذلك أحكام وقواعد خاصة وتعدّد في الأوزان مما جعل مذهب الكوفيين حراً متطوراً. وأقدم كتاب في النحو البصري هو كتاب سيبويه، وهو مزيج من النحو بمعناه الخاص ومجموعة من الدراسات اللغوية. أما مصنفات الكوفيين فلم تكن نحوية خالصة بالمعنى الاصطلاحي، ففيها روايات في القراءات ومعاني القرآن، ونوادر أدبية، وألفاظ غريبة. ومن الواضح أن المدرستين لم تكونا نحويتين خالصتين بل تشوبهما دراسات لغوية عند البصريين، ومواضيع مختلفة عند الكوفيين<sup>(١)</sup>.

---

(١) مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو (بغداد: دار المعرفة، ١٩٥٥)،

ومع أن مدرسة البصرة أقدم عهداً ورسوخاً، فقد ظهرت عليها مدرسة الكوفة بسبب مناصرة خلفاء بغداد وسامراء وتفضيلهم مشايخ الكوفة على علماء البصرة، واتخاذ مؤيدي أولادهم منهم.

واعتبر متبعو حركة اللغة والنحو في هذا القرن كلاً من صالح الجرهمي وأبي عثمان المازني نهاية لطبقة من النحويين البصريين هي الطبقة الخامسة، واعتبروا محمد بن يزيد المبرّد إمام الطبقة السادسة. كما اعتبروا ابن الأعرابي وابن السكّيت نهاية الطبقة الثالثة من النحويين الكوفيين، وأحمد بن يحيى المعروف بثعلب إمام الطبقة التالية منهم<sup>(١)</sup>. وكان ثعلب الذي ألت إليه زعامة النحويين الكوفيين كثير الحفظ واسع الرواية في اللغة والنحو والأدب والقراءات، يملّ دروسه في مجالسه التي يعقدها لطلابه وأصحابه، ويحجب عن أسئلتهم معتمداً على رواية ما يحفظ عن الكسائي والفراء، ولم يكن يُعنى بالقياس أو باستخراج العلل. وإذا ما سئل عن مسألة نحوية أو لغوية راح يبحث الجواب عنها في ما حفظه عن شيوخه، وإذا ما طُلب إليه بيان حجة لم يأت بشيء<sup>(٢)</sup>. فلم يكن مبتكراً مبدعاً، ومن ثم لم يكن له أثر في توسيع المذهب الكوفي في النحو أو تهذيب طريقته، وإنما كان له فضل استمرار الترويج له وحسب. أما المبرّد فكان مع اعتاده على الرواية، يأخذ بأساليب الجدل النظري ويفلسف المسائل ويعلمها حتى يستخرج الأوجه المطلوبة، فينتزع حكم المستمعين بصحة ما يقول، إعجاباً منهم بتصرفه الكلام<sup>(٣)</sup>. وكان هذا من أهم أسباب المنافسة التي قامت بين ثعلب والمبرّد. ومع هذا الاختلاف بينهما فإنهما التزما منهجاً واحداً يقوم على المحافظة على التراث دون أي تغيير أو إضافة أو تجديد فأنهما بالتزامهما هذا الاجتهاد الذي كان أبرز صفات شيوخ الطبقات المتقدمة في المدرستين.

لقد كان من نتائج هذا الجمود والمنافسة بين المدرستين أن ظهرت مدرسة جديدة في النحو تجمع بين مزاييهما، ولا تتعصب لإحدهما على الأخرى. وأخذ طلاب النحو من البصرة والكوفة يرحلون إلى بغداد لدراسة النحو فيها. ويعتبر ابن قتيبة، وأبو حنيفة الدينوري وأبو الهيثم العفيلي وابن كيسان محمد بن أحمد أبرز من يمثل هذا الاتجاه، وقد خلطوا المذهبين النحويين ونجحوا في التوفيق بينهما<sup>(٤)</sup>.

وقد اشتهر في هذا القرن عدد كبير من رجال اللغة والنحو من الكوفيين والبصريين

---

(٢) أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي، أخبار النحويين البصريين ومراتهم وأخذ بعضهم عن بعض صنعة أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي، تحقيق طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم (القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٥٥)، ص ٧.

(٣) أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، إنباء الرواة على أئناء النحاة، تحقيق عماد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٥٠ - ١٩٧٣)، ص ١٤٤.

(٤) المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص ١٨٣.

(٥) أبو الفرج محمد بن اسحق بن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٢٠)، ص ١٢١ - ١٢٢، ١٢٨ و ١٢٦ على التوالي.



ومن خلطوا المذهبين، واستعرف في ما يأتي إلى بعض البارزين منهم وعلى جهودهم ومصنفاتهم، لتبين تأثيرهم في سير الحركة اللغوية والنحوية، في خلاله.

## ١ - صالح الجرّمي

أبو عمر صالح بن اسحاق الجرّمي النحوي، لقب بالجرّمي لأنه كان مولى لجرّم بن ربّان، وجرّم قبيلة من قبائل اليمن، وقيل إنه مولى بجيلة لأنه يلقب بالبجيلي أحياناً، وفي بجيلة جرّم بن علقمة بن أنمار<sup>(٦)</sup>. ويقال إنه لقب بالجرّمي لأنه نزل في قبيلة جرّم، وهذه النسبة إلى عدة قبائل كل واحدة منها يقال لها جرّم، ولا يعرف إلى أيها ينسب أبو عمر المذكور<sup>(٧)</sup>. كان الجرّمي عالماً بالنحو واللغة، نشأ في البصرة وقدم بغداد، وأخذ النحو عن أبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط، وقرأ عليه كتاب سيبويه، كما أخذ اللغة عن الأصمعي وأبي عبيدة ولم يلق سيبويه<sup>(٨)</sup>. وكان رفيقاً لأبي عثمان المازني وأخذ عنه أيضاً، وإليه انتهى علم العربية في وقته<sup>(٩)</sup>. ويقول عنه ابن العماد إنه كان ورعاً، نبيلاً، ورأساً في اللغة، نال بالأسلوب دنيا عريضة<sup>(١٠)</sup>.

وللجرّمي عدد من الكتب في اللغة والنحو ذكر صاحب الفهرست ثمانية منها هي: كتاب القوافي، وكتاب الثنية والجمع، وكتاب الفرخ - أي فرخ كتاب سيبويه، وكتاب العروض، وكتاب مختصر نحو المعلمين، وكتاب تفسير غريب كتاب سيبويه، وكتاب الأبنية والتصريف، ويضيف صاحب هدية العارفين: شرح كتاب العين، ومقدمة في النحو، والتنبيه في النحو، ويقول الخطيب البغدادي: وله كتب انفرد بها<sup>(١١)</sup>.

(٦) المصدر نفسه، ص ٩٠؛ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ١٤ ج (بيروت: دار الكتاب العربي، [د.ت.]), ج ٩، ص ٣١٤، وشمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن خلكان، وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق محمد عبي الدين عبد الحميد، ٦ ج (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٥٠)، ج ٢، ص ١٧٩.

(٧) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٧٩، وجمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، [د.ت.]), ج ٢، ص ٢٤٣.

(٨) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٩، ص ٣١٤، والسيرافي، أخبار النحويين البصريين ومراثيمهم وأخذ بعضهم عن بعض صنعة أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي، ص ٥٦. (٩) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأديباء أو طبقات الأديباء، تحقيق د. ص. مرجليوث، ط ٢، ٩ ج (القاهرة: مطبعة هندية، ١٩٢٣ - ١٩٢٦)، ج ٤، ص ٢٦٨.

(١٠) أبو الفلاح عبد الحلي بن أحمد بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٢ ج (القاهرة: المكتبة التجارية للطباعة والنشر، [د.ت.]), ج ٢، ص ٥٧.

(١١) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماؤهم، ص ٩٠؛ اسماعيل بن محمد أمين البغدادي، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ٢ ج (استانبول: وكالة =

ومن المتفق عليه أن الجرمي توفي سنة ٢٢٥هـ<sup>(١)</sup>.

## ٢ - ابن الأعرابي

أبو عبد الله محمد بن زياد الكوفي المعروف بابن الأعرابي، كان أبوه سندياً مولياً للعباس بن محمد بن علي، وقد توفي أبوه وهو طفل صغير فنشأ في رعاية زوج أمه المفضل بن محمد الضبي صاحب المفضليات. فكان الضبي معلمه الأول، وعنه أخذ الأدب. كما أخذ عن الكسائي كتاب النوادر، ودرس على أبي معاوية الضرير والقاسم بن معن. فأصبح راوية لأشعار العرب، عالماً باللغة وأصولها ولا سيما الغريب منها، وبأنساب القبائل. وكان أحفظ الناس للغات القبائل وأيام العرب وأنسابهم، حتى قيل إن علم اللغة والحفظ انتهى إلى ابن الأعرابي، وقد خطأ كثيراً من نقلة اللغة، وقال في كلمة رويت عن الأصمعي: سمعت من ابن الأعرابي خلاف ما قاله الأصمعي، وزعم أن الأصمعي وأبا عبيدة لا يعرفان من اللغة لا قليلاً ولا كثيراً<sup>(٢)</sup>.

ويعتبر إبراهيم الحاربي وأبو العباس ثعلب وابن السكيت من أبرز من درس على ابن الأعرابي وأخذ عنه، وقد لزمه ثعلب مدة طويلة وروى عنه كثيراً، وقال عنه: لقد أمل على الناس ما يُحْمَل على أجمال ولم يُر في الشعر أغزر منه. وقال عنه كذلك: كان يحضر مجلسه زهاء مئة إنسان وكان يُسأل ويُقرأ عليه، فيجيب من غير كتاب. ولزمته بضع عشرة سنة ما رأيت بيده كتاباً قط<sup>(٣)</sup>. وقال عنه محمد بن الفضل الشعراني: لم يبن رأس في فن من الفنون أكبر من ابن الأعرابي، فإنه رأس في كلام العرب<sup>(٤)</sup>.

وكان الخليفة الواثق بالله يستدعيه إلى مجلسه في سامراء ليستأمن بآرائه ويحتكم إليه في ما ينشأ من خلاف في المسائل اللغوية والأدبية، ويصله ويكرمه، رغم أنه كان يناهض

---

= المعارف العامة، (١٩٥٤)، ج ١، ص ٤٢٢، والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٩، ص ٣١٤.

(١٢) ابن خلكان، وفیات الأعيان وأنباء الزمان، ج ٢، ص ١٧٨، أبو الحسن علي بن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١٣ (بيروت: دار صادر، ١٩٦٥ - ١٩٦٧)، ج ٦، ص ٥١٦، وابن تفرج بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٢، ص ٢٤٣.

(١٣) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٨٢، ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأديباء أو طبقات الأديباء، ج ٧، ص ٥، وابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٣٣.

(١٤) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ١٠٨ - ١٠٩، وابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٣٣.

(١٥) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٨٣، وياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٧، ص ٥ - ٦.

الدعوة إلى القول بخلق القرآن. ورُوي عنه أنه قال: ما رأيت قوماً أكذب على اللغة من قوم يزعمون أن القرآن مخلوق<sup>(١١١)</sup>.

وكان ابن الأعرابي مع سعة علمه كثير الدرس والتتبع. فقد بعث إليه أحد أصحابه غلامه يسأله المجيء إليه، فعاد الغلام وقال: قد سألته المجيء فقال لي عندي قوم من الأعراب فإذا قضيت أربي معهم أتيت. قال الغلام: ولكنني لم أر عنده أحداً، إلا أنني رأيت بين يديه كتباً ينظر فيها. ثم ما لبث ابن الأعرابي أن أقبل، فسأله صاحبه عن ما كان عنده من الأعراب، فأنشد:

لنا جُلُساء ما غُلَّ حديثهم	البُءاء مامونون غيباً ونَشْهَداً
يُفِيدوننا من علمهم علم ما مضى	وعقلاً وتاديباً ورأياً مُسْتَدَاً
فلا نمتنة نخشى ولا سوء عثرة	ولا نَنَقِي مِنهم لساناً ولا يَداً
فإن قلت أموات فما أنت كاذب	وإن قلت أحياء فلست مُفَنِّداً

وقد اشتغل ابن الأعرابي بالتعليم وكان إيراده كل شهر ألف درهم ينفقها على أهله وإخوانه. وله تصانيف عديدة ذكرها ياقوت الحموي، والكتب اللغوية منها: كتاب النوادر، وكتاب الأنواء، وكتاب صفة النخل، وكتاب الزرع، وكتاب الثبث والبطل، وكتاب نسب الحليل، وكتاب تفسير الأمثال، وكتاب النبات، وكتاب معاني الشعر، وكتاب صفة الدرع، وكتاب الألفاظ. وعدد ابن خلكان له الكتب نفسها<sup>(١١٢)</sup>.

توفي ابن الأعرابي في شعبان سنة ٢٣١ بسرّاً من رأى، على عهد الواثق بالله، وقد جاوز الحادية والثلاثين من عمره ببضعة أشهر، وصلى عليه القاضي أحمد بن أبي دؤاد<sup>(١١٣)</sup>.

### ٣ - أحمد بن حاتم الباهلي

أبو نصر، ويكنى أحياناً بأبي محمد، ولد بالبصرة وبها نشأ. صاحب الأصمعي عبد الملك بن قُريب الباهلي ودرس عليه وروى عنه كتبه في اللغة والأدب، ويقال إنه ابن أخته<sup>(١١٤)</sup>. وحكي عن الأصمعي أنه كان يقول: ليس يصدق عليّ أحد إلا أبو نصر<sup>(١١٥)</sup>. وكان

(١٦) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٧، ص ٨.

(١٧) المصدر نفسه، ج ٧، ص ٨ - ٩، وابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٣،

ص ٣٤٤.

(١٨) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ذخائر الحرب؛ ٣٠ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٠ - ١٩٦٨)، ج ٩، ص ١٤٥؛ ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسياء كتبهم، ص ١٠٩؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة المصنفين من القدماء والمحدثين وأسياء كتبهم، المصدر نفسه، ج ٧، ص ٩، وجاء فيه: يقال أنه توفي سنة ٢٣٠ وقيل سنة ٢٣٢.

(١٩) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٠٦.

(٢٠) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ١١٤.

أبو نصر سكن بغداد مدة ونسب إليها، ثم انتقل عنها إلى سمر من رأى.

يروى ياقوت الحموي ما يدل على سعة اطلاع أبي نصر على الشعر العربي وعمق معرفته به أن ثعلباً قال: دخلت على يعقوب بن السكيت، فقال لي: يا أبا العباس سر معي إلى أبي نصر صاحب الأصمعي، لأنني سألته عن بيت شعر فاجابني جواباً لم أرضه، فقلت له: لا تفعل، فإن عنده أجوبة عديدة وقد أجابك ببعضها. فلما دخلنا عليه وسأله عن البيت المذكور، أجابه بخشونة: عندي عشرون جواباً في هذا. فخجل ابن السكيت وخرجنا، فقلت له: لا مقام لك ها هنا اخرج إلى سمر من رأى واكتب إلي بما تحتاج إليه لأسأله عنه وأعرفك إياه<sup>(٢١)</sup>. كما يروي خبراً آخر يدل على أن أبا نصر كان راوية الأصمعي المعتمد، لأنه قرأ عليه الشعر الجاهلي والاسلامي، وكانت له مصنفاته كلها<sup>(٢٢)</sup>.

ولأبي نصر عديد من التصانيف اللغوية ذكر ابن النديم منها: كتاب الشجر والنبات، وكتاب اللبأ واللبن، وكتاب الإبل، وكتاب أبيات المعاني، وكتاب اشتقاق الأسماء، وكتاب الزرع والتخل، وكتاب الطير، وكتاب الخيل، وكتاب ما يلحن فيه العامة، وكتاب الجراد<sup>(٢٣)</sup>.

توفي أبو نصر في سنة ٢٣١ وله نيف وسبعون سنة<sup>(٢٤)</sup>.

#### ٤ - أبو عثمان المازني

هو بكر بن محمد بن عثمان بن حبيب المازني النحوي البصري<sup>(٢٥)</sup>، من بني مازن بن شيبان. ولد بالبصرة وبها نشأ وعاش. ودرس على الأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد الأنصاري، وتفرّق على أقرانه بحيث لم يكن يعد سبويه أعلم منه بالنحو، واعتبر إمام عصره في النحو والأدب. وأشهر من أخذ عنه أبو العباس المبرد، وله عنه روايات كثيرة. وقد ورد أبو عثمان ببغداد في أيام المعتصم بالله وروى عنه بعض علمائها<sup>(٢٦)</sup>. وكان أبو عثمان إمامياً متكلماً لا ينظره أحد إلا قطعه لقدرته في علم الكلام<sup>(٢٧)</sup>. وقال عنه القاضي بكّار بن قتيبة: ما رأيت

---

(٢١) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٠٦.

(٢٢) الخبر مفصّل في: المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٠٦ - ٤٠٧.

(٢٣) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنّفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٨٩.

(٢٤) المصدر نفسه، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٤، ص ١١٤، وياقوت

الحموي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٠٦.

(٢٥) جاء في: الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٧، ص ٩٣، أن اسمه بكر بن محمد بن بقية،

وقيل بكر بن محمد بن عدي.

(٢٦) المصدر نفسه، ج ٧، ص ٩٣.

(٢٧) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٨١.

نحوياً قط يشبه الفقهاء إلا حيان بن هرمة، والمازني، ويعني أبا عثمان الذي كان في غاية الورع<sup>(٣٨)</sup>.

روى المبرّد أن رجلاً من أهل الذمة قصد أبا عثمان المازني ليقراً عليه كتاب سيبويه وبذل له مئة دينار في تدريسه إياه، فامتنع عن ذلك، فقلت له: جعلت فداك أترد هذه المنفعة مع فاقتك وشدة إضاقتك؟ فقال: إن هذا الكتاب يشتمل على ثلاثمائة وكذا كذا آية من كتاب الله عز وجل، ولست أرى أن أمكّن منها ذمياً، غيرة على كتاب الله وحجته له<sup>(٣٩)</sup>. وعندما استدعاه الخليفة الواثق بالله إلى سرّ من رأى ليسأله في قضية نحوية عاد منها وقد وصله بألف دينار، قال للمبرّد: كيف رأيت يا أبا العباس، ردّنا الله مئة دينار، فعوّضنا ألفاً<sup>(٤٠)</sup>. وكان الواثق بالله قد أمر له بمئة دينار في كل شهر يجرّها عليه وإلى البصرة إلى أن مات الخليفة فقطعت عنه<sup>(٤١)</sup>.

قال أبو عثمان المازني، سألتني الواثق بالله كيف يُنسب رجل إلى سرّ من رأى؟ فقلت: سرّي، يا أمير المؤمنين، انسب إلى أول الحرفين، كما قالوا في النسبة إلى تأبط شراً، تأبطي<sup>(٤٢)</sup>.

وروي عنه أنه قال: قرأ عليّ رجل كتاب سيبويه في مدة طويلة، فلما بلغ آخره قال لي: أما أنت فجزاك الله خيراً، وأما أنا فما فهمت منه حرفاً<sup>(٤٣)</sup>. ولأبي عثمان رأي يفضل فيه الفقه ورواية الأخبار على بقية العلوم، فهو يقول: «أصحاب القرآن فيهم تخطيط وضعف، وأهل الحديث فيهم حشو ورقاعة، والشعراء فيهم هوج، وأصحاب النحو فيهم ثقل، وفي رواية الأخبار الظرف كله، والعلم هو الفقه»<sup>(٤٤)</sup>.

ولأبي عثمان المازني عدد من المصنفات في الأدب واللغة والشعر، ذكر ابن النديم منها: كتاب ما يلحن فيه العامة، وكتاب الألف واللام، وكتاب التصريف، وكتاب العروض،

---

(٢٨) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ١، ص ٢٨٤، والحطّيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٧، ص ٩٤، وفيه حيان بن الحلال.

(٢٩) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٥٥، وياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٨٢.

(٣٠) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٥٦.

(٣١) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٨٤، وأبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني، الأغاني (القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، [د.ت.ج.])، ج ٩، ص ٢٣٦.

(٣٢) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، معجم البلدان، ٥ ج (بيروت: دار صادر، ١٩٧٥)، ج ٣، ص ٢١٥.

(٣٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ١، ص ٢٥٦.

(٣٤) ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأديباء أو طبقات الأديباء، ج ٢، ص ٣٨٨، وجمال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، ج ٢ (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٦٤-١٩٦٥)، ج ١، ص ٤٦٥.

وكتاب القوافي، وكتاب الديباج على خلل من كتاب أبي عبيدة<sup>(٣٥)</sup>. ويضيف ياقوت الحموي، كتاب علل النحو، وكتاب تفاسير كتاب سيبويه، ويذكر كتاب الديباج كالأبي: الديباج في جوامع كتاب سيبويه<sup>(٣٦)</sup>.

توفي المازني في البصرة في سنة ٢٤٧ على ما يذكر ابن الأثير وأبو المحاسن، أما ياقوت الحموي وابن خلكان والخطيب البغدادي فيرون أنه توفي سنة ٢٤٨ أو سنة ٢٤٩<sup>(٣٧)</sup>.

## ٥ - ابن السكيت

أبو يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت، ولقب بالسكيت لأنه كان كثير السكوت طويل الصمت<sup>(٣٨)</sup>. وكان يعقوب يؤدب مع أبيه الصبيان في درب القنطرة بمدينة السلام، فتأق إلى العلم فدرس اللغة والنحو. وشجعه أبوه على الدرس لأنه كان هو من تلاميذ الكسائي، حسن المعرفة بالعربية، وعندما حج سأل المولى تعالى أن يعلم ابنه النحو<sup>(٣٩)</sup>. فدرس يعقوب على أبي عبيدة والفراء وابن الأعرابي ومن في طبقتهم من رجال اللغة والنحو، حتى غدا راوية ثقة، عالماً بالقرآن، ونحو الكوفيين، ومن أعلم الناس باللغة والشعر، بحيث لم يكن بعد ابن الأعرابي أحد مثله<sup>(٤٠)</sup>. قال عنه ثعلب إنه حسن المعرفة بالعربية، وقد أجمع أصحابنا أنه لم يكن بعد ابن الأعرابي أعلم باللغة من ابن السكيت<sup>(٤١)</sup>.

بقي يعقوب يعلم الفتيان من أهل القنطرة بأجر زهيد حتى اتخذه محمد بن عبد الله وإلى بغداد مؤدياً لولده وجعل له رزقاً قدره خمسمئة درهم في الشهر، ثم زاده إلى ألف درهم<sup>(٤٢)</sup>. ثم خرج يعقوب إلى سامراء، واتصل بعميد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل على الله، فصره إلى الخليفة الذي أعجب بعلمه وأدبه فضم إليه ولده ليؤدبهم، وأسى له

(٣٥) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماؤهم، ص ٩١.

(٣٦) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٨٨.

(٣٧) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٨١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ١١٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٢، ص ٣٢٦، إلا أنه يعود فيذكره في وفيات سنة ٢٤٨، ص ٣٢٩؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٧، ص ٢٤، وابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ١، ص ٢٥٦.

(٣٨) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٤٤٤.

(٣٩) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٤٤١؛ والخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ١٤، ص ٢٧٣.

(٤٠) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٤٣٨؛ ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمجمع الأدياب أو طبقات الأدياب، ج ٧، ص ٣٠١؛ والسيوطي، بقية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج ٢، ص ٣٤٩.

(٤١) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٤٤١.

(٤٢) المصدر نفسه، وأبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدياب أي النحاة، تحقيق عطية عامر (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٣)، ص ١١٠.

الرزق، ودعاه إلى منادته<sup>(١٣)</sup>. إلا أن المتوكل على الله ما لبث أن غضب عليه فأمر بقتله. وقد اختلف في سبب غضبه عليه، وهناك قولان في ذلك ذكرهما ابن الأنباري وابن خلكان<sup>(١٤)</sup>.

كما اختلف في سنة وفاته، وهي بين سنتي ٢٤٣ و ٢٤٦<sup>(١٥)</sup>. ولابن السكيت مصنفات عديدة، ذكر ابن النديم منها نيلاً وعشرين كتاباً، وكان أكثرها شهرة كتاب إصلاح المنطق الذي قال عنه المبرد: ما رأيت للبعثيين كتاباً خيراً من كتاب يعقوب بن السكيت في المنطق<sup>(١٦)</sup>. وأغلب الكتب التي ذكرها ابن النديم في اللغة والأدب، منها: كتاب الألفاظ، وكتاب الأمثال، وكتاب القلب والإبدال، وكتاب المقصور والممدود، وكتاب المذكر والمؤنث، وكتاب الأضداد، وكتاب النبات والشجر، وكتاب الإبل، وكتاب معاني الشعر، وكتاب سرقات الشعراء<sup>(١٧)</sup>.

## ٦ - ابن حبيب

أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو، ويقال إن حبيباً اسم أمه إذ لم يُعرف أبوه فُسب إليها، وهو وأمه من موالي بني العباس، وكان من علماء بغداد بالأنساب والأخبار واللغة والشعر، وكتبه صحيحة وروايته موثقة، وقد أخذ عن ابن الأعرابي وقطرب وأبي عبيدة وغيرهم، وكان مؤدباً يُعلم الصبيان في مكتب له<sup>(١٨)</sup>. وهناك من يقول بأن حبيباً اسم أبيه، وهو ولد مُلَاعنة<sup>(١٩)</sup>.

اشتهر ابن حبيب بكتابه المحبر وهو من أمهات كتب اللغة والأخبار، وإليه ينسب مؤلفه أحياناً فيقال له المحبري<sup>(٢٠)</sup>. وقد ذكر له ابن النديم ما ينيف على ثلاثين كتاباً من تواليه، ومن كتبه في اللغة والأدب: كتاب الموشى، وكتاب النبات، وكتاب الأنواء، وكتاب الخيل، وكتاب أخبار الشعراء وطبقاتهم، وكتاب المؤلف والمختلف، وكتاب الشعراء

(٤٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٤، ص ٢٧٠؛ ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدياء أو طبقات الأدياء، ج ٧، ص ٣٠١، وابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٤٤٣.

(٤٤) ابن الأنباري، المصدر نفسه، ص ١١١، وابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٤٤٣. (٤٥) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ١١٤؛ الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ١٤، ص ٢٧٤، وابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٤٤٣. (٤٦) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ١٤، ص ٢٧٤، وابن الأنباري، المصدر نفسه، ص ١١٠. (٤٧) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ١١٤.

(٤٨) المصدر نفسه، ص ١٦١؛ الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٧٨، وياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدياء أو طبقات الأدياء، ج ٦، ص ٤٧٣ - ٤٧٤.

(٤٩) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٧٧. (٥٠) خير الدين الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط ٢، ج ١٠، ٥ (القاهرة: مطبعة كونستان توماس، ١٩٥٤ - ١٩٥٥)، ج ٦، ص ٣٠٧.

وأنسابهم<sup>(٥١)</sup>. ويضيف ياقوت الحموي عدداً آخر من الكتب صنفها محمد بن حبيب وهي في أشعار العرب، منها: ديوان زفر بن الحارث، وكتاب شعر الأقيشر، وكتاب شعر ليبد العامري<sup>(٥٢)</sup>.

نُقل عن ثعلب قوله: «حضرت مجلس ابن حبيب فلم يُملِّ فقلت ويحك أمل ما لك! فلم يفعل حتى قمت، وكان والله حافظاً صدوقاً، وكان يعقوب أعلم منه، وكان هو أحفظ للأنساب والأخبار منه، وهو بغدادى<sup>(٥٣)</sup>».

ولعل تسمية حبيب بأمه جعلته يهتم بأمثاله ممن نسب إلى أمه من الشعراء، فوضع بذلك كتاباً سماه كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء تضمن تسعة وثلاثين شاعراً وأكثرهم ممن لم يعرف اسم أبيه، وبعضهم نسب إلى أمه رغم أن أباه معروف. ووضع كتاباً آخر بعنوان القباب الشعراء ومن يُعرف منهم بأمه. وقد حقق الكتاتين الأستاذ عبد السلام هارون ونشر الأول ضمن المجموعة الأولى من كتاب نواذر المخطوطات ١ - ٤ الذي طبع في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة في سنة ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م. ونشر الثاني ضمن المجموعة الخامسة من الكتاب المذكور وقد طبع في المطبعة نفسها، سنة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م. مات محمد بن حبيب بسامراء في ذي الحجة سنة ٢٤٥ في أيام المتوكل على الله<sup>(٥٤)</sup>.

## ٧ - ابن قتيبة

أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، اختلفت المصادر في مسقط رأسه، وهو ولد بالكوفة أو ببغداد<sup>(٥٥)</sup>. ومهما كان الأمر، فإنه نشأ ببغداد وبها سكن وعلى رجالها تلقى علومه، فكان واسع المعرفة متعدد المواهب. وقد لقب بالدينوري لأنه ولي القضاء بمدينة الدينور بإقليم الجبل فنسب إليها<sup>(٥٦)</sup>.

يعتبر ابن قتيبة من أئمة اللغة والأدب والأخبار. درس على شيوخ عصره في الحديث واللغة والأدب أمثال العالم اللغوي الراوية إبراهيم بن سفيان الزياتي، وأبي حاتم السجستاني

(٥١) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ١٦١.

(٥٢) ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمجمع الأدباء أو طبقات الأدباء،

ج ٦، ص ٤٧٦.

(٥٣) المصدر نفسه، ج ٦، ص ٤٧٥.

(٥٤) المصدر نفسه، ج ٦، ص ٤٧٣، والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٢،

ص ٢٧٨.

(٥٥) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ١٢١؛

ابن خلكان، وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٢، ص ٢٤٦، وابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء أي النحاة، ص ١٢٨.

(٥٦) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ١٢١؛ ابن الأنباري، المصدر نفسه، ص ١٢٨، وابن خلكان،

المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٤٦.



الإمام في علوم القرآن واللغة والشعر<sup>(٥٧)</sup>. وقد عرف ابن قتيبة بصدق روايته وسعة معرفته بالفقه وغريب القرآن ومعانيه، وبالله والنحو والأدب، وبكثرة التصنيفات فيها<sup>(٥٨)</sup>. وقد شارك في أول أمره في الخلاف النحوي بين مدرستي الكوفة والبصرة، ويقول ابن النديم عنه إنه كان يغلو في مذهب البصريين، إلا أنه خلط المذهبين وحكى في كتبه عن الكوفيين<sup>(٥٩)</sup>. والواقع أنه استطاع أن يؤسس مدرسة ثالثة في النحو تزعمها في بغداد وأخذت تستقطب دارسي النحو من أهل البصرة والكوفة.

اتصل ابن قتيبة بالوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان فولاه القضاء في الدينور، وقيل إنه صنف له أدب الكاتب<sup>(٦٠)</sup>. وقد نالت مصنفات ابن قتيبة شهرة لوضوحها وتنظيمها، وقد اتفق كثير من العلماء على فائدتها وعظيم قدرها، وعد ابن خلدون كتاب أدب الكاتب من دواوين الأدب الأربعة<sup>(٦١)</sup>. كما كان ابن قتيبة أوفر حظاً من بين المصنفين القدامى، إذ طبع أغلب ما وصل إلينا من مصنفاته مثل كتاب المعارف، وأدب الكاتب، والشعر والشعراء، وعيون الأخبار، ومشكل القرآن، وغريب القرآن. وقد عدّه له ابن النديم قرابة خمسين كتاباً في التاريخ واللغة والأدب وعلوم القرآن. ومن كتبه في اللغة والأدب: كتاب عيون الشعر، وكتاب معاني الشعر، وكتاب الشعر والشعراء، وكتاب جامع النحو، وكتاب إعراب القرآن، وكتاب السباع والوحوش، وكتاب عيون الأخبار، وكتاب الخيل<sup>(٦٢)</sup>.

توفي ابن قتيبة فجأة، وقد اختلف في سنة وفاته بين ذي القعدة سنة ٢٧٠ ورجب سنة ٢٧٦<sup>(٦٣)</sup>.

## ٨ - الزيايدي

أبو اسحاق إبراهيم بن سفيان بن سليمان، من أحفاد زياد بن أبيه وإليه نسبته، كان

(٥٧) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، عيون الأخبار، ٤ ج (القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦٣)، ج ١، ص ١٦.

(٥٨) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ١٢١؛ ابن الأنباري، المصدر نفسه، ص ١٢٨، والسيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج ٢، ص ٦٣.

(٥٩) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ١٢١؛ ابن الأنباري، المصدر نفسه، ص ١٢٨، والسيوطي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٣.

(٦٠) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٢، ص ٢٤٧.

(٦١) أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المعبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: مقدمة ابن خلدون، ٧ ج (مصر: المطبعة الخيرية، ١٩٠٤)، ص ٣١٧.

(٦٢) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسأ كتبه، ص ١٢١ - ١٢٢.

(٦٣) المصدر نفسه، ص ١٢١؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٢، ص ٢٤٦، وابن تربي بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٣، ص ٧٥.

علماً بارعاً بالنحو وقد درس كتاب سيبويه على مؤلفه نفسه، وأخذ عن الأصمعي وأبي عبيدة وروى عنها<sup>(١١٠)</sup>. وقد وضع كتاباً في شرح نكت كتاب سيبويه وخالفه فيه في بعض المواضع، وله كتب أخرى في اللغة والأدب، منها: كتاب الأمثال، وكتاب أسماء السحاب والرياح والأمطار، وكتاب النقط والشكل<sup>(١١١)</sup>. ومن أبرز تلاميذه ابن قتيبة عبد الله بن مسلم.

توفي الزياتي في سنة ٢٤٩هـ<sup>(١١٢)</sup>.

## ٩ - المبرد

أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي المعروف بالمبرد. وقد لقب بهذا اللقب، كما روي عنه، أن صاحب الشرطة طلبه للمنادمة فكره الذهاب إليه. ودخل إلى أبي حاتم السجستاني، فجاء رسول صاحب الشرطة يطلبه، فأستخاه أبو حاتم في غلاف مزئلة فارغة وغطى رأسه، وخرج إلى الرسول وقال: ليس هو عندي، فقال: أخبرت أنه دخل إليك، فقال: ادخل الدار وفتشها. فدخل فطاف كل موضع فيها ولم يفتن لغلاف المزئلة، فخرج. فجعل أبو حاتم ينادي عليه: المبرد، المبرد، وتسامع الناس بذلك فلهجوا به<sup>(١١٣)</sup>. وقيل إن الذي لقبه بهذا اللقب شيخه أبو عثمان المازني، لأنه لما صنف كتابه الألف واللام سأل أبا العباس عن دقيقه وعويصه فأجاب بأحسن جواب، فقال له: قم فأنت المبرد «بكسر الراء المشددة أي المثبت للحق، فحرّفه الكوفيون وفتحوا الراء»<sup>(١١٤)</sup>.

ولد المبرد بالبصرة وبها نشأ ودرس النحو على أبي عمر الجرمي وأبي عثمان المازني وقد قرأ عليها كتاب سيبويه<sup>(١١٥)</sup>. وأخذ الأدب والشعر عن الرياشي أبي الفضل عباس بن الفرج وأبي حاتم السجستاني<sup>(١١٦)</sup>. وكان المبرد فصيحاً بليغاً حسن المحاضرة اخبارياً، ثقة في ما

(٦٤) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٩٢، وياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدياء أو طبقات الأدياء، ج ١، ص ٦٣.

(٦٥) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٩٢، وياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٦٤.

(٦٦) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٦٣، وابن الأنباري، نزعة الألباء في طبقات الأدياء أي النحاة، ص ٢٠٩.

(٦٧) ابن خلكان، وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٣، ص ٤٤٥ - ٤٤٦؛ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (حيدر اباد الدكن: دائرة المعارف العشانية، ١٩٣٨ - ١٩٣٩)، ج ٦، ص ٩، والقفطي، إنباء الرواة على أنباء النحاة، ج ٣، ص ٢٤٦.

(٦٨) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٧، ص ١٣٧، والسيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ص ٢٦٩.

(٦٩) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٩٤؛ السيرافي، أخبار النحويين البصريين ومرتبتهم وأخذ بعضهم عن بعض صنعة أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي، ص ٧٦، وياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٧، ص ١٣٧.

(٧٠) السيرافي، المصدر نفسه، ص ٧٧، وابن خلكان، وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٣، ص ٤٤١.

يرويهِ، صاحب نوادر وظرافة ولباقة<sup>(٧١)</sup>. وقد وُهب حافظَة قويّة، قال عنه تلميذه نفطويه: ما رأيت أحفظ للأخبار بغير أسانيد منه، وقيل عنه: ما رأيي أحسن جواباً من المرد في معاني القرآن في ما ليس فيه قول متقدم، حتى إنه كان يتهم بالوضع لكثرة حفظه اللغة وغريبها<sup>(٧٢)</sup>. وكان علمه بنحو البصريين لا يجاريه أحد فيه، فصار إمام العربية بعد طبقة الجُزْمي والمازني، فقصده الدارسون من كل صوب، فدرس عليه من النحاة والأدباء أبو بكر الصولي وإبراهيم بن عرفة الملقب بنفطويه وإبراهيم بن السري الزجّاج<sup>(٧٣)</sup>. وقد اعتبر ابن خلدون كتابه الكامل من دواوين الأدب<sup>(٧٤)</sup>.

وقد عاصره النحوي الكوفي أحمد بن يحيى ثعلب، وكانا متعارضين متنافسين. ويظهر أن المرد كان يمتاز على ثعلب بفصاحة بَيانهِ وقوة حجّته وأخذهُ بأساليب المتكلمين. فإذا اجتمعوا في مجلس حُكم للمرد، ولهذا كان ثعلب يتحاشى الاجتماع به في مجلس مناظرة. وكان أكثر أهل العلم يفضلون المرد على ثعلب<sup>(٧٥)</sup>.

وللمرد عدد كبير من المصنفات ذكر منها ابن النديم نيفاً وأربعين كتاباً في علوم القرآن واللغة والنحو والأدب، وقد سبق ذكر مصنفاته في علوم القرآن. ومن كتبه في اللغة والأدب: كتاب الكامل، وكتاب العروض، وكتاب قواعد الشعر، وكتاب شرح كلام العرب، وكتاب المذكر والمؤنث، وكتاب المقصور والمدود، وكتاب الاشتقاق، وكتاب البلاغة، وكتاب طبقات النحويين البصريين وأخبارهم، وكتاب المدخل في النحو، وكتاب شرح شواهد سيبويه، وكتاب المدخل إلى سيبويه<sup>(٧٦)</sup>. ويضيف ياقوت الحموي كتاباً أخرى في اللغة والأدب منها: كتاب المقتضب في النحو، وهو أكبر مصنفاته وأنفسها إلا أنه لم ينتفع به أحد، وكتاب الحظ والمهجع، وكتاب الرد على سيبويه، وكتاب التصريف، وكتاب القوافي، وكتاب البلاغة، وكتاب الرسالة الكاملة<sup>(٧٧)</sup>. وقد توفي المرد في أواخر ذي القعدة، وقيل ذي الحجة

(٧١) القفطي، إنباء الرواة على أنباء النحاة، ج ٣، ص ٤٤٢، والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٣، ص ٣٨٠.

(٧٢) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٨٠، والسيرافي، المصدر نفسه، ص ٧٧.

(٧٣) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٨٠؛ ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمجمع الأدياء أو طبقات الأدياء، ج ٧، ص ١٣٧، وابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدياء أي النحاة، ص ١٣٢.

(٧٤) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ٣١٧.

(٧٥) السيرافي، أخبار النحويين البصريين ومراتبهم وأخذ بعضهم عن بعض صنعة أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي، ص ٧٧؛ ابن خلكان، وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٣، ص ٤٤١ - ٤٤٢، والسيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج ١، ص ٣٠١.

(٧٦) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسأه كتبهم، ص ٩٤.

(٧٧) ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمجمع الأدياء أو طبقات الأدياء،

ج ٧، ص ١٤٣ - ١٤٤.

سنة ٢٨٥ ببغداد، ودفن في مقابر باب الكوفة بالجانب الغربي، في دار اشترت له<sup>(٧٨)</sup>.

## ١٠ - أبو محمّد

محمد بن هشام بن عوف التميمي، أو محمّد السعدي، ويقال إنه محمد بن سعد، وإنه كان يُعرف بمحمد وأحمد<sup>(٧٩)</sup>. كان إماماً في اللغة والشعر وأيام الناس وأخبارهم، رحل مراراً إلى مكة والكوفة والبصرة، وقصد البادية وأقام بها مدة طلباً للعربية، وروى عنه جماعة من كبار العلماء كالزبير بن بكار والمبرد وثعلب<sup>(٨٠)</sup>. وكان الخليفة الواثق بالله يستدعيه إلى سامراء ليسأله بعض القضايا اللغوية والنحوية، ويميزه، كما كان يحضر مجلس المنتصر بالله<sup>(٨١)</sup>.

تميّز أبو محمّد بقوة الحافظة، فقد كان لا يستعمل في روايته دفتر أو كتاباً، وعندما كان يتلقى العلم على ابن عُيينة لم يكن يكتب عنه شيئاً، بل يحفظه مباشرة<sup>(٨٢)</sup>.

توفي أبو محمّد سنة ٢٤٥ وقيل سنة ٢٤٨<sup>(٨٣)</sup>. وله من الكتب: كتاب الأنواء، وكتاب خلق الإنسان، وكتاب الحيل<sup>(٨٤)</sup>.

## ١١ - الرياشي

أبو الفضل العباس بن الفرج اللغوي النحوي البصري. ونسبته إلى رياش وهو رجل من جذام كان أبو العباس من مواليه. وأبو الفضل من كبار علماء اللغة والشعر، وكان من الأدب وعلم النحو بمحل عالٍ، يحفظ كتب الأصمعي ويروي عنه وعن أبي عبيدة معمر بن المثنى، وكان ثقة في روايته. قرأ على أبي عثمان المازني كتاب سيبويه، فكان المازني يقول: قرأ عليّ الرياشي الكتاب وهو أعلم به مني، وأخذ عنه أبو العباس المبرد وإبراهيم الحري.

---

(٧٨) المصدر نفسه، ج ٧، ص ١٤٢؛ ابن خلكان، وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٣، ص ٢٤٢، والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٣، ص ٣٨٧، وجاء فيه أنه توفى في شوال.

(٧٩) ابن التديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنّفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٧٥، والسيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج ١، ص ٢٥٧.

(٨٠) السيوطي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٥٧.  
(٨١) المصدر نفسه، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٢ (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٥٩)، ص ٣٤٣.

(٨٢) السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج ١، ص ٢٥٨.  
(٨٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٥٨، والزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من

العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ٧، ص ٣٠٦.  
(٨٤) ابن التديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنّفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٧٥.

توفي بالبصرة في شوال سنة ٢٥٧ قتلًا على يد الزنج عندما دخلوا البصرة. وله من الكتب: كتاب الخيل، وكتاب الإبل، وكتاب ما اختلفت أسماؤه من كلام العرب<sup>(٨٥)</sup>.

## ١٢ - السجستاني

أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان الجشعي البصري، نشأ بالبصرة وسكنها فكان ينسب إليها أحياناً، وهو من كبار علمائها في اللغة والشعر. درس على أبي زيد الأنصاري والأصمعي وأبي عبيدة. وكان كثير الرواية عنهم، وقرأ كتاب سيبويه على الأخفش أبي الحسن بن سعيد بن مسعدة، حسن المعرفة بالعروض، حاذقاً في إخراج المعنى من المعاني، ومن مشاهير من درس عليه المبرد وابن دريد<sup>(٨٦)</sup>. توفي السجستاني بالبصرة، وقد اختلف في سنة وفاته بين سني ٢٤٨ و ٢٥٥. إلا أن ابن النديم وياقوت الحموي يقولان إنه توفي سنة ٢٥٥ على ما حققه ابن دريد<sup>(٨٧)</sup>.

ولأبي حاتم عديد من المصنفات عدّد له ابن النديم ثلاثين كتاباً في اللغة والعلوم القرآنية. ومن كتبه اللغوية: كتاب ما يلحن به العامة، وكتاب المذكر والمؤنث، وكتاب الشجر والنبات، وكتاب المقصور والمدود، وكتاب الفصاحة، وكتاب الأضداد، وكتاب الوحوش، وكتاب الزرع، وكتاب خلق الإنسان، وكتاب الإبل<sup>(٨٨)</sup> وغيرها. وقد ذكر ابن خلكان الكتب نفسها تقريباً.

## ١٣ - المفضل بن سلمة

أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم، عالم بالأدب واللغة والنحو كوفي المذهب، وكان أبوه سلمة من أصحاب الفراء يحمي بن زياد وراويته. وقد أخذ المفضل عن أبيه وعن ابن الأعرابي وأبي العباس ثعلب وابن السكيت<sup>(٨٩)</sup>. وله تصانيف عديدة مشهورة في فنون الأدب واللغة ومعاني القرآن. وقد استدرج على الخليل بن أحمد في كتاب العين وصنف في

---

(٨٥) حول الرياشي، انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ١٢، ص ١٣٨ - ١٤١؛ ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٩٢؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٢، ص ٢٣٣ - ٢٣٤، والسويطي، بنية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج ٢، ص ٢٧.  
(٨٦) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٩٢ - ٩٣؛ ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأديباء أو طبقات الأديباء، ج ٤، ص ٢٨٥، وابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٥٠ - ١٥١.

(٨٧) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٩٣؛ ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٥٨، وابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٥٠ - ١٥١.

(٨٨) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٩٣، وابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٥١ - ١٥٢.  
(٨٩) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ١١٥؛ ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٧، ص ١٧٠، وابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٤٣ - ٣٤٤.

ذلك كتاباً هو كتاب الرد على الخليل وإصلاح ما في كتاب العين من الغلط والمحال والتصحيح<sup>(٩٠)</sup> ومن كتبه الأخرى في اللغة والنحو: كتاب الاشتقاق، وكتاب البارع في اللغة لم يكمله، وكتاب المقصور والممدود، وكتاب المدخل إلى علم النحو، وكتاب خلق الإنسان، وكتاب الزرع والنبات والنخل وأنواع الشجر<sup>(٩١)</sup>.

ويظهر أنه كان مختصاً بوزير المعتضد بالله اسماعيل بن بلبل. وقد هجاه ابن الرومي ببضعة أبيات.

توفي المفضل في سنة ٢٩٠هـ<sup>(٩٢)</sup>.

#### ١٤ - ثعلب

أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني الملقب بثعلب، إمام الكوفيين في اللغة والنحو في زمانه، وكان أهل الكوفة يفتخرون به ويعتبرونه ثالث ثلاثة آلت إليهم إمامة مدرسة الكوفة في النحو، وهم: الكسائي والفرّاء وثعلب<sup>(٩٣)</sup>. ولد ببغداد وبها كانت نشأته ودراسته. وقد عني أول أمره بدراسة النحو أكثر من العلوم الأخرى، فلما أتقنه أكب على الشعر والمعاني واللغة. وقد لازم أبا عبد الله بن الأعرابي، وسمع من محمد بن سلام الجمحي والزيبر بن بكار ومن في طبقتهم<sup>(٩٤)</sup>. ويقول ثعلب «حدثت العربية وحفظت كتب الفرّاء كلها حتى لم يشذ حرف منها عني، ولي خمس وعشرون سنة. وكنت أعني بالنحو أكثر من عنايتي بغيره، فلما أتقنته أكبت على الشعر والمعاني والغريب. ولزمت أبا عبد الله بن الأعرابي بضع عشرة سنة<sup>(٩٥)</sup>». ومن أشهر من درس عليه أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش، وأبو بكر الأنباري، وإبراهيم الحري<sup>(٩٦)</sup>.

وعرف عن ثعلب صفاء الذهن وسرعة الحفظ، فقد حفظ ما تضيق به الصدور، فصار حجة في اللغة ورواية الشعر القديم، ومعرفة النحو على مذهب الكوفيين متبحراً فيه. فإذا قعد للتدريس لا يمس كتاباً انكالا على حفظه. وكان شيخه ابن الأعرابي إذا شك في موضوع

---

(٩٠) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ١١٦.

(٩١) المصدر نفسه، ص ١١٥ - ١١٦؛ ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٧، ص ١٧٠، وابن

خلكان، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٤٤.

(٩٢) ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء أي النحاة، ص ٣٣٢، والزركلي، الأعلام: قاموس

تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ٨، ص ٢٠٣.

(٩٣) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٥٢.

(٩٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٥، ص ٢٠٤، والسيوطي، بغية الوعاة في

طبقات اللغويين والنحاة، ج ١، ص ٣٩٦.

(٩٥) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٠٥؛ ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء

المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ١١٦، وياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٣٥.

(٩٦) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٠٤، وابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات

الأدباء أي النحاة، ص ١٠٤.

قال له: ما عندك يا أبا العباس في هذا؟ ثقة بغزارة حفظه<sup>(٩٧)</sup>. قال عنه معاصره ومنافسه المبرد: أعلم الكوفيين ثعلب، فذكر الفراء، فقال لا يعشره<sup>(٩٨)</sup>، أي لا يعدّ واحداً من عشرة منه. وقد وُصف بأنه فاروق النحويين، أصدقهم لساناً وأصحبهم علماً وأتقنهم حفظاً<sup>(٩٩)</sup>.

وكان ثعلب يؤدّب ولد أمير بغداد محمد بن عبد الله، وقد خصص له جناحاً في بيته وأجرى عليه في كل شهر ألف درهم<sup>(١٠٠)</sup>. وذكره الوزير اسماعيل بن بلبل للأمير الموفق الذي أعجب بعلمه وصدارته في النحو فشمله برعايته وخصص له رزقاً سنياً، كان له وقع حسن في نفوس أهل العلم والأدب<sup>(١٠١)</sup>.

ذكر ابن النديم من مصنفات ثعلب نيفاً وعشرين كتاباً، خمسة منها في علوم القرآن وقد سبقت الإشارة إليها في فصل سابق، والقسم الآخر بعضها في النحو منها: كتاب المصون في النحو، وكتاب اختلاف النحويين، وكتاب الموقفي في مختصر النحو، وقد ساه باسم الأمير الموفق، وكتاب حدّ النحو، وكتاب الفصيح الذي يعتبر أشهر مصنفاته. وبعضها في اللغة، ومنها: كتاب ما ينصرف وما لا ينصرف، وكتاب التصغير، وكتاب الشواذ، وكتاب الأمثال، وكتاب استخراج الألفاظ من الأخبار. وقال ابن النديم: ولأبي العباس مجالس أملاها على أصحابه في مجالسه تحتوي على غرر من النحو واللغة والشعر والأخبار ومعاني القرآن، وقد رواها جماعة من أصحابه<sup>(١٠٢)</sup>.

أصيب ثعلب بالصمم وقد زاد عليه قُيْل وفاته، حتى كان المخاطب له يكتب ما يريد في الرقاع، وقد توفي ببغداد في أواخر جمادى الأولى سنة ٢٩١ ودفن في مقبرة باب الشام، وكان سبب وفاته أن دابة لم يسمع صوت حوافرها صدمته في الطريق فسقط على رأسه، فحمل إلى منزله فمات<sup>(١٠٣)</sup>.

---

(٩٧) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٠٥، وياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٣٤ و١٤٠.

(٩٨) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢١٠، والفنطلي، إنباء الرواة على أنباء النحاة، ج ١، ص ١٤٢.

(٩٩) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٠٩.

(١٠٠) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ٣٤٢.

(١٠١) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢١٠، والفنطلي، إنباء الرواة على أنباء النحاة، ج ١، ص ١٤٢.

(١٠٢) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماؤهم، ص ١١٧.

(١٠٣) المصدر نفسه، ص ١١٧؛ أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد عبيد الدين عبد الحميد، ط ٥ ([م.د. : د.ن.، ١٩٦٧])، ج ٢، ص ٤٩٦ و٤٩٨؛ الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٢، وابن خلكان، وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ١، ص ٨٦.

## ١٥ - الزجّاج

أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل النحوي، كان يخرط الزجّاج فمال إلى دراسة النحو فلزم المدرّ وكان يعلم بالأجرة فاتفق معه على أن يعلمه فيعطيه أجراً على ذلك كل يوم درهماً أبداً، فتمكّن من علم النحو<sup>(١٠٠)</sup>. وصار من كبار العلماء بالعربية وبخاصة علمي النحو والعروض<sup>(١٠١)</sup>. وعمل مؤدباً لأبناء بعض الوزراء والأعيان، وقد اختص بالوزير عبيد الله بن سليمان وأدب ولده القاسم الذي أثابه كثيراً عندما استوزر بعد أبيه<sup>(١٠٢)</sup>. وقّعه إلى الخليفة المعتضد بالله ففسر له كتاب جامع المنطق الذي عمله محمد بن يحيى بن أبي عباد الملقب بمحيرة وكان من ندماء الخليفة. فاستحسن الخليفة عمل الزجّاج فجعل له رزقاً في الندماء، ورزقاً في الفقهاء، ورزقاً في العلماء وأمر له بثلاثمئة دينار، وصارت له منزلة كبيرة لديه<sup>(١٠٣)</sup>.

وبلغ من سعة علم الزجّاج في اللغة والنحو أنه ناقش النحوي الكبير أبا العباس ثعلباً في أخطاء وردت في كتابه الفصيح مستشهداً بأشعار العرب وأقوالهم، بحيث لم يقرأ على ثعلب كتابه المذكور بعد ذلك<sup>(١٠٤)</sup>. ومن آراء الزجّاج التي انفرد بها في الاشتقاق قوله «إن كل لفظتين اتفقتا ببعض الحروف وإن نقص أحدهما عن حروف الأخرى فإن أحدهما مشتقة من الأخرى، فيقول الزّجل مشتق من الزّجل، والثور إنما يسمى ثوراً لأنه يثير الأرض، والثوب إنما سمي ثوباً لأنه ثاب لباساً بعد أن كان غزلاً» وقد انتقد الزجّاج على رأيه هذا<sup>(١٠٥)</sup>.

وللزجّاج مصنفات كثيرة، ومن مصنفاته في اللغة والأدب: كتاب معاني القرآن - وقد استغرق تصنيفه ستة عشر عاماً - وكتاب الاشتقاق، وكتاب القوافي، وكتاب العروض، وكتاب خلق الإنسان، وكتاب خلق الفرس، وكتاب مختصر النحو، وكتاب ما ينصرف وما لا ينصرف، وكتاب شرح أبيات سيبويه<sup>(١٠٦)</sup>.

توفي الزّجّاج ببغداد في سنة ٣١٠ لإحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة، وقيل سنة ٣١٦، وقد أناف على ثمانين سنة<sup>(١٠٧)</sup>.

(١٠٤) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٩٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٤٧، وابن خلكان، المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٧، وجاء اسمه فيه: إبراهيم بن محمد بن السري...

(١٠٥) ابن الأثيري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء أي النحاة، ص ٢٤٤.

(١٠٦) ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء أو طبقات الأدباء، ج ١، ص ٤٨ - ٥٠.

(١٠٧) المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٧ - ٥٨.

(١٠٨) المصدر نفسه، ج ١، ص ٥١ - ٥٤.

(١٠٩) المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٥ - ٥٧.

(١١٠) المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٩؛ ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنّفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٩٧، وابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ١، ص ٣٢.

(١١١) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٩٦ - ٩٧؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٦، ص ٩٣، وابن خلكان، المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٣.



## ١٦ - ابن السراج

أبو بكر محمد بن السري بن سهل البغدادي النحوي، أحدث أصحاب أبي العباس المبرّد سنّاً مع ذكاء وفطنة، وقد قرأ عليه كتاب سيبويه، وأخذ عنه الأدب، وكان المبرّد يميل إليه ويقرّبه ويشرح له ويأنس به<sup>(١١٦)</sup>. وكان فيه ميل إلى الموسيقى والمنطق مما صرفه عن النحو حيناً، ثم استأنف دراسته والاهتمام به فبرع فيه، وصار أحد الأئمة المشهورين به، وإليه انتهت الرئاسة بعد موت الزّجاج<sup>(١١٧)</sup>. وقد درس عليه أبو القاسم الزجاجي، وأبو سعيد السيرافي، وعلي بن عيسى الرّماني<sup>(١١٨)</sup>.

ولابن السّراج مصنفات عديدة في اللغة والنحو منها: كتاب الأصول، وهو أحسن مؤلفاته وأكبرها وأشهرها وإليه المرجع عند اضطراب النقل واختلافه، جمع فيه أصول علم العربية، وأخذ مسائل سيبويه ورتبها أحسن ترتيب، وكتاب جمل الأصول وهو الأصول الصغير، وكتاب الاشتقاق، وكتاب الشعر والشعراء، وكتاب شرح كتاب سيبويه، وكتاب الهجاء<sup>(١١٩)</sup>.

توفي ابن السّراج لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ٣١٦هـ<sup>(١٢٠)</sup>.

## ١٧ - ابن دريد

أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية الأزدي البصري، إمام عصره في اللغة والأدب والشعر، ولد بالبصرة سنة ٢٢٣ وبها نشأ وتلقّى علومه وقد درس على أبي حاتم السجستاني وأبي الفضل الرياشي والزيادي، وكان شاعراً مبدعاً واسع الحفظ بارعاً باللغة والأنساب وأشعار العرب، وإليه انتهت لغة البصريين، وقد وُصف بأنه أعلم الشعراء وأشعر العلماء<sup>(١٢١)</sup>. وقد اشتهر بقصيدته المقصورة وقد أحاط بها بأكثر المقصور، ومطلعها:

يا ظبيّة أشبه شيءاً بالها  
أما نرّي رأيي حاكى لونه  
نرعى الخزامى بين أشجار النّقا  
طُرّة صبح تحت أذيال الدّجى

- 
- (١١٢) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٩٨؛ ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٧، ص ٩، وابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٦٢.  
(١١٣) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٩٨؛ ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٧، ص ١٠.  
(١١٤) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٧، ص ١٠.  
(١١٥) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٩٩؛ ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٧، ص ١١، وابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٣، ص ٤٦٢.  
(١١٦) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٧، ص ١١؛ ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٦٣، وابن الأنباري، نزعة الألباء في طبقات الأدباء أي النحاة، ج ٢٥٠.  
(١١٧) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٢، ص ١٩٥ - ١٩٦؛ ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٤٨؛ ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٤٨٥.

وهناك قول إن البيت الثاني هو المطلع الأصلي للقصيدة، ثم أضاف البيت الأول تنمة للمعنى.

كان ابن دريد في البصرة عندما هاجمها الزنج، فانتقل إلى عُمان فسكنها مدة، ثم انتقل إلى بغداد وأقام بها حتى وفاته في أواخر شعبان سنة ٣٢١، وقد أصيب في أواخر عمره بالفالج، وهو المرض الذي مات به<sup>(١١٨)</sup>. وكان في بغداد موضع تقدير أهل العلم والأدب لسعة علمه في اللغة والأدب، وقد خصّص له الخليفة المقتدر بالله راتباً شهرياً قدره خمسون ديناراً لم تزل جارية عليه إلى حين وفاة ابن دريد<sup>(١١٩)</sup>.

قال عنه المسعودي وقد عاصره بعض الوقت: «وكان من برع في زمننا هذا في الشعر، وانتهى في اللغة، وقام مقام الخليل بن أحمد فيها، وأورد أشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين، وكان يذهب في الشعر كل مذهب، فطوراً يميز، وطوراً يرق، وشعره أكثر من أن نحصىه أو يأتي عليه كتابنا هنا، فمن جيد شعره قصيدته المقصورة... ويقال إنه أحاط فيها بأكثر المقصورة»<sup>(١٢٠)</sup>.

ورغم ما وصل إليه ابن دريد من صيت علمي وشهرة في الشعر، فإنه لم يخل من الانتقاد والظعن عليه. قال أبو منصور الأزهري في مقدمة كتاب التهذيب: «ومن ألف في عصرنا الكتب فوسم بافتعال العربية وتوليد الألفاظ التي ليس لها أصول، وادخال ما ليس من كلام العرب في كلامهم (أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي) صاحب كتاب الجهرة، وكتاب اشتقاق الأسماء، وكتاب الملاحن. وحضرته في داره ببغداد غير مرة، فرأيت يروي عن أبي حاتم، والريثاني، وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، فسألت إبراهيم بن محمد بن عرفة الملقب بنظويه عنه فاستخف به، ولم يرقه في روايته...»<sup>(١٢١)</sup>.

ولابن دريد من التصنيفات كتاب الجهرة وهو من الكتب المتعبرة في اللغة، وقد بنى تأليفه على الحروف المعجمة فبدأ بالثنائي ثم الثلاثي فالرباعي وملحقه وكذا الخماسي والسداسي، وجمع النوادر في باب مفرد. وقد سمّاه الجهرة لأنه اختار له الجمهور من كلام العرب<sup>(١٢٢)</sup>. وكان ابن دريد قد أملاه في فارس ثم بالبصرة وببغداد من لفظه، ولذلك اختلقت النسخ، وتعتبر النسخة البغدادية هي المعول عليها<sup>(١٢٣)</sup>.

وله من الكتب الأخرى كتاب الأمالي، وكتاب المجتنى، وكتاب المقصور والممدود،

---

(١١٨) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٩٧؛ ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، وابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٥٢.  
(١١٩) ابن خلكان، المصدر نفسه، ص ٤٥٠.

(١٢٠) المسعودي، مروج الذهب ومبادئ الجوهر، ج ٤، ص ٣٢٠.  
(١٢١) أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، حققه وقدم له عبد السلام محمد هارون؛ راجعه محمد علي التجار، ١٥ ج (القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، [د.ت.])، ج ١، ص ٣١.

(١٢٢) مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، عني بتصححه محمد شريف يالتقيا ورفعت الكليبي، ٢ ج (استانبول: مطبعة الحكومة، ١٩٤١-١٩٤٣)، ج ١، ص ٦٠٥.

(١٢٣) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٤٨٦.

وكتاب أدب الكاتب - وقد وضعه على مثال كتاب ابن قتيبة، وكتاب الاشتقاق، وكتاب المقتبس، وكتاب الوشاح، وكتاب الخيل الكبير، وكتاب الخيل الصغير، وكتاب اللغات، وكتاب الأنواء، وكتاب فعلت وأفعلت، وكتاب تقويم اللسان<sup>(١١١)</sup>.

## ثانياً: الأدب

### ١ - النثر وأبرز الكتاب

كان من نتائج الاستقرار السياسي الذي تمتعت به الدولة العربية منذ منتصف القرن الثاني، واتصال العرب بالأمم الأخرى وإطلاعهم على ثقافتها ومعالم حضارتها، وترجمة كتب الأقدمين منها، أن ظهرت بوادر نهضة حضارية شملت مختلف نواحي الحياة فيها. وقد تمثلت معالم هذه النهضة بالنشاط العلمي الواسع في شتى نواحي المعرفة، وما صاحب ذلك من اهتمام زائد بنقل تراث الأقدمين وإحياء التراث العربي، وبالازدهار الاقتصادي في الزراعة والصناعة والتجارة. وقد انعكست آثار هذه النهضة على الأدب العربي بشكل واضح، فأصابه تطور كبير ليساير الحياة الجديدة وأساليبها.

والأدب كما يعرفه ابن خلدون هو الإجابة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحي بلاغتهم، وهو يشتمل على الشعر والنثر ومسائل من اللغة والنحو مبنوثة في أثناء ذلك. وأصول هذا الفن على رأي «أربعة دواوين هي: أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي الفارسي البغدادي»<sup>(١١٢)</sup>. والثلاثة الأولون من أعلام القرن الثالث. وسنحاول أن نتلمس هذا التأثير والتجدد في النثر أولاً، ثم ندرس تأثيره في الشعر.

لقد أخذت تظهر في النثر العربي تعابير وأفصاف علمية وآراء فلسفية واصطلاحات كلامية لم تكن مألوفة من قبل. وأصبح الكتاب أكثر ميلاً إلى الإسهاب والاستطراد والترادف. كما أخذ السجع يسترد مكانته التي كان عليها قبل الإسلام. إذ أخذ الأدباء يُعنون به ولكن دون التزام، فقد استخدموه لتجميل بعض الجمل بتعابير موسيقية موزونة. ويظهر أن استخدامه في كتب الدواوين ورسائل الخلفاء كان أوضح وأوسع نطاقاً. هذا من ناحية المعنى واللفظ، أما من ناحية المواضيع التي عالجها الأدباء وكتبوا فيها فقد تعددت وكثرت. وكان من أبرزها الكتابة عن أخلاق الناس والعلاقات التي تربطهم بعضهم ببعض. كما أن روح الحفة والتهمك التي ظهرت في حياة المجتمع آنذاك من جهة، ونزعة الجد والصرامة التي

---

(١٢٤) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسبأ كتبهم، ص ٩٧ - ٩٨؛ ابن الأثيري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء أبي النخعة، ص ٣٥٧، والسيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج ١، ص ٧٨.

(١٢٥) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ٣١٧.

كانت من سمات المجتمع أيضاً من جهة أخرى، قد أثرت كلها في أسلوب الأدباء من الكتاب.

وقد وصل إلينا من الكتب المصنفة في صناعة الكتابة في القرن الثالث كتاب نقد النثر أو كتاب البيان وهو من تصنيف الكاتب البغدادى قدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣٣٧ كما أثبت ذلك الأستاذ عبد الحميد العبادي<sup>(١٢٧)</sup> ويتضمن أبواباً علة عن الشعر وعن النثر. وباب المنشور وما جاء فيه أطول أبواب الكتاب، ولذلك غلب عليه اسم نقد النثر. وقد حدد قدامة في كتابه هذا أنواع النثر وأحوال استخدام كل نوع منها، وقد أسهب في موضوعي الخطابة والترسل وبين حالات كل منها ومواضع استعمالها. وأبرز ما أكد عليه في موضوع الترسل أن الكاتب أو المترسل ينبغي أن يكون «عارفاً بمواقع القول وأوقاته واحتمال المخاطبين له، فلا يستعمل الإيجاز في موضع الإطالة فيقصر عن بلوغ الإرادة، وألا يستعمل الإطالة في موضع الإيجاز فيتجاوز مقدار الحاجة إلى الإضجار والملالة، وألا يستعمل الفاظ الخاصة في غطابة العامة، وكلام الملوك مع السوقة، بل يعطي كل قوم من القول بمقدارهم ويوزنهم بميزانهم، فقد قيل «لكل مقام مقال»<sup>(١٢٨)</sup>. وهو يرى «أن الإيجاز ينبغي أن يستعمل في غطابة الخاصة وذوي الألفام الثاقبة الذين يجترئون بيسر القول عن كثيره، وبجملته عن تفسيره، وفي المواعظ والسنن والوصايا التي يراد حفظها ونقلها... وفي الجوامع التي تعرض على الرؤساء فيقفون على معانيها ولا يشغلون بالإكثار فيها. وأما الإطالة فهي غطابة العوام ومن ليس من ذوي الألفام ومن لا يكتفي من القول بيسره، ولا يتفتق ذهنه إلا بتكريره وإيضاح تفسيره»<sup>(١٢٩)</sup>.

وانتقد قدامة ما نعتت به البلاغة من الأوصاف، ورأى أنها تقصر عن الإحاطة بها. وحدها عنده «أما القول المحيط بالمعنى المقصود مع اختيار الكلام وحسن النظام، وفصاحة اللسان»<sup>(١٣٠)</sup>. والبلاغة على هذا الأساس «هي أن يتساوى فيها اللفظ والمعنى، فلا يكون اللفظ أسبق إلى القلب من المعنى، ولا المعنى أسبق إلى القلب من اللفظ»<sup>(١٣١)</sup>. «ومن أوصاف البلاغة أيضاً السجع في موضعه وعند ساحة القرينة به، وأن يكون في بعض الكلام لا في جميعه، فإن السجع في الكلام كمثل الغافية في الشعر»<sup>(١٣٢)</sup>.

لقد حدد قدامة بما ذكرناه أنفاً مميزات الكتابة الجيدة، وهي عدم الإسهام الممل، والإيجاز غير المخل، وأن يكون الكلام مناسباً للمقام، وأن يتساوى اللفظ والمعنى، واستخدام السجع في موضعه. وإن مما يحسن الكتابة حسن الخط لأنه يزيد في بهائها ويقربها من قلب القارئ. وكانت هذه الحدود هي أوضح ما يميز النثر في القرن الثالث.

وتعتبر مصنفات أبي عمرو وعشائ بن بحر الجاحظ خير ما يمثل النثر في القرن المذكور.

---

(١٢٦) أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد النثر، تحقيق طه حسين وعبد الحميد العبادي، ط ٤ (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٠)، ص ٤٢ - ٤٦.

(١٢٧) المصدر نفسه، ص ٩٦.

(١٢٨) المصدر نفسه، ص ٩٧.

(١٢٩) المصدر نفسه، ص ٧٦.

(١٣٠) المصدر نفسه، ص ١٠٥.

(١٣١) المصدر نفسه، ص ١٠٧.

لأن آراء الجاحظ ومعلوماته تمثل ثقافة القرن وأدبه، رغم أنه تفرّد بأسلوب خاص به سنوضحه عند الكلام عليه وعلى بعض مصنفاته. كما تعتبر رسائل رؤساء الدواوين من مشاهير الكتاب وكتاباتهم نماذج لأسلوب النثر آنذاك. إذ اشتهر عدد من الكتاب من رؤساء الدواوين بمقدرتهم اللغوية وبلاغة أسلوبهم، بحيث إن بعضهم وصل إلى منصب الوزارة. وسنعرض فيما يأتي صفحات من حياة الجاحظ وآثاره الأدبية ونماذج لأسلوبه، كما نعرض شيئاً من سير الكتاب الذين اشتهروا آنذاك ونماذج لكتابة بعضهم.

## أ - الجاحظ

يُعتبر الجاحظ كبير أدباء عصره بسبب ما تفرّد به من أسلوب خاص في كتابته، وبعمق ثقافته الواسعة، وعلاقاته الاجتماعية. وقد عاش بين منتصفَي القرنين الثاني والثالث، وعُمر طويلاً، فكان تأثيره محيطه وتأثيره في مسيرة الأدب عميقاً واسع المدى. ولد الجاحظ بالبصرة وبها نشأ وترعرع، وقال عن نفسه إنه ولد في سنة ١٥٠<sup>(١٣٣)</sup>. وكانت البصرة آنذاك من أهم مراكز اللغة والنحو وعلم الكلام، لها الصدارة في هذه العلوم، فأفاد الجاحظ من علمائها. ثم انتقل إلى بغداد واتصل بشيوخ اللغة والنحو والفلسفة والتاريخ فيها، وتردد على سامراء، بحكم مركزها وعلاقته بعدد من رجال الدولة فيها. كما كان كثير التردد على مسقط رأسه البصرة.

شُغف الجاحظ منذ نشأته بالقراءة، وقد اعتبر أحد ثلاثة عُرفوا بملازمة الكتاب وطلب المعرفة. فلم يقع بيده كتاب إلا استوفى قراءته واستوعب ما فيه، حتى انه اعتاد أن يكتري دكاكين الوراقين ويبعث فيها ليطالع الكتب<sup>(١٣٤)</sup>، الأمر الذي ساعده، بما وهب من سرعة خاطر وقوة حافظة، على أن يلمّ بالثقافات المختلفة ويحصل على ذخيرة وفيرة من معارف عصره، وأخبار الأقدمين، في الأدب واللغة والتاريخ وعلم الكلام والإلهيات والطبيعات.

عاصر الجاحظ عهد سطوة الأتراك على خلفاء سامراء، وأيام هيمنة أهل الاعتزال وأيام زوال سلطانهم، واختلط بمختلف طبقات المجتمع من رجال الدولة والعلماء والأدباء وعمامة الناس. فألم بطبائعهم وسلوكهم وتعرّف إلى أساليب معيشتهم، وأطلع على عديد من الأوضاع الاجتماعية، فوعى كل ذلك وأحسن تسجيله ووصفه. وقد ساعده ما حفظه ووعاه من مطالعته ومشاهداته على أن يكتب في مواضيع عديدة مختلفة، ومتباينة أحياناً، وأن يصنّف عدداً كبيراً من الكتب والرسائل.

وقد تميّز الجاحظ بأسلوب خاص انتهجه في الكتابة، اتسم بالإطناب والاستطراد والترادف، وكثرة الاستشهاد بما يلائم الموضوع من نثر وشعر ومن الأمثال، مما أنجز معه إلى

---

(١٣٢) ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمجمع الأدباء أو طبقات الأدباء،

ج ٦، ص ٥٦.

(١٣٣) المصدر نفسه.

الاهتمام بالألفاظ أكثر مما يقصده من المعاني. وقد أشرنا بشيء من الإطناب إلى ذلك في موضوع الشعر. وكان الجاحظ بطبعه خفيف الروح فيه ميل إلى الهزل والفكاهة، وقد انعكس تأثير ذلك على أسلوبه في الكتابة، فلا تخلو كتاباته، مهما كانت مواضيعها، من الجدل والهزل والسخرية والتهمك أحياناً. مما جعله منفرداً بهذا الأسلوب الذي عُرف به. وبهذا تنسّق للجاحظ أن يقيم أدباً عربياً إسلامياً، إذ خرج على أسلوب علماء اللغة الجفاف والمواضيع التي يبالغونها لما رآه من بُعدها عن ميول المثقفين. وطرق من المواضيع ما هو أقرب إلى حياة الناس وأذواقهم، بأسلوب مبسّط ولغة سهلة سلسة. وثبّه الناس إلى وفرة الجوانب الإنسانية في التراث العربي وأهميته بما كان يعرضه منه وما يختاره من الشعر المناسب، فخلق بذلك مدرسة أدبية قوامها بساطة الأسلوب ورقة الألفاظ ووضوح المعنى، مع شيء من الفكاهة والسخرية. وكان أسلوبه هذا مستحدثاً. ويمكن اعتبار الجاحظ مبتكراً لأسلوبه لأنه لم يجر فيه على مثال سابق له. فقد كان يتعمّد البساطة في ألفاظه ليفهمه أكبر عدد ممكن من القراء. كما يتعمّد الاستطراد، بل والثرثرة أحياناً، ليبعد السامة والملل عن قارئه.

وكتب الجاحظ في مواضيع تبدو متنافرة ولكنها مستعذبة، فكتب عن أفاضل الناس وأسماهم منزلة في المجتمع، كما كتب عن الطبقات الدنيا والأشقياء منهم. وأسلوبه في الحالتين سلس مستساغ وعذب لا يُمل. لقد افتتح الجاحظ فناً جديداً في أسلوب الكتابة نال إعجاب الكثيرين من معاصريه ومن الذين جاءوا بعد عصره، فكان مدرسة في النثر جديدة، وكان جديراً بلقب «أبو النثر العربي» في عصره. قال عنه المؤرخ الكبير المسعودي «وكتب الجاحظ - مع انحرافه المشهور - تجلّو صدأ الأذهان، وتكشف واضح الريهان، لأنه نظمها أحسن نظم، ورفصها أحسن رصف، وكساهما من كلامه أجزل لفظ. وكان إذا تحوّف ملل القارئ، وسامة السامع، خرج من جدّ إلى هزل، ومن حكمة بليغة إلى نادرة ظريفة، وله كتب حسان... وسائر كتبه في نهاية الكمال، مما لم يقصد منها إلى نصب ولا إلى دفع حق، ولا يعلم من سلف وخلف من الممتزلة أفصح منه»<sup>(١٣١)</sup>. وقال ياقوت الحموي إن أبا حيان التوحيدي، وهو فيلسوف الأدباء وإمام البلغاء، كان جاحظياً يسلك في تصانيفه مسلك الجاحظ، ويشتهي أن ينتظم في سلكه، وإنه ألف كتاباً في تقرير الجاحظ<sup>(١٣٢)</sup>. وقال القاضي ابن خلكان «إن كتب الجاحظ تعلّم العقل أولاً والأدب ثانياً»<sup>(١٣٣)</sup>.

اتصل الجاحظ برجال الدولة في سامراء فكسب صداقتهم ورعايتهم. فقد لازم الوزير محمد بن عبد الملك الزيات، وهو أديب شاعر، والفتح بن خاقان الذي كان كمشل الجاحظ في حبه الكتاب والمطالعة، وإبراهيم بن العباس الكاتب الشاعر، ثم قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد كبير المتكلمين وزعيم الاعتزال، وأفاد من اهداء بعض مصنفاته إليهم. فقد سئل ما إذا كانت له ضيعة بالبصرة، فقال: أهديت كتاب الحيوان إلى محمد بن الملك فأعطاني خمسة آلاف دينار، وأهديت كتاب البيان والتبيين إلى أحمد بن أبي دؤاد فأعطاني خمسة آلاف دينار،

(١٣٤) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٤، ص ١٩٥ - ١٩٦.

(١٣٥) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٣٨٠ - ٣٨١.

(١٣٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٣، ص ١٤٢.

وأهديت كتاب الزرع والنخل إلى إبراهيم بن العباس الصولي فأعطاني خمسة آلاف دينار، فانصرفت إلى البصرة ومعني ضيعة لا تحتاج إلى تجديد ولا تسميد<sup>(١٣٧)</sup>. كما كان قد أهدى رسالته في مناقب الترك إلى الفتح بن خاقان.

وكان الجاحظ عن ضربوا بسهم كبير في وفرة إنتاجه الفكري. فقد صنف في شتى المواضيع عدداً كبيراً من الكتب ذكر ابن النديم تسعين كتاباً منها. وذكر له ياقوت قرابة مئة وخمسة وعشرين كتاباً نقل بعضها عن ابن النديم. ومن كتبه التي طبعت كتاب البيان والتبيين، وهو في أربعة أجزاء، وكتاب الحيوان، وهو في سبعة أجزاء، وكتاب الخلاء، كما طبع له عدد من الرسائل، وأوسع مجموعة منها أصدرها المحقق عبد السلام محمد هارون في جزءين. وطبعت له مجموعة أخرى تشتمل على ثلاث رسائل بتحقيق يوشع فنكل، ورسالة التصر بالتجارة نشرها حسن حسني عبد الوهاب. ونشر له كتابان آخران هما كتاب المحاسن والأضداد، وكتاب التاج، حقق الأول فوزي عطوي، وحقق الثاني أحمد زكي باشا، وهناك بعض الشك في صحة نسبة هذين الكتابين إلى الجاحظ. وذكر له صاحب معجم المطبوعات العربية كتباً ورسائل أخرى قد طبعت أيضاً، منها كتاب الحنين إلى الأوطان، ويقول إنه أهداه إلى الوزير ابن الزيات، وكتاب سلوة الحريف بمناظرة الربيع والحريف<sup>(١٣٨)</sup>.

أصيب الجاحظ في أواخر حياته بالفالج، وقال المبرد: دخلت على الجاحظ في آخر أيامه وهو عليل، فقلت له: كيف أنت؟ فقال: كيف يكون من نصفه مفلوج ولو نشر بالناشير ما حس بها، ونصفه الآخر منقرس لو طار الذباب بقربه لآله، والآفة في جميع ذلك أني جاوزت التسعين<sup>(١٣٩)</sup>. وتكاد تجمع المصادر على أن الجاحظ توفي بالبصرة في المحرم سنة ٢٥٥ في عهد المعتز بالله، إلا أن المسعودي يقول: وقيل سنة ٢٥٦، وذكر وفاته في عهد المهدي بالله<sup>(١٤٠)</sup>.

وهذه نماذج من كتابات الجاحظ في مواضيع مختلفة:

قال من كتاب له إلى ابن الزيات: «لا والله، ما عالج الناس داء قط أدوى من الغيظ، ولا رأيت شيئاً هو أنفذ من شقاة الأعداء، ولا أعلم باباً أجمع لحصول الكروه من الدل، ولكن المظلوم ما دام يجد من يرجوه، والمبتلى ما دام يجد من يرثي له، فهو على سبب ذلك وإن تطاولت به الأيام. فكم من كربة فادحة،

---

(١٣٧) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٧٥-٧٦.

(١٣٨) يوسف إيان سركيس، معجم المطبوعات العربية والمعربة: وهو شامل لأسماء الكتب المطبوعة في الأنظار الشرقية والغربية مع ذكر أسماء مؤلفيها ولغة من ترجمتهم وذلك من يوم ظهور الطباعة إلى نهاية السنة المجرية ١٣٣٩ الموافقة لسنة ١٩١٩ الميلادية (القاهرة: مطبعة سركيس، ١٩٢٨)، ص ٦٦٦-٦٦٩.

(١٣٩) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ١٢، ص ٢١٩، وابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء أي النحلة، ص ١٢٠.

(١٤٠) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ١٢، ص ٢٢٠؛ ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء أو طبقات الأئمة، ج ٦، ص ٥٦؛ عبد الدين اسماعيل بن علي أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج ٤، ص ٢ (القاهرة: المطبعة الحسينية، ١٨٦٩)، ج ٢، ص ٤٧، والمسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٢، ص ٤٣٩.

وضيقة مُصَمَّمةٌ قد فتحت أفتالها وفككت أغلالها، ومهما قصُرتُ فيه فلم أقصرُ في المعرفة بفضلك، وفي حسن النية بيني وبينك، لا مُشَّتْ الموى، ولا مقسم الأمل، على تقصير قد احتملته، وتقريط قد اغتفرتَه، ولعل ذلك أن يكون من ديون الإدلال وجرائم الاغفال. ومهما كان من ذلك فلن أجمع بين الإساءة والإنكار وإن كنت كما نصف من التصغير وكما تعرف من التقريط فإني من شاكري أهل هذا الزمان وحسن الحال متوسط المذهب. وأنا أحمده الله على أن كانت مرتبتك من المتعمين فوق مرتبتي في الشاكرين. وقد كانت علي بك نعمة أذاتني طعم المرِّ وعودتي روح الكفاية...»<sup>(١١١)</sup>.

وقال في تعريف البيان: «والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوره كائنًا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع. ثم اعلم - حفظك الله - أن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ، لأن المعاني مبسوطة إلى غير غاية، وممتدة إلى غير نهاية، وأسبغ المعاني مقصورة معدودة، وعصيلة معدودة. وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم المقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى يُضْمِيَّة. والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصر عن تلك الدلالات. ولكل واحد من هذه الخمسة صيغة بابتنة من صورة صاحبها، وحلية غالبة حليلة أختها، وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة ثم عن حقائقها في التفسير وعن أجناسها وأقدارها، وعن خاصها وعامها، وعن طبقاتها في السَّار والفسَّار، وعما يكون منها لغواً بهرجاً، وساقطاً مطرُحاً»<sup>(١١٢)</sup>.

وقال في خاتمة رسالته في ذم أخلاق الكتَّاب: «قد أثبتنا على بعض ما أردنا فيها له قصيدنا، ولم نستعمل الانتزاعات فيها ذكرنا، وأعرضنا عن التأويلات فيها وصفنا، وقصدنا إلى الماثور فحكيته، وإلى المذكور في الأزمنة فأجريناه، لئلا يجد الطاعن فيها وصفنا مقالاً، والنكير لزم ما دُعينا مسافراً. وعلمنا أن من عانده مع ذلك فقد دفع عيباً، وأنكر كائناً مذكوراً، وفي ذلك دليل باهر على اضمحلاله وشاهد عدل لأصداده. ولو حكينا كل ما في هذا الجنس من الأقوال وما يدخله من المقاييس والأشكال، لسطل الكتاب ولله الناظر للمعجب. فاكثفينا بالخبر من الكتاب، والبعض دون التمام. وعلمنا أن الناظر فيه إن كان فطناً أقمعه القليل ففضى به، وإن كان بليداً جهولاً لم يزد الإكثار إلا عيباً، ومن العلم بما له قصدنا إلا بعداً. وبالله الكفاية والتوفيق»<sup>(١١٣)</sup>.

ووصف أسد بن جاني وهو أحد البخلاء الذين كتب عنهم: «فأما أسد بن جاني، فكان يجعل سريره في الشتاء من قصب مُعْشَر، لأن البراغيث تزلق عن ليط القصب لفرط لينة وملاسته. وكان إذا دخل الصيف وحرَّ عليه بيته، أثاره حتى يفرق المسحاة، ثم يصب عليه جراراً كثيرة من ماء البئر ويتسوطه حتى يستوي، فلا يزال ذلك البيت بارداً ما دام ندياً. فإذا امتد به الندى ودام برده بدوامه، اكتفى بذلك التبريد صيفته، وإن جفَّ قبل انقضاء الصيف وعاد عليه الحر، عاد عليه بالإنارة والصب. وكان يقول: خيشتي

(١٤١) باقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٥٧ - ٥٨.

(١٤٢) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ج ٤ (القاهرة: مكتبة الخانجي؛ بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٦٨)، ج ١، ص ٧٥ - ٧٦.

(١٤٣) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ثلاث رسائل، سعى في نشره يروشح فنكل، ط ٢ (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٩٦٢)، ص ٥١.



ارض، وماء خيشتي من بثري، وبيتي أبرد، ومؤنتي أخف. وأنا أفضلهم بفضل الحكمة وجودة الآلة»<sup>(١١٦)</sup>.

### ب - ابراهيم بن العباس الصولي

أبو اسحاق ابراهيم بن العباس بن محمد بن صول تكين، كان جدّه محمد بن صول من رجال الدعوة العباسية وقد قتله عبد الله بن علي لما خرج مع آخرين على الدعوة. وأدعى بعض أبناء هذه العائلة انهم عرب وأن العباس بن الأحنف خالهم<sup>(١١٧)</sup>. ولا يستبعد ذلك لأن كثيراً من أبناء القبائل العربية الذين شاركوا في الفتوحات في صدر الاسلام استقروا في المدن المفتوحة واستوطنوها، ولذلك فإن عدداً غير قليل من العلماء والأدباء والفقهاء والأطباء والفلاسفة ممن يحملون أسماء أو ألقاباً أعجمية أو يتنسبون إلى مدن أعجمية هم من أحفاد أولئك العرب.

نشأ ابراهيم ببغداد وتلقّى العلم على شيوخ عصره وتثقف ثقافة عربية اسلامية، ومال إلى اللغة والأدب فعدا كاتباً حاذقاً بحيث اعتبر من أفصح كتّاب عصره وأبلغهم. تميّز أسلوبه بقلّة ألفاظه وموسيقيتها، وسعة معانيه. وقد تنقل في عدد من أعمال الدواوين في سامراء. فكان يكتب في أول أمره لأحمد بن أبي خالد وزير المأمون، ثم كتب للمعتصم بالله ولابنه الواثق بالله الذي جعله على ولاية الأحواز. ثم ولي ديوان زمام النفقات في عهد المتوكل على الله<sup>(١١٨)</sup>.

لم يكن ابراهيم في كتابه مقلداً، وهو يقول: «ما اتكلت في مكانتي قط إلا على ما يجلبه خاطري ويحيي به صدري»<sup>(١١٩)</sup> ومن بديع نثره ما كتبه إلى الواثق بالله يعزيه بأبيه ويهتبه بالخلافة بقوله «إن أحق الناس بالشكر من جاء به عن الله، وأولاهم بالصبر من كان سلفه رسول الله، وأمير المؤمنين أعزّه الله، وأباؤه - نصرهم الله - أولو الكتاب الناطق عن الله بالشكر، وعترته رسوله المخصوصون بالصبر. وفي كتاب الله أعظم الشفاء وفي رسوله أحسن العزاء. وقد كان من وفاة أمير المؤمنين المعتصم بالله، ومن مشيئة الله في ولاية أمير المؤمنين الواثق بالله ما عفا على أوله وأخبره وتلافت بدأته عاقبته، فحقن الله في الأولى الصبر ورفضه في الأخرى الشكر. فإن رأى أمير المؤمنين أن يستنجز ثواب الله بصبره، ويستدعي زيادته بشكره، فعل إن شاء الله تعالى وحده»<sup>(١٢٠)</sup>.

وهو الذي تولى كتابة المنشور الخاص بمعاملة أهل الذمة الذي وجهه المتوكل على الله إلى مختلف ولايات الدولة العربية. وقد جاء في صدره ما يلي «أما بعد فإن الله تبارك وتعالى بعزته

---

(١٤٤) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البخلاء، تحقيق وتعليق طه الحاجري (القاهرة: دار الكاتب المصري، ١٩٤٨)، ص ٩٠.  
(١٤٥) الأصمهاني، الأغاني، ج ١٠، ص ٤٣، وياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأديباء أو طبقات الأديباء، ج ١، ص ٢٦١.  
(١٤٦) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ١٦٢.  
(١٤٧) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ١، ص ٢٦.  
(١٤٨) ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأديباء أو طبقات الأديباء، ج ١، ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

التي لا تحاول وقدرته على ما يريد، اصطفى الإسلام فرضيه لنفسه، وأكرم به ملائكته، وبعث به رسله، وأيد به أوليائه، وكشف بالبر، وحاطه بالنصر، وحرسه من العاهة، وأظهره على الأديان، مبراً من الشبهات، معصوماً من الآفات، عتياً بمناقب الخير، خصوصاً من الشرائع بأطهرها وأفضلها، ومن الفرائض بأزكاها وأشرفها، ومن الأحكام بأعدها وأقنعها، ومن الأعمال بأحسنها وأقصدها، وأكرم أهله بما أحل لهم من حلاله وحرم عليهم من حرامه، وبين لهم من شرائعه وأحكامه، وحد لهم من حدوده ومناهجه، وأعد لهم من سعة جزائه وثوابه، فقال في كتابه فيها أمر به ونهى عنه، وفيما حض عليه فيه ووعظ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾...» (١١٩).

وكتب عن الخليفة المتوكل على الله إلى أهل حمص عندما ثاروا في سنة ٢٤٠ كتاباً قال فيه: «أما بعد فإن أمير المؤمنين يرى من حق الله عليه مما قوم به من أود، وعدل به من زيغ، ولم به من منتشر، استعجال ثلاث يقدم بعضهم أمام بعض، أولاهن ما يتقدم به من تنبيه وتوقيف، ثم ما يستظهر به من تخدير وتفرق، ثم التي لا يقع حسم الداء بغيرها:

أَنَاءُ فَإِنْ لَمْ تُنْصَبْ عُقْبَ بَعْدَهَا وَبَعِيداً فَإِنْ لَمْ يُنْصَبْ عُقْبَ غَزَائِلِهَا  
فلما قرأه على الخليفة أعجب به وبحسن ديباجته ونظم الفاظه، وأمر إلى وزيره عبيد الله بن يحيى، أما تسمع؟ قال: يا أمير المؤمنين إن إبراهيم فضيلة خباها الله لك، واحتسبها على أيامك» (١٢٠).

وله من الكتب كتاب وسائل كتاب الدولة كبير.

## ج - كتاب آخرون

وقد برز آنذاك عدد من كبار الكتاب الذين ترأسوا دواوين الدولة. ويلاحظ أن بعض الأسر انصرف أبناؤها إلى صناعة الكتابة فمهرؤا فيها، مثل آل وهب، وآل المدبر، وآل ثوابة، وآل الجراح. وقد برز من هذه الأسر عدد من كبار الكتاب، منهم:

### الحسن بن وهب

أبو علي الحسن بن وهب بن سعيد الكاتب العالم، تقلد أعمالاً ديوانية مهمة وكان يكتب لمحمد بن عبد الملك الزيات، وولي ديوان الرسائل. كان شاعراً وكاتباً مترسلاً بليغاً، وله كتاب ديوان رسائله. توفي في أواخر أيام المتوكل على الله وهو يتقلد بريد الشام. وذكر قدامة بعض المقاطع مما كتبه منها فأسأل الله أن يبلغني أملي فيك، فلنبا وعدة على قصرها طويلاً» (١٢١).

### سليمان بن وهب

هو أخو الحسن بن وهب، يقال إنه كتب للمأمون وهو ابن أربع عشرة سنة، ثم كتب لبعض كبار القواد الأتراك مثل أيتاخ وأشناس. وقد تولى الوزارة في عهد الخليفة المهدي

(١٤٩) انظر المنشور كاملاً، في: الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ١٧٢ - ١٧٤، والقرآن الكريم، سورة النحل، الآية ٩٠.  
(١٥٠) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٧١ - ٢٧٢.  
(١٥١) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٢١؛ ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ١٣٦، وقدامة بن جعفر، نقد النثر، ص ١٠١.

بالله، والمعتمد على الله من بعده. كان غزير العلم والأدب وله شعر مليح، بارعاً في صناعة الخط. توفي سنة ٢٧٢. ومن كتاباته قوله: «إن الدولة إذا أقبلت كبرت المدة، وإن أقلت العدد، وإذا أدبرت كثرت العدد وأقلت العدة»<sup>(١٠٦)</sup>.

وله كتاب ديوان رسائله.

### ابراهيم بن المدبر

ابراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر الكاتب المترسل والشاعر الرقيق، كان أميراً جواداً تولى إمارة بعض الولايات ورئاسة بعض الدواوين. وعندما هاجم الزنج الأحواز في رمضان سنة ٢٥٦ كان ابراهيم أميرها على الخراج فأسروه ونهبوا ما كان له فيها من مال وأثاث ورقيق. وبقي في أسرهم ما يقرب من السنة حتى استطاع التخلص من أسرهم<sup>(١٠٧)</sup>. وكان المتوكل على الله معجباً بإبراهيم فولاه ديوان الضياع. إلا أن الوزير عبيد الله بن يحيى كان منحرفاً عن ابراهيم شديد النفاسة عليه فأغرى الخليفة به. وكان أخو ابراهيم أحمد بن المدبر قد ولي عملاً لتعبيد الله فلم يحمده أثره فيه، فعزم عبيد الله على أن ينكبه، وبلغ أحمد ذلك فهرب. فادعى عبيد الله أن لأحمد مالا جليلاً عند أخيه ابراهيم فأوغر صدر الخليفة عليه حتى أذن له في حبسه<sup>(١٠٨)</sup>.

ولإبراهيم بن المدبر في حبسه أشعار حسان كتب بعضها إلى الخليفة، وبعضها إلى عدد من أصحابه يستنجد بهم لانقاذه. وما لبث الخليفة أن أمر بإطلاقه. وقد تولى بعد زوال نكته الثغور الجزرية، وكان أكثر مقامه بمدينة ميج من أعمال حلب<sup>(١٠٩)</sup>. ويظهر أن ابراهيم كان مقرباً من الخليفة المعتمد على الله وكان يحضر مجالسه، ولما خرج الخليفة من سامراء في سنة ٢٦٩ يريد الالتجاء إلى ابن طولون في مصر، هرباً من أخيه الموفق، اتخذ ابراهيم بن المدبر وزيراً<sup>(١١٠)</sup>.

توفي ابراهيم ببغداد في منتصف شوال سنة ٢٧٩ وهو يتقلد رئاسة ديوان الضياع للمعتضد بالله<sup>(١١١)</sup>. وله الرسالة العذراء في ثقافة الكاتب وصفاته وزُيِّه وأدوات الكتابة ومعرفته بها.

---

(١٥٢) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ١٣٦؛ ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٢٢، وقدامة بن جعفر، المصدر نفسه، ص ١٠١.

(١٥٣) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ٤٧٣ و ٤٧٧، وابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ٢٣٧ و ٢٤٢.

(١٥٤) الأصبهاني، الأغاني، ج ٢٢، ص ١٥٩.

(١٥٥) المصدر نفسه، ج ٢٥، ص ١٧٦.

(١٥٦) ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدياء أو طبقات الأدياء،

ج ١، ص ٢٩٢.

(١٥٧) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٩٢، والطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ١٠،

ص ٣١.

## آل ثوابة

واشتهر من آل ثوابة كاتبان هما أبو عبد الله محمد بن أحمد بن ثوابة، وكان كاتباً مترسلاً بليغاً، كتب للمعتضد بالله، وله كتاب رسائل<sup>(١٥٨)</sup>. وأبو الحسن محمد بن جعفر بن ثوابة، وهو من بلغاء الكتاب ببغداد في عصره. وقد رأس ديوان الرسائل في أيام المقتدر بالله، وقد كتب قبله للمعتضد بالله. ومما يستحسن من رسائله جوابه لخواريه بن أحمد بن طولون عن المعتضد بالله عن الكتاب بإنفاذ ابنته، فقال في الفصل الذي احتاج إلى ذكرها: «وأما الودعة فهي بمنزلة ما انتقل من شمالك إلى يمينك عناية بها وحياطة رايك فيها»<sup>(١٥٩)</sup>.

ومن إنشائه رسالة كتبها عن الخليفة المقتدر بالله إلى البلدان في وزارة ابن الفرات الثانية جاء فيها «لما لم يجد أمير المؤمنين غنى عنه ولا للملك بدءاً منه، وكان كتاب الدواوين على اختلاف اقتدارهم وتفاوت ما بين أخطارهم، مقررٍ برياضة معتزٍ بكفايته متحاكمين إليه إذا اختلفوا، واقفين عند غايته إذا استيقوا مدعين بأنه الحول القلب، المحنك المجرب، العالم بدرجة المال كيف تحلب، ووجهه كيف تطلب، انتفاء من غمده فعاود ما عرف من حده، فنقد الأصيل كان لم يغب عنها، وذير الأمور كان لم يخل منها. ورأى أمير المؤمنين ألا يدع شيئاً من أسباب التكرم كان قديماً جعله له إلا وفاء إياه، ولا نوعاً من أنواع المثوبة والجزاء كان آخره عنه إلا حياه به»<sup>(١٦٠)</sup>.

توفي سنة ٣١٢ وهو على ديوان الرسائل للمقتدر بالله<sup>(١٦١)</sup>، له ديوان رسائل.

## محمد بن داود بن الجراح

أبو عبد الله، كان كاتباً عارفاً بأيام الناس وأخبارهم، وقد حذا حذو أبيه داود بن الجراح الذي كتب للمستعين بالله. فأخذ عن العلماء والفصحاء والشعراء، وكتب بخط يده ما لا يحصى كثرة. وزر لعبد الله بن المعتز في يوم خلافته، وقتل معه - وله من الكتب: كتاب الورقة وهو في أخبار الشعراء، وسمّاه بذلك لأنه لا يزيد في خبر الشاعر الواحد على ورقة واحدة. وكتاب الشعر والشعراء. وكانت له مناظرات ومساجلات مع الفقيه الشافعي المتكلم أحمد بن عمر بن سريج في مجلس علي بن عيسى بن الجراح وزير المقتدر بالله وأحد العلماء الكبار من أهل بغداد<sup>(١٦٢)</sup>.

(١٥٨) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ١٩٤.

(١٥٩) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٦، ص ٤٦٤.

(١٦٠) المصدر نفسه، ج ٦، ص ٣٦٣ - ٣٦٤.

(١٦١) المصدر نفسه، ج ٦، ص ٣٦٣، والزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ٦، ص ٢٩٧.

(١٦٢) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ١٩١ - ١٩٢؛ صلاح الدين محمد بن شاکر الكتبي، فوات الوفيات (القاهرة): المطبعة الأميرية، ١٢٩٩هـ، ج ٢، ص ٤٠٦، والزركلي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٣٥٥.

## أبو اليسر الشيباني

ابراهيم بن محمد الشيباني، ويعرف بالرياضي الكاتب. ولد ببغداد وبها نشأ ودرس على مشاهير علمائها وشيوخ أدبائها كالجاحظ والمبرد وثلعب وابن قتيبة وأخذ عنهم مصنفاتهم، ولقي كبار شعراء سامراء أبا تمام والبحتري وعلي بن الجهم، وروى عنهم أشعارهم. رحل إلى الأندلس ودخل قرطبة أيام أميرها محمد بن عبد الرحمن الأموي، ثم تركها إلى إفريقية، فأكرم الأمير ابراهيم الثاني الأغلبي وفادته وقلده رئاسة ديوان الرسائل. وتولى في أيام زيادة الله الثالث رئاسة بيت الحكمة في رقادة إلى جانب رئاسته ديوان الرسائل.

وكان أبو اليسر أديباً بارعاً وشاعراً مبدعاً وكاتباً مترسلاً. وله عدد من المصنفات في الفقه والعلوم القرآنية واللغة والأدب، ومن كتبه الأدبية: كتاب لفظ المرجان، وكتاب قطب الأدب.

توفي أبو اليسر في جمادى الأولى سنة ٢٩٨ بمدينة القيروان<sup>(١)</sup>.

## ٢ - الشعر

### أ - تطور الشعر

كان عمود الشعر العربي قبل الإسلام وصدره يقوم على شرف المعنى وصحته، وجراثة اللفظ واستقامته، وإصابة الوصف، والمقاربة في التشبيه، والتحام أجزاء النظم، ومناسبة المستعار منه للمستعار له، ومشاكله اللفظ المعنى. وهي خصال يتوقف تقدم الشاعر وإحسانه على قدر التزامه بها وسهمته منها<sup>(٢)</sup>. ولما أهل القرن الثالث كان الشعر العربي قد استقر على أسس وقواعد معينة في لغته وأسلوبه وأغراضه، وقد حددتها ابن قتيبة بقوله: «وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد إذا ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار فيكي وشكا، وخاطب الربع، واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها. . . ثم وصل ذلك بالنسب فشكا شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصباية والشوق ليعمل نحوه القلوب ويعترف إليه الوجوه وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه. . . فإذا علم أنه قد استوثق من الإصغاء إليه والامتثال له، عقب بإيجاب الحقوق، فرحل في شعره، وشكا النصب والسهر، وسرى الليل وحرّ الهجير. . . فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء، وضماعة التاميل. . . بدأ في المديح فبثه على المكافأة، وهزّه للسباح. . . فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب وعدل بين هذه الأقسام فلم يجعل واحداً منها أغلب على الشعر، ولم يطل فيمل السامعين، ولم يقطع بالنفوس ظمناً

(١٦٣) انظر حوله: أبو عبد الله محمد بن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج. س. كولان وليثي بروثسنال، ٤ ج (بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٧)، ج ١، ص ١٥٠ - ١٦٣، وحسن حسني عبد الوهاب، ورقلت عن الحضارة العربية في إفريقيا الشمالية (تونس: مطبعة المنار، ١٩٦٤)، ص ٢٤٤ - ٢٤٦.

(١٦٤) أبو علي أحمد بن محمد المرزوقي، شرح ديوان الحلياسة، نشره أحمد أمين وعبد السلام محمد هارون (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥١ - ١٩٥٣)، ص ١١.

إلى المزيد... وليس لتأخر الشعراء أن يخرج على مذهب المتقدمين في هذه الأقسام»<sup>(١٦٥)</sup>.

وقد التزمت القصيدة بوحدة القافية والوزن مهما بلغ عدد أبياتها، كما استمر تعدد الموضوعات في القصيدة الواحدة بحيث يستطيع الشاعر أن يذهب إلى غرض معين في كل بيت من أبياتها باعتباره مستقلاً عن البيت الذي سبقه والبيت الذي يليه، على أن يؤلف بين الأبيات في سبكها ووصف مفرداتها وتنسيق موضوعاتها بما يجعلها منسجمة متلاحمة الأجزاء. ومهما تعددت الموضوعات والأفكار في القصيدة فقد كان على الشعراء الالتزام بتعاقب تلك الموضوعات بحيث يكون الغزل في مطلعها ويليه المدح والوصف والحكم وغيرها. وقد اعتبرت القصيدة التي لا تبدأ بالنسب بتراء<sup>(١٦٦)</sup>. إلا أن التطور الحضاري الذي صار إليه العرب بعد احتكاكهم بحضارات الأمم الأخرى وثقافتها وتأثيرهم بأساليب حياتها جعل للحياة الجديدة بأوجهها السياسية والاجتماعية تأثيراً عميقاً في حياتهم الأدبية وبخاصة في الشعر. فطرات عليه تغيرات مهمة سارت به قدماً نحو الأمام. فأخذ يتطور في لغته وأسلوبه وأغراضه، إذ صار يكلم الناس بما يفهمونه ويرتاحون إليه، وقد رغبوا عن الأوصاف التي كان الشاعر يبدأ بها قصيدته، وتطلعوا إلى وصف مظاهر الحياة الجديدة، وهو ما أدى إلى خلق ألوان من الشعر مستمدة من هذه الحياة. أما لغته وأسلوبه فقد انتابها شيء من التكلف والزخارف البديعية، وبعض الابتكار والتوليد اللفظي والمعنوي. كما تأثر تركيب القصيدة فغدت عند بعض الشعراء وحدة متكاملة في موضوعها، فتكون أبياتها مترابطة المعنى لتعبّر عن رأي أو موضوع معين فتصبح القصيدة كأنها مقال متسلسل المعاني. وكان الشاعر ابن الرومي خير مثال لهذا النهج في بناء قصائده فيبدأ من أول بيت فيها حتى نهايتها ولا يترك معنى لذلك الغرض حتى يستوفيه.

وأصاب الشعر كذلك تطور ملحوظ في تحرره من بعض أصوله التقليدية وانتهاج أصول جديدة. وكان شعر أبي تمام والبحتري وابن الرومي، وهم أبرز شعراء هذا القرن، مثلاً واضحاً لهذا التطور الذي تلاحظ بعض سبائته في التحول في الألفاظ والمعاني إلى أصول تتميز بالذوق الفني وجمال المعنى. وقد حدد قدامة بن جعفر حدود الشعر وقال إن من شروط الشعر الجيد أن يأتلف اللفظ مع المعنى والوزن، ويأتلف المعنى مع الوزن والقافية<sup>(١٦٧)</sup>. وقد أثار موضوع لفظ الشعر ومعناه وفي أبيها يكمن جماله وتأثيره، جديلاً بين نقاد الشعر. إذ يرى قدامة أن اللفظ يجب أن يكون سهلاً خارج الحروف من مواضعها، عليه رونق الفساحة مع الحلق من البشاعة<sup>(١٦٨)</sup> وأن يكون المعنى موجهاً للعرض المقصود غير عادل عن الأمر المطلوب<sup>(١٦٩)</sup>. إلا أن نقادا

---

(١٦٥) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الشعر والشعراء (بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٤)، ص ٢٠ - ٢٢.

(١٦٦) ناصر الحاني، النقد الأدبي وأثره في الشعر العباسي (بغداد: مطبعة بغداد، ١٩٥٥)، ص ٩٠.  
(١٦٧) أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى (القاهرة: مطبعة أنصار السنة المحمدية، ١٩٤٨)، ص ٢٠.

(١٦٨) المصدر نفسه، ص ٢١ و ٥١ على التوالي.

آخرين يؤكدون على أهمية اللفظ لأن جودته وجزالته وحسن اختياره أوقع في النفوس وأدعى إلى القبول، وكلما كان سلساً وقد سُبِكَ بدقة كان معناه أقرب إلى الفهم. أي أن المعنى رهن بجودة اللفظ وحسن تركيبه. وعلى رأس القائلين بأهمية اللفظ كبير أدباء عصره أبو عثمان الجاحظ، فهو يقول: «إن المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتمييز اللفظ وسهولة المخرج، وفي صحة الطبع وجودة السبك»<sup>(١٢٨)</sup>.

ويرى ابن رشيقي أن «اللفظ جسم وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه ويقوى بقوته... ولا تجد معنى يجتلى إلا من جهة اللفظ وجريه فيه على غير الواجب... ومن الناس من يؤثر اللفظ على المعنى فيجعل غايته ووكده... ومنهم من ذهب إلى سهولة اللفظ فغني بها واغترل له فيها الركافة واللين المفرط... ومنهم من يؤثر المعنى على اللفظ فيطلب صحته ولا يبالي حيث وقع من هجنة اللفظ وقبحه وخشونته... وأكثر الناس على تفضيل اللفظ على المعنى... وحجتهم أن اللفظ أغل من المعنى ثمناً، وأعظم قيمة، وأعر مطلباً، فإن المعاني موجودة في طباع الناس يستوي فيها الجاهل والعاقل ولكن العمل على جودة الألفاظ وحسن السبك وصحة التأليف... والكلام الجزل عندهم أغنى عن المعاني اللطيفة»<sup>(١٢٩)</sup>.

لقد تحور الشعراء من الأساليب القديمة في بناء القصيدة، ومن القيود التي كانت تعتبر أصولاً لازمة للشعر. وأخذوا بصورة عامة، يتجهجون أساليب تقوم على اختيار الألفاظ الرقيقة الواضحة السهلة، وابتكار المعاني المحدثثة وتوليدها بما يناسب التقدم الحضاري، وكثرة استخدام المحسنات البيديعية، حتى بلغ بعضهم فيها حد الإسراف، والاعتداد على عالم المحسوسات بتجسيم المعنويات وتشخيصها، واستعمال بعض الألفاظ الفلسفية والمنطقية، وإهمال المطلع التقليدي للقصيدة من النسيب والغزل عند أغلب الشعراء، وبذل الجهد في تنسيق القصيدة وانسجامها. وقد كان لعدد من شعراء هذا القرن البارزين دور مهم في هذا التطور الذي طال ألفاظ الشعر ومعانيه وأغراضه وأساليبه. وكان أمراً طبيعياً أن لا تظهر آثار ذلك في شعر جميع الشعراء بدرجة واحدة. فقد تباينت درجات تمديدهم باختلاف عواطفهم وأحاسيسهم ومبلغ ثقافتهم وقدرتهم اللغوية وسعة خيالهم. ولسوف يتضح ذلك عند بحث أغراض الشعر وأنواعه، ومن كان مجلياً منهم في كل غرض منها.

ونال الشعر في هذا القرن اهتماماً بالغاً من علماء اللغة والأدب ومن بعض الفقهاء والمؤرخين. فبدلوا كثيراً من الجهود في جمع شعر الشعراء وأخبارهم، فجمع بعضهم أشعار قدامى الشعراء وعحدثهم ورتبها بحسب طبقاتهم ومراتبهم، أو بدواوين منفردة لبعضهم. وصنف آخرون في الشعر والشعراء، وفي نقد الشعر. وذكر ابن النديم عدداً كبيراً من تلك المصنفات، منها: كتاب الشعر والشعراء للراوية المؤرخ عمر بن شبة<sup>(١٣٠)</sup>. وكتاب قواعد

(١٢٩) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ج ٧ (القاهرة: مكتبة مطبقة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٣٨ - ١٩٤٥)، ج ٣، ص ١٣١ - ١٣٢.  
(١٣٠) أبو علي الحسن بن رشيقي الأزدي القيرواني، العملة في عاين الشعر وأدبه ونقده، ط ٤ (بيروت: دار الجليل، ١٩٧٢)، ج ١، ص ١٢٦ - ١٢٧.  
(١٣١) أبو الفرج محمد بن اسحق بن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم (طهران: مكتبة الأسد، ١٩٧١)، ص ١٢٥.

الشعر، وكتاب ضرورة الشعر، وكتاب العروض، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد إمام النحويين البصريين في زمانه<sup>(١٧٦)</sup>. وكتاب الشعر والشعراء لابن السراج أبرز تلاميذ المبرد<sup>(١٧٧)</sup>. وكتاب معاني الشعر لأبي عبد الله محمد بن زياد الأعرابي<sup>(١٧٨)</sup>. وكتاب الشعراء لأبي عبيد القاسم بن سلام<sup>(١٧٩)</sup>. وكتاب معاني الشعر، وكتاب سرقات الشعراء وما اتفقوا فيه ليعقوب بن السكيت<sup>(١٨٠)</sup>. وكتاب معاني الشعر، وأشعار الفحول وغيرهم، ومعاني القرآن، والشعر مما سُمع وتُكلم عنه، لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب<sup>(١٨١)</sup>. وكتاب الشعر والشعراء، وكتاب المراتب والمتاب من عيون الشعر، لأبي عبد الله بن قتيبة<sup>(١٨٢)</sup>. وكتاب الشعر والشعراء لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري<sup>(١٨٣)</sup>. وكتاب أخبار الشعراء، وكتاب من قال شعراً على البديهة، وكتاب الاستعداد على الشعراء، لأبي الحسن المدائني<sup>(١٨٤)</sup>. وكتاب ألقاب الشعراء، وكتاب كنى الشعراء، وكتاب نقائض جرير والفرزدق، لأبي جعفر محمد بن حبيب بن أمية<sup>(١٨٥)</sup>. وكتاب أشعار الملوك، وكتاب طبقات الشعراء، لعبد الله بن المعتز<sup>(١٨٦)</sup>. وكتاب الورقة في أخبار الشعراء، وكتاب الشعر والشعراء، لمحمد بن داود بن الجراح<sup>(١٨٧)</sup>. وصنّف أبو عبد الله الزبير بن بكار كتباً عدة عن أخبار الشعراء، منها: أخبار عمر بن أبي ربيعة، أخبار جميل، أخبار نصيب، أخبار كثير، أخبار العرجي، أخبار المجنون<sup>(١٨٨)</sup>. وعمل أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري عدة دواوين من أشعار العرب الفحول منها: شعر زهير، وشعر النابتة الجمدي، وشعر الأعشى<sup>(١٨٩)</sup>. كما عمل أبو سعيد الحسن السكري أشعار جماعة من فحول الشعراء، منهم امرؤ القيس، والنابختان، وقيس بن الخطيم، وتميم بن مقبل، وهذيل، وهذبة، والأعشى، ومزاحم العقيلي، والأخطل، وزهير، كما رتب شعر أبي نواس على معانيه وغريبه، وصنّف كتاب الأبيات السائرة<sup>(١٩٠)</sup>. كما صنّف الفقيه محمد بن داود بن

(١٧٢) المصدر نفسه، ص ٦٥.

(١٧٣) المصدر نفسه، ص ٦٨.

(١٧٤) المصدر نفسه، ص ٧٦.

(١٧٥) المصدر نفسه، ص ٧٨.

(١٧٦) المصدر نفسه، ص ٧٩.

(١٧٧) المصدر نفسه، ص ٨١.

(١٧٨) المصدر نفسه، ص ٨٦.

(١٧٩) المصدر نفسه، ص ٨٦.

(١٨٠) المصدر نفسه، ص ١١٦.

(١٨١) المصدر نفسه، ص ١١٩.

(١٨٢) المصدر نفسه، ص ١٣٠.

(١٨٣) المصدر نفسه، ص ١٤٢.

(١٨٤) المصدر نفسه، ص ١٢٤.

(١٨٥) المصدر نفسه، ص ٨٢.

(١٨٦) المصدر نفسه، ص ٨٦.



علي الظاهري كتاب الزهرة وهو مجموعة شعرية في الهوى وأحكامه وأحواله.

### ب - نقد الشعر

يمكن القول إن قواعد الشعر العربي من حيث وضعه وانتحاله وكل ما يتعلق بحدوده والفاظه، ومعانيه وأغراضه، ونعته وعبويه، قد ثبتت في خلال هذا القرن. ولعل أول كتاب عالج بعض هذه المواضيع وبخاصة انتحال الشعر وتحديد بعض عيوبه، هو كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجهمي. ثم وضع قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي كتابه المشهور نقد الشعر فكان أكمل كتاب من نوعه وأبرزه. وفي ما يلي خلاصة بما عالج الكتابان من الموضوعات المتعلقة بالشعر.

كان أبو عبد الله محمد بن سلام الجهمي أحد الاخباريين الرواة، وقد صنف عدداً من الكتب، منها كتابان عن الشعراء: طبقات الشعراء الجاهليين، وطبقات الشعراء الاسلاميين<sup>(١٨٧)</sup>. وقد طبع في كتاب واحد بعنوان طبقات فحول الشعراء، وقال فيه: «فصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمختصين، فنزلناهم منازلهم، واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة، وما قال فيه العلماء»<sup>(١٨٨)</sup>. ويعتبر كتابه من أقدم ما وصل إلينا من كتب نقد الشعر والشعراء. وكان يعزو تفوق الشاعر وتقدم طبقة إلى كثرة ما له من العروض والقصائد الطويلة وتعدد أغراضه ومعانيه<sup>(١٨٩)</sup>. وقد عني بصفة خاصة بصحة نسبة الشعر إلى صاحبه، وتنبه إلى أن نسباً من الشعر المسموع كان مفتعلاً منحولاً، إذ يقول «وفي الشعر المسموع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه، ولا حجة في عريته، ولا أدب يستفاد، ولا مثل يضرب، ولا مديح رائع، ولا هجاء مقذع، ولا فخر معجب، ولا نسب مستطرف. وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب، لم يأخذوه عن أهل البادية ولم يعرضوه على العلماء»<sup>(١٩٠)</sup>.

وقال عن الشعر في الجاهلية إنه كان ديوان علمهم ومتنهم، به يأخذون وإليه يصبرون، ولما جاء الإسلام تشاغلته عنه العرب بالجهاد، فلها عن الشعر وروايته. ولما اطمأنوا بالأمصار راجعوا رواية الشعر وذكروا أيام العرب ومآثرها، فوجدوا أن أكثر روايته هلكوا بالموت والقتل، ولم يحفظ من الشعر إلا أقله، وقد ذهب عليهم منه كثير<sup>(١٩١)</sup>. وقد استغل بعض العشائر ما وجدوه من شعر شعرائهم وأيام وقائعهم، فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار، فقالوا على السن شعرائهم، ثم زاد الرواة على ذلك<sup>(١٩٢)</sup>. وهو يرى أن الشعر الموضوع لا تستعصي معرفته على أهل العلم إلا ما وضعه الرجال من أهل البادية من

(١٨٧) المصدر نفسه، طبعة القاهرة، ص ١٧١.

(١٨٨) محمد بن سلام الجهمي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمد محمد شاكر، ذخائر العرب، ٧

(القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٢)، ص ٢١.

(١٨٩) المصدر نفسه، ص ٥٤.

(١٩٠) المصدر نفسه، ص ٥ - ٦.

(١٩١) المصدر نفسه، ص ٢٢.

(١٩٢) المصدر نفسه، ص ٣٩.

أولاد الشعراء وغيرهم. ويروي مثلاً على ذلك فيقول «اخبرني أبو عبدة أن ابن داود بن متم بن نورة قدم البصرة في بعض ما يقدم له الدوي في الجلب والميرة فنزل النخب، فأتته أنا وابن نوح العطاردي، فسأله عن شعر أبيه متم (يعني جده)، وقمنا له بحاجته وكفنا به ضيقه. فلما نفذ شعر أبيه جعل يزيد في الأشعار ويضعها لنا، وإذا كلام دون كلام متم، وإذا هو يفتني على كلامه فيذكر المواضع التي ذكرها متم والوقائع التي شهدها، فلما تولى ذلك علمنا أنه يفتعله»<sup>(١٩٣)</sup>.

وطعن ابن سلام بحماد الراوية واعتبره غير ذي ثقة ويعجب لمن يأخذ عنه، وقد كان يكذب ويلحن، إذ يقول عنه: «وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها حماد الراوية، وكان غير موثوق به، كان ينحل شعر الرجل غيره وينحله غير شعره، ويزيد في الأشعار». ويروي ما يؤيد رأيه ويقول: «اخبرني أبو عبدة عن يونس، قال: قدم حماد البصرة على ملال بن أبي بردة، وهو عليها، فقال: ما أظفرتي شيئاً، معاد إليه فأنشده القصيدة التي في شعر الخطبة في مديح أبي موسى. فقال: وينك مديح الخطبة أبا موسى [و] لا أعلم به، وأنا أروي شعر الخطبة، ولكن دعها تذهب في الناس»<sup>(١٩٤)</sup>.

وحاول ابن سلام أن يضع بعض القواعد لعيوب الشعر، وقد اعتبرها أربعة، هي: الزُحاف والسُّناد والإبطاء والإكفاء وهو الإقواء. واعتبر الزُحاف أهوناً؛ وهو أن ينقص الجزء عن سائر الأجزاء فينكره السمع ويثقل على اللسان، ومنه ما نقصانه أخفى، ومنه ما نقصه أشنع. والإقواء هو أن يختلف إعراب القوافي فتكون قافية مرفوعة وأخرى منخفضة أو منصوبة، وهو في شعر الأعراب كثير، ويكاد ينحصر في من هم دون الفحول من الشعراء، ويرى عدم التسامح به للشعراء المولدين لأنهم قد عرفوا عيبه. والإبطاء هو أن تتفق القافيتان في قصيدة واحدة، فإن كان أكثر من قافيتين فهو أسمع له. أما السُّناد فهو أن تختلف القوافي نحو: نقيب وعيب، وقريب وشيب وأمثالها<sup>(١٩٥)</sup>.

إن ما أورده ابن سلام الجمحي من ملاحظات واستدراكات يمثل طريقته في نقد الشعر. وإن ما عرضه من شكوك في صحة قسم من الشعر المروي عن شعراء ما قبل الإسلام، وأن بعضه منتحل أدخله الرواة بدوافع مختلفة، يجعله من أوائل من تشكك من قدامى الأدباء في قسم من الشعر المروي، ورأى ضرورة التحري عن صحته قبل الأخذ به.

أما قدامة بن جعفر، وهو أحد البلغاء الفصحاء والفلاسفة الفضلاء ومن يشار إليه في علم المنطق<sup>(١٩٦)</sup>، وهو صاحب كتاب الخراج وصناعة الكتابة، فقد صنف كتاباً في نقد الشعر، أي علم جيد الشعر ورديته، وثبت فيه كل ما يختص بالشعر من حدود وأوزان ونعوت وعيوب. وكان سباقاً في كثير من المواضع التي عالجها في كتابه هذا. وقد وضعه بأسلوب علمي مرتب سهّل للأخريين قياس الشعر والحكم على شاعريته صاحبه. وبين في مقدمته سبب وضعه بأن الناس عنوا بوضع الكتب في أقسام الشعر الخاصة بالمعروض

(١٩٣) المصدر نفسه، ص ٤٠ - ٤١.

(١٩٤) المصدر نفسه، ص ٤١.

(١٩٥) المصدر نفسه، ص ٥٨ - ٦٢.

(١٩٦) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ١٩٤.

والوزن، وأمر القوافي والمقاطع، وأمر الغريب والنحو، وتكلموا في المعاني الدال عليها الشعر وما الذي يريد به الشاعر. ويقول إنه لم يجد واحداً وضع في نقد الشعر وتحليل جيله من رديته كتاباً، والكلام عنده في هذا القسم أولى بالشعر من سائر الأقسام المذكورة. وإن علم جيد الشعر من رديته، فإن الناس يحبون في ذلك منذ تفقهوا في العلوم، قليلاً ما يصيبون. ولما وجد الأمر على ذلك وتبين أن الكلام في هذا الأمر أخص بالشعر من سائر الأسباب الأخرى، وأن الناس قد قصروا في وضع كتاب فيه، رأى أن يتكلم في ذلك بما يبلغ وسعه<sup>(١٩٧)</sup>.

اعتبر قدامة مقاييس معرفة الشعر الجيد أن تتوفر فيه عدة أمور أهمها: حسن النظم، واعتدال الوزن، وصحة المقابلة، وجزالة اللفظ، وإصابة التشبيه، وجودة التفضيل، وقلة التكلف، والمشكلة في المطابقة، واعتبر أضداد هذه الأمور عيباً في الشعر تمنع الآذان، ويخرج عن وصف البيان<sup>(١٩٨)</sup>. وقد عرّف حد الشعر تعريفاً جامعاً بقوله «إنه قول موزون مُمَقَّى يدل على معنى، فقولنا: قول، دال على أصل الكلام الذي هو بمنزلة الجنس للشعر، وقولنا: موزون، يفصل عما ليس بموزون، وقولنا: مُمَقَّى، فصل بين ما له من الكلام الموزون قوافٍ وبين ما لا قوافٍ له ولا مقاطع، وقولنا: يدل على معنى، يفصل ما جرى من القول على قافية ووزن مع دلالة على معنى عما جرى على ذلك من غير دلالة على معنى. ولما كان الشعر هو ما قدمناه، فليس من الاضطرار إذن أن يكون ما هذه سبيله جيداً أبداً ولا رديئاً أبداً، بل يمتثل أن يتعاقب الامران على حسب ما يتفق، وحيث يحتاج إلى معرفة الجيد وتمييزه من الرديء»<sup>(١٩٩)</sup>.

وخصص قدامة أكثر صفحات كتابه لبحث نعت الشعر، أي محاسنه وصفاته الجيدة، وسوف نذكرها عند بحث موضوع أغراض الشعر. أما عيوب الشعر فهو يرى أنها قد تظهر في اللفظ بأن يكون ملحوناً وجارياً على غير سبيل الإعراب واللغة، وأن يستخدم الشاعر من الألفاظ ما كان شاذاً مهجوراً. وعيوب الوزن خروجه عن العروض، والتخلع، أي أن يكون قبيح الوزن وقد أفرط في تزحيفه. ومن عيوب القوافي التجميع، وهو أن تكون قافية المصراع الأول من البيت على روي متهيء لأن تكون قافية آخر البيت بخلافه. والإقواء، وهو أن يختلف إعراب القوافي فتكون قافية مرفوعة مثلاً وأخرى مخفوضة، والسناد، وهو أن يختلف تعريف القافيتين<sup>(٢٠٠)</sup>.

ومن عيوب المعاني أن يكون ما يأتي من المدح على خلاف الجهة التي ذكرت في النعت، وكذلك في عيوب المرثي والوصف والتشبيه والغزل أن يأتي بالمضاد من نعتها. ومتى ما سلب المهجور أموراً لا تجانس الفضائل الإنسانية كان ذلك عيباً في الهجاء. ومن عيوب المعاني أيضاً فساد التفسير والاستحالة والتناقض، وغالفة العُرف بما ليس في العادة والطبع، وأن ينسب إلى الشيء ما ليس له أو فيه<sup>(٢٠١)</sup>.

(١٩٧) قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص ٩ - ١٠.

(١٩٨) المصدر نفسه، ص ٨٤.

(١٩٩) المصدر نفسه، ص ١١.

(٢٠٠) المصدر نفسه، ص ١٧٠ - ١٨١.

(٢٠١) المصدر نفسه، ص ١٨٤ - ٢١٠.

ويرى قدامة أنه «لما لم يكن كل شعر جامعاً جميع النعوت والعيوب وجب أن تكون الوسائط التي بين الملح والذم تشتمل على صفات عمدة وصفات مذمومة. فها كان فيه من النعوت أكثر كان إلى الجودة أميل، وما كان فيه من العيوب أكثر كان إلى الرداءة أقرب. وما تكافأت فيه النعوت والعيوب كان وسطاً بين الملح والذم»<sup>(٢٠٢)</sup>.

ومما له علاقة بنعت الشعر وعيوبه موضوعان آخران أثارا جدلاً بين نقاد الشعر، هما غلو الشاعر في ما يذهب إليه، ومناقضته نفسه في شعره. فقد خلا شعر الأقدمين من الغلو إلا قليلاً، فهم لم يجوزوا المألوف في التعبير عن إعجابهم أو حزنهم، إلا أن المتأخرين من الشعراء، وبخاصة المولدين منهم، تكلفوا الإيغال في شعرهم. ويظهر أن ذلك لم يزل تأييد الناقدين، إلا أن قدامة استحسن الغلو وأسهب في نقاشه، ودعا إليه، إذ يقول: «إني رأيت الناس يختلفون في مذهبن من مذاهب الشعر، وهما الغلو في المعنى إذا شرع فيه، والاعتصام على الحد الأوسط في ما يقال منه... فاقول: إن الغلو عندي أجود للمعجبين، وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديماً، وقد بلغني عن بعضهم أنه قال: أحسن الشعر أكذبه... إنما أرادوا المبالغة والغلو فيها يخرج عن الموجود»<sup>(٢٠٣)</sup>. وكذلك فإنه لم يَزَ بأساً من مناقضة الشاعر نفسه، فيقول: «إن مناقضة الشاعر نفسه في قصيدتين أو كلمتين بأن يصف شيئاً وصفاً حسناً ثم يلجم بعد ذلك ذمّاً حسناً شيئاً غير منكر عليه ولا معيب من فعله، إذا أحسن الملح والذم، بل ذلك عندي يدل على قوة الشاعر في صناعته واقتداره عليها... لأن الشاعر ليس يوصف بأن يكون صادقاً، بل إنما يراد منه إذا أخذ في معنى من المعاني - كائناتاً كان - أن يجيده في وقته الحاضر لا أن ينسخ ما قاله في وقت آخر»<sup>(٢٠٤)</sup>.

لقد لقيت آراء قدامة هذه في نقد الشعر رواجاً كبيراً بين النقاد وعلما الشعر، وكان تأثيره على النقاد المتأخرين كثيراً ولا سيما ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، والألمدي حسن بن بشر في كتابه الموازنة.

## ج - أغراض الشعر

تباين علماء الشعر ونقادهم في تصنيفه بحسب أغراضه، فقسمه بعضهم إلى قسمين رئيسيين هما: الملح والمجاء، واعتبروا الموضوعات الأخرى تبعاً لهما. وصنّفه آخرون إلى مدح وهجاء ورناء وغزل، وأضاف بعضهم الوصف إلى ذلك. يقول قدامة بن جعفر: «وللشعراء فنون من الشعر كثيرة تجمعها في الأصل أصناف أربعة، هي: المدح، والمجاء، والحكمة، واللهم. ثم ينفرع من كل صنف من ذلك فنون، فيكون من المدح: المراثي والافتخار والشكر، واللفظ في المسألة، وغير ذلك مما أشبهه وقارب معناه. ويكون من المجاء: الذم، والعتاب، والاستبطاء، والتأنيب، وما أشبه ذلك وجانسه. ويكون من الحكمة: الأمثال، والتزجيد، والمواعظ، وما شاكل ذلك. ويكون من اللهم: الغزل، والطرد، وصفة الخمر، والمجون، وما أشبه ذلك وقاربه»<sup>(٢٠٥)</sup>. ويرى أن «جاء الوصف لذلك أن يكون المعنى مواجهاً

(٢٠٢) المصدر نفسه، ص ٢٠ - ٢١.

(٢٠٣) المصدر نفسه، ص ١٩.

(٢٠٤) المصدر نفسه، ص ١٣ - ١٤.

(٢٠٥) المصدر نفسه، ص ٨١.

للغرض المقصود غير عادل عن الأمر المطلوب. ولما كانت أقسام المعاني التي يُحتاج فيها إلى أن تكون على هذه الصفة مما لا نهاية لعددته... رأيت أن أذكر منه صمدراً ينسب عن نفسه... وأن أجعل ذلك في الأعلام من أغراض الشعراء وما هم عليه أكثر حوصاً... وهو: المديح والهجاء والنسيب والمرثي والوصف والتشبيه<sup>(٢٠٦)</sup>.

وقال أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني إن أكثر ما تجوي عليه أغراض الشعر خمسة: النسيب، والمديح، والهجاء، والفخر، والوصف، ويدخل التشبيه والاستعارة في باب الوصف، وهو يهمل الرثاء باعتباره فرعاً من المديح. ويقول إن البعض الآخر يقسم أصناف الشعر إلى أربعة، وهي التي ذكرها قدامة مع ما يتفرع منها من أغراض أخرى<sup>(٢٠٧)</sup>.

أما العواطف الباعثة على قول الشعر فهي الرغبة والرهبة والطرب والغضب، وينشأ عنها المديح والاعتذار والغزل والهجاء<sup>(٢٠٨)</sup>. وشبيه بهذا ما يقوله الشاعر دعبل الخزاعي في كتابه: من أراد المديح فبالرغبة، ومن أراد الهجاء فبالبغضاء، ومن أراد التشبيب فبالشوق والعشق، ومن أراد المعاتبة فبالاستيلاء. فقسم الشعر إلى هذه الأقسام الأربعة واعتبر الرثاء من باب المديح، وجعل العتاب بدلاً عنه<sup>(٢٠٩)</sup>.

وقد اختلفت أغراض الشعر منذ القرن الثاني اختلافاً يَبِينُ عما كانت عليه سابقاً. ونشأ بعض هذا الاختلاف عن تطور أغراض الشعر القديمة وجاء هذا القسم جديداً مبتكراً بفعل التطور الحضاري. أما الأغراض التي جُذت فكانت الإغراق في الخلاعة والمجون، وإمعان بعض الشعراء في وصف الحياة اللاهية المبتذلة، ودعوتهم إليها بلغة صريحة، الأمر الذي أوجد ما يُعرف بشعر المجون والخمريات. ومع أن الشعر العربي لم يكن يخلو قبل ذلك من الحكم والمواظ، إلا أنه أضيف إلى ذلك الدعوة إلى الزهد والتقشف في الحياة، والابتعاد عن ملذاتها ومغرياتها، والاقتناع باليسير منها. وقد قامت هذه الدعوة كرد فعل لما صار إليه الناس آنذاك من انغماس في الترف والبلذخ والبحث عن المرات، ولقاومة أهل الفسق والمجون والخلعاء من الشعراء.

وكنا أشرنا إلى الحدود التي ثَبَتَهَا قدامة لأغراض الشعر الخمسة، والتي أقرها النقاد الذين جاءوا بعده. وسنذكر فيما يلي هذه الأغراض مع ذكر أبرز من اشتهر بكل منها من شعراء القرن الثالث. أما عن سيرتهم وتاريخ حياتهم فأحسب أن ما كتب عنهم قديماً وحديثاً كافٍ وإفٍ، بحيث لم يَبْقَ زيادة لمستزيد. ولذا فلنأخذ لا نرى ثمة حاجة لترجمة حياة أيٍّ منهم أو بحث سيرته، ولسوف تقتصر على ذكر أهم النواحي التي تميّز بها كل منهم في شعره، ونقدم نماذج من صناعته في الغرض الشعري الذي أحسنه واشتهر به.

(٢٠٦) المصدر نفسه، ص ٥١.

(٢٠٧) القيرواني، العمدة في عمارن الشعر وأدبه ونقده، ج ١، ص ١٢٠ - ١٢١.

(٢٠٨) المصدر نفسه، ج ١، ص ٧٨، وابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص ٨.

(٢٠٩) القيرواني، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٢٢.

## (١) المديح

حاول قدامة بن جعفر أن يضع قواعد وأسساً معينة لشعر المديح، وكان مبدعاً عندما قصر المديح على الفضائل والنواحي الخلقية للممدوح. فهو يرى أن الفضائل الانسانية هي العقل والشجاعة والعدل والعفة، وأن المصيب من الشعراء مَنْ مدح الرجال بهذه الخلال. وقد أوضح ما تنطوي عليه هذه الفضائل من خصال حميدة «فمن أقسام العقل: نفاة المعرفة، والحياء، والبيان، والسياسة، والكفاية، والعلم، والحلم... ومن أقسام العفة: القناعة، وقلة الشراء، وطهارة الإزار... ومن أقسام الشجاعة: الحماة، والدفاع، والأخذ بالثأر، والنكاية في العدو، والمهابة... ومن أقسام العدل: الساحة ويراد بها التغايب وهو من أنواعها، والانظام، والتبرع بالنائل، وإجابة السائل، وقرى الأضياف»<sup>(٢١٠)</sup>. وهو يرى أن المديح ينبغي أن يتفق وأصناف الممدوحين من الناس في الارتفاع والانتضاع وضروب الصناعات، فيمدح الوزير والكااتب بما يتصل بالفكر والروية وحسن السياسة، ويمدح القائد بما يجانس البأس والنجدة وما يدخل في باب شدة البطش والبسالة. أما مدح السوق فينقسم بحسب انقسامهم في أصناف معاشهم وحرفهم. وإن الممدح يجود كلما أغرق الشاعر في أوصاف الفضيلة، وأتى بأكثر خواصها<sup>(٢١١)</sup>.

ولم يخرج صاحب العملة عما حدده قدامة للمديح، وأضاف أن على الشاعر إذا مدح ملكاً أن يسلك طريقة الإيضاح والإشادة بذكر الممدوح وأن يجعل معانيه جزلة وألفاظه نقية غير مبتذلة، ويجنب التجاوز والتطويل، فإن للملك سامة وضجراً ربما عاب من أجلها ما لا يعاب وحرم من لا يريد حرمانه<sup>(٢١٢)</sup>.

ويعتبر موضوع المديح من أوسع أغراض الشعر، ولا يخلو شعر شاعر مهما كانت منزلته الشعرية من قصائد قالها تقريباً إلى الممدوح أو تودداً إليه، أو استتالة واستعطافاً، أو طلباً لجائزته وصلته. ويلاحظ أن أغلب قصائد المديح تقليدية تبدأ بمقدمة بالغزل وذكر ما قطع الشاعر من المغاوير وما تمجس من متاعب الطريق للوصول إلى ممدوحه، ثم ينتقل بعد ذلك إلى مدحه. ولعل أبرز من اشتهر بالمديح في شعره هو أبو عبادة البحرى الوليد بن عبيد الله بن يحيى الطائي المتوفى سنة ٢٨٤. وقد اختص بالبلات ومدح خلفاء سامراء وبعض الوزراء والقواد وأعيان الدولة، مما جعل معظم شعره في هذا الباب. ويمكن وصفه بشاعر المتوكل على الله وابنه المعتر بالله لكثرة ما مدحها، وربما كانت أجود مدائحه ما قاله فيهما. والبحري شاعر مطبوع يرسل نفسه على سجيبتها لا يتعمق ولا يتكلف إلا نادراً. وقد جرى في مديحه على الطريقة التقليدية، وذهب فيه مذهب القدماء في الألفاظ والأساليب. ورغم أنه كان يحاول أن يجتدي بآبي تمام، إلا أنه لم يتوفر له استخدام المنطق في شعره فقصر عنه في طلب المعاني، وأقام شعره على اللفظ والفن الشعري وموسيقاه. وكان يغلب على مديحه أن يستهله

(٢١٠) قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص ٥٩ - ٦١.

(٢١١) المصدر نفسه، ص ٧٦ - ٨٤.

(٢١٢) القيرواني، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٢٨.

بآيات من الغزل التقليدي بما لا علاقة له بما يقوله، مما يفقد الشعر الانسجام المطلوب. على أن مديحه، مثل بقية شعره، يتميز بسلامة الأسلوب وعذوبة الألفاظ التي يحلو وقعها في نفس السامع وأذنه لسهولة مآخذها ووضوح معانيها، وقلة استعمال البدیع والحسنات اللفظية.

والبحثري من الشعراء الذين تكتسبوا بالشعر، فكان يستلذ به عطايا الخلفاء وذوي الجاه والسلطة والثراء، بما يضيغي عليهم من الثعوت ما يليق بمراكزهم ولو أنها لا تنوفر فيهم، ولذلك خلعت بعض مدائحه من صدق العاطفة والتقدير. وكان مليثاً قد فاض كسبه من الشعر فكان يركب في مركب من عبده<sup>(٢١٣)</sup>.

عاصر البحثري ستة من خلفاء سامراء واتصل بهم ومدحهم، وقد عاد فهجا اثنين منهم، هما المستعين بالله والمتنصر بالله. وقد تضمنت مدائحه ذكر أحداث تاريخية مهمة وقعت في أيامه، كما خلد قصور سامراء التي عفى عليها الزمان.

ومن غرر مدائحه البحثري في المتوكل على الله قصيدته التي وصف بها خروجه إلى الصلاة يوم العيد، ويدأها بآيات في النسب، ومطلعها<sup>(٢١٤)</sup>:

أخفي هوئى لك في الضلوع وأظهر  
ثم يقول:

الله مكن للخليفة جعفر  
نعمى من الله اصطفاً بغضليها  
واسلم - أمير المؤمنين - ولا نزل  
عنت فواضلك البرية، فالتقى  
بالبر صحت وأنت أفضل صائم،  
فانعم بيوم الفطر عيناً إنه  
أظهرت جزأ الملك فيه بجحفل

\* \* \*

نور الهدى يبدو عليك ويظهر  
له لا يزهى ولا يكثر  
في وشيعه كفى إليك المنير  
نسبي عن الحق المبين ونحير  
من بهم، وبذمة لا تحفر  
وحنك بالفضل الذي لا ينكر  
وأجل قدراً في الصدور وأكر

ومدح المعتر بالله بعد أن استقرت له الخلافة بقصيدة منها<sup>(٢١٥)</sup>:

(٢١٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٨٥.

(٢١٤) أبو عبادة الوليد بن عبيد الله البحثري، ديوان البحثري، تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفي،

ج ٤، ذخائر العرب، ٣٤ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٣)، ج ٢، ص ١٠٧٠ - ١٠٧٣.

(٢١٥) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٠٨ - ١١١.

لَبِسْنَا مِنَ الْمُعْتَزِّ بِاللَّهِ بَعْمَةً  
أَقَامَ قَسَاةَ الدِّينِ بَعْدَ اعْوِجَاجِهَا  
أَخْرَجَ الْحَزْمَ قَدَ مَسَاسِ الْأُمُورِ، وَهَلَبَتْ  
وَمُعْتَصِمِي الْعِزِّمْ يَأْوِي بِرَأْسِهِ  
هِيَ السُّورَةُ نُزِّلَتْ بِغُرُورِ الشَّحَابِ  
وَأَوَّلَى عَلَى شُعْبِ الْعَدُوِّ الْمُشَاغِبِ  
بِصَبْرَتِهِ فِيهَا صُرُوفُ النُّوَابِ  
إِلَى سُنَنِ مِنْ تُحْكِمَاتِ التَّجَارِبِ

\* \* \*

وَلَوْلَا تَلَابُفُكَ الْخِلَافَةَ لَانْبَهَتْ  
فَمَا زِلْتِ حَتَّى أَذْعَنَ الشَّرْقُ غَنُوءَ  
جِيوشِ مَلَأَنِ الْأَرْضَ حَتَّى تَرُكْنَهَا  
سَنَدُودَ وَدَاهِ «الْكُوكِبِي» عِجَابَةً  
وَزَعَزَعْنَ «دَثْبَاوَنَهُ» مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ  
وَقَدْ أَقْبَنَ السُّفَارُ حَتَّى تَعْمَلَتْ  
فِعَاذَ حَسَامًا عَنْ زَلِيلِكَ ذُبُهْ

\* \* \*

ولأبي تمام عدد كبير من القصائد قالها في مدح الخلفاء وبعض رجال الدولة. وأبو تمام حبيب بن أوس الطائي المتوفى سنة ٢٣٦ شاعر مفكر حاد الذكاء، واسع العلم والثقافة، عالم بالشعر وأفانيه، ساعدته موهبته على أن يغدو «واحد عصره» في ديباجة لفظه، ونصاعة شعره، وحسن أسلوبه<sup>(٢١٦)</sup>. وقد جاء بمعاني وتراكيب غريبة مستخدماً الاستعارة والطباق والجناس، مما لا يفهم إلا بعد إجهاد الفكر، فعرّس فهم شعره. وصفه المزدوقي في مقدمة شرحه ديوان الحماسة بأنه «نانع في الإبداع إلى كل غاية، حامل في الاستعارات كل مشقة، فتوصل إلى الظفر بمطلوبه من الصنعة أين اعتصف وبماذا عثر، متغلغل إلى توغير اللفظ وتغنيز المعنى أن تأت له وقدره<sup>(٢١٧)</sup>».

اختص أبو تمام بالخليفة المعتصم بالله وابنه الواثق بالله ومدحهما بقصائد عديدة في مناسبات مختلفة. كما مدح عدداً من الوزراء والقادة والأعيان. وتعتبر قصيدته في مدح المعتصم بالله عندما غزا بلاد الروم وفتح عمورية، من غرر قصائد المدح، ومنها<sup>(٢١٨)</sup>:

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءَ مِنَ الْكُتُبِ  
يُبَيِّنُ الصَّفَائِحَ لَا سَوْدَ الصَّحَائِفِ فِي  
وَالْعِلْمُ فِي شُهُبِ الْأَرْوَاحِ لَا مَعْمَةُ  
أَيْنَ السُّرُوبِ بَلْ أَيْنَ السُّجُومِ وَمَا  
تُغْرِمُ وَأَحَادِيثُ مُلْفَقَةٌ  
عِجَابِيًّا زَعَمُوا الْأَيَّامَ مَجْفَلَةٌ  
وَيَخُوفُوا النَّاسَ مِنْ دَهِيَّةٍ مَظْلَمَةٍ  
فِي حُلْدِهِ الْحُدُ بَيْنَ الْجُدِّ وَاللَّعِبِ  
مُخَوِّبِينَ جَلَاءَ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ  
بَيْنَ الْخَمِينِينَ لَا فِي السَّبْعَةِ الشُّهُبِ  
صَانِعُوهُ مِنْ زُخْرُفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبِ  
لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إِذَا عُذْتُ وَلَا غُرْبِ  
عَيْنِي فِي صَفْرِ الْأَصْفَارِ أَوْ رَجَبِ  
إِذَا بَدَا الْكُوكِبُ الْغَرِيبُ ذُو الذَّنَبِ

(٢١٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ١، ص ٢٣٥.

(٢١٧) المزدوقي، شرح ديوان الحماسة، ص ٤.

(٢١٨) حبيب بن أوس أبو تمام، ديوان أبي تمام، تحقيق وتعليق محمد عبده عزام، ج ٤، ذخائر العرب ٥ (القاهرة: دار المعارف، [د.ت.])، ج ١، ص ٤٠ - ٧٤.



وصيروا الأبرج العليا مرتبة  
يقضرون بالأسر عنها وهي غافلة  
لو بيئت قط أمراً قبل موقعه  
فتح الفتوح تعالى أن يحيط به  
فتح تفتح أبواب السماء له  
يا يوم وقعت غمورية انصرفت  
أبقيت جد بني الإسلام في صعيد

\* \* \*

ما كان منقلباً أو غير منقلب  
ما دار في قلب منها وفي قسط  
لم تحب ما حل بالأوثان والصلب  
نظم من الشعر أو نثر من الحطب  
وتبرز الأرض في أنوارها القسط  
منك المني خفلاً معسولة الخلب  
والشركين ودار الشرك في صلب

تدبر المعتصم بالله منتقم  
\* \* \*

لله مرتقب، في الله مرتقب  
\* \* \*

لم يخر قوماً ولم يهز إلى بلد  
لوم يقد جفلاً يوم الوغى لقد  
رمى بك الله برجها فهزمها  
من بعد ما أشبهها واثقين بها  
لبيث صرنا زبطاً فرقت له  
اجننه معلناً بالسيف منضلاً  
خليفة الله جازى الله سعيك عن

إلا تقله جيش من الرعب  
من نفيه وخذهما في جفيل لجب  
وليو رمى بك غير الله لم يصب  
والله مفتاح باب المغفل الأسب  
كأس الكرى رضاب الخرد المرطب  
ولو أجب بغير السيف لم تحب  
جرثومة الدين والإسلام والحسب

وهي قصيدة طويلة عدد أبياتها ثيف وسبعون بيتاً، وقد منحه المعتصم بالله عن كل بيت ألف دينار<sup>(١٧٩)</sup>.

ومدح أبو تمام الخليفة الواصل بالله، ومن أولى قصائده في مدحه قصيدة هنا فيها بتوابع الخلافة، ورثى المعتصم بالله، منها<sup>(١٨٠)</sup>:

ما لدموع تروم كل مرام  
يا حفره المعصوم تريك مودع  
إن الصفائح منك قد نضدت على  
فئت المدابع أن لحذك حلة  
ومصرف الملك الجموح كأنه  
هذمت صرود الموت أرفع خائط

\* \* \*

والجفن تاكل مجة ومنام  
ماء الحياة وقائل الإعدام  
ملقى عظام لو علمت عظام  
سكن الزمان ومسك الأيام  
قد دُم مصفبه له بزمان  
ضربت دعائمه على الإسلام

ما دام هارون الخليفة فاهدى  
إنا زحلنا واثقين بوائق  
له أي حياة انبعثت لنا  
أودى بخير إمام اضطربت له

\* \* \*

في غبطة موصولة بدوام  
بالله شمس ضحى ويدو تمام  
يوم الخميس وبعد أي جمام  
شعب الرجال وقام خير إمام

(١٧٩) الذهب المسبوك، ص ٢٢١.

(١٨٠) أبو تمام، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٠٣ - ٢٠٩.

أكرم بيوهمم الذي ملكتهم  
لولا يكن بذعاً نصّبوا له  
قُبُيْتُ، أمير المؤمنين، قلوبهم  
شُرحت بدولتك الصدور وأصبحت

في صدره وبعابهم بمن عام  
بمعة يبين بها من الأعوام  
بين الحبة نيك والإعظام  
نُحِش العيون إليك وهي سوام

\*\*\*

ومن أجاد المديح من شعراء هذا القرن الشاعر الحسين بن الضحّاك المعروف بالشاعر الخليل. وهو أبو علي بن الضحّاك بن ياسر البصري المتوفى سنة ٢٥٠. وكان شاعراً مطبوعاً لا يتكلف في لفظ أو معنى، وإنما يقول الشعر على سجيته كلاماً طبيعياً أو أقرب إلى الطبيعي. ويميّز بالنغمة الموسيقية التي تطبع أغلب شعره وبخاصة ما كان يصنعه لكي يتغنى به المغنون في مجالس الخلفاء والأمراء. ومن جيد مدائحه ما قاله في الخليفة المعتصم بالله عندما استقدمه من البصرة إلى سامراء حاضرة الخلافة. فلما دخل عليه أول مرة استأذنه في الإنشاد فأذن له، فقال(١):

ملاً زحمت تلذد المشتاق  
إن الرقيب ليستريح تنفسي  
ولئن أربئت لقد نظرت بمقلة  
نفسي الفداء لحائب مشرق

ونننت قبل فراقه بشلاقي  
الصعدا إليك وظاهر الإقلاقي  
عزى عليك سخيبة الاماني  
جمل الدواغ إشارة بمعاني

\*\*\*

خير الوفود مشر بخلافه  
واقفه في الشهر الحرام سليمة  
أعطته صفقتها الضائر طاعة  
سكن الأنام إلى إمام سلامة  
فحسب رعيته ودافع دونه  
قل لللال صرفوا الوجوه عن الهدى  
إني أحذركم بواذر ضيغم  
متاقب لا يستفز جنانه

خضت بيهجتها أبا إسحاق  
من كل مشكل وكل شقاق  
قبل الأكف بأركد المشاق  
عف الضمير مهذب الأخلاق  
وأجاز تخلفها بمن الإملاني  
متعسفين تعسف المراني  
ذوب بخطم موائيل الأعناني  
زجل الرعود ولامع الأبراني

\*\*\*

حتى إذا أم الحصون منازل  
هرت بطارقها هزير تعالب  
ثم استكانت للحصار ملوكهم

والسوت بين ترائب وتراني  
بيدعت يزار قساو طراني  
ذلاً وناط خلوتهم بخناني

ولما تولى الواثق بالله الخلافة جلس للناس ودخل إليه المهثون والشعراء فمدحوه، ثم استأذن الحسين بن الضحّاك بعدهم في الإنشاد، فأذن له، فأنشد قصيدة جاء في آخرها قوله(٢):

(٢٢١) أشعار الحسين بن الضحّاك، جمعها وحققها عبد الستار أحمد فراج (بيروت: دار الثقافة،

١٩٦٠)، ص ٨٣ - ٨٥.

(٢٢٢) المصدر نفسه، ص ٩٦ - ٩٨.

يَضِيئُ الْفَضَاءُ بِهِ إِنْ عَدَا  
تَرَى النُّصْرَ يُقَدِّمُ رَايَاتِهِ  
وَفِي اللَّهِ دُخٌّ أَعْدَاءَهُ  
وَفِي اللَّهِ يَكْظُمُ مَنْ غِيْظُهُ  
رَأَى شَيْمَ الْجُودِ عَمُودَهُ  
فَرَّاحَ عِلٍّ «نَعَمْ» وَاعْتَدَى

\* \* \*

ولابن الرومي قصائد عديدة في المديح قال أكثرها تكسباً بالشعر وطلباً للعطايا، ولذا كان أغلبها جافاً تنقصه العاطفة الصادقة والشعور الدافق نحو المدوح. وكان ابن الرومي يعتبر مدحه كذباً إذا لم يُمنَح عليه ما يرضيه. وما أكثر ما عاد إلى هجاء من سبق أن مدحه لأنه لم يزل من عطايه شيئاً. وهو طويل النفس في مدحه، يطيل في القصيدة ويستطرد، ويتناول مواضع شتى فيتسبط في الشكوى من الزمان، والعتاب، والحكم. وقد يكرر بعض المعاني حتى يستوفي المعنى الذي يطلبه. وقد مدح الخليفة المتنضد بالله بعدد من القصائد، منها القصيدة التي يقول فيها<sup>(٢٢٢)</sup>:

نَحْمَدُ مِنْ عَمْدَيْنِ سَيْفَ مَهْمَدٍ  
شَهَابَ أَحَادِ الْبَدْرِ وَالشَّمْسِ نَجْمَهُ  
قَدْ اعْتَصَمَتْ سَالَهُ وَالْحَقُّ نَفْسَهُ  
فَلَا يَفْرَحُنَّ الشَّامِتُونَ فُلْمَا

\* \* \*

كَرِيمٌ يَطْلُ الْأَمْسَ يُعْمِلُ نَحْوَهُ  
يُورِدُ زَمَانَ يَنْقُضِي عَنْهُ أَنَّهُ  
تَوَاصَعَ إِذْ نَالَ الَّتِي لَبِسَ فَرَقَهَا

\* \* \*

رَأَيْتُ أَبَا الْعَاسِمِ إِذَا حَاضَ حَائِضُ  
نَدِيرٌ لَمَّا تَكُنْ بِهِ لَذِي النَّهْيِ  
لَكَ اسْمٌ وَجَدْنَاهُ سَجِيرَكَ وَاعْدُ  
عِدَاتُ لِمَنْ يَأْتِي السَّدَادُ، وَرَاهِمَا  
أَلَا نُلْحِفُ غَايَ، وَلَا يُجِئُ رَاشِدُ

ومدح الكاتب أحمد بن ثوابة بقصيدة طويلة تعتبر نموذجاً لقصائده الطوال في المديح، وقد تنقل فيها من شكوى إلى عتاب وحكم فمديح، وقد بلغت ثلاثة وسبعين ومئة بيت، وما جاء فيها قوله<sup>(٢٢٣)</sup>:

(٢٢٣) أبو الحسن علي بن العباس بن الرومي، ديوان ابن الرومي، تحقيق حسن نصار (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٧٤)، ج ٢، ص ٧٨٦ - ٧٨٨  
(٢٢٤) أبو الحسن علي بن العباس بن الرومي، ديوان ابن الرومي، شرح شريف سليم (القاهرة: مطبعة الهلال، ١٩١٧)، ج ١، ص ٢٥٥ - ٢٩٥.

أذا قنني الأسفار ما كرهه النسي  
فأصبححت في الإثراء أزهذ زاهدي  
حريصاً جباناً أشتهي ثم انتهي  
وقن زاح ذا حرص وتجبني فإنه  
ولما دعاني للمشورة سيء  
تتنازعني رغب ورهب كلاهما  
فقدمت رجلاً رغبة في رغبة  
أخاف على نفسي وأرجو مفازها  
ألا من يريني غايبي قبل مذهبي

\* \* \*

ألا ماجد الأخلاق حُرُّ فِعَالُهُ  
كمثل أبي العباس إن نوالُهُ  
يسير نحوي عُرْفُهُ فيزورني  
يسير إلى عتاجيه فيَجِرِدُهُ

\* \* \*

كأنني أراي قائلاً إن أعاني  
جزيت العلا من مُستغاث أجابني

\* \* \*

ونظم عبد الله بن المعتز في المديح عدداً من القصائد وكان أدبياً بليغاً وشاعراً مطبوعاً، وهو من أكثر الشعراء بديعاً، ويعتبر أول من جمع البديع وألف فيه كتاباً. توفي سنة ٢٩٦ مقتولاً بعد أن تولى الخلافة ليوم وليلة. ورغم أنه نظم الشعر في أغراض عديدة، إلا أنه لم يكن من المجلّين فيها إلا في الوصف والتشبيه، وفي قليل من قصائده في النسيب. ولذلك لم يبلغ مرتبة فحول عصره من الشعراء سواء في الفاظه أو معانيه. ويظهر أنه بحكم تربيته كان يقول الشعر ترفاً من غير تعمق في المعاني والأفكار. وأكثر مدائحه في الخليفة المعتضد بالله وابنه المكتفي بالله، وقد يكون ما قاله فيها أحسن شعره. من ذلك قوله يمدح المعتضد بالله وهو ابن عمه، ويصف قصر الثريا الذي شيّده<sup>(١٢٢)</sup>:

سلمت أسير المؤمنين على الدهر  
خلعت الثريا خير دار ومنزل  
فليس له فيما بنى الناس مثبته  
وما زال يرعاه الإمام برايه

ثم ينتقل إلى وصف القصر:

(٢٢٥) أبو العباس عبد الله بن المعتز، ديوان ابن المعتز، تحقيق محي الدين الخطيب (دمشق: المكتبة العربية، [د.ت.])، ص ١٣٨ - ١٣٩.

جَنَانُ وَأَشْجَارُ تَلَاقَتْ غُصُونُهَا  
تَرَى الطُّيْرَ فِي أَغْصَانٍ هَوَاتِنَا  
هَجَرَتْ سِوَاهَا كُلُّ دَارٍ عَرَفْنَاهَا  
وَبَنِيَانُ قَمَرٍ قَدْ عَلَتْ شِرْفَاتُهُ  
وَانْهَارُ مَاءٍ كَالسَّلَاسِلِ فَجَرَتْ  
وَمِيدَانُ وَحْشٍ تَرَكُّضُ الْحَيْلُ وَسَطُهُ  
ويعود إلى مدح الخليفة:

فَأَوْرَقْنَ بِالأَشْجَارِ وَالزُّوْقِ الْحُفَرُ  
تَنْقَلِبُ بَيْنَ وَكْرٍ لَهْزٍ إِلَى وَكْرٍ  
وَحُقُّ لَدَارٍ غَيْرِ دَارِكَ بِالْهَجَرِ  
كَصِفَتِ نِسَاءٍ قَدْ تَرُئِنُ فِي الْأُزْرِ  
لِتُرَضَّعَ أَوْلَادُ الرِّيَاحِينَ وَالزُّفَرِ  
فَيُؤْتَخَذُ مِنْهَا مَا يُشَاءُ عَلَى قَدَرٍ

حكمت بمعدل لم يزل الناس مثله  
ولا بآن أنكى من تشبیط حازم  
فكفل أناس يُشْهَرُونَ أَكْفُهُمْ  
ومدح ابن المعتز المكتفي بالله ببعض القصائد، منها قوله<sup>(١٢١)</sup>:

ودأبى بالرفي الجموح وبالقهـ  
ولا يورغ أوقى للنفوس من العمر  
دعاء له بالعز فيهم وبالنصر

يا حادي الألعسان أين تريبـ  
تسامت توذعني كنصبي ناعم  
فزعمت وجدي بالنفوس واليكـ  
بالكنفي كفى الأنام هونهم  
جاءوك يثشروهم إليك عبة  
ولطالما ظمئت إليك نفوسهم  
فانالان اعجبهم بملكك ذهرهم

إني بمن تحدد به لخميد  
غريبته كف الريح فهو يميـ  
ورأيت ماء المزين كيف يجرـ  
وغدا عليهم طالع مسمرـ  
طوعاً وسيفك عنهم مغمـ  
وطريق بابيك عنهم مسـ  
وحلا ولان الميث وهو شديد

\*\*\*

ولما رأوا أُنْدَ الحروب وفوقهم  
وقد انتفخوا هندية مصقولة  
انخفوا نداءتهم وعجل خيـ  
فناشد يدبك عل غنائ خلافة

شجر القنا ولما هن خديـ  
بيضا وجوه الموت فيها سوـ  
ضرب وطمن ليس عنه عيـ  
لك إرثها ويقاها الممدود

## (٢) المهجاء

يقول قدامة بن جعفر: لما كان المهجاء ضد المديح فيتنظر في أقسام المديح وأسماها، فيجري أمر المهجاء بحسبها في المراتب والدرجات، وأن يكون ضد المعنى الذي يدل عليه المديح. وكلما كثرت أضداد المديح في الشعر كان أهجى<sup>(١٢٢)</sup>. ويرى ابن رشيق أن أبلغ الهجو ما كان بمنزلة الهزل وما اعترض بين التصريح والتعريض، وأن القذف والإفحاش سباب محض ليس للشاعر فيه سوى إقامة الوزن، وأن أجود المهجاء ما سلب الإنسان فضائله النفسية، أما ما كان في الخلقة الجسمية من المعاييب فالهجاء به دون المطلوب<sup>(١٢٣)</sup>.

(١٢١) المصدر نفسه، ص ١٣٥ - ١٣٦.

(١٢٢) قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص ٩٨.

(١٢٣) الفيرواني، المعمد في بحاس الشعر وأدبه ونقده، ج ٢، ص ١٧١ - ١٧٤.

والهجاء من الأغراض الشعرية التي أكثر الشعراء فيه النظم فلا يكاد يخلو شعر أي شاعر منه. إلا أنهم يتفاوتون في أسلوبهم والفاظهم ودرجة غلوهم وقسوتهم في هجائهم. وهذا ينطبق على شعراء هذا القرن فكلهم قالوا شعراً في هذا الباب، ولكل منهم أسلوبه ونهجه في ذلك. ويمكن القول إن أغلب ما قالوه في الهجاء نهجاً فيه الأسلوب التقليدي القائم على الألفاظ الموجهة من الفحش والإقذاع في ما يتعلق بالخصائص الخلقية للمهجو مستهدين إهائته والطعن فيه.

وأبرز من يمثل هذا الاتجاه دَعْبِل الخزاعي، وقد اختلف في اسمه فقبل الحسن وقيل عبد الرحمن، ودعبل لقبٌ غلب عليه، وهو ابن علي بن رزين بن سليمان الخزاعي<sup>(١٣١)</sup>. وكان دَعْبِل هجاءً مقدعاً «بذي اللسان مولعاً بالهجو والخط من أقدار الناس، وهجا الخلفاء فمن دونهم»<sup>(١٣٢)</sup>. وقد استخدم موهبته الشعرية في هذا الغرض من الشعر، ويظهر أن هجاءه انعكاس لحب طبيعته وفساد طويته وكرهه للآخرين. ومن لاذع هجائه ما قاله عندما اختفى إبراهيم بن المهدي عن أنظار المأمون، إذ قال يهجو إبراهيم وكان قد تولى الخلافة ببغداد عندما كان المأمون لا يزال في خراسان<sup>(١٣٣)</sup>:

نَحْرُ ابْنِ شَكْلَةَ بِالعِرَاقِ وَأَهْلِهِ	نَهَفَا إِلَيْهِ كُلُّ أَطْلَسٍ مَالِكِي
إِنْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ مَضْطَلَعاً بِهَا	فَلْيَضْلَحْنِ مِنْ بَعْدِهِ بِخَوَارِقِي
وَلْيَتَصَلَحْنِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لِزُلْزَلِهِ	وَلْيَضْلَحْنِ مِنْ بَعْدِهِ بِالعِرَاقِ
أَنْ يَكُونَ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِكَائِنٍ	يُرْكُ الخِلَافَةَ فَاسْتَنْ عَنْ فَاسِقِي

ولما توفي المعتصم بالله وبويع الواصل بالله بالخلافة قال دَعْبِل<sup>(١٣٤)</sup>:

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا صَبْرٌ وَلَا جَلْدٌ	وَلَا عِزٌّ إِذَا أَهْلُ الْبِلَا رَقَدُوا
خَلِيفَةُ مَاتَ لَمْ يَحْزَنْ لَهُ أَحَدٌ	وَأَخْرُ قَامَ لَمْ يَفْرَحْ بِهِ أَحَدٌ
فَمَرُ هَذَا وَمَرُ الشُّؤْمِ يَتَّبَعُهُ	وَقَامَ هَذَا فَقَامَ الشُّؤْمُ وَالشُّكْدُ

ووعده أحد أصحابه وقد عاد من الحج أن يهدي له نعلًا، فأبطأ عليه، فكتب إليه دَعْبِل<sup>(١٣٥)</sup>:

وَعَلَيْتَ النِّعْلَ تَمَّ صَدَفَتْ عَنْهَا	كَأَنَّكَ تَشْتَهِي فُتَيْمًا وَقَدْفَا
فَإِنْ لَمْ تُهْدِ لِي نَعْلًا فَكُنْهَا	إِذَا أَعْجَمْتَ بَعْضَ الثُّرُونِ حُرْفَا

\* \* \*

- 
- (٢٢٩) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٨، ص ٣٨٣ و٣٨٥، وابن خلكان، وفیات الاعیان وأنباء الزمان، ج ٢، ص ٣٤.  
 (٢٣٠) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٦.  
 (٢٣١) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢١.  
 (٢٣٢) دَعْبِل بن علي الخزاعي، ديوان دَعْبِل بن علي الخزاعي، تحقيق عبد الصاحب عمران الدجيلي (النجف: مطبعة الآداب، ١٩٦٢)، ص ٩٣.  
 (٢٣٣) التحف والمدايا، ص ٢٢٣.  
 (٢٣٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٨، ص ٣٨٣ و٣٨٥، وابن خلكان، وفیات الاعیان وأنباء الزمان، ج ٢، ص ٣٤.  
 (٢٣٥) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٦.

كما اشتهر ابن الرومي وهو علي بن عباس بن جريج بقسوة هجائه. وجده رومي الأصل، إلا أن علياً نشأ ببغداد وتلقف ثقافة عربية إسلامية، وكان يتمتع بموهبة شعرية فائقة، وقد تميز على معاصريه من الشعراء بأنه كان أكثرهم اختراعاً للمعاني وبحثاً عنها ولا يستخدم من الألفاظ إلا ما كان سهلاً بسيطاً يفهمه القارئ والمستمع العادي. وهو يؤثر المعاني عليها، وعندما يقصر في موضوع ما يفرس على المعاني النادرة فيستخرجها من مكانها ويبرزها في أحسن صورة، ولا يترك المعنى حتى يستوفيه إلى آخره ولا يبقى فيه بقية<sup>(١٣١)</sup>. ويقول عنه ابن رشيق «وهو يؤثر المعنى على اللفظ فيطلب صحته ولا يبالي حيث وقع من هجنة اللفظ وخشونته»<sup>(١٣٢)</sup>.

وكانت «نظرة ابن الرومي إلى الأشياء ونظرتة إلى الطبيعة وتفكيره فيما يفكر فيه من المعاني، كل هذا يخالف المألوف عند الشعراء المتقدمين والمعاصرين إلا في شعر أبي تمام»<sup>(١٣٣)</sup>. أما قسوة هجائه فتعود إلى مزاجه العصبي؛ فكان سريع الغضب لما يحس من غبن أو انتقاص منه، فيقذف خصمه بحمم الشتم والإقذاع، أو يصوره بأبشع ما في خلقته من نواقص ومعائب. وقال يبرر هجوه الآخرين<sup>(١٣٤)</sup>:

سَمِلْتُ لِي: لَمْ ذَمْتُ كُلَّ الرِّبَايَا      وَهَجَوْتُ الْأَنَامَ هَجَوًّا قَبِيحًا  
قُلْتُ: حُبُّ أَنْفِي كَذِبَتْ عَلَيْهِم      لَأُرْوِي مِنْ يَسْتَحِقُّ الْمَدِيحَا

نبح ابن الرومي في هجائه أسلوبيين، أحدهما تقليدي يقوم على استخدام الشتم والفحش، وآخر تصويري واقعي يعتمد المزج والسخرية اللاذعة من المهجو بحيث يضحك القارئ أو المستمع منه. إذ يعتمد إلى إبراز ملامحه الخاصة ومعائب خلقه وخلقه، فيصوره بالصورة التي يريدها له. وهو هجاء فني ساخر كان ابن الرومي مبدعاً فيه ولم يسبقه إليه أحد من الشعراء، كما أنهم عجزوا عن مجاراته فيه، وقد ساعدته قدرته على الوصف والتشبيه في هجائه هذا، فرسم صوراً هزلية ساخرة تعجز ريشة أمهر الرسامين عن رسمها.

ومن شعره التقليدي في الهجاء قصيدة طويلة هجا بها الشاعر البحتري، شتمه فيها بأقذع الشُّبَاب وأفحشها، جاء في آخرها<sup>(١٣٥)</sup>:

يَا بَحْتَرِي لَقَدْ أَقْبَلْتُ مِنْقَلِبًا      أَمْسَيْتُ بِالسَّانِحِي وَجْهًا أُفِينُ بِهِ  
وَبُيْتُ عَصَمَتِي أَنْ أَرَى نَجْمًا      مِنْ بَاعَةِ الرُّوحَا بِالْتَمِيبِ  
مَا تُشْفِي قَرْبِكَ الْمَكْرُوهَ ذَا رَشِدٍ      يَا قَرِيبَةَ النَّطَلِ لَا قُدُسَ فِي الْقُرْبِ  
وَأَيُّ نَفْطٍ كَرِشِيعَ أَنْتَ رَائِحَةٌ      سَوَادَ لَوْنٍ وَنَشْنَأَ غَيْرَ مَكْتَسِبِ  
كَمْ قَاتِلٍ لَكَ، إِذَا مَشَتْكَ قَارِغَتِي      دَعِ السَّكُونُ فَهَذَا حَيْنٌ مُفْطَرِبِ

(١٣٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، ج ٣، ص ٤٣.

(١٣٥) القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، ج ١، ص ١٦٦.

(١٣٦) طه حسين، من حديث الشعر والنثر، ط ٢ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧١)، ص ١٣٧.

(١٣٧) ابن الرومي، ديوان ابن الرومي، تحقيق حسن نصار، ج ٢، ص ٥٦٩.

(١٣٨) المصدر نفسه، شرح شريف سليم، ج ١، ص ٤٢٦.

أصبحت تدعى شقي الأتقياء لها  
أبا عبادة فز ما كنت تنسجيه  
قد كنت تعرف مني في الرضا رجلاً  
تعرف فتي فيه طوراً مجتني ملح

وهجا سوار بن أبي شراة بقصيدة منها<sup>(٣١١)</sup>:

أرى العصفور يعمى بالبخاخ  
وقال الشعر يغرب فيه حتى  
ولم تجن المسامح منه معنى  
وعرض عرضه عمداً لشعري  
ولم يك غاسلاً ثرياً بنار  
تسامي الناس في تزج المعالي  
وأن بالسمو إلهي سفال

ومن هجائه الفتي الساخر، قال يهجو بخيالاً اسمه عيسى<sup>(٣١٢)</sup>:

يُفتّر عيسى على نفسه  
فلو يستطيع لتفتيره  
عذرناه أيام إهذابه  
ولم يهجو رجلاً ذا لحية طويلة عريضة<sup>(٣١٣)</sup>:

إن تطلّ لحيّة عليك وتعرض  
علّق الله في عذارك خلا  
لو غدا حكمتها إلى طلّات  
فالحال معروفة للحميم  
ولكنها بغير شيم  
في مهبّ الرياح كلّ نطير

\* \* \*

وجاء في شعر أبي تمام عددٌ من قصائد الهجاء، قال أغلبها في أشخاص معدودين يكرر هجاءهم. وهو في أكثر هجائه معتدل قليل الإفحاش، ويحاول إفحام خصمه لا شتمه، ويكاد أن يكون منطقياً في هجائه شأن شعره في الأغراض الأخرى. فقد هجا عتبة بن أبي عاصم بأبيات هي<sup>(٣١٤)</sup>:

اعتبئة اجبن الثقلين عثبة  
رُميت بمن لو ان الجن ترمي  
وأنت إن تساجلي عُذّي  
تجذّ صلاً نخال بكل عضو  
بجهلك صرت للمكروه نعبا  
بو لتنهتتها الإنس نهبا  
لرايك جندلاً ولغيفك ثربا  
له من شدّة الحركات قلبا

(٢٣٩) المصدر نفسه، تحقيق حسن نصار، ج ٢، ص ٥٧٨ - ٥٨٠.

(٢٤٠) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٤١ - ٦٤٢.

(٢٤١) الحائي، النقد الأدبي وأثره في الشعر العباسي، ص ١٦٧.

(٢٤٢) جيب بن أرس أبو تمام، ديوان أبي تمام، قلّم له عبد الحميد يونس وعبد الفتاح مصطفى

(مصر: مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، ١٩٤٢)، ص ٢٦٥ - ٢٦٦.



أخا القلوب قد أحيا وأدي  
فكاد بأن يزي للشرقي شرقاً  
وانت تدير قطب رحي علماً  
نرى ظفراً بكل صراع قرين  
نكبك قصائدي إن مر يوم  
وكننت إذ كنت فلن بشلي

وكاد بأن يرى للغرب غرباً  
ولم تر إلحاحي العليا قطباً  
إذا ما كنت أسفل منه كعباً  
ولما اقتصر فيه منك نجماً  
إذا ما كان مثلك كان كلباً

وقال بهجو يوسف السراج الشاعر المصري :

أيوسف جئت بالمعجب العجيب  
سمعت بكل داهية ناد  
أنا لو أن جهلك كان علماً  
فيا لك بالغريب يذ ولكن  
فلن نيش المفابر عن زهير  
مضى كانت قوافيه عيالاً  
فكيف ولم يزل للشعراء ماء  
أرى قلبك إنصافاً وضلاً

تركت الناس في أمر مريب  
ولم اسمع برّاج أديب  
إذا لنفقت في علم الغيوب  
تعاطيك الغريب من الغريب  
لصرح بالسويل وبالنجيب  
على تفسير بقرط الطيب  
يرث عليه ربحان القلوب  
وذبي فيك تكفير الذنوب

\* \* \*

وكان البحرّي كثير المدح، كثير الهجاء، إلا أن ما تركه من هجاء على قلته لم يكن من البلاغة والمعاني ما تميز به شعره في المديح والوصف، الأمر الذي يستتج منه أنه لم يكن حريصاً على هذا الغرض من الشعر. ولعل هذا يفسر قلة أبيات قصائده المجائية. وجاء هجاؤه تقليدياً عموماً ببديء الكلام، قاسي المعنى. فقد هجا الشاعر علي بن الجهم بهذه الأبيات<sup>(٢٤٦)</sup>:

يا ثقبلاً على القلوب إذا غن  
يا قذئ في العيون يا غلة بي  
يا طلوع السوء ما بين إلف  
يا ركوداً في يوم غيم وصيف  
يا ثقبلاً على القلوب إذا غن  
يا قذئ في العيون يا غلة بي  
يا طلوع السوء ما بين إلف  
يا ركوداً في يوم غيم وصيف

وقال بهجو ابن عمرو بن مسعدة<sup>(٢٤٧)</sup>:

قد لخمري آذنتنا  
باحاديثك التي  
فأحاديثك الطوا  
واحاديثك القصا

ياأبن عمرو بن مسعدة  
هي للثقل منقصة  
ل صخور منقصة  
ر قلال منقصة

وقال بهجو ابن بسطام<sup>(٢٤٨)</sup>:

(٢٤٣) البحرّي، ديوان البحرّي، ج ٢، ص ٧٩٨.  
(٢٤٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٨٢٧.  
(٢٤٥) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١١١٥.

بِهِ تَذَكُّرٌ قَدْ اكْمَلْتَ أَرْبَعَةً  
وَالْجِرْضُ مُتَمَهِّنٌ، وَالنَفْسُ سَاقِطَةٌ  
مَا هُنَّ فِي أَحَدٍ مِنْ سَائِرِ الْبَشَرِ  
وَالْوَجْهُ مِنْ سَقَنٍ، وَالْعَيْنُ مِنْ خَبَرٍ

### (٣) الرثاء

لا يرى قدامة بن جعفر بين المراثية والمُدحة فصلاً إلا أن يذكر في اللفظ ما يدل على أنه هالك، مثل: كان، وتوَلَّى، وقضى نحبه، وما أشبه ذلك، أي أن تأبين الميت ورثاءه إنما هو بمثل ما كان يُمدح به في حياته، وأن إصابة المعنى في الرثاء وتحقيق غرضه هي أن يجري الأمر فيه على سبيل المديح في استيعاب الفضائل الأربع التي سبق ذكرها<sup>(١٢٧)</sup>. ويرى القيرواني أن سبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجع، بين الحسرة، مخلوطاً بالتلهف والأسف والاستعظام، وبخاصة إن كان الميت ملكاً أو رئيساً كبيراً، وأن يكون مجعلاً كالمدح، فيقع موقعاً حسناً لطيفاً<sup>(١٢٨)</sup>.

وأبو تمام نوحاً مُدَاحَةً، كما وصفه البحتري، فهو يجمع في مراثيه بين المدح والرثاء، باعتبار أن الرثاء مدح الميت، فيضفي على المراثي من الأوصاف والمديح ويطنب في ذلك ويحتج له، إلى جانب ما يعبر عنه من ألمٍ غص وجسرة عميقة، ما يزيد في لهفته وعميق تفجعه، مما جعل شعره في هذا حياً خلد به من رثاهم، ومن جيد شعره في هذا الباب ما قاله في أخ له حضر وفاته، إذ يقول<sup>(١٢٩)</sup>:

صَدَّ الْبَيْلُ عَنْ بَقَايَا وَتَهَيَّءَ الْحَسَنُ  
إِلَّا حَكَمْتُ بِهِ لِلْحَدِّ وَالْكَفَنِ  
كَأَنَّ أَجْنَافَهُ سَكَّرَى بَيْنَ الْوَسَنِ  
بَذَّ النَّيَّةَ عَطَفَ الرِّيحِ لِلْغُصَنِ  
أَذْنِي فَلَا أَبْصُرْتُ غَيْبِي وَلَا أَذْنِي  
إِلَّا وَقَدْ خَلَّه جِزْءٌ بَيْنَ الْحَزَنِ  
مَنْ أَنْ أَعِيشَ سَقِيمَ الرُّوحِ وَالْبَيْدَنِ

إِنِّي أَطْلُ الْبَيْلَ لَوْ كَانَ يَفْهَمُهُ  
بَا يَتَوَقَّعُ لَمْ تَدْعَ حُسْنًا وَلَا أَدْبًا  
لِلَّهِ مَقْلَتُهُ وَالْمَوْتُ يَكْسِرُهَا  
يَرُدُّ أَنْفَاسَهُ كُرْهًا وَتَعْلِفُهَا  
يَا هَوْلَ مَا أَبْصُرْتُ غَيْبِي وَمَا سَمِعْتُ  
لَمْ يَسِقْ مِنْ بَيْدَتِي جِزْءٌ عَلِمْتُ بِهِ  
كَانَ السَّلَاحُ بِهِ أَمْنِي وَأَحْسَنُ بِي

ورثي القائد العربي خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني بقصيدة طويلة، منها قوله<sup>(١٣٠)</sup>:

فَتَى السُّرْبِ اخْتَضَّ رَيْحُ الْفَيْئَاءِ  
فَهَلَّا أَمِينُنَا بِسَهْمِ الْغِلَاءِ  
بِمَاءِ الْحَيَاةِ وَمَاءِ الْحَيَاءِ  
وَمَاذَا نَحْبَلَتْ لِأَهْلِ الْخَبَاءِ  
إِلَيْهِ نَعْمًا قَلِيلَ الْجَدَاءِ  
رَضِيْعَتِي لِبَانٍ خَلِيلِي صَفَاءِ

نَعْمَاتِي إِلَى كُلِّ حَيٍّ نَعَامَتِي  
أَجِينَا جَمِيعًا بِسَهْمِ النَّفَالِ  
أَلَا أَيُّهَا الْمَوْتُ فَجَعَلْنَا  
فَمَاذَا حَبَوْتُ بِهِ حَاضِرًا  
نَعْمَةً نَعْمًا شَفِيقَ النَّوَى  
وَكَانَا جَمِيعًا شَرِيكِي غَنَائِي

(٢٤٦) قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص ٩٨ - ١٠١.

(٢٤٧) القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، ج ٢، ص ١٤٧ - ١٥٠.

(٢٤٨) أبو تمام، ديوان أبي تمام، قدّم له عبد الحميد يونس وعبد الفتاح مصطفى، ص ٣٣٧ - ٣٣٨.

(٢٤٩) المصدر نفسه، ص ٣٠٣ - ٣٠٦.

عل خالد بن يزيد بن مزن  
ولا ترمين البكا سبة  
نقد كبر الرزة قدر الدموع  
نباطنه ملجأ للأسى  
نقى الملك الوائلي الذي  
نادى الندى ناضر العود والد  
واضحت عليه الغلا خضعاً

\* \* \*

غليلي عل خالد خالد  
فلنم مجزني الصبر عنه ولا  
تذكرت نظرة ذاك الزمان  
وزواره للعطايا حضور

\* \* \*

وكان البحرّي قليل الشعر في الرثاء، وقلنا رثى أحد بمدحيه بعد موته. وللقائد في ذلك تفسيرات مثبّنة. وتعتبر مراثيه للمتوكل على الله فريدة في هذا الباب ومن أجود ما قيل في معناها. وقد كان شهد مصرعه في مجلسه، جاء فيها<sup>(١)</sup>:

نخل عمل والقاطولة أنخلت دائره  
كان الضبا توني لندورا إذا انبرت  
زوب زمان ناعم - ثم - غمته  
تغير حشن والجعفرى، وأنسه  
لحمل عنه ساكنوه فجاءة  
إذا نحن ززناه أجد لنا الأمى  
ولم انتن ونحن القعتر إذ بينج بربيه  
وإذ ميسح فيه بالرحيل فهتكت

\* \* \*

صريح تقاضاه السيوف خشائنة  
أدالبح عنه باليدبين ولم يكن  
ولنو كان سني ساعة القتل في يدي  
خرام على السراخ نعدك أو أرى  
وغل أرجمي أن يطلب الدم واتر  
أكان ولي العهد امسمر غدوة؟  
لألمني الباقي تراث الذي مقي،  
ولا زان المشكوك فيه ولا نجا  
ليتم الدم المسفوح ليلة وجعفره

يحود بها الموت والموت حمر أظافره  
يئني الأعداي اعزل الليل حايرو  
ذرى القاتيل المجلان كيف أسأرو  
دما بدم يجرى على الأرض مائرو  
يد الدهر، والموتور بالدم وإترو؟  
فين عجب أن ولي العهد غادرو  
ولا تحلت ذاك الدماء منابرو  
من الثيف ناضي السيف غدرا وشايررو  
هرقتم، وتنجح الليل سود ديايررو

(٢٥١) البحرّي، ديوان البحرّي، ج ٢، ص ١٠٤٥ - ١٠٤٩.

كَانَكُمْ لَمْ تَعْلَمُوا مَنْ وَلِيُّهُ  
وَالِي الْأَرْجُو أَنْ تُرَدَّ أَمْرُكُمْ  
مُغْلِبَ آرَاءِ نَحْنُ أَنْتَ

وَنَاعِيهِ تَحْتَ الْمُرْغَفَاتِ وَتَأْيِزُهُ  
إِلَى خَلْفٍ مِنْ شَخْصِيهِ لَا يُغَادِرُهُ  
إِذَا الْأَخْرَقَ الْعُجْلَانِ حَيْفَتَ بَوَادِرُهُ

وللشاعر الحسين بن الضحّاك، على قلة شعره، عدة مراثٍ أجاد فيها، قالها بعد قتل  
الخليفة محمد الأمين، وكان من أقرب ندماه إليه . وروّاه فيه صادق العاطفة مليء بالوفاء  
والألم، فقد قال في إحدى مراثيه فيه<sup>(٢٥١)</sup>:

يَا خَيْرَ أَسْرَرْتِهِ وَإِنْ زَغَمُوا  
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ لِي كِبْدًا  
وَلَيْسَ شَجِيئٌ لِمَا رُزْتُ بِهِ  
خَلًّا بِقِيَّتٍ لَسْتُ نَاقِتِنَا  
لَقَدْ كَانَ بَيْنَكَ لَنْ تَغَى خَلْفُ  
لَا بَاتَ رَهْطُكَ بَعْدَ مَفْوَتِهِمْ

إِنِّي عَلَيْكَ لَمُنَّبِتٌ أَبِيفُ  
خَرَى عَلَيْكَ وَمُثْلُهُ تَكِيفُ  
إِلَى الْأَضِيرُ فَوْقَ مَا أَصِيفُ  
أَبْدًا وَكَأَنَّ لَغِيرَكَ الثَّلْثُ  
وَلَسَوْفَ يُعَوِّرُ بَيْنَكَ الْخَلْفُ  
إِلَى لِرَهْطِكَ بَيْنَهُمَا شَيْفُ

\* \* \*

مَلِكٌ نَحْنُ مَلِكُهُ قَدَرُ  
مَهْمَاتٍ بَيْنَكَ أَنْ يَدُومَ لَنَا  
لَا مَهْبُوبَا صُحُفًا مَثْرَلَةً  
أَقْبَنَتْ عَهْدَ اللَّهِ نَقْتَلُهُ  
فَسَتَمِرُونَ غَدًا بِعَاقِبَةٍ  
يَا مَنْ تَحْرُقُ نَرْمِهِ أَرْقُ  
قَدْ كُنْتُ لِي أَمَلًا غَنِيَتْ بِهِ  
مُرِجَ النُّظَامِ وَعَادَ مُنْكَرُنَا  
وَالشَّمْلُ مَنْتَرُ لِفَقْدِكَ وَالْذُنْبَا سَدَى وَالْبَابُ مُنْكَسِفُ

فَرَمَى وَصَرَفَ الدُّعْبُ مَخْلِفُ  
عِزٌّ وَأَنْ يَبْقَى لَنَا شَرَفُ  
لِلنَّادِرِينَ نَحْنُ الْجِلْدُ  
وَالْقَتْلُ بَعْدَ أَمَانِهِ سَرَفُ  
عِزُّ الْإِلَهِ لَأَوْدِدَا وَيَقْبُوا  
هَدَى الشَّجُونِ وَقَابِهِ نَفُ  
فَنَقْضِي وَحَلَّ عَمَلُهُ الْأَسَفُ  
عُرْفًا وَأَنْكَرَ بَعْدَهُ الشُّرْفُ  
وَالشَّمْلُ مَنْتَرُ لِفَقْدِكَ وَالْذُنْبَا سَدَى وَالْبَابُ مُنْكَسِفُ

\* \* \*

وَمَنْ أَحْسَنَ الشَّعْرَ فِي الرِّثَاءِ ابْنُ الرُّومِيِّ، وله عدد من القصائد الباكية، وقد رثى ابنه  
بأرق ما عبرت عنه عواطفه الملتاعة كاب فجع بابنه العزيز، فقال في قصيدة طويلة، منها<sup>(٢٥٢)</sup>:

بُكَاءُكُمْ يَشْفِي وَإِنْ كَانَ لَا يُشْفِي  
يُفِي الَّذِي أَمَدَّتْهُ كَفَايَ لَثَرِي  
أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الْمَنَابِيَا وَرَمَيْتُهَا  
تَوَخَّسِي جِهَامَ الْمَوْتِ أَوْسَطَ صَبِيحِي

لَجُودًا لَقَدْ أَوْدَى نَظِيرُكُمْ عِنْدِي  
لِيَا عِزَّةَ الْمَهْدَى وَيَا خَسْرَةَ الْمَهْدِي  
مِنْ الْقَوْمِ حَيَاتِ الْقُلُوبِ عَلَى غَمْدِ  
فَلَيْلَهُ كَيْفَ اخْتَارَ وَسْطَةَ الْمَجْدِ

\* \* \*

عَجِبْتُ لِقَلْبِي كَيْفَ لَمْ يَنْفَطِرْ لَهُ  
وَلَوْ أَنَّهُ أَقْبَى مِنَ الْحَجَرِ الصَّلْدِ

(٢٥١) أشعار الحسين بن الضحّاك، ص ٧٨ - ٨٠.

(٢٥٢) ابن الرومي، ديوان ابن الرومي، تحقيق حسن نصار، ج ٢، ص ٦٢٤ - ٦٢٧.

يسوءني أني كنت قد قُذمت قبله      وأن النايبا دونه صممت صمدي  
ولكن زبي شاء غير مشيئي      ولرب إمضاء المشيئة لا العبد

\* \* \*

أود إذا ما الموت أوقد مفسراً      إلى عسكر الأموات أني من الوعد  
ومن كان يستهدي حبيباً هدية      فطيف خيال منك في النوم استهدي  
عليك سلام الله مني تحية      ومن كل غيث صادق البرقي والرعد

#### (٤) النسيب

والنسيب كما يحده قدامة هو ذكر خلق النساء وأخلاقهن وتصرف أحوال الهوى به معهن، وهو يفرق بين النسيب والغزل. فالغزل هو المعنى الذي إذا اعتقده الإنسان في الصبوة إلى النساء نسب بهن من أجله. فكان النسيب ذكر الغزل الذي يتمثل بالصباي والاستهتار بمودات النساء. ويرى أن ما يميلهن إليه هو الشائيل الحلوة، والمعاطف الظرفية، والحركات اللطيفة، والكلام المستعذب، والمزاج المستغرب. ولهذا فإن النسيب الذي يتم به الوصول إلى الغرض هو ما كثرت فيه الأدلة على التهالك في الصباية، وتظاهرت فيه الشواهد على إفراط الوجد واللوعة<sup>(١٢٢)</sup>. ولذا كان مما يحتاج فيه أن تكون الألفاظ لطيفة مستعذبة مقبولة، فإذا ما كانت جاسية جافة كان ذلك عيباً في شعر النسيب<sup>(١٢٣)</sup>.

ويرى صاحب العمدة أن النسيب والغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد، وهو إلف النساء والتخلق بما يوافقهن، ويجب أن يكون حلو الألفاظ رسلها، قريب المعاني سهلها، وأن يختار له من الكلام ما كان ظاهر المعنى، شفاف الجوهر، يطرب الحزين ويستخف الرصين. ومن حُكم النسيب الذي يفتح به الشاعر كلامه أن يكون معزجاً بما بعده متصلاً به<sup>(١٢٤)</sup>.

ونظم شعراء هذا القرن في الغزل والنسيب إما كمقدمة لغرض شعري آخر، أو لغرض التشبيب ذاته. ويُعتبر البحري أرق الشعراء نسيباً وأملحهم طريقة فيه. ومن جيد غزله إذ يذكر حبيبته علوة قوله<sup>(١٢٥)</sup>:

رُدْتُ عِلِّيْ هَدِيَّةً لَوْ أَنَا      بَعَثْتُ إِلَيْ بِمِثْلِهَا لَمْ أَزِدْ  
وَتَقُولُ: إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ غَوَائِي      فَأَذْهَبُ لِشَائِكَ رَاشِدًا لَمْ تُطْرِدْ  
فَكَيْفَ الْأَذَى بِشَيْئِي وَتَهْلِي      فَيْكَ الْأَذَى بِشَيْئِي وَتَهْلِي  
فَالسَّيْرُ أَقْصَرُ بِاطْلِي، وَتَرَجَّجْتُ      نَفْسِي بِحُسْنِ قَضَائِي وَتَهْلِي  
نَبَذْتُ مُكَاتَبِي، وَرَدَّ رَسَائِلِي      وَتَبَدَّلْتُ مِصْبَاحَهَا فِي تَهْلِي  
إِنْ كَانَ سَفْكَ دَمِي بِغَيْرِ جَنَائِي      يَا وَعَلَوْ بِمَنْكَ عِبَادَةٌ فَتَعْبُدِي

\* \* \*

(٢٥٣) قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص ١٢٣.

(٢٥٤) المصدر نفسه، ص ١٩٢.

(٢٥٥) القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، ج ٢، ص ١١٦ - ١١٧.

(٢٥٦) البحري، ديوان البحري، ج ٢، ص ٧٦٢ - ٧٦٣.

قَدْ كَانَ يَتَّبِعُنِي ذَلِيلُ الْمَقْدُودِ  
وَالسَيْفُ يَنْتَهِي، وَتَنْتَهِي يَدِي

فَسَلِّ فُوَازَكَ كَيْفَ عَاصِي بَعْدَ مَا  
أَيَّامُ بَرِّصُدُنِي أَخَذُوكَ بِسَيْفِهِ،

وَمِنْ رَقِيقِ شَعْرِهِ فِي النَّسِيبِ قَوْلُهُ<sup>(٢٧٧)</sup>:

وَوَاجِهِي السِّفَاتُكِ بِالرَّعِيدِ  
وَأَوَّلُ نَظَرَةٍ كَانَتْ وَعِيدًا  
وَأَقْرَبُ مِنْ مُسَاعَدَةِ الْخُودِ؟  
فَنَازِلِي عِقَابِكَ مِنْ جَدِيدِ

أَمِنْ نَظَرِي إِلَيْكَ صَدَدَتْ عَنِّي  
فَنَاجِرُ نَظَرَةٍ كَانَتْ وَعِيدًا  
فَأَيُّ النَّظَرَتَيْنِ أَشَدُّ شُرْمًا  
وَمَا بَرَحَتْ ظُنُونُكَ فِي حَقِّ

وَقَوْلُهُ<sup>(٢٧٨)</sup>:

وَتَرَوْهُمْ الْوَاشُونَ أَلَيْ مُقْصِرُ  
وَيُرَوِّقُنِي وَرْدَ الْحُدُودِ الْأَحْمَرِ

إِنِّي وَإِنْ جَانَبْتُ بَعْضُ بَطَالَتِي  
لَيُسَوِّقُنِي بِخَرُّ الْعَيُونِ الْمَجْتَلِ

\*\*\*

وَمِنْ وَصَفِ بَجُودَةِ شَعْرِهِ فِي الْغَزْلِ الْحُسَيْنِ بْنِ الضَّحَّاكِ الَّذِي اعْتَبَرَهُ أَبُو نَوَاسٍ أَشْعَرَ  
أَهْلِ زَمَانِهِ فِي الْغَزْلِ<sup>(٢٧٩)</sup>. وَمِنْ جَيْدِ غَزَلِهِ قَوْلُهُ<sup>(٢٨٠)</sup>:

إِذَا زِدْتَهُ فِي الْعَذْرِ زَادَ تَنْقُصُهَا  
وَقَدْ عَلِمَ الْمَكْنُونُ مِنْهُ الْمَنْجُهَا  
وَأَنْتَظِرُ إِلَّا خَالَفَنِي مُتَرَقِّبًا  
عَلَّ بَغْيَةً أَنْ لَسْتُ بِالْغَيْبِ مُذْنِبًا  
مَنْ أَلْعَمُ قَدْ يُخْفِيهِ الْمَلُوحُ الْمَعْدُهَا؟

بِنَفْسِي حَبِيبٌ لَا يَمْلُ التَّعْتُّبَا  
بُطْلِيلُ ضِرَارِي بِامْتِحَانِ ضَبَابِي  
فَلَسْتُ أَسَاجِي غَيْرَهُ مَذْغَرَفُهُ  
أَيُّا مَنْ تَحَيَّ الذَّنْبُ أَعْلَمُ أَنَّهُ  
أَمَا لِحُضُوعِي مِنْ غُصْمِيرِكَ شَافِعُ

وَقَوْلُهُ<sup>(٢٨١)</sup>:

بِسَهْمِ الْهَوَى عَمِدًا وَمُسْوُوكَ فِي التَّمِيدِ  
مُعَقَّرِيَةَ الصَّدَغِينَ كَذَابَةُ الْوَعِيدِ  
وَقَدْ شَخَصَتْ عَنِّي، وَدَمَعِي عَلَى الْحَدِّ  
بَلْخُطْبَةٍ بَيْنَ التَّسَافِ وَالْجَهْدِ  
وَتَوْتُ إِذَا اقْتَرَحْتَ قَلْبَكَ بِالْبُعْدِ

زَمَنُكَ غَدَاةَ السَّبَبِ شَمْسٌ مِنَ الْخُلْدِ  
عُحْنَاءُ الْأَطْرَافِ رُوْدُ شُبَابِهَا  
أَقُولُ وَنَفْسِي بَيْنَ شَوْقِي وَزُفْرَةٍ  
أَجِيزِي عَمَلُ مَنْ قَدْ تَرَكَتْ فَوَازَهُ  
فَقَالَتْ: عَذَابُ بِالْهَوَى مَنَعَ قُرْبَكُمْ

وَقَوْلُهُ<sup>(٢٨٢)</sup>:

لَقَفْتُكَ بَيْنَ السَّعَالَيْنِ غَرِيبُ

كَأَنِّي إِذَا فَارَقْتُ شَخْصَكَ سَاعَةً

(٢٥٧) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٧٨٧.

(٢٥٨) القيرواني، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١١٩.

(٢٥٩) الأصبهاني، الأغاني، ج ٧، ص ١٧٤.

(٢٦٠) أشعار الحسين بن الضحّاك، ص ٣١، وأبو بكر محمد بن داود، الزهرة (بيروت: مطبعة الآباء

اليسوعيين، ١٩٣٢)، ص ١٤٥، مع اختلاف طفيف ببعض الألفاظ.

(٢٦١) أشعار الحسين بن الضحّاك، ص ٤٤، والأصبهاني، المصدر نفسه، ج ٧، ص ٢٠٩.

(٢٦٢) أشعار الحسين بن الضحّاك، ص ٢٦، وابن داود، المصدر نفسه، ص ١٦٦.

ضَمِيرُ عَلَيْهِ مِنْ هَوَاكَ رَقِيبٌ  
وَفِعْلُكَ بِمَا لَا أَحِبُّ قَرِيبٌ  
وَغَضِي عَلَى أَشْيَاءَ مِنْكَ تُرِيبٌ  
وَلَمْ يَكْ فِي السُّنْيَا سِوَاكَ حَبِيبٌ  
لَشُكْرَائِي مِنْ غَفْلَتِ الْحَبِيبِ نَصِيبٌ

وَقَدْ رَمَتْ أَسْبَابَ السُّلُوفِ خَانَتِي  
فَسَاءَ لِي إِلَى مَا تَشْتَهِي مَسَارِعُ  
أَعْرَضْتُ عَنْ ذُنُوبِ كَثِيرَةٍ  
كَأَن لَمْ يَكُنْ فِي النَّاسِ قَبْلِي مُتَمِّمٌ  
إِلَى اللَّهِ أَشْكُرُ إِذَا ذَكَرْتُ فَلَمْ يَكُنْ

ولابن الرومي غزل رقيق مشبوب العاطفة. ويظهر أن ما قاله في هذا الباب كان ردًّا فعل لحرمانه. وقد أبدع في عدد من القصائد الغزلية وبخاصة تلك التي تغزل بها في جارية اسمها وحيد. فمن قوله فيها<sup>(٣١٣)</sup>:

فَسَوَّادِي بِهَا مُعْنَى عَمِيدُ  
وَمِنْ الظُّبَيْرِ مُفْلَتَانِ وَجِيدُ  
فَتَيْنِ ذَاكَ السَّوَادِ وَالْعَوْرِيدُ  
فَرَقْتُ خَدَّ مَا شَانَهُ تَحْقِيدُ  
وَمَيِّ لِلْعَاشِقِينَ جَهْدُ جَهِيدُ

يَا خَلِيلِي تَيْمَنِي وَحِيدُ  
غَادَةُ زَانَا مِنَ النُّصَمِ قُدُ  
وَزَهَا مِنْ فَرْعِهَا مِنَ الْخُدُ  
أَوْقَدْ الْحَسَنُ نَارَهُ مِنْ وَحِيدِ  
فَهِيَ بَرْدُ بِخُدَّهَا وَسَلَامُ

\* \* \*

عَنْ وَحِيدٍ، فَحَقَّقَهَا التَّوْحِيدُ  
فَلَهَا فِي الْقُلُوبِ حُبٌّ وَحِيدُ  
ضَلَّ عَنْهُ التَّوْفِيقُ وَالتَّسْوِيدُ  
وَهُوَ الْمُسْتَرِيدُ الْمُسْتَرِيدُ

وَحَسَانٍ عَرْضَنَ لِي قُلْتُ: مَهْلُ  
حُسْنَهَا فِي الْعَيُونِ حُسْنٌ وَحِيدُ  
وَتَصَيِّحُ يَلُومُنَا فِي هَوَاهَا  
لَوْ رَأَى مَنْ يَلُومُ لَبِهِ لِأَضْحَى

\* \* \*

بِالرَّقَادِ النَّمِيبِ فَهُوَ طَرِيدُ  
بَيْنَ جَنَابِي وَالنَّمِيبِ شَرِيدُ  
نَشْتَهِيهِ، فَهَلْ لَهُ تَجْرِيدُ؟  
سَمِ الْخُرْيَا، فَهُوَ الْقَرِيبُ الْبَعِيدُ

ضَافَنِي حَبَّكَ الْغَرِيبُ فَالْوَرَى  
عَجَبًا لِي أَنَّ الْغَرِيبَ مَقِيمُ  
قَدْ مَلَبَّتُنَا مِنْ سَتْرِ شَيْءٍ مَلِيعِ  
هُوَ فِي الْقَلْبِ وَهُوَ أَبْعَدُ مِنْ نَجْدِ

وَمِنْ جَيِّدِ شَعْرِهِ فِي الْغَزْلِ<sup>(٣١٤)</sup>:

لَيْسَتْ عَلَيْكَ، وَإِنْ أَذْنَبْتُ، أَحْقَادُ  
وَإِنْ بَدَأَ مِنْكَ إِقْصَاءُ وَإِسَاءُ  
صَوْتًا يَغْنَى لِقَلْبِي فِيهِ إِقْصَاءُ  
وَالْقَلْبُ بَعْدَكَ لِلْأَحْزَانِ مَعْتَاءُ

قَلْبِي إِلَيْكَ وَإِنْ أَعْرَضْتُ، مَنَاقِدُ  
أَنْتَ الْحَيَاةُ فَأَنْتَ عَنْكَ مَنَاصِدُ  
أَحْبَبْتُ مَذَّ عِلْقَتِ نَفْسِي بِحَبِّكُمْ  
شَوْقِي إِلَيْكَ عَلَى الْآيَامِ يَزْدَادُ

\* \* \*

(٢٦٣) ابن الرومي، ديوان ابن الرومي، تحقيق حسن نصار، ج ٢، ص ٧٦٢ - ٧٦٥.  
(٢٦٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٩٧

ولابن المعتز بعض القصائد في الغزل، وأكثرها في حبيبته شرقة، ومن جميل قوله فيها<sup>(٣٧١)</sup>:

قف خليلي نسأل لشرقة دارا  
ألْبَسْتَنِي مُقْباً أُنَامُ وَمَسَارَتْ  
لِي حَبِيبٌ مَكْلُوبٌ بِالْأَمَانِي  
ضَاعَ شَوْقِي إِلَيْكَ لَو تَعْلَمِينَ  
وَيَسْأَلُنِي بِنَاتٍ نَعَشَ بِذِكْرَا  
وَسْؤَالِي عَنْ بِلْدَةٍ أَنْتَ فِيهَا  
مَا رَأَيْنَا شَبْهًا لَشُرْقَةٍ فِي النَّا  
وقال فيها أيضاً<sup>(٣٧٢)</sup>:

أغار عليك من قلبي إذا ما  
وطبفتي حين نبت فبات ليلاً  
وغثياً جاذباً ريعاً منك قفراً  
وَبَيْنَ عَيْنِ الرُّسُولِ وَمَنْ كَتَابُ  
وَبَيْنَ طَرَفِ الْقَضِيْبِ مِنَ الْأَرَاكِ  
ومن رقيق غزله قوله<sup>(٣٧٣)</sup>:

أبِ الْقَلْبِ الْإِحْبَابُ مَنْ هُوَ جَائِرٌ  
وَتَنْ هُوَ عَنِّي كُلَّمَا جِئْتَ مُعْرِضٌ  
فَكَيْفَ بِمَعشُوقِي يَجُبُّ وَيُسْتَهْزِئُ  
وَكَيْفَ يَرَانِي إِنْ بَدَأَ لِي مِنْهُ

\*\*\*

ولأبي تمام مقاطع شعرية قصيرة في النسيب، وهي على قلة عدد أبياتها نجح فيها الشاعر منهجه في عمق المعاني وقوة البيان مع وعورة اللفظ، فجاء غزله خالياً من الرقة واللطافة والعاطفة المشبوبة، مما يجب توفره في هذا النوع من الشعر. ولذلك لم يلقِ النسيب في شعر أبي تمام ما لقيه نسيب الشعراء البارزين الآخرين. يقول ابن رشيق انه ولم تكن له حلوة توجب له حسن التغزل، وإنما يقع له من ذلك التافه اليسير في خلال قصائده<sup>(٣٧٤)</sup>. وفي ما يلي بعض من القطع التي قالها في النسيب<sup>(٣٧٥)</sup>:

ويديعُ الجمال يضحكُ عن اضـ  
ما اجتلتته عينُ التَّجَمُّلِ إلّا  
وإني والبدرُ عندَ بدءِ الطلوعِ  
رجعت منه عن جمالٍ بديعِ

(٢٦٥) المصدر نفسه، شرح شريف سليم، ج ١، ص ٩٩.

(٢٦٦) المصدر نفسه، ج ١، ص ١١٢.

(٢٦٧) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٠٠.

(٢٦٨) القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، ج ٢، ص ١١٩.

(٢٦٩) أبو تمام، ديوان أبي تمام، قدم له عبد الحميد يونس وعبد الفتاح مصطفى، ص ٣٨٢.



كلما منظر رأيت من الحسد  
غير أن العيون تحيي بإيدي اللحن من وجنتيه زهر الريح

وقال (٢٧٠):

سقى الله من أموى على بُعد نايه  
أبى الله إلا أن كَلِفْتُ بحبّه  
وأفردت عيني بالدموع فأصبحت  
فإن بث من وَجَد به وصبايه  
وأعراضه عني وطول جنائيه  
فأصبحت فيه راضياً بقضائيه  
وقد غصّ فيها كل جفنٍ بمائه  
فكم من محب مات قبلي بدائيه

وقال (٢٧١):

يا جنوناً سواهر أُمّعتَها  
أيس منكِ الذما فقد نفذ  
بلي الجسم لكن الشوق حي  
إن لله في العباد مَنابا  
للفن النوم والرقاد جفون  
ليّن يلى وليس تبل الشجون  
سلطتها على القلوب العيون

## (٥) الوصف والتشبيه

الوصف، على رأي قدامة، هو ذكر الشيء كما هو عليه من الأحوال والهيئات. ولما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء المركبة من ضروب المعاني كان أحسنهم فيه من أتى في شعره بأكثر المعاني التي يتركب منها الموصوف، وبأظهرها حتى يحاكيه بشعره ويمثله للحسن بنعته (٢٧٢). أما التشبيه فهو، على رايه، إنما يقع بين شيئين فيها اشتراك في معاني يوصفان بها، وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منها بصفتهما، ولذا فإن أحسن التشبيه هو ما جمع بين الشيتين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها، بحيث يرقى بهما إلى حالة الاتحاد (٢٧٣). ويلاحظ أن التشبيه يُستخدم في شتى أغراض الشعر، وهو في الوصف والمديح وما يتفرع عنها أظهر وأوضح. وكلا الوصف والتشبيه أكثر استخداماً في أغراض الشعر الأخرى. وقد تفاوت الشعراء في استخدامهما لما يتطلبان من حسن مرهف وشعور عميق، ودقة في التمييز. ولهذا برع عدد قليل من الشعراء بهذا النوع من الشعر.

وعلى رأس الشعراء المجيدين للوصف والتشبيه أبو عباد البحتري الذي كان مجيداً فيها إجادته في المديح، ولكنه كان فيها أكثر دقة وأعمق تفصيلاً. وأكثر وصفه لوحات فنية بما يأتي به من ألفاظ عذبة سهلة ونعوت حلوة ترتاح إليها النفس، فيقف القارئ أمامها

(٢٧٠) المصدر نفسه، ص ٣٦٤.

(٢٧١) المصدر نفسه، ص ٣٩٣.

(٢٧٢) مقدمة في الشعر، ص ١١٨.

(٢٧٣) المصدر نفسه، ص ١٠٨.

مبهوراً. ومن روائع وصفه وتشبيهاته، وصف بركة المتوكل على الله وقصوره. فقد قال واصفاً البركة<sup>(٢٧١)</sup>:

والأنسات إذا لاحت مُغَنّانيها  
تُعَدُّ واحدة، والبُخَيْرُ ثانيها  
في الحسن طُوراً، وأطواراً تُباهيها  
من أن تُعاب، وبأنى المجد يُبنيها  
إبداعها فادقوا في معانيها  
قالت: هي الصُّرُحُ ثَمِيلًا وتشبيها  
كالخيل خارجة من خيل مجريها  
من السبائك تجري في مجاريها  
ليُحد ما بين قاصبيها ودانيها  
كالطير تُنفّس في جُرُخِوابيها  
إذا انحططن، ويهوى في أعاليها  
منهُ انزواءً بعينيه يُوازينا  
أن أسنه حين يدعى من أساميها  
ريش الطواويس تحكيه ويحكيها  
أحدهما بإذا الأخرى تُسابيها

يا مَنْ رأى البركة الحسناء رؤيتها  
يُحسبها أنها من فضل رُتَبِها  
ما بال دجلة كالغُيُرى تنافسها  
أما رأت كآلاء الاسلام يَكْلاها  
كان جُنَّ سليمان الذين رُكّوا  
فلو تمربوا ببلقيس عن عَرْض  
تُنحط فيها وفود الماء مُعجّلة  
كأنما الغضة البيضاء سائلة  
لا يُبلغ الشك الحصور غايته  
يُغتنم فيها بأوساط مُجنّحة  
لن صحن رحيب في أسافلها  
صور إلى صورة اللؤلئين يُؤنسها  
وزادها زينة من بعد زينتها  
عفوفة برياض لا تُزال تُرى  
وذُتَيْن كُثِل الشمرتين غدت

كما وصف بعض القصور التي شيدت بسامراء، ومنها قصر العُرد الذي يقول فيه<sup>(٢٧٢)</sup>:

والعُرد في اكناط دجلة مُنْزَلا  
قُلْتُ: الغمام أهل فيه فاستبلا  
أعجلن دولابيه أن يُتمهلأ  
حكك اللُجى حتى تالق وانجل  
ونياسراً، وسفلن عنه، واعتل  
ملكاً تدين له الملوك مُثْلا  
كليفاً بتصريف الرياح مُوَكِّلا  
يفعل المُقابل جال ثم استغلبا  
من أمره إلا عجباً مُجْذلا

أُخْبِن بدجلة مُنظراً وتُحْيما،  
خضيل الفناء متى وُجِلَّتْ تُرايه  
خشدت له الأمواج فضل دوافع  
كالكروكب اللُذري أخلص ضوئه  
رذلت جوابيه القباب مياينا  
فتخاله وتخالن إزاءه  
وعلى أعاليه رقيب ما يُني  
من حيث دارت دار يُطلب وجهها  
يُدْعُ لِيُدْع في السَّاحية ما ترى

\* \* \*

وتُكَيِّز ابن الرومي بدقة وصفه وتشبيهه، وقد اشتهر شعره فيها. وكان ذلك من آثار طبيعته الانزعاجية. فيعد أن هجر الناس وهجروه اتجه إلى الطبيعة فوصف مظاهرها وعجائبها، فشخصها بأن نفخ فيها الحياة ليستنطقها ويحاورها. فكان دقيقاً في وصفه، وهو يرى في الموصوف ما لا يراه غيره، فيحس ويشعر بما يصفه، ويضفي عليه حياة وحركة تقربه من القارئ أو السامع فيجعله يحس بما يقرأ وكأنه أمام لوحة رسمت بمهارة. وقد أحسن ابن

(٢٧٤) البحرى، ديوان البحرى، ج ٤، ص ٢٤١٤ - ٢٤٢١.

(٢٧٥) المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٦٥١ - ١٦٥٤.

الرومي استخدام التشبيه في وصفه. وهو يوصي بالاعتصام في الوصف لأن الإيمان فيه يؤدي إلى رد فعل معاكس لما يريده الشاعر فيقول<sup>(١٣٧)</sup>:

إذا ما وصفت امرأة لأمريء      فلا تغلُ في وصفه وأقصي  
فإنك إن تغلُ تغلُ الظنن      ن فيه إلى الغرض الأبعد  
فيضول من حيث فُحمت      لفضل الغيب على المثلهد  
ومن روائع شعر ابن الرومي في الوصف والتشبيه، ما قاله في وصف روضة<sup>(١٣٨)</sup>:

ومُرَنِّقَةُ الرِّوَادِ مَهْتَزَةُ الرُّبَا      يحسنها سارٍ وغايٍ ورائع  
تُوقِدُ فيها كُلَّما تَلَعُ الضُّحَى      مصايحُ تذكوحين غُيُومِ المصايح  
تُضَاجِكُ نُورَاتِهَا زَهْرَاتِهَا      لها أَرْجُ في نافعِ البطر نافع  
إذا مَدَّ المِهْمَرُ في صُغْدَائِهِ      إلى قلبه تُسَاخَتْ عليه الجُرَائِعُ  
وقال يصف امرأة<sup>(١٣٩)</sup>:

تُخَفِّفُ مُخَفَّلَةَ تَرَاهَا      كأن لم يَغْدُ يَصِفْهَا غِذَاءُ  
إذا الإغْيَابُ جُدَّدَ حَسَنٌ شِيءُ      مِنَ الأشياءِ جُدَّدَهَا اللِّقَاءُ  
لَهَا رِيْقٌ تَشْفُ لَهَا التُّنَايَا      وتروي عنه لامتة الظاء  
وَأَنْفَاسٌ كَأَنْفَاسِ الْخِرَازِي      قُبِّلَ الصَّبْحُ بِلُثْهَا السَّمَاءُ  
تَنْفُسُ نَهْرَهَا سَحَرًا لَجَاءَتْ      بِهِ سَحْرِيَّةُ الْمَرَى رُخَاءُ  
وقال يصف خيَّازاً<sup>(١٤٠)</sup>:

مَا أَنْتَ لَا أَنْتَ خِيَّازٌ مَرَّرْتُ بِهِ      يَذُوقُ الرُّفَاقَةَ وَشَكَّ اللُّثْعَ بِالْبَصْرِ  
مَا بَيْنَ رُؤْيَيْهَا فِي كَفِّهِ كَرَّةٌ      وَبَيْنَ رُؤْيَيْهَا زَهْرَاءُ كَالْقَنْزِ  
إِلَّا بِمَقْدَارِ مَا تَنْدَاحُ دَائِرَةٌ      فِي صَفْحَةِ الْمَاءِ يُرْمَى فِيهِ بِالْخَجَرِ

\* \* \*

ومن الشعراء الذين أجادوا الوصف وأبدعوا فيه الحسين بن الضحاک، حتى «كان أبو نواس يأخذ معانيه في الخمرة فيغير عليها. . . وله فيها معان في صفتها أبدع فيها وسبق إليها»<sup>(١٤١)</sup>. وذكر له أبو الفرج في كتابه الأغاني بعض مقطوعات من شعره في الوصف، منها قوله متغنياً بوصف جمال الطبيعة<sup>(١٤٢)</sup>:

الَسْتُ تَرَى الصَّبِيحَ قَدْ اسْفَرَا      وَتُبْتِكِرَ الْغَيْثُ قَدْ اسْفَرَا  
وَاسْفَرَتِ الْأَرْضُ عَنْ حُلَّةِ      تُضَاجِكُ بِالْأَحْمَرِ الْأَصْفَرَا

(٢٧٦) ابن الرومي، ديوان ابن الرومي، تحقيق حسن نصار، ج ٢، ص ٦٨٨.

(٢٧٧) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٢١.

(٢٧٨) المصدر نفسه، شرح شريف سليم، ج ١، ص ٨٢.

(٢٧٩) القيرواني، العملة في ع الحسن الشعر وأدبه ونقده، ج ٢، ص ٢٣٧.

(٢٨٠) الأصبهاني، الأغاني، ج ٧، ص ١٤٦.

(٢٨١) المصدر نفسه، ج ٧، ص ١٩٧، وأشعار الحسين بن الضحاک، ص ٦٥ - ٦٦.

وَأَفَاكُ نَيْسَانُ فِي وَرْدِهِ  
وَتَسْمَلُ كَاسِيْنَ فِي فَيْتِيَةِ  
يَحْتُ كُؤُوسَهُمْ مُخْطَفِ  
تَرْجُلُ بِالسَّبَانِ حَتَّى إِذَا  
وَفَضُّ فِي الْجَلَنَارِ الْبِهَا  
فَلَمَّا تَمَازَجَ مَا شُدُّرْتُ  
وقوله (٢٨٢):

وَصَفَ الْبَدْرُ حُسْنَ وَجْهِكَ حَتَّى  
وَإِذَا مَا تَنَفَّسَ التَّرْجِسُ النَّفْسُ تَزَمَّمَتْهُ نَسِيمُ شَذَاكَ  
وَإِخَالُ الَّذِي لَشُنَّتْ أَنْيْسِي وَجَلِيْسِي مَا بَاشَرْتَهُ يَدَاكَ  
فَلِذَا مَا لَثَمْتُ لَشَنَّتْ فِيهِ فَكَانِي يَدَاكَ قُبُلْتُ فَكَأَنَّكَ  
يَجْدُحُ إِلَيْنِي تُحَلِّلْنِي فِيكَ بِإِشْرَاقِي ذَا وَهَجَةٍ ذَاكَ  
لَا دَوْمُنُ يَا حَبِيبِي عَلَى التَّهْنِئَةِ لِهَذَا وَذَاكَ إِذْ حَكَاكَ

\* \* \*

ومن أحسن الوصف والتشبيه عبد الله بن المعتز، فقد أجاد في شعره الوصفي وأحسن التشبيهات فيه. وهو شغوف بهذا الفن «ويظهر أنه تفوق فيه على الشعراء، وهو فن الوصف المادي بنوع خاص، ووصف الأشياء المادية الجميلة التي تلائم هواه، وهو من أكثر الشعراء تشبيهاً ومن أبدعهم في هذا التشبيه» (٢٨٣). ومن جميل أوصافه قوله في وصف النجم في الليل، إذ يقول (٢٨٤):

وَالنَّجْمُ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمُ تَحَالُهُ  
وَالصَّبْحُ مِنْ تَحْتِ الظَّلَامِ كَأَنَّهُ  
وَقَالَ يَشْبُهُ الْهَلَالُ بِالْمَنْجَلِ (٢٨٥):

انْظُرْ إِلَى حُسْنِ الْهَلَالِ يَدَا  
كَمَنْجَلٍ صَبِيغٍ مِنْ نَضَةِ  
يَتَنَبَّكُ مِنْ أَنْوَارِهِ الْجَنِينِ مَا  
يَتَّصِدُ مِنْ زَهْرِ الدُّجَى تَرْجِسًا

وقال يصف بركة (٢٨٦):

وَبِرْكَةٍ تَزْهَوُ بِنَيْلُونِ  
عَاهُ يَنْظُرُ مِنْ مُقَلَّةٍ  
كَأَنَّ كُلَّ قَضِيبٍ لَهُ  
الْوَانَةُ بِالْحَسَنِ مُنْعُوْتَةٌ  
شَاخِصَةٌ الْأَجْفَانِ مَبْهُوتَةٌ  
يَجْبُلُ فِي أَعْلَاهُ بِأَقْوَتَةٍ

- (٢٨٢) أشعار الحسين بن الضحَّاك، ص ٨٨ - ٨٩، والأصبهاني، المصدر نفسه، ج ٧، ص ١٦٩.  
(٢٨٣) حسين، من حديث الشعر والنثر، ص ١٥٩.  
(٢٨٤) ابن المعتز، ديوان ابن المعتز، ص ٣٠٠.  
(٢٨٥) المصدر نفسه، ص ٣٢٠.  
(٢٨٦) المصدر نفسه، ص ٣٠٤.

الفصل السّابع  
التاريخ والجغرافيا



## أولاً: علم التاريخ

### ١ - نشوء التاريخ عند العرب

نشأ علم التاريخ عند العرب في أحضان علم الحديث. فقد كانت إلى جانب السيرة النبوية وحواشيها روايات أخرى كثيرة عن أخبار الأمم الماضية، والعرب قبل الإسلام، وأحداث صدر الإسلام، ولا سيما ما يتعلق منها بالفتوح، وقد أطلق على تلك الروايات اسم الأخبار وسمي روايتها الأخباريين. ومن الملاحظ أن الأخباريين كانوا لغويين، وكان بعضهم من رواة الحديث، وكان من الطبيعي أن يتأثر هؤلاء في جمع الأخبار ونقدها وروايتها بطرق رجال الحديث واللغة، وذلك بإسنادها إلى مصادرها الأصلية بعد التثبت من سلسلة روايتها وعدلتهم، أي صدقهم في رواياتهم. فاهتموا بنقد الرواة وتقصى عدلتهم، فلا يرضون خبراً ما لم يتأكدوا من صحة سنده بأن يكون روايته قد شهد الخبر عند حدوده وتعرّف عليه معرفة مباشرة، أو أنه سمعه من آخرين ممن يثق بهم. ومتى ما كان هذا الراوي أو السند موثقاً به كان ذلك ضماناً لصحة روايته. لأن من يثبت صدقه يعتبر ثقة أميناً لا يقول غير الصدق. ومن الطبيعي أن تزداد قوة مثل هذا السند كلما كان قريباً من زمن وقوع الحادث الذي ينقل خبره. وقد بلغت دقة الضبط في السند أنه كان يعنى بوقت وقوع الحادث ليس بالسنين والشهور بل بالأيام أيضاً. ولهذا كان جمع أخبار السيرة النبوية أولى خطوات تدوين التاريخ عند العرب.

وقد كانت ثمة عوامل استدعت الاهتمام بجمع تلك الأخبار وتدقيقها وتدوينها. فقد اشتدت الرغبة في التعرف إلى أحوال الأمم الماضية التي ورد ذكرها في الكتاب والسنة، واحتاجت الدولة إلى معرفة ما فتح من البلدان عنوة أو صلحاً لغرض فرض الخراج والجزية،

لأن لكل من الحالتين حكماً خاصاً. هذا بالإضافة إلى ما تنطوي عليه تلك الفتوحات من أخبار كانت موضع فخر العرب والمسلمين واعتزازهم وتقديرهم. وكذلك معرفة الأنساب لعلاقتها بتقدير العطاء للجند وغيرهم. ويمكن القول إن اهتمام العرب الموروث بمعرفة أنسابهم وأيامهم كان في جلة تلك العوامل أيضاً. وكما اهتم الخلفاء والولاة بالتعرف إلى أخبار الملوك الماضين وطرقهم في سياسة الرعية وإدارة الحروب، اهتموا كذلك بتدوين أخبارهم وفتوحاتهم. كما كان هناك عامل روحي للاهتمام بتدوين التاريخ، ذلك «أن المذاهب الإسلامية كلها أجمعت على أن تجلّ الوحي الإلهي يرتبط بالأمّة الإسلامية، ولذا صارت دراسة أحوال هذه الأمّة وتاريخها ضرورة لتكملة دراسة الوحي الإلهي في القرآن الكريم والحديث النبوي، ومن ثمّ صار تدوين التاريخ الإسلامي جزءاً لا يتجزأ من الثقافة الإسلامية»<sup>(١)</sup>.

لقد أخذ الاخباريون يستقلون عن المحدثين حينما اكتفوا برواية الأخبار. كما أخذ كل منهم يهتم بجمع أخبار قطر معين. يقول ابن النديم «قالت العلماء: أبو غنف - لوط بن يحيى - بأمر العراق وأخبار فتوحها يزيد على غيره، والمدائني - علي بن محمد - بأمر خراسان والمند وقارس، والواقدي - محمد بن عمر - بالحجاز والسيرة، وقد اشتركوا في فتح الشام»<sup>(٢)</sup>.

وظل التاريخ العربي حتى نهاية القرن الثاني يقتصر على أخبار الأمم الماضية ومنها العرب قبل الإسلام، والسيرة النبوية، وأحداث صدر الإسلام، إلا أنه اتسم في القرن الثالث بالزيادة الواسعة في المادة التاريخية من حيث زمانها ومكانها، وبدقة التحري عن صحتها ووثوقها. كما أصبحت مصادر المؤرخ عن تاريخ هذا القرن أكثر دقة وضبطاً لأنها تستمد مادتها من سجلات دواوين الدولة المختلفة التي كان يرأسها عادة الأدباء والكتّاب المتميزون بسعة اطلاعهم وتنوع دراساتهم، وهو ما يجعل لمذوناتهم الديوانية أهمية كبيرة في هذا الباب. كما ساعدت أسفار طلاب العلم وتنقلهم بين مختلف أقاليم الدولة العربية على التعرف إلى أماكن الأحداث وحصولهم على كثير من الأخبار عن شهادتها مباشرة أو سماع عنها. أما عن تأثير حركة الترجمة التي ازدهرت في هذا القرن فلا ينكر أنها زودت المؤرخين العرب بمعلومات وأخبار عن الأمم السالفة وبخاصة ما يتعلق بالناحية الحضارية لها. ويظهر تأثير ذلك واضحاً في ما كتبه اليعقوبي في تاريخه عن علوم أمة اليونان ومعارفها.

## ٢ - طليعة المؤرخين (الرواة الاخباريون ومصنفاتهم)

كان بعض الرواة الاخباريين من علماء اللغة والأخبار قد حاولوا في خلال هذا القرن أن يجمعوا الروايات والأخبار وما سبق أن كتب عن سيرة الرسول ﷺ، وما يتصل بالأنساب، والفتوح، ويدونها في سياق تاريخي متصل، فكانوا بحق طليعة المؤرخين، لما كان لمصنفاتهم

(١) هاملتون الكسندر روسكن غب، دراسات في حضارة الإسلام، تحرير شنافورد شو ووليم بولك، ترجمة إحسان عباس، محمد يوسف نجم ومحمود زايد (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٤)، ص ١٥٣.  
(٢) أبو الفرج محمد بن إسحق بن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٢٠)، ص ١٤٣.



من تأثير مهم في تطور علم التاريخ وتدوينه عند العرب. وكان أبرز هؤلاء الهيثم بن عدي، وأبو الحسن المدائني، وابن سعد، وخليفة بن خياط، والزبير بن بكار، وعمر بن شبة، وابن قتيبة. وفي ما يأتي لمحة موجزة عن كل منهم وما صنّفه من الكتب، وتأثيره في حركة تدوين التاريخ. وسنرى أنهم، رغم اختلافهم في الطريقة والأسلوب، قد وضعوا الأسس المهمة لتدوين التاريخ.

## أ - الهيثم بن عدي

أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن بن زيد الطائي الكوفي، عالم بالشعر والأنساب والأخبار، وكان رواية أخباراً نقل كثيراً من كلام العرب وأشعارها<sup>(١)</sup>. وقد عدّه ابن قتيبة في النسابين وأصحاب الأخبار<sup>(٢)</sup>. كانت ولادته بالكوفة سنة ١٣٠ ووفاته بقم الصلح غرة المحرم سنة ٢٠٧ أو ٢٠٩<sup>(٣)</sup>. قال عنه الجاحظ «كان هشام بن الكلبي علامة نسابه رواية للمثالب، فإذا رأى الهيثم بن عدي ذاب كما يذوب الرصاص»<sup>(٤)</sup>، ويستدل من هذا أن الهيثم لم يكن يباريه أحد في علمه ومعرفته بالأنساب.

كان الهيثم من كثرت تصانيفه وتعدّدت كتبه، وقد ذكر له ابن النديم ما ينيف على خمسين كتاباً في السير والأخبار والمناقب والمثالب ومواضيع تاريخية مختلفة، منها: تاريخ الأشراف الكبير، وتاريخ الأشراف الصغير، وطبقات الفقهاء والمحدثين، وكتاب التاريخ مرتب على السنين<sup>(٥)</sup>. وكانت كتبه من أهم المصادر التي استفاد منها المؤرخون الذين جاءوا بعده.

## ب - المدائني

أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني، ولد بالبصرة، وبها كانت نشأته ودراسته، وسكن المدائن مدة فنسب إليها، ثم انتقل إلى بغداد ولم يزل بها إلى حين

(٣) شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق محمد عبي الدين عبد الحميد، ج ٦ (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٥٠)، ج ٥، ص ١٥٧، وشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرمي الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمجمع الأدباء أو طبقات الأدباء، تحقيق د. ص. مرجليوث، ط ٢، ج ٩ (القاهرة: مطبعة هندية، ١٩٢٣-١٩٢٦)، ج ٧، ص ٣٦٥.

(٤) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، المعارف، حققه وقدم له ثروت عكاشة (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٠)، ص ٥٢٨.

(٥) المصدر نفسه، ص ٥٣٩؛ ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ١٥١؛ ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٦٤، وياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٧، ص ٢٦١ و٢٦٥.

(٦) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٧، ص ٢٦٢.

(٧) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ١٥١-١٥٢.

وفاته في سنة ٢٢٥، وكان من ثقات الرواة الأخباريين لا تحتاج روايته إلى سند<sup>(٨)</sup>. ويعتبر أشهر الرواة وأوثقهم معرفة بشعر العرب وأخبارهم وأنسابهم وأيامهم، وبسيرة النبي ﷺ، وبأخبار الغزوات والفتوح وبخاصة فتوح بلاد فارس والهند<sup>(٩)</sup>.

وللمدائني عدد كبير من المصنفات، ذكر ابن النديم منها ما ينيف على مئتي كتاب في مختلف البحوث والمواضيع التاريخية، وقد صنفها بحسب مواضيعها، في أخبار النبي ﷺ وأخبار قريش، وأخبار الخلفاء، وفي الأحداث، وفي الفتوح، وفي أخبار العرب، وفي أخبار الشعراء، وفي مواضيع متفرقة أخرى. ونقلها عنه ياقوت الحموي<sup>(١٠)</sup>. يقول أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب النحوي: من أراد أخبار الإسلام فعليه بكتب المدائني<sup>(١١)</sup>. ويقول أبو المحاسن: إنه كان عالماً حافظاً ثقة، وهو صاحب التاريخ، وتاريخه أحسن التواريخ، وعنه أخذ الناس تواريخهم<sup>(١٢)</sup>.

وبالنظر إلى كثرة تصانيف المدائني ومؤلفاته التاريخية، وكثرة ما نقل وروى عنه العديد من المؤرخين والأدباء كالجلاظ، وأبي الفرج الأصبهاني، وأبي حيان التوحيدي، والبلاذري، وابن قتيبة وغيرهم، يصح أن يسمى «أبا المؤرخين العرب».

### ج - ابن سعد

أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري، المؤرخ المحدث، كتب للواقدي وصحبه زماناً وروى عنه، وكان ممن اجتمعت كتبه عنده، وكان كثير العلم غزير الحديث والرواية<sup>(١٣)</sup>. وقد وصف بأنه من أهل العدالة وحديثه يدل على صدقه، وأنه يتحرى في كثير من رواياته، وأنه كان مستوراً عالماً بأخبار الصحابة والتابعين<sup>(١٤)</sup>. وكان في جملة الفقهاء والمحدثين الذين أشخصهم إسحاق بن إبراهيم صاحب شرطة بغداد إلى الرقة لمقابلة الخليفة المأمون، وقد أجاب ابن سعد بالقول بأن القرآن مخلوق<sup>(١٥)</sup>.

---

(٨) أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ١٤ ج (بهرت: دار الكتاب العربي، [د.ت.]), ج ١٢، ص ٥٤، وياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٣٠٩.  
(٩) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ١٢، ص ٥٥، وابن النديم، المصدر نفسه، ص ١٤٣.  
(١٠) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ١٥٣ - ١٥٨، وياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٣١٢ - ٣١٨.

(١١) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ١٢، ص ٥٥.  
(١٢) جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تشرني بردي، التيجون الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، [د.ت.]), ج ٢، ص ٢٥٩.  
(١٣) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٣٢١، وابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٣، ص ٤٧٣.  
(١٤) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ١٥١، والخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٣٢١.  
(١٥) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ذخائر العرب: ٣٠ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٠ - ١٩٦٨)، ج ٨، ص ٦٣٤.

كان ابن سعد عالماً حسن التصانيف نقل وروى عنه كثيرون<sup>(١٦٦)</sup>. وقد صنف عدداً من الكتب أشهرها كتاب طبقات الصحابة والتابعين والخلفاء إلى وقته، ويعرف بـطبقات ابن سعد أو الطبقات الكبرى. وهو يتضمن السيرة النبوية، والمغازي، والمهاجرين، والبدريين، والأنصار، والصحابة والتابعين، وقد رتبته بحسب الأمصار، ويقع في خمس عشرة مجلدة<sup>(١٦٧)</sup>. وله أيضاً كتاب الطبقات الصغرى، وكتاب أخبار النبي ﷺ<sup>(١٦٨)</sup>.

توفي ابن سعد ببغداد يوم الأحد لأربع خلون من جمادى الآخرة سنة ٢٣٠ ودفن في مقبرة باب الشام<sup>(١٦٩)</sup>.

## د - خليفة بن خياط

أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الشيباني البصري، ويلقب بالعُصْفَرِي، فقيه محدث، ومؤرخ نسابة، سمع الحديث ورواه، وكان موثق الرواية صادقاً، روى عنه محمد بن أسحاق البخاري والإمام أحمد بن حنبل<sup>(١٧٠)</sup>. وله من المؤلفات كتاب التاريخ المسمى باسمه في عشرة أجزاء<sup>(١٧١)</sup>، وقد رتبته على الطريقة الحولية. وذكر له صاحب هدية العارفين كتاب تاريخ الزُّمَيِّ والمُرجان والمرضى والعميان، وطبقات الرواة، وطبقات القراء<sup>(١٧٢)</sup>.

وقد اختلف في سنة وفاة ابن خياط بين سنتي ٢٣٠ و٢٤٦، إلا أن المسعودي يقول إنه توفي سنة ٢٤٠ وهذا ما ثبته قاموس الأعلام<sup>(١٧٣)</sup>.

- 
- (١٦٦) ابن تقي بريدي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٢، ص ٢٥٨.  
 (١٦٧) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٣، ص ٤٧٣، ويوسف إليان سركيس، معجم المطبوعات العربية والمعربة: وهو شامل لأسماء الكتب المطبوعة في الأقطار الشرقية والغربية مع ذكر أسماء مؤلفيها ولغة من ترجمتهم وذلك من يوم ظهور الطباعة إلى نهاية السنة الهجرية ١٣٣٩ الموافقة لسنة ١٩١٩ الميلادية (القاهرة: مطبعة سركيس، ١٩٢٨)، ج ١، ص ١١٦.  
 (١٦٨) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٧٣، وابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ١٥١.  
 (١٦٩) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ١٥١، ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٧٣، والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٥، ص ٣٢٢.  
 (١٧٠) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٤.  
 (١٧١) خير الدين الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط ٢، ١٠ ج في ٥ (القاهرة: مطبعة كونستانتينوس، ١٩٥٤ - ١٩٥٥)، ج ٢، ص ٣٦١.  
 (١٧٢) أسحاق بن محمد أمين البغدادي، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ٢ (استانبول: وكالة المعارف العامة، ١٩٥٤)، ج ١، ص ٣٥٠.  
 (١٧٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٢، ص ١٤، أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد عبيد الدين عبد الحميد، ط ٥ (دمشق: د. ن. د.)، ج ٢، ص ٣٩٧، وجاء اسمه فيه هياج بن خياط، والزركلي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٦١.

## هـ - الزبير بن بكار

أبو بكر الزبير بن بكار بن عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، من أعيان علماء المدينة المنورة، سمع الحديث على ابن عيينة ومن في طبقة، وروى عنه ابن ماجه وابن أبي الدنيا، وكان ثقة ثباتاً وعالمًا بالأنساب عارفاً بأخبار المتقدمين، وقد وُي القضاة بمكة، وورد بغداد أكثر من مرة وحُدث بها<sup>(١١١)</sup>. روى الخطيب البغدادي خبراً عن الزبير يدل على انصرافه إلى الدرس والمطالعة أغلب وقته، قال: قالت ابنة لأخي لأهلنا: خالي خير رجل لأهله لا يتخذ ضرة ولا يشتري جارية، فقالت المرأة: والله لهذه الكتب أشد علي من ثلاث ضرائر<sup>(١١٢)</sup>.

وللزبير بن بكار مصنفات عديدة في الأنساب والأخبار، منها: كتاب نسب قریش واختبارها وقد جمع فيها شيئاً كثيراً، وعليه اعتياد الناس في معرفة نسب القرشيين، وكتاب اخبار العرب وأيامها، وكتاب الموفقيات في الأخبار، وهو مجموع من الأخبار والنوادر التاريخية ألّفه للموفق أخى الخليفة المعتمد على الله، وغيرها من المصنفات التي تدل على سعة اطلاعه ومعرفته بالأخبار<sup>(١١٣)</sup>، وكان ابن بكار من مؤيدي الموفق لما كان صغيراً.

توفي ابن بكار بمكة وهو على قضائها، ليلة الأحد لتسع ليال بقين من ذي القعدة سنة ٢٥٦، ويقول ابن النديم إنه سقط من سطح له فانكسرت ترقوته ووركه فكان ذلك سبب موته<sup>(١١٤)</sup>.

## و - عمر بن شبة

أبو زيد عمر بن شبة بن عبيد بن ربيعة النميري البصري، وشبة لقب غلب على أبيه واسمه زيد. كان أديباً فقيهاً محدثاً صادق اللهجة، وراويّة للأخبار عالماً بالأثار، ولّد ونشأ بالبصرة ثم انتقل إلى سامراء وسكن فيها وبها كانت وفاته في يوم الاثنين لست بقين من جمادى الآخرة سنة ٢٦٢ وقد عمّر طويلاً<sup>(١١٥)</sup>. وقد صنف عدداً كبيراً من الكتب التاريخية

---

(٢٤) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ١٦٦ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٨، ص ٤٦٧، وابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٨.

(٢٥) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٨، ص ٤٧١.

(٢٦) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ١٦٦، والبغدادي، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ١، ص ٣٧٢.

(٢٧) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ١٦٧؛ الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج ٨، ص ٤٧١، وابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٢، ص ٦٩.

(٢٨) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ١٦٩؛ ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأديباء أو طبقات الأديباء، ج ٦، ص ٤٨، وابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٣، ص ١١٤، وفيه: عبيد الله بن ربيعة.

والأدبية، ذكر له ابن النديم عدداً منها، بينها كتب عدة عن تواريخ كل من البصرة والكوفة ومكة والمدينة، وعن أمراء كل منها، وعن أخبار المنصور، وكتاب التاريخ، ونقلها عنه ياقوت الحموي<sup>(٢٩)</sup>.

### ز - ابن قتيبة

سبقت الإشارة إليه كفقيه مجتهد وأديب بارع، وقد صنف عدداً من الكتب جمع فيها بين علوم القرآن، والفقه، واللغة وآدابها، والأخبار. وهو من المصنفين الكثيرين، قال عنه المسعودي «فأما عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري فممن كثرت كتبه واتسع تصنيفه ككتابه المترجم بكتاب المعارف وغيره»<sup>(٣٠)</sup>. وذكر له ابن النديم ما ينيف على ثلاثين كتاباً<sup>(٣١)</sup>، منها كتاب المعارف وهو موسوعة منسقة ومبوبة، تشتمل خلاصة عن مبدأ الخلق، وتاريخ الأنبياء، وأنساب العرب، والسيرة النبوية، وأخبار الصحابة والتابعين والخلفاء والمشهورين من الأشراف وأصحاب السلطان، وأصحاب الرأي والحديث والقراءات، والنسبين وأصحاب الأخبار ورواة الشعر والمعلمين. كما تضمن أخبار الفتوح وأسماه من ولي العراق، وأخبار الفرق الإسلامية، وملوك العرب قبل الإسلام في الجزيرة واليمن والحيرة، وملوك الحبشة والعجم. وهو مختصر وأشبه ما يكون برؤوس أقلام أو عناوين لمواضيع يمكن التوسع فيها. وكتاب عيون الأخبار يمكن اعتباره تاريخاً حضارياً مع أنه أقرب إلى اللغة والأدب، وقد وضعه في عشرة أبواب تبحث عن السلطان، والحرب، والسودد، والطبائع، والعلم، والبيان، والزهد، والإخوان، والحوادث، والطعام، والنساء.

### ٣ - الطرق التي اتبعت في تدوين التاريخ

ذكرنا في أول الفصل ما يتعلق بجمع الحقائق التاريخية وضمان ضبطها، أما طريقة تدوينها وعرضها فقد اتبع المؤرخون أول الأمر أسلوب ترتيب الحوادث بحسب المواضيع كفتوح العراق، وفتوح الشام، والجمل، وصبّين، والنهران. ثم اتبعوا طريقة ترتيبها بحسب سنوات حدوثها، وهي ما عرفت بالطريقة الحولية. وذلك بتقسيم الخبر إلى وحدات صغيرة تتناول سنة فسنة. وقد انتقدت هذه الطريقة بأنها تشتت الخبر أو الحوادث الذي تستغرق وقائعه أكثر من سنة، فتتجزأ روايته، ويذكر كل جزء في سنة وقوعه منفصلاً عن الجزء الآخر الذي سبقه أو تلاه، وهو ما يفقده أهمية وحدة الخبر للتعرف إلى أسبابه ونتائجه. إلا أنه «مهما كانت نقائص هذه الطريقة فمن المؤكد أنها أكثر تقدماً من تاريخ الخبر، لأنها ضمنت، عل الأقل، الاستمرارية الظاهرية، وتنسيق مواد متنوعة، وهي خصائص غريبة على صورة الخبر»<sup>(٣٢)</sup>. وتلتها

(٢٩) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ١٦٩، وياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٤٨.

(٣٠) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ١، ص ١٥.

(٣١) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ١٢١ - ١٢٢.

(٣٢) فرانز روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح أحمد علي؛ مراجعة محمد توفيق حسين

وبغداد: مكتبة المتن، (١٩٦٣)، ص ١٠١.

طريقة ترتيب الحوادث بربطها بسياق تاريخي متصل ضمن مدة محدودة، وقد عرفت بطريقة المهود، وهي لا شك متقدمة على الطريقة الأولى، وتقوم على تنظيم رواية الخبر بحيث تعالج عهداً معيناً في فصل واحد، بدمج أقسام الخبر المجزأة لأكثر من سنة واحدة وجعلها مجموعة كاملة من الأحداث المترابطة ببعضها. وهناك طريقة ثالثة اتبعها بعض المصنفين تقوم على ترتيب الحوادث والأخبار بحسب الأمصار التي وقعت فيها، كما اتبع بعضهم المبدأ النسبي في كتابة التاريخ.

ولكن رغم ما تميّزت به هذه الطرق في عرض الحوادث ودقة ضبطها وتوثيقها، فإن المؤرخين العرب والمسلمين اقتصر ما في مادتهم التاريخية على أخبار البلاط من خلفاء وقواد ووزراء، وعلى حوادث الحروب والفتن دون تحليل أو نقد، أو محاولة تحري أسباب تلك الأحداث ونتائجها، مكتفين بقيمتها السطحية دون الاهتمام بدلالاتها الاقتصادية والاجتماعية، مع إهمالهم شؤون عامة الناس ونجاهلهم تأثيرهم في مجريات الأمور والأحداث. ولذا فقد خلت مدوناتهم من ذكر الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والفنية إلا نادراً أو غرضاً. ولذا فإن الباحث في هذه الأمور يلقي عتاً في التوصل إلى بعض الحقائق عن هذه الأحوال بين تلك المدونات التاريخية الهائلة. على أنه مع هذا النقص البارز فإن ما دونوه، بمختلف الطرق، كان تمهيداً، بل عاملاً أساسياً في تقدم علم التاريخ ووصوله على يد المؤرخ العربي ابن خلدون إلى مفهومه الصحيح من حيث مادته ونطاق بحثه، فإن ما جاء في مقدمته المشهورة من آراء تاريخية لا تكاد تختلف عن الآراء الحديثة<sup>(٣٧)</sup>.

#### ٤ - أبرز المؤرخين ومصنفاتهم

كان من نتائج ازدياد مصادر المؤرخين في القرن الثالث ان ازدادت المادة التاريخية وتوسّع نطاقها، مما تطلّب التفرغ لها والانصراف إلى دراستها وتصنيفها وترتيب عريضها وتدوينها. ويمكن القول إن بدايات التأليف التاريخي بمعناها الواسع ظهرت في منتصف هذا القرن. فقد برز عدد من المؤرخين المتميزين ممن كان لتصانيفهم التاريخية أهمية كبيرة في تثبيت أسس علم التاريخ وقواعده من جهة، كما أنها أصبحت مصادر غنية مهمة لمن جاء بعدهم من المؤرخين من جهة أخرى. وكان أبرز هؤلاء أربعة هم البلاذري والدينوري واليعقوبي والظري. ولسوف نستعرض في ما يأتي سيرة كل منهم وجهوده في تطور علم التاريخ ومدى تأثيره عن سبقه من طلائع المؤرخين، وتأثيره في الآخرين.

##### أ - البلاذري

أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري البغدادي، كان جدّه جابر يكتب للخصيب صاحب مصر، وكان هو من رجال البلاط في سامراء، جالس المتوكل على الله

(٣٧) جوزيف هيل، الحضارة العربية، ترجمة إبراهيم أحمد العلوي؛ مراجعة حسين مؤنس، الألف كتاب، ٨٨ (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٦)، ص ١٠٤.

والخلفاء بعده حتى أيام المعتمد على الله . وهو عالم في الأنساب ورواية متقن ، وقد نشأ ببغداد وأخذ عن أئمة فقهاءها وأعلام أدبائها وكبار الأخباريين فيها ، منهم علي المديني ، والقاسم بن سلام وأبو الحسن المدائني وابن سعد الزهري<sup>(٣٤)</sup> . وروى عنه جُم غفير<sup>(٣٥)</sup> .

وكان معنياً بأخبار الفتوحات العربية التي أنجزت في صدر الاسلام ، وبحكم اهتمامه بجمعها تكبّد مشاق السفر فزار كثيراً من البلدان التي ذكرها في كتابه . ويظهر عما ذكره ياقوت الحموي عن شيوخ البلاذري أنه زار مدن بلاد الشام ، دمشق وحمص وحماة وأنطاكية وأخذ عن علمائها واستمع إلى رواياتهم<sup>(٣٦)</sup> . ولا يخفى تأثير مثل هذه الرحلات على المؤرخ المعني بجمع الأخبار ، فقد توفرت لدى البلاذري معلومات محلية غزيرة عن الأمصار التي زارها وهو ما زاد في قيمة ما يرويه عن الفتوح العربية .

أما مصنفاته فقد ذكر له ابن النديم كتاب البلدان الصغير ، وكتاب البلدان الكبير لم يتمّه ، وكتاب الأخبار والأنساب<sup>(٣٧)</sup> . ويضيف صاحب هدية العارفين كتاب الاستقصاء في الأنساب والأخبار - ولعله - هو الكتاب نفسه الذي ذكره ابن النديم أنفأ - وكتاب أنساب الأشراف بمجلدين<sup>(٣٨)</sup> ، وهو كتاب الأخبار والأنساب نفسه . وجاء في معجم الأدباء أن البلاذري له كتب جياذ ونقل ما ذكره ابن النديم وأضاف كتاب الفتوح<sup>(٣٩)</sup> . وقد وصلنا من كتبه التاريخية كتابان مهمان هما فتوح البلدان ، وأنساب الأشراف . تناول في أولهما الفتوح التي تمت في صدر الاسلام وأيام الأمويين في الشام ، وقد راعى في بحثها وعرضها تسلسلها الزمني ، وبين ما إذا كانت قد فُتحت صلحاً أو عنوة ، وذكر أسماء القواد الفاتحين ، وأسساء القبائل التي استقر بعض أبنائها في البلدان المفتوحة . وتتخلّل بحوثه معلومات حضارية مهمة كتعريب الدواوين ، وضرب النقود العربية ، وأمر الخاتم ، والخط ، وما بذله الخلفاء في شتلف العهود حتى أيامه في تعمير البلاد المفتوحة وإصلاح أراضيها وبناء المساجد والجوامع فيها وتحصين ثغورها وحشدتها بالجند . وهو يورد ذلك بأسلوب سهل واضح أقرب إلى الإيجاز منه إلى الإسهاب والإطناب ، ويحاول أن يكون دقيقاً في نقل الروايات حول المواضيع التي يبحثها ، ويبين رأيه فيها . وحرص على أن يذكر السند في كل خبر يرويه تقريباً ، إلا في حالات قليلة يقول فيها : أخبرني ، أو حدثني جماعة من أهل العلم ، أو أنه يقول : قال ، أو قالوا ، أو يقال ، ثم يأتي بالخبر . وأبرز من اعتمد على رواياتهم من الرواة الاخباريين :

---

(٣٤) ياقوت الحموي ، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء أو طبقات الأدباء ،

ج ٢ ، ص ١٢٧ - ١٢٨ .

(٣٥) ابن تغري بدي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ٣ ، ص ٨٣ .

(٣٦) ياقوت الحموي ، المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٢٧ .

(٣٧) ابن النديم ، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم ، ص ١٧٠ .

(٣٨) البندادي ، هدية العارفين : أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، ج ١ ، ص ٥١ .

(٣٩) ياقوت الحموي ، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء أو طبقات الأدباء ،

ج ٢ ، ص ١٣١ .

الواقدي محمد بن عمر، والمدائني علي بن محمد، وأبي عبيد القاسم بن سلام، ومعمار بن المثنى، وهشام الكلبي، وأبي غنم، وهشام بن عمرو الدمشقي، وعثمان بن أبي شيبة، وخلف بن هشام البزار.

أما كتابه الآخر أنساب الأشراف فهو يشتمل على تاريخ العرب قبل الإسلام وبعده حتى العصر العباسي الأول. ولم يرتبه البلاذري ترتيباً زمنياً بل رتبته على أساس العلاقات القبلية والعائلية للشخصيات التاريخية التي يذكرها. ويبدو أنه كتب على هيكل تواريخ الخلفاء، والترم بالمبدأ النسبي لهم، رغم أنه تخطى عليه تراجم الخلفاء<sup>(٤١)</sup>. وقد التزم البلاذري في كتابه هذا أيضاً بذكر السند في كل خبر يرويهِ تقريباً، وأبرز من اعتمد على رواياتهم من الأخباريين، هم الذين اعتمد عليهم في كتابه السابق مع عدد آخر، منهم: المقرئ أبو عمر حفص بن عمر الدوري، وعباس بن هشام الكلبي عن أبيه، والهيثم بن عدي، ومصعب بن عبد الله الزبيري.

وقد ذكر السعودي هذين الكتابين وأثنى على كتاب الفتوح، يقول «وكتاب النسب لأحمد بن يحيى البلاذري، وكتابه أيضاً في البلدان وفتوحها صلحاً وعضوة من هجرة النبي ﷺ وما فتح في أيامه على يد الخلفاء بعده، وما كان من الأخبار في ذلك، ووصف البلدان في الشرق والغرب والجنوب، ولا نعلم في فتوح البلدان أحسن منه»<sup>(٤٢)</sup>.

وكانت وفاة البلاذري في أواخر أيام المعتمد على الله.

### ب - أبو حنيفة الدينوري

ومن كتب في التاريخ في هذا القرن من العلماء الموسوعيين أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري المتوفى سنة ٢٨٢. عاش معظم حياته في مسقط رأسه مدينة الدينور، وأمضى رداً من شبابه في الرحلات، فسافر إلى العراق وبلاد الشام والحجاز، ودرس مختلف العلوم المعروفة على أيامه، وكان مفتناً في علوم النحو واللغة، والهندسة والحساب، ثقة في ما يرويهِ<sup>(٤٣)</sup>. وتكاد تجمع المصادر الأولية على أنه كان نحويّاً لغويّاً، ومهندساً، ومنجماً حاسباً، وقد قال عنه أبو حيان التوحيدى «إنه من نوادر الرجال جمع بين حكمة الفلاسفة وبين العرب، له في كل فن ساق وقدم ورواء وحكم»<sup>(٤٤)</sup>.

لقد تعددت تصانيف أبي حنيفة في مختلف المواضيع، فقد ألّف في الشعر والفصاحة والتفسير والحساب والجبر والمقابلة والمنطق. أما في التاريخ فقد وضع كتاباً سماه الأخبار

---

(٤١) روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ص ١٣٦.

(٤٢) السعودي، مروج الذهب ومعدن الجواهر، ج ١، ص ٥، وجاء فيه على بدلاً من يحيى.

(٤٣) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ١٢٢، وياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء أو طبقات الأدباء، ج ١، ص ١٢٣.

(٤٤) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٢٥.



الطوال ضمّته الأحداث التاريخية المهمة منذ عهد آدم حتى نهاية عهد المعتصم بالله. ورغم أنه عاش حتى سنة ٢٨٢ إلا أنه لم يؤرخ شيئاً من حوادث هذه السنين على أهميتها ومعاصرتها لها. ويظهر أن همته انصرفت إلى الميادين العلمية الأخرى فوضع فيها مصنفات تعتبر من أروع وأهم ما كُتب في مواضيعها. مثل كتاب النبات وقد أكسبه شهرة كبيرة لما تضمّنه من معلومات فريدة استخلصها من شعر الأقدمين، وقد أتيناً على ذكره في فصل آخر، وكتاب الأنواء وهو لا يقل في شهرته عن الكتاب السابق، فقد قال عنه ياقوت الحموي «إن كلام أبي حنيفة في كتاب الأنواء يدل على حظ وافٍ من علم النجوم وأسرار الفلك وعجائب القبة السماوية»<sup>(١١)</sup>.

أما كتابه الأخبار الطوال فإنه يتميز بأنه لم يضعه على الطريقة الحولية، وإنما كتبه بطريقة أقرب إلى طريقة العهود، وذلك بإيراد الأحداث التاريخية من بدئها إلى ما انتهت إليه، ذاكراً أهم مراحلها وملابساتها، وقد يذكر أسبابها ونشأتها أحياناً. ويظهر أن تسمية الكتاب بُنيت على ما يحتويه من الأخبار والأحداث التي طالت أزمانها فكانت أخباراً طويلاً. وقد اعتمد في مصادره على قدماء الرواة الاخباريين كالشعبي أبي عمر عامر بن شراحيل المتوفى سنة ٢٠٣ الراوية الكوفي المتخصص بأخبار المغازي، والأصمعي أبي سعيد عبد الملك بن قُريب الباهلي البصري المتوفى سنة ٢١٧ إمام الأخباريين وصاحب النوادر والملح، والمهشم بن عدي الراوية الذي يعتبر بمصنفاته التاريخية من طلائع المؤرخين العرب، والكسائي علي بن حمزة الأسدي الكوفي المتوفى سنة ١٨٩ إمام اللغة والنحو والقراءة وصاحب التصانيف المدينة، وأبي غنغف لوط بن يحيى الأزدي المتوفى سنة ١٥٧ الراوية العالم بالسيرة والأخبار والمتخصص بأخبار العراق وفتحها، والكلبي هشام بن محمد السائب المتوفى سنة ٢٠٤ عالم الأنساب وأخبار العرب وأيامها.

أما محتويات كتاب الأخبار الطوال فتتضمن الأحداث التاريخية التي اعتبرها أبو حنيفة الدينوري مهمة ذات شأن، منذ عهد آدم حتى نهاية عهد المعتصم بالله المتوفى سنة ٢٢٧، وهو يعرض الأخبار والحوادث عرضاً سريعاً في القسم الأول من الكتاب الخاص بتاريخ ما قبل الإسلام. أما تاريخ العرب بعد الإسلام فإنه يبدأ بالفتوحات التي تمت في عهدي الخلفيتين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان. ويسهب في أهم الوقائع الحربية التي انتصرت فيها الجيوش العربية. ثم يتكلم بإسهاب على عهد الإمام علي بن أبي طالب حتى مقتله، ومبايعة معاوية بن أبي سفيان وما تم في عهده وعهد ابنه يزيد، فيذكر خروج الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب إلى الكوفة ونهايته، ثم يتكلم بإيجاز على بقية الخلفاء الأمويين، وانتقال الخلافة إلى العباسيين، فيتكلم على خلفائهم بإيجاز أيضاً حتى وفاة المعتصم. وكان أبو حنيفة، حسبياً يظهر، قد حاول أن ينتهج في تاريخه هذا أسلوباً جديداً لا يلتزم فيه بالطرق التي كانت مألوفة في كتابة التاريخ، فلم يذكر الحوادث بحسب تسلسلها الزمني عاماً بعد عام، ولم يتبع طريقة العهود، وإنما أخذ بطريقة تقوم على عرض الحوادث والوقائع كوحداث كاملة من بدايتها حتى نهايتها مع ما يكتنفها من ملابسات وعوامل تؤثر في اتجاهها ونشأتها.

(١١) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٢٥.

مما جعل كتابه أقرب إلى مجموعة من قصص الأحداث التاريخية، وهو أسلوب شيق من أساليب المؤلف، يستهوي القارئ ويبسط له الموضوع، لا سيما أن المؤلف كتبه بأسلوب أدبي أخذ ولغة سهلة يسيرة.

### ج - اليعقوبي وتاريخه

اليعقوبي هو أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح العبّاسي، كان جده الأعلى واضح من رجال أبي جعفر المنصور «وكان خصيصاً عنده إلى الغاية، وكان يندبه إلى المهات لشجاعة كانت فيه وشدة. ولما ولي إمرة مصر شدّ على أهلها فشكروا منه فعزله المهدي عنهم... واستمر واضح على بريد مصر...»<sup>(٤٥)</sup>. أما أبوه إسحاق أبو يعقوب فكان من أصحاب البريد. وقد نشأ أحمد ببغداد وتلقّى علومه فيها، وكان فيه ميل شديد إلى الاحتمال للتعرف إلى مختلف البلدان، والاطلاع بنفسه على أحوالها وطبائع أهلها. فسافر إلى المغرب وتحوّل في أهم مدنه، وأقام مدة في أرمينيا، وزار الأقطار العربية والهند<sup>(٤٦)</sup>. وقد استفاد اليعقوبي من رحلاته إذ استوعب الكثير مما رآه وسمعه، وظهر أثر ذلك واضحاً في مؤلفاته التاريخية والجغرافية. وقد اشتهر اليعقوبي بكتابه البلدان والتاريخ وستعرض لكتاب البلدان في الفصل الخاص بالجغرافيا. أما كتاب التاريخ المعروف باسمه تاريخ اليعقوبي فهو جزءان، الأول منها خاص بتاريخ ما قبل الإسلام، والثاني في ما بعده حتى سنة ٢٥٩. ورغم أن اليعقوبي امتدت به الحياة حتى سنة ٢٩٢، فإنه وقف بكتابه هذا عند أوائل سنة ٢٥٩، ولا ندري ما إذا كان قد واصل تدوينه بعد السنة المذكورة ولم يصل إلينا، أم أنه انصرف عنه لأسباب نجهلها.

وتظهر في كتاب اليعقوبي هذا مميزات كمؤرخ عربي يمثّل روح عصره، وهو عصر الانبعاث العلمي عند العرب. فكان على درجة عالية من الثقة في ما يكتبه ويرويّه، بحيث لم يعد بحاجة إلى ذكر أسانيد، فجاء كتابه خالياً منها. كما أنه لم يلتزم بطريقة واحدة في عرض مواده، وإنما انتهج أساليب عدة بحسب اختلاف طبيعة المواضيع والأحداث التي يعالجها وأزمان حدوثها. فقد اتبع طريقة المواضيع في ما يتعلق بالقسم الخاص بما قبل الإسلام وصدر الإسلام متبعاً فيها التسلسل التاريخي، إلا أنه في الجزء الأخير من هذا القسم، عند الكلام على أديان العرب وحكامهم وأزلامهم وشعرائهم وأسواقهم يتبع طريقة وحدة الموضوع. وانتهج طريقة الربط المتصل للحوادث على أساس العهود في ما بعد ذلك. فكان أول مؤرخ عربي يسلك هذه الطريقة في تدوين التاريخ.

كما أنه تميّز في الجزء الأول من كتابه بنظراته العالمية للتاريخ، واهتمامه بالجانب الحضاري، ولا سيما الثقافي منه، حيثاً تيسرت له المادة الواضحة الكافية. وتميّز كذلك بنزعة العلمية المنطقية القائمة على تحكيم العقل، فلم يدوّن من الأخبار ما تغلب عليه المبالغة أو

(٤٥) ابن تغري بدي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٢، ص ٤٠.

(٤٦) أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، مشاكلة الناس لزمانهم، تحقيق وليم ملورد (بيروت: دار الكتاب

الجديد، ١٩٦٢)، ص ٥.

الخرافات والأساطير. فهو لا يأخذ بالأخبار كما تروى ما لم يتأكد من مصداقيتها، وأنها لا تخرج عن دائرة العقل والمنطق. فيقول في مقدمة ما كتبه عن تاريخ فارس مستبشعاً المبالغات فيه وفارس تدعي للموكها أموراً كثيرة، مما لا يُقبل مثلها، من الزيادة في الحلقة، حتى يكون للواحد عدة أنواء وعيون، ويكون للآخر وجه من نحاس، ويكون على كتفي آخر حِتانَ تطعان أدمغة الرجال، وطول الملة في العمر، ودفع الموت عن الناس، وأشباه ذلك، مما تدفعه العقول ويجري مجرى اللعبات والمزول، ومما لا حقيقة له»<sup>(١١٦)</sup>.

ويميل اليعقوبي في كتابته إلى الاختصار عند إيراد الحوادث التاريخية دون إسهاب أو استطراد، ودون أن يستشهد بالأمثال والأشعار، ويظهر أنه قد تقصّد في ذلك، إذ يقول «وجعلناه كتاباً مختصراً حذفتنا منه الأشعار وتطويل الأخبار»<sup>(١١٧)</sup>.

وقد ظهر أثر حركة الترجمة واضحاً في كتابه. إذ استفاد مما ترجم من مؤلفات فلاسفة اليونان وعلمائهم، فخصّص فصلاً طويلاً عن علوم اليونانيين لخص فيه كتب أبقراط الأربعة التي لا بد للمتطببين من معرفتها والإلمام بما جاء فيها، وهي: كتاب الفصول، وكتاب مقدمة المعرفة، وكتاب الأهوية والأزمنة والمياه والأمصار، وكتاب ماء الشعير<sup>(١١٨)</sup>. كما لخص كتب جالينوس باعتبارها أحكم حكم بحكم بعد أبقراط، وأهم عالم بالطب لما فسّر من كتب أبقراط، رغم تباعد ما بينهما من السنين. فعُدّ هذه الكتب وبين مضايفها، وعلى الأخص كتاب فِرَق الطب المخالفة بعضها بعضاً في الجنس، وكتاب التشريح الكبير، وكتاب القوى الطبيعية في الأفعال النفسانية، وكتاب العناصر، وكتاب الأمزجة<sup>(١١٩)</sup>.

ثم تكلم على فيثاغورس، وتلامذته وأعمالهم، وعلى أفلاطون وفلسفته، وعلى إقليدس وكتابه في الحساب، وتفسيره كتاب المجسطي لبطليموس، ولخص محتوى الكتاب الأخير بمقالاته الثلاث عشرة، وكتابه في المناظر، وتكلم كذلك على نيقوماخس وهو أبو أرسطوطاليس، وكتابه الأرسطاطيقي الذي قصد به إبانة الأعداد، ولخص ما جاء فيه. كما تكلم على أرسطوطاليس وأهم كتبه وبخاصة المنطقية منها والطبيعية والنفسانية، ولخصها تلخيصاً جيداً<sup>(١٢٠)</sup>.

وتكلم كذلك على بطليموس وكتابه المجسطي ولخصه مكتفياً برؤوس المواضيع، كما تكلم على كتبه الثلاثة الأخرى: ذات الحلق، وذات الصفائح، وكتاب القانون في علم النجوم وحسابها، وذكر محتوياتها<sup>(١٢١)</sup>.

(٤٧) أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢ (بيروت: دار صادر، ١٩٦٠)، ج ١، ص ١٥٨.

(٤٨) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦.

(٤٩) المصدر نفسه، ج ١، ص ٩٥ - ١١٤.

(٥٠) المصدر نفسه، ج ١، ص ١١٤ - ١١٨.

(٥١) المصدر نفسه، ج ١، ص ١١٩ - ١٣٢.

(٥٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٣٣ - ١٤٢.

ويلاحظ أن تلخيص يعقوبي مواضيع الكتب المذكورة جاء واضحاً، مما يدل على دراسته لها وإحاطته بمضامينها ومحتواها.

أما محتويات تاريخ يعقوبي فقد تضمن الجزء الأول منه، كما أشرنا آنفاً تاريخ العالم المعروف آنذاك قبل ظهور الإسلام. فهو يتبدى بتاريخ الأنبياء منذ آدم حتى السيد المسيح عيسى بن مريم. ويظهر أن قسماً من أول البحث قد فقد بما فيه مقدمة المؤلف. وهو يتبع في عرض المادة طريقة التراجم. ثم يتناول ملوك الأمم القديمة وبعض ممالكها، كملوك بابل ونيوى والمند واليونان والروم وفارس والصين ومصر وممالك البربر والأفارقة والحبيشة والسودان والبجّة. ويتكلم بعدها على حرب كندة، وولد إسماعيل بن إبراهيم، ومواضيع عربية تتعلق بالدين والحكام والشعراء والأسواق.

أما الجزء الثاني من الكتاب فإنه يبحث في التاريخ العربي بعد الإسلام. ويقول في أول الكتاب «إنه لما انقضى كتابنا الأول الذي اختصرنا فيه ابتداء كون الدنيا وأخبار الأوائل من الأمم المتقدمة والممالك المقترة والأسباب المشعبة لقنا كتابنا هذا على ما رواه الأسيخ المتقدمون من العلماء والرواة وأصحاب السير والأخبار»<sup>(٥٣)</sup>. ويذكر نهجه في تصنيفه فيقول «ولم نذهب إلى التفرد بكتاب نصفه ونتكلف منه ما قد سبقنا إليه غيرنا، لكننا ذهبنا إلى جمع المقالات والروايات لأننا وجدناهم قد اختلفوا في أحاديثهم وأخبارهم وفي السنين والأعمال، وزاد بعضهم ونقص بعض، فأردنا أن نجتمع ما انتهى إلينا مما جاء به كل امرئ منهم لأن الواحد لا يحيط بكل العلم، وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: «العلم أكثر من أن يحفظ فخذوا من كل علم محاسنه»<sup>(٥٤)</sup>. ثم يأتي ببعض الحكم التي تؤكد أهمية المعرفة وتحض على طلب العلم. ويعدد مضامين هذا الجزء، فيقول «وابتدى كتابنا هذا من مولد رسول الله ﷺ ونخبره في حال بعد حال، ووقت بعد وقت إلى أن قبضه الله إليه، وأخبار الخلفاء بعده وسيرة خليفة بعد خليفة وفتوحه، وما كان منه وعمل به في أيامه وسي ولاته»<sup>(٥٥)</sup>. ويذكر أساء من روى عنهم، وكلهم من الرواة الأخباريين، وأبرزهم: أبو البخري وهب بن وهب بن كثير المتوفى سنة ٢٠٠ القاضي العالم بالأنساب<sup>(٥٦)</sup>، ومحمد بن عمر الواقدي، توفي سنة ٢٠٧، وله عدد كبير من المصنفات في التاريخ والفتوح والسير<sup>(٥٧)</sup>. وعبد الملك بن هشام المؤرخ العالم بالأنساب وأخبار العرب وصاحب السيرة النبوية المعروفة بسيرة ابن هشام وقد توفي سنة ٢١٣<sup>(٥٨)</sup>. والهيثم بن عدي العالم بالشعر والأنساب والأخبار وقد سبق ذكره في طليعة المؤرخين. وعلي بن محمد المدائني أشهر الرواة الأخباريين وأوثقهم، وقد ذكرناه في طليعة المؤرخين. وأبان بن عثمان بن يحيى المتوفى سنة

(٥٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥.

(٥٤) المصدر نفسه.

(٥٥) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦.

(٥٦) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم، ص ١٥٢،

والزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ٩، ص ١٥٠.

(٥٧) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ١٥٠.

(٥٨) الزركلي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣١٤.

٢٠٠ العالم بالأخبار والأنساب والمغازي<sup>(١٧١)</sup>. وعيسى بن يزيد النسابة الراوية، توفي سنة ١٧١هـ. وأبو معشر جعفر بن محمد الفلكي، ومحمد بن موسى الخوارزمي الرياضي النجف، وما شاء الله الحاسب. وقد اعتمد على الثلاثة الآخرين في طوابع السنن والأوقات. ويقول اليعقوبي إنه أخذ عن غير هؤلاء الذين سبّاهم جلا من الأخبار جاء بها غيرهم ورواها سواهم، وأضاف إلى ذلك معلوماته الخاصة عن سير الخلفاء وأخبارهم<sup>(١٧٢)</sup>.

لقد سلك اليعقوبي في هذا الجزء من الكتاب مسلكه نفسه في الجزء الأول، فلم يتقيد بطريقة واحدة في عرض المادة التاريخية. فسار في تدوين السيرة النبوية على نهج كتاب السيرة والمغازي، أما ما وقع من الأحداث منذ وفاة الرسول ﷺ حتى السنة التي انتهى عندها الكتاب فقد دونها باعتبارها حوادث دولة عربية واحدة، وفقاً لترتيبها الزمني، أي على أساس توالي الخلفاء. فقام تدوين التاريخ عنده في هذا القسم من الكتاب على الأشخاص. وهو في كلامه على عهد كل خليفة يجعل عنوان بحثه «أيام فلان» ويذكر تاريخ مُبَيّته باليوم والشهر والسنة، ويشير إلى وضع البروج الفلكية عندئذ. ثم يتبع ذلك بذكر أهم ما تم في أيامه من أعمال وحروب وأحداث، ثم يأتي إلى نهايته وكيف تمت، فيذكر مدة خلافته وما خلفه من أولاد، وينتهي البحث بذكر وزرائه وبعض الولاة والقادة ورجال الدولة الآخرين، كما يذكر أحياناً أشهر القضاة في عهده، ولا بد من أن يذكر من تولى الحج في سني ولايته. كما يشير في ثنايا البحث إلى وفيات بعض الأعيان من قادة وعلماء، وإلى بعض الحوادث والكوارث الطبيعية التي تقع في مختلف أرجاء الدولة. وقد يضع عناوين فرعية لبعض الأحداث المهمة.

## د - الطبري وتاريخ الرسل والملوك

عرفنا في بحث سابق أبا جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري المفسر وكتابه جامع البيان عن تأويل القرآن الذي أجمع العلماء والفقهاء، على مر العصور بأنه أجل التفاسير وأعظمها، لم يصنف مثله. وعرفناه إماماً في فنون كثيرة وفقيهاً مجتهداً لم يقلد أحداً، بل قلده عدد من الفقهاء وأخذوا بأقواله وآرائه. إن هذا العالم الفقيه المجتهد عندما تصدّى لكتابة التاريخ جاء بنموذج فذ في هذا الباب، بحيث كان أبرز علماء القرن الثالث في الفقه والتفسير والتاريخ.

لقد اشتهر كتابه تاريخ الرسل والملوك الذي عُرف باسمه، فقال عنه المؤرخ السعودي في معرض اشارته إلى ما صنف من كتب التاريخ «وأما تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري الزاهي على المؤلفات والزائد على الكتب المصنفات، فقد جمع أنواع الأخبار، وحوى فنون الآثار، واشتمل على صنوف العلم، وهو كتاب تكثر فائدته، وتنفع عائدته، وكيف لا يكون ذلك ومؤلفه فقيه عصره وناسك دهره، إنه انتهت علوم فقهاء الأمصار وحملته السنن والآثار؟»<sup>(١٧٣)</sup>.

(١٧١) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢١.

(١٧٢) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٩٨.

(١٧٣) الجعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٦.

(١٧٤) السعدي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ١، ص ١٥.

وقد ساعد الطبري على تصنيف هذا الكتاب ما كان يتقنه من العلوم والآداب، وخبرته في التصنيف، فهو كما قال عنه صاحب الفهرست الخبير بالكتب وأصحابها «علامة وقته وإمام عصره وفقه زمانه»<sup>(١٦)</sup>. يضاف إلى ذلك ما تميز به أسلوبه في الكتابة من حسن التعبير وتخيير الألفاظ والأساليب التي تعبر عن غرضه بدقة وبساطة ووضوح دون لبس أو غموض.

قامت مادة كتاب الطبري في التاريخ على ما أحاط به من أخبار عصره وحوادث إمامه إلى جانب اعتناؤه الأخبار الماضية عن رواة الأولين مع ذكر أسانيدها، فاستند إلى ثلثة من الرواة الأخباريين والمؤرخين عن سبقوه في هذا الميدان. ومن أهم من اعتمد على رواياتهم وأخذ عنهم:

(١) عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي، المتوفى سنة ٩٢ أحد الفقهاء السبعة بالمدينة المنورة، انتقل إلى البصرة ثم إلى مصر، وعاد إلى المدينة فمات فيها، وهو أخو عبد الله بن الزبير<sup>(١٧)</sup>.

(٢) شريحيل بن سعد الخطمي المدني، وهو محدث اخباري عالم بالمغازي وأخبار البدرين، توفي سنة ١٢٣هـ<sup>(١٨)</sup>.

(٣) هشام بن عروة بن الزبير، تابعي من أئمة الحديث، كثير الأخبار، مات ببغداد سنة ١٤٦هـ<sup>(١٩)</sup>.

(٤) محمد بن إسحاق بن يسار المطليبي المدني، المتوفى سنة ١٥٠، من أقدم مؤرخي العرب، له السيرة النبوية رواها عنه ابن هشام، وكتاب الخلفاء، وكان من حفاظ الحديث<sup>(٢٠)</sup>.

(٥) أبو خنيفة لوط بن يحيى بن سعيد الأزدي، راوية عالم بالسيرة والأخبار، إمامي من أهل الكوفة، من كتبه التاريخية: فتوح الشام، والردة، وفتوح العراق وغيرها. يقول عنه ابن النديم: قالت العلماء: أبو خنيفة بأمر العراق وأخبارها وفتوحها وفتوح الشام يزيد على غيره. توفي سنة ١٥٧هـ<sup>(٢١)</sup>.

---

(٦٣) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٣٤٠.

(٦٤) ابن خلكان، وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٢، ص ٤١٨ - ٤٢١.

(٦٥) الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ٣، ص ٢٣٣.

(٦٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ١٤، ص ٣٧، وابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٢٩ - ١٣٠.

(٦٧) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ١٤٢، وياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأبناء أو طبقات الأديباء، ج ٦، ص ٣٩٩.

(٦٨) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ١٤٢ - ١٤٣، وياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٢٢٠ - ٢٢١.

(٦) سيف بن عمر الأسدي التميمي، المتوفى سنة ٢٠٠ من أصحاب السير والأحداث، كوفي الأصل اشتهر ببغداد، ومن أهم كتبه الفتوح الكبير والردة<sup>(١٩٩)</sup>.

(٧) هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبي، المتوفى سنة ٢٠٤ مؤرخ عالم بالأنساب وأخبار العرب وأيامها، كثير التصانيف، ذكر له ابن النديم عدداً كبيراً من الكتب وقد صنفها حسب مواضيعها إلى: أخبار الأوائل، وفي ما قارب الإسلام من أمر الجاهلية، وأخبار الاسلام، وأخبار البلدان، وأخبار الشعر وأيام العرب، وفي الأنساب<sup>(٢٠٠)</sup>.

(٨) محمد بن عمر الواقدي السهمي، من أقدم المؤرخين العرب وأشهرهم، وقد مر ذكره في أول هذا الفصل.

(٩) الهيثم بن عدي الطائي، العالم بالشعر والأخبار والأنساب وقد سبق الكلام عليه.

(١٠) محمد بن سعد بن منيع الزهري، الحافظ المحدث المؤرخ صاحب كتاب الطبقات الكبرى، وقد أشرنا إليه آنفاً.

(١١) عمر بن شبة بن عبيدة النميري البصري، الشاعر الراوية المؤرخ، وقد ذكرناه في أول هذا الفصل.

من هذا يتضح أن مصادر الطبري عربية صرفة، فقد اعتمد على من سبقه من الرواة والأخباريين والمؤرخين العرب، وأخذ عن كل منهم ما اختص به من الأخبار.

انتهج الطبري في تنظيم مادة كتابه أسلوب الترتيب الزمني للحوادث، أي الطريقة الحولية. وكانت هي الطريقة المألوفة آنذاك في كتابة التاريخ. فقد أفرد لكل سنة أخبارها وما وقع فيها من الأحداث وما يتوفر لديه من المعلومات والروايات حولها، فيشير إلى مجمل الحادث في أول سنة حدوثه ثم يذكر تفصيلاته في السنوات التالية التي استمر فيها. ومن الطبيعي أن تتوقف سعة المعلومات والروايات في كل سنة على الأهمية التي يعطيها المؤلف للأحداث التي وقعت خلالها. وهو يبدأ في أول كل سنة بقوله: «ثم دخلت سنة كذا» أو «ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث» أو ما في معناه. وإذا ما كان الحادث ذا أهمية أفرد له عنواناً خاصاً به، فيقول «ذكر كذا» أو أن يذكر عنوان الحادث مجرداً. وهو يربط بين الأحداث والأخبار بالعبارات المألوفة مثل: «وفيها» أو «فمن ذلك» وأمثالها. أما ما يختص بأخبار الخلفاء فإنه يضع عنواناً كاملاً لكل خليفة، فيذكر مبادئه الخاصة والعامة وتاريخ كل منها، ثم يأتي بذكر ما تم في أيامه من أعمال وما وقع من أحداث، سواء كانت جديدة، أو أنها استمرار لما سبق منها في السنة أو السنوات السابقة. وعند وفاة الخليفة يُجمل صفاته وسيرته وما عرف عنه واشتهر به،

(٦٩) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ١٤٣، وياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٧، ص ٢٥٠ -

٢٥٤.

(٧٠) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ١٤٦ - ١٤٩، وياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٧،

ص ٢٥٠ - ٢٥٤.

ويشير إلى سبب موته، ويذكر عمره، ومدة خلافته.

وقد اعتاد الطبري أن يذكر ما وصل إلى علمه من الكوارث والحوادث الطبيعية، كالأوبئة والفيضانات والزلازل، التي وقعت في السنة التي يدون أخبارها. ويذكر اسم الأمير الذي تولى الحج بالناس فيها، ولا يفوته ذكر ما عاناه الحجاج من مشاكل في الموسم، كقلة المياه أو تأثير الحر الشديد أو البرد القارس أو السيول فيهم. كما يثبت في أكثر الأحيان وفيات بعض الأمراء أو الأعيان من رجال الدولة والعلماء والفقهاء والأدباء والشعراء، ممن توفوا خلالها. ويستمر على هذا النهج حتى مطلع القرن الرابع حيث ينتهي كتابه عند حوادث سنة ٣٠٢.

ولما كان الطبري عذساً ثقة، وفقهاً مجتهداً، ومفسراً عظيماً، فمن الطبيعي أن يظهر تأثير ذلك في أسلوبه وطريقته في تدوين التاريخ. فإن القارئ يلمس دقته في ذكر مختلف الروايات عن الموضوع الواحد. وقد التزم في إشارته إلى سند الخبر بذكر الرواة واحداً عن واحد إذا ما تعددوا، بعبارة مثل «حدثنا فلان وحدثني فلان، وحدثت عن فلان» أو يقول «قال فلان، أو قال فلان وفلان وفلان وغيرهم» وإذا كان هو صاحب الخبر قال عن نفسه «قال أبو جعفر». وإذا ما كان له رأي يختلف عما ذكره الرواة الآخرون، قال «والصحيح عندها». ولا ينكر أن ذكر الأسانيد وتعدد ما يزيد في قيمة الخبر والثقة به. وتلك ميزة امتاز بها تاريخ الطبري.

أما في حالة اختلاف الرواة، فإنه يذكر رواياتهم جميعاً مع أسانيدهم ويترك للقارئ المقارنة والمقايسة والاجتهاد لقبول الرواية التي يقتنع بأفضليتها. وهي نزعة في البحث حيادية موضوعية قلما توفرت في غير الطبري من المؤرخين.

وثمة أساس آخر التزم به الطبري في كتابه، هو نظره العامة في أحداث تاريخ ما قبل الإسلام، وتركيز اهتمامه بالأحداث التي مرت بها الأمة العربية منذ تأسيس دولتها عند ظهور الإسلام، باعتبارها وحدة تاريخية طاولت الزمن. وهي نظرة شمولية يمكن اعتبارها من المميزات المهمة لتاريخ الطبري. كما أن الطبري، بحكم التزامه بالأسانيد، فقد احتفظ لنا، إضافة إلى ما ذكره من أخبار وأحداث، بكثير من نصوص العهود والأشعار والأقوال ذات القيمة التاريخية الكبيرة.

ويمكن القول إن التدوين التاريخي قد بلغ ذروته في الكمال في القرن الثالث، ممثلة بكتاب الطبري الذي أراد لتاريخه أن يكون مكملاً لتفسيره المشهور، ولعل هذا ما يفسر لنا الوضوح ودقة التحري والتحقق التي اتسم بها الكتاب المذكور. وإن تعزيزه بالروايات الموثقة بالأسانيد جعله مصدراً أساسياً لمن جاء بعده من المؤرخين الذين أصبح بوسعهم اعتماد ما ذكره الطبري دون أن يضطروا إلى ذكر الأسانيد. ولذا فلا غرابة لما صار إليه تاريخ الطبري من مكانة مرموقة، بحيث غدا مثلاً يُحتذى به ومصدراً أساسياً للمؤرخين. يقول عنه المستشرق هاملتون غب «وكتابه بما يتمتع به من صدق وشمول يعني لنا خاتمة حقبة كاملة، ولا نجد بعده مصنفًا يأخذ على عاتقه من جديد جمع المواد عن تاريخ صدر الإسلام والنظر فيها، وإنما المصنفون بعده إما نقله



للمروايات من تاريخ الطبري، وإما مؤرخون من حيث انتهى الطبري<sup>(٧١)</sup>. ويقول عنه المستشرق فرونز روزنتال «ولقد أسبغ الطبري على كتابه تدقيق المتكلمين وطول أنفسهم، وما للفقهاء العالم من دقة وحسب للنظام، وما للسياسي القانوني العمل من بصيرة في الأمور السياسية، كل هذه الخصائص أدت إلى إحلاله مكانة مرموقة دائمة ومتزايدة في الأوساط الفكرية في الإسلام»<sup>(٧٢)</sup>.

ونرى أن خير ما نختم به هذا البحث عن تاريخ الطبري، أن نذكر بعض ما جاء في مقدمة الكتاب المذكور التي وضعها الإمام الطبري لكتابه. فقد بدأها بـ «الحمد لله الأول قبل كل أول، والآخر بعد كل آخر، والدائم بلا زوال والقائم على كل شيء بغير انتقال، والخالق خلقه من غير أصل ولا مثال، فهدى الفرد الواحد... وأنا ذاك في كتابي هذا من ملوك كل زمان من لدن ابتداء ربنا جل جلاله خلق خلقه إلى حال فنأنهم ممن انتهى إلينا خبره... مقروناً ذكر كل من أنا ذاكره منهم في كتابي هذا بذكر زمانه ومجل ما كان من حوادث الأمور في عصره وأيامه... بوجيز من الدلالة غير طويل، إذ لم نقصد بكتابنا هذا قصد الاحتجاج لذلك، بل لا ذكرنا من تاريخ الملوك الماضين ومجل من أخبارهم، وأزمان الرسل والأنبياء ومقادير أعصارهم، وأيام الخلفاء السابقين وبعض سيرهم، ومبالغ ولاياتهم والكاثر من الأحداث في أعصارهم... وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتيادي في كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت أي راسمه فيه، إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه، والأثار التي أنا مستندة إلى روايتها فيه، دون ما أدرك بحجج العقول واستنط فمكر النفوس، إلا اليسير القليل منه. إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين، وما هو كائن من أنباء الحادئين، غير وأصل إلى من لم يشاهددهم ولم يدرك زمانهم، إلا بأخبار المخبرين، ونقل الناقلين... فما يكن في كتابي هذا من خير ذكرناه عن بعض الماضين مما يستكره قارئه... فليعلم أنه لم يؤث ذلك من قبلنا وإنما في من قبل بعض ناقله، وأنا إنما أدبنا ذلك على نحو ما أدبنا إلينا»<sup>(٧٣)</sup>.

## ثانياً: الجغرافيا

### مقدمة

إن كلمة جغرافيا يونانية الأصل وتعني «صورة الأرض»، وكانوا يريدون بها علم التعرف إلى أحوال الأقاليم في الربع المسكون من كرة الأرض، وعروض البلدان وأطوالها، مع مواقع مدنها وجبالها وبحارها وأنهارها، وغير ذلك، واختلاف السكان باختلاف هذه المواقع<sup>(٧٤)</sup>. وفُسر المسعودي كلمة جغرافيا بأنها قطع الأرض<sup>(٧٥)</sup>، أي مسحها. وقد جرى قدماء الجغرافيين العرب على استعمال هذه الكلمة لتدل على كتاب بطليموس المعروف في

(٧١) غب، دراسات في حضارة الإسلام، ص ١٥٦.

(٧٢) روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ص ١٨٦.

(٧٣) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ١، ص ٣-٨.

(٧٤) مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، غني بتصحيحه

عمد شرف يالفتاوي ودرفت الكليسي، ج ٢ (استانبول: مطبعة الحكومة، ١٩٤١-١٩٤٣)، ج ١،

ص ٥٩٠-٥٩١.

(٧٥) أبو الحسن علي بن الحسن المسعودي، التنبيه والإشراف، غني بتحقيقه ومراجعته عبد الله

اسماعيل الصاوي (القاهرة: مكتبة الشرق الإسلامية، ١٩٣٨)، ص ٣٠.

الجغرافيا<sup>(٧٦)</sup>، وعلى كتاب ماريونوس الصوري في الموضوع نفسه<sup>(٧٧)</sup>. واستعملت كلمة جغرافيا لأول مرة بمعنى «علم الجغرافيا» في رسائل إخوان الصفا<sup>(٧٨)</sup>، ولكنها فسرت في هذا الموضوع أيضاً بأنها صورة الأرض. ولم يصبح لهذه الكلمة المعنى الذي نعرفه اليوم من علم الجغرافيا إلا في الأزمنة الحديثة<sup>(٧٩)</sup>.

وكان مفهوم الجغرافيا عند علماء العرب إيّان نهضتهم العلمية يتضمن مواضيع متفرقة مما نسميه اليوم الجغرافيا بأقسامها الوصفية، والرياضية، والإقليمية، والبشرية، والاقتصادية. ويمكن القول إنهم لم يتصوروا الجغرافيا علماً محدداً له مدلول خاص، وموضوع خاص، بالمعنى الحديث. ولذلك توزعت معارفهم الجغرافية بين مناهج عدة ومواضيع قائمة بذاتها، تناولت وجوهاً شتى من الجغرافيا. وكانوا في بحثهم هذه المواضيع يطلقون عليها عناوين من قبيل كتاب البلدان وصورة الأرض والمسالك والممالك. ويظهر من هذا أن الاصطلاح «صورة الأرض» كان الترجمة المهيمنة آنذاك لكلمة (جغرافيا) اليونانية<sup>(٨٠)</sup>.

يعتبر علم الجغرافيا من العلوم المساعدة الضرورية لفهم التاريخ، لشدة الارتباط بين الأحداث باعتبارها مادة التاريخ، ومسرح حدوثها، أي جغرافيتها. وقد يكون للعوامل الجغرافية القائمة عند وقوع الحادث تأثير حاسم في حدوثه بالشكل الذي صار إليه. ولذا لا بد للباحث في تاريخ حدث معين، أن يعرف موقع حدوثه ويلم بكل العوامل الجغرافية التي أحاطت به عند وقوعه، وأثرت في تكوينه، لتتضح له الصورة الكاملة. ومن هنا نشأت أهمية علم الجغرافيا وضرورة الاهتمام به. وتعتبر الكتب البلدانية التي أخذت تظهر في هذا القرن وتتضمن من المعلومات ما يمتزج فيها التاريخ بالجغرافيا، أوضح دليل على العلاقة المتينة بين الموضوعين. فقد وصف مؤلفوها، وأغلبهم من أكثروا السفر والترحال، تخطيط المدن الكبرى، وشبكات الطرق والمسالك بينها، وأخلاق سكانها وتقاليدهم وعاداتهم، وما يتقنونه من صناعات، وغير ذلك من المعلومات التي غطت مواضيعها الميادين الرياضية والوصفية والبشرية والاقتصادية من علم الجغرافيا. وبالنظر إلى ما تحتويه هذه الكتب من المعلومات الجغرافية فقد كانت مقدمة للكتب الجغرافية، لأنها لم تلبث بمرور الزمن أن أخذت محتوياتها تقتصر على المعلومات الجغرافية، مما أدى إلى ظهور الجغرافيا كعلم مستقل. إلا أن ذلك تطلب وقتاً طويلاً، إذ استمرت المعلومات الجغرافية حبيسة الكتب البلدانية خلال هذا القرن والقرن التالي له.

(٧٦) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٣٨٩.

(٧٧) السعودي، المصدر نفسه، ص ٣٠.

(٧٨) رسائل إخوان الصفاء (بيروت: دار صادر، ١٩٥٧)، ج ١، ص ١٥٨.

(٧٩) دائرة المعارف الإسلامية، ج ١٢، ص ٨١ - ٨٢.

(٨٠) أغناطيوس يوليانيوفتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان

هاشم، مراجعة ابغور بليانيف، ج ٢ (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٣ - ١٩٦٥)، ج ١، ص ٩٩.

## ١ - الجغرافيا وحركة الترجمة

كان للكتب التي ترجمت إلى اللغة العربية في الجغرافيا والفلك تأثير مهم في علم الجغرافيا عند العرب، إذ حصلوا على معلومات مهمة استفادوا منها وتأثروا بها، بحيث يمكن القول إن دراسة الجغرافيا بدأت عندهم بتأثير ما اقتبسوه من التراث اليوناني في هذا الموضوع. فقد اطلعوا على أبحاث بطليموس وآرائه في الفلك والجغرافيا عندما نقل من مصنفاته إلى العربية الكتابان المهسان، كتاب الجامع في الفلك ويقع في ثلاثة عشر كتاباً بجداوله، وكتاب جغرافيا في المعمور وصفة الأرض. وقد سبقت الإشارة إلى ترجمة الكتاب الأول الذي ساهم العرب كتاب المجسطي. أما الثاني فقد نقله الفيلسوف الكندي إلى العربية نقلاً جيداً، كما يقول القفطي، أو نقل له نقلاً رديشاً، ثم نقله ثابت بن قرة إلى العربية نقلاً جيداً، كما يقول ابن النديم<sup>(٨١)</sup>. وهو يتضمن جداول هامة بأساء الأمكنة ومواضعها بخطوط الطول والعرض وخرائط عن العالم المعروف آنذاك، وفي جملتها بلاد ما بين النهرين<sup>(٨٢)</sup>. ويقول صاحب كشف الظنون إنه ذكر فيه «أن عدد المدن أربعة آلاف وخمسة وثلاثون مدينة في عصره وسهاها مدينة مدينة، وإن عدد جبال الدنيا مئتا جبل ونيف، وذكر مقدارها وما فيها من المعادن والجواهر، وذكر البحار وما فيها من الجزائر والحيوانات وخواصها، وذكر أقطار الأرض وما فيها من الخلاق على صورهم واختلافهم وما يأكلون وما يشربون وما في كل صقع مما ليس في الآخر غير من الأرزاق والتحف والامتنع، فصار أصلاً يرجع إليه من صنف بعده»<sup>(٨٣)</sup>.

وأظهرت الدراسات الحديثة لهذا الكتاب أنه «رسالة في الجغرافيا تمثل في جوهرها جداول فلكية لعروض وأطوال النقاط الرئيسية المسكونة في العالم. ويعتبرها أحد كبار البحاثة المعاصرين - مقدمة لوضع مصور جغرافي - وليست بجغرافيا، وذلك وفقاً لمفهوم الجغرافيا الذي تطور فيما بعد. ووفقاً لرأيه فإن هدف بطليموس كان المعاونة في رسم صورة الأرض لا وصفها»<sup>(٨٤)</sup>.

ويتضح تأثير بطليموس في جغرافيا العرب في أمرين مهمين: الأول، أنهم اقتبسوا منه الأطوال والعروض والمواضع، والآخر، أنهم اتبعوا طريقته في تقسيم العالم إلى أقاليم، ولو أنهم اختلقوا عنه في عددها. ويظهر أن الفيلسوف الكندي تأثر بمحتويات هذا الكتاب بحيث إنه صنف كتاباً في الموضوع نفسه هو رسالته الكبرى في الربيع المسكون وهو اسم لا يبعد كثيراً عن اسم كتاب بطليموس الأنف الذكر. كما أن العالم الرياضي محمد بن موسى الخوارزمي استمد أكثر مادة كتابه صورة الأرض من كتاب بطليموس، وهذا ما سنراه في بحثنا هذا. كما يظهر هذا التأثير في كتاب الأعلاق النفيسة الذي صنفه أحمد بن عمر المعروف

---

(٨١) أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمتنجات للتلطقات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحرير يوليوس ليبرت (ليزيك: ديترينج، ١٩٠٣)، ص ٩٨، وابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم، ص ٣٨٩.  
(٨٢) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (بغداد: مطبعة الحوادث، ١٩٧٢)، ص ١١٣.  
(٨٣) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ١، ص ٥٩٠ - ٥٩١.  
(٨٤) كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج ١، ص ٨٠.

بابن رسته في أواخر القرن الثالث - حوالى سنة ٢٩٠ وفيه «نجد أثر بطليموس عنده أوضح منه في غيره، فالأقسام الأولى من الكتاب: الأرض وعلاقتها بالفضاء، وخطوط الزوال والأجرام، وتقسيم هيئة الأرض، وما إلى ذلك من الموضوعات، بطليموسية»<sup>(٨٥)</sup>.

## أ - الخوارزمي وكتابه

لقد كان كتاب الخوارزمي صورة الأرض إحدى ثمرات حركة الترجمة. ويمكن اعتباره أول كتاب في الجغرافيا الرياضية عند العرب، شاملاً جميع ما كان معروفاً عندهم في هذا الموضوع. فقد أفاد الخوارزمي من كتاب بطليموس إلا أنه لغلبة الدراسات الرياضية والفلكية عند الخوارزمي فقد رتب كتابه على هيئة الزيج، أي بجداول. وتبدأ هذه الجداول بعد البسملة مباشرة على عمودين في كل صحيفة، يذكر فيها أسماء المدن التي خلف خط الاستواء، ثم المدن المعروفة بحسب الأقاليم السبعة وما خلف الإقليم السابع إلى آخر العمران. ثم يتلو ذلك توزيع الجبال بحسب الأقاليم السبعة وما وراءها، والبحار التي على كرة الأرض المعمورة وجزائرها. ثم المواضع التي تكتب فيها حدود البلدان. ويشمل القسم الأخير من الكتاب، وهو أوسع أقسامه، ذكر العيون التي خلف خط الاستواء والعيون والأهبار موزعة على الأقاليم السبعة.

وقد أرفقت بالكتاب أربع خرائط أوضحها وأدقها خريطة نهر النيل وأهم المدن عليه، ويتضح أن مجراه كان معروفاً بشكل جيد حينذاك من منبعه في جبال القمر حتى مصبه في البحر مع فروع العديدة عند المصب. ويظهر على الخريطة خط الاستواء وحدود الأقاليم الأول والثاني والثالث. ولهذه الخرائط أهمية كبيرة باعتبارها أقدم ما وصل إلينا من الخرائط العربية.

ويختلف تبويب كتاب الخوارزمي اختلافاً بيناً عن طريقة ترتيب كتاب بطليموس الذي عُدَّ جبال كل منطقة وأنهاها ومدنها على حدة، وإن عدد المناطق عنده (٢١) منطقة، بينما وُزِعَ ذلك في كتاب الخوارزمي على سبعة أقاليم، كما أنه قلَّ أن يتفق الكتابان على تحديد الأبعاد الجغرافية للأماكن المختلفة، ويمكن أن يُستنتج من هذا أن كتاب الخوارزمي يشمل شرحاً لخارطة العالم رسمت على طريقة بطليموس، وهذه الخارطة لم تصل إلينا<sup>(٨٦)</sup>. ويلاحظ أن الخوارزمي في كثير من الحالات لا يذكر اسم المدينة أو الجبل أو النهر الذي يحدد موضعه، وإنما يذكر ذلك بصيغة النكرة. أما البحار فيذكر أسماءها ويحدد امتدادها طولاً وعرضاً، وقد

---

(٨٥) نقولاً زياده، الجغرافية والرحلات عند العرب (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٢)، ص ١٨.

(٨٦) كراتشكوفسكي، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٠١ - ١٠٢. ويقول المسعودي: «ورأيت هذه الأقاليم مصورة في غير كتاب بأنواع الأصباغ، وأحسن ما رأيت من ذلك... في الصورة المأمونية التي عملت للمأمون، اجتمع على صنعها عدة من حكماء عصره، صُوِّرَ فيها العالم بأفلاكه ونجومه وبرّه وبحره وعاصره وغماره ومسكن الأمم والمدن وغير ذلك، وهي أحسن مما تقدّمها من جغرافيا بطليموس وجغرافيا مارينوس وغيرهما. انظر: المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٣٠.

يذكر بعض المدن الواقعة عليها. ويذكر الجزر موزعة على البحار بحسب مواقعها من خطوط الطول والعرض، وقد يذكر ما بها من مدن وأنهار. كما يذكر أسماء البلدان التي تمر بها الأنهار، وبعض المدن التي تقع عليها، ويحرص دائماً أن يشير إلى مصاب الأنهار.

ويرى المستشرق كرامرز أن كتاب الخوارزمي مختصر لكتاب بطليموس، وأن خطوط الطول والعرض التي جاءت فيه مستمد أكثرها من آراء بطليموس، وأنه يعين المواقع الجغرافية للأمكنة والأقاليم كما وجدت عقب الفتح الإسلامي، ومنها ما لم يذكره بطليموس، وأنه جمع نتائج أبحاث العلماء المسلمين الأوائل في هذا الموضوع<sup>(٨٧)</sup>.

## ٢ - تطور علم الجغرافيا

ومع أن الجغرافيين العرب ترسموا خطى المؤلفات الجغرافية اليونانية وبخاصة ما يتعلق منها بحجم الأرض وشكلها وأقسامها وموقعها بين الأفلاك، فإنهم أجروا كثيراً من التصحيحات فيها، وأدخلوا عليها إضافات مهمة. ومما ساعد على تطور علم الجغرافيا في هذا القرن أن بعض الفلاسفة والعلماء الرياضيين والفلكيين أخذوا يدرسون بعض المسائل والموضوعات المختلفة من الجغرافيا الرياضية والطبيعية، وسجلوا نتائج تجاربهم وخبراتهم وملاحظاتهم في كتبهم الفلكية أو الفلسفية أو في كتب خاصة بتلك المواضيع، كالجبال والأمطار والرعد والبرق والصواعق والزلازل وغيرها من مواضيع الجغرافيا الطبيعية، وعن كسوف الشمس والقمر وظاهرة المد والجزر وغيرها من مواضيع الجغرافيا الرياضية.

ومن الفلاسفة البارزين الذين أفاد الجغرافيون مما جاء في كتبهم من آراء ونظريات، فيلسوف العرب الكندي، وتلميذه ابن الطيب، وثابت بن قرة، والبتاني.

### أ - الكندي

أما الكندي فقد وضع عدداً من الرسائل عالج فيها مواضيع جغرافية، محاولاً تحليلها وبيان أسبابها. وقد سبقَت الإشارة إلى رسالته الكبرى في الربع المسكون. ومما وصل إلينا من رسائله مما له علاقة بالجغرافيا: رسالة في العلة التي لها يرد أعلى الجو ويسخن ما قرب من الأرض، ورسالة في العلة التي لها تكون بعض المواضع لا تكاد تمطر، ورسالة في علة كون الضباب والأسباب المحدثة له، ورسالة في علة كون الثلج والبرد والصواعق والرعد والزهمير، ورسالة في العلة الفاعلة للمد والجزر. وله رسائل مهمة أخرى في هذه المواضيع تضمنتها قوائم كتبه في القهرست لابن النديم، والقفطي، وابن أبي أصيبعة.

ويعرض الكندي المواضيع الجغرافية عرضاً علمياً قائماً على المشاهدة، مستخلصاً ما يمكن استخلاصه منها. وليس يشترط أن يتفق ذلك جميعه مع معارفنا الحالية، فلا ننسى أنه

(٨٧) نوماس أرسولد [واخرون]، تراث الاسلام، عرّبه وعَلّق حواشيه جرجيس فتح الله، ط ٣ (١٩٧٨)، ص ١٣٣.

كتبها قبل أحد عشر قرناً من الزمان. وسنلخص رسالته في العلة الفاعلة للمد والجزر لتتعرف إلى طريقة بحثه ومعالجته للموضوع. فهو يبتدئ بتعريف المد فيقول «إنما سمي بهذا الاسم، أعني المد، زيادة الجسم الرطب، أعني الماء، زيادة طبيعية. والزيادة الطبيعية إنما تكون من صغر إلى عظم لا بزيادة المادة»<sup>(٨٨)</sup>. ثم يقسم المد إلى غرضي وطبيعي، فالطبيعي هو «استحالة الماء من صغر الجسم إلى عظمه، والعرضي هو زيادة الماء بانصباب مواد فيه.. وهذا المد كثير في الأنهار والأودية، والفيوض التي أصلها من الأنهار»<sup>(٨٩)</sup>. ثم يتكلم على العيون والأحشاء<sup>(٩٠)</sup> وسبب تكوّنهما، وعلى المياه الباطنية، وعلى تأثير الشمس والقمر وزحل على سطح الأرض. وبعد ذلك يقسم المد إلى مد سنوي، وهو الزيادة في ماء البحار في وقت محدد من السنة في موضع دون موضع بتأثير حركات الأشخاص العالية - أي الأجرام السماوية - ومد شهري الذي يعرض في كل شهر، في الاجتماع والامتلاء، بحالين مختلفين. ومد وجزر يومي وأكبر الفعل فيه للقمر، «فإن القمر إذا صار في مشرق موضع كان أول وقوع ضده عليه فابتدأ في الحضي وقبول الزيادة في الأجزاء، إلا أن ذلك أظهر ما يكون في الماء. فكلما علا كان حي ذلك المكان أشد، حتى يصير في وتد سائمه، فهو نهاية قبول ذلك الموضع للحرارة، لحركة القمر، ونهاية مدّه. لأن الأجرام كلها حيث احتاجت إلى مكان أوسع، كما قلنا متقدماً. فإذا انحدر عن ذلك الموضع الذي هو وسط الساء نقص حُرّ الموضع من الأرض المنغل به، بقدر ما انحط، وبردت أجرام ذلك الموضع فاحتاجت إلى مكان أضيق، فجزر الماء أعني نقص، ثم لم يزل متريداً في الجزر مع تزايد القمر في الانحطاط نحو المغرب، حتى ينتهي إلى نقطة المغرب، فيكون ذلك نهاية الجزر... وكل موضع من الأرض يظهر فيه المد والجزر اليومي، فإنما يظهر فيه حين يبتدئ طلوع القمر عليه، ويبتدئ جزره حين يبتدئ زوال القمر عن سمت رؤوس أهله، ويتم الجزر حين يصير القمر في مغربه. ثم يبتدئ المد فيه - يقصد في الجهة الأخرى - حين يزول القمر عن مغربه ذاهباً إلى وتد الأرض ويتم حين يسامت وتد أرضه. ثم يبتدئ الجزر فيه حين يزول القمر عن وتد أرضه ذاهباً إلى مشرقه ويتم إذا صار في نقطة مشرقه. ثم يبتدئ المد أيضاً إذا زال القمر عن نقطة مشرقه كما قدّمنا.»<sup>(٩١)</sup>

لقد حدد الكندي أنواع المد والجزر ووصفها وبين تأثير القمر في حدوثها بما يطابق ما نعرفه اليوم عنها. إلا أنه فسر تأثير القمر بحرارة يسببها في جو الأرض فيضيف إلى حرارة الشمس، وهذه الحرارة الناشئة توسّع حجم الهواء وبالتالي حجم مياه البحر التي يرفقها القمر. وهكذا فإن الكندي أصاب في تعليقه حدوث المد والجزر وتأثير القمر في ذلك، ولكنه لم ينتبه إلى أن للقمر جاذبية، وهي التي تؤثر على سطح البحار، وأن تأثيره لا يعود إلى ما فيه من حرارة.

(٨٨) أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي، رسائل الكندي الفلسفية، حققها وأخرجها محمد عبد الحادي أبو ريّة، ج ٢ (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٥٠ - ١٩٥٣)، ج ٢، ص ١١٠.  
(٨٩) المصدر نفسه.

(٩٠) الأحشاء: جمع حسي، وهو سهل من الأرض يستتق فيه الماء، أو غلظ فوقه رمل يجمع ماء المطر، وكلما نزلت دلوا جت أخرى. انظر: مادة «الحسي»، في: الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة الصباح الخير وأساس البلاغة، ج ٤ (القاهرة: مطبعة الاستقامة، ١٩٥٩)، ج ١، ص ٥٥٨.  
(٩١) الكندي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٢٨ - ١٣١.

## ب - السرخسي

ومن كتب في المواضيع الجغرافية من الفلاسفة أيضاً الفيلسوف أحمد بن الطيّب السرخسي أبرز تلاميذ الكندي. فقد صنف كتاب المسالك والممالك، وكتاب منافع الجبال، وكتاب في برد المعجوز، وكتاب في كون الضباب، وكتاب في أحداث الجو<sup>(١٠١)</sup>. ولم يصل إلينا شيء من هذه الكتب، إلا أنه من الواضح أن الكتاب الأول من الكتب البلدانية التي تضم معلومات جغرافية متنوعة سبقت الإشارة إليها. أما الكتب الأربعة الأخرى فهي، كما يظهر من عناوينها، تبحث في مواضيع جغرافية طبيعية، وتتناول الثلاثة الأخيرة منها أبحاثاً في موضوع الآثار العلوية، أي الأحوال الجوية التي سبق للكندي أن صنف عدداً من الرسائل والكتب فيها. ولا تعرف ما إذا كان ابن الطيّب قد صنفها لتأييد أستاذه في آرائه وتعليقاته، أم أنه وضعها للرد عليه وتفنيد أقواله.

## ج - ثابت بن قرّة

صنف المهندس الفيلسوف ثابت بن قرّة في مواضيع جغرافية، منها: كتابه في جوامع المسكونة، وكتاب في سبب كون الجبال<sup>(١٠٢)</sup>. ويمكن اعتبار بعض كتبه الفلكية مما يختص بالنّبرين من كتب الجغرافيا الرياضية.

## د - البتاني

كتب الفلكي الرياضي أبو جعفر محمد بن جابر البتاني في بعض المواضيع الجغرافية كذلك. فقد تضمن كتابه الزيج الصّالح معلومات جغرافية، فهو يقدّم لنا أنّ وصف للعالم كما عرفته العصور السابقة مأخوذ عن جغرافي المدرسة اليونانية. وقد أفاد منه ممثلو الجغرافيا الوصفية من معاصري البتاني، كما توجد شذرات منه لدى ابن رسته والمسعودي وقدامة بن جعفر، مأخوذة من مصادر أخرى<sup>(١٠٣)</sup>. إذ تضمن القسم الأخير من الباب السادس معلومات من الجغرافيا الطبيعية والإقليمية تحتوي وصفاً للأرض وأقاليمها، والبحار وخلجانها وجزورها، والجبال. كما ثبت في الجداول الملحقة بآخر الكتاب أسماء ما ينوف على ثلاثمئة موضع مع بيان مواقعها بحسب العروض والأطوال<sup>(١٠٤)</sup>.

(٩٢) اس النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنّفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٢٨٠، واد العباس أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق نزار رضا (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦٠)، ص ٢٩٤ و ٢٩٨.

(٩٣) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٩٨ - ٢٩٩، والفطحي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات المنتقاة من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ١١٧، وفيه كتاب في سبب خلق الجبال.

(٩٤) كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص ١٠٦.

(٩٥) أبو عبد الله محمد بن جابر البتاني، الزيج الصّالح، اعتنى بطبعه وتصحيحه وترجمه إلى اللغة اللاتينية كارلو نابليو (رومية: مطبعة رومية، ١٨٩٩)، ص ٢٥ - ٢٨ و ٢٣٤ - ٢٤٢.

### ٣ - الأنواء والآثار العلوية

لقد حقق العلماء العرب في المواضيع التي تدخل ضمن ما نسميه اليوم الجغرافيا الطبيعية تقدماً محسوساً، ولا سيما في ما أطلقوا عليه اسم «علم الأنواء» و«الآثار العلوية» وهما يقابلان ما ندعوه اليوم علم الظواهر الجوية - Meteorology. وعلم الأنواء من العلوم العربية الأصيلة، تمتد جذوره إلى عهود العرب في جزيرتهم قبل الإسلام. وما ينطوي عليه هذا العلم من معرفة بالكواكب والنجوم من حيث مواقعها وحركاتها، وبأحوال الجو من خلال فصول السنة، ومواسم الأمطار، ومهابب الرياح، والاهتداء بالنجوم ليلاً، يجعله أحد الأدلة على أنه ثمرة حضارة راقية كانت قائمة في جزيرة العرب في عهود قديمة من تاريخها. مع العلم أن ما وصل منه إلى أيام النهضة العلمية في القرن الثالث متمثلاً بالشعر والسجع من الأقوال، ما هو إلا غيض من فيض.

ولم تكن المعلومات في الأنواء تدوّن حتى أواخر القرن الثاني ومطلع القرن الثالث، عندما أخذ العلماء من رجال اللغة والنحو يجمعون من أشعار العرب وأقوالهم وأمثالهم ما يصنّفون منها كتباً قائمة على موضوع واحد كالإبل، والخيل، والنحل، والطيور، وخلق الإنسان، والنبات، والزرع، والشجر، والنخل. وبذلك كانوا أول من عني بجمع المعلومات عن علم الأنواء. ثم أخذ غيرهم من العلماء والفقهاء والجغرافيين يصنّفون في هذا الموضوع. فقد صنف فيه من علماء اللغة كل من الأصمعي، وابن الأعرابي محمد بن زياد الكوفي، ومحمد بن حبيب، والمفضل بن سلمة، وأبو حنبل الشيباني، والمبرد، والأخفش الصغير، وابن دريد. ومن العلماء الفقهاء والمؤرخين أبو حنيفة الدينوري، وابن قتيبة. ومن العلماء الفلاسفة ثابت بن قرة<sup>(٩٦)</sup>.

وكان علماء اللغة قد جمعوا في ما صنفوه من كتب الأنواء ما قاله قدامى العرب من الشعر والسجع مما يتضمن معلوماتهم عن مطالع النجوم ومساقطها، ومنازل القمر وهياكلها، والأزمنة - أي الفصول، وتحديداتها، والمواسم والأمطار، وأنواع الرياح ومهابها. وكان مفهوم الأنواء عندهم هو حوادث الجو في مختلف أيام السنة «سميت أنواء لأنها تقدم المعرفة بأحوال السنة وأقسامها وأيامها»<sup>(٩٧)</sup>. ولا يكاد يختلف مفهوم الأنواء عند أهل اللغة وعند علماء الفلك إلا بالترتيب والتنظيم والشمول. ويلاحظ أن ما اطلع عليه علماء العرب من معلومات حكماء اليونان عن الأنواء، لم يزد شيئاً عما كان يعرفه قدامى العرب في هذا العلم.

وقد طُبع من الكتب التي وصلت إلينا عن الأنواء كتاب لأبي حنيفة الدينوري، وكتاب

---

(٩٦) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنّفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ١٣٦، ما عدا المفضل بن سلمة (ص ١١٧)، والأخفش الصغير (ص ١٢٩)، وثابت بن قرة، انظر: أخبار الحكماء، ص ١١٨.

(٩٧) علم الفلك عند العرب، ص ١٣٤.



آخر لابن قتيبة<sup>(٩٨)</sup>. وسنعرض في ما يلي مفهوم الأنواء وما يتصل بها اعتقاداً على ما جاء في الكتاب الأخير. إن معنى النوء «هو سقوط النجم منها» أي من منازل القمر - في المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من مساعته في المشرق. وسقوط كل نجم منها في ثلاثة عشر يوماً خلا للجهة، فإن لها أربعة عشر يوماً، فيكون انقضاء سقوط الثانية والعشرين مع انقضاء السنة، ثم يرجع الأمر إلى النجم الأول في ابتداء السنة المقبلة<sup>(٩٩)</sup>.

وتضمّن كتاب ابن قتيبة مواضيع علم الأنواء الرئيسية وهي: منازل القمر، وطلوع الشمس وغروبها، ونسبة المطر إلى النوء، وأسَاء المنازل وهيئاتها وكيفية نزول القمر بها وما ينسب إليها. ثم تكلم على أوقات التناج، وأوقات تبدّي العرب ورجوعها إلى محاضرها، ويذكر الأزمنة الأربعة وتحديد أوقاتها مع نجومها ونجوم أنوائها. وبلي ذلك موضوعات فلكية تتعلق بالقطبين والمجرّة والكواكب السيارة والنجوم الثابتة، وموضوع الرياح وتحديد مهابها وأفعالها، والسحاب والمطر، وينتهي باختلاف مناظر النجوم وكيفية الاهتداء بها.

ولعل من المناسب أن نذكر نموذجاً عما تعرّض له ابن قتيبة من مواضيع علم الأنواء، فهو يقول عن الأزمنة وأقسامها: إن العرب لم تكن تذهب في تحديد أوقات الأزمنة إلى مثل هذا - ويقصد تقسيمها في أيامه - ولا تجعل الربيع أول السنة، ولكنها تذهب إلى ما تعرفه في بلادها من إقبال الحر والبرد وإدبارهما، وطلوع النبات واكتئاله - نضجه - ويسيه. وتذهب في عدد الأزمنة إلى الابتداء بالخريف وتسميه الربيع، لأن أول الربيع وهو المطر، يكون فيه. ثم يكون بعده فصل الشتاء، ثم يكون بعد الشتاء فصل الصيف وهو الذي يسميه الناس الربيع وتأتي فيه الأنوار، وإنما سموه صيفاً لأن المياه عندهم تغل في - والكلاً يهيج، وقد يسميه بعضهم الربيع الثاني. ثم يكون بعد فصل الصيف القيظ وهو الذي يسميه الناس الصيف، وأول الربيع عندهم - وهو الخريف - ثلاثة أيام تغل من أيلول [سبتمبر]، وأول الشتاء ثلاثة أيام تغل من كانون الأول [ديسمبر]، وأول الصيف - وهو الربيع الثاني - خمسة أيام تغل من آذار [مارس] وأول وقت القيظ أربعة أيام تغل من حزيران [يونيو]. والخريف عندهم المطر الذي يأتي في آخر القيظ، ولا يكادون يجعلونه اسماً للفصل<sup>(١٠٠)</sup>.

وكانوا يُسمّون شهري الشتاء الخالص شهري قياح، وسميا بذلك لأن الإبل ترفع رؤوسها عند الماء لشدة برده، والإبل القياح هي التي ترفع رؤوسها. ويدعون هذين الشهرين ملحاح وشيآن لبياض الأرض بالصقيع والجليد. وسمون شهري القيظ اللذين يشد فيها الحر شهري ناجر، وسميا بذلك لأن الإبل تشرب ولا ترتوي، والنجر هو أن تشرب فلا ترتوي<sup>(١٠١)</sup>.

(٩٨) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الأنواء في مواسم العرب (حيدر آباد الدكن: مطبعة مجلس

دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥٦).

(٩٩) المصدر نفسه، ص ٦ - ٧.

(١٠٠) المصدر نفسه، ص ١٠٤.

(١٠١) المصدر نفسه، ص ١٠٥ - ١٠٦.

ثم يتكلم بعد ذلك على نجوم الأزمنة ونجوم أنوائها، لكل فصل وأمطاره ونباته ورياحه. ويربط مواعيد كل هذه الظواهر بمواعيد النجوم التي تخص كل فصل منها.

أما ما يتعلق بالظواهر الجوية وعلل تغيرها باستمرار فإن أحسن ما يمثل ما توصل إليه العرب آنذاك ما كتبه الفيلسوف الكندي من رسائل وكتب حول هذا الموضوع مما سبقت الإشارة إليه. فقد عالج الكندي المواضيع الخاصة بالآثار العلوية وفق نظرية قال بها، عرفت بقانون انبساط الأجسام. وهي تعارض نظرية أرسطوطاليس القائلة بأن حدوث الآثار العلوية إنما تنشأ عن افتراق البخارين، أي البخار الرطب والبخار الجاف الدخان فوق الأرض بتأثير الشمس. فالبخار الرطب هو مادة المطر والثلج والبرد وما يشابه ذلك، بينما البخار الجاف هو مادة الرياح، وهو يعزو سبب حدوث المطر إلى التقاء البخار الرطب بالبرودة دون أن يفسر أثر البرودة عليه أو يعلله<sup>(١٠١)</sup>. أما نظرية الكندي فقد جعلت تمتد الأحجام هو السبب الرئيس لتكوين الحوادث الجوية، فهو يقول «وكل جسم يبرد انقبض واحتاج إلى مكان أصغر من مكانه قبل برده، وكل جسم حي انبسط واحتاج إلى مكان أعظم من مكانه قبل حيه»<sup>(١٠٢)</sup>. وعلى هذا فإن العلة الأساسية في حدوث المطر، كما يرى الكندي، هي انقباض حجم البخار الذي يحصل بتأثير اختلاف الحرارة، إذ يقول: «فلذا تنأى البخار إلى موضع يعلو من سمت الشمس يعلو برده جوه بالمقدار الذي يحصر ذلك البخار ويغلظه ويكثفه، استحال ما مائه من الهواء ماء، فأنحلب أمطاراً سائلة إلى الأرض ما كان فيه من البخار المائي»<sup>(١٠٣)</sup>.

وكذلك الأمر في حدوث الرياح، فقد قسم أرسطوطاليس الرياح قسمين: الرياح العمودية والرياح الأفقية، وتحصل الأولى بطلوع البخار الجاف إلى الأعلى واصطدامه بالبرودة فيرجع إلى الأرض، وهذه الحركة تولد الرياح العمودية، أما الرياح الأفقية فهي في رأيه أن حركة طبقة الهواء الموجودة حول الكرة الأرضية تابعة للحركة الكلية مع الفلك الأفقي، وهو تحليل مهم ينطوي على تناقضات<sup>(١٠٤)</sup>. بينما يعلل الكندي حدوث الرياح بقوله: «فلذا كانت الشمس في الميل الشمالي حيث المواضع التي في الجهة الشمالية، وبردت التي في الجهة الجنوبية، فسال الهواء الشمالي واتسع لحرارته، إلى الجهة الجنوبية لانقباض الهواء الجنوبي برده. فلذلك تكون أكثر رياح الصيف شمالي وأكثر رياح الشتاء جنوبي، إلا ما عرض من الأسباب السفلية من جري الأودية والفيض العارضة والتقاطع والروح والشرق على الجبال الصلدة والسياح الغرقة والزروع والغياض والأجام، في بعض الأوقات دفعة، وفي بعضها على جزء فجزء. فإن هذه الأسباب وما أشبهها تحدث علل يكون سيل البخار بها إلى جهات مختلفة، تعرض بها صروف من الرياح على قدر أوضاع المواضع من الأشراف، والأنهار، والأغوار والمحيات ومن التهاب السيران، وما أشبه ذلك»<sup>(١٠٥)</sup>. وهو تفسير يخالف ما قال به أرسطوطاليس، وينطبق تماماً على

(١٠٢) فؤاد سركين، محاضرات في تاريخ العلوم العربية الإسلامية (فرانكفورت: [د.ن.])، ١٩٨٤،

ص ١٠٥.

(١٠٣) الكندي، رسائل الكندي الفلسفية، ج ٢، ص ٧١.

(١٠٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٧٢.

(١٠٥) سركين، المصدر نفسه، ص ١٠٧.

(١٠٦) الكندي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٧١-٧٢.

النظريات الحديثة في الموضوع، التي تنسب إلى جورج هاردلي وعمانوئيل كنت من علماء القرن التاسع عشر الميلادي<sup>(١٠٧)</sup>.

#### ٤ - الكتب البلدانية

استطاع علم التاريخ في هذا القرن أن يتحرر من الجغرافيا ويقتصر على الوقائع والأحداث إلى حد بعيد، بحيث أصبح علماً مستقلاً له أهدافه ونطاقه وطرقه. وظهرت الكتب التاريخية الخالصة مما سبقت الإشارة إليها. إلا أن علم الجغرافيا لم تنس له الأسباب الكافية التي تجعله علماً قائماً بذاته، وذلك لعدم اتضاح مواضيعه وأهدافه بصورة كاملة، فبقي طوال هذا القرن والقرن التالي أسير الكتب البلدانية. إن اهتمام الدولة والناس بالتعرف إلى طبيعة الأقاليم ومدنها وخططها، والطرق الموصلة إليها، ومخضلات أرضها، وصناعات أهلها وتجارهم، كانت حوافز مهمة لدراسة هذه المعلومات وجمعها وتدوينها بعدد من الكتب البلدانية التي أخذت تظهر في هذا القرن. فقد احتاجت الدولة إلى هذه المعلومات لأغراضها السياسية والمالية والعسكرية والإدارية، واحتاجها الناس في أسفارهم للحج والتجارة وطلب العلم أو لأغراض أخرى. فكان التجار يتنقلون بين مختلف الأمصار والبلدان بحكم عملهم في نقل البضائع والأموال بين بلد وآخر وللتجارة بها. وتساfer أعداد غفيرة من المسلمين سنوياً إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، كما يرحل أعداد كبيرة من الطلبة طلباً للعلم والحديث وللدرس على مشاهير الشيوخ والعلماء في أوطانهم، وللتعرف إلى مختلف البلدان وأحوالها. وكانت وحدة الدولة العربية سياسياً ودينياً ولغوياً قد يسّرت للناس ذلك.

لقد كان من نتائج هذه الرحلات والأسفار أن ازدادت المعلومات والمعارف الجغرافية. إذ كان بعض هؤلاء المتنقلين بين البلدان يعنون بتدوين بعض مشاهداتهم وملاحظاتهم وما يسمعون عن أحوال تلك البلدان التي سافروا إليها وأطلعوا على حياة أهلها من حيث عاداتهم وأخلاقهم وأساليب معيشتهم، وما تشتهر به، وعرفوا مواقعها وطرق الوصول إليها. أو أنهم يردون تلك المعلومات لغيرهم ممن يدفعه حب الاستطلاع لسإعها، أو للإفادة منها. فكانت هذه المعلومات المادة الأساس للكتب المشار إليها. والواقع أننا نجد في ما وصل إلينا من هذه الكتب معلومات وفيرة ومفصلة عن أقاليم الدولة العربية آنذاك، ومدنها الكبرى ومعالمها، والطرق إليها ومغطات استراحة القوافل فيها، وما تشتهر به كل منها من الصناعات ومخضلات أرضها، وما تتجر به من البضائع مما تصدّره أو تستورده. كما أنها تتضمن أحياناً وصف حياة الناس فيها وعاداتهم ولباسهم وما يُستحسن أو يعاب فيهم.

وقد حملت هذه الكتب عناوين مختلفة: منها الأقاليم، والبلدان، وصورة الأرض، وصفة العالم، والمسالك والممالك، والأخير أكثرها استعمالاً. ومن الملاحظ أن المعلومات الجغرافية التي جاءت في هذه الكتب كانت وصفية، وأن بعضها تضمّن شيئاً من غرائب

(١٠٧) سركيس، المصدر نفسه، ص ١٠٧.

الأخبار وعجائب العالم، مما يدخل في موضوع الأساطير والقصص الخيالي. ولا يخفى أن الكتب البلدانية التي صُنفت في القرن التالي - الرابع - كانت أوسع شمولاً وأكثر دقة ونحرياً. وخير ما يمثلها كتاب صورة الأرض لابن حوقل محمد الموصلي التاجر الرحالة المتوفى سنة ٣٦٧، وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي البشاري محمد بن أحمد المتوفى سنة ٣٨٠، وأن ما جاء فيها خلاصة المعلومات والآراء الجغرافية التي توصل إليها العرب في خلال القرنين الثالث والرابع.

ومما وصل إلينا من الكتب البلدانية التي صُنفت في القرن الثالث كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه، وكتاب البلدان لليعقوبي، وهما غودجان جيدان للكتب البلدانية، وسنحاول فيما يأتي أن نلم بمحتويات كل منها من المعلومات الجغرافية لتتعرف إلى أهمية الكتب البلدانية في تطور علم الجغرافيا.

### أ - كتاب المسالك والممالك

صنفه أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبه، الأديب الجغرافي المتوفى نحو سنة ١٢٨٠<sup>(١)</sup>. نشأ ببغداد وتلقى ثقافة عربية، وصار من رؤساء الدواوين، ونادم الخليفة المعتمد على الله واختص به وولاه ديوان البريد في الولايات الشرقية. ويعتبر كتابه المسالك والممالك أول كتاب وضع بهذا العنوان. ويقول ابن النديم إن أول من ألف في هذا الموضوع هو أبو العباس جعفر بن أحمد المتوفى سنة ٢٧٤ وهو أحد المؤلفين في سائر العلوم، ويظهر أنه لم يتم تصنيفه<sup>(٢)</sup>. إلا أن دو غويه ناشر كتاب ابن خرداذبه يرى أن مسودته الأولى ترتفع إلى حوالى سنة ٢٣٢ وأعدت مسودته الثانية سنة ٢٧٢، وجاء مثل هذا في كتاب تاريخ الأدب الجغرافي العربي، وفي دائرة المعارف الإسلامية، ويعتبره المستشرق نيكلسون أقدم مصنف جغرافي وصل إلينا، ويصفه بأنه دليل رسمي<sup>(٣)</sup>.

يمكن أن يُستنتج مما جاء في مقدمة الكتاب الوجيزة أن المصنف قد وضعه تلبية لطلب الخليفة ليوضح فيه مسالك الأرض وممالكها وصفتها، وبعدها وقربها، وعامرها وغامرها، على ما رسمه المتقدمون، ويقول إنه اعتمد في وضعه على كتاب بطليموس دون أن يسميه، ومن الواضح أنه يقصد كتاب جغرافيا في المعمور<sup>(٤)</sup>. وفسر ما يعنيه عنوان كتابه بقوله وهذا كتاب

(١٨) هكذا ثبت اسمه ناشر الكتاب، ومثله جاء في: حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ٢، ص ١٦٦٥. إلا أن ابن النديم سماه عبيد الله بن أحمد، في: الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم، ص ٢١٨، وكذلك سياه الزركلي، في: الأعلام: قاسوس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ٤، ص ٣٤٣.

(١٩) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٢٢٠.

(١١٠) كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج ١، ص ١٥٦، ودائرة المعارف الإسلامية،

ج ١٢، ص ١٢٣.

(١١١) أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله من خرداذبه، المسالك والممالك، تحقيق ميخائيل دو غويه،

المكتبة الجغرافية العربية، ٦ (ليدن: مطبعة برييل، ١٨٩٨)، ص ٣.

فيه صفة الأرض وبنية الخلق عليها، وقيلة أهل كل بلد، والممالك، والمسالك إلى نواحي الأرض»<sup>(١١٢)</sup>.

يبدأ الكتاب بمعلومات موجزة عن صفة الأرض الكروية وخط الاستواء والقطبين الشمالي والجنوبي، وقسمة سطح الأرض إلى سبعة أقاليم متبعا تقسيم الخوارزمي. ويبين اتجاه قبلة كل بلد من البلدان الإسلامية. ثم يتكلم بإسهاب على سواد العراق من حيث أقسامه الإدارية وتقدير جباية خراجها مقدرة بوزن الحاصلات الزراعية وقيمتها بآلاف الدراهم. ويذكر بعد ذلك ملوك الأرض في أول الزمان وممالكهم وألقابهم. ثم يبدأ القسم الأساسي للكتاب فيتكلم على المسالك الرئيسة بدرجة متفاوتة من التفصيل ذاكرا أهم المدن والقرى والمواقع التي تمر بها مع مقدار المسافات بينها بالفراسخ. مبتدئا بطرق المشرق، ثم طرق الجنوب إلى الهند، فطرق الشمال إلى آسيا الصغرى وبلاد الروم. مع ملاحظات عن التقسيم الإداري والخراج والحاصلات الزراعية والمعادن وغرائب الحيوان، وبعض الأخبار عن عجائب البلدان التي تمر بها المسالك والطرق المذكورة. ثم يذكر أجناس أهل الهند، ويقصد بذلك الطبقات الاجتماعية. كما يصف الطرق الموصلة إلى عاصمة الروم ويعدّد أعمال بلاد الروم وأقسامها الإدارية، ويذكر تفاصيل أخرى رواية عن مسلم بن أبي مسلم الجرمي، صاحب المصنفات في أخبار الروم وبلادهم، وطرقها ومسالكها، وأوقات غزوها، وما جاورها من الممالك من البرجان والبرغز والصقالبة والخزر وغيرهم<sup>(١١٣)</sup>. ويذكر بإسهاب الطرق الموصلة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة من حاضرة الخلافة أو من أمهات الأمصار، مبينا منازلها، ويعطي لتوفر المياه فيها أهمية كبيرة، وهو ما يجعل هذا القسم من الكتاب خير دليل للحجاج.

ويتكلم بعد ذلك على طرق التجارة الخارجية، فيصف الطرق التي اعتاد التجار . لوكلها في رحلاتهم التجارية، وقد سبق ذكرها في الفصل الخاص بالتجارة عند بحث الطرق الخارجية.

ثم ينتقل إلى الكلام على تقسيم المعمور من الأرض إلى أربعة أقسام هي: أورق، وفيها الأندلس والصقالبة والروم وفرنجة ووطنجة إلى حد مصر. ولوبية وفيها مصر والقلمزم والحيشة والبربر والبحر الجنوبي. وإيتوفيا وفيها تهامة واليمن والسند والهند والصين. واستونيا وفيها أرمينيا وخراسان والترك والخزر.

ويلى ذلك فصل عن عجائب الأرض، فيذكر بعض ما يعتبره من العجائب بالأندلس والهند وبلاد الروم والحجاز ومصر وسد ياجوج ومأجوج. وعن هذا السد يذكر خبر البعثة التي أرسلها الراحل بالله من سامراء إلى موقع السد برئاسة سلام الترمجان. وهو يروي الخبر عن رئيس البعثة الذي أملاه عليه من كتابه الذي كتبه للخليفة الراحل بالله. وهو أقدم مصدر

(١١٢) المصدر نفسه، ص ٤.

(١١٣) المصدر، التنبيه والإشراف، ص ١٦٢.

لهذا الخبر، وعنه نقله الآخرون، رغم تشكك بعضهم بصحته. ويكمل بعد ذلك عجائب البلدان الأخرى كالتيب والأهواز وبلاد الزنج والبحرين. كما يتكلم على عجائب استحالة المياه، وعجائب الجبال. ثم يختص باباً لمخارج الأنهار، أي منابعها.

والكتاب بما احتوى من المواضيع لا يمكن اعتباره كتاباً جغرافياً بالمعنى المقهور لهذا العلم، إلا أنه تضمن أوصاف بعض البلدان وذكر حاصلاتها، وطبيعة أرضها، وأمطارها، ومناخها، وأمثال ذلك من معلومات ذات طابع جغرافي. ولا ننسى أن الغرض الأصلي من تصنيف الكتاب، كما قال مصنفه في مقدمته، هو توضيح مسالك البلدان وممالك الأرض. وللكتاب أهمية خاصة لأن ما ورد فيه عن الطرق والمسالك صار مرجعاً لمن جاء بعده للدقة معلوماته التي اكتسبها بعمله في ديوان البريد، وباطلاعه على ما جاء عنها في وثائق دواوين الدولة. كما أن بحورته لا تنحصر في أقاليم الدولة العربية وطرقها، بل تمتد إلى جميع البلدان والممالك الأخرى التي استطاع أن يجمع أخبارها.

أما أسلوب الكتاب ولغته فدون المستوى المطلوب، علماً أن للمؤلف مصنفات أخرى في الأدب والندماء والجلساء وأدب السماع والأنواء<sup>(١١١)</sup>، فقد جاء بأسلوب جاف ولغة ضعيفة. كما أن الكتاب بمجموعه ينقصه التنسيق والتبويب الصحيح، فلم ينج نظاماً خاصاً في تأليفه؛ فعند كلامه على صفة الأرض (ص ٤) لم يستكمل المعنى إلا في الصفحتين (٩٣ و ١٥٥) ولعل هذا الضعف في الأسلوب واللغة وعدم التنسيق في عرض المادة يعود إلى أن نسخة الكتاب المطبوعة ليست أصل الكتاب وإنما تمثل موجزاً متأخراً له وجد في مخطوطتين فقط، كما يقول ناشر الكتاب<sup>(١١٢)</sup>. وجاء في كتاب الأدب الجغرافي العربي للمستشرق الروسي كراتشكوفسكي<sup>(١١٣)</sup> أن دو غويه اطلع على مخطوطة ثالثة للكتاب واستفاد منها في طبعة سنة ١٨٨٩.

وختاماً نرى، كما يقول المستشرق الروسي كراتشكوفسكي، أنه «قد كان لاهتمام المؤلف بالرحلات أن حفظ لنا مادة مفيدة خاصة فيما يتعلق بوصف الطرق في عهود مبكرة... ولا شك أن عدم التناسق في مادة الكتاب هو المسؤول عن التناقض في حكم الجغرافيين العرب المتأخرين عليه. غير أن تأثيره على الأدب الجغرافي التالي كان كبيراً جداً، فأخذ عنه من المؤلفين المتقدمين يعقوب بن رسته وابن حوقل والمقدسي والجيهاني والمسعودي، وذلك عن مخطوطة ثالثة هي أفضل المخطوطات جميعاً»<sup>(١١٤)</sup>.

## ب - كتاب البلدان

من الكتب البلدانية المهمة التي وضعت في هذا القرن كتاب البلدان ومصنفه المؤرخ

(١١٤) ابن التديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٢١٩.

(١١٥) كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج ١، ص ١٥٦.

(١١٦) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٥٨.

(١١٧) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٥٨.

أحمد بن اسحاق اليعقوبي صاحب التاريخ المعروف باسمه، والذي سبق أن تحدثنا عنه. كان اليعقوبي، كما يقول في مقدمة كتابه، معنياً في عنقوان شبابه بأخبار البلدان ومسافة ما بين بلد وآخر، فسافر وهو حديث السن، واتصلت أسفاره وطال تغربه فأقام مدة بأرمينيا وخراسان وزار الهند وفلسطين والمغرب، ومكث مدة في مصر في أيام إمارة الطولونييين. وجمع أخبار تلك البلدان وغيرها، وبلغ من حبه للمعرفة أنه كان يسأل كل من يلقاه عن بلده وموقعه وسكانه، وشرب أهله، وحاصلاته الزراعية والمسافة بين ذلك البلد وما يقرب منه من البلدان، ولا يفوته أن يستفسر عن لباس الناس ودياناتهم. وهو لا يأخذ المعلومات إلا عن يثق بصدقه. وما يدل على دقته في جمع المعلومات أنه كان يستظهر بمسألة قوم بعد قوم عن الموضوع نفسه. وكان يحضر مواسم الحج حيث يند الناس إلى مكة المكرمة من مختلف أرجاء العالم الإسلامي، فينتصّل بأكثر عدد منهم ليتعرف إلى أحوال البلاد التي قدموا منها. فجمعت لديه معلومات كثيرة كان يكتبها تدريجياً، فألف هذا الكتاب. وكان يضيف إليه كل ما يحصل عليه من معلومات أخرى من ثقات أهل الأمصار. ولاعتقاده بأن ما جمعه من المعلومات عن بلد ما لا يحيط بكل أحواله، فقد جعل كتابه هذا «مختصراً لأخبار البلدان» وهو يعتز بمن يجد أخباراً عن بلد لا يتضمنها هذا الكتاب، لأنه لم يقصد الإحاطة بكل ما يخص ذلك البلد، متمثلاً بقول الحكيم «ليس طلمي للعلم طمعاً في بلوغ ناصيته والاستيلاء على نهايته، ولكن معرفة ما لا يسع جهله ولا يحسن بالمائل خلاله»<sup>(١١٨)</sup>. وقد حدد الموضوعات والبحوث التي ضمها الكتاب بقوله «ذكرت أسماء الأمصار والأجناد والكور وما في كل مصر من المدن والأقاليم والعسايس ومن يسكنه... ومن فتحه من قادة جيوش الإسلام وتاريخ ذلك في سنته وأوقاته، ومبلغ خواجه»<sup>(١١٩)</sup>.

وقد ابتدأ ببلاد العراق «لأنها وسط الدنيا وسرة الأرض»<sup>(١٢٠)</sup> وتكلم أولاً على بغداد وسرّ من رأى «لأنها مدينة الملك ودار الخلافة»<sup>(١٢١)</sup> وقد أسهب في الكلام عليهما وبخاصة ما يتعلق بتأسيسهما وخططهما وما طرأ من تغيرات عليهما، مما استغرق ربع مجموع صفحات الكتاب. ثم ذكر بعد ذلك سائر البلدان. وهو يقسم العالم المعروف آنذاك إلى أربعة أقسام بحسب الجهات الأصلية، فيقول «فلنذكر الآن سائر البلدان والمسافات فيما بين كل بلد وبلد ومدينة ومدينة على أقسام أربعة حسب ما تقسم عليه أقطار الأرض بين المشرق والمغرب ومهب الجنوب، وهو القبلة وهو مطلع سهيل الذي يسميه الحُساب الثنيّن، ومهب الشمال وهو كرمي بنات نعل الذي يسميه الحُساب الجدي، ونصف كل بلد إلى الربع الذي هو منه والذي يتصل به»<sup>(١٢٢)</sup>. ويلاحظ أنه لم يقتيد بتقسيم بطليموس، كما أنه لم يأخذ بأقاليم الخوارزمي، وإنما وضع تقسماً خاصاً يقوم على الجهات الأصلية الأربع. وهذه الأقسام هي:

الربع الأول وهو ربيع المشرق ويشمل الأقاليم الشرقية للدولة العربية. وتطرق فيه إلى

(١١٨) أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، البلدان (لیدن: مطبعة بريل، ١٨٩٢)، ص ٢٢٣.

(١١٩) المصدر نفسه.

(١٢٠) المصدر نفسه.

(١٢١) المصدر نفسه، ص ٢٦٨.

(١٢٢) المصدر نفسه، ص ٢٦٨ - ٢٦٩.

فتح سجستان وذكر ولائها على التابع وولاة خراسان منذ الفتح العربي حتى أيامه، وتضمن ذلك معلومات تاريخية مهمة.

الربع الثاني وهو الربع القبلي وتكلم فيه على مدينة الكوفة وخططها، والمدينة المنورة، ومكة المكرمة، واليمن، مع بيان المسافات بينها. واهتم بطريق الحج الموصل بين بغداد ومكة والمدينة عن طريق الكوفة، والمنازل التي في هذا الطريق، كما ذكر طريق الحج بين اليمن ومكة ومنازلها.

الربع الثالث وهو الربع الجربي وهو ربيع الشمال وتضمن الكلام فيه على المدائن والبصرة. وقبل أن يكمل ما يختص بالبصرة ينتقل إلى الولايات الغربية فيتكلم على جند حمص وجند دمشق وجند الأردن وجند فلسطين. ثم يتكلم على مصر وكورها، ومعادن التبر، وبلاد النوبة، وبلاد الحجة. ثم يكمل كلامه على مدن مصر وفتحها، وعلى طريق مكة من مصر، وعلى المغرب، وبرقة، وسرت، واطرابلس، والقيروان، وجزيرة الأندلس ومدنها، وسجلها، والسوس الأقصى، وعندها ينتهي الكتاب بملحق عن نهر الأهواز، وشيراز، ونصيبين وملطية، ودلوك ومنج واسكندرون، وتغليس، وأقسام أرمينيا.

ونستنتج من هذا الارتباك، وسعة ما تضمنه الربع الثالث، وعدم تجانس الأقاليم فيه، أنه قد حصل نقص في القسم الأخير منه، واختلط بعض أقسام الربع الرابع مع نقص في أوائله. وبصرف النظر عن هذا النقص والخلط الذي طرأ على الكتاب على أيدي النساخين وعوادي الزمن، فقد أحسن يعقوبي في تبويب كتابه، وهو تبويب جغرافي إداري قائم على الجهات الأربع، والولايات ومدنها المهمة. وقد درج المصنف على أن يصف أهم المدن فيتكلم على فتحها وجغرافيتها من حيث سطحها ومياهها وحاصلاتها، إدراكاً منه لأهمية هذه العوامل الجغرافية في التقدم الحضاري. كما يذكر المسافات بالمرحل أو الفرائخ.

لقد وضع يعقوبي كتابه هذا على ما رأى وما سمع، وكان دقيقاً في تحريره وروايته. ويمكن القول إنه أول المصنفين البلدانين وصف البلدان وخصائصها معتمداً على ملاحظاته ومشاهداته في رحلاته، وما اعتمد عليه من مسموعاته من الآخرين. وقد تناول فيه جوانب مختلفة من علم الجغرافيا، كالناحية البشرية، والناحية الطبيعية، والناحية الوصفية، إضافة إلى اهتمامه بالخارج والإدارة. والكتاب بلداني يختلط فيه التاريخ بالجغرافيا، ومع أن المعلومات الجغرافية فيه أغلب، فإن المعلومات التاريخية تطفئ في بعض المواضع التي يسردها يعقوبي المؤرخ.

وبتعمير الكتاب بأنه كتب بروح علمية، فقد خلا تقريباً من أي خبر عن العجائب والأساطير التي لم يخل منها كتاب بلداني. كما أنه لم يقتصر فيه على بلدان الدولة العربية بل تناول أقطاراً أخرى كبلاد الروم، والأندلس، والصين، والهند. ويعتبر ما كتبه يعقوبي عن بغداد وسامراء أهم ما انطوى عليه الكتاب، وهذا ما جعله أهم مصدر عنها. أما أسلوبه فشيئاً متع، سهل المأخذ، وهو إلى الاختصار أقرب، إذ يحاول أن يقدم للقارئ صورة عامة



واضحة ومختصرة عن البلد الذي يتحدث عنه. وقد يكون من المناسب أن نعرض بعض المقاطع من الكتاب كمنهاج على أسلوبه ومادته. يقول في كلامه على المدينة المنورة: «والمدينة كما سَماها رسول الله ﷺ طيبة في مستوى من الأرض عذبة برية جبلية... وأهلها المهاجرون والأنصار والتابعون، وبها قبائل العرب من قيس... ولها أربعة أودية يأتي ماؤها في وقت الأمطار والسيول من جبال بموضع يقال له خرة بني سليم على مقدار عشرة فراسخ من المدينة، وهي وادي بطنان والعقيق الكبير والعقيق الصغير ووادي قناة. فمياه هذه الأودية تأتي في وقت السيول ثم يجتمع كلها بموضع يقال له الغابة، ويخرج إلى وادي يقال له وادي إضم... وبها آبار يسقى منها النخل والمزارع تجرّها النواضح، وهي الإبل التي تعمل في الزرائع. وبالمدينة عيون نابعة معينة... وأكثر أموال أهلها النخل ومنه معاشهم وأقواتهم، وخراجها من أعشار النخل والصدقات. والبحر الأعظم منها على ثلاثة أيام، وساحلها موضع يقال له الجار وإليه تُرمى مراكب التجار، والمراكب التي تحمل الطعام من مصر...» (١٣٣).

ويقول عند كلامه على بغداد: «ثم هي وسط الدنيا لأنها على ما أجمع عليه قول الحُساب وتضمنته كتب الأوائل من الحكاه في الإقليم الرابع، وهو الإقليم الأوسط الذي يعتدل فيه الهواء في جميع الأزمان والفصول فيكون الحر بها شديداً في أيام القيظ والبرد شديداً في أيام الشتاء ويعتدل الفصولان الخريف والربيع في أوقاتها. ويكون دخول الخريف إلى الشتاء غير متباين الهواء، ودخول الربيع إلى الصيف غير متباين الهواء، وكذلك كل فصل ينتقل من هواء إلى هواء ومن زمان إلى زمان، فلذلك اعتدل الهواء وطاب الثرى وعذب الماء وزكت الأشجار وطابت الثمار وأخصبت الزروع وكثرت الحشرات وقرب مُستنبت معينها. وباعتدال الهواء وطيب الثرى وعذوبة الماء حسنت أخلاق أهلها ونضرت وجوههم وانفتحت أذهانهم حتى فسلوا الناس في العلم والأدب...» (١٣٤).

وفي معرض كلامه على التبر يقول: «ومن أراد المعادن معادن التبر خرج من اسوان إلى موضع يقال له البيضة بين جبلين ثم البويب ثم البيضة ثم بيت ابن زياد ثم علفير ثم جبل الأحمر ثم... وادي العلاقي. وكل هذه المواضع معادن التبر، يقصدها أصحاب المطلب، وبها أسواق وتجارات، وشريهم من آبار تحفر في وادي العلاقي. وأكثر من بالعلاقي قوم من ربيعة من بني حنيفة من أهل البصرة انتقلوا إليها بالعبالة والدريّة. ووادي العلاقي وما حواله معادن للتبر، وكل ما قرب منه، يعمل فيه الناس، لكل قوم من التجار وغير التجار عبيد سودان يعملون في الحفر ثم يفرجون التبر كالزئبق الأصفر ثم يُسبك... وعيذاب ساحل البحر المالح يسركب الناس منه إلى مكة والحجاز واليمن، ويأتيه التجار فيحملون التبر والعاج وغير ذلك في المراكب...» (١٣٥).

(١٢٣) المصدر نفسه، ص ٣١٢ - ٣١٣.

(١٢٤) المصدر نفسه، ص ٢٣٤ - ٢٣٥.

(١٢٥) المصدر نفسه، ص ٢٣٤ - ٢٣٥.



الفصل الثامن  
العلوم الطبيعية



اعتُبر علم الطبيعيات في عصر النهضة العلمية العربية أحد أجزاء القسم النظري من الفلسفة، وهو يبحث في ما له عنصر ومادة من الأشياء<sup>(١)</sup>. وعُرفه ابن خلدون، وحدّد نطاقه بأنه علم يبحث عن الجسم من جهة ما يلحقه من الحركة والسكون، فينظر في الأجسام السالوية والمنصرية وما يتولد عنها من حيوان وإنسان ونبات ومعدن، وما يتكون في الأرض من العيون والزلازل، وفي الجو من السحاب والبخار والرعد والبرق وغيرها، وفي مبدأ حركة الأجسام<sup>(٢)</sup>. ولهذا سنحصر بحثنا في هذا الباب بعلوم الكيمياء والمعادن، والفيزياء والميكانيكا، والحيوان والنبات.

## أولاً: الكيمياء والمعادن

### ١ - الكيمياء

اسم صناعة الكيمياء عربي، وهو مشتق من كَمَى يكمي إذا ستر وأخفى، ويقال كَمَى الشهادة يكميها إذا كتمها وأخفاها، والمحققون لهذه الصناعة يسمونها الحكمة، وبعضهم يسميها الصنعة<sup>(٣)</sup>. وقد بدأ المشتغلون في هذه الصنعة أول ما بدأوا، بالعمل والسعي

---

(١) أبو عبد الله محمد بن أحمد الخوارزمي، مفاتيح العلوم (القاهرة: دار الطباعة النورية، ١٩٢٣)،

ص ٨٠.

(٢) أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المعبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: مقدمة ابن خلدون، ٧ ج (مصر: المطبعة الخيرية، ١٩٠٤)، ص ٢٦٨.

(٣) الخوارزمي، المصدر نفسه، ص ١٤٦، والطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح الثمير وأساس البلاغة، ٤ ج (القاهرة: مطبعة الاستقامة، ١٩٥٩)، ج ٤، ص ٧٥.

للحصول على «ملح الإكسير» وهو «الدواء الذي إذا طبخ به الجسد المذاب جعله ذهباً أو فضة. أو غيره إلى البياض أو الصفرة»<sup>(٤)</sup> مستهدفين تحويل المعادن الرخيصة إلى معادن ثمينة، وكانوا يعتقدون بتحقيق ذلك. وفي عملهم الدؤوب من أجل الوصول إلى صنع ملح الإكسير أفادوا من تجاربهم، وتوصلوا إلى كثير من حقائق علم الكيمياء، فوضعوا بذلك أساسه العلمي. على أن البحث عن الإكسير لم يكن السبب الوحيد الذي دفع العلماء العرب إلى الاهتمام بصناعة الكيمياء، فقد كانت ثمة عوامل أخرى لا تقل عنه أهمية دفعتهم إلى ذلك، منها: اهتمامهم بتحصير الأدوية وتركيبها، وحاجتهم إليها في صناعة صبغ الملابس، ودبغ الجلود، وفي صناعة الورق، وتركيب العطور.

عرف ابن خلدون الكيمياء بأنها علم ينظر في المادة التي يتم بها كون الذهب والفضة بالصناعة، والمادة هي الإكسير الذي يلقي منه على الجسم المعدني المستعد لقبول صورة الذهب والفضة، بالاستعداد القريب من الفعل، مثل الرصاص والقصدير والنحاس، بعد أن يجمي بالنار فيعود ذهباً إبريزاً. وإمام المدونين في هذه الصناعة هو جابر بن حيان، حتى إنهم يخصصونها به فيسمونها علم جابر<sup>(٥)</sup>. وقد رفض ابن خلدون القول بإمكان تحويل المعادن، وردّ على ذلك في الفصل الذي كتبه بعنوان «فصل في إنكار ثمره الكيمياء واستحالة وجودها وما ينشأ من الفساد عن انتحالها» وبيّن رده على تعلد مساقفة الطبيعة في عملها، وأن العاملين فيها عجزوا عن تحقيق مطلبهم، ولذا فإن التدبير الذي يبذل في ذلك عقيم، وإذا ما صح زعم جابر بن حيان ومسلمة المجريطي بأنها تمكّنا من تحضير الإكسير، فإن ذلك لم يتم بالصناعة، وإنما كان ذلك من باب السحر والخراف<sup>(٦)</sup>.

### أ - الكيمياء في القرن الثالث

أطلق الكيميائيون العرب اسم «الأجساد» على الذهب والفضة والحديد والنحاس والأسرب والرصاص والخاصين، لأنها تثبت وتقوم على النار، واسم «الأرواح» على الكبريت والزرنيخ والزرنيق والنوشادر، لأنها تطير إذا مسّتها النار<sup>(٧)</sup>. وكانوا يستخدمون في تجاربهم الكيميائية أنواع الأملاح والنوشادر، والبيورك، والزاجات ومنها الشبّ والمغنيسيا والتوتيا والكحل والطلق والزرنيخ<sup>(٨)</sup>، وبعض الآلات التي استخدموها في هذه الصناعة ماثلة لآلات الصاغة. فقد استخدموا في التجارب والعمليات الكيميائية البوتقة المركبة، وهي بوتقة مثقوبة من أسفلها توضع على أخرى ويوصل بينهما بطين، ثم يذاب الجسد في البوتقة العليا فينزل إلى السفلى صافياً، ويبقى خبيثه ووسخه في العليا، ويسمون هذه العملية الاستنزال.

(٤) الخوارزمي، المصدر نفسه، ص ١٥٠.

(٥) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ٢٩٠ - ٢٩١.

(٦) المصدر نفسه، ص ٣٠٢ - ٣٠٥.

(٧) الخوارزمي، المصدر نفسه، ص ١٤٧.

(٨) المصدر نفسه، ص ١٤٧ - ١٤٨.

ثم القرع، والأنيق، وهما ألتا صنّاع ماء الورد، والأثال ويُعمل من زجاج أو فخار على هيئة الطبق ذي المكّبة، ويستعمل لتصعيد الزئبق والكبريت ونحوهما<sup>(٩)</sup>.

إن ما تُرجم من الكتب اليونانية في الكيمياء لم يكن ذا نفع هام للكيميائيين العرب، لأن محتوياتها من المعلومات الكيميائية كانت أقل بكثير مما كانوا يعرفونه، وأغلبها أوهام وخرافات، بل إن «ما ترجم منها، كلّها أو جلّها، منسوبة لشخصيات وهمية لا وجود لها»<sup>(١٠)</sup>. وكان تفوّق العرب في صناعة الكيمياء واضحاً، لأن تجاربهم الكثيرة للوصول إلى ملح الإكسير كشفت لهم كثيراً من الغوامض وأكسبتهم خبرة ساعدتهم على تحضير الحوامض وغيرها من المركّبات الكيميائية، كزيت الزاج (حامض الكبريتيك) وماء الفضة (حامض النتريك) وماء الذهب (حامض النتروهيدرو كلوريك) والسلياني (كلوريد الزئبق) وخجر جهنم (نترات الفضة) وملح البارود (نترات البوتاس) والزجاج الأخضر (كبريتات النحاس)<sup>(١١)</sup>. كما أنهم عرفوا من العمليات الكيميائية الأساسية: التقطير، والتصعيد، والتحليل، والتشميع، والتصدية، والالغام، والتوصيل، والاستنزال، والتكليس، والترجيم، والمقعد، وأوجدوا طرق الترشيح والتبلور<sup>(١٢)</sup>.

يتضح من هذا أن العرب استطاعوا بانتهاجهم طريق التجربة والاختبار أن يسبّروا بعلم الكيمياء خطوات كبيرة في خلال القرن الثالث، وذلك بما اكتشفوه من أملاح وحوامض وزاجات، وبما أتقنوه من وسائل تحليل المواد وتصعيدها وتقطيرها، بحيث يصحّ اعتبارهم مؤسسي علم الكيمياء بمفهومه الحديث. «وفضلاً عن ذلك فإننا ننظر في كتب العرب بمعلومات عن الكيمياء لم يسبقهم إليها أحد في الأزمنة السالفة لهم... وتجلت المجهدرات الرائعة التي قام بها العرب في ميدان الكيمياء في زيادة أنواع المواد المجهزة تجهيزاً صناعياً، وفي تحسين الطرق التي وصلتهم من الإغريق تحسيناً تاماً، وتطبيقها على معظم المواد المختلفة. وإن تفوّق العرب الواضح على الإغريق في هذا الميدان يُعزى إلى استخدامهم للتجارب العلمية في استجلاء الغموض والمظاهر المبهمة في داسة الطبيعة، وذلك على حين اعتمد الإغريق الأزل على التأملات البحتة»<sup>(١٣)</sup>.

### ب - أشهر علماء الكيمياء العرب

اشتهل بالكيمياء في هذا القرن عدد من العلماء والكيميائيين، اشتهر منهم الكندي والرازي وابن حشّية وذو النون وآخرون.

(٩) المصدر نفسه، ص ١٤٦.

(١٠) ترومان أرنولد [وآخرون]، تراث الاسلام، عربي وعقن حواشيه جرجيس فتح الله، ط ٣ (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٨)، ص ٤٥٩.

(١١) جرجي زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي، ٥ ج (القاهرة: دار الهلال، ١٩٢٢)، ج ٣، ص ١٨١ - ١٨٢.

(١٢) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ١٤٩ - ١٥٠، وفيه شرح لهذه العمليات.  
(١٣) جوزيف هلي، الحضارة العربية، ترجمة ابراهيم أحمد العلوي؛ مراجعة حسين مؤنس، الالف كتاب ٨٨ (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٦)، ص ١١١.

## (١) الكندي والكيمياء

كان المشتغلون بالكيمياء قبل الكندي وفي عهده يوقنون بإمكانية تحويل المعادن البخسة القيمة إلى معادن ثمينة، وقد صرفوا جهودهم وأوقاتهم وأموالهم في اجراء مختلف التجارب الكيميائية أملاً في أن يتحقق لهم ذلك. إلا أن الكندي أنكر هذه النظرية واعتبرها مضحكة للوقت والجهد، وأنها تقوم على الخداع والتضليل. فكان أول كيميائي عربي رفض الفكرة القائلة بتحويل المعادن، وقال إن المعادن توجد في مناجمها الطبيعية كما هي. وقد وضع الكندي عدداً من الكتب والرسائل في مواضيع كيميائية مختلفة. منها: رسالة في بطلان دعوى المدّعين صنعة الذهب والفضة وخدعهم<sup>(١)</sup>، ورسالة في التنبيه على خدع الكيميائيين<sup>(٢)</sup>، ورسالتان في العطور الأولى في كيمياء العطر والتصعيدات والثانية في العطر وأنواعه. وقد طبع كارل كرايز في ليزك سنة ١٩٤٨ رسالة كيمياء العطر والتصعيدات مع ترجمتها بالألمانية<sup>(٣)</sup>. وشرح الكندي في هذه الرسالة كيفية صنع أنواع عديدة من العطور، كما تطرّق فيها إلى ذكر عمليات كيميائية عديدة كالترشيح والتقطير والتصعيد، ورسم شكلاً يمثّل عمليات التقطير، ذكر فيه الموقد والأنون ثم القرعة (دورق التقطير) والأنبيق والقابلة (دورق الملقط)<sup>(٤)</sup>.

ووضع الكندي عدداً من الرسائل عن السيوف وصناعتها، منها: رسالة في أنواع السيوف والحديد<sup>(٥)</sup>، وقد توصّل فيها إلى صنع الحديد الذي نسميه اليوم الفولاذ، وتوصّل إلى تلوين السيوف بمعاملة الحديد بمحاليل الأعشاب التي تحتوي على مادة السيناميد، فتكسبه لوناً يتراوح بين الأحمر والأزرق، وذكر طرقاً مختلفة لعملية التلوين<sup>(٦)</sup>. وتوصّل كذلك إلى طريقة لحفظ السيوف من الصدأ بطلائها في أثناء طبعها بمواد تحول دون تأثير الماء والأكسجين فيها<sup>(٧)</sup>. أما في رسالته فيها يطرح على الحديد والسيوف حتى لا تتلثم ولا تكمل فقد ابتكر

---

(١٤) أبو الفرج محمد بن اسحق بن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنّفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٢٠)، ص ٣٧٩؛ أبو العباس أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق نزار رضا (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦٠)، ص ٢٩٣، وأبو الحسن علي بن يوسف القفطي، تاريخ الحكماء، وهو مختصر الزوزني المسنّى بالمختبرات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحرير يوليوس ليبرت (ليزك: ديتريخ، ١٩٠٣)، ص ٣٧٦، وجاء فيه اسم الكتاب: إبطال دعوة من يدّعي صنعة الذهب والفضة.

(١٥) ابن النديم، المصدر نفسه؛ ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، والقفطي، المصدر نفسه.  
(١٦) رتشرود يوسف مكاثري، التصانيف المنسوبة إلى فيلسوف العرب (بغداد: مطبعة العاني، ١٩٦٢)، ص ٦٩.

(١٧) فاضل أحمد الطائي، أعلام العرب في الكيمياء (بغداد: دار الحرية، ١٩٨١)، ص ٨٩.  
(١٨) ترجم فيدمان هذه الرسالة إلى الألمانية ونشرها ضمن تقارير الجمعية الفيزيائية الطبية في إسرائيل في سنة ١٩١١. انظر: مكاثري، المصدر نفسه، ص ٦٤.  
(١٩) الطائي، المصدر نفسه، ص ٩١.  
(٢٠) المصدر نفسه، ص ٩١-٩٢.



الكندي طريقة لصنع سيوف قوية جداً لا تتلحم ولا تنكسر عند استعمالها، وذلك بمعاملة حديدها عند طبعها بمواد معدنية وغير معدنية وتعريضه إلى تفاعلات كيميائية عديدة تكسبه الصلابة المطلوبة<sup>(٢١)</sup>.

وبما طبع من رسائل الكندي الأخرى في السيوف رسالة في السيوف وأجناسها<sup>(٢٢)</sup> وكان قد ترجمها ملخصة إلى الفرنسية المستشرق النمساوي هامر برغشتال<sup>(٢٣)</sup>، ويرى مؤلف كتاب التصنيف المنسوبة إلى فيلسوف العرب أن هذه الرسالة هي الرسالة نفسها الموسومة رسالة إلى بعض أخوانه في السيوف<sup>(٢٤)</sup>.

وحقق الدكتور فيصل دبدوب رسالة الكندي في عمل السيوف ونشرها في سنة ١٩٦٢ وأوضح أن هذه النسخة تختلف عن النسخة التي حققها عبد الرحمن زكي، إذ إنها تبحث عن طبع السيوف وتعدد أنواع الحديد، وطرائق السقي، والمواد اللازمة، والظروف التي يجب أن تتم بها الطريقة من حيث درجة الحرارة والنفخ والمدة، وقال إن الرسالة مقدمة إلى الخليفة المعتصم بالله، وهي مبتورة<sup>(٢٥)</sup>، ويرى مؤلف كتاب التصنيف المنسوبة إلى فيلسوف العرب أن هذه الرسالة هي نفسها رسالة أبي يوسف يعقوب بن اسحاق الكندي للمعتصم أمير المؤمنين في اتخاذ جواهر الحديد للسيوف وغيرها من الأسلحة وسقيائها وأنواع الحديد التي تطبع بها السيوف وسقيائها وما يطرح منها<sup>(٢٦)</sup>.

## (٢) أبو بكر الرازي والكيمياء

ومع أن أبا بكر الرازي كان ماهراً في صنعة الطب مشتهراً بها، فقد كتب في مواضيع متعددة أخرى كالفلسفة والمنطق وعلم الكلام والفلك والكيمياء والفيزياء والنفس والسياسة، بما دل على سعة اطلاعه وتعدد مواهبه ومعارفه وإنه كان من أولئك الموسوعيين من رجال الحكمة. والواقع أن الرازي تطلع إلى معرفة جميع العلوم والفنون المعروفة على أيامه وأحاط بأكثرها، وانصرف إلى بعضها فأتقنه وتعمق فيه. وكانت الكيمياء من العلوم التي عني بها وصرف وقتاً وجهداً عظيمين في إجراء التجارب الكيميائية. وكانت للكيمياء في رأيه أهمية خاصة، فهو يراها ضرورية للفيلسوف، وكان يقول: «أنا لا أسمي الفيلسوف فيلسوفاً إلا إذا كان

(٢١) المصدر نفسه، ص ٩٤. وقد ألف الكندي هذه الرسالة لأحمد بن المعتصم بالله، انظر: ابن أبي اسبيعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٩٢.

(٢٢) أبو يوسف يعقوب بن اسحاق الكندي، «رسالة في السيوف وأجناسها»، حققها وطبعها عبد الرحمن زكي، مجلة كلية الآداب (جامعة فؤاد الأول)، مج ١٤، ج ٢ (كانون الأول / ديسمبر ١٩٥٧).

(٢٣) نشرها في: المجلة الآسيوية، المجلد ٨ (١٨٥٤)، انظر: مكاري، التصنيف المنسوبة إلى فيلسوف العرب، ص ٨٠.

(٢٤) المصدر نفسه.

(٢٥) الطائي، أعلام العرب في الكيمياء، ص ٨٩ - ٩٠.

(٢٦) مكاري، المصدر نفسه، ص ٥٩ و ٧٠.

قد أُلِّم بصناعة الكيمياء لأنه قد استغنى عن التكسير من أوساخ الناس، وتَزَهَّ عَمَّا فِي أَيْدِيهِمْ وَلَمْ يَحْتَاج إِلَيْهِمْ»<sup>(٣٨)</sup>. وهو رأي يؤيد عمله في الكيمياء بحثاً عن الإكسير، ويعبر عما في دخيلة نفسه من حب للمال عما لا يتفق وصفات الحكيم العالم. والواقع أن الرازي عُيِّن بالكيمياء سعيّاً وراء الإكسير الذي تُحوَّل بواسطته المعادن البخسة إلى ذهب وفضة. ولكن يظهر أنه لما إيس من تحقيق ذلك توجَّه نحو صناعة الطب التي رأى فيها ما يحقق آماله في الحصول على المال. وقد ذكرنا في سيرته كطبيب سبب تركه الكيمياء وتوجهه نحو صناعة الطب.

كان الرازي من القائلين بتحويل المعادن بواسطة حجر الإكسير وإن ذلك أقرب إلى الممكن منه إلى الممتنع<sup>(٣٩)</sup>، وصَفَّ كتاب الرد على الكندي في إدخاله صناعة الكيمياء في الممتنع، لأن الكندي كما سبق أن ذكرنا أنكر تحقيق ذلك، بل قال باستحالته، ووصف من يعملون في هذا الميدان بالخداع والشعوذة. يقول ابن جُلجل إن الرازي «حَقَّقَ صناعة الكيمياء وألَّفَ فيها أربع عشرة مقالة»<sup>(٤٠)</sup>. ويقول ابن أبي أصيبعة: «حدثني بعض الأطباء أن الرازي كان قد باع لقوم من الروم سبائك ذهب، وساروا بها إلى بلادهم، ثم إنهم بعد ذلك بسنين عدة وجدوها وقد نغیر لونها بعض التغير، وتبين لهم زيفها، فجاءوا بها إليه والزم بردها»<sup>(٤١)</sup>. ومهما يكن نصيب هذه الرواية من الحقيقة فهي دلالة على اشتغال الرازي بصناعة الكيمياء، لأنه كان يرى حقيقة الصناعة وقد ألَّفَ في ذلك كتباً كثيرة، فمنها كتاب يحتوي على اثني عشر كتاباً<sup>(٤٢)</sup> وقد عددها ابن النديم، وأضاف إليها سبعة كتب أخرى في الموضوع نفسه. كما أن ابن أبي أصيبعة ذكر هذه الكتب<sup>(٤٣)</sup>.

ومن أهم هذه الكتب كتاب سر الأسرار الذي يعتبر أهم ما صَنَفَه الرازي في الحكمة، وقد اشتهر بين أهل الصناعة، وهو الكتاب الوحيد الذي لم يفقد من كتب الرازي في الكيمياء. كما نال شهرة واسعة في أوروبا، وترجمه روسكا إلى الألمانية وعلَّقَ عليه تعليقات وافية. ويظهر هذا الكتاب ميل الرازي واهتمامه بالناحية العملية من الكيمياء، وترجيح العمل على التأملات النظرية. وقد وُصِفَ هذا الكتاب بأنه دليل مختصر يشرح فيه الرازي التجارب التي قام بها بنفسه، ويبين الأجهزة التي استخدمها في تلك التجارب<sup>(٤٤)</sup>. وكتاب

(٣٨) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٤١٩.

(٣٩) الففطلي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمتنوعات المنقطات من كتاب إخبار

العلماء بأخبار الحكماء، ص ٢٧٢.

(٤٠) أبو دارود سليمان بن حسان بن جُلجل، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، مطبوعات

المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية بالقاهرة، نصوص وترجمات، ١٠ (القاهرة: المعهد العلمي الفرنسي

للأثار الشرقية، ١٩٥٥)، ص ٧٧-٧٨.

(٤١) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٤١٩.

(٤٢) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنِّفين من القدماء والمحدثين وأسما كتبهم، ص ٥١٨.

(٤٣) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٤٢٢.

(٤٤) الطائي، أعلام العرب في الكيمياء، ص ١١٣-١١٤.

الترتيب، ذكر فيه ترتيب العمل للمجربين ودعاوى أهل الصنعة وشرح الجمل التي تضمنها كتاب جابر بن حيان المسمى الرحمة، وسماه كتاب الراحة<sup>(٣١)</sup>.

ويظهر أن الرازي كان معجباً بجابر بن حيان حتى إنه كان يقول في كتابه: «قال أستاذنا أبو موسى جابر بن حيان»<sup>(٣٢)</sup>. وقد تأثر بما قرأه من كتبه وأمن مثله بأن جميع المواد تتألف من أربعة عناصر فقط هي التراب والماء والهواء والنار، وأن العناصر الأساسية في تكوين المواد هي الزئبق والكبريت، وأضاف مكوناً ثالثاً هو الملح. ولذلك كان تحول معدن إلى آخر محتملاً، ومن ثم بالإمكان تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب وفضة بواسطة الأكسیر، وإن الحصول على الأكسیر ممكن<sup>(٣٣)</sup>.

لقد استفاد الرازي من تجاربه الكيميائية إذ توصل إلى معرفة عدد كبير من المركبات الكيميائية وطرائق متعددة من العمليات الكيميائية التي لا تزال مستعملة إلى يومنا هذا. وصنف الرازي المواد الكيميائية أربعة أصناف أساسية، معتمداً على خواص المركبات الطبيعية، والمواد هي: الترابية أو المعادن، والنباتية، والحيوانية، والمشتقات المتولدة، ويضم كل صنف منها أنواعاً، ويقسم كل نوع بدوره إلى مواد متعددة<sup>(٣٤)</sup>. إن تصنيف الرازي للمواد الكيميائية إلى نباتية وحيوانية ومعدينية، ما زال حتى الآن ثابتاً في العلم الحديث<sup>(٣٥)</sup>.

### (٣) كيميائيون آخرون

هناك كيميائيون آخرون اشتغلوا في صنعة الكيمياء بأذلين جهودهم وأوقاتهم للوصول إلى تحضير حجر الإكسير، ذكر ابن النديم بعضهم، ومنهم:

#### (أ) ذو النون المصري

أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم الأخيمي، الزاهد المصري المشهور، المتوفى سنة ٢٤٥. كان فصيحاً حكيماً وله أثر في الصنعة، وقد صنف فيها عدداً من الكتب منها: كتاب الركن الأكبر، وكتاب الثقة في الصنعة<sup>(٣٦)</sup>.

---

(٣٤) مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، عني بتصحيحه محمد شريف ياللقايا ووفعت الكلبي، ٢ ج (استانبول: مطبعة الحكومة، ١٩٤١ - ١٩٤٣)، ج ٢، ص ١٤٠٣.

(٣٥) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٥١٤.

(٣٦) الطائي، أعلام العرب في الكيمياء، ص ١١٤.

(٣٧) المصدر نفسه، ص ١٥٣ - ١٥٩.

(٣٨) أرنولد [وآخرون]، تراث الإسلام، ص ٤٦٦.

(٣٩) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٥١٧.

٥١٨، وإساعيل بن محمد أمين البندادي، هدية العارفين: أسماهم المؤلفين وآثار المصنفين، ٢ ج (استانبول: وكالة المعارف العامة، ١٩٥٤)، ج ١، ص ٢٤٩.

### (ب) ابن وحشية

أبو بكر أحمد بن علي بن قيس بن المختار الكسداني الصوفي المتوفى سنة ٢٩٦، من أهل قسین، كان أحد فصحاء النبط عالماً بالفلاحة والكيمياء والسموم، وعمل في فن السحر والشعوذة والعزائم وكان له في ذلك حظ، كما اشتغل في الصنعة<sup>(٤١)</sup>. وله عدد من الكتب في هذه المواضيع ذكرها ابن النديم وصاحب هدية العارفين<sup>(٤٢)</sup>. ومن كتبه في صنعة الكيمياء: كتاب الأصول الكبير في الصنعة، وكتاب الأصول الصغير في الصنعة، وكتاب المدرجة، وكتاب المذاكرات في الصنعة، وذكر له صاحب كشف الظنون كتاب الفوائد العشرون في الكيمياء، ويقول إنه سماه بهذا الاسم لأنه ذكر فيه جميع ما استفاده في أسفاره في هذا الموضوع<sup>(٤٣)</sup>.

### (ج) الأخيمي

عشمان بن سويد المتوفى سنة ٢٩٨ وهو من اخميم إحدى قرى مصر. كان مقدماً في صناعة الكيمياء، وله مع ابن وحشية مناظرات ومكاتبات. وله عدد من الكتب في الصنعة منها: كتاب الكبريت الأحمر، وكتاب الإبانة، وكتاب آلات القدماء، وكتاب التدبير، وكتاب التصعيد والتقطير<sup>(٤٤)</sup>.

### (د) أبو قران

لم يذكر ابن النديم اسمه، ولا تاريخ وفاته، إلا أنه قال عنه إنه من أهل نصيبين، وكان يزعم أن صناعة الكيمياء قد صحت له، فزال شهرة بين أهل هذه الصناعة، وكانوا يجلّونه. وقد ذكره ابن وحشية في بعض كتبه.

ولأبي قران عدد من الكتب في الصنعة، منها: كتاب شرح كتاب الرحمة لجابر، وكتاب الخفائر، وكتاب شرح الأثير، وكتاب التمويه، وكتاب الإشارة<sup>(٤٥)</sup>.

### (هـ) دؤيس

محمد بن يزيد، وهو من تلاميذ الفيلسوف الكندي، كان عن يتعاطون الصنعة وله فيها عدد من الكتب منها: كتاب الجامع، وكتاب الأصباغ والمداد والخبر<sup>(٤٦)</sup>.

---

(٤١) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٤٤٧ و ٥١٨، ومعجم المؤلفين، ج ٢، ص ٢٣.

(٤٢) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٥١٨، والبندادي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٥.

(٤٣) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٥١٨، وحاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ٢، ص ٤٣٩.

(٤٤) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٥١٩، والبندادي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٦٥٢، وجاء في الكتاب الأول: كتاب الكبريت الأعظم.

(٤٥) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٥١٩.

(٤٦) المصدر نفسه، ص ٥٢٠.

## ٢ - المعادن

ذكرنا أن علماء الكيمياء العرب أطلقوا اسم «الأجساد» على الذهب والفضة والنحاس والرصاص والحارصين، لأنها تثبت على النار، واسم «الأرواح» على الكبريت والزرنيخ والزئبق والنشادر لأنها تطير إذا مسّتها النار. وكان من أهم إنجازات أبي بكر الرازي تطويره هذا التقسيم وتصنيفه المواد الكيميائية إلى: نباتية، وحيوانية، وترابية، ويقصد بالترابية «المعدنية». وقسم المعادن إلى ستة أنواع هي: (١) الأرواح أو الخلاصات وتشمل الزئبق والنشادر والزرنيخ والكبريت. (٢) الأجساد وهي الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والأسرب والحارصين. (٣) الأحجار وتضم ثلاثة عشر نوعاً، منها الأحجار الكريمة المعروفة كالفيرز واللازورد. (٤) الأملاح. (٥) البوارق. (٦) الزّاجات<sup>(١)</sup>. ولا زال تصنيف الرازي هذا ثابتاً في العلم الحديث، كما أشرنا سابقاً.

وكان أبو اسحق الكندي قد وضع قبل ذلك عدداً من الرسائل عن الحديد واستخدامه في صنع السيوف وغيرها، وقد توصّل حسبها يظهر مما جاء في هذه الرسائل إلى صنع الفولاذ، وتلوين السيوف، وحفظ الحديد من الصدأ، وذلك بالطرق الكيميائية، ومعاملة الحديد بمواد معدنية وغير معدنية بما يكسبه الصلابة والمتانة، ويحول دون تأثير الماء والأكسجين عليه، وكنا قد ذكرنا ذلك.

لقد اتقن العرب فن التعدين واستخرجوا المعادن المختلفة والأحجار الكريمة من مناجم وعاجز في مختلف أرجاء الدولة العربية. وقد عني الكندي العالم الفيلسوف بدراسة الجواهر الثمينة والأحجار الكريمة من حيث أنواعها، ومواصفاتها، وأماكن وجودها، وصنّف في ذلك عدداً من الرسائل، منها: رسالة في أنواع الجواهر الثمينة وغيرها<sup>(٢)</sup>، ورسالة في أنواع الحجارة<sup>(٣)</sup>. ولا نعرف ما تضمنته هذه الرسائل سوى أن البيروني المتوفى سنة ٤٤٠ أشاد بعلم الكندي في الجواهر والأحجار الكريمة وأنه اقتبس من رسائله في الموضوع. فقال في كتابه الجواهر: «لا نريد الآن أن نخوض في تعدد الجواهر والأعلاق النفيسة الملقية بالخزائن ونفرد مقالة... ولم يقع إلّا في هذا الفن غير كتاب أبي يوسف يعقوب بن اسحاق الكندي في الجواهر والأشياء، وقد ائتمر فيها عذرة وظهر ذروته كاختراعه البدائع في كل ما وصلت إليه يده من سائر الفنون... ثم مقالة لصر بن يعقوب الدينوري الكاتب... وهو تابع للكندي في أكثرها»<sup>(٤)</sup>. وقد كان كتاب الجواهر والأشياء للكندي

(٤٦) الطائي، أعلام العرب في الكيمياء، ص ١٥٣ - ١٥٤.

(٤٧) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٧٨، الففطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمتنبيات المنقطعات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٣٧٥، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٩٢، وفيه جاء اسم الكتاب: في أنواع الجواهر والأشياء.

(٤٨) ابن النديم، المصدر نفسه؛ الففطي، المصدر نفسه، وابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، مع بعض التنوير في اسم الكتاب.

(٤٩) أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، الجواهر في معرفة الجواهر (بيروت: عالم الكتب، [د.ت.])،

ص ٣١ - ٣٢.

المصدر الرئيسي للبيروني، وقد اقتبس منه بعض مواصفات الجواهر وأنواعها وألوانها وعبورها ومواطنها، بل إنه نقل أسماءها عنه<sup>(٥٠)</sup>.

وكان أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ كبير أدباء زمانه ممن عني بالجواهر والأحجار الكريمة في عصر النهضة العلمية العربية. فقد عقد في كتابه التبصر بالتجارة باباً لما يعتبر من الجواهر النفيسة ومعرفتها وقيمتها. فتكلم على اللؤلؤ من حيث شكله ومذاقه وحجمه وألوانه وصفائه ومتى يسمى دراً، ويقول إن اللؤلؤ العماني خير أنواع اللؤلؤ. وتكلم على الباقوت من حيث مكان استخراجها وألوانه وصفائه - أي نقاوته من الشوائب - وعلى الزبرجد وصفائه، وعلى العقيق اليهاني المخطط منه والخالص اللون، والفيروزج وألوانه، ويقول عنه إنه حجر لا يعمل المرء فيه ولا يتغير لونه في النار والماء الحار. وتكلم كذلك على حجر البجاذي وعلى لونه الملتهب كالتهاب النار، وأنه كلما كان أصلب كان أنفس وأثمن، وعلى البلور وامتيازه بالصفاء. وقال إن خير الماس هو البلوري الأبيض الصافي النقي. وعين أكثر المناطق التي تجلب منها بعض هذه الأحجار، فقال إن الباقوت الأحمر يجلب من الهند، والعقيق من اليمن، والزبرجد من مصر<sup>(٥١)</sup>.

ولأبي بكر الرازي رسالة في البحث عن الأرض الطبيعية هي الطين أم الحجر<sup>(٥٢)</sup> ويظهر من عنوانها أنه بحث فيها عن تركيب تربة الأرض، وهو بحث يقرب من بحوث علم الجيولوجيا الحديث.

## ثانياً: الفيزياء وفنون الميكانيكا

### ١ - الفيزياء

كان من جملة الكتب التي نُقلت من اليونانية إلى اللغة العربية في المواضيع الفيزيائية كما نسميها اليوم، كتاب اختلاف المناظر لافليدس، وكتاب الآلات المصنوعة المسماة بالأرغثن البوقي والأرغثن الزمري، وكتاب آلة مصنوعة تسمع على ستين ميلاً لمورطس<sup>(٥٣)</sup>، وكتاب الإيقاع لأرسطكاس<sup>(٥٤)</sup>، وكتاب الصوت لجالينوس<sup>(٥٥)</sup>، وكتب أخرى غيرها. وقد استوعب

---

(٥٠) المصدر نفسه، ص ٥١.

(٥١) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، التبصر بالتجارة، عني بشره والتعليق عليه حسن حسني عبد الوهاب (مصر: المطبعة الرحمانية، ١٩٣٥)، ص ١٦ - ٣٥.

(٥٢) ابن التديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ١٤٣٤ القفطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات للتعقيدات من كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٢٧٦، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٤٢٥.

(٥٣) ابن التديم، المصدر نفسه، ص ٣٩١، والقفطي، المصدر نفسه، ص ٣٢٢.

(٥٤) ابن التديم، المصدر نفسه، ص ٣٩١.

(٥٥) المصدر نفسه، ص ١١٨، والقفطي، المصدر نفسه، ص ١٣٠.

العرب الذين عُتوا بهذه المواضيع، ما جاء في هذه المصنفات المترجمة، وصححوا ما ثبت لهم من الأخطاء فيها، وجاءوا بأفكار أنارت السبيل لتوضيح هذه المواضيع وتوسيع نطاقها. واهتموا بصورة خاصة بموضوعين أساسيين منها هما الضوء والصوت، إلى جانب مواضيع أخرى.

## أ - الضوء

أطلق العرب على الضوء اسم البصريات أو علم المناظر، وكانت لهم آراء ونظريات جديدة فيه ساعدت على نموه وتطوره. وكان أشهر من درس الضوء وصنّف فيه في القرن الثالث فيلسوف العرب الكندي، والفيلسوف المهندس ثابت بن قرة، وأكبر أطباء عصره أبو بكر الرازي. ويظهر من كتابات الكندي في هذا الموضوع أنه سار على هدى أرسطوطاليس، فنقح بحوثه في البصريات، منها انعكاس الضوء الذي سماه مطروح الشعاع<sup>(١)</sup>. وقد ذكره ابن النديم في القائمة الخاصة بالنجوميات<sup>(٢)</sup>. ومن الكتب التي وضعها الكندي في موضوع الضوء: رسالة في اختلاف المناظر، ورسالة في اختلاف مناظر المرأة، ورسالة في عمل المرايا المحرقة، ورسالة في البرهان على الجسم السائر وماهية الأضواء والاضلام<sup>(٣)</sup>.

لقد عرف الكندي سير الضوء وزوايا سقوطه وانعكاسه وخداع الأجهزة البصرية كالعدسات، والمرايا المقعرة والمحدبة، إلا أن دراساته وملاحظاته اقتصرت على إيضاح الظواهر وتعريف الزوايا دوناً قياس. وذلك ما أكمله في القرن التالي ابن الهيثم الذي تمكن من قياس زوايا السقوط والانعكاس. أما عن سرعة الضوء فقد قال الكندي إن الضوء لا يحتاج إلى زمن لانتقاله، وإن رؤيته تتم دون حاجة إلى وقت، لأن سرعته عظيمة جداً. وعن عملية الإبصار، فإنه أخذ ب رأي أقليدس القائل بأن العين تبعث بنورها على الأجسام فتراها، واحتذى حذوه فقال إن الحزمة الضوئية تخرج من العين إلى الجسم المرئي على هيئة شعروط قمته بؤبؤ العين وقاعدته ما تراه العين. وجعل هذا ميزة للعين على بقية الحواس، فبينما ترسل العين الضوء لترى الأجسام فإن الحواس الأخرى تتأثر بوقع الأشياء عليها<sup>(٤)</sup>.

على أن ما توصّل إليه ثابت بن قرة في كتابه البصر والبصيرة في علم العين وعللها ومداوائها عن كيفية حدوث الإبصار في العين كان حافزاً لأبي بكر الرازي لأن يتصدى لدراسة الضوء وعملية الإبصار، فوضع كتابين مهمين في الموضوع، أولهما كتاب في كيفية

(٥٦) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (بغداد: مطبعة الحوادث، ١٩٧٢)، ص ٢٣٥.

(٥٧) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٧٣.

(٥٨) المصدر نفسه، ص ٣٧٤ - ٣٧٩، الففطي، تاريخ الحكاية: وهو مختصر الزوزني المسمى بالنتيخات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكاية، ص ٣٧١، ٣٧٦، ٣٨٢، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٩٠ - ٢٩١.

(٥٩) حول آراء الكندي في الضوء والإبصار، انظر: الطائي، أعلام العرب في الكيمياء، ص ٧٦ - ٧٧.

الإبصار. ويقول ابن أبي أصيبعة إنه بين فيه أن الإبصار ليس يكون بشعاع يخرج من العين، وأنه نقض فيه آراء أقليدس في المناظر<sup>(٦٠)</sup>. ولا نعرف ما إذا كان الرازي قد توصل بكتابه المذكور إلى التفسير الصحيح لعملية الإبصار، كما أوضحها ابن الهيثم في ما بعد، أم أنه اكتفى بنقض ما قاله أقليدس والكندي في هذا الشأن. ويقول سارتون في كتابه مقدمة في تاريخ العلم إن الرازي قلب نظرية الإبصار، إذ قال إن الإبصار يحصل من خروج الضوء أو الشعاع من الجسم المنظور<sup>(٦١)</sup>. على أن الكتاب الثاني للرازي، وهو كتاب العلة التي من أجلها تضيق النواظر في النور وتوسع في الظلمة<sup>(٦٢)</sup> وهو ممتم في موضوعه لكتابه الأول الأنف الذكر، إذ يتناول فيه تأثير شدة الضوء الواقع على بؤبؤ العين وضعفه، يمكن أن يؤكد صحة ما ذهب إليه سارتون، فيكون الرازي بهذا قد سبق ابن الهيثم في تفسير عملية الإبصار تفسيراً صحيحاً.

## ب - الصوت

يعتبر الفيلسوف الكندي أول من درس ظاهرة الصوت وكتب عنها. فهو يقول عن سرعته إنها تدرك بزمن، وإن هذا الزمن يتوقف على بعد مصدر الصوت. فقد قال في رسالته في علة الثلج والبرد والبرق والصواعق والمهريز: «إن السماع تترك محسوساته بزمان كالذي يرى من الضارب خشية أو غير ذلك من الأجسام مما يملو صوته من بعد، يمكن أن ينال السمع ضرب المضروب منه. فإنا نترك بأبصارنا ضربة الضارب ولا نسمع صوتاً إلا بعد ذلك بمدة بحسب البعد إن كان كبيراً كان أطول، وإن كان قليلاً كان أقصر»<sup>(٦٣)</sup>.

لقد درس العلماء العرب منشأ الصوت وانتبهوا إلى درجاته وقسموها إلى أنواع منها الجهر والخفيف، ومنها الحاد والغليظ. وشرحوا العلاقة بين الوتر وغلظه وقوة توتره وشدة النقر من جهة وبين الصوت الذي يحدث من جهة أخرى، وقد ساعدتهم ذلك على أن يعرفوا ويميزوا في فن الموسيقى والآلات<sup>(٦٤)</sup>. وصنفوا في ذلك كتباً عديدة، منها ما صنّفه الكندي وقد ذكر له ابن النديم سبعة كتب موسيقية<sup>(٦٥)</sup>. وصنّف تلميذه أبو الطيّب ثلاثة كتب فيها أهمها كتاب الموسيقى الكبير. يقول عنه ابن النديم: إنه لم يعمل مثله حسناً وجلالة<sup>(٦٦)</sup>. وكذلك

(٦٠) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٤٢٢.

(٦١) الطائي، المصدر نفسه، ص ١١٠ - ١١١.

(٦٢) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٤٣٤، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٤٢٥، والقفطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسئ بالتبقيات المتفطت من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٢٧٦، مع بعض التنوير.

(٦٣) أبو يوسف يعقوب بن إسحق الكندي، رسائل الكندي الفلسفية، حققها وأخرجها محمد عبد الحادي أبو ريذة، ج ٢ (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٥٠ - ١٩٥٣)، ج ٢، ص ٨٢.

(٦٤) أنور الرفاعي، تاريخ العلوم في الإسلام (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٣)، ص ١٥٣.

(٦٥) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٣٨٠.

(٦٦) المصدر نفسه، ص ٣٨٠.



صنف ثابت بن قرة كتابين في الموسيقى<sup>(٦٧)</sup>. وذكر ابن أبي أصيبعة كتاباً في الموسيقى لأبي بكر الرازي هو كتاب في جمل الموسيقى<sup>(٦٨)</sup>. ووضع المغني إسحاق الموصلي المتوفى سنة ٢٣٥ كتاب النغم والإيقاع<sup>(٦٩)</sup>. ويعتبر إسحاق أول من صبَّ النظام العربي القديم في الموسيقى بقلب جديد ضمَّنه كتابه هذا<sup>(٧٠)</sup>.

### ج - حركة الأجسام، والمغناطيسية، والجاذبية

من المواضيع الأخرى التي تدخل ضمن موضوع الفيزياء، مما بحثه العلماء العرب وأبدوا بعض الآراء والنظريات فيها موضوع حركة الأجسام، وموضوع المغناطيسية، كما تطرَّقوا إلى موضوع الجاذبية. قال الكندي عن حركة الأجسام إنها تتحرك بطبيعتها، وإنها من أول أبداعها متحركة ولا زالت. ويظهر ذلك واضحاً من كتبه الثلاثة التي وضعها في الرد على من قال بتوقُّف الأجسام أو سكونها، وهي كتاب في الرد على من زعم أن للأجرام في هويتها في الجو توقُّفات وكتاب في بطلان قول من زعم أن بين الحركة الطبيعية والعرضية سكون وكتاب في أن الجسم في أول ابداعه لا ساكن ولا متحرك ظن باطل<sup>(٧١)</sup>.

وقد أيد الرازي مقولة الكندي عن حركة الأجسام وأضاف إليها ما يوضحها، إذ قال إن الحركة المذكورة ليست مرثية ولكنها معلومة، وإنها من الجسم نفسه وهي طبيعية فيه. وصنَّف في هذا الموضوع كتابين هما: كتاب في الحركة وأنها ليست مرثية بل معلومة وكتاب في أن الجسم يتحرك من ذاته وأن الحركة مبدأ طبيعته<sup>(٧٢)</sup>. ويقول دي بور إن القول بحركة الجسم أبداً بذاته كانت نظرية جديدة خطيرة تناقض ما ذهب إليه أصحاب أرسطو، ولو استمر العرب في إكمال بنائها لكانت لها نتائج مهمة في علم الطبيعيات. وكنا أشرنا إلى هذا في الفصل الخاص بالفلسفة.

أما عن المغناطيسية، فقد انتبه العلماء العرب إلى علة عمل حجر المغناطيس في جذب الحديد. وقد ثبت أنهم استفادوا من ذلك في استعمال الإبرة المغناطيسية لمعرفة الاتجاه<sup>(٧٣)</sup>.

(٦٧) الففطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمّى بالمنتخبات المتقطعات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ١١٨ - ١١٩.

(٦٨) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٤٢٦.

(٦٩) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنِّفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٢٠٨.

(٧٠) أرنولد وآخرون، تراث الإسلام، ص ٥٣٢.

(٧١) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٧٦ - ٣٧٧، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات

الأطباء، ص ٢٩١.

(٧٢) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٤٣٢، والقفطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمّى

بالمُنتخبات المتقطعات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٣٧٥، وعنوان الكتاب الثاني فيه: كتاب في

أن الجسم حركٌ من ذاته وأن الحركة منه طبيعية.

(٧٣) الرافعي، تاريخ العلوم في الإسلام، ص ١٥٤.

ويظهر أن المعينين بالعلوم الطبيعية من علماء العرب قد بحثوا في سقوط الأجسام، وأنهم أدركوا قوة التجاذب بين الأجسام عندما تختلف كتلتها. ويعزى إلى أحد أولاد موسى بن شاكر، أو إلى أبيهم، أنه قال بأن هناك تفاعلاً بين الأجرام السماوية الذي يطلق عليه اسم «الجاذبية العمومية». وقد سبق أن أشار إلى هذا التفاعل بطليموس حاسماً أنه هو الذي يجعل الأجسام تقع على الأرض متجهاً نحو مركزها، وأنه هو الذي يربط كواكب السماء بعضها ببعض<sup>(١١١)</sup>. وقال المهندس الفيلسوف ثابت بن قرة: إن المدرة<sup>(١١٢)</sup> تعود إلى السفلى لأن بينها وبين الأرض مشابة في الأعراض، أعني البرودة والكثافة، والثشي ينجذب إلى أعظم منه. وقد شرح محمد بن عمر الرازي هذه العبارة في أواخر القرن السادس بقوله: إننا إذا رمينا المدرة إلى فوق فإنها ترجع إلى أسفل، فعلمنا أن فيها قوة تقتضي الحصول في السفلى، حتى إذا رميناها إلى فوق أعادتها تلك القوة إلى أسفل<sup>(١١٣)</sup>. وقد سعى الكندي إلى إثبات صيغ القوانين التي تحكم سقوط الأجسام، وهو موضوع لم يلقَ من علماء العرب كبير اهتمام<sup>(١١٤)</sup>. ويقول إن له كتاباً في قوانين التجاذب<sup>(١١٥)</sup>.

ويذكر ابن خرداذبه أن «بنية الخلق على الأرض أن النسيم جاذب لما في أبدانهم من الخفة، والأرض جاذبة لما في أبدانهم من الثقل، لأن الأرض بمنزلة الحجر الذي يجذب الحديد»<sup>(١١٦)</sup>.

## ٢ - فنون الميكانيكا

وقد ساهمها العرب «علم الحيل» وقسموها إلى قسمين، يشتمل القسم الأول على وسائط جر الأثقال ورفعها بالقوة اليسيرة، ويشتمل القسم الآخر على الحركات والأواني العجيبة. ويلاحظ أن هذه المواضيع تعتبر اليوم من مواضيع علم الفيزياء.

كانت قد تُرجمت بعض الكتب من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية في هذه المواضيع، مثل كتاب شيل الأثقال وكتاب الحيل الروحانية وهما لهيرن الاسكندري<sup>(١١٧)</sup>، وهو عالم يوناني عاش في الاسكندرية بمصر، وصنف عدداً من الكتب في هذه المواضيع، وله كتاب في حل

- 
- (٧٤) قدرى حافظ طوقان، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك (القاهرة: مطبعة المتنطف، ١٩٤١)، ص ٩٩.
- (٧٥) المدرة هي القطعة من الطين اليابس.
- (٧٦) الرفاعي، المصدر نفسه، ص ١٤٤، وعمر رضا كحالة، العلوم البحتة في العصور الإسلامية (دمشق: مطبعة الترقى، ١٩٧٢)، ص ٢٢٣.
- (٧٧) أرنولد [وأخرون]، تراث الإسلام، ص ٥٨٢.
- (٧٨) الرفاعي، المصدر نفسه، ص ١٤٤.
- (٧٩) أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه، المسالك والممالك، تحقيق ميخائيل دو غوبه، المكتبة الجغرافية العربية ٦ (لندن: مطبعة برييل، ١٨٩٨)، ص ٤.
- (٨٠) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٣٩٠.

مشاكل اقليدس، تُرجم إلى العربية أيضاً<sup>(٨١)</sup>، وكتاب الثقل والحفة لافلديس<sup>(٨٢)</sup>، وكتاب آلة ساعات الماء التي ترمى بالبنادق لأرخميدس<sup>(٨٣)</sup>، وكتاب الدوائر والدواليب لهرقل النجار<sup>(٨٤)</sup>. وكان ما أُطلع عليه العرب في هذه الكتب وغيرها، قد ساعدهم على أن يتوسّعوا في هذا العلم، فصنعوا كثيراً من الأجهزة والأدوات التي استخدموها في الحياة العملية، وتشغيل الساعات، ورفع المياه، وغير ذلك مما سناه في ما بعد.

## أ - جر الأثقال ورفعها بالقوة اليسيرة

استخدمت لرفع الأثقال وجربها أو نقلها بعض الأدوات والأجهزة، ذكر الأديب محمد بن أحمد الكاتب المعروف بالخوارزمي، بعضها. منها: الآلة المسماة «الكثيرة الرفع» وهي آلة تُسوى من عوارض وبكرات وأقلاص تُجر بها الأحمال الثقيلة. و«البرطيس» وهو فلكة كبيرة من الخشب يكون في داخلها محور تجر به الأثقال. و«المُخل» وهو خشبة مدورة أو مثمنة تُحرك بها الأجسام الثقيلة وذلك بأن يحفر تحت الجسم الذي يراد تحريكه، ويوضع فيه رأس المُخل ثم يكبس الرأس الآخر، فيستقل الجسم الثقيل<sup>(٨٥)</sup>. والقُلُس هو الجبل الغليظ الذي تُشدّ به السفن أو غيرها من الأجسام الثقيلة.

## ب - الموازين

ولتعيين ثقل الأجسام، أي أوزانها، اتخذوا أنواع الموازين المختلفة منها القَبَان الذي كانوا يسمونه باسمه اليوناني «القرسطون» وكان يستخدم لوزن الأحمال الثقيلة، اعتياداً على النسبة بين بُعدي رأسي عمود القَبَان، وذلك أن أحد رأسيه طويل بعيد عن المعلق، والآخر قصير قريب منه. فإذا علق على رأسه الطويل ثقل قليل وعلى رأسه القصير ثقل كبير تساوى وتوازى إذا ما كانت نسبة الثقل القليل إلى الكثير كنسبة بعد الرأس القصير إلى بعد الرأس الطويل من المعلق. ومنها الموازين العادية ذات الكفتين المتساويتين في الوزن.

وكانت قد صنّفت كتب عديدة في الأوزان والموازين والمكاييل؛ فقد صنّف قسطا بن لوقا المهندس البارغ والعالم الفيلسوف كتاباً عن الأوزان والمكاييل<sup>(٨٦)</sup>. وصنّف ثابت بن قرة المهندس الفيلسوف والرياضي الماهر ثلاثة كتب في الموازين، أحدها في صفة استواء الوزن

- (٨١) الفنطلي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمّى بالمنتخبات المنتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٦٤ و ٧٣.  
 (٨٢) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٨٦.  
 (٨٣) المصدر نفسه.  
 (٨٤) المصدر نفسه، ص ٣٩١.  
 (٨٥) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ١٤١ - ١٤٢.  
 (٨٦) الفنطلي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمّى بالمنتخبات المنتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٢٦٣.

واختلافه وشرائط ذلك والثاني عن القرسطون والثالث في ان سبيل الأثقال التي تعلق على عمود واحد متصلة هي سبيلها إذا جعلت ثقلاً واحداً مبنوئاً في جميع العمود على تساوي<sup>(٨٧)</sup>. وصنف الاخوة أبناء موسى في «القرسطون» أيضاً<sup>(٨٨)</sup>.

كما تفتن العرب في صناعة الموازين والمكاييل الدقيقة التي تستخدم لوزن الأدوية أو كيلها، أو لوزن المعادن الثمينة والأحجار الكريمة. فقد خصص الرازي القسم التاسع من كتابه الحاوي للأوزان والمكاييل الخاصة بالصيدلة<sup>(٨٩)</sup>. ولثابت بن قرة كتاب في أجناس ما توزن به الأدوية<sup>(٩٠)</sup>. وبلغت هذه الموازين درجة عالية من الدقة. وقد ثبت من بعض الأبحاث الحديثة أن فرق الخطأ في وزن بعض مواد تجاربهم كان أقل من أربعة من ألف جزء من الغرام، فقد وزن فلندر (بيري) ثلاث قطع من نقد عربي فوجد أن الفرق بين أوزانها جزء من ثلاثة آلاف جزء من الغرام، فقال إنه لا يمكن الوصول إلى هذه الدقة في الوزن إلا باستعمال أدق الموازين الكيميائية، ويتكرر الوزن مراراً حتى لا يبقى فرق ظاهر في رجحان أحدى بكفي الميزان على الأخرى<sup>(٩١)</sup>.

وقد ابتكر الرازي جهازاً دقيقاً خاصاً لحساب الوزن النوعي للأجسام السائلة وقد سماه «الميزان الطبيعي» ووصفه في كتابه محنة الذهب والفضة والميزان الطبيعي<sup>(٩٢)</sup>. وقد سبق الإشارة إلى هذا في الفصل الخاص بالطب، وقلنا إنه لا يزال يستخدم حتى اليوم، ويُعرف بالكثاف.

واشتهرت مدينة حرّان كمركز لصنع الموازين الدقيقة بحيث كانت مضرب الأمثال في صحتها ودقتها<sup>(٩٣)</sup>.

### ج - الاستفادة من قوة المياه

وقد تنبه العرب إلى القوة الناشئة عن اندفاع الماء وسقوطه ومسيله، فدرسوا نواحي مختلفة تتعلق بهذه القوة واستفادوا منها في الحياة العملية. فشرح بعضهم صعود مياه الفوارات والعيون إلى أعلى، وكيفية ترشيح مياه الأبار من الجوانب، وبيّنوا كيفية صعود المياه إلى

---

(٨٧) المصدر نفسه، ص ١١٧، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٩٩ - ٣٠٠.

(٨٨) القفطي، المصدر نفسه، ص ٣١٦، وابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٣٩٣.

(٨٩) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٤٣١.

(٩٠) القفطي، المصدر نفسه، ص ١١٩، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٣٠٠.

(٩١) الرفاعي، تاريخ العلوم في الإسلام، ص ١٤١.

(٩٢) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٤٢٣.

(٩٣) أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (لندن: مطبعة بريل،

١٩٠٦)، ص ١٤١ و١٤٥.

الأمكان العالية بالحصون والقلاع، وطبقوا ذلك في حاجاتهم وقلاعهم<sup>(٩٤)</sup>. واستخدموا قوة المياه الجارية في تدوير الدواليب الكبيرة لرفع المياه إلى مستويات أعلى من مستويات جريانها، لسقي الأراضي العالية. وطوّروا هذه الدواليب لاستخدامها في إدارة أرحاء الطواحين التي كانوا ينصبونها على سفن رواكد في وسط دجلة والفرات في الأماكن التي يكون بها تيار الماء قوياً يكفي لإدارة تلك الدواليب. ويُستنتج من ذلك أنهم تمكنوا من تحويل دوران الدواليب من شكله العمودي إلى الشكل الأفقي لإدارة رحي الطاحونة. وكان طحين هذه الأرحاء مضرب المثل في جودة طحنه<sup>(٩٥)</sup>.

كما أنهم استخدموا حركات الماء في صنع أجهزة عجيبة تتحرك بذاتها. ومن جملة هذه الأجهزة: «الأبجانة» و«الدُّبَّة» و«سارقة الماء» والآلة المسماة «السُّحارة المخبوذة»، و«الغيم»<sup>(٩٦)</sup>. ومن هذه الآلات ما يسمى الآلات الروحية أو الروحانية، وقد سميت بذلك لارتياح النفس بغرائبها. وهي آلات مبنية على ضرورة عدم الفراغ، ومنها قلدح العدل، وقلدح الجدر<sup>(٩٧)</sup>.

ومن الآلات المائية الأخرى في علم الحيل «القطارات» وهي آلات تعمل بشكل يقطر منها الماء أو غيره من السوائل على قدر الحاجة وفي أشكال متنوعة. و«الخَنَانات» وهي آلات تعمل بالماء فتُحَنّ بصوت مثل صوت المعازف والمزامير والصقارات وغيرها على قدر الحاجة. و«النفّساحات» وهي آلات تعمل للنضح في وجوه الناس على نحو ما يريد صانعها. و«الفوّارات» وهي التي تُعمل عادة في الخياض والخمّامات، يفور منها الماء في أشكال مختلفة<sup>(٩٨)</sup>.

وكانوا يستخدمون الرمل بدل الماء أحياناً في بعض الآلات، وذلك بأن يعمل جهاز على هيئة البربخ الطويل يُثَقَّب أسفله ثقباً صغيراً، ويكون رأسه مفتوحاً. ثم يملأ رملًا وتوضع فوقه قطعة رصاص تشدّ بخيط يُعلّق به ما يحتاج إلى تحريكه. ثم يوضع البربخ منتصباً ليخرج الرمل من الثقب الذي في أسفله، وكلما تناقص الرمل تحركت قطعة الرصاص إلى الأسفل وجذبت ما هو متصل بها. وقد ترتّب من ذلك حركات عجيبة.

## د - الساعات المائية والمزولة

ومما لهُ علاقة بعلم الحيل صنع الساعة المائية والمزولة. فقد مهر العرب في صنع المزولة

(٩٤) الرافعي، تاريخ العلوم في الإسلام، ص ١٤٠.

(٩٥) الزاوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، ج ٤، ص ٩٦، وعبد بن أحمد أبو الطهر الأزدي، حكاية أبي القاسم البغدادي، تحرير آدم مّر (هيدلبرغ: مطبعة كارل ونتر، ١٩٠٢)، ص ٣٨.

(٩٦) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ١٤٣ - ١٤٥، وفيه تفصيلات هذه الأجهزة.

(٩٧) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ١، ص ١٤٨.

(٩٨) الخوارزمي، المصدر نفسه، ص ١٤٥.

والساعة المائية التي كانت تُصنع آنذاك بكثرة. وقد قدم سفراء هارون الرشيد إحداها هدية إلى شارلمان<sup>(٩٩)</sup>. إن مصادرنا التراثية ليس فيها ما يشير إلى ذلك، إلا أن المصادر اللاتينية تقول إن ثلاثة سفراء أحدهم يسمى عبد الله وكان رسول الخليفة وراهبان من بطاريق القدس وصلوا في أوائل سنة ٨٠٧م أي سنة ١٩٢هـ إلى بلاط شارلمان، وقد حل رسول الخليفة إلى الإمبراطور هدايا ثمينة منها صيوان ملون بالوان متنوعة جميلة، ومنسوجات من الحرير والكثان، وعطور، ولبسم، وساعة مائية، وأوانٍ نحاسية كبيرة<sup>(١٠٠)</sup>. . .

إن الموزلة تساعد على معرفة ساعات النهار من ظلال شاخصها الساقطة على الخطوط المرسومة على صفيحتها. وهي أنواع، منها البسائط أي الأفقية، والقائمة، أي العمودية. وكانت صفيحة الموزلة أول أمرها مقسمة إلى اثني عشر جزءاً، أي بعدد ساعات النهار، فيُعرف الوقت من ظلها على هذه الأجزاء. وقد استطاع أحمد بن عبد الله حبش، وهو من علماء الأرصاد وصاحب الزيج المأموني، ومؤلف كتاب الرخائم والمقاييس أن يقسم صفيحة الموزلة إلى ستين جزءاً، وبذلك تيسر الحصول على جدول الظلال التمام في أجزائها، بموجب معادلة رياضية معقدة لتحديد ارتفاع الشمس<sup>(١٠١)</sup>. فصارت الموزلة بهذا التعديل أكثر دقة في تعيين الوقت نهراً.

وكانت الساعات على أنواع منها الرملية، والمائية، ومنها ما تسمى الدورية وهي معمولة بالدواليب يدير بعضها بعضاً<sup>(١٠٢)</sup>. وصار للساعات علم خاص يُعنى بها على اختلاف أنواعها، وكيفية اتخاذ آلات يُقَدَّر بها الزمن، وغايته معرفة أوقات الصلوات من غير ملاحظة حركات الكواكب<sup>(١٠٣)</sup>. وصنفت كتب عديدة في الساعات والمزاويل، وصنعا، وتعيين الوقت رياضياً. فقد صنف محمد بن موسى الخوارزمي العالم الرياضي كتاب الرخامة<sup>(١٠٤)</sup>. وصنف الكندي رسالة في استخراج خط نصف النهار وسمت القبلة بالهندسة ورسالة في عمل الرخامة بالهندسة ورسالة في استخراج الساعات على نصف كرة بالهندسة ورسالة في عمل الساعات على صفيحة تنصب على السطح الموازي للأفق خير من غيرها<sup>(١٠٥)</sup>. وصنفت

---

(٩٩) أرنولد [وآخرون]، تراث الإسلام، ص ٤٧٨ و٥٧٧.

(١٠٠) مجيد خنوزري، الصلات الدبلوماسية بين هارون الرشيد وشارلمان (بغداد: مطبعة النفيس الأهلية، ١٩٣٩)، ص ٣٦-٣٧.

(١٠١) أرنولد [وآخرون]، المصدر نفسه، ص ٥٨٠.

(١٠٢) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ١، ص ٢٥٥.

(١٠٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٥٥.

(١٠٤) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٣٩٧.

(١٠٥) المصدر نفسه، ص ٣٧٥، والفقطنى، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات المنتقاة من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٣٧١.

ثابت بن قرّة كتاباً في آلات الساعات التي تسمى رخامات وكتاباً في أشكال الخطوط التي يمر عليها ظل القياس<sup>(١٠٦)</sup>.

ومن اشتهر بعلم الحيل في القرن الثالث أبناء موسى بن شاكر الذين أشرنا إلى جهودهم في تنشيط حركة نقل الكتب من بلاد الروم والانفاق عليها. وكان أوسطهم أحمد دون أخويه في العلم إلا في صناعة الحيل فإنه قد فتح فيها ما لم يفتح لغيره بمن عمل في الصناعة المذكورة<sup>(١٠٧)</sup>. وذكر له صاحب كتاب تاريخ العلوم في الاسلام بعض الأجهزة والأدوات التي صنعها<sup>(١٠٨)</sup>.

يقول ابن خلكان «وكان الغالب عليهم من العلوم الهندسة والحيل والحركات... ولهم في الحيل كتاب عجيب نادر يشتمل على كل غريبة. وقد وقفت عليه فوجدته من أحسن الكتب وأمتها، وهو مجلد واحد<sup>(١٠٩)</sup>. ويحتوي هذا الكتاب على مئة عملية ميكانيكية، عشرون منها ذات قيمة عملية، منها ما يعالج أمور الأوعية ذات المياه الحارة والباردة، والآبار ذات المستوى المعين الثابت. وأغلبها وصف لبعض الألعاب، كأوعية الشراب المجهزة بألة موسيقية وأشبابها، المستندة إلى القواعد الميكانيكية التي وضعها هيرن الاسكندري<sup>(١١٠)</sup>. ويظهر أنهم جمعوا فيه ما كان معروفاً من علم الحيل وتجاربهم الخاصة فيه. وفي مكتبة الفاتيكان رسالة في الحيل وفيها وصف لآلات وأنواع من الأجهزة المتحركة وضعت بدقة وبراعة عظيمتين<sup>(١١١)</sup>.

كما وضع أبناء موسى رسالة في الآلات الموسيقية التي تزمزرن بنفسها وقد عثر عليها في كلية الروم الأورثوذكس ببيروت<sup>(١١٢)</sup>.

وجاء بين مصنفات الكندي كتاب في عمل القمقم الصباح ورسالة في أركان الحيل<sup>(١١٣)</sup>. ويظهر بين مصنفات ثابت بن قرّة كتاب في أشكال له في الحيل<sup>(١١٤)</sup>.

---

(١٠٦) القفطي، المصدر نفسه، ص ١١٧ - ١١٨.

(١٠٧) المصدر نفسه، ص ٤٤٢.

(١٠٨) الرفاعي، تاريخ العلوم في الإسلام، ص ١٢٨ - ١٢٩.

(١٠٩) شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ٦ ج (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٥٠)، ج ٤، ص ٢٤٧.

(١١٠) أرنولد [وأخرون]، تراث الإسلام، ص ٤٦٠.

(١١١) المصدر نفسه، ص ٥٧٧.

(١١٢) طبعت في: مجلة المشرق (بيروت)، العدد ٤٤٤. انظر: المصدر نفسه، ص ٥٢٧.

(١١٣) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٣٧٩، وجاء فيه الكتاب الأول: في عمل القمقم النّباح، والقفطي، تاريخ الحكماء، وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات المنتقاة من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٣٧٥.

(١١٤) القفطي، المصدر نفسه، ص ١١٨.

## ثالثاً: علماً الحيوان والنبات

### ١ - علماً الحيوان والنبات وحركة الترجمة

لعل أهم ما تُرجم من الكتب في علم الحيوان كتاب أرسطوطاليس، نقله يحيى بن البطريق إلى السريانية نقلاً جيداً، ونُقل منها إلى العربية نقلاً غير جيد، بقي متداولاً وله عدد من المختصرات حتى القرن الرابع فنقله أبو علي عيسى بن زرعة المتوفى سنة ٣٩٨. وهو من متقدمي علم المنطق والفلسفة وأحد النقلة المجيدين<sup>(١١١)</sup>. ولأرسطو كتب أخرى عن الحيوان لم يثبت أنها ترجمت إلى العربية سوى كتاب منافع أعضاء الحيوان ترجمه ابن زرعة المذكور<sup>(١١٢)</sup>.

أما ما تُرجم من الكتب ذات العلاقة بعلم النبات فكانت ثلاثة كتب مهمة هي:

#### أ - كتاب الحشائش والنباتات

(أو كتاب الأدوية المفردة أو هيولى علاج الطب) لديسقوريدس<sup>(١١٣)</sup>. وقد سبق القول إن اصطف بن يسيل ترجمه من اليونانية إلى العربية للخليفة المتوكل على الله. وجاء في كشف الظنون عن أهمية الكتاب أن ديسقوريدس داوم أربعين سنة على دراسة النباتات ومنافعها حتى وقف على منافع البزور والحبوب والقشور واللُّبُوب، فصنف الكتاب وأخبر به تلاميذه<sup>(١١٤)</sup>. ويتألف الكتاب من خمس مقالات: تشتمل المقالة الأولى منه على ذكر أدوية عطرية، وأفاويه، وأدهان، وصمغ، وأشجار كبار. وتشتمل المقالة الثانية على ذكر الحيوان ورطوباته، والحبوب والقطاني، والبقول المأكولة، والبقول والأدوية الحريفة. وتشتمل المقالة الثالثة على ذكر أصول النبات، وعلى النبات الشوكي، وعلى بذور وصمغ وحشائش مزهرة. أما المقالة الرابعة فتشتمل على ذكر أدوية أكثرها حشائش باردة، وعلى حشائش حارة مسهلة ومقيئة، وعلى حشائش نافعة من السموم. وتشتمل المقالة الخامسة على ذكر الكرم، وعلى أنواع الأنثريه، وعلى الأدوية المعدنية<sup>(١١٥)</sup>.

#### ب - كتاب الفلاحة الرومية

للحكيم قسطوس بن اسكور نقله إلى العربية المترجم قسطا بن لوقا<sup>(١١٦)</sup>.

---

(١١٥) المصدر نفسه، ص ٢٤٦ - ٢٤٧، وابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٦٦.

(١١٦) القفطي، المصدر نفسه، ص ٢٤٦.

(١١٧) ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، هامش ص ٢٢.

(١١٨) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ٢، ص ١٤١٢.

(١١٩) كحالة، العلوم البحتة في العصور الإسلامية، ص ٢٩٧ - ٢٩٨، وجاء اسم الكتاب فيه: في

الحشائش والأدوية المفردة.

(١٢٠) حاجي خليفة، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٤٤٧.



## ج - كتاب الفلاحة النبطية

نقله إلى العربية أحمد بن علي بن المختار النبطي المعروف بابن وحشية. ويمكن اعتباره أهم الكتب المترجمة التي احتوت على معلومات وافية عن الزراعة والنباتات، وقد ظل معتمد أهل الزراعة ردهاً طويلاً من الزمن. وجاء في مقدمة الترجمة: «اعلم يا بني أني وجدت هذا الكتاب في كتب الكلدانيين - الكلدان أو النبط - يترجم معناه إلى العربية: كتاب فلاحة الأرض واصلاح الزرع والشجر والثمار ودفع الآفات عنها. وكان هؤلاء الكلدانيون أشد غيرة عليها لئلا يظهر هذا الكتاب فكانوا يحرقونه بجهدهم. وكان الله عز وجل قد رزقني المعرفة بلغتهم ولسانهم فوصلت إلى ما أردت من الكتب بهذا الوجه. وكان هذا الكتاب عند رجل متميز، فأخفى عني علمه، فلما اطلعت عليه لئله في إخفاء الكتاب عني وقلت له: إنك إن أخفيت هذا العلم دُثر ولا يبقى لأسلافك ذكر، وما يصنع الإنسان بكتب لا يقرأها ولا يخفي من يقرأها، فهي عنده بمنزلة الحجارة والمذر، فصدقتني في ذلك وأخرجني إلى الكتب، فوجدت أنقل كتاباً بعد كتاب. فكان أول كتاب نقلته كتاب ادوانثي البابلي في معرفة أسرار الفلك والأحكام على حوادث النجوم، وهو كتاب عظيم المحل. ونقلت كتاب الفلاحة هذا بنامه<sup>(١١١)</sup>. ويقول ابن وحشية إنه يكتبه بقصد صلاح الأرض واصلاح الزرع والشجر والثمار وعلاج آفاتها، كما يقول إنه خطر له بعد ذلك أن يختصره ليكون أسهل منالاً لدى طلاب هذا النوع من المعرفة<sup>(١١٢)</sup>. إن إشارة ابن وحشية هذه توحى بأنه هو مصنف الكتاب وقد كتبه أول الأمر مفصلاً، ثم أثر أن يختصره ليكون أسهل منالاً، وتدعو إلى الشك في ما جاء في أول مقدمته بأنها قد تكون قصة اختلفها ليومهم بقدم الكتاب وأنه ترجمه من لغة قديمة، وذلك ليزيد في أهميته.

يقع الكتاب في ستمئة وعشر ورقات وهو لا يزال مخطوطاً يحتفظ به معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية. ولقد لخصه الدكتور عبد الحليم منتصر في كتابه تاريخ العلم ودور العرب في تقدمه<sup>(١١٣)</sup>. ويظهر من هذه الخلاصة أن الكتاب مقسم إلى عدة أبواب تتناول بحث مختلف أنواع النباتات وخواصها وكيفية زرعها وغرسها وتسميدها وربها، ويبحث طبيعة المياه وطعمها واستنباطها وكيفية حفر الآبار واستخراج المياه من أعماقها. وعندما يبحث في الحشائش والأزهار والخضروات والأشجار، يذكر أساءها ويعدد صفاتها، ويذكر أوقات زراعتها وجنيها. وفي بحثه عن الأشجار يفرّد باباً خاصاً بذوات النوى من الثمار، ويسهب في الحديث عنها من حيث زراعتها وتكثيرها وتسميدها. ويختتم الكتاب بقوله إنه وجد فيه أجل المنافع وأكثر الفوائد في صرف المهالك عن الشجر والنخل والكرم. أما البقر والغنم وغيرها من الحيوانات المعنية على الفلاحة فقد أفرد لها كتاباً جعله تالياً لهذا الكتاب، وأنه سيفرد في الكتاب الثاني باباً خاصاً للحمام والطيور والكراتي.

---

(١١١) أحمد فريد رفاعي، عصر المأمون، ٣ ج (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٢٧)، ج ١، ص ٣٩٢ - ٣٩٣.  
(١١٢) عبد الحليم منتصر، تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، ط ٦ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٥)، ص ٢٢٩.  
(١١٣) المصدر نفسه، ص ٢٢٧ - ٢٢٩.

## ٢ - علم الحيوان والنبات عند العرب

أما مصنفات العلماء العرب في علمي الحيوان والنبات فقد ظهرت بوادرها مبكرة، إذ صُنّف منذ القرن الثاني كتب لغوية في أصلها، إلا أنها كانت تتضمن شيئاً من المعلومات مما ندعوه اليوم التاريخ الطبيعي - علم الحيوان وعلم النبات -. ويمكن القول إن جميع علماء اللغة الذين اشتهروا في خلال القرن الثالث، وضعوا كتباً عن الجبال، والحيل، وعن الزرع والنبات، وصنّف بعضهم في خلق الإنسان. وقد وضعت جميعها لأغراض لغوية، وكانها صنفت لتكون معاجم للحيوان أو النبات الذي تبحث فيه. وبعضها ينطوي على كثير من المادة العلمية تناثرت بين ثنايا المعلومات اللغوية. وفي ما يلي بعض ما صنّف في ذلك:

- صنّف العتيبي أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الله المتوفى سنة ٢٢٨ كتاب الخيل<sup>(١٢١)</sup>.
- وصنّف ابن الأعرابي محمد بن زياد ١٥٠ - ٢٣٠ كتاب صفة النخل، وكتاب النبات، وكتاب الثبت والبقل، وكتاب صفة الزرع، وكتاب الخيل<sup>(١٢٢)</sup>.
- وصنّف أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي المتوفى سنة ٢٣١ كتاب الشجر والنبات، وكتاب الزرع والنخل، وكتاب الإبل، وكتاب الخيل، وكتاب الطير، وكتاب الجراد<sup>(١٢٣)</sup>.
- وصنّف يعقوب بن السّكّيت ١٨٦ - ٢٤٤ كتاب النبات والشجر، وكتاب الإبل، وكتاب الوحوش، وكتاب الحشرات<sup>(١٢٤)</sup>.
- وصنّف ابن قتيبة عبد الله بن مسلم ٢١٣ - ٢٧٦ كتاب الخيل، وكتاب خلق الإنسان. ويذكر ابن التديم بين مصنفات ابن قتيبة كتاب معاني الشعر الكبير، وقد أشار إليه ابن قتيبة نفسه في كتاب عيون الأخبار، وسماه كتاب أبيات المعاني، وهو يحتوي على اثني عشر كتاباً منها: كتاب الفرس، وكتاب الإبل، وكتاب السباع والوحوش، وكتاب الهوام<sup>(١٢٥)</sup>. وتطرق ابن قتيبة في كتابه عيون الأخبار إلى ذكر كثير من المعلومات والمعارف في علمي الحيوان والنبات، سنذكر جانباً منها في ما بعد.

---

(١٢٤) ابن التديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ١٨٢.

(١٢٥) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأديب أو طبقات الأديباء، تحقيق د. ص. مرجليوث، ط ٢، ٩ ج (القاهرة: مطبعة هندية، ١٩٢٣ - ١٩٢٦)، ج ٧، ص ٨، وابن خلكان، وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٣، ص ٤٢٣.

(١٢٦) ابن التديم، المصدر نفسه، ص ٨٩، وياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٠٦.

(١٢٧) ابن التديم، المصدر نفسه، ص ١١٤؛ ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٧، ص ٣٠٢، وابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٤٤١.

(١٢٨) ابن التديم، المصدر نفسه، ص ١٢١، وأبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، عيون الأخبار، ٤ ج (القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦٣)، ج ١، ص ١٥٨.

- وصنف أبو عثمان الجاحظ ١٦٣ - ٢٥٥ كتاب الحيوان، وكتاب الزرع والنخل، وكتاب الإبل، وكتاب البغل<sup>(١١١)</sup>.

وتضمنت قائمة كتب الكندي فيلسوف العرب مصنفات في علم الحيوان هي: كتاب في الخيل والبيطرة، ورسالة في أنواع النحل وكرامته، ورسالة في أجساد الحيوان إذا فسدت، ورسالة في الحشرات<sup>(١١٢)</sup>.

- وصنف أبو حاتم سهل بن محمد الجشعي السجستاني المتوفى سنة ٢٤٨ كتاب النبات، وكتاب الطير، وكتاب الإبل، وكتاب النحلة، وكتاب الوحوش، وكتاب الحشرات، وكتاب الزرع، وكتاب الكروم، وكتاب خلق الإنسان، وكتاب العشب، وكتاب النحل والعسل، وكتاب الجراد<sup>(١١٣)</sup>.

- وصنف أبو جعفر محمد بن حبيب المتوفى سنة ٢٤٥ كتاب الخيل، وكتاب النبات<sup>(١١٤)</sup>.

- وصنف أبو محلم محمد بن هشام السعدي المتوفى سنة ٢٤٨ كتاب الخيل، وكتاب خلق الإنسان<sup>(١١٥)</sup>.

- وصنف أبو حنيفة الدينوري أحمد بن داود المتوفى سنة ٢٨٢ كتاب النبات<sup>(١١٦)</sup>.

- وصنف أبو سعيد الحسن السكري المتوفى سنة ٢٧٥ كتاب الوحوش، وكتاب النبات<sup>(١١٧)</sup>.

- وصنف أبو إسحاق الزجاج إبراهيم بن السري المتوفى سنة ٣١١ كتاب خلق الإنسان، وكتاب خلق الفرس<sup>(١١٨)</sup>.

- وصنف محمد بن ثابت من علماء القرن الثالث كتاب خلق الإنسان.

---

(١٢٩) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٧٦، والبندادي، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ١، ص ٨٠٣.

(١٣٠) الفطحي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني السمي بالمتنقيات المتنقيات من كتاب إخبار العلماء بإخبار الحكماء، ص ٣٧٢ - ٣٧٥ و ٣٧٦، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٩٢ - ٢٩٣، وابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٧٦ و ٣٧٩، وجاء فيه: أنواع النخل وكرامته. (١٣١) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٩٣؛ ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٥٨، وابن خلكان، وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٢، ص ١٥١ - ١٥٢.

(١٣٢) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ١٦١.

(١٣٣) المصدر نفسه، ص ٧٥.

(١٣٤) المصدر نفسه، ص ١٢٢، وأبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن الأتباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء أبي النخلة، تحقيق عطية عامر (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٣)، ص ٢٤٠.

(١٣٥) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ١٢٣، وابن الأتباري، المصدر نفسه، ص ٢١١.

(١٣٦) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٩٧.

وذكر أبو عبيد القاسم بن سلام الفقيه اللغوي المتوفى سنة ٢٢٤ في كتابه غريب المصنف أبواباً خاصة بالنبات منها: «باب في أشجار الجبال»، و«باب في ما ينبت منها في السهل وما ينبت في الرمل»، و«باب الحمض والخلة والعفصة»، و«باب ثمار الشجر»، و«باب ضرر النبات»، و«باب الكمأة»، و«باب الشجر المر»، و«باب الخنظل»، وذكر في كتابه هذا كتاباً كان صنفها في علم الحيوان منها: كتاب الخيل، وكتاب الطيور والحوام، وكتاب الإبل ونعومتها، وكتاب الغنم ونعومتها، وكتاب الوحش، وكتاب السباع<sup>(١٣٧)</sup>.

وقد طبع من الكتب آتفة الذكر كتاب الحيوان للمجاط، وكان طبعه لأول مرة بسبعة أجزاء في القاهرة - الجزء الأول والثاني بالمطبعة الحميدية في سنة ١٣٢٣، وطبعت الأجزاء الأخرى بمطبعة التقدم في سنة ١٣٢٥هـ<sup>(١٣٨)</sup>، وكتاب عيون الأخبار لابن قتيبة بأربعة أجزاء بدار الكتب المصرية في خلال الفترة ١٩٢٤ - ١٩٣٠، وكتاب النبات للدينوري وقد طبع بمطابع دار القلم ببيروت في سنة ١٩٣٤. وكتاب خلق الإنسان للزجاج في مطبعة المجمع العلمي العراقي في سنة ١٣٨٢هـ. وكتاب خلق الإنسان لمحمد بن ثابت، في الكويت في سنة ١٩٦٥. وسنستعرض في ما يأتي خلاصة موجزة لكتابي خلق الإنسان، ولكتاب النبات، ولكتاب الحيوان، ولما جاء في كتاب عيون الأخبار، لنطلع على مدى ما تحتويه هذه الكتب من المادة العلمية إلى جانب مادتها اللغوية.

#### أ - كتابا خلق الإنسان للزجاج، ولمحمد بن ثابت

قصر الزجاج كتابه على ذكر أساء أعضاء جسم الإنسان مبتدئاً بالرأس ومنتهاً بالقدم. وقد خلا من أية معلومات علمية تتعلق بالأعضاء التي سهاها. وما سنورده عن قوله في صفة الرأس قد يكون نموذجاً لمحتوى الكتاب واقتصاره على اللغة فقط. قال: الرأس، منها الكُرْس، يقال: رجل كُرْس، وهو العظيم الرأس. ومن الرؤوس الأكيس وهو العظيم المستدير، ويقال هامة كيساء وكياس إذا كانت كذلك. ومنها المصْفَح، وهو الذي يُضغَط من قبل صدغيه فيطول ما بين جبهته وقفاه. ومنها الخشاش وهو الخفيف يشبه برأس الحية، ومنها الصعل وهو الصغير الذي فيه دقة وخفة، ويقال رجل صَعْل، ومنها المؤدَّم وهو الضخم المستدير<sup>(١٣٩)</sup>.

وتناول كتاب محمد بن ثابت أسماء أعضاء الإنسان جميعاً في مختلف مراحل حياته منذ

(١٣٧) كحالة، العلوم البحتة في العصور الإسلامية، ص ٢٨٥.

(١٣٨) يوسف إلان سركيس، معجم المطبوعات العربية والمعرّبة: وهو شامل لأسماء الكتب المطبوعة في الأنظار الشرقية والغربية مع ذكر أسماء مؤلفيها ولغة من ترجمتهم وذلك من يوم ظهور الطباعة إلى نهاية السنة الهجرية ١٣٣٩ الموافقة لسنة ١٩١٩ الميلادية (القاهرة: مطبعة سركيس، ١٩٢٨)، ص ٦٦٨.

(١٣٩) أبو إسحق إبراهيم بن السري بن الزجاج، خلق الإنسان، تحقيق إبراهيم السامرائي (بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٣٨٢هـ)، ص ١٠.

بدء حل أمه به إلى أن يصبح رمة. وتكاد تكون جميع الأسماء التي يذكرها معززة بالشواهد من الشعر. والكتاب بمجموعه كتاب لغة لا يتخلله شيء من المادة العلمية عن الموضوع.

### ب - كتاب النبات للدينوري

لقد أغنى العلماء العرب المعرفة الإنسانية في مجال علم النبات باكتشافهم كثيراً من النباتات والأعشاب ذات النفع الطبي. ولعل أهم الكتب التي ألّفت في القرن الثالث في موضوع النبات هو كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري. وقد ذكر في مقدمته أنه استقصى ما نطقت به العرب من أسماء النبات، وشرحها شرحاً علمياً بعد أن عاين النباتات في أماكنها ولاحظها بنفسه. فزاد كثيراً عما وجدته منها على من تقدمه من الباحثين في الموضوع. فلم يترك شاردة ولا واردة إلا أثبتتها في كتابه، حتى فاق من تقدمه من علماء اللغة والباحثين في النبات، وصار كتابه عمدة للغويين وأصحاب المفردات الطبية ومصنفي كتب النبات<sup>(١١٠)</sup>.

إن ما تضمنه القسم المطبوع من الكتاب هو الجزء الثالث، والنصف الأول من الجزء الخامس. والبحث فيه لغوي معزّز بالشعر، إلا أنه لا يخلو من إشارات وملاحظات علمية تتعلق بخصوصائص النبات الذي يذكره. وسنلخص في ما يلي أحد بحوثه، هو موضوع الكمأة، لتتعرف على ما تضمنه من العلم واللغة.

يقول المصنف إن الكمأة عند العرب جنى يخبصون عليها إذا كثرت في الموسم، وإذا قلت عدوها جدباً. وإن أنجع الأمطار فيها أمطار الوسمي، وإن الرواعد فيها أبلغ من الخرس. وأول زمان أجناؤها مفتتح الدفء وهو سقوط الجبهة، وهي تطاول إلى أن يتحرك. . . والكمأة جمع وواحدة كمء، وهو نادر الكلام لأن بناء الكلام على أن تكون الواحدة بهاء وبالجمع تطرح الهاء. وحكى عن أبي زيد أن الكمأة تكون واحدة وجمعاً. وحكى غيره: كمأة واحدة وكمأتان وكمأت على القياس. وإذا كثرت الكمأة بالأرض قيل: أكمأت الأرض. ويقال للموقع الكثير الكمأة: الكموء<sup>(١١١)</sup>.

ويقال للذين يخرجون لاجتناء الكمأة: المتكمئون، والواحد منهم الكيء. ويقال: كمأت القوم أطعمتهم الكمأة، وكذلك أكمأتهم. ويستدل على الكمأة بشيتين: بتشقق الأرض، وارتفاعها عنها، وذلك إذا كثرت وسمت وضاق موضعها عنها فارتفعت القلعة، ويقال لذلك الموضع تنفّض عن الكمأة فانصدع: التقض والجمع الأنقاض، ويقال للكمأة حينئذ ينفّض<sup>(١١٢)</sup>.

والكمأة إذا أرادت أن تظهر نقضت عن نفسها الأرض وبدت. ويتمس مع ذلك

(١٤٠) كحالة، العلوم البحتة في العصور الإسلامية، ص ٢٨٦ - ٢٨٧.

(١٤١) أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، النبات، حققه وشرحه برهان فنين (بيروت: دار القلم،

١٩٧٤)، ص ٧١.

(١٤٢) المصدر نفسه، ص ٧٢.

نبات الإجرود والقصيص فإنها من مقلّتها. وقال الراجز وقد وصف الكماء:

جنيئُها من مجتق عويس من منبت الإجرود والقصيص.

ويقال لما يلزم بالكماء من تراب إذا أخرجت: السُرَر، يقال: انقض عن الكماء سِرُّها، يعني ترابها<sup>(١١٦)</sup>.

ويقال لخيار الكماء الجبّة، ولشّرها وأردأها الفقعة. وأكثر ما تنبت الكماء قريباً من حيث ينبت القصيص والإجرود. ويقال إن كماء السهل بيضاء رخوة وكماء الأكام سود جيدة، وكذلك كماء الدكادك التي ليس فيها رمل ولا جبل، والأرض من الدكادك تنبت القصيص والإجرود<sup>(١١٧)</sup>.

والفَقْع الكماء الأبيض، وهو أردأ الكماء طعماً وأسرع فساداً. والغُرَاد الكماء الصغار، واحدها غُرادة، ويقال: هي الغُرَاد واحدها غُرْدَة. ويقال: أجبات الأرض إجباء فهي مجبئة إذا كثرت جبّاتها، وهي أرض تجبّاء. والعسقول ضرب من الجبّة وهي كماء بين البياض والحمرة. والكماء إذا ظهرت فلم تُجَبَّنْ أبيضّت<sup>(١١٨)</sup>.

والقَرَحان ضرب من الكماء أبيض، صغارها ذوات رؤوس كرؤوس انطر، والواحدة قرحانة<sup>(١١٩)</sup>.

ويلاحظ أن محتوى البحث يضم إلى جانب اللغة معلومات علمية عن الكماء، كموعدها وظهرها وعلاماته، والمطر الصالح لها، والأرض المناسبة لظهورها، ووجود نباتي القصيص والإجرود قريباً منها، كنباتين تتعايش معها، والفروق بين النوع الجيد من الكماء والنوع الرديء. كما يلاحظ أن كتاب النبات هذا كتاب عربي بمادته، لأن مصادره كلها عربية فلم يعتمد على مصدر غريب آخر يوناني أو غيره.

### ج - كتاب الحيوان للجاحظ

يقسم الجاحظ، في مقدمة الكتاب، عالم الحيوان إلى أربعة أقسام: شيء يمشي، وشيء يسبح، وشيء ينساح، وشيء يطير. والقسم الذي يمشي أربعة أقسام: أناس، وبهائم، وسباع، وحشرات. أما حيوان الماء فيقول إنه ليس كل عائم سمكاً وإن كان مناسباً للسمك في كثير من خصائصه. فهناك كلب الماء والسلحفاة والضفدع والسرطان والدلفين. ويقسم الحيوان بالنسبة إلى النطق، إلى فصيح وأعجم، والفصيح هو الإنسان، والأعجم هو الحيوان. ثم يذكر أسماء أصوات الحيوان كالنباح والزئير والصفير... الخ.

(١١٣) المصدر نفسه، ص ٧٣ - ٧٤.

(١١٤) المصدر نفسه، ص ٧٥ - ٧٦.

(١١٥) المصدر نفسه، ص ٧٩ - ٨٣.

(١١٦) المصدر نفسه، ص ٨٥.

والكتاب ينطوي على معلومات علمية غزيرة عن عالم الحيوان، من حيث تكاثره، وطباعه، ومنافعه، وأعضائه وتطورها، وألوانه، وطعامه، وتعليمه، وموطنه، وأثر البيئة فيه. ولذا يمكن اعتباره رغم ما يحتويه من معلومات في فروع أخرى، من كتب الطييعيات لا من كتب الأدب. إلا أن معلوماته العلمية لم ترتب، إذ جاء أغلبها في ثنايا الأخبار اللغوية والشواهد الأدبية المختلفة التي يروها الجاحظ، كعادته، بإسهاب واستطراد. والكتاب كما يصفه المؤلف نفسه «كتاب موعظة وتعريف وتفهق وتبهي»<sup>(١١٧)</sup>. فهو لم يقصر بحثه على الحيوان وما يتصل به، بل يتناول أوجهاً عديدة من وجوه المعرفة. فقد تكلم فيه على مسائل فلسفية، ومعارف طبيعية، ومواضيع أهل علم الكلام، وعلى أثر البيئة في الحيوان والنبات والإنسان. كما تناول أموراً تاريخية، ومواضيع جغرافية. وعرض لأمراض الإنسان والحيوان، وغير ذلك، مستشهداً في معظم ما يتعرض له من المواضيع بعين الشعر العربي. ناهيك عما يتخلل الكتاب من نادر وأقاصيص وفكاهات ومجون، يحاول الجاحظ أن يخفف بها عن قاربه بين حين وآخر. وهذا اختلف الجاحظ عن سبقه ممن صنفوا في الحيوان من رجال اللغة. إذ تضمن كتابه كثيراً من الحقائق العلمية الخاصة بالحيوان الذي يتحدث عنه، كطرق كسبه معاشه، ورعايته صغاره، وعلاقة الذكر بأنثاه، مع ملاحظات علمية مهمة عن سلوك الحيوان، مما يجعل الكتاب أول مصنف عربي في موضوع علم الحيوان.

ونعرض في ما يلي بعض الفقرات والمقاطع من مواضيع مختلفة مما تضمنه الكتاب من المادة العلمية. فهو يقول في أقسام الكائنات: «إن العالم بما فيه من الأجسام على ثلاثة أنحاء: متفق، ومختلف، ومتضاد، وكلها في جملة القول جاد ونام، وكان حقيقة القول في الأجسام من هذه القسمة أن يقال نام، وغير نام. ولو أن الحكماء وضعوا لكل ما ليس بنام اسماً كما وضعوا للنامي اسماً، لاتبعنا أثرهم، وإنما تنتهي إلى حيث انتهوا»<sup>(١١٨)</sup>.

ويقول عن تقسيم النامي: «ثم النامي على قسمين: حيوان ونبات. والحيوان على أربعة أقسام: شيء يمشي، وشيء يطير، وشيء يسبح، وشيء ينساح. إلا أن كل طائر يمشي، وليس الذي يمشي ولا يطير يسمى طائراً. والنوع الذي يمشي على أربعة أقسام: ناس، وبهائم، وسباع، وحشرات. على أن الحشرات راجعة في المعنى إلى مشكلة طياع البهائم والسباع»<sup>(١١٩)</sup>. ويقول في تقسيم الطير: «والطير كل سبع وبهيمة ودمج. والسباع من الطير على ضربين: فمنها الثاق والأحرار والجوارح، ومنها البُغاث، وهو كل ما عظم من الطير سبياً كان أو بهيمة، إذا لم يكن من ذوات السلاح والمخالب الملققة، كالنور والرخم والغريان وما أشبهها من لئام السباع. . . ومن سباع الطير شكل يكون سلاحه المخالب كالعقاب وما أشبهها، وشيء يكون سلاحه المناقير كالنور والرخم والغريان، وإنما جعلناها سباعاً لأنها آكلة لحوم. ومن بهائم الطير ما يكون سلاحه المناقير كالكرابي وما أشبهها، ومنها ما يكون سلاحه الأسنان كالبوم والوطواط وما أشبهها، ومنها ما يكون سلاحه الصياصي كالديكة، ومنها ما يكون سلاحه السُلح كالجباري. . . والسبع من الطير ما أكل اللحم خالصاً،

(١٤٧) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ج ٧ (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٣٨ - ١٩٤٥)، ج ١، ص ٣٧.  
(١٤٨) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٦.  
(١٤٩) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٧.

والبهيمة ما أكلت الحب خالصاً. وفي الفن الذي يجمعها من الخلق المركب والطبع المشترك، كلام سنائي عليه<sup>(١٠١)</sup>.

ويقول في خصائص الأفعى: «والأفعى لا تدور عينها في رأسها، وهي تلد وتبيض، وذلك إما إذا طرقت بيضها تحطم في جوفها فتربي بفراخها أولاداً، حتى كأنها من الحيوان الذي يلد حيواناً مثله»<sup>(١٠٢)</sup>. وفي قوة بدن الحية وعلة ذلك يقول: «وبما قبض الرجل الشديد الأمر والقوة على قفا الحية فتلتف عليه فتصرعه. وفي صعوها وفي سعيها خلف الرجل الشديد الحضر، أو عند هربها حتى تقوت وتسبق، وليست بذات قوائم، وإنما تنساب على بطنها، وفي تدافع أجزائها وتعاونها وفي حركة الكل من ذات نفسها، دليل على إفراط قوة بدنها. . . وإنما أنتها هذه القوة، واشتدت فقر ظهرها هذه الشدة، لكثرة أضلاعها وذلك أن لها من الأضلاع عدد أيام الشهر»<sup>(١٠٣)</sup>.

وعن هجرة السمك يقول: «وهذا بحر البصرة والأبله، يأتيهم ثلاثة أشهر معلومة مسروقة من السنة السمك الأسبور، فيعرفون وقت هجته ويتنظرونه، ويعرفون وقت انقطاعه ويحيى غيره، فلا يمتك بهم الحال إلا قليلاً حتى يُغَل السمك من ذلك البحر في ذلك الأوان، فلا يزالون في صيد ثلاثة أشهر معلومة من السنة، وذلك في كل سنة مرتين لكل جنس. . . فاما الأسبور فهو يقع بهم من بلاد الزنج، وذلك معروف عند البحريين. وإن الأسبور في الوقت الذي يقطع إلى دجلة البصرة لا يوجد في الزنج، وفي الوقت الذي يوجد في الزنج لا يوجد في دجلة»<sup>(١٠٤)</sup>.

وتظهر آثار دراسة الجاحظ وأطّلاعه على ما ترجم من الكتب من اللغة اليونانية في كثير من الأقوال والأخبار التي يرويها عن أرسطوطاليس وجالينوس وبطليموس وإقليدس من حكماء اليونان. وقد اقتبس من كتاب الحيوان لأرسطوطاليس عديداً من النصوص الخاصة بطبائع الحيوان وشؤونه وغرائبه، إلا أنه لا يفوته التعليق عليها أو تفنيدها. بل إنه يشكك أحياناً في أقواله لنقصان الشاهد. فهو يقول في معرض كلامه عن السمك: «وقد أكثر في هذا الباب أرسطوطاليس، ولم أجِد في كتابه على ذلك من الشاهد إلا دعواه»<sup>(١٠٥)</sup> ويقول في كلامه عن الحيات: «وزعم صاحب المنطق أنه قد ظهرت حية لها رأسان. فسألت أعرابياً عن ذلك فزعم أن ذلك حق»<sup>(١٠٦)</sup>، غير أن الجاحظ يشكك بالأمر فيقول «إن هذه الأحاديث مما يزيد في الرعب منها وفي هربيل أمرها»<sup>(١٠٧)</sup>. ويعلق على زعم أرسطوطاليس في إنتاج المركب، فيقول: «وقد سمعنا ما قال صاحب المنطق من قبل، وما نظنّ بمثله أن يجلد على نفسه في الكتب شهادات لا يحققها الامتحان، ولا يعرف صدقها أشباهه من العلماء، وما عندنا في معرفة ما ادعى إلا هذا القول»<sup>(١٠٨)</sup>.

(١٠١) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٨ - ٢٩.

(١٠٢) المصدر نفسه، ج ٤، ص ١١٣.

(١٠٣) المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٢٦.

(١٠٤) المصدر نفسه، ج ٤، ص ١١٠.

(١٠٥) المصدر نفسه، ج ٦، ص ١٧.

(١٠٦) المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٥٦.

(١٠٧) المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٥٦.

(١٠٨) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٨٥.



ويقول الجاحظ: قيل لي «وقرأت في كتاب الحيوان أن ريح السذاب يشتد على الحيات، فالتفت على وجه الأناعي جُرْزاً من السذاب، فما كان عندها إلا كسائر البقل»<sup>(١٥٨)</sup>. وهو في مثل هذه الحال يعتمد إلى أن يجرب القول بنفسه ويوقف على صحته وعدمها. ويقول: «فما زعمه أن السمكة لا تتلعق شيئاً من الطعام إلا ببعض الماء، فإني عيان ذلك على هذا وهو عن»<sup>(١٥٩)</sup>. ويقول في مكان آخر من كتابه «ولقد قلت لرجل من البحرين: زعم ارسطوطاليس أن السمكة لا تتلعق الطعام إلا ببعض شيء من ماء، مع سعة المدخل وبشره النفس. فكان من جوابه أن قال لي: ما يعلم هذا إلا من كان سمكة مرة، أو أخبرته به سمكة، أو حدثه بذلك الحواريون». «<sup>(١٦٠)</sup> وهو تهكم جميل من كلام ينقصه الدليل.

## د - كتاب عيون الأخبار

يتألف الكتاب من عشرة كتب (أبواب) موزعة على أربعة أجزاء. يشتمل الجزء الأول على ثلاثة كتب، تطرق ابن قتيبة في الكتاب الأول إلى الكلام على الخيل والبغال والحمير والإبل، وذكر صفاتها وما يستحسن منها، وذلك بأسلوب تغلب عليه الناحيتان الأدبية واللغوية، ولكنه لا يخلو من المعرفة العلمية. فقال عن وسائل التمييز بين عناق الخيل وهجينها، إنها إذا قُدِّم إليها الماء بطست ووضع على الأرض وتقدمت إلى الشرب، فما ثنى منها سنبكه فشرب فهو هجين، وما شرب ولم يثن سنبكه فهو أصيل، لأن في أعناق الهجين قصر فهي لا تنال الماء حتى ثني سنبكها، وأعناق العناق طولاً<sup>(١٦١)</sup>.

وذكر أوصاف الحار بخر أوردته عن الفضل الرقاشي لما سئل لماذا يؤثر الحمير على جميع المركوب «قال: لأنها أكثرها مرفقاً... لا تستبدل بالمكان على قدر اختلاف الزمان، ثم هي أقلها داءً، وأيسرها دواء، وأسلم صريعاً، وأسهل تصرفاً، وأخفص سهوياً، وأقل جراحاً، وأشهر فارهاً، وأقل نظيراً، ويؤمى راكمه وقد توضع بركوبه»<sup>(١٦٢)</sup>.

ويظهر مما ذكره ابن قتيبة أن من أحسن صفات الجبال سرعتها في جريها بحيث أنها إذا جرت بدت كأنها تعوم وتنسل كأنها ثعبان يسيل سيلاً كالماء<sup>(١٦٣)</sup>.

ويشتمل الجزء الثاني على كتاب الطبائع، والأخلاق المذمومة، وتكلم فيه على طبائع الإنسان وطبائع الحيوان، وينتج الكتاب بذكر بعض النباتات وأوصافها. وفي الباب الخاص بطبائع الإنسان يقدم فذلكرة علمية عن خلق الإنسان والطبائع التي ركب فيه. وعند ذكر العلاقة بين الحمل والحيض يقول: «ويقول بعضهم إن الجنين يتغذى دم الحوض يسيل إليه من السرة بغذائه، وقالوا لذلك لا تحض الحوامل، وقد رأينا من الحوامل من تحض. والعرب تقول: حملت فلانة سهواً إذا حاضت على الحمل، قال الهذلي يمدح رجلاً:

(١٥٨) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٣٦٥.

(١٥٩) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٥٤١.

(١٦٠) المصدر نفسه، ج ٦، ص ١٧.

(١٦١) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج ١، ص ١٥٥ - ١٥٦.

(١٦٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٦٠ - ١٦١.

(١٦٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٦٢.

ومبرأ من كل عُبر حَيْضَةٍ وَرَضاع مُغْبِلَةٌ وداء معضِل<sup>(١٦٦)</sup>

فأعلمك أنها لم تر عليه دم حيض في حملها، ودل على أنه قد يكون. قالوا: فإذا خرج الجنين من الرحم دفت الطبيعة ذلك الدم الذي كان يتلذذ به إلى الشدين، وهما عضوان ناهدان عصبيان فغيراه وجعلاه لبناً<sup>(١٦٧)</sup>. ويشير إلى اختلاف مدة الحمل ويذكر عدداً من الحالات التي زادت فيها تلك المدة عن الحد الطبيعي وهو تسعة أشهر، أو نقصت عنها، معزراً ذلك بأمثلة يذكرها. ويذكر وصية الخليفة عمر بن الخطاب إلى بني السائب لما رأى أولادهم ضعاف البنية، فقال لهم: إنكم قد أضويتم فانكحوا في النزائع. أي أنه أوصاهم بالزواج من غير عشيرتهم. والعرب تقول: اغتربوا لا تَضُورُوا، أي أنكحوا في الغرائب فإن الغرائب يضيون الأولاد<sup>(١٦٨)</sup>.

ويقول ابن قتيبة «والإنسان يعيش حيث تحيا النار وتلف حيث لا تبقى النار. وأصحاب المعادن والخفائر إذا هجموا على نفق في بطن الأرض أو مغارة قَدَّمُوا شمعة في طرف قناة، فإن ثبتت النار وعاشت دخلوا في طلب ما يريدون وإلا أسكوا»<sup>(١٦٩)</sup>.

ويتكلم بتفصيل على طبائع الأنعام بما فيها الإبل والسباع وما شاكلها، والطير بأنواعها، معزراً أقواله بحوادث معينة وما ورد من أشعار في ذلك<sup>(١٧٠)</sup>. ثم يستطرد آخر هذا الباب فيتكلم على خواص بعض النباتات، فيقول نقلاً عن صاحب الفسلاح «بين الكرنب والكرم عداوة، فإذا زرع الكرنب بحضرة الكرم ذبل أحدهما وتشنج. ويقول: وكل زهر ونور ينحرف مع الشمس ويجول إليها وجهه، ولذلك يقال هو يضاحك الشمس»<sup>(١٧١)</sup>.

وخصص آخر أبواب الجزء الثالث لكتاب الطعام، فتكلم فيه على صنوف الأطعمة، وبين أضرارها ومنافعها. ويكاد يحصر بحثه في النباتي منها، فيتكلم على خواص مختلف الخضروات والبقول والفواكه والحبوب والبزور، ذاكراً ما قيل من الفوائد فيها. فيقول عن البصل «إن الأطباء تقول فيه إنه يشهي إلى الطعام إن أكل مشروباً أو نيباً. . . والإكثار منه يفسد العقل، والمسلوق منه يُلدُّ البول والدমে»<sup>(١٧٢)</sup>. ويقول عن الثوم: «وهو ينفع من العطش الحادث من البلغم، ويقوم مقام الترياق في لسع الحوام، والأمراض الباردة. وتقول الروم في الثوم إنه دواء لمن أصابه وجع السقي في بطنه، وإن أكله من ظهر فيه حرّة من شري وغيره أبراه. وإن دُق الثوم يابساً فأغلي بمسن ولبن ثم جمعه من يشتكي ضرره في فيه سخناً فامسكه ساعة، ذهب وجع ضرره. وهو نافع لمن اجتوى»<sup>(١٧٣)</sup>.

(١٦٤) الثَّير: الثَّير: بقايا الحَيْض، والمُغْبِلَة: الحبل أو التي تُنثى وهي تُرضع.

(١٦٥) للمصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٤.

(١٦٦) للمصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٦ - ٦٧.

(١٦٧) للمصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٤.

(١٦٨) للمصدر نفسه، ج ٢، ص ٧١.

(١٦٩) للمصدر نفسه، ج ٢، ص ١٠٦ - ١٠٧.

(١٧٠) للمصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٨٣.

(١٧١) للمصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٨٥. والجوى: داء السِّل، أو داء يأخذ في الصدر.

الفصل التاسع

الرياضيات وعلم النجوم



## أولاً: العلوم الرياضية

### ١ - العرب والرياضيات

تعتبر العلوم الرياضية، وتسمى العلوم العددية أيضاً، من أوائل العلوم التي اهتم بها العرب في القرن الثالث لحاجتهم إليها في حياتهم العملية وفي العلوم الأخرى. وكما استفاد العرب من بطليموس وكتبه في علم الفلك كذلك أفادوا من إقليدس في الرياضيات بعامة، وفي الهندسة بصورة خاصة. كما أنهم استفادوا من حساب الهند. ويقال إن الرجل الهندي الذي قدم على الخليفة أبي جعفر المنصور كان قد جاء بكتابين، أحدهما في الحساب، والآخر في علم الفلك، وقد عُرف عند العرب بعد ترجمته باسم السُّند هند وسُنِّير إلى تأثيره في إثارة اهتمام العرب بالدراسات الفلكية. أما كتاب الحساب فلم يكن يقل أهمية عن الكتاب السابق لأن العرب اقتبسوا منه الأرقام الهندية التي انتقلت في ما بعد إلى أوروبا باعتبارها أرقاماً عربية. كما اقتبسوا منه النظام العشري في الحساب، مما مكن تعدد الطرق الحسابية بخاصة والرياضية بصورة عامة. وذلك ما لم يكن ليسهل تحقيقه في النظام الحسابي العربي القديم<sup>(١)</sup>. كما كان لاقتباسهم الصفر من الهند أيضاً وتطويره بالشكل الذي نستعمله اليوم<sup>(٢)</sup>، أهمية بالغة في تقدم العلوم الرياضية.

وسوف نرى في سيرة العلماء الذين اشتهروا في العلوم الرياضية في هذا القرن مدى

---

(١) اسماعيل مظهر، تاريخ الفكر العربي (القاهرة: دار المصور، ١٩٢٨)، ص ١٢٣ - ١٢٤.

(٢) قلدي حافظ طوقان، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك (القاهرة: مطبعة المقتطف،

١٩٤١)، ص ٢٢، وأنور الرفاعي، تاريخ العلوم في الإسلام (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٣)، ص ١٥٧.

التقدم الذي بلغته هذه العلوم على أيديهم. ذلك أنهم لم يكتفوا بدراسة ما نقلوه منها عن اليونان والهند، بل انهم أعادوا تنسيق المعلومات، وضححوها ما وجدوه فيها من أخطاء، وأكملوا نواقصها، وأضافوا إليها من ابتكاراتهم، ولم يكن ذلك بالشئ اليسير. فإنهم لم يبقوا عند تهذيب الأرقام التي اقتبسوها من الهند، واستعمال الصفر بما يسر الأمور الحسابية، بل فصلوا الجبر عن الحساب، وجعلوه علماً قائماً بذاته، وتقدموا به مراحل هامة. ووضعوا أسس الهندسة التحليلية، وتوصلوا إلى معرفة الجيب وجيب التمام وجيب الزاوية للمثلث القائم الزاوية، مما ساعدهم على تثبيت علم المثلثات المستوية فقطعوا في تقدمه أشواطاً ساعدت على تأسيس علم المثلثات الكروية الذي كان من أبرز ابتكاراتهم في حقل العلوم الرياضية<sup>(٣)</sup>. وساعدتهم معرفتهم خصائص الأعداد الفردية والزوجية وما بينها من علاقات على استخراج الجذور التربيعية والتكعيبية<sup>(٤)</sup>. كما أنهم اهتموا بموضوع قياس مسافات الأمكنة وأبعادها والارتفاعات على سطح الكرة الأرضية، كارتفاع الجبال، وعمق الوديان وسعتها، وحساب البعد بين نقطتين تقعان على سطح منبسط.

يقول المستشرق الفرنسي البارون كارا دي فو في مطلع الفصل الذي كتبه عن الفلك والرياضيات، معترفاً بإنجازات الرياضيين العرب: «أنجز العرب أعظم المكتشفات العلمية فعلاً، فاعلموا استعمال الصفر، ولو أنهم لم يكونوا مبتكريه، وهكذا ابتدعوا حساب الحياة اليومية. انهم جعلوا الجبر علماً متقناً وتقدموا به، ووضعوا أسس الهندسة التحليلية، وهم بلا منازع موجدو علمي المثلثات المستوية والكروية، اللذين لم يكن للإغريق فضل في وجودهما إذا ما توخينا الحقيقة والإنصاف. كما أنهم عملوا في الفلك أرساداً عديدة قيمة... والسبب الآخر لاهتمامنا بعلم العرب هو تأثيره العظيم على الغرب. إن العرب ارتفعوا بالحياة العقلية والدراسة العلمية إلى المقام الأسمى... ووصلوا إلى قمة نشاطهم... الذي استمر حتى القرن الخامس عشر- في القرنين التاسع والعاشر»<sup>(٥)</sup>.

تشتمل العلوم الرياضية على علوم عدة تتصف كلها باعتبارها على العدد، وأهمها علم الحساب، وعلم الجبر والمقابلة، وعلم الهندسة، وعلم المثلثات. وسنحاول أن نلقي نظرة فاحصة على ما وصل إليه كل من هذه العلوم في خلال هذا القرن. وتنبع ذلك بذكر أشهر العلماء الذين برزوا في هذه العلوم، ونبيين جهودهم وإنجازاتهم، وأهم مصنفاتهم فيها.

## ٢ - الحساب والجبر والمقابلة

### أ - علم الحساب

ويُصطلح عليه باليونانية الأرشاطيقي، كما يستخدم بعض الرياضيين العرب هذا

(٣) طوقان؛ المصدر نفسه، ص ٨١.

(٤) جوزيف ويل، الحضارة العربية، ترجمة إبراهيم أحمد العدوي؛ مراجعة حسين مؤنس، الألف

كتاب، ٨٨ (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٦)، ص ١٠٨.

(٥) توماس أرنولد [وآخرون]، تراث الإسلام، عرّبه وعلّق حواشيه جرجيس فتح الله، ط ٣ (بيروت:

دار الطليعة، ١٩٧٨)، ص ٥٦٣ - ٥٦٤.

الاصطلاح أحياناً للمعنى نفسه. وهو علم استخراج المجهولات العددية من معلومات خصصة، أي معروفة، والمراد بالاستخراج معرفة الكمية. وموضوع علم الحساب هو البحث في العدد وعوارضه الذاتية، وهو من العلوم النافعة في الحياة اليومية، كما يحتاج إليه في أغلب العلوم الأخرى. أما بالنسبة إلى الإنسان فهو نعم المقوم لسلوكه، ويقال إن من أخذ نفسه بتعلم الحساب أول أمره يغلب عليه الصدق، لما في الحساب من صحة المباني ومناقشة النفس فيصير لذلك خلقاً، فيتعود الصدق ويلزمه<sup>(٦)</sup>. والحساب، على رأي ابن خلدون، يمثل الناحية العملية للأعداد بالضم والتفريق، ويكون الضم بالجمع والتضعيف، والتفريق بالطرح والقسمة<sup>(٧)</sup>.

لقد أطلع العرب على الحساب عند الهنود، وأخذوا عنهم نظام الترقيم لما وجدوه أفضل من نظامهم الترقيمي القائم على حساب الجمل. وقد هذب العرب سلسلتين من الأرقام الهندية، أولاهما أرقامنا الحالية المستعملة في أرجاء الوطن العربي والعالم الاسلامي، والأخرى عرفت بالأرقام الغبارية والتي انتشرت في بلاد المغرب والأندلس، ثم انتقلت في ما بعد إلى الأقطار الأوروبية فانتشرت فيها وعُرفت بالأرقام العربية، وهي المستعملة عندهم حالياً. ويقول القفطي: وما وصلنا من علومهم حساب العدد، بسطه أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي، وهو أوجز حساب وأخطره وأقربه تناولاً وأسهله مأخذاً<sup>(٨)</sup>. على أن هناك من يشكك بالرأي القائل بأن العرب أخذوا الأرقام من الهند ويقول إن كلمة «هندي» المستعملة في هذا الموضوع قد تكون «هندسي» نسبة إلى الهندسة «ففي مواضع كثيرة استعملت لفظة هندي بشكل يستدعي إحلال لفظة هندسي عليها لتكون أوفى غرضاً وأنسب مقاماً»، ثم يرد على قول البيروني «إن الأرقام الغبارية والهندية هي أحسن ما عند الهنود وهي متخية من أرقام الحساب المتنوعة التي كانت معروفة عندهم» فيقول «ولكنه لم يمين بالضبط مائة ذلك الشكل ولم يجز عن أي مكان في الهند كانت تستعمل». وهو يريد أن الأرقام العربية هندسية، لا هندية الأصل، لأن شكلها هندسي وهي أبسط وأسهل تناولاً من مثيلاتها لدى أي شعب آخر، ولذا فإنه يرى «من المحتمل جداً أن العرب توصلوا إلى تلك الرموز بكثير من علومهم»<sup>(٩)</sup>.

ولعل أهم ما قام به العرب في حقل الأرقام انهم استخدموا طريقة الإحصاء العشري

(٦) مصطفى بن عبد الله حاجي: خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، غني بتصحيحه محمد شريف يالغايا وولعت الكليسي، ج ٢ (استانبول: مطبعة المعارف، ١٩٤١ - ١٩٤٣)، ج ١، ص ٦٦٢ - ٦٦٣.

(٧) أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: مقدمة ابن خلدون، ج ٧ (مصر: المطبعة الخيرية، ١٩٠٤)، ص ٢٧٢.

(٨) أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالملخصات المنقطة من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحرير يوليوس ليرت (لينك: ديترخ، ١٩٠٣)، ص ٢٧٧.

(٩) أرنولد [وآخرون]، تراث الإسلام، ص ٥٧٤ - ٥٧٥.

للأرقام، والصفر لحفظ المراتب<sup>(١٠)</sup>. ويوضع الصفر في المواضع التي ليس فيها أعداد، فإذا جاوزت الأعداد الألوف صُيرت الألوف مرتبة الأحاد، ثم تليها مرتبة العشرات، ثم مرتبة المئين، ثم مرتبة الألوف، فإذا زادت صُيرت مرتبة الألف ألف مرتبة الأحاد على هذا القياس إلى ما لا نهاية له<sup>(١١)</sup>. ويعتبر الصفر في النظام الرقمي أهم شيء في سلسلة مضاعفات العشرة والمئة الخ... ولولا لاضطررنا إلى استعمال جدول ذي حقول منها للأحاد وآخر للعشرات وثالث للمئات، وهكذا... ويحفظ كل رقم في الحقل الخاص به. وقد اقتبس العرب فكرة الصفر من الهنود الذين كانوا يستخدمون الفراغ للدلالة على الصفر. فطُوروا التعبير عنه بدائرة صغيرة توضع لحفظ المراتب في المواضع التي ليس فيها أعداد، وسُميت هذه الدوائر الأصفار<sup>(١٢)</sup>. ويظهر أن العرب ما لبثوا أن استعملوا النقطة لتدل على الصفر لمشابهة الدائرة الرقم خمسة الذي يكتب بشكل دائرة أيضاً. وهكذا عرف العرب الصفر واستخدموه في الحساب والعلوم الرياضية الأخرى قبل أن يعرفه الغرب بقرنين ونصف على الأقل، إذ إنه دخل أوروبا في القرن الثاني عشر الميلادي، بينما يذكره صاحب كتاب مفاتيح العلوم في القرن العاشر ويشير إلى حالات استعماله<sup>(١٣)</sup>.

كانت معلومات العرب الحسابية غزيرة جداً، فقد عرفوا أنواع الأعداد وخصائصها: الفردية والزوجية، وزوج الفرد، والعدد التام، والعدد الناقص، والأعداد المتجانسة، والأعداد المسطحة، والأعداد المجسمة، بأقسامها المختلفة. وعرفوا الكمية المضافة وقسموها إلى قسمين: أحدهما المعادل، والآخر المضاف، كما عرفوا العيارات، أي النسبة والحدود، وهي الأعداد التي تُعبر بها النسب المختلفة. وتوسَّعوا في بحوث النسبة وصنّفوها إلى ثلاثة أنواع: عددية وهندسية وتأليفية، واستخدموا النوع الأخير في استخراج الأنغام واللحن الموسيقية. وأجادوا في موضوعات التناسب وكيفية استخراج المجهول بوساطتها وبخاصة في حساب الأبعاد والأوزان<sup>(١٤)</sup>.

واستخدموا الوجوه الحسابية، أي العمليات، بشكل صحيح. وعرفوا الجذر وما يتعلّق به، بأنواعه: الجذر المطلق وهو الجذر المنطوق به وتُعرف حقيقة مقداره، والجذر الأصم، وهو الذي لا سبيل إلى معرفة حقيقته بالعدد، فيؤخذ بالتقريب. وعرفوا المكعب بأنه المال إذا ضرب في ضلعه، أي جذره، فالمبلغ هو المكعب، وذلك الجذر هو الكعب. وإذا ضرب المال في نفسه فإن المجتمع هو مال المال، وكذلك إذا ضرب المكعب في كعبه صار مال المال أيضاً.

(١٠) طوقان، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، ص ٢٢.

(١١) أبو عبد الله محمد بن أحمد الخوارزمي، مفاتيح العلوم (القاهرة: دار الطباعة المنيرية، ١٩٢٣)،

ص ١١٣.

(١٢) المصدر نفسه.

(١٣) أرنولد وآخرون، تراث الإسلام، ص ٥٧٦.

(١٤) الخوارزمي، المصدر نفسه، ص ١٠٩ - ١١٢.



فالمال إذا ضرب في المكعب سمّي «مال كعب» وإذا ضرب مال المال في المكعب سمّي «المبلغ»<sup>(١٥)</sup>.

وعرّفوا الضرب بأنه تضعيف أحد العددين بآخر مثل أن تضرب ثلاثة في أربعة فتبلغ إثني عشر. فكأنك أضعفت الأربعة ثلاث مرات، أو أضعفت الثلاثة أربع مرات. فكان معنى قولك ثلاثة في أربعة: ثلاث أربع مرات. قال الخليل: مبلغ ما يجتمع من الضرب هو الجُذاء، نقول جُذاء عشرة في عشرة مئة، ويسمّون جملة هذا الحساب البرجان<sup>(١٦)</sup>. كما عرّفوا القسمة بأنها أخذ حصة الواحد من المقسوم عليهم في المقسوم، كأنك تقسم عشرين درهماً على خمسة نفر فحصة الواحد من المقسوم عليهم، وهم النفر، من الدراهم أربعة. وهذا المال هو المقسوم، والرجال هم المقسوم عليهم، وما يخرج من القسمة فهو القسَم، بكسر القاف<sup>(١٧)</sup>.

وقسم الرياضيون العرب الحساب العملي إلى قسمين: الغباري وهو الذي يحتاج استعماله إلى أدوات كالقلم والورق، والهوائي وهو الحساب الذهني الذي لا يحتاج استعماله إلى أدوات، وتُعرف فيه كيفية احتساب الأموال العظيمة في الخيال بلا كتابة. وله طرق وقواعد مذكورة في بعض الكتب الحسابية. وهذا القسم من الحساب عظيم النفع للتجار في الأسفار، ولأهل السوق من العوام الذين لا يعرفون الكتابة، وللخواص إذا عجزوا عن إحضار أدوات الكتابة<sup>(١٨)</sup>.

## ب - علم الجبر والمقابلة

هو أحد فروع علم العدد، وقد اشتق من علم الحساب فاستقل عنه كعلم قائم بذاته. وبواسطته يستخرج المجهول من قبل المعلوم المفروض إذا كانت بينهما نسبة تقتضي ذلك. ويعني الجبر زيادة قدر ما نقص من الجملة المعادلة بالاستثناء في الجملة الأخرى ليتعادلا - أي نقل الحدود من أحد طرفي المعادلة إلى الطرف الآخر. أما المقابلة فهي إسقاط الزائد من إحدى الجملتين للمعادل - أي اختصار ما يجوز اختصاره بعد عملية الجبر، ومن ثم إيجاد النتيجة. وذلك أنهم اصططلحوا على أن يعملوا للمجهولات مراتب من نسبة تقتضي ذلك، أولها: العدد لأنه به يتعيّن المطلوب المجهول باستخراجه من نسبة المجهول إليه. وثانيها: الشيء لأن كل مجهول فهو من حيث إيهامه شيء، وهو أيضاً جذر لما يلزم من تضعيفه في المرتبة الثانية. وثالثها: المال وهو مربع مبهم. فيخرج العمل المفروض إلى معادلة بين مختلفين أو أكثر من هذه الأجناس، فيقابلون بعضها ببعض ويجبرون ما فيها من الكسر حتى يصير

(١٥) المصدر نفسه، ص ١١٢ - ١١٦.

(١٦) المصدر نفسه، ص ١١٥.

(١٧) المصدر نفسه، ص ١١٥.

(١٨) حول تسمي الحساب، انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ١،

ص ٦٦٤.

صحيحاً ويؤول إلى الثلاثة التي عليها مدار الجبر، وهي العدد والشئ والمال. وقد سمي هذا العلم بها «علم الجبر والمقابلة» لكثرة وقوعها فيه<sup>(١٩)</sup>. ويستخدم هذا العلم لاستخراج المسائل العويصة في الوصايا والموارث والمعاملات، وسمي بهذا الاسم لما يقع في المسائل من جبر النقصانات والاستثناءات، ومن المقابلة بالتشبيهات والقائنها<sup>(٢٠)</sup>.

والعرب أول من ألفوا في الجبر بصورة علمية، وهم الذين أطلقوا عليه هذا الاسم، وعنه أخذ الأوروبيون بلفظه. ويعتبر كتاب الجبر والمقابلة لمحمد بن موسى الخوارزمي أول كتاب صنف فيه، وستكلم عليه في ما بعد.

لقد اشتغل العرب بهذا العلم وقطعوا به أشواطاً بعيدة من التقدم. فقد عرفوا معادلات الدرجة الأولى والدرجة الثانية، وهي لا تختلف عما نجده اليوم في كتب الجبر الحديثة. ولم يكونوا يجهلون أن هذه المعادلات جذرين، واستخرجوهما إذا كانا موجودين. وتنبه الخوارزمي في كتابه الأنف الذكر إلى الحالة التي يكون فيها الجذر كمية تخيلية، فقال: «واعلم أنك إذا نضت الأجزاء وضربتها في مثلها، فكان يبلغ ذلك أقل من الدراهم التي مع المال، فالمسألة مستحيلة»، أي عندما تكون الكمية تحت الجذر سالبة، أي تخيلية كما تسمى بحسب التعبير الرياضي الحديث، فلا يكون هناك حد للمعادلة<sup>(٢١)</sup>.

لقد كان كتاب الخوارزمي في الجبر والمقابلة منهلاً نهل منه علماء العرب وأوروبا على السواء، واعتمدوا عليه في بحثهم، وأخذوا عنه كثيراً من النظريات<sup>(٢٢)</sup>، مما أحدث أكبر الأثر في تقدم علم الجبر في خلال هذا القرن والذي بعده. لقد رأى الخوارزمي أن الأعداد التي يحتاج إليها في حساب الجبر والمقابلة على ثلاثة ضروب هي: جذور، وأموال، وعدد مفرد لا ينسب إلى الجذور ولا إلى المال. والجذر هو ما يرمز إليه في الجبر بالرمز (س) والمال (س<sup>٢</sup>) والعدد المفرد هو العدد الخالي من (س)، ولا يخفى تأثير الرموز في تسهيل الرياضيات وتقدمها<sup>(٢٣)</sup>.

وكان من نتائج التقدم الذي أحرزه علماء الرياضيات العرب أنهم توصلوا إلى حل بعض معادلات الدرجة الأولى بطريقة حساب الخطأين. ووضع الخوارزمي حلاً لمعادلة الدرجة الثانية، وقد صنفها وعالج كل صنف منها واستعمل في حلها قاعدة الجبر والمقابلة<sup>(٢٤)</sup>. كما حل العرب معادلات من الدرجة الثالثة، وقد أجادوا في ذلك وابتكروا ابتكارات قيمة تثير الإعجاب. وهناك من الرياضيين المحثثين من يرى أن حل العرب المعادلات التكعيبية

(١٩) المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٧٨ - ٥٧٩، وابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ٩٣.

(٢٠) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ١١٦.

(٢١) طوقان، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، ص ٣٠.

(٢٢) المصدر نفسه، ص ٢٩.

(٢٣) المصدر نفسه.

(٢٤) الرفاعي، تاريخ العلوم في الإسلام، ص ١٥٩.

بوساطة قطوع المخروط من أهم الأعمال التي قام بها العرب في حقل الرياضيات<sup>(٣٥)</sup>.

### ٣ - الهندسة والمثلثات

#### أ - علم الهندسة

علم الهندسة أحد فروع العلوم العديدة، تُعرف به الأحوال العارضة للكم من حيث هو كم، والنظر في المقادير المتصلة كالخط والسطح والجسم، والمتفصلة كالأعداد وما يعرض لها من العوارض الذاتية، مثل أن كل خطين متوازيين لا يلتقيان، وكل خطين متقاطعين فالزاويتان المتقابلتان منها متساويتان<sup>(٣٦)</sup>. وتُعرف الهندسة أنها صناعة المساحة، وقد أطلق العرب اسم المهندس على الشخص الذي يقدر مجاري القنوات ومواضعها حيث تُحفر<sup>(٣٧)</sup>. وعُرف الفارابي علم الهندسة تعريفاً فلسفياً شاملاً؛ فهو يقسمه إلى هندسة عملية تنظر في خطوط وسطوح في جسم معين بحسب الحاجة إلى ذلك الجسم، وهندسة نظرية وتنظر في خطوط وسطوح أجسام على الإطلاق والعموم. «والقسم النظري هو الذي يدخل في جملة العلوم وهو يفحص في الخطوط وفي السطوح، وفي المجسّات على الإطلاق: عن أشكالها ومقاديرها وتساويها وتفاضلها، وعن أصناف أوضاعها وترتيبها، وعن جميع ما يلحقها من النقط والزوايا وغير ذلك... وكيف الوجه في استخراج كل ما كان سبيله منها أن يستخرج، ويعرف أسباب هذه كلها، ولم هي كذلك ببراهين تعطينا العلم اليقيني الذي لا يمكن أن يقع فيه الشك»<sup>(٣٨)</sup>.

ويرى ابن خلدون أن الهندسة تفيد صاحبها إضاءة في عقله واستقامة في فكره، لأن براهينها بيّنة الانتظام، جليّة الترتيب، فيضيق الفكر بممارستها عن الخطأ، ويتكوّن لصاحبها عقل على ذلك المهيّج<sup>(٣٩)</sup>. وقد زعموا أنه كان مكتوباً على باب أفلاطون من لم يكن مهندساً فلا يدخلن منزلنا<sup>(٤٠)</sup>. ويمكن اعتبار علم الهندسة أهم العلوم التي اقتبسها العرب من اليونانيين الذين كانوا قد أحرزوا تقدماً كبيراً في مجالاتها المختلفة. وقد تمثّل ما خلّفوه من تراثهم الهندسي بكتابت الفيلسوف الرياضي اقليدس الذي اعتبره أبا الهندسة اليونانية. فترجمه العرب ودرسوه دراسة جيدة واستوعبوه وألّوا بمحتوياته. وما لبثوا أن اكتشفوا أخطاءه فأصلحوها، ونواقصه فأكملوها، وزادوا على نظرياته مسائل ونظريات تفنّوا في حلّوها، وبرهنوا على مسائل لم يبرهن عليها اقليدس.

---

(٣٥) طوقان، المصدر نفسه، ص ٣٥.

(٣٦) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ٢٦٤، وحاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب

والفنون، ج ٢، ص ٢٠٤٦.

(٣٧) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ١١٧.

(٣٨) أبو نصر محمد بن محمد الفارابي، إحصاء العلوم، تحرير عثمان محمد أمين (القاهرة: مكتبة

الخانجي، ١٩٣١)، ص ٣٧.

(٣٩) المهيّج: الطريق اليقيني.

(٤٠) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ٢٦٤.

واقليدس من رجال الرياضيات اليونان في القرن الثالث قبل الميلاد ٣٣٠ - ٢٧٠ ق.م وهو صاحب مبادئ الهندسة جمعها ورتبها، وكان يعلم بالإسكندرية<sup>(٣١)</sup>. وهو «ابن نوقطرس بن برنيقس، المظهر للهندسة المبرز فيها، ويعرف بصاحب جومطوريا. واسم كتابه في الهندسة باليونانية الأسطروشيا - ومعناه أصول الهندسة، حكيم قديم العهد، يوناني الجنس، شامي الدار، صوري البلد، نجار الصنعة، له اليد الطولى في علم الهندسة»<sup>(٣٢)</sup> و«كتابته المعروفة بالأركان، وهو اسمه بين حكماء اليونان، وسماه الروم بعده الاسطقصات، وسماه الاسلاميون الأصول - هو كتاب جليل القدر، عظيم النفع، أصل في هذا الفن، لم يكن ليونان قبله كتاب جامع في هذا الشأن، ولا جاء بعده إلا من دار حوله وقال قوله، وقد غني به جماعة من رياضي يونان والروم والاسلام، فمن بين شارح له، ومشكّل عليه، ومخرج لفوائده. وما في القوم إلا من سلم إلى فضله وشهد بغزير نيله»<sup>(٣٣)</sup>.

نقل كتاب إقليدس هذا إلى اللغة العربية في بداية حركة الترجمة أحد أشهر المشتغلين بالرياضيات هو الحجاج بن يوسف بن مطر المتوفى سنة ٢٢١ وقد نقله في عهد الخليفة هارون الرشيد فسمى النقل المذكور بـ «الهاروني»، ثم أعاد نقله في أيام الخليفة المأمون فسمى هذا النقل بـ «المأموني». ويظهر أن النقل الأخير أصبح من الأول وأكثر دقة، لأنه صار المعول عليه<sup>(٣٤)</sup>.

لقد اهتم علماء الرياضيات في هذا القرن بدراسة كتاب الأصول وأعادوا منه كثيراً. وقد اعتبره ابن خلدون مبدأ العلوم الهندسية على الإطلاق<sup>(٣٥)</sup>. وقد أعاد بعضهم ترجمته إلى العربية، وفسره وشرحه عدد من العلماء المهتمين بالعلوم الرياضية. وألقى الكندي بعض الضوء على أصل الكتاب في رسالته المسببة أغراض كتاب إقليدس فقال: إن هذا الكتاب ألفه رجل يقال له ابلينس النجار وقد صنّفه بخمس عشرة مقالة، فلما تقادم عهده أهمل، حتى تبيأ له أحد ملوك الاسكندرانيين، وكان إقليدس على عهده، فأمره بإصلاح هذا الكتاب وتفسيره، ففعل وفسر منه ثلاث عشرة مقالة، فنسب إليه<sup>(٣٦)</sup>.

ثم نقل الكتاب بعد ذلك إلى العربية المترجم الطيب إسحاق بن حنين وتولى الفيلسوف المهندس ثابت بن قرّة إصلاحه. كما نقل أبو عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي، وهو من المترجمين المجيدين، بعض مقالات منه<sup>(٣٧)</sup>. وأعاد ثابت بن قرّة نقله وإصلاحه بحيث

(٣١) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٦)،

ص ٢٧٦.

(٣٢) أبو الفرج محمد بن اسحق بن التديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٢٠)، ص ٣٨٥، والقفطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٦٢.

<sup>١</sup> (٣٣) القفطي، المصدر نفسه، ص ٦٢ - ٦٣.

(٣٤) المصدر نفسه، ص ٦٤، وابن التديم، المصدر نفسه، ص ٣٨٥.

(٣٥) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ٢٦٥.

(٣٦) ابن التديم، المصدر نفسه، ص ٣٨٦، والقفطي، المصدر نفسه، ص ٦٤ - ٦٥.

(٣٧) ابن التديم، المصدر نفسه، ص ٣٨٠، والقفطي، المصدر نفسه، ص ٦٤.

أصبح أكثر وضوحاً وأسهل مثلاً، وصنف له مدخلًا، قال عنه القفطي إنه عجيب<sup>(٣٨)</sup>. وفسر الكتاب المهندس الفلكي سند بن علي<sup>(٣٩)</sup>. كما فسر وشرحه كل من العباس بن سعيد الجوهري أحد رجال الأرصاد في أيام المأمون، وأحمد بن عمر الكرابيسي من علماء الهندسة والأعداد<sup>(٤٠)</sup>. وشرحه أبو العباس الفضل بن حاتم النيريزي أحد المتقدمين في علم الهندسة والفلك<sup>(٤١)</sup>. ووضع قسطا بن لوقا البعلبكي المتحقق بعلم العدد والهندسة كتاب شكوك اقليدس<sup>(٤٢)</sup>.

ولقد ألمّ العرب بمختلف المصطلحات الهندسية التي جاءت في كتاب اقليدس، ثم أضافوا عليها وعرفوها تعريفاً واضحاً، مثل البسائط والأجسام، ونهايات البسائط أي الخطوط، وقسموها إلى مستقيمة ومقوسة ومتوازية ومتلاقية. كما قسموا الزوايا إلى مسطحة ومجسمة وعددوا أنواعها. وعرفوا العمود والوتر والسهم، والجيب المستوي والمعكوس، وسطح البسائط المسطحة والمقبة والمقبرة والهلالية والبيضية، كما عرفوا أشكال المجسّات<sup>(٤٣)</sup>.

وَيَبْنُوا كَيْفِيَّةَ إِيجَادِ نِسْبَةِ مُحِيطِ الدَّائِرَةِ إِلَى قَطَرِهَا. وَيُظْهِرُ مَا جَاءَ فِي كِتَابِ الْجَبْرِ وَالْمَقَابِلَةِ لِلْخَوَارِزْمِيِّ أَنَّ الْقِيَمَةَ الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا لِلنِّسْبَةِ الثَّابِتَةِ هِيَ ٢٢ — إِذْ يَقُولُ «وَكُلُّ مَدَوْرَةٍ فَإِنْ ضَرَبَ الْقَطْرَ فِي ثَلَاثَةِ وَسَبْعٍ هُوَ الدَّوْرُ الْمُحِيطُ الَّذِي يُحِيطُ بِهَا...». وَلَاهِلُ الْهَنْدَسَةِ فِيهِ قَوْلَانِ آخَرَانِ، أَحَدُهُمَا أَنَّ تَضْرِبَ الْقَطْرِ فِي مِثَالِهِ ثَمَّ فِي عَشْرِ ثَمَّ نَأْخُذُ جُذْرَ مَا اجْتَمَعَ فِيهَا كَانَ فَهْرُ الدَّوْرِ. وَالْقَوْلُ الثَّانِي لِأَهْلِ النُّجُومِ مِنْهُمْ وَهُوَ أَنَّ تَضْرِبَ الْقَطْرِ فِي الثَّانِي وَسِتِّينَ أَلْفًا وَثَمَانِيَةً وَاثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ ثَمَّ نَقْسَمُ ذَلِكَ عَلَى عَشْرِينَ أَلْفًا فَخَرَجَ فَهْرُ الدَّوْرِ. وَكُلُّ ذَلِكَ قَرِيبٌ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضِهِ»<sup>(٤٤)</sup>.

ومن فروع الهندسة التي برز بها العرب دراسة هندسة الأشكال الكروية والمخروطات وتسطح الكرة، وكان لهم فيها مستنبطات جلية، وبخاصة في الموضوع الأخير الذي يعتبر من الرياضيات العالية العسيرة<sup>(٤٥)</sup>. ويعني تسطح الكرة كيفية نقل الكرة إلى سطح مستوٍ مع حفظ نسبة الخطوط والدوائر المرسومة على الكرة ودقتها عندما تنقل إلى سطح مستوٍ. وكان أحمد بن محمد بن كثير القرطبي أشهر من صنف فيه<sup>(٤٦)</sup>.

أفاد العرب من الهندسة فوائد جُلِّي في حياتهم العملية، فقد استخدموها في عمليات استنباط المياه وحفر العيون والأبار والكهاريز. وكان هناك مهندسون مختصون بهندسة وزن

(٣٨) القفطي، المصدر نفسه، ص ١١٩ و ١١٥.

(٣٩) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٨٦.

(٤٠) المصدر نفسه، ص ٣٩٢ و ٤٠٦، والقفطي، المصدر نفسه، ص ٢١٩.

(٤١) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٨٥، والقفطي، المصدر نفسه، ص ٢٥٤.

(٤٢) القفطي، المصدر نفسه، ص ٢٦٣.

(٤٣) حول تعاريفها، انظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ١١٨ - ١١٩.

(٤٤) طوقان، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، ص ٤٧.

(٤٥) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ٢٦٤.

(٤٦) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ١، ص ٤٠٣.

الماء واستنباطه من الأرض<sup>(٣١)</sup>. كما أنهم استخدموها في شؤون الري المختلفة كحفر الأنهار، وفتح القنوات، وبناء السدود. وبلغت هندسة الري في هذا القرن درجة كبيرة من التقدم، إذ تمكنوا من بناء قناطر فوق النهر ليعبر عليها نهر آخر. فقد بنوا على مجرى نهر القاطول قنطرة يجري فيها نهر الجعفرى الذي حفر ليسقي مدينة الجعفرية التي بناها المتوكل على الله شمالي سامراء. وتدل آثار هذه القنطرة على كفاية هندسية عالية، لا سيما وأن القنطرة المذكورة كانت في الوقت نفسه جسراً لعبور السابلة، حيث يسير نهر الجعفرى وسط القنطرة، ويعبر الناس على ممرين على جانبيها<sup>(٣٢)</sup>.

كما كانت البرك والأحواض التي تقام في المساجد والقصور تقام بأسلوب هندسي ينظم انسياب المياه إليها، وارتفاعه بفوارات فيها إلى الأعلى، وتصريف المياه الزائدة منها إلى كهارج تخرج من قعر البرك والأحواض وتتوحد بمجرى ينتهي إلى نهر دجلة<sup>(٣٣)</sup>.

أما في الناحية المعمارية وتخطيط المدن فإن تشييد مدينة سامراء ومدينة المتوكلية وبناء مساجدهما وقصورهما الفخمة العديدة، وتنظيم شوارعها ودور السكن فيها وساحات الرياضة والسباق، خير دليل على تقدم هندسة البناء. ولا زال كثير من بقايا المدينتين ماثلاً للعيان شاهداً على الفن الهندسي الذي أقيمت بموجبه المدينتان. وساعد علم الهندسة الفنان العربي على ابتكار الزخارف والنقوش التي غدت سمة من سمات الفن العربي.

وسهّلت الهندسة لهم معرفة المسافات بين المواضع على سطح الأرض، وحساب الأبعاد، كارتفاع الجبال والأمكنة، وسعة الوديان، وعمق الأنهار والآبار. وقد ابتكروا طرقاً متقدمة لذلك كانت متقدمة على ما يعرفه قدماء اليونان، وصنفوا كتباً في هذا الموضوع سواء لصنع الأجهزة والآلات، أو لبيان طريقة القياس. وقد سهاها ابن النديم «الأبعاديات». ولا ينكر أن مهارة العرب في علم الفيزياء والميكانيك (الحيل) يعود قسم كبير منه إلى تقدمهم في علم الهندسة. كما أن القوانين الهندسية ساعدتهم كثيراً في حل بعض المسائل الجبرية، فقد ابتكر ثابت بن قرة حلولاً هندسية لبعض المعادلات التكعيبية، وله مقالة في تصحيح مسائل الجبر بالبراهين الهندسية<sup>(٣٤)</sup>. كما وضع الكندي عدداً من الرسائل يعالج فيها مسائل حسابية وفلكية بالهندسة، منها رسالة في استخراج خط نصف النهار وسمت القبلة بالهندسة، ورسالة في استخراج الساعات على نصف الكرة بالهندسة<sup>(٣٥)</sup>.

(٤٧) أحمد بن أبي يعقوب البغوي، البلدان (لندن: مطبعة بريل، ١٨٩٢)، ص ٣١٤.

(٤٨) أحمد سويكة، ري سامراء في عهد الخلافة العباسية (بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٤٩)، ج ٢، ص ٣٣٥ - ٣٣٦.

(٤٩) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٣٧.

(٥٠) القفطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزويزني المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ١١٩.

(٥١) أبو العباس أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق نزار رضا (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦٠)، ص ٢٩٠.

## ب - علم المثلثات

هو أحد فروع العلوم الرياضية، يعود اختراعه إلى أواسط القرن الثاني قبل الميلاد، وقد اخترعه الفلكي الرياضي اليوناني إبراهيم، المولود في حدود سنة ١٦٠ ق.م. ويقال إنه أستاذ بطليموس<sup>(٥٢)</sup>. وكان أحد المشتغلين بالرصد، وهو علم عملي حدث اختراعه بحكم ضرورته للأبحاث الفلكية<sup>(٥٣)</sup>. ويقوم على دراسة خاصية المثلث الذي لا تشاركه فيه الأشكال الأخرى المحاطة بمستقيمتين، وهي التي تجعل من المثلث شكلاً أساسياً في نظرية التشابه. ولذلك يُعدّ التثليث (أي تنظيم تشكيلة من المثلثات) عملية أساسية في مسح الأراضي. ومن هذه العملية اشتق اسم علم المثلثات<sup>(٥٤)</sup>.

وبالنظر لما أدخله علماء العرب من التعديلات والإضافات على هذا العلم اعتبر من تراثهم في الرياضيات. إذ لولاهم لما كان هذا العلم على ما هو عليه اليوم. ويرجع الفضل إلى علماء الرياضيات العرب الذين برزوا في القرن الثالث في وضعه بشكل مستقل عن علم الفلك، مما جعل الكثيرين يعتبرونه علماً عربياً، كما اعتبروا الهندسة علماً يونانياً، إذ كانت معلومات اليونان في هذا الموضوع ضئيلة يسيرة، لا تتعدى بعض المعلومات الأولية عن الزوايا وقياس جيبها لتساعد في علم الفلك، بينما استعمل الرياضيون العرب «الجيب» بدلاً من وتر ضلع القوس، ولهذا أهمية كبيرة في تسهيل حلول المسائل الرياضية<sup>(٥٥)</sup>.

لقد نظم العرب هذه المعلومات وسّعوها فاشتغلوا بالمثلثات المستوية والمثلثات الكروية وتوصلوا إلى نتائج جديدة مهمة، وحلّوا مسائل على المثلثات الكروية القائمة الزاوية والمائلة الزاوية. وعرفوا جيب التمام، أي قياس الزاوية المفروضة بالضلع المجاور لها مقسوماً على الوتر في المثلث القائم الزاوية، واستعملوا المماسات التي سموها الظل والظل تمام، والقواطع ونظائرهما، في قياس الزوايا، ونظّموا لذلك جداول مهّدت لاكتشاف اللوغاريتمات. كما ابتكروا حساب الأقواس التي تسهل قوانين التقويم وتغني عن استخراج الجذور التربيعية. كما أنهم أثبتوا أن نسبة جيوب الأضلاع بعضها إلى بعض هو كنسبة جيوب الزوايا المؤثرة بتلك الأضلاع بعضها إلى بعض في أي مثلث كروي.

وقد كان ثابت بن قرة والبتاني تأثير مهم في تثبيت مبادئ هذا العلم وأسسها بما أدخله من تحسين وإصلاح على حساب أوتار الدائرة وأوتار المثلث، وما أوجده من علاقات بين النسب المثلثية، بحيث مهّد لنشوء حساب التفاضل والتكامل.

---

(٥٢) أبو الفرج محمد بن إسحق بن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنّفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم (طهران: مكتبة الأسد، ١٩٧١)، ص ٣٢٧.

(٥٣) ألفرد نورث وايتهيد، مقدمة للرياضيات، ترجمة محي الدين يوسف (بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٢)، ص ١٦٣ - ١٦٤.

(٥٤) المصدر نفسه، ص ١٦٨.

(٥٥) طوقان، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، ص ٥١.

## ٤ - أشهر المشتغلين بالعلوم الرياضية

استهوت العلوم الرياضية بفروعها المختلفة عدداً كبيراً من العلماء والفلاسفة، فاهتموا بدراساتها، لحاجتهم إليها في حياتهم العلمية والعملية ولأنها من ضرورات الفلسفة، فتقدموا خطوات مهمة بها في هذا القرن. إلا أن مما يؤسف له أن مصادرها التراثية لم تحفل إلا بعدد قليل منهم، وأن ما تذكره عنهم لا يشفي الغليل، لأنه لا يتضمن ما يوضح جهودهم أو إنجازاتهم إلا اليسير. وسنحاول أن نستخلص من المصادر المذكورة وغيرها بعض ما يوضح جهودهم وإنجازاتهم ومدى أهميتهم وما صنّفوه من الكتب والرسائل في المواضيع الرياضية، ومدى تأثير ذلك في تقدم هذه العلوم.

### أ - الحجاج بن يوسف

ابن مطر الكوفي، من طلائع رياضي القرن الثالث وأقدمهم عهداً. وكان أهم عمل قام به في حقل العلوم الرياضية أنه نقل إلى اللغة العربية كتاب الأصول في الهندسة لإقليدس. وقد نقله مرتين، النقل الأول في عهد الخليفة هارون الرشيد وعرف بهـ الهاروني، والثاني نقله أيام الخليفة المأمون وعرف بهـ المأموني، وعليه عوّل أكثر العلماء<sup>(١)</sup>.

### ب - الخوارزمي

أبو عبد الله محمد بن موسى، ولد في بلاد خوارزم فنسب إليها، وكان يلقب بالبغديادي أيضاً لأنه قدم بغداد في زمن المأمون وعاش بها بقية حياته في رعاية الخليفة، وظهرت مواهبه في علوم الهيئة وعلوم الرياضيات<sup>(٢)</sup>. ولفت الخوارزمي نظر المأمون بما أظهره من كفاية في علوم الفلك والرياضيات فأُسند إليه خزانة بيت الحكمة. وكان من أول أعماله التي اشتهر بها أنه اختصر كتاب السند هند الكبير الذي وضعه إبراهيم بن حبيب الفزاري في أيام الخليفة أبي جعفر المنصور، وعمل منه زيجه المعروف باسمه. وسيتكلم عليه في الفصل الخاص بعلم الفلك<sup>(٣)</sup>.

على أن أهم إنجازات الخوارزمي إنما كانت في حقل العلوم الرياضية وبخاصة في علمي الحساب والجبر. إذ يرجّح أنه هو الذي اقتبس نظامين من الأرقام الهندية أحدهما يعرف بالأرقام الغبارية والآخر بالأرقام الهندية. واستخدمهما في مؤلفاته وبين فوائدها

---

(٥٦) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، طبعة القاهرة، ص ٣٨٥، والفطحي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات المنقطعات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٦٤.

(٥٧) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٩٧، وإسماعيل بن محمد أمين البغدادي، هدية العارفين: أسما المؤلفين وآثار المصنفين، ٢ ج (استانبول: وكالة المعارف العامة، ١٩٥٤)، ج ٢، ص ٩.

(٥٨) الفطحي، المصدر نفسه، ص ٢٧٠.



ومزاياها<sup>(٥٩)</sup>. ووضع كتاباً في الحساب يعتبر الأول من نوعه من حيث محتواه وترتيبه. وقد نقله ادا لارد الباقي إلى اللاتينية بعنوان الغورثي، أي الخوارزمي، وهو أول كتاب عربي دخل أوروبا وبقي زمنًا طويلاً مرجع العلوم والتجار والمحاسبين، والمصدر الذي يعتمدون عليه في بحوثهم وأعمالهم الحسابية<sup>(٦٠)</sup>.

كما صنف الخوارزمي كتاباً في الجبر كان له تأثير كبير في تقدم العلوم الرياضية، هو كتاب الجبر والمقابلة<sup>(٦١)</sup>. وقد اعتمد عليه علماء العرب في دراساتهم عن الجبر. ويعتبر الخوارزمي أول من استخدم اصطلاح علم الجبر بشكل مستقل عن الحساب وفي قالب منطقي، وأول من ألف فيه بصورة علمية منظمة<sup>(٦٢)</sup>. وقد صنفه في أيام المأمون وبتشجيع منه. يقول الخوارزمي «وقد شجعنا ما فضل الله به الإمام المأمون أمير المؤمنين مع الخلافة التي حاز له إرثها وأكرمها بلباسها وحلاه بزيتها من الرغبة في الأدب وتقريب أهله وإدنائهم ويسط كنفه لهم ومعاونته إياهم على إيضاح ما كان مستحباً وتسهيل ما كان مستوعراً، على أن ألقت من كتاب الجبر والمقابلة كتاباً مختصراً حاصراً لللطيف الحساب وجليله لا يلزم الناس من الحاجة إليه في مساوئهم ووصاياهم وفي مقاسمتهم وأحكامهم وتجاراتهم، وفي جميع ما يتعاملون به بينهم من مساحة الأرض وتكري الأتجار والمهندسة وغير ذلك من وجوهه وفنونه...»<sup>(٦٣)</sup>.

وقد عالج المؤلف في كتابه هذا المعادلات من الدرجة الثانية، وبحث في عمليتي الضرب والقسمة الجبريتين، ثم تعرض لمعالجة المسائل المتعلقة بمساحات السطوح وغيرها، وما يتعلق بتقسيم التركات، وغيرها من المسائل القانونية التي هي في الغالب معادلات جبرية من الدرجة الأولى، وإن كانت تبدو لأول وهلة شديدة التعقيد، وكلها معروضة بأمثلة رقمية. وقد تضمن كتاب تراث العرب العلمي في الرياضيات خلاصة لعدد من بحوث الكتاب<sup>(٦٤)</sup>.

ويظهر أن للخوارزمي من الكتب الرياضية، إضافة إلى ما ذكرنا، كتاباً في الطريقة الهندسية للحساب، وكتاباً آخر في الجبر. وكان قد ترجمها إلى اللغة اللاتينية جيرارد القرموني، وهما معروفان بهذه الترجمة فقط<sup>(٦٥)</sup>. وقد جمع في الأول بين الحساب والهندسة

(٥٩) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (بغداد: مطبعة الحوادث، ١٩٧٢)، ص ٢٣١، وطوقان، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، ص ٢٢.

(٦٠) طوقان، المصدر نفسه، ص ٨٦.

(٦١) البغداد، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ٢، ص ٩.

(٦٢) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ٢٦٣، وحاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب

والفنون، ج ١، ص ٥٧٩.

(٦٣) طوقان، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، ص ٨١.

(٦٤) المصدر نفسه، ص ٣٠ - ٣٢.

(٦٥) أرنولد [وأخرون]، تراث الاسلام، ص ٥٧٠.

والموسيقى والفلك، وهو يمثل خلاصة دراساته لا ابتكاراته، كما يقول سارتون في مقدمته في تاريخ العلم<sup>(٦٦)</sup>.

### ج - أبناء موسى بن شاكر

كان لأبناء موسى، محمد وأحمد والحسن، جهود كبيرة في حقل العلوم الرياضية. فقد انتقدوا وصححوا كتاب المخروطات لأبلونيوس، الكتاب الذي يمثل أعلى مراتب الرياضيات التي وصل إليها علماء اليونان. وحاولوا إيجاد طريقة لاحتساب نسبة قطر الدائرة إلى محيطها أدق مما سبق أن قام به أرخيدس، ووضعوا طريقة خاصة لتقسيم الزاوية إلى ثلاثة أقسام متساوية بحساب الجذر التكعيبي، كما وضعوا كتاباً في مساحة الأكر<sup>(٦٧)</sup>.

واشتهر الإخوة الثلاثة وبخاصة أصغرهم في تقديمهم بعلم الهندسة ولهم فيها مؤلفات. فقد صنف كبيرهم محمد كتاب الشكل الهندسي الذي بين جالينوس أمره، وصنف أوسطهم أحمد كتاباً بين فيه بطريق تعليمي ومذهب هندسي أنه ليس في خارج كرة الكواكب الثانية كرة تاسعة<sup>(٦٨)</sup>. وكان أصغرهم الحسن منفرداً في هذا الفرع من الرياضيات، «وله طبع عجيب فيها لا يدانيه أحد، وعلم كل ما علم بطبعه ولم يقرأ من كتب الهندسة إلا ست مقالات من كتاب إقليدس في الأصول، ولكن ذكره كان عجيباً وتحليله كان قوياً حتى حدث نفسه باستخراج مسائل لم يستخرجها أحد من الأولين، كقسمة الزاوية بثلاثة أقسام متساوية، وطرح خطين بين خطين ذوي توالٍ على نسبة، فكان تحليلها ويردّها إلى المسائل الأخيرة<sup>(٦٩)</sup>». وله مناظرة في مجلس المأمون مع أحد العلماء الرياضيين ممن درسوا كتاب إقليدس والمجسطي، تفوّق فيها على مناظره وأعجزه، رغم أنه لم يقرأ من الكتابين المذكورين سوى ما ذكرناه. فاعجب به الخليفة، إلا أنه طلب إليه أن يقرأ كتاب إقليدس<sup>(٧٠)</sup>.

### د - سند بن علي

كان سند يُعنى بالعلوم الرياضية إلى جانب عمله في الأرصاد، وله فيها تصانيف عديدة منها: كتاب الحساب الهندسي، وكتاب الجمع والتفريق، وكتاب الجبر والمقابلة<sup>(٧١)</sup>. وقد سبق أن أشرنا إلى أنه فسّر تسع مقالات من كتاب الأصول في الهندسة لإقليدس. ويقول القفطي عنه إن له في النجوم والحساب مصنفات مشهورة، دون أن يذكر شيئاً منها<sup>(٧٢)</sup>.

(٦٦) طوقان، المصدر نفسه، ص ٨٧.

(٦٧) فؤاد سزكين، محاضرات في تاريخ العلوم العربية الإسلامية (فرانكفورت: [د.ن.].، ١٩٨٤)،

ص ٧٠ - ٧١.

(٦٨) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنّفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٣٩٣، والقفطي، تاريخ الحكماء؛ وهو مختصر الزوزني المسمّى بالمتنقيات المنقطة من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٣١٦.

(٦٩) القفطي، المصدر نفسه، ص ٤٤٢.

(٧٠) المصدر نفسه، ص ٤٤٣.

(٧١) ابن النديم، المصدر نفسه، طبعة طهران، ص ٣٩٨.

(٧٢) القفطي، المصدر نفسه، ص ٢٠٧.

## هـ - الفرغاني

أحمد بن محمد بن كثير، ولد بفرغانة فُنسب إليها، وعاش ببغداد في كنف الخليفة المأمون، وهو أحد كبار علماء الفلك وأحكام النجوم، كما كان مهندساً بارعاً. أرسله التوكل على الله من العراق في سنة ٢٤٧ إلى مصر ليتولى بناء مقياس النيل بأرض الجزيرة، وهو المقياس الكبير المعروف بالجديد، فأشرف عليه وأنجز بناءه وكتب اسمه عليه، وكانت النفقة عليه كبيرة<sup>(١٣)</sup>.

ولما كلف الخليفة المذكور ابني موسى بن شاذي بحفر نهر الجعفري الذي قرّر حفره ليوصل المياه إلى مدينة المتوكلية التي بناها شاذي سامراء، كلفا ابن كثير الفرغاني أن يتخذ العمل، فنض به وأنجز حفر النهر. إلا أن الماء لم يجري فيه بصورة مستديمة جديدة، ويقال إن ذلك نشأ عن خطأ في حساب ارتفاع صدر النهر عن مستوى الماء في دجلة. وكنا قد ذكرنا ذلك عند الكلام على الفيلسوف الكندي.

يمكن اعتبار الرياضيين الذين ذكرناهم وهم ممن استعان بهم المأمون في ترجمة الكتب الرياضية أو عملوا في عهده في حقل هذه العلوم، طليعة العلماء المشتغلين بالعلوم المذكورة. ثم تلت أولئك طبقة أخرى من العلماء والفلاسفة الذين كان جزء من نشاطهم العلمي والفلسفي يتمثل بالاهتمام بالعلوم الرياضية، ومن أشهرهم: الفيلسوف الكندي، والعالم المهندس ثابت بن قرة، والفلكي البارعي البتاني، والفيلسوف المترجم قسطا بن لوقا، والحاسب سنان بن الحارثي، والفضل الحاسب، والكرايبي.

## و - يعقوب بن اسحاق الكندي

اهتم الكندي الفيلسوف بالعلوم الرياضية واعتبرها ضرورية للفيلسوف، أي أنها لا بد منها لمختلف نواحي المعرفة. وتنص إحدى رسائله على أنه لا تنال الفلسفة إلا بعلم الرياضيات<sup>(١٤)</sup>. وقد وضع عدداً من المصنفات الرياضية الجليلة الأهمية، جعلت العالم الايطالي كاردانو يده واحدًا من اثني عشر عبقرياً من أهل الطراز الأول في الذكاء<sup>(١٥)</sup>. استخدم الكندي الرياضيات في اللحن الموسيقية، وفي تركيب الأدوية، وفي البرهنة على بعض مقولاته الفلسفية، مما سبق أن أشرنا إليه في فصول أخرى.

وكانت للكندي آراء ونظريات في الهندسة يختلف فروعها وبخاصة في ما يتعلق بشؤون الري، حيث كان يرجع إلى مؤلفاته الهندسية عند القيام بشق الأنهر وتوزيع المياه.

---

(٧٣) شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق محمد عبي الدين عبد الحميد، ج ٦ (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٥٠)، ج ٢، ص ٢٩٦ - ٢٩٧.  
(٧٤) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٨٩.  
(٧٥) طوقان، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، ص ٩٢.

وقد أشرنا إلى محاولة ابني موسى بن شاكر الاستفادة من كتبه الهندسية في حفر قناة الجعفرى فأغضبها عليه الخليفة واحتوى مكتبته. وقد صنّف الكندي في العلوم الرياضية عدداً كبيراً من الكتب والرسائل، قسّمها ابن النديم إلى: الحسابيات، والكريات، والهندسيات، والأبعاديات، ونهج القفطي نهجاً في ذلك. من كتبه الحسابية: رسالة في المدخل إلى الأريثماتيقي، ورسالة في استعمال الحساب الهندي، ورسالة في تأليف الأعداد، ورسالة في الكمية المضافة. وكان له اهتمام خاص بمذلولات الأعداد وما تحمله من معاني خاصة، فوضع بعض الكتب عنها مثل كتاب في الزجر والفأل من جهة العدد، وكتاب في الحيل العددية وعلم أضرارها، وكتاب رسالة في التوحيد من جهة العدد.

ومن كتبه في الكريات، كتاب في أن الكرة أعظم الأشكال الجرمية، والدائرة أعظم من جميع الأشكال البسيطة، ورسالة في تسطيح الكرة، ورسالة في عمل السمّ على كرة.

ومن كتبه الهندسية، رسالة في أغراض كتاب اقليدس، ورسالة في اصلاح كتاب اقليدس، وكتاب في تقريب وتر الدائرة، وكتاب في كيفية عمل دائرة مساوية لسطح اسطوانة مفروضة، وكتاب قسمة الدائرة ثلاثة أقسام.

أما كتبه في الأبعاديات فمنها، كتاب رسالة في عمل آلة يعرف بها بُعد المعائنات، وكتاب رسالة في معرفة أبعاد قلل الجبال<sup>(٧٦)</sup>.

### ز - ثابت بن قرّة

كان أبو الحسن ثابت بن قرّة من أولئك العباقرة الذين تعدّدت مواهبهم. فنبغ في الفلسفة والرياضيات والفلك والطب، ووضع في هذه المواضيع مصنفات جليلة عديدة. وكان قد قرّس في الرياضيات وبخاصة في الهندسة وفي الفلك فقطع فيها شوطاً مهماً وأضاف إليهما من بحوثه وابتكاراته بحيث يعتبر من مؤسسي علم المثلثات، وأول من مهّد لحساب التفاضل والتكامل. واشتغل في موضوع الهندسة التحليلية وأجاد فيها إجادة عظيمة، وله فيها ابتكارات لم يُسبق إليها<sup>(٧٧)</sup>. وقد اعتبره المستشرق الفرنسي البارون كارا دي فو أعظم هندسي عربي على الإطلاق<sup>(٧٨)</sup>.

وقد تعددت كتب ثابت بن قرّة في الرياضيات بمختلف فروعها. وقد ذكرنا جهوده في اصلاح ترجمة كتاب الأصول لإقليدس، وأنه وضع له مدخلاً. وجاء في كشف الظنون أنه

---

(٧٦) حول كتاب الكندي في الرياضيات، انظر: ابن النديم، الفهرست في اخبار العلماء المصنّفين من القدماء والمحدثين وأسأله كتبهم، ص ٣٧٤ - ٣٧٨؛ القفطي، تاريخ الحكماء، وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات المنتهيات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٣٦٩ - ٣٧٥، وابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٨٩ - ٢٩٠.

(٧٧) طوقان، المصدر نفسه، ص ١٠٣ - ١٠٤.

(٧٨) أرنولد [وآخرون]، تراث الاسلام، ص ٥٧٧.

أصلح كتاب الكرة والأسطوانة لأرخميدس المصري، والمقالة الأولى من كتاب نسبة الجذور<sup>(٨٧)</sup>.

ومن مصنفاته الأخرى في الرياضيات: كتاب الأرثاطيقي في الأعداد، والجبر والمقابلة<sup>(٨٨)</sup>، وكتاب في أن الحظين المستقيمين إذا خرجا على أقل من زاويتين قائمتين التقيا في جهة خروجهما، وكتاب في عمل شكل مجسم ذي أربع عشرة قاعدة تحيط به كرة معلومة<sup>(٨٩)</sup>، وجوامع عملها لكتاب نيقوماخس في الأرثاطيقي، وكتاب في قطع المخروط المكافئ، وكتاب في مساحة الأجسام المتكافئة، ومقالة في الهندسة<sup>(٩٠)</sup>، ومقالة في تصحيح مسائل الجبر بالبراهين الهندسية، وكتاب إصلاح المقالة الأولى من كتاب ابلونيوس في النسبة المحددة وقد أصلحها وشرحها<sup>(٩١)</sup>، وكتاب في ظلال الزولة في أشكال طرق الخطوط التي يمر عليها ظل المقياس وهو أقدم ما عرف في الموضوع<sup>(٩٢)</sup>، ورسالة في كيف ينبغي أن يسلك إلى نيل المطلوب من المعاني الهندسية، ذكر فيها بعض الظواهر التي لاحظها في الجو والهواء<sup>(٩٣)</sup>.

### ح - البتاني

محمد بن جابر بن سنان الحراني، من أشهر الفلكيين الرياضيين في هذا القرن. وقد أشرنا إلى إنجازاته في علم الفلك وأحكام النجوم. أما أعماله في ميدان الرياضيات فلم تكن أقل أهمية مما أنجزه في عالم الأفلاك. فقد كان أول من استعمل الجيب بدل الوتر الذي استعمله بطليموس في حساباته الفلكية، والظل وظل التمام. واكتشف بعض المعادلات المهمة في المثلثات الكرية، إذ يُعتبر مبدع علم النسب المثلثية، وقد وضع عدداً من المعادلات القائمة على تلك النسب. وأعد جداول مهمة في المثلثات في ظلال تمام الزوايا لكل درجة، كما وضع قاعدة لإيجاد جيب تمام المثلث الكروي. وبذلك ساهم في وضع علم المثلثات واستقلاله عن علم الفلك<sup>(٩٤)</sup>.

### ط - قسطا بن لوقا البعلبكي

كان مترجماً مجيداً، وقد برع في علوم كثيرة منها الطب والفلسفة والهندسة والأعداد،

---

(٧٩) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ٢، ص ٢٩٦ و٣٠٤.

(٨٠) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٩٤.

(٨١) الفسطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمتخبات المنتقاة من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ١١٦.

(٨٢) المصدر نفسه، ص ١١٧.

(٨٣) المصدر نفسه، ص ١١٨.

(٨٤) أرنولد [وآخرون]، تراث الإسلام، ص ٥٧٨.

(٨٥) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٩٩.

(٨٦) علم الفلك عند العرب، ص ١٢٥؛ أرنولد [وآخرون]، المصدر نفسه، ص ٥٨٠، وبقصر،

مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ص ٢٤٤.

وتَمَيَّزَ بفصاحته في اللغتين العربية واليونانية<sup>(٨٧)</sup>. وله مصنفات ومترجمات في هذه العلوم. أما مصنفاته في الرياضيات فقد ذكر له ابن النديم والقفطي وابن أبي أصيبعة عدداً منها هي: كتاب المدخل إلى علم الهندسة على طريق المسألة والجواب، وكتاب في شكوك كتاب إقليدس، وكتاب استخراج المسائل العددية من المقالة الثالثة من كتاب إقليدس، وكتاب حساب التلاقي على جهة الجبر والمقابلة، كما أنه فسر ثلاث مقالات ونصف المقالة من كتاب برقطوس في المسائل العددية<sup>(٨٨)</sup>.

## ي - سنان بن الفتح الحرّاني

من العلماء الرياضيين الذين اشتهروا في أوائل هذا القرن، وقد اشتغل في الرياضيات وبرز فيها وبخاصة في الحساب والجبر. قال عنه ابن النديم إنه كان مقدماً في صناعة الحساب والأعداد وله فيها تصانيف مشهورة، منها: كتاب التحت في الحساب الهندي، وكتاب الجمع والتفريق، وكتاب حساب المكعبات، وكتاب الوصايا، وكتاب شرح الجبر والمقابلة للخوارزمي<sup>(٨٩)</sup>. وقد شرح سنان في كتابه الجمع والتفريق الطريقة التي يمكن بواسطتها إجراء الأعمال الحسابية بالضرب والقسمة بوساطة الجمع والطرح بدلاً عنها، وشرح الأصول الموجودة في هذا الكتاب بكتابه عن المكعبات المذكور<sup>(٩٠)</sup>.

## ك - الفضل الحاسب

الفضل بن محمد بن عبد الحميد بن واسع، ولد ببغداد، وبها توفي سنة ٢٩٨هـ<sup>(٩١)</sup>. كان من العلماء بالحساب متقدماً فيه، وله من الكتب الرياضية: كتاب المعاملات، وكتاب المساحة<sup>(٩٢)</sup>. ويحتوي الكتاب الأول على مسائل حسابية مختلفة مع حلولها، وبعضها نادر معروف بأهميته عند علماء الرياضيات، ويبحث الكتاب الثاني في مساحة الأشكال الهندسية المختلفة<sup>(٩٣)</sup>.

---

(٨٧) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٤٢٤، والقفطي، تاريخ الحكماء؛ وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات المنتقاة من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٢٦٢.

(٨٨) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٤٢٥؛ القفطي، المصدر نفسه، ص ٢٦٣، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٣٣٠.

(٨٩) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٤٠٦.

(٩٠) طوقان، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، ص ٩٤.

(٩١) أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ١٤ ج (بيروت: دار الكتاب العربي، [د.ت.])، ج ١٢، ص ٣٧٣.

(٩٢) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٤٠٥، والقفطي، تاريخ الحكماء؛ وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات المنتقاة من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٢٥٤.

(٩٣) طوقان، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، ص ١٠٨.

## ل - الكرابيسي

أحد بن عمر، ونسبته إلى صنع الكرابيس وهي ثياب من القطن الأبيض<sup>(٩٤)</sup>. كان من المهندسين البارزين وعلماء الأعداد وله تقدّم فيها، وله من الكتب: تفسير كتاب إقليدس وشرحه، وكتاب الدور، وكتاب الوصايا، وكتاب مساحة الحلقة، وكتاب الحساب الهندي<sup>(٩٥)</sup>.

ومن صنف في العلوم الرياضية من علماء هذا القرن وفلاسفته، أبو بكر الرازي أعظم أطباء عصره، فقد ذكر ابن النديم في قائمة كتبه كتاب الرد على من استقل بفصول الهندسة<sup>(٩٦)</sup>، ورسالة في قطر المربع، ورسالة في أنه لا يتصور لمن لا رياضة له بالبرهان أن الأرض كرية<sup>(٩٧)</sup>.

والفيلسوف أحمد بن الطيّب، إذ ذكر له ابن النديم كتاب الأرثاطيقي في الأعداد والجبر والمقابلة<sup>(٩٨)</sup>.

وأبو حنيفة الدينوري الذي صنف في كل فن وعلم تقريباً. ومن تصانيفه في العلوم الرياضية: كتاب الجبر والمقابلة، وكتاب التحت في حساب الهند، وكتاب الجمع والتفريق<sup>(٩٩)</sup>.

والنجم الخبير بالأرصاء وحساب الفلك العباس بن سعيد الجوهري، وكان الغالب عليه الهندسة، وقد صنف فيها: كتاب تفسير كتاب إقليدس، وكتاب الأشكال التي زادها في المقالة الأولى من إقليدس<sup>(١٠٠)</sup>.

## ثانياً: علم النجوم

### مقدمة في مفهوم علم الفلك وعلم التنجيم

قبل اتّوض في أبحاث علمي الفلك والتنجيم، نرى أن نحدد مفهوم كل منهما عند العرب إبان نهضتهم العلمية. هناك اصطلاحات عدة متداخلة المعنى، هي: علم النجوم،

---

(٩٤) الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، ٤ ج (القاهرة: مطبعة الاستقامة، ١٩٥٩)، ج ٤، ص ٢٨.  
(٩٥) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٤٠٦، والقفطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات المنقطعات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٧٩.

(٩٦) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٤٣٠.

(٩٧) المصدر نفسه، ص ٤٣٣ - ٤٣٤.

(٩٨) المصدر نفسه، ص ٣٨٠.

(٩٩) المصدر نفسه، ص ١٠٣.

(١٠٠) المصدر نفسه، ص ٣٩٣، والقفطي، المصدر نفسه، ص ٢١٩.

وعلم الهيئة، وعلم أحكام النجوم، وعلم صناعة النجوم، وعلم التنجيم، وصناعة التنجيم، تستعمل أحياناً للدلالة على ما نسميه اليوم علم الفلك، وأحياناً للدلالة على التنجيم. فقد عرّف البتاني «علم صناعة النجوم» بأنه العلم الذي تعرف به مدة السنين والشهور، والموافق، وفصول الأزمان، وزيادة النهار والليل ونقصانها، ومواضع الثرى، وكسوفها، وسير الكواكب في استقامتها ورجوعها وتبدّل أشكالها ومراتب أفلاكها وسائر مناسباتها<sup>(١٠١)</sup>. ويظهر من هذا أن البتاني يعني بعلم صناعة النجوم ما ندعوه علم الفلك، وقد حدّد بتعريفه هذا المواضيع التي يتناولها هذا العلم.

ويقول الفارابي عن «علم النجوم» إنه اسم يطلق على علمين: أحدهما علم دلالات الكواكب على ما سيحدث في المستقبل وعلى كثير مما هو موجود الآن وعلى كثير مما تقدم، والآخر العلم التعليمي، وهو الذي يعدّ من العلوم أوفى التعاليم، ويبحث فيه عن الأجسام الساقية من حيث أشكالها ومقادير اجرامها ونسب بعضها إلى بعض، ومقادير أبعاد بعضها عن بعض وحركاتها. أما الأول فإنما يعدّ في القوى والمهن التي بها يقدر الإنسان على الإنذار بما سيكون مثل عبارة الرؤيا والزجر والعرافة وأشياء هذه القوى<sup>(١٠٢)</sup>. ويلاحظ أنه استخدم علم النجوم للدلالة على ما يدعى علم الفلك، وعلى ما يدعى علم أحكام النجوم.

وصناعة التنجيم كما يقول المسعودي: هي جزء من أجزاء الرياضيات وتنقسم إلى قسمين: أحدهما العلم بهيئة الأفلاك وتراكيبها وتآليفها، والآخر العلم بما يتأثر عن الفلك وما يوجب من الأحكام، وهو ليس بمستغن عن العلم الأول الذي هو علم الهيئة، لأن التأثيرات تقع بالحركات والتبدّل. فإذا ما وقع الجهل بهذه الحركات وقع الجهل بتأثيراتها<sup>(١٠٣)</sup>. فهو يطلق اسم «علم الهيئة» على حركات الكواكب والأفلاك، و«الأحكام» على تأثيرها.

ويتفق الخوارزمي محمد بن أحمد المتوفى سنة ٣٧٣ مع المسعودي فيطلق اسم علم الهيئة على معرفة تركيب الأفلاك وهيئة الأرض<sup>(١٠٤)</sup>.

ويتضح مما جاء في الرسالة الثالثة من رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء أنهم أطلقوا «علم النجوم» على كل ما يتصل بحركات الكواكب وتركيب الأفلاك والاستدلال منها على ما سيكون وعلى معرفة حلّ الزيجات، وقسموه إلى «علم الهيئة» وهو معرفة الأفلاك وكمية الكواكب وأقسام البروج وحركاتها، و«علم الأحكام» وهو كيفية الاستدلال بدوران الفلك وطوال البروج وحركات الكواكب على الكائنات قبل كونها، ومعرفة حلّ الزيجات، أي عمل التقاويم واستخراج التواريخ<sup>(١٠٥)</sup>. أي أنهم أخذوا بما قاله المسعودي.

(١٠١) أبو عبد الله محمد بن جابر البتاني، الزيج الصابي، اعتنى بطبعه وتصحيحه وترجمه إلى اللغة اللاتينية كارلو نالينو (رومية: مطبعة رومية، ١٨٩٩)، ص ٦.

(١٠٢) الفارابي، إحصاء العلوم، ص ٤٣ - ٤٥.

(١٠٣) أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، التنبيه والإشراف، عني بتحقيقه ومراجعتها عبد الله إسماعيل الصاوي (القاهرة: مكتبة الشرق الإسلامية، ١٩٣٨)، ص ١٢.

(١٠٤) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ١٢٥.

(١٠٥) رسائل إخوان الصفاء (بيروت: دار صادر، ١٩٥٧)، ج ١، ص ١١٤.



ويشبه هذا ما قاله ابن خلدون من أن علم صناعة النجوم هو صناعة يزعم أصحابها أنهم يعرفون بها الكائنات قبل حدوثها من قبل معرفة قوى الكواكب وتأثيرها باعتبار أن أوضاع الأفلاك والكواكب تدل على ما سيحدث من الكائنات الكلية والشخصية<sup>(١٠٦)</sup>. وعُرف علم الهيئة بأنه علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة ويستدل بكيفيات تلك الحركات على أشكال الأفلاك وأوضاعها<sup>(١٠٧)</sup>.

وقد نهج الفلكيون العرب في هذا الموضوع نهج بطليموس في تقسيمه علم النجوم إلى قسمين: قسم يدرك به الأشكال الحادثة للأجرام السماوية بسبب حركتها بالنسبة إلى بعضها البعض أو إلى الأرض، وقسم يبحث في التغيرات والأفعال التي تحدث على الأرض بسبب الخواص الطبيعية لتلك الأشكال. والقسم الأول هو ما اصطلاحوا على تسميته «علم الهيئة» وهو علم قائم بذاته لا علاقة له بالقسم الثاني الذي سَمَّوه «أحكام النجوم» وهو متعلق بالأول ويستمد منه أحكامه<sup>(١٠٨)</sup>.

يمكننا أن نستخلص مما تقدم أن لعلم النجوم جانبين، أحدهما علمي يتناول دراسة حركة الأجرام السماوية وما يتصل بها، وهو ما يسمى عادة علم الهيئة أو علم الفلك، والآخر توهمي يقوم على استنتاج بعض المدلولات من تلك الحركات وقد عرف به علم أحكام النجوم أو علم التنجيم. وإن الاصطلاحات التي ذكرناها في صدر هذه المقدمة كانت تطلق آنذاك على العلمين، وإن لفظي التنجيم والفلكي كان يراد بهما من يشتغل بالعلمين المذكورين أو بأحدهما، وإذا ما أريد بهما المشتغلون بعلم أحكام النجوم قيل الأحكاميون أو أصحاب أحكام النجوم. إلا أن علم الهيئة اختص بدراسة الفلك وحركات الأجرام السماوية ولم يطلق على علم أحكام النجوم. وسوف نلتزم في بحثنا هذا بالمفاهيم المذكورة فنعني بعلم الهيئة «علم الفلك» وبعلم أحكام النجوم «علم التنجيم» وسنفرد فصلاً خاصاً بكل منهما.

## ١ - العرب وعلم الفلك

يعتبر علم الفلك من أقدم العلوم التي عرفها العرب، إذ كانت أسسه الأولى قد وُضعت في بلاد الرافدين منذ عهد البابليين، واقتبسته عنهم شعوب أخرى كالهنود والفرس واليونان. وكان العرب قبل الإسلام يعنون بمواقع النجوم ولديهم معلومات واسعة عنها وأغلبها صحيح يتفق وما توصل إليه علم الفلك الحديث. فكانوا يعرفون الأبراج ومنازل القمر وتغيرها تبعاً لفصول السنة، والكواكب السيارة المعروفة آنذاك، ومواقع عدد كبير من النجوم، وقد أشرنا إلى ذلك في موضوع الأنواء في باب علم الجغرافيا. ولا يخفى أنهم كانوا يعرفون ذلك على حسب ما أدركوه بفرط العناية والملاحظة وطول التجربة بدافع الحاجة إليها

(١٠٦) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ٢٩٩.

(١٠٧) المصدر نفسه، ص ٢٦٥.

(١٠٨) علم الفلك عند العرب، ص ٢٩ - ٣٠.

لأسباب تتعلق ببيئتهم وطريقة معيشتهم. إلا إذا افترضنا أن تلك المعارف إنما هي بفايا حضارة عريقة قامت في الجزيرة العربية في عصور سحيقة. وهو ما غيل إليه.

أما بعد الاسلام فقد ازداد اهتمام العرب بعلم الفلك، إذ تطلبت بعض الواجبات الدينية مزيداً من المعلومات الفلكية. فإن تعيين أوقات الصلوات الخمس واختلافها بين بلد وآخر، واختلافها في البلد الواحد باختلاف المواسم والفصول، يستلزم معرفة موقع البلد الجغرافي من حيث الطول والعرض، وموقع الشمس في فلكها. كما أن معرفة اتجاه القبلة يتطلب معرفة موقع البلد بالنسبة إلى الكعبة المشرفة ومعرفة سمت القبلة. وكذلك فإن بـاية الصيام في شهر رمضان ونهايته تحتان مراقبة الهلال للتأكد من رؤيته في الحالتين. يضاف إلى ذلك اهتمام الخلفاء أنفسهم بالأمور الفلكية ولا سيما ما يتصل منها بالتنجيم، وسنوضح ذلك في فصل قادم، فشبّعوا على دراسته وأسسوا المراصد لتساعد على ذلك. كما لا يخفى أن عدداً من آيات القرآن الكريم تدعو إلى التأمل في القوانين التي تحكم سير الأجرام السماوية وحركاتها ودلائها على وجود الخالق عز وجل وعظمة ابداعه وجليل قدرته.

لقد اعتبر البتاني علم النجوم من أشرف العلوم، إذ قال في مقدمة زيجيه «إن من اشرف العلوم منزلة وأسانها مرتبة وأحسنها حلية وأعلفها بالقلوب والمها بالنفوس وأشدّها تحديداً للفكر والنظر وتدنية للفهم ورياضة للعقل بعد العلم بما لا يسع الانسان جهله من شرائع الدين وستة علم صناعة النجوم، لما في ذلك من جسيم الخطّ وعظيم الانتفاع بمعرفة مدة السنين والشهور والمواقيت وفصول الأزمان الخ...»<sup>(١٠٩)</sup>.

ولهذا استطاع العلماء العرب أن يتفهموا كتاب السدهانت الهندي الذي تُرجم إلى اللغة العربية في منتصف القرن الثاني، فزاد اهتمامهم بعلم الفلك واتسعت معارفهم فيه بحيث انهم استطاعوا أن يترجموا أمهات الكتب فيه، في أواخر القرن المذكور وفي خلال القرن الثالث. فترجموا كتاب المجسطي لبطلميوس، واستوعبوا ما فيه من نظريات وحسابات، بل إنهم استطاعوا في أواخر القرن الثالث أن يصلحوا ما فيه من أخطاء حسابية وفلكية.

### أ - ترجمة المجسطي وأثره

يعتبر كتاب المجسطي أهم ما نقل من التراث اليوناني إلى اللغة العربية، ومن أكثر الكتب التي ساعدت على تقدم علم الفلك عند العرب. وضعه بطلميوس الذي انتهى إليه «علم حركات النجوم ومعرفة أسرار الفلك، وعنده اجتمع ما كان متفرقاً من هذه الصناعة بأيدي اليونانيين والروم وغيرهم من ساكني أهل الشق الغربي من الأرض وبه انتظم شتيها وتجلّى غامضها وما أعلم أحداً بعده تعرض لتأليف مثل كتابه المعروف بـ المجسطي ولا تماطى معارضته»<sup>(١١٠)</sup>. ويبحث كتاب المجسطي في

(١٠٩) البتاني، الزيج الصابي، ص ٦.

(١١٠) القفطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات المنتقاة من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٩٦.

علم النجوم والحركات، وتفسير المجسطي (الكتاب الأكبر)<sup>(١١١)</sup>. وقد نُقل المجسطي إلى اللغة العربية أكثر من مرة، وأصلحه عدد من العلماء والفلاسفة، وشرحه آخرون. ويتألف الكتاب من ثلاث عشرة مقالة<sup>(١١٢)</sup>. الأولى، في المقدمات مثل البرهان على كروية السماء والأرض، وعلى ثبوت الأرض في مركز العالم، ثم ميل البروج، ومطالع درج البروج في الفلك المستقيم. والثانية، في البحث في ما يختلف باختلاف عروض البلدان، مثل طول النهار وارتفاع القطب، والمطالع في الأقاليم والزوايا الناشئة عن تقاطع دائرتين من دوائر الأفق ونصف النهار، ومعدل النهار وفلك البروج وغيرها. والثالثة، في تعيين أوقات نزول الشمس في نقطتي الاعتدال ونقطتي الانقلاب، ثم في مقدار السنة الشمسية وحركتي الشمس المعتدلة والمختلفة، والطريقة الهندسية لبيان اختلاف الحركة بفلك المركز أو بفلك التدوير، ثم في اختلاف الأيام ببلاليتها وتحويل الأيام الوسطى إلى المختلفة وبالعكس. والرابعة، في حركات القمر المعتدلة في الطول والعرض. والخامسة، في بيان اختلافات حركات القمر وحساباتها، ثم حساب اختلاف المنظر في الارتفاع والطول والعرض. والسادسة، في اجتماعات النيرين واستقبالاتها وكسوفها. والسابعة، في الكواكب الثابتة ومواضعها في الطول والعرض. والثامنة، في جريدة الكواكب الثابتة ومواضعها في الطول والعرض. والتاسعة حتى الحادية عشرة، في بيان حركات الكواكب الخمسة المنحيزة في الطول. والثانية عشرة، في الرجوع والاستقامة، والمقامات العارضة للكواكب الخمسة المنحيزة. والثالثة عشرة، في عروض الكواكب الخمسة المنحيزة وظهورها واختفائها<sup>(١١٣)</sup>.

لقد كان للمجسطي تأثير مهم على علماء العرب المشتغلين بعلم النجوم، لأنه احتوى «كل فروع علم الفلك القديم ووصل العمل بالنظر في جميع المسائل فلم يأت بقاعدة إلا وبرهن عليها بالطريقتين الهندسي والعددي، ولم يُثبت شيئاً من حركات الأجرام السماوية إلا وبين كيف توصل الفلكيون إلى معرفته وقياسه، ولم يجعل جدولاً إلا وأوضح أصول حسابه»<sup>(١١٤)</sup>.

كما كان لترجمة كتاب المقالات الأربع في أحكام النجوم لبطلميموس أيضاً، وهو ذيل لكتابه المجسطي، تأثير في الاهتمام بعلم الفلك. وقد ترجمه إبراهيم بن الصلت وأصلحه حنين بن اسحاق. وكان لكتاب إقليدس في أصول الهندسة تأثير واضح أيضاً إذ تعلم العلماء العرب منه فن وضع البراهين الهندسية، فبرعوا في الناحية العملية من علم الفلك المتمثلة في الأرصاد.

---

(١١١) أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢ (بيروت: دار صادر، ١٩٦٠)، ج ١، ص ١٣٣.  
 (١١٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٣٣ - ١٣٦، وفيه تلخيص للمقالات الأربع الأولى من الكتاب، والتفصيل، المصدر نفسه، ص ٩٧.  
 (١١٣) علم الفلك عند العرب، ص ٢٢١ - ٢٢٢، وطوقان، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، ص ٦٠.  
 (١١٤) علم الفلك عند العرب، ص ٢٢٢.

## ب - المراصد وآلاتها

بدأ إنشاء المراصد في أواخر عهد الخليفة المأمون. فإنه عندما وقف على ما جاء في كتاب المجسطي من معلومات فلكية وعن المراصد والآلات المستخدمة فيها، تقدّم إلى العلماء الرياضيين والفلكيين أن يقوموا برصد الكواكب ويمتحنوا حقيقة ما جاء فيه وأن يصلحوا آلات الرصد على ما يذكره<sup>(١١٥)</sup>. وأمر في سنة ٢١٥ بإقامة مرصد بالشهاسية بأعلى بغداد عُرف بالمرصد المأموني. وجعل على رئاسته والاشراف على أرساده المهندس الفلكي سنده بن علي. وقد عمل في هذا المرصد عدد من مشاهير فلكيي القرن الثالث، منهم: يحيى بن أبي منصور كبير منجمي المأمون، والعباس بن سعيد الجوهري، وخالد بن عبد الملك، وأبناء موسى بن شاكر، وثابت بن قرة. كما أمر المأمون بالوقت نفسه بإنشاء مرصد آخر في دمشق على جبل قاسيون، فأنجز وبوشر بالرصد فيه في السنة نفسها<sup>(١١٦)</sup>. وأقيمت بعد المأمون، وفي خلال هذا القرن، مراصد أخرى، منها مرصد أبناء موسى بن شاكر الذي أقاموه قريباً من الجسر ببغداد، كما أقيم مرصد بالرقّة عرف بمرصد البتاني لطيلة عمل محمد بن جابر البتاني فيه، ومرصد آخر في انطاكية عمل فيه البتاني بعض الوقت.

إن أعمال الرصد تحتاج إلى آلات وعدد مختلفة لا بد منها للعاملين في رصد الكواكب والأفلاك. وكانت المراصد التي أقيمت منذ أيام المأمون قد جهزت بالعدد والأجهزة المطلوبة. ويعتبر الاضطراب أهم الآلات الفلكية وأشهرها وأكثرها استعمالاً، كما أنه يعتبر العُدّة الأولى بالنسبة إلى المنجمين أصحاب الأحكام. وقد سبّاه العرب الآلة الشريفة تقديراً منهم لفوائده العديدة، إذ استخدموه في الأرصاد الفلكية وفي الملاحة. كما أتقنوا صناعته وأصبح له علم خاص يبحث فيه عن كيفية استعماله للتوصل إلى معرفة كثير من الأمور النجومية على أسهل طريق وأقرب مأخذ، كارتفاع الشمس ومعرفة الطالع وسمت القبلة وعرض البلد وغير ذلك<sup>(١١٧)</sup>. كما استخدم في حلّ المسائل الرياضية، لا سيما في حساب المثلثات وفي قياس الارتفاعات والمسافات، بالإضافة إلى استخداماته الفلكية<sup>(١١٨)</sup>.

ويتكوّن الاضطراب من قرص معدني مقسّم إلى درجات، ويدور على هذا القرص عدّاد ذو ثقتين في طرفيه. ويعلّق الاضطراب عمودياً ثم يوجه نحو الشمس فتمت مرت أشعة الشمس من الثقتين قرى ارتفاع الكواكب من الحد الذي وقف العداد عليه. وكان من عادة

---

(١١٥) الفطحي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمّى بالمتنقيات المنقطعات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٢٧١.

(١١٦) المصدر نفسه، ص ٣٥٧، وابن النديم، الفهرست في إخبار العلماء المصنّفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٣٩٧.

(١١٧) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ١، ص ١٠٦.

(١١٨) الرقاعي، تاريخ العلوم في الإسلام، ص ١٧٦، واليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ١٣٩ -

فلكي العرب أن يقسموا الدقيقة إلى اثني عشر قسماً يدل كل قسم على خمس ثوان. وأهم أجزاء الاصطrolاب الأخرى: أم الاصطrolاب، والحجرة، والصفائح، والعنكبوت، والمضادة، والمحور. كما أن ظهر الاصطrolاب يقسم إلى (٣٦٠) درجة، وإلى أربعة أرباع الدائرة، ويكتب على بعضها أسماء البروج والإشارات الضرورية للعمل به<sup>(١١١)</sup>.

ومن أجهزة الرصد المهمة الأخرى:

- اللبنة: وتستخدم لمعرفة درجة عرض المكان وقياس أبعاد الكواكب، ومعرفة الميل الكلي، وهي جسم مربع مستوي.

- المحلقة أو ذات الحلق: وهي أعظم الآلات هيئة ومدلولاً، وتتألف من ست حلقات نحاسية، ترتكز الأولى على الأرض وتسمى دائرة نصف النهار، ثم دائرة معذل النهار، ودائرة منطقة البروج، ودائرة العرض، ودائرة الميل، والدائرة الشمسية. وبها يعرف سمت الكواكب. وهي آلة عربية يُعزى اختراعها إلى الفيلسوف الفلكي الأندلسي عباس بن فرناس المتوفى سنة ٢٧٤. وهي تختلف عن ذات الحلق اليونانية المكونة من تسع حلقات بعضها في جوف بعض، ولكنها تؤدي الغرض نفسه.

- ذات السميت والارتفاع: وهي نصف حلقة قطرها سطح من سطوح اسطوانة متوازية السطوح، يُعرف بها السميت وارتفاعه.

- ذات الشعبتين: وتتكون من ثلاث مساطر على كربي خاص، يُعلم بها الارتفاع.

- الربع المجيب: ويتكون من ربع دائرة، ويُسمى أيضاً الربع المقطوع أو الربع المنقطر. وهو في الأصل جزء من الاصطrolاب ينقش على ظهره. ويستعمل الربع المجيب في المجالات الفلكية والرياضية والجغرافية<sup>(١١٢)</sup>.

وصنفت في هذا القرن كتب عديدة في صناعة الاصطrolاب وبعض آلات الرصد الأخرى، وطريقة العمل بها. فقد صنف الفيلسوف الكندي كتاباً في صنعة الاصطrolاب بالهندسة، ورسالة في عمل الحلق الست واستعمالها، ووضع عطاردين محمد كتاب العمل بالاصطrolاب، وكتاب العمل بذات الحلق. وصنف جيش الحاسب كتاب عمل الاصطrolاب، ووضع محمد بن موسى الخوارزمي كتاب عمل الاصطrolاب، وكتاب العمل بالاصطrolاب<sup>(١١٣)</sup>.

(١١٩) ناجي معروف، المرصد الفلكية ببغداد في العصر العباسي (بغداد: دار الجمهورية، ١٩٦٧)،

ص ٢٧.

(١٢٠) حول آلات الرصد، انظر: المصدر نفسه، ص ٢٩ - ٣٠؛ حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج ١، ص ١٤٥ - ١٤٧؛ طوقان، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، ص ١٣٣، والرفاعي، المصدر نفسه، ص ١٧٦ - ١٧٨.

(١٢١) حول الكندي، انظر: ابن التميم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين =

وكانت آلات الاصطrolاب تصنع بمدينة حران، ثم انتشرت صناعتها واتسع العمل فيها منذ أيام المأمون، واشتهر بصنعها وصنع ذات الحلق عدد من الصناع الذين مهروا في صناعة آلات الرصد<sup>(١١٣)</sup>.

## ٢ - أهم الأرصاد الفلكية

أشرنا في الفصل السابع إلى أن أول رصد قام به الفلكيون العرب كان بالرصد المأموني ببغداد وبمرصد قاسيون بدمشق، وقام به جماعة على رأسهم سند بن علي. وقد استغرق عملهم منذ سنة ٢١٤ حتى وفاة المأمون في سنة ٢١٨، ويعتبر هؤلاء طليعة علماء الرصد من الفلكيين العرب. فحققوا في أرصادهم بعض ما قاله بطليموس، وصححوا بعضه الآخر. وثبتوا نتائج عملهم في جداول عرفت بالرصد المأموني. كما وضع كل منهم كتاباً بزيج نسب إليه، وقد أطلق على أزياجهم الأزياج الممتحنة. ويقول المستشرق نلليو إنهم اشتركوا في تأليف زيح عُرف بالزيح الممتحن، وهو مبني على أرصادهم الممتحنة التي قاموا بها<sup>(١١٤)</sup>. إلا أن ابن النديم والقفطي يقولان عن يحيى بن أبي منصور إن له من التصانيف الزيح الممتحن وهو نسخة<sup>(١١٥)</sup>، وعن العباس الجوهري إنه حقق بعض الكواكب والنيرين، وعمل على ذلك زيياً مشهوراً مذكوراً عند أهل هذا الشأن<sup>(١١٦)</sup>. وعن سند بن علي إن له زيياً مشهوراً يعمل به النجمون<sup>(١١٧)</sup>. ويظهر من هذا أن نلليو وأهم في ما ذهب إليه، إلا إذا كان يقصد جداول الرصد المأموني.

وأبرز أعمال الرصد التي أنجزت في عهد المأمون هو قيام الفلكيين بقياس محيط الكرة الأرضية. وهناك ثلاث روايات عن الذين كلّفهم المأمون بالعمل المذكور؛ الأولى هي الخلاصة التي ذكرها المسعودي، يقول: «وذكر من عني بمساحة الأرض وشكلها أن تدويرها يكون بالتقريب أربعة وعشرين ألف ميل،... وذلك أنهم نظروا إلى مدينتين في خط واحد إحداها أقل عرضاً من الأخرى، وهما الكوفة ومدينة السلام، فاختدوا عرضيهما فقصوا الأقل من الأكثر ثم قسموا ما بقي على عدد الأميال التي بينها فكان نصيب الدرجة مما يخافها من أجزاء الأرض المستديرة ستة وستين ميلاً وثلاثين ميلاً على ما ذكر بطليموس، فإذا ضربوا ذلك في جميع درج الفلك التي هي ثلاثمائة وستون درجة كان ذلك أربعة وعشرين ألف ميل، وكان قطرها الذي هو طولها وعرضها وغلظها سبعة آلاف ميل وستمائة وسبعة ميلاً»<sup>(١١٨)</sup>.

= وأسماهم كتبهم، ص ٣٧٣ و٣٧٥ حول عطارد، ص ٤٠١ حول جش، ص ٣٩٨، وحول الخوارزمي، ص ٣٩٧.

(١٢٢) المصدر نفسه، ص ٤١٠.

(١٢٣) علم الفلك عند العرب، ص ٢٨٢.

(١٢٤) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٩٨، والقفطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمتخينات المنقطعات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٣٥٨.

(١٢٥) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٩٣، والقفطي، المصدر نفسه، ص ٢١٩.

(١٢٦) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٩٧، والقفطي، المصدر نفسه، ص ٢٠٦.

(١٢٧) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٢٤ - ٢٥.

والرواية الثانية هي ما رواه ابن يونس المصري المتوفى سنة ٣٩٩<sup>(١٢١)</sup> وخلاصتها أن سنده بن علي ذكر في كلام له «أن المأمون أمره وخالد بن عبد الملك أن يقيسا مقدار درجة من أعظم دائرة من دوائر سطح كرة الأرض، قال فسيرنا لذلك جميعاً. وأمر علي بن عيسى الأصبطلابي وعلي بن البحري بمثل ذلك، فساروا إلى ناحية أخرى. قال سنده بن علي: فسرت أنا وخالد بن عبد الملك إلى ما بين راضية وتندمر، وقسنا هنالك مقدار درجة من أعظم دائرة تمر بسطح كرة الأرض فكانت سبعة وخمسين ميلاً. وقاس علي بن عيسى وعلي بن البحري فوجدوا مثل ذلك. وورد الكتابان من الناحيتين في وقت بقياسين متفقين...»<sup>(١٢٢)</sup>.

والرواية الثالثة هي ما رواه ابن خلكان تحت عنوان «المأمون يأمر بضبط خط الأرض»، إذ يقول «إن المأمون كان مُعزى يعلم الأرائل وتحقيقها، ورأى فيها أن دور كرة الأرض أربعة وعشرون ألف ميل... فأراد المأمون أن يقف على حقيقة ذلك، فسأل بني موسى عنه، فقالوا: نعم هذا قطعي. قال: أريد منكم أن تعملوا الطريق الذي ذكره المتقدمون حتى تبصر هل يتحرر ذلك أم لا. فسألوا عن الأراضي المتساوية في أي البلاد هي، فقبل لهم: صحراء ستجار في غابة الاستواء، وكذلك وطأت الكوفة... وجاءوا إلى الصحراء المذكورة فوقفوا في موقع منها، فأخذوا ارتفاع القطب الشمالي ببعض الآلات، وضربوا في ذلك الموضع وتندأ وربطوا فيه حبلًا طويلًا، ثم مشوا إلى الجهة الشمالية على استواء الأرض من غير انحراف إلى اليمين أو اليسار حسب الإمكان... ولم يزل ذلك دأبهم حتى انتهوا إلى موضع أخذوا فيه ارتفاع القطب المذكور فوجدوه زاد على الارتفاع الأول درجة. لمسحوا ذلك القدر الذي قدره بالحبل، فبلغ ستة وستين ميلاً ولثني ميل، فعملوا أن كل درجة من درجة الفلك، يقابلها من سطح الأرض ستة وستون ميلاً ولثلاثين. ثم عادوا إلى الموضع الذي ضربوا فيه الوتر الأول وشدوا فيه حبلًا وتوجهوا إلى جهة الجنوب ومشوا على الاستقامة، وعملوا كما عملوا في جهة الشمال... فوجدوا القطب الشمالي قد نقص عن ارتفاعه الأول درجة، فصنع حسابه وحققوا ما قصدوا من ذلك... ومن المعلوم أن عدد درج الفلك ثلاثمائة وستون درجة... ففرضوا عدد درج الفلك في ستة وستين ميلاً - أي التي هي حصة كل درجة - فكانت الجملة أربعة وعشرين ألف ميل، وهي ثمانية آلاف فرسخ... فلما عاد بنو موسى إلى المأمون وأخبروه بما صنعوا وكان موافقًا لما رآه في الكتب القديمة من استخراج الأرائل، طلب تحقيق ذلك في موضع آخر، فسيرهم إلى أرض الكوفة، وفعلوا كما فعلوا في سنجار، فتوافق الحسابان. فعلم المأمون صحة ما حرره القدماء»<sup>(١٢٣)</sup>.

ويرى نلليو أن رواية ابن خلكان يشوبها الخطأ، فقد نسب تنفيذ أمر الخليفة إلى بني موسى، والمعروف أنه كلف النجميين أصحاب الزيج الممتحن، لأن بني موسى كانوا آنذاك في سن صغيرة ولم ينالوا من العلوم ما يؤهلهم للقيام بذلك العمل. وأخطأ في ذكره وطأت الكوفة التي كانت آنذاك كلها بطائح وترع ومزارع، لا تصلح لإجراء المسح المطلوب. كما أخطأ في قوله إن حاصل القياس ومقداره  $\frac{1}{3}$  ٦٦ ميلاً موافق لما وجدته القدماء، ويرى أن الرواية الصحيحة هي التي ذكرها ابن يونس في زيجيه. ويرى نلليو في ضوء ما جاء فيها أن جماعة الفلكيين الذين كلفوا بالعمل قاسوا قوساً من خط نصف النهار في صحراوين، أي

(١٢٨) ابن يونس الفلكي: علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس المصري، من علماء الفلك، اقتص بالحاكم الفاطمي. له الزيج الحاكمي بأربع مجلدات صحب به أغلاط من سبقوه، وكان تعويل أهل مصر عليه. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط ٢، ج ١، ص ٥ (القاهرة: مطبعة كونستانطوناس، ١٩٥٤ - ١٩٥٥)، ج ٥، ص ١١٢.

(١٢٩) علم الفلك عند العرب، ص ٢٨١ - ٢٨٣.

(١٣٠) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٤، ص ٢٤٨ - ٢٤٩.

برية سنجار وبرية شمالي تدمر، وإن حاصلتي العملين اختلفا في ما بين  $\frac{1}{56}$  ميلاً و  $\frac{1}{57}$  ميلاً تقريباً، فاتخذوا متوسطهما أي  $\frac{1}{56.5}$  ميلاً تقريباً، وبذلك يكون غُيْط الأرض ٤١,٢٤٨ كيلومتراً، ويقول «وهو قدر قريب من الحقيقة دالٌّ على ما كان للعرب من الباع الطويل في الأرصاد وأعمال المساحة... أما قياس العرب فهو أول قياس حقيقي أجري كله مباشرة مع كل ما اقتضته تلك المساحة من المدة الطويلة والصعوبة والمشقة، واشتراك جماعة من الفلكيين والملاحين في العمل. فلا بد لنا من عداد ذلك القياس في أعمال العرب العلمية المجيدة الماثورة»<sup>(١٣١)</sup>.

ومن الأرصاد المهمة التي تمت في هذا القرن ما قام به الرياضي الفلكي البارع أبو عبد الله محمد بن جابر البتاني. فقد أقام مدة اثنتين وأربعين سنة في مرصدي مدينتي الرقة وانطاكية، يراقب يومياً النيرين، الشمس والقمر، والكواكب المتجيرة والنجوم الأخرى، متتبعاً حركاتها ومنازلها ومسار أفلاكها، ويسجل ذلك، فحقق كثيراً من النتائج العلمية، وكانت له إنجازات مهمة في ذلك ساعدت على ازدهار علم الفلك آنذاك. وستتكلم على أعمال البتاني في الرصد بشيء من التفصيل عند الكلام عليه في فصل قادم.

كما كانت الأرصاد التي قام بها الفيلسوف المهندس ثابت بن قزوة في المرصد الماموني ومرصد بني موسى بن شاكر، ببغداد، من الأعمال الفلكية المهمة التي كانت من عوامل تقدم علم الفلك أيضاً. وسنشير إلى جهوده في ذلك في فصل قادم أيضاً.

وهكذا نرى أن العرب لم يقفوا في دراساتهم الفلكية في خلال هذا القرن عند حدود النظريات والمقولات التي ورثوها عن اليونان، بل إنهم قاموا بأعمال في هذا الميدان تميزوا بها عن غيرهم. فاقاموا المراصد في مطلع هذا القرن، واهتموا بالتحقق مما جاء في كتب اليونان، فخرصدوا الشمس والقمر والكواكب السيارة والنجوم الأخرى، وابتكروا طرقاً رياضية لاحتساب الأرصاد التي قاموا بها، ووضعوا الأزياج الصحيحة القائمة على الرصد والحسابات الفلكية. كما قاموا بتطوير آلات الرصد وتحسينها، ولا سيما ما يتعلق بحجومها، وابتكروا آلات جديدة. ويمكن تلخيص أهم ما حققوه في أرصادهم وكان قريباً جداً من الواقع بما يأتي:

أ - أنهم توصلوا إلى معرفة أن أوج الشمس - أي أبعد نقطة لها عن الأرض - غير ثابت، وأنه يتغير بمعدل ١٢ ثانية في السنة. وهو تقرير يزيد بنصف ثانية عما هو ثابت اليوم وهو ١١,٥ ثانية، وهو فرق طفيف وتظهر أهميته في أنهم حققوه بأجهزتهم وآلاتهم البسيطة بالنسبة إلى ما هو متوفر في العصر الحالي<sup>(١٣٢)</sup>.

ب - وقاموا بقياس طول الدرجة الواحدة من خطوط الطول وتوصلوا إلى أنها  $\frac{2}{3}$  ٥٦

(١٣١) علم الفلك عند العرب، ص ٢٨٦ - ٢٨٩.

(١٣٢) طوقان، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، ص ٨٢؛ سزكين، معاضرات في تاريخ العلوم العربية الإسلامية، ص ٨٢، وعبد الحليم متنصر، تاريخ العلوم ودور العلماء العرب في تقدمه، ط ٦ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٥)، ص ٢٠٨.



مبدأً فتنى لهم معرفة طول خط الاستواء، أو محيط الكرة الأرضية، مما سهّل للبيروني في القرن التالي أن يحدد بطريقة بارعة مقدار محيط الكرة الأرضية<sup>(١٣٣)</sup>.

ج - واستطاعوا قياس مدة الحركة البطيئة - أي مقدار تقدّم وقت تساوي الليل والنهار - فكان درجة واحدة في كل ٦٦ سنة، واستمروا في تصحيح هذا الزمن إلى أن ثبتته بدرجة واحدة كل سبعين سنة وهو تحديد قريب جداً مما ثبته علماء الفلك في العصر الحديث، وهو درجة واحدة في كل ٧٢ سنة<sup>(١٣٤)</sup>. وتوصّل ثابت بن قرّة إلى وجود حركتين: مستقيمة ومتقهرة لنقطتي الاعتدال<sup>(١٣٥)</sup>.

د - ونجحوا بشكل دقيق في تحديد ميل سمت الشمس، وكذلك مدارها ومدار القمر والكواكب، واستطاعوا بفضل علم الفلك والرياضيات أن يحددوا اتجاه القبلة في الجوامع والمساجد في مختلف أرجاء الدولة<sup>(١٣٦)</sup>.

هـ - وكنا ذكرنا أن ثابت بن قرّة توصّل إلى معرفة طول السنة النجمية، وأنها كانت أكثر من الحقيقة بنصف ثانية. كما ذكرنا أن البتاني توصّل إلى احتساب طول السنة الشمسية وحصل على نتيجة تقلّ عما هو معروف اليوم بدقيقتين وأثنتين وعشرين ثانية.

و - ويظهر أهمّ تبنّوها إلى أن الكرة الأرضية هي المتحركة وليست الأفلاك، إذ قال بعض الفلكيين «إن الذي يُرى من الدوران للكواكب إنما هو دور الأرض لا الشمس والفلك»<sup>(١٣٧)</sup>. إلا أنهم لم يعيروا هذا الموضوع اهتماماً كافياً رغم أهميته، فلم يرغلو فيه. وكان موقفهم هذا شبيهاً من القول بجاذبية الأرض، وكنا أشرنا إليه في موضوع العلوم الطبيعية.

### ٣ - علم أحكام النجوم (التنجيم)

#### أ - التنجيم

كان الاهتمام بالنجوم والكواكب والأفلاك من حيث مواقعها وتتبع آثارها ونتائج حركاتها، وربط بعض الظواهر الأرضية كالفيضات والمواسم بها، قد أثار اعتقاداً لدى البعض بأن تأثير حركاتها لا يقتصر على ما ذكرناه من أمور فلكية، بل إنه يشمل بني الإنسان أيضاً، وإن ما يصيبهم من خير أو شر مرتبط بها ونشأ عن أوضاعها. وكان بطليموس الفلكي

---

(١٣٣) علم الفلك عند العرب، ص ٢٨٧، وجلّ، الحضارة العربية، ص ١١٠.

(١٣٤) مزكين، المصدر نفسه، ص ٨٢، ومختصر، المصدر نفسه، ص ٢٠٨.

(١٣٥) طوقان، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، ص ١٠٤.

(١٣٦) جلّ، الحضارة العربية، ص ١١٠.

(١٣٧) أحمد بن عمر بن رسته، الأعلام النفيسة، المكتبة الجغرافية العربية؛ ٧ (لندن: مطبعة بريل،

١٨٩١)، ص ٢٣ - ٢٤.

اليوناني على رأس القائلين بهذا التأثير، إذ كان «يرى أن الأرض بما عليها من أحياء نتيجة لعمل القوى الساوية ونور منبعث من الدور العلوي، وصدر للانجسام الأولى بين الأفلاك»<sup>(١٣٨)</sup>. ومن هنا نشأ إلى جانب علم الفلك علم آخر هو علم الأحكام أو صناعة التنجيم. وبينما قام العلم الأول على الحساب والعقل والمنطق والتجربة، قام الثاني على الحدس والتخمين والاستنتاج، وكثير من الأوهام أحياناً. واعتبر أصحابه أن الأرض بما عليها من كائنات حية تتأثر بالقوى الفلكية، وأن من يتعمق بدراسة حركات الأفلاك من حيث اقترانها وافتراقها، واقترانها وابتعادها، وظهورها وأفولها، بمقدوره أن يستطلع ما تنبئ عنه تلك الأوضاع من حوادث وتأثيرات. ونظراً لما جبل عليه الإنسان من حب الاستطلاع والشغف الشديد بمعرفة ما تحبّه الأيام، فقد ازداد الاهتمام بالتنجيم عند العرب وأصبح له رجاله المختصون به البارعون باستخلاص دلائل حركات النجوم وأفلاكها، وقد وضعوا الكتب العديدة في موضوعه، واحتلوا مقاماً محترماً بين الناس. ومع أن الدين الإسلامي ينكر التنجيم ولا يقر الاعتقاد بعلاقة النجوم بما يجري على الأرض من أحداث وتغيرات، فإن ذلك لم يمنع شغف الخلفاء والقواد والوزراء وبقيّة الناس من استشارة المنجمين في كثير من أمورهم وأحوالهم. فكان الخلفاء يستشيرونهم في ما يزعمون القيام به من أعمال، أو يستعلمون منهم عن بعض الأمور المقبلة أو يسألونهم عن أمور مجهولة. كما كان الوزراء والأمراء والقواد والولاة يعتمدون في بعض حركاتهم وأعمالهم على ما تحكم به النجوم حسب ادّعاء المنجم.

أما تأثير علم التنجيم على علم الفلك فقد كان إيجابياً ساعد على تقدمه، لأن اهتمام الخلفاء في بغداد وسامراء بالتنجيم لم يكن يستغني عن الدراسات والأبحاث الفلكية للوقوف على حركات النجوم والأفلاك. وقد كان في بلاط الخلفاء عادة عدد من المنجمين يُختارون من كبار الفلاسفة وعلماء الرياضيات والفلك. فكان فيلسوف العرب يعقوب بن إسحاق الكندي، وثابت بن قرة، وسند بن علي، وأبو معشر، ومحمد بن أحمد بن كثير، والفضل بن حاتم، وهم من كبار الفلاسفة والرياضيين والمهندسين، من منجمي البلاط في بغداد وسامراء في القرن الثالث. وكان المنجمون الذين يختص بهم الخلفاء يعتبرون من موظفي الدولة كالأطباء، والكتاب، لهم رواتبهم وأرزاقهم<sup>(١٣٩)</sup>.

ويلاحظ أن المؤرخ اليعقوبي اعتاد أن يذكر عند مباحة كل خليفة مواقع الشمس والقمر والكواكب الأخرى ومنازلها من الأبراج بالدرجات والدقائق، منذ أن بويح الخليفة عمر بن الخطاب في أواخر جمادى الآخرة سنة ١٣ حتى مباحة المعتمد على الله في منتصف رجب سنة ٢٥٦. ولا نعرف ما إذا كان اليعقوبي يؤمن بالتنجيم وعلاقة الأفلاك بمصائر البشر، أم أنه وضع هذه المعلومات جرياً على الاعتقاد السائد يومئذ بأن ذلك يساعد منجمي

(١٣٨) ت.ج. دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريذة (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٨)، ص ١٤٤.  
(١٣٩) المحسن بن علي التنوخي، الفرج بعد الشدة (القاهرة: دار الطباعة المحمدية، ١٩٥٥)، ج ١، ص ٩٤.

الخلافة وغيرهم على تتبع الأحداث والتنبؤ بمدة خلافة الخليفة الجديد ومقدار عمره، وما سيكون من الأحداث في عهده.

ومن الطبيعي ألا يتحقق أغلب ما يتنبأ به المنجمون، بل قد يقع العكس منه. ولذا كان الناس - مع شغفهم بالتنجيم - بصورة عامة يرمونهم بالافتراء والاختلاق والدجل، ويتندرون عليهم، حتى لقد سرى المثل المشهور «كذب للنجمون ولو صدقوا». وهناك كثير من الأخبار عن عدم إصابة ما يحكم به المنجمون. فإن الخليفة المعتصم بالله لما تجهز لغزو بلاد الروم في سنة ٢٢٣ واستشار منجميه في أمر هذه الحملة، وجدوا بحساباتهم أن الوقت غير مناسب لأن مذهب هالي كان قد مرّ بالأرض في السنة السابقة فاعتبروا ذلك نذير شؤم. فاندروا الخليفة مغتبه خروجه، وأن جيوشه ستهزم. إلا أن المعتصم بالله، وهو العسكري الواصل من قوة جيشه عدة وعدداً، خرج بحملته متحدياً تحذيراتهم، وحقق انتصاراً باهرًا على الروم وافتتح مدينة عمورية مسقط رأس ملكهم وأكبر مدنها بعد العاصمة. فقال الشاعر أبو تمام الطائي الذي كان بصحبة الخليفة، بآتيته المشهورة رد فيها على تحذرات المنجمين ودعواهم، وأن الفتح الذي أراده الله تعالى قد جلّ وجه الجيش العربي، بعد أن تنبأ له المنجمون بالهزيمة. وهذه بعض أبيات من مطلع القصيدة<sup>(١٤٠)</sup>:

في خلدو الحد بين الجد والسلب  
مُتَوَيْنٌ جلاء السلك والريب  
بين الخمينين لا في السبعة الشهب  
صاغوه من زُخْرُفٍ فيها ومن كذب؟  
ليس بنبع إذا عُدَّتْ ولا غَرْبٍ  
عنهن في صَفَرِ الأُفْصَارِ أو رَجَبٍ  
إذا بدا الكوكب الغُربى ذو الدُنبِ  
ما دار في فلكٍ ينها وفي نُطْبِ  
نُظْمٍ من الشعر أو نثرٍ من الخطبِ

السيف اصدقُ إنباء من الكتب  
بيض الصفائح لا سواد الصفائح في  
والسيف في شهب الأرماع لامعة  
أين الرواية؟ بل أين النجوم وما  
تُخَرِّصُ وأحاديثاً ملففة  
عجائباً زعموا الأيام عجلة  
وتُخَوِّفُوا الناس من دهياء مظلمة  
يُخَفِّضُونَ بالأمس عنها وهي غافلة  
فتنح الفتوح تعال إن يحيط به

وجاء في تاريخ الطبري أن الخليفة الواثق بالله لما اشتدت علته التي مات فيها، أمر بإحضار المنجمين، فأحضر عامة من ينظر في النجوم، فنظروا في علته ونجمه ومولده، وقالوا: يعيش دهرًا طويلًا وقدروا له خمسين سنة مستقبلة. إلا أنه لم يلبث سوى عشرة أيام مات بعدها<sup>(١٤١)</sup>.

ومن أخبار التندر على المنجمين والتهكم من أحكامهم أن الخليفة المعتز بالله لما جلس على سرير الخلافة، اجتمع خواصه حوله، وأحضروا المنجمين وطلبوا إليهم أن ينظروا كم

(١٤٠) انظر كامل القصيدة، في: حبيب بن أوس بن تمام، ديوان أبي تمام، تحقيق وتعليق محمد عبد  
عزم، ج ٤، ذخائر العرب، ٥ (القاهرة: دار المعارف، [د.ت.]), ج ١، ص ٤٠ - ٧٤.  
(١٤١) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو  
الفضل إبراهيم، ذخائر العرب، ٣٠ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٠ - ١٩٦٨)، ج ٩، ص ١٥١.

سيعيش وكم يبقى في الخلافة. وكان بالجلوس أحد الظرفاء، فقال: أنا أعرف من هؤلاء المنجمين بمقدار عمره وطول حكمه، فقالوا: فكم تقول إنه يعيش ويملك؟ قال: مهما أراء الأثرالك<sup>(١١١)</sup>.

على أن المصادفة قد تلعب دورها، أو أن المنجم قد تتوفر له من المعلومات والدلائل عما لا علاقة له بالنجوم، فيبني نبوءته عليها فتصدق كلها أو بعضها. يقال إن الخليفة المستعين بالله استطلع رأي المنجم أبي معشر في أمر، كان أبو معشر على معرفة به، فأخبره بما سيكون من شأنه، فلما تحقق ذلك عاقب الخليفة منجمه، فكان أبو معشر يقول «است غرقت»<sup>(١١٢)</sup>.

## ب - نطاق التنجيم ووسائله

يقوم علم أحكام النجوم على أساس أن يكون لنجوم أو كواكب معينة - وهي في وضع معين من أفلاكها، وفي وقت معين - دلالة معينة أو ما بمعناها يستخلصها المنجم ليفضي بها إلى المستطلع الذي يلجأ إليه. ويحاول المنجم عادة أن يوفق بين الدلالات التي يتوصل إليها وبين ما يراه على ملامح المستطلع من أحاسيس، لتكون نبوءته أقرب إلى نفسه وأكثر قبولاً لديه. مما يستدعي أن يتميز المنجم بالإضافة إلى علمه، بقوة القراءة وسرعة الخاطر.

لقد رُتبت أوضاع النجوم الثابتة والكواكب المتحركة في خمس وأربعين صورة، منها اثنتا عشرة صورة في وسط الفلك وهي صور البروج الاثني عشر، ومنها تسع عشرة صورة شمالية، وأربع عشرة صورة جنوبية، وجعل للقمز ضمن هذه الصور ثمانية وعشرون منزلاً<sup>(١١٣)</sup>. وجعلوا لكل من الكواكب السيارة بيتاً، وشرفاً، واقتراًناً. فلبيت الكواكب برج ينسب إليه الكوكب، ولكل واحد من النيرين بيت واحد، ولكل واحد من الخمسة المتحركة بيتان: فالأسد بيت الشمس، والسرطان بيت القمر، والجدي والدلو بيتا زحل، والحوت والقوس بيتا المشتري، والحمل والعقرب بيتا المريخ، والثور والميزان بيتا الزهرة، والسنبلة والجوزاء بيتا عطارد<sup>(١١٤)</sup>.

وشرف الكوكب درجة يبلغها في أحد الأبراج، ويسمى شرف الكوكب أيضاً أوجّه وهو أعز موضع له، والمهبوط ضده. فشرف زحل في الميزان، وشرف المشتري في السرطان، وشرف المريخ في الجدي، وشرف الزهرة في الحوت، وشرف عطارد في السنبلة، وشرف

---

(١١٢) محمد بن علي بن طباطبا بن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية (مصر: مطبعة الموسوعات، ١٨٩٩)، ص ٢٢٠.

(١١٣) ابن التديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماؤهم، ص ٤٠٠.

(١١٤) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ١٢٣ - ١٢٤، وفيه أسماء الأبراج والمنازل.  
(١١٥) المصدر نفسه، ص ١٣٠، وأبو الريمان محمد بن أحمد البيروني، التفهيم لأوائل صناعة التنجيم، ترجمه إلى الإنكليزية ومزي ريت (لندن: مكتبة لوزاك، ١٩٣٤)، ص ٢٥٦.

الشمس في الحمل، وشرف القمر في الثور<sup>(١١٦)</sup>. ولكل واحد من الكواكب الخمسة بيت من حيز الشمس وبيت من حيز القمر. ووبال كل كوكب في مقابلة بيته<sup>(١١٧)</sup>.

واقتران الكوكب أن يكون مقارناً للشمس وبينها بضع دقائق فإذا بلغ الفرق ست عشرة دقيقة صار الكوكب في الصميم<sup>(١١٨)</sup>.

وقسموا البروج إلى أربعة أقسام يدعى كل قسم منها «المثلثة» وهي: «ثلاثة» أبراج تكون ناريات حارّات يابسات شرقيات، على طبيعة واحدة، وهي: الحمل والأمد والقوس. و«ثلاثة» ترابيات بارديات يابسات جنوبية، على طبيعة واحدة، وهي: الثور والسنبلة والجدي. و«ثلاثة» هوائيات حارات رطبات غربية، على طبيعة واحدة، وهي: الجوزاء والميزان والدلو. و«ثلاثة» مائيات بارديات رطبات شاليات على طبيعة واحدة، وهي: السرطان والعقرب والحوّت. ويكون أحد الأبراج المثلثة صاحبها مقدماً بالنهار، والثاني مقدماً بالليل، والثالث شريكها بالنهار والليل<sup>(١١٩)</sup>.

وهناك أوضاع مختلفة للكواكب والبروج يجب أن يلم بها من يتصدّى لعلم أحكام النجوم (التنجيم) منها:

- سير الكواكب وإقامتها ورجوعها: سير الكواكب طولاً هو سيرها في نطاق البروج، وسيرها عرضاً هو تباعدها عن نطاق البروج إلى ما يلي أحد القطبين. وإقامة الكواكب وقفتها قبل الرجوع. واستقامتها سيرها على نضد البروج. ورجوعها سيرها طولاً على خلاف نضد البروج<sup>(١٢٠)</sup>.

- الكواكب العلوية والسفلية: يطلق على زحل والمشتري والمريخ الكواكب العلوية، لأنها فوق الشمس، وعلى الزهرة وعطارد والقمر الكواكب السفلية لأنها تحت الشمس<sup>(١٢١)</sup>.

- السعدان والنحسان من الكواكب: يُسمى المشتري والزهرة السعدان، وزحل والمريخ النحسان<sup>(١٢٢)</sup>.

- حالات البروج: «الطالع» من البروج هو الذي يطلع من المشرق، و«الغارب» نظيره الذي يغرب في أفق المغرب. و«وسط السماء» هو البرج الذي يتوسط السماء، و«وتد

---

(١١٦) الخوارزمي، المصدر نفسه، ص ١٣١؛ رسائل اخوان الصفاء، ج ١، ص ١٢٠، والبيروني، المصدر نفسه، ص ٢٥٨.

(١١٧) رسائل اخوان الصفاء، ج ١، ص ١٢٠.

(١١٨) الخوارزمي، المصدر نفسه، ص ١٣٠.

(١١٩) المصدر نفسه، ص ١٣١؛ رسائل اخوان الصفاء، ج ١، ص ١١٩، والبيروني، التفهيم لأوائل صناعة التنجيم، ص ٢٥٩.

(١٢٠) الخوارزمي، المصدر نفسه، ص ١٢٨.

(١٢١) المصدر نفسه، ص ١٣٣.

(١٢٢) المصدر نفسه، ص ١٣٢، والبيروني، المصدر نفسه، ص ٢٣٢.

الأرض» نظيره وهو الذي تحت وسط الأرض. ويطلق على هذه الحالات الأربع اسم «الأوتاد الأربعة». وتسمى البروج التي تلي الأوتاد «ما يلي الأوتاد». وتسمى الأربعة التي تليها السواقط والزوائل<sup>(١٣٦)</sup>.

ويعتبر الطالع بيت النفس، والذي يليه بيت المال، والثالث بيت الإخوة، والرابع بيت الآباء، والخامس بيت الولد، والسادس بيت المرض والعبيد، والسابع بيت النساء، والثامن بيت الموت، والتاسع بيت السفر والذين، والعاشر بيت السلطان والعمل، والحادي عشر بيت الأصدقاء، والثاني عشر بيت الأعداء<sup>(١٣٧)</sup>.

وهناك اصطلاحات عدة لأوضاع الكواكب وحالاتها، منها: المزاومة، والابتزاز، والاستعلاء، والحصار، والتشريق، والتغريب، والدستورية، والهيلاج، والتسيير. واصطلاحات لأوضاع خاصة يستنتج منها حالات النحس والسعادة، ومقدار العمر، والرزق، وغيرها<sup>(١٣٨)</sup>.

### ج - آلات التنجيم

أما الآلات والعُدَد التي يستعين بها المنجم للوصول إلى المعلومات الفلكية والتنجيمية الآتفة الذكر، فهي بعض الأجهزة مما يستخدمه علماء الفلك في المراصد الفلكية. وإمهما: الاصطلاحات، وذات السمات والارتفاع، والربع المجيب، والمحلق، والكرة. وقد سبق وصف هذه الأجهزة.

كما صُنِفَت كتب تنجيمية مثل كتب الاختيارات أو ما يسمى كتب الدلالات، وكتب القرائنات. وهي نفس الأوضاع المختلفة للبروج والأفلاك في مختلف الأوقات، كما كانوا يزعمون. وأكثر مصنفات أبي معشر في هذه المواضيع، منها: كتاب القرائنات، وكتاب الاختيارات<sup>(١٣٩)</sup>. وصنف الأبي الحسن بن إبراهيم كتاب الاختيارات وقد عمله للخليفة المأمون<sup>(١٤٠)</sup>. وصنف محمد بن البازيار كتاب القرائنات<sup>(١٤١)</sup>. وصنف الفضل بن نوبخت كتاب القائل النجوم<sup>(١٤٢)</sup>.

(١٣٣) الخوارزمي، المصدر نفسه، ص ١٣٢.

(١٣٤) المصدر نفسه.

(١٣٥) المصدر نفسه، ص ١٣٣ - ١٣٤.

(١٣٦) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٤٠٠ - ٤٠١. ويقصد بكتب الاختيارات كتب التنجيم، ويكتب الدلالات أحكام النجوم.

(١٣٧) المصدر نفسه، ص ٣٩٨.

(١٣٨) المصدر نفسه، ص ٣٩٩.

(١٣٩) المصدر نفسه، ص ٣٩٧.

## د - الشريعة والتنجيم

مع أن علم أحكام النجوم قد استقرت أسسه، واختص به فلاسفة وعلماء رياضيون وفلكيون وأدباء من المشهورين، إلا أن موقف الشريعة الإسلامية منه كان ينكروه وينكفر الفائلين به. ولعل ما ذكره ابن خلدون حول هذا الموضوع خير ما يمثل ذلك. قال «إن تأييد الكواكب فيما تحتها باطل، إذ قد تبين في باب التوحيد أن لا فاعل إلا الله، بطريق استدلال... واحتج له أهل علم الكلام بما هو غني عن البيان، من أن اسناد الأسباب إلى المسببات مجهول الكيفية، والعقل منهم على ما يقضي به فيما يظهر بادية الرأي من التأثير... سيما والشرع يردّ الحوادث كلها إلى قدرة الله تعالى ويبرأ عما سوى ذلك. والنبوءات أيضاً منكورة لشأن النجوم وتأثيراتها. واستقراء الشرعيات شاهد بذلك في مثل قوله: إن الشمس والقمر لا يفسدان لموت أحد ولا لحياته... فقد بان لك بطلان هذه الصناعة من طريق الشرع وضعف مداركها مع ذلك من طريق العقل، مع ما لها من المضار في العمراني الإنساني... فينبغي أن أخطر هذه الصناعة على جميع أهل العمران، لما ينشأ عنها من المضار في الدين والدول»<sup>(١٦٠)</sup>.

وقد حاول إخوان الصفاء وخلان الوفاء أن يدافعوا عن التنجيم، وينفوا صفة ادعاء العلم بالغيب عن المنجمين، باعتبار أن ما يتنبأون به إنما هو استقراء مبني على الخبرة والمعرفة. فقد جاء في الرسالة الثالثة من القسم الرياضي، أن كثيراً من الناس يظنون أن علم أحكام النجوم هو ادعاء الغيب، وليس الأمر كما ظنوا؛ لأن علم الغيب هو أن يعلم ما يكون بلا استدلال، ولا علل ولا سبب من الأسباب، وهذا لا يعلمه أحد إلا الله عز وجل. فأما علم النجوم على رأيهم فهو اكتساب من الإنسان وتكلف منه وجهد واجتهاد في تعلم العلم وطلبه. وهكذا الزجر والفأل والنظر في الكف وضرب الحصى والكهانة والقيافة والعرافة وتأويل المنامات وما شاكلها، كلها يحتاج الإنسان فيها إلى التعلم والنظر والفكر والرؤية والاعتبار. وهذا الفن يتفاضل فيه الناس بعضهم على بعض<sup>(١٦١)</sup>. وهم بهذا يفسرون التنجيم بأنه اجتهد المنجم بأحوال تكون عليها الأفلاك والبروج والكواكب، وليس علماً بالغيب. إلا أن موقف الشريعة منه واضح كما أشرنا.

## ٤ - أشهر الفلكيين والمنجمين

اشتهر في القرن الثالث عدد كبير من الفلكيين والمنجمين. وكان بعضهم قد اشتغلوا بالرصد الفلكي وصنفوا كتباً فيه، كما عمل بعضهم بالتنجيم، ووضع كتباً في هذه الصناعة. بينما اقتصر البعض الآخر على التصنيف في الموضوعين أو في أحدهما دون الممارسة. ونعرض في هذا الفصل موجزاً عن توفرت معلومات كافية عنهم، بحسب تسلسلهم الزمني.

ويمكن اعتبار أصحاب الأروصاد والمنجمين الذين انتدبهم الخليفة المأمون في سنة ٢١٥ للعمل بالرصد واصلاح آلاته في مرصد الشباسة ببغداد، ومرصد جبل قاسيون بدمشق،

(١٦٠) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ٣٠٠.

(١٦١) رسائل إخوان الصفاء، ج ١، ص ١٥٣ - ١٥٤.

طليلة العلماء الفلكيين والمنجمين في هذا القرن، وقد صنفوا جداول فلكية (أزياج) اشتهرت بأسمائهم، إلى جانب كتب أخرى، وهم:

#### أ - سند بن علي

الرياضي المهندس، كان منجماً خبيراً بتسيير النجوم والأرصاء، وقد جعله المأمون في جملة منجميه، وانتدبه على الأرصاد كلها<sup>(١١١)</sup>. وهو من أوائل من عمل بالرصد عندما طلب إليه المأمون العمل على رأس جماعة من الفلكيين، في المرصد المأموني بالشامية ومرصد جبل قاسيون بدمشق، فأصلح آلات الرصد وحقق مواضع بعض الكواكب والنيرين. وله زيج مشهور عمل به المنجمون في زمانه وبعده. وله تصانيف في النجوم والحساب، منها كتاب المنفصلات والمتوسطات. وكان معاصراً للفيلسوف المهندس ثابت بن قرة الحراني، وبينهما مساجلات ومداولات<sup>(١١٢)</sup>.

#### ب - يحيى بن أبي منصور

من موالى المأمون وقد أسلم على يده، وقد تقدّم مركزه عند الخليفة لما لمس من سعة معرفته بأحكام النجوم وخبرته بتسيير الكواكب. وكان من جملة من انتدبهم الخليفة للعمل بعمية سند بن علي وآخرين للعمل في الرصد بمرصدي الشامية وجبل قاسيون. وله من التصانيف كتاب الزيج المتحن، وهو نسختان، وكتاب مقالة في عمل ارتفاع سدس ساعة لعرض مدينة السلام، وكتاب يحتوي على أرصاده، ورسائل إلى جماعة في الأرصاد.

توفي يحيى في خروجه إلى طرسوس، ودفن بحلب في مقابر قریش، وكانت وفاته في سنة ٢٢٠هـ<sup>(١١٣)</sup>.

#### ج - العباس بن سعيد

الملقب بالجوهري، كان من جملة أصحاب الأرصاد، خبيراً بالتسيير والحسابات الفلكية، ومهماً بصناعة بعض آلات الأرصاد. وهو من أوائل الذين قاموا بالرصد، عندما انتدبه المأمون مع فلكيين آخرين للعمل في المرصد المأموني في الشامية ببغداد ومرصد جبل قاسيون بدمشق. فحقق مواضع بعض الكواكب السيارة والنيرين، وعمل على ذلك زيجاً

---

(١١٢) ابن النديم، الفهرست في إخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٣٩٧.

(١١٣) المصدر نفسه، ص ٣٩٧-٣٩٨، والقفطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات للقطعات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ١٠٢ و ٢٠٦.

(١١٤) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٢١١ و ١٣٩٨، القفطي، المصدر نفسه، ص ٣٥٧-٣٥٩، والزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ٩، ص ٢١٩.



اشتهر باسمه عند الفلكيين. وكان الغالب عليه علم الهندسة، وله فيه مصنفات سبق أن أشرنا إليها<sup>(١١٥)</sup>.

#### د - خالد بن عبد الملك

أحد المشتغلين بعلم النجوم، ومن كانوا في الجعاعة التي انتدبها المأمون برياسة سند بن علي للقيام بالرصد وإصلاح آلات الرصد، في مرصدي الشامية وجبل قاسيون<sup>(١١٦)</sup>.

#### هـ - حبش الحاسب

ومن كان من أصحاب الأرصاد في أيام المأمون «حبش الحاسب» وهو لقب غلب عليه، واسمه أحمد بن عبد الله، عاصر الخليفتين المأمون والمعتصم بالله، وتوفي سنة ٢٢٠. وكان متقدماً مشهوراً في حساب تسيير الكواكب<sup>(١١٧)</sup>. قال عنه القاضي صاعد الأندلسي إنه ممن اشتهر بعلم حركات النجوم وهيئة العالم، وله ثلاثة أزياج: أولها المؤلف على مذهب السند هند، وقد خالف فيه الفزاري والخوارزمي في عامة الأعمال، واستعمله حركة إقبال فلک البروج وإدباره على رأي ثاون الاسكندراني ليصلح بها مواضع الكواكب في الطول. وكان تأليف هذا الزيج أول مرة في أيام كان سائداً فيها حساب السند هند. والثاني المعروف بـ«المتحن» وهو أشهر كتبه، ألفه بعد أن مارس الرصد، وضمّنهُ حركات الكواكب على ما يوجبه الامتحان في زمانه. والثالث الزيج الصغير. وله كتاب حسن في العمل بالإصطرلاب<sup>(١١٨)</sup>.

وقد أثنى البيروني على طريقة حبش في احتسابه رؤية الهلال في زيجه المتحن وسمّاه الحكيم حبش. ويقول: وعملت كتاباً وسميته تكميل زيج حبش بالعلل وتهذيب أعماله من الزلل<sup>(١١٩)</sup>.

ولحبش عدد من المصنفات في علم الفلك وآلات الرصد والقياس، منها: كتاب عمل الإصطرلاب، وكتاب الأبعاد والأجرام، وكتاب الزيج الدمشقي، وكتاب الزيج المأموني،

---

(١١٥) ابن التديم، المصدر نفسه، ص ٣٩٣، والقفطي، المصدر نفسه، ص ٢١٩.

(١١٦) القفطي، المصدر نفسه، ص ٢١٩ و ٢٤٢.

(١١٧) المصدر نفسه، ص ١٧٠، ابن التديم، المصدر نفسه، ص ٣٩٨، والبغداد، هدية العارفين:

أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ١، ص ٢٧.

(١١٨) أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي، طبقات الأمم، نشره وذيّله بالخراساني وأردفه بالروايات

لـ«لويس شيخو اليسوعي» (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩١٢)، ص ٥٤.

(١١٩) أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية، تحقيق إدوار سخاو

(ليزيك: ادوارد سخاو، ١٩٢٣)، ص ١٩٨ و ٤٠ على التوالي.

وكتاب الرخائم والمقاييس<sup>(١٧٠)</sup>. ويقول البيروني إن هذين الزيجين قد يكونان كناية عن الزيج الممتحن<sup>(١٧١)</sup>.

وتلت هذه الطبقة من طليعة الراصدين جماعة من العلماء والفلاسفة كانوا أبرز الفلكيين والمنجمين في هذا القرن وقد جمعوا بين العلم والعمل في ميزان علم الفلك، فكانت لهم أرصاد سجلوا نتائجها وحققوا عديدا من القضايا الفلكية، كما مارس بعضهم التنجيم.

## و- الكندي

تميز يعقوب بن اسحاق الكندي بتعدد العلوم التي عني بدراستها إلى جانب الفلسفة التي برع فيها وحاز قصب السبق في أفانيتها. ومن العلوم التي برز فيها علم النجوم بقسميه، الفلك والتنجيم. وكانت له دراسات وأرصاد فلكية تُرسل بها إلى بعض الأراء المهمة. فقد رصد المذنب هالي الذي ظهر في سنة ٢٢٢ وتتبّع حركته ووضع أربع رسائل عنه، هي<sup>(١٧٢)</sup>: رسالة في الكوكب الذي ظهر ورصده أياماً حتى اضمحل، ورسالة في الكوكب ذي الذؤابة، ورسالة في الأثر الذي يظهر في الجو ويسمى كوكباً، ورسالة في ما رصد من الأثر العظيم في سنة ٢٢٢. واعتبره بعض المؤرخين واحداً من ثمانية، هم أئمة العلوم الفلكية في القرون الوسطى، وقال عنه العالم الشهير رودجر بيكون: إن الكندي والحسن بن الهيثم في الصف الأول مع بطليموس<sup>(١٧٣)</sup>.

وكانت منازل القمر عند العرب قبل الإسلام تشتمل على بعض الكواكب الخارجة عن صور البروج الاثني عشر، كما أنها كانت غير متساوية في الطول. إلا أن علماء الفلك العرب أخذوا في القرن الثالث تقسيم المنازل الهندي وهو سبعة وعشرون منزلاً، وسموها بالأسماء العربية القديمة نفسها. ويعتبر الكندي أول من أتبع هذا المنهج الهندي في تقسيم فلك البروج إلى سبعة وعشرين منزلاً، طول كل منزل ثلاث عشرة درجة وثلاثا الدرجة، أي في كل برج منزلان وربع المنزل، ويبدو ذلك واضحاً في رسالته المسماة في علل القوى المنسوبة إلى الأشخاص العالية الدالة على المطر<sup>(١٧٤)</sup>، ومن أتبع الكندي في تقسيمه هذا من الفلكيين المعاصرين له أبو معشر، فقد صنّف كتاباً في الأمطار والرياح وتغير الأهوية وقد وضعه على مذهب الهند في تقسيم البروج، كما أن البتاني حاول تعديل ما قام به الكندي فقسّم فلك

---

(١٧٠) ابن التديم، الفهرست في اخبار العلماء المصنّفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٣٩٨، والقفطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمّى بالمنتخبات المنتقاة من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ١٧٠.

(١٧١) طوقان، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، ص ٩٦.

(١٧٢) ابن التديم، المصدر نفسه، ص ٣٧٨، القفطي، المصدر نفسه، ص ٣٧٤، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٩٢.

(١٧٣) طوقان، المصدر نفسه، ص ٩٢.

(١٧٤) علم الفلك عند العرب، ص ١١٧ - ١١٨.

البروج إلى ثمانية وعشرين منزلاً متساوياً وجعل لكل منزل اثنتي عشرة درجة وستة أسابيع الدرجة، فوقع لكل برج منزلان وثلاث المنزل<sup>(١٧٤)</sup>.

وكان الكندي إلى جانب اهتمامه بعلم الفلك منجّياً ماهراً، فكان منجّم بلاط الخلافة منذ عهد هارون الرشيد حتى أيام المتوكل على الله. وهو يرى أن الأشخاص العالية، ويسمّيها أحياناً الأشخاص السهاوية، ويقصد بها الأجرام السهاوية، تؤثر في الكائنات الأرضية مما يقع تحت الكون والفساد. على أنه يرى أيضاً أن هذه الأشخاص لم يكن لها أي تأثير في علّة الكيفيات الأولى، أي القوة المبدعة الخالقة. وذلك واضح من رسالته في هذا الموضوع رسالة في الإبانة أن الاختلاف الذي في الأشخاص العالية ليست علّة الكيفيات الأولى كما هي علّة ذلك في التي تحت الكون والفساد، ولكن علّة ذلك حكمة مبلّغ الكل عز وجل<sup>(١٧٥)</sup>. بل إن الكندي يعتقد أيضاً أن لحركات النجوم في أوضاع معينة تأثيراً على منفعة الطب والعلاج للإنسان، وقد أوضح ذلك في رسالته في الإبانة عن منفعة الطب إذا كانت صناعة النجوم مقرونة بدلائلها<sup>(١٧٦)</sup>.

وصنّف الكندي في علم النجوم إضافة إلى ما ذكر عدداً آخر من الكتب والرسائل تتعلق بالأفلاك والكواكب والأبراج. ومن هذه الكتب: كتاب رسالة في تركيب الأفلاك، وكتاب في أن طبيعة الفلك مخالفة لطبائع العناصر الأربعة وأنها طبيعة خامسة، ورسالة في المناظر الفلكية، ورسالة في سرعة ما يرى من حركة الكواكب إذا كانت في الألف وإبطائها كلما غلّت، وكتاب في إيضاح علّة رجوع الكواكب، ورسالة في رجوع الكواكب المتحيرة، ورسالة في ما ينسب إليه كل بلد من البلدان إلى برج من البروج وكوكب من الكواكب، ورسالة في علل الأوضاع النجومية، ورسالة في أن رؤية الهلال لا تضبط بالتحقيق وإنما بالقول فيه بالتقريب، ورسالة في منفعة صناعة الأحكام ومن الرجل المسمى منجّماً بالاستحقاق، ورسالة في الاستدلال بالكسوفات، ورسالة في تقدم المعرفة بالاستدلال بالأشخاص السهاوية، ورسالة في دلائل التحسين في برج السرطان<sup>(١٧٧)</sup>. ويسمّيها ابن أبي أصيبعة رسالة في اقتران التحسين في برج السرطان ويقول إن هذه الرسالة هي نفسها رسالته في الإخبار عن كمية ملك العرب<sup>(١٧٨)</sup>. ويبحث الكندي في هذه الرسالة في اقتران زحل الذي هو النحس الأكبر بالمريخ، الذي هو النحس الأصغر، في برج السرطان. وهذه الحالة عند

---

(١٧٥) المصدر نفسه، ص ١١٨ - ١١٩.

(١٧٦) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنّفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم،

ص ٣٧٩، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٩٣.

(١٧٧) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٩١.

(١٧٨) حول كتبه في علم النجوم، انظر: المصدر نفسه، ص ٢٩٠ - ٢٩٢؛ القفطي، تاريخ الحكماء:

وهو مختصر الزواري المسمى بالمتنبيات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٣٧٠ - ٣٧٢،

وإبن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٧٣ - ٣٧٦.

(١٧٩) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٩١.

المنجمين مشؤومة لأنها دليل نحس، وأن الكندي تنبأ في رسالته المذكورة عن مقدار ملك العرب ونهايته.

ويقول ابن خلدون عن هذه الرسالة إن يعقوب بن اسحاق الكندي وضع كتاباً سماه الشيعة الجفر باسم الكتاب المنسوب للإمام جعفر الصادق، ذكر فيه في ما يقال، أحداث دولة بني العباس وأشار إلى أنها ستقصر في انتصاف المئة السابعة<sup>(١٨٠)</sup>. ومن المعروف أن التتار هاجموا الدولة العربية بقيادة هولاكو ودخلوا بغداد وقتلوا الخليفة المستعصم بالله آخر خليفة عباسي، في سنة ٦٥٦.

### ز - بنو موسى

قال عنهم القاضي صاعد الأندلسي «وكانوا جميعاً من المتقدمين في علم الفلسفة وهيتة الأفلاك وحركات النجوم»<sup>(١٨١)</sup>، وكنا أشرنا في فصول سابقة إلى مآثرهم في الترجمة وفي العلوم الرياضية. وكانت لهم جهود بارزة كذلك في علم النجوم. فقد أقاموا مرصداً على طرف الجسر المتصل بباب الطاق ببغداد وحققوا نتائج فلكية مثيرة. منها أنهم استخرجوا حساب العرض الأكبر من عروض القمر، وقاسوا عرض مدينة بغداد في سنة ٢٤٥ وثبتوه بثلاث وثلاثين درجة وعشرين دقيقة، وهو قريب جداً من العرض الحقيقي<sup>(١٨٢)</sup>. كما ساهموا في القياس بقياس محيط الكرة الأرضية.

وكان محمد المتوفى سنة ٢٥٩، أكبر إخوته، متقدماً في علم الفلك وله من الكتب فيه، كتاب حركة الفلك الأولى، وتقويمات لمواضع الكواكب السيارة، في ضوء الأرصاد التي أجراها<sup>(١٨٣)</sup>.

أما أوسطهم أحمد بن موسى فله في علم الفلك كتاب مهم هو كتاب الجزء وقد بين فيه بطريق تعليمي ومذهب هندسي أنه ليس في خارج كرة الكواكب الثابتة كرة تاسعة<sup>(١٨٤)</sup>.

### ح - ثابت بن قرّة

كان ثابت مع شهرته في الفلسفة والهندسة فلكياً منجماً متميزاً، له منجزات ومصنفات عدة في علم الفلك. لقد كانت له أرصاد مهمة للشمس قام بها برصد بغداد وجمعها في كتاب بين فيه مذهبه في سنة الشمس وما توصّل إليه عن أوجها وحركتها بصورة

---

(١٨٠) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ١٨٤.

(١٨١) الأندلسي، طبقات الأمم، ص ٥٥.

(١٨٢) طوقان، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، ص ١٠٥ و ١١٠.

(١٨٣) المصدر نفسه، ص ١٠١، والبغدادي، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ٢، ص ١٦.

(١٨٤) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٢٩٣، والبغدادي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٠.

تعديلها<sup>(١٨٥)</sup>. والكتاب هو رسالة في سنة الشمس<sup>(١٨٦)</sup>. وكنا أشرنا في فصل سابق من هذا الباب إلى توصله إلى معرفة طول السنة النجمية وإلى وجود حركتين لنقطة الاعتدال. كما قام بأرصاد مشتركة مع أبناء موسى بن شاكر في مرصدهم، فدرس آثاراً ظهرت في الجو وأحوالاً كانت في الهواء<sup>(١٨٧)</sup>.

ولثابت كتب فلكية أخرى تتعلق بالأفلاك عامة، وبالشمس والقمر خاصة، ومنها: كتاب في تركيب الأفلاك وخلقتها وعددها وعدد حركات الجهات لها والكواكب فيها ومبلغ سيرها والجهات التي تتحرك فيها. وهو كتاب واسع عن الأفلاك. وكتاب في إبطاء الحركة في فلك البروج وسرعتها وتوسطها بحسب الموضع الذي يكون فيه من الفلك الخارج المركز. وكتاب في ما يظهر في القمر من آثار الكسوف وعلاماته، وكتاب في علة كسوف الشمس والقمر، يقول عنه القفطي إنه من كتبه الموصوفة. وكتاب في رؤية الأهلة من الجداول، وكتاب في ما أغفله (ثاؤون) في حساب كسوف الشمس والقمر<sup>(١٨٨)</sup>. وله كتب عديدة أخرى في الأرباب باللغتين العربية والسريانية<sup>(١٨٩)</sup>. هذا بالإضافة إلى جهوده في تبسيط المجسطي وجعله سهل التداول.

وقد سبق أن ذكرنا أن ثابت بن قرة كان منجياً في بلاط الخليفة المعتضد بالله، وكان مقرباً إليه، مبيجلاً لديه. وله في علم الأحكام كتابان مهمان هما: كتاب في طبائع الكواكب وتأثيراتها، وكتاب في محنة حساب النجوم<sup>(١٩٠)</sup>.

## ط - البتاني

أبو عبد الله محمد بن جابر بن سنان الحراني المعروف بالبتاني نسبة إلى بتان إحدى قرى حران، وقد وُلد فيها وعاش أكثر أيامه في الرقة التي ينسب إليها أحياناً، من مشاهير علماء العرب في الفلك والرياضيات. وقد ابتدأ الرصد، كما قال هو عن نفسه منذ سنة أربع وستين ومئتين إلى سنة ست وثلاثمئة، وأثبت الكواكب الثابتة في زيجه في سنة ٢٩٩<sup>(١٩١)</sup>. يقول عنه صاعد الأندلسي «أحد المشهورين برصد الكواكب، والمقدمين في علم الهندسة وهيئة الأفلاك وحساب النجوم وصناعة الأحكام... ولا أعلم أحداً في الإسلام بلغ مبلغه في تصحيح أرصاد الكواكب وامتحان

---

(١٨٥) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٩٥.

(١٨٦) المصدر نفسه، ص ٢٩٩، والقفطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمختبرات المنقذات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ١١٨.

(١٨٧) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٩٩.

(١٨٨) حول كتبه في علم الفلك، انظر: المصدر نفسه، ص ٢٩٩، والقفطي، المصدر نفسه، ص ١١٧ - ١١٨.

(١٨٩) القفطي، المصدر نفسه، ص ١١٩، وابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٣٠٠.

(١٩٠) القفطي، المصدر نفسه، ص ١١٧، وابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٩٩.

(١٩١) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٤٠٣، والقفطي، المصدر نفسه، ص ٢٨١.

حركاتها، وله بعد ذلك عناية بأحكام النجوم»<sup>(١٩٢)</sup>. ويقول عنه ابن خلكان «صاحب الزيج الصالح»، له الأعمال العجيبة والأرصاء المتقنة، وكان أوجد عصره في فنه. وأعماله تدل على غزارة فطرته وسعة علمه»<sup>(١٩٣)</sup>. وقال عنه سارتون: «إنه من أعظم علماء عصره، وأبغ علماء العرب في الملك والرياضيات، ووصل إعجاب لالاند، العالم الفرنسي، ببحوث البتاني ومآثره إلى درجة جعلته يعد من العشرين فلكياً المشهورين في العالم كله»<sup>(١٩٤)</sup>.

وكان البتاني قد قدم إلى بغداد مع وفد من بني الزياري، في عهد الخليفة المقتدر بالله، لرفع ظلامه كانت لهم، فلما رجع مات في الطريق عند قصر الجص قرب سامراء في سنة ١٧٣١٩٩. وقد وهم ابن خلكان حين سباه قصر الحفر.

أرصاده: اشتغل البتاني برصد الكوكب مدة ٤٢ عاماً، أقام في خلالها بمدينة الرقة على نهر الفرات، يراقب من مرصدها الأفلاك والنجوم ويتتبع حركاتها ويسجل كل ما يراه يومياً، مما جعل لأرصاده أهمية خاصة. وقد تناولت أرصاده أول ظهور القمر، وميلان فلك البروج، وطول المدارين، والسنة النجمية، والخصائص القمرية، والخصوفات والكسوفات، واختلاف المناظر»<sup>(١٩٥)</sup>. وقد استهدى في أرصاده بذهب بطليموس المبين في كتابه المجسطي، فيقول «أجريت في تصحيح ذلك وإحكامه على مذهب بطليموس في الكتاب المعروف بـ المجسطي، بعد انعام النظر وطول الفكر والرؤية مفتعياً أثره متبهماً ما رسمه، إذ كان قد تقصى ذلك من وجوهه ودل على الملل والأسباب العارضة فيه بالبرهان الهندسي والمدعي الذي لا تدفع صحته ولا يُشكَّ في حقيقته فأمر بالحنة والاعتبار بعده. وذكر أنه قد يجوز أن يُستدرك عليه في أرصاده على طول الزمان كما استدرك هو على إريخنس وغيره من نظرائه لجلالة الصناعة ولأنها مسألة جسيمة لا تدرك إلا بالتقريب»<sup>(١٩٦)</sup>.

ورغم عدم توفر الآلات الدقيقة آنذاك فقد أنجز البتاني في أرصاده ما لا يزال موضع إعجاب المختصين. وساعده على ذلك مهارته في الهندسة والفلك وحساب النجوم، وكان قد جمع بينها بدرجة عالية من التفوق. وأهم ما أنجزه أنه صحح بعض ما توصل إليه بطليموس، مثل قيمة الاعتدالين الصيفي والشتوي، وميل فلك البروج على فلك معدل النهار فوجدها نتيجة حسابه (٧٣) درجة و (٣٥) دقيقة، وهي تقل عما يعرفه الفلكيون في أيامنا بدقيقة واحدة، وحسب طول السنة الشمسية فوصل إلى مقدار مضبوط يقل بدقيقتين واثنين وعشرين ثانية عما هو معروف اليوم، وصحح بعض حركات القمر والكواكب السيارة، كما توصل إلى التثبت من مدافع كثير من النجوم. وعين أوقات حدوث الكسوف

(١٩٢) الأندلسي، طبقات الأمم، ص ٥٥.

(١٩٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٤، ص ٢٥٠.

(١٩٤) طرزان، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، ص ١٢٣.

(١٩٥) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم،

ص ٤٠٤، وابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٥٠.

(١٩٦) أرنولد وآخرون، تراث الإسلام، ص ٥٧٩.

(١٩٧) البتاني، الزيج الصالح، ص ٧.

وإثبت احتمال حدوث الكسوف الحلقي للشمس، وقد استفاد علماء الغرب من أرصاده للكسوف والخسوف في تحديد تسارع القمر في حركته خلال قرن من الزمن<sup>(١٨)</sup>.

وبنتيجة أرصاده وضع البتاني كتاب الزيج المشهور باسمه، وقد ضمّنه خلاصة ما توصّل إليه في أرصاده، مع جداول ورسوم فلكية توضيحية وضعها بدرجة عالية من الدقة والإتقان. اعتمد البتاني في تنظيم زيجه هذا على نتائج تحقيقاته الفلكية ومعلوماته الرياضية. ويعتبر أول زيج عربي يحتوي على معلومات صحيحة دقيقة. وقد قيل إنه أصبح من زيج بطليموس، وأنه من أنفس الكتب، وأن البتاني توفّق في بحثه عن حركة الشمس توفيقاً عظيماً<sup>(١٩)</sup>. وتبدو دقة البتاني في أرصاده الفلكية، وما بذله من جهود، وما كابده من مشقة وصبر، في قوله «ووضعت في ذلك كتاباً أوضحت فيه ما استعجم وقتحت ما استغلق ويئت ما أشكل من أصول هذا العلم وشذ من فروعه وسهّلت به سبيل الهداية لمن يتأثر به ويعمل عليه في صناعة النجوم. وصحّحت فيه حركات الكواكب ومواضعها من منطقة فلك البروج على نحو ما وجدتها بالرصد وحساب الكسوفين وسائر ما يحتاج إليه من الأعمال»<sup>(٢٠)</sup> ثم يقول في خاتمة الكتاب «ولما تصبّ الأشياء التي هذه سبيلها إذا كان القياس بالثنتين متفتّين في سائر أمورهما أو بالة واحدة صحيحة لم تتغير عن الحالة الأولى في شيء من الأشياء، وإن الذي يكون فيها من تقصير الإنسان في طبيعته عن بلوغ حقائق الأشياء في الأفعال كما يبلغها في القوة يكون يسيراً غير محسوس عند الاجتهاد والتحورّز، ولا سيما في المدد الطوال. وقد يعين الطبع وتُساعد الممة وصدق النظر وإعمال الفكر والصبر على الأشياء، وإن عسر إدراكها...»<sup>(٢١)</sup>. وقد ترجم كتاب الزيج الصابئ إلى اللغة اللاتينية بلاتو التيفولي (Plato of Tivoli) حوالي سنة ١١٥٠م<sup>(٢٢)</sup>.

ولعرفة طريقة بحث البتاني في الكتاب، وما انطوى عليه من المواضيع، ونهجه في ذلك نرى أن نعرض لمحتواه بإيجاز:

يتضمن الكتاب سبعة وخمسين باباً، حُصّص الأول منها لمقدمة الكتاب التي يبيّن فيها المصنّف خطته في تأليفه وأسباب وضعه، يقول إنه وقف «على اختلاف الكتب الموضوعة لحركات النجوم وما فيها على بعض واضعها من الخلل... وما اجتمع في حركات النجوم على طول الزمان لما قيس أرصادهما إلى الأرصاد القديمة وما وجد في ميل فلك البروج عن فلك النهار من التقارب وما تتغير بتغيره من اصناف الحساب وأقدار أزمان السنين وأوقات الفصول. فأجرى تصحيح ذلك وأحكمه على مذهب بطليموس في كتابه المجسطي مقتفياً أثره ومتبناً ما رسمه»<sup>(٢٣)</sup>.

وأبرز أبواب الكتاب الأخرى حسب أهمية المواضيع التي تضمنتها [البابان الرابع والخامس] ويبحثان في معرفة ميل فلك البروج عن فلك معدل النهار وتجزئة هذا الميل وجهاته

(١٨) طوقان، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، ص ١٢٤.

(١٩) المصدر نفسه، ص ١٢٦.

(٢٠) البتاني، المصدر نفسه، ص ٧.

(٢١) المصدر نفسه، ص ٢٠٩.

(٢٢) أرنولد [وآخرون]، تراث الإسلام، ص ١٧٩.

(٢٣) البتاني، المصدر نفسه، ص ٧.

ومراتبه في صعوده وهبوطه، وهو ميل الشمس على الفلك المستقيم، وفي معرفة مطالع البروج في الفلك المستقيم. و[البابان الثامن عشر والسادس والعشرون] في معرفة أبعاد الكواكب على فلك معدل النهار وما يتوسط السماء معها من أجزاء البروج، ومعرفة أبعاد ما بين الكواكب في رسمها في الفلك ومواقع بعضها من بعض، وبه يعلم بُعد القمر عن الشمس على الحقيقة بحسب عرض القمر. و[الباب السابع والعشرون] في معرفة مقدار أزمان السنة ومسير الشمس فيها. و[الباب الثلاثون] في صفة أفلاك القمر واختلاف حركاته وزيادة ضوئه ونقصانه، وعلل الكسوفين، وأبعاد النيران عن مركز الأرض وأقطارها وعظم أجرامها إذا قيسا إلى الأرض. و[الباب الثاني والثلاثون] في معرفة تاريخ العرب والروم والقيط والفرس وتحويل بعضها إلى بعض. و[الباب الحادي والأربعون] في رؤية الهلال في أوائل الشهور وأواخرها وسمت موضعه الذي يرى به في ارتفاعه وانخفاضه وشكل صورته على حساب ما فيه من الضوء واعتدال طرفيه وميلهما عن نطاق البروج. و[البابان الثالث والأربعون والرابع والأربعون] في معرفة كسوف القمر بالحساب والجداول ومعرفة أقدار الكسوف وأوقاته وجهة الظلمة والانجلاء من دوائر الأفاق المختلفة للبلدان، وفي معرفة كسوف الشمس وإقاراه وأوقاته في كل بلد من البلدان وجهات ظلّمته، وجهات انجلائه بالحساب وبالجداول. و[البابان الخامس والأربعون والثامن والأربعون] في معرفة مواقع الكواكب المتحركة من فلك البروج ورجوعها وعروضها وطلوعها وغروبها. و[البابان الخمسون والواحد والخمسون] في معرفة أبعاد الكواكب وأقطارها وعظم أجرامها وسعة أفلاكها، وحركتها الثابتة التي تتحرك في فلكها أو يتحرك فلكها بها. و[الباب الثاني والخمسون] في معرفة ما ذكره أصحاب الطلسمات في قولهم إن للفلك حركة انتقال مقبلة ومدبرة وما يظهر من فساد قولهم. و[الباب السادس والخمسون] يتناول فيه عمل آلة بسيطة وقائمة يعرف بكل واحدة ما يمضي من النهار من ساعة زمنية في كل بلد، وتدعى الرخامة. ويتضمن [الباب السابع والخمسون] صنعة بعض آلات الرصد، وهي: البيضة، واللينة، والعضادة. ويختتم الفصل بإرشادات حول كيفية استخدام جداول الكتاب لاستخراج أوائل سني العرب وشهورهم، وأوائل شهور الروم.

وأُحِقَّتْ بالكتاب جداول تاريخية عن ملوك اليونان ومدة ملكهم، وعن الخلفاء من لدن هجرة الرسول ﷺ. وجداول بأوساط البلدان، ويذكر اسم (٩٤) بلداً، وهي الواردة في كتاب بطليموس، والتي أغفلها الخوارزمي في كتابه صورة الأرض، وجداول بعدد كبير من أسماء المدن مع خطوط أطوالها وعروضها. ثم جداول تفصيلية للكواكب التي رصد البستاني حركاتها، مع بيان مواقعها.

وتختلف طريقة البتاني في البحث باختلاف طبيعة الموضوع الذي يعالجه. فيتبع أحياناً الطريقة التفريرية فيمهد للبحث بمعلومات معينة عنه، ثم يذكر الأرصاد التي قام بها والعمليات الحسابية التي أجراها، ويصف مشاهداته، ويبين ملاحظاته، وما حققه من نتائج وما أصلحه من أخطاء. أو أنه يتبع أسلوباً تعليمياً يوجه به القارئ ليقوم ببعض العمليات



حتى يصل إلى النتيجة المطلوبة. وهو يقدم ذلك بأسلوب علمي خالٍ من الحشو والتكرار، تلمس فيه ثقة المؤلف بنفسه، ودقة معلوماته وسعتها، وإحاطته بها. فقد بحث في الباب السابع والعشرين في تحقيق طول السنة الشمسية بأن مهّد للموضوع فذكر رأي بطليموس فيه، ثم وضح ما قام به من أرصاء، وبين الفرضيات التي تمت بموجبها خطوات عمله، والعمليات الحسابية التي أجراها حتى توصل إلى النتيجة النهائية.

وتضمّن الباب السادس من الكتاب معلومات جغرافية قيّمة كنا أشرنا إليها في بحث موضوع الجغرافيا.

وللبستاني مصنفات فلكية أخرى، منها: كتاب مطالع البروج في ما بين أرباع الفلك، ورسالة في تحقيق أقدار الاتصالات، وقد عملها للوزير أبي الحسن علي بن محمد بن موسى المعروف بابن الفرات المتوفى سنة ٣١٢، وكتاب شرح الأربعة لبطلميوس<sup>(١٠١)</sup>.

## ي - التريزي

أبو العباس الفضل بن حاتم المتوفى سنة ٣١٠ من الرياضيين الذين اشتهروا في هذا القرن، وقد اشتغل بعلم النجوم وكان ممن يشار إليه فيه، وبخاصة في علم الهيئة منه<sup>(١٠٢)</sup>. كما كان متقدماً في علم الهندسة وله تواليف مشهورة<sup>(١٠٣)</sup>. وقد شرح كتاب المجسطي، كما سبق له أن شرح كتاب الأصول لإقليدس. وقد مارس أعمال الرصد فكان من مشهوري الفلكيين<sup>(١٠٤)</sup>.

وللتريزي مؤلفات عديدة في علم النجوم، منها: كتاب الزيج الكبير وقد وضعه على مذهب السند هند، وكتاب الزيج الصغير، وكتاب البراهين وتمهيد آلات يتبين فيها أبعاد الأشياء، وكتاب سمت القبلة، وكتاب تفسير كتاب الأربعة لبطلميوس<sup>(١٠٥)</sup>.

وترجم من كتبه إلى اللاتينية شرح كتاب الأصول، ترجمه جيرارد القرموني<sup>(١٠٦)</sup>.

وكان إلى جانب الذين ذكرناهم من الفلكيين والمنجمين، عدد من الفلاسفة والعلماء

(٢٠٤) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنّفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٤٠٤.

(٢٠٥) المصدر نفسه، ص ٤٠٣.

(٢٠٦) القفطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمّى بالمختبرات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٢٥٤.

(٢٠٧) طوقان، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، ص ١٢١.

(٢٠٨) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنّفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٤٠٣، والقفطي، المصدر نفسه، ص ٢٥٤.

(٢٠٩) طوقان، المصدر نفسه، ص ١٢١.

اعتنوا بدراسة علم النجوم بقسميه الفلك والتنجيم وصنفوا فيها كتباً مهمة، ومنهم التالية أسماؤهم بحسب تسلسلهم الزمني:

### ك - عطار بن محمد

الحاسب المنجّم، له من الكتب في علم النجوم: كتاب الجفر الهندي، وتفسيره، وكتاب تركيب الأفلاك، وكتاب العمل بالإصطربلاب، وكتاب العمل بذات الحلق<sup>(٢١١)</sup>.

### ل - الخوارزمي

محمد بن موسى، الرياضي الشهير صاحب الجبر والمقابلة. اشتغل بعلم الهيئة وصنّف فيه. وكان من أول أعماله التي اشتهر بها أنه اختصر كتاب السند هند الذي وضعه إبراهيم بن حبيب الفزاري في أيام الخليفة أبي جعفر المنصور «وعمل منه زيجه المشهور ببلاد الإسلام، وعوّل فيه على أوساط السند هند وخالفه في التعاديل والبل، فجعل تعادله على مذهب الفرس - وهي سنون شمسية بسيطة تشتمل على ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً دون كسر أو كس<sup>(٢١٢)</sup> - وميل الشمس فيه على مذهب بطليموس - الذي يحتسب سنة الشمس حركتها وابتداءها، من نقطة الفلك الخارج للبال حتى تعود إلى تلك المنطقة، وأن مدة ذلك من الزمان ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم إلا جزءاً من ثلاثمائة جزء من اليوم<sup>(٢١٣)</sup> - واخترع فيه من أنواع التقريب أبواباً حسنة. . . فاستحسنه أهل ذلك الزمان من أصحاب السند هند وطاروا به في الأفاق وما زال نافعاً عند أهل العناية بالتعديل إلى زماننا هذا<sup>(٢١٤)</sup>».

ويقول ابن النديم «وكان الناس قبل الرصد وبعده يعملون على زيجه الأول والثاني ويعرفان بالسند هند<sup>(٢١٥)</sup>».

وللخوارزمي من الكتب في علم النجوم إضافة إلى ما ذكرناه، كتاب العمل بالإصطربلاب، وكتاب عمل الإصطربلاب، وكتاب الرخامة<sup>(٢١٦)</sup>.

### م - ابن البازيار

محمد بن عبد الله بن عمر بن البازيار البغدادي المتوفى سنة ٢٤٥ وهو تلميذ حبش الحاسب. كان في جملة ندماة الخليفة الواثق بالله. ويعتبر من المتقدمين في أحكام النجوم وما

---

(٢١١) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٤٠١، والفقفي، المصدر نفسه، ص ٢٥٦.

(٢١٢) علم الفلك عند العرب، ص ١٦٣.

(٢١٣) المسعودي، التبيين والإشراف، ص ١٨٨.

(٢١٤) الفقفي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالنتخبات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٢٧١.

(٢١٥) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماؤهم، ص ٣٩٧.

(٢١٥) المصدر نفسه، والفقفي، المصدر نفسه، ص ٢٨٦.

بتعلق بحوادثها، وله في ذلك من الكتب: كتاب الزيج المنسوب إليه، وكتاب القرائن وتحويل سني العالم، وكتاب المواليذ وتحويل سنيها<sup>(٢١٧)</sup>.

### ن - الفرغاني

أحمد بن محمد بن كثير، المهندس القدير. يعتبر من أعظم فلكيي القرن الثالث، نشأ في فرغانة من بلاد تركستان، وكتابه العظيم في جوامع علم النجوم ترجمه إلى اللاتينية جيرارد القرموني<sup>(٢١٨)</sup>. ويظهر أن هذا الكتاب هو الذي ذكره صاعد الأندلسي باسم المدخل إلى علم هيئة الأفلاك وحركات النجوم وقال عنه إنه كتاب لطيف الجرم عظيم الفائدة تضمّن ثلاثين باباً احتوت على جوامع كتاب المجسطي بأعذب لفظ وأبين عبارة<sup>(٢١٩)</sup>.

وكان المأمون قد اتخذ الفرغاني منجياً لما لسه فيه من براعة في علم أحكام النجوم<sup>(٢٢٠)</sup>. قال عنه ابن النديم إنه كان منجياً مقدماً في صناعته ولقبه بالحاسب وذكر له من الكتب الأخرى في علوم النجوم: كتاب الجمع والتفريق، وكتاب الفصول اختيار المجسطي، وكتاب عمل الرخامات<sup>(٢٢١)</sup>.

### س - الصيمري

القاضي محمد بن اسحاق بن أبي العنيس، أحد ندماء المتوكل على الله، غلب عليه خبث اللسان والهزل. كان عارفاً بأحكام النجوم وله فيه كتاب مدحه المنجمون، ومن كتبه في هذا الموضوع: كتاب أحكام النجوم، وكتاب المدخل إلى صناعة التنجيم، وكتاب الرد على المنجمين، وكتاب أصل الأصول في خواص النجوم، وكانت وفاته في سنة ٢٧٥هـ<sup>(٢٢٢)</sup>.

### ع - ابن الطيّب

أحمد بن محمد بن مروان السرخسي، أبرز تلاميذ الكندي، درس عليه الفلسفة وعلومًا أخرى، وكان واحد العلماء المحصّلين الفصحاء البلغاء، له في علم الأثر الباع الواسع... وله في كل

(٢١٦) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ١٩٩، والفقهي، المصدر نفسه، ص ٢٨٦.

(٢١٧) أرنولد [وأخرون]، تراث الاسلام، ص ٥٧٠.

(٢١٨) الأندلسي، طبقات الأمم، ص ٥٤ - ٥٥.

(٢١٩) المصدر نفسه، ص ٥٤.

(٢٢٠) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنّفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٤٠٣.

٤٠٧.

(٢٢١) المصدر نفسه، ص ٢٢٣؛ حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ص ٤٠٢.

و٤٥٤، والزركلي، الاعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج ٦، ص ٢٥٢.

فمن تصانيفه<sup>(٢٢٢)</sup>. قربه الخليفة المعتضد بالله واتخذ نديماً مستشاراً لما رآه من رجاحة عقله، ولم تشر المصادر الأولية إلى اشتغاله بالتنجيم، كما أن الخليفة لم يدخله في منجمي بلاطه. ولكن بين مصنفاته كتاب في علم النجوم هو كتاب المدخل إلى صناعة النجوم<sup>(٢٢٣)</sup>. ويظهر مما ذكره البيروني أن لابن الطيّب كتاباً في قران التحسين في برج السرطان<sup>(٢٢٤)</sup>. ويبدو أنه صنّفه اقتداءً بأستاذه الكندي الذي صنّف كتاباً في الموضوع ذاته، سبقت الإشارة إليه.

## ف - أبو حنيفة الدينوري

أحمد بن داود المتوفى سنة ٢٨٢، كان من الذين اشتغلوا بعلوم متعددة، منها الرياضيات والفلك. يقول عنه ابن النديم إنه كان مفتناً في علوم كثيرة وإنه ثقة في ما يرويه. وذكر له من الكتب مما يتعلق بعلم النجوم كتاب الزيج المعروف باسمه، وكتاب الأنواء، الذي ينطوي على معلومات فلكية غزيرة تدل على سعة علمه في الموضوع، وكتاب القبلة والزوال، وكتاب الرد على رصد الأصفهاني<sup>(٢٢٥)</sup>.

## ص - أبو معشر

لعل أشهر من عمل بصناعة أحكام النجوم هو جعفر بن محمد بن عمر البلخي، أصله من بلخ من مدن ما وراء النهر، وأقام مدة طويلة ببغداد وبها اشتهر فكان ينسب إليها أحياناً. ويظهر أنه لم يرق له ما وصل إليه الفيلسوف الكندي من منزلة علمية واجتماعية، فأخذ يغري به العامة ويشع عليه بعلوم الفلاسفة، فدس عليه الكندي من حسن له النظر في علوم الحساب والهندسة، فدخل في ذلك فلم يتم له شيء منها، فعدل عنها إلى علم أحكام النجوم، فانقطع شره عن الكندي. ويقال إنه تعلّم أحكام النجوم بعد السابعة والأربعين من عمره، فكان حسن الإصابة فيه<sup>(٢٢٦)</sup>. وصار إمام وقته في فنه وله فيه تصانيف عديدة<sup>(٢٢٧)</sup>. واعتبره القاضي صاعد الأندلسي «عالم أهل الإسلام بأحكام النجوم وصاحب التأليف الثريفة والمصنّف المفيدة في صناعة الأحكام وعلم التعديل»<sup>(٢٢٨)</sup>.

(٢٢٢) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمجمع الأديب أو طبقات الأديب، تحقيق د. ص. مرجليوث، ط ٢، ج ٩ (القاهرة: مطبعة هندية، ١٩٢٣ - ١٩٢٦) ج ١، ص ١٥٨.

(٢٢٣) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٨٠، والقفطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات للتعطّات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٧٨.

(٢٢٤) البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية، ص ١٣٢.

(٢٢٥) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ١٢٢، وياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمجمع الأديب أو طبقات الأديب، ج ١، ص ١٢٥.

(٢٢٦) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٤٠٠، والقفطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات للتعطّات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ١٥٣.

(٢٢٧) ابن خلكان، وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ١، ص ٣١٠.

(٢٢٨) الأندلسي، طبقات الأمم، ص ٥٧.

ورغم ما عُدَّه ابن النديم من مصنفات أبي معشر في أحكام النجوم، فإنه يشكك في أن تكون جميعها من تصنيفه، فيقول «كان سند بن علي وهب أبا معشر كتاب المدخل فانتحل أبو معشر، لأنه تعلم النجوم على كبر ولم يبلغ عقله صنعة هذا الكتاب، ولا التسع مقالات في الموالييد، ولا الكتاب في القرائن المنسوب إلى ابن البازيار، هذا كله لسند بن علي»<sup>(٢٢٩)</sup> وقد قال القفطي مثل هذا مؤيداً انتحال أبي معشر هذه الكتب<sup>(٢٣٠)</sup>.

وكنا أشرنا في الفصل الخاص بخزائن الكتب إلى أن خزانة علي بن يحيى المنجم، وصفت لأبي معشر فأقام بها مدة تعلم فيها علم أحكام النجوم. ويظهر من شهرة أبي معشر ومصنفاته أنه اقتصر على جانب الأحكام من علم النجوم، ولم يبرز في الرياضيات التي أحسن الكندي له دراستها لأنه لم تكن له القابلية على استيعابها، خاصة أنه باشر الدراسة في مرحلة متأخرة من عمره.

كان أبو معشر أحد منجمي الخليفة المستعين بالله، وقد سبق أن أشرنا إلى قصته معه. ولما تولى المعتز بالله الخلافة انتدب أبا معشر لرياسة منجمي البلاط. وكان لعلاقة أبي معشر بالمعتز بالله قصة خلاصتها أن الشاعر أبا عبادة البحري وأبا معشر المنجم قد ضاقت بهما الحال فعنّ لهما أن يزورا المعتز بالله وكان محبوساً آنذاك، فيتوددا إليه ويؤصلا عنده أصلاً، فتوصلتا حتى لقياه في حبسه. فأنشده البحري أبياتاً كان قالمها في أحد القواد، فخاطب بها المعتز كأنها عملت له في الحال. فأخذ المعتز الرقعة التي فيها الأبيات وطلب إلى خادمه أن يحتفظ بها ويذكره بأمرها إن فرّج الله تعالى عنه ليقضي حق الشاعر. ويقول أبو معشر: وقد كنت أنا أخذت مولده وقت عُقد له العقد ووقت عُقدت البيعة للمستعين بالخلافة فنظرت في ذلك، وصححت الحكم للمعتز بالخلافة بعد فتنة تجري وحروب، وحكمت على المستعين بالقتل، فسلمت ذلك إلى المعتز وانصرفنا. وضرب الدهر ضربه وصحّ الحكم بأمره. قال لي أبو معشر: فدخلت أنا والبحري إلى المعتز بالله وهو خليفة بعد المستعين، لتعزيتي، فقال لي المعتز: لم أنسك وقد صبح حكمك وقد أجريت لك في كل شهر مئة دينار رزقاً وثلاثين ديناراً نزلاً، وجعلتك رئيس المنجمين في دار الخلافة، وأمرت لك عاجلاً بإطلاق ألف دينار صلة، فقبضت ذلك كله من يومي»<sup>(٢٣١)</sup>.

كما اتخذ الأمير الموفق أبو أحمد أخو الخليفة المعتمد على الله وقائد جيوشه، أبا معشر منجياً خاصاً به صعبه في حروبه مع الزنج بالبصرة<sup>(٢٣٢)</sup>.

(٢٢٩) ابن النديم، الفهرست في إخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسياء كتبهم، ص ٣٩٨.

(٢٣٠) القفطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمختبرات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ١٥٤.

(٢٣١) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج ١، ص ٩٣-٩٤.

(٢٣٢) القفطي، المصدر نفسه، ص ١٥٣.

ولأبي معشر عديد من الكتب في أحكام النجوم منها: كتاب المدخل، وكتاب القرائات وقد وضعه لابن البازيار، وكتاب تحويل سني الموالييد، وكتاب اقتران النحسين في برج السرطان، وكتاب الاختيارات على منازل القمر، وتفسير المتامات بالنجوم، وكتاب الزيج الكبير، وهو جامع لأكثر علوم الفلك بالقول المطلق المجرد من البرهان، وكتاب الزيج الصغير المعروف بـزيج القرائات، ويتضمن معرفة أوساط الكواكب لأوقات اقتران زحل والمشتري منذ عهد الطوفان<sup>(١٣٣)</sup>.

وقد توفي أبو معشر بمدينة واسط في أواخر شهر رمضان من سنة ٢٧٢ وقد جاوز المئة سنة من عمره<sup>(١٣٤)</sup>.

### ق - قسطنطين لوقا البعلبكي

كان عالماً بارعاً في علوم كثيرة منها الطب والفلسفة والهندسة والأعداد والموسيقى، وكان متحققاً بعلم العدد والنجوم<sup>(١٣٥)</sup>. وله من الكتب في علم النجوم: كتاب المدخل إلى علم النجوم أو المدخل إلى الهيئة وحركات الأفلاك والكواكب، وكتاب العمل بالكواكب النجومية<sup>(١٣٦)</sup>.

### ر - أبو بكر الرازي

كان محمد بن زكريا الرازي، أكبر أطباء العرب في زمنه، عني إلى جانب انصرافه إلى الطب، بعلم كثيرة أخرى، فقد اهتم بدراسة الكيمياء والرياضيات وعلم النجوم والفلسفة<sup>(١٣٧)</sup>. ويظهر من الكتب الفلكية التي صنفها الرازي أنها مكرسة للبرهنة على كرية الأرض، وأن الأرض ثابتة في مركز الكون. فقد صنف كتاب هيئة العالم وغرضه أن يبين كرية الأرض، وأنها في وسط الفلك وهو ذو قطبين يدور عليهما، وأن الشمس أعظم من الأرض، والقمر أصغر منها، وما يتبع ذلك من المواضيع<sup>(١٣٨)</sup>. وكتاب في سبب وقوف الأرض وسط الفلك على استدارة<sup>(١٣٩)</sup>، ورسالة في أن غروب الشمس وسائر الكواكب عنا وطلوعها علينا ليس من أجل حركة الأرض بل من حركة الفلك<sup>(١٤٠)</sup> ويظهر من هذا أن الرازي لم يكن

---

(٢٣٣) المصدر نفسه، ص ١٥٤؛ ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٤٠١، والأندلسي، طبقات الأمم، ص ٥٧.

(٢٣٤) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٤٠٠، والقفطي، المصدر نفسه، ص ٣١١.

(٢٣٥) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٤٢٤، والقفطي، المصدر نفسه، ص ٢٦٢.

(٢٣٦) ابن النديم، المصدر نفسه، والقفطي، المصدر نفسه.

(٢٣٧) ابن أبي أصيبعة، حيون الأتباء في طبقات الأطباء، ص ٤٢٢.

(٢٣٨) المصدر نفسه، ص ٤٢٣، والقفطي، المصدر نفسه، ص ٢٧٥، وفيه: وسط السماء.

(٢٣٩) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٤٢٤.

(٢٤٠) ابن رسته، الأملق النفسية، ص ٢٣ - ٢٤.

يعتقد بأن ذلك ناشئ عن حركة الأرض. وقد قال بعض المصنفين «إن الذي يُرى من الدوران للكواكب إنما هو دور الأرض لا الشمس والفلك»<sup>(٢٤١)</sup>، وكتاب في فسخ ظن من يتوهم أن الكواكب ليست في نهاية الاستدارة، وكتاب في أنه لا يتصور لمن لا درية له بالبرهان أن الأرض كرية وأن الناس حوّلها<sup>(٢٤٢)</sup>.

وكنا أشرنا عند الكلام على فلسفة الرازي إلى أنه كان يرى للأجسام العلوية (الأجرام الفلكية) في حركاتها تأثيراً على الكائنات الأرضية. وعبر عن ذلك بقوله «بانفعال الكواكب الثابتة في الطول والعرض تنتقل الأخلاق والمزاجات، وباختلاف عروض البلدان تختلف المزاجات والأخلاق والعادات وطبائع الأدوية والأغذية». وله كتاب مقالة في ما يمكن أن يستدرك في أحكام النجوم على رأي الفلاسفة الطبيعيين ومن لم يقل منهم إن الكواكب أحياء<sup>(٢٤٣)</sup>.

---

(٢٤١) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٤٢٥، والفقفي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمتنخبات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٢٧٦.

(٢٤٢) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٤٢١.

(٢٤٣) الفقفي، المصدر نفسه، ص ٢٧٧.





الفصل العاشر

الفلسفة



## أولاً: الفلسفة العربية

### ١ - معنى الفلسفة وأقسامها

اعتبر العرب الفلسفة من العلوم الدخيلة، والواقع أنهم نقلوها عن غيرهم إبان نهضتهم العلمية في هذا القرن. والفلسفة مشتقة من كلمة يونانية هي فيلاسوفيا ومعناها حب الحكمة. فلما أعريت قيل فيلسوف، ثم اشتقت الفلسفة منه. ومعنى الفلسفة علم حقائق الأشياء والعمل بما هو أصلح<sup>(١)</sup>. وجاء في كتاب تاريخ الحكماء، عند الكلام على فيلسوف العرب الكندي «أبو يوسف الكندي المشتهر في الملة الإسلامية بالتبحر في فنون الحكمة اليونانية»<sup>(٢)</sup>. ونقل ابن أبي أصيبعة عن الفارابي أنه قال «اسم الفلسفة يوناني وهو دخيل في العربية، وهو على مذهبه فيلسوف، ومعناه إثارة الحكمة وهو في لسانهم مركب من فيلا وسوفيا، ففيللا: الإثارة، وسوفيا: الحكمة، والفيلسوف مشتق من الفلسفة... ومعناه المؤثر للحكمة»<sup>(٣)</sup>. ويقول ابن خلدون «إن قوماً من عقلاء النوع الانساني زعموا أن الوجود كله، الحسي منه وما وراء الحس، تدرك ذواته وأحواله بأسبابها وعللها بالأنظار الفكرية والأقيسة العقلية... وهؤلاء يسمون فلاسفة جمع فيلسوف، وهو باللسان اليوناني حب الحكمة... وإمام هذه المذاهب الذي حصل مسائلها ودون علمها وسطر حججها فيما بلغنا هو أرسطو المقدوني من أهل مقدونية من بلاد الروم... ثم كان من بعده

---

(١) أبو عبد الله محمد بن أحمد الخوارزمي، مفاتيح العلوم (القاهرة: دار الطباعة المنيرية، ١٩٢٣)، ص ٧٩.

(٢) أبو الحسن علي بن يوسف الففطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات المتقطعات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحرير يوليوس ليرت (لبيزك: ديتريخ، ١٩٠٣)، ص ٣٦٦-٣٦٧.

(٣) أبو العباس أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق نزار رضا (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦٠)، ص ٦٠٤.

في الإسلام من أخذ بتلك المذاهب واتبع فيها رايه<sup>(٤)</sup>. وقد استعمل العرب كلمة الحكمة مرادفة للفلسفة. وكثيراً ما نجد في كتب المؤلفين منهم من وضع كلمة الحكمة والحكيم للدلالة على الفلسفة والفيلسوف.

وقسّم صاحب مفاتيح العلوم الفلسفة إلى قسمين: أحدهما الجزء النظري، والآخر الجزء العملي. وينقسم الجزء النظري إلى ثلاثة أقسام، وذلك أن منه ما الفحص فيه عن الأشياء التي لها عنصر ومادة ويسمى علم الطبيعة. ومنه ما الفحص فيه عما هو خارج العنصر والمادة ويسمى علم الأمور الإلهية، ويسمى باليونانية «ثاولوجيا». ومنه ما ليس الفحص فيه عن أشياء لها مادة، ولكن عن أشياء موجودة في المادة مثل المقادير والأشكال والحركات وما أشبه ذلك، ويسمى العلم التعليمي والرياضي، وكأنه وسط بين العلم الأعلى وهو الإلهي، وبين العلم الأسفل وهو الطبيعي. أما الفلسفة العملية فهي ثلاثة أقسام أيضاً، أحدها تدبير الرجل نفسه أو واحداً خاصاً ويسمى علم الأخلاق، والقسم الثاني تدبير الخاصة ويسمى تدبير المنزل، أي انتظام حياة الإنسان العائلية من حيث علاقته بأبويه وزوجه وأولاده وذوي قرباه. والقسم الثالث تدبير العامة وهو سياسة المدينة والأمة والملك<sup>(٥)</sup>.

## ٢ - الفلسفة العربية

إن خطوط الفلسفة العربية ومادتها الأساسية جاءت من التراث اليوناني، كما أشرنا. فقد كانت مدن الرُّها وحرّان ونصيبين ورأس العين وقُسَرين من مراكز الثقافة اليونانية في الشرق العربي عندما حرّر العرب العراق وبلاد الشام من نير الروم. ومع أن اللغة السريانية كانت لغة الكنيسة بقسميها الغربي والشرقي، فإن اللغة اليونانية كانت تدرّس إلى جانبها في مدارس الكنائس والأديرة في المدن المذكورة. وتتناول الدراسة في تلك المدارس علوم اللاهوت وما يتصل بالعقيدة المسيحية وحاجات الكنيسة، وتدرّس معها من المعارف اليونانية بعض المواضيع الفلسفية والطبية، مما ساعد الطلاب من رجال الدين وغيرهم على التعرف إلى بعض كتب حكماء اليونان القدامى أمثال أبقراط وجالينوس وسقراط. وبذلك انتشرت الآراء والأفكار الفلسفية بينهم، وظهرت بوادر حركة علمية استمرت بعد الفتح العربي. وهذا ما جعل السريان من أبناء المدن المذكورة من أوائل الذين نقلوا إلى اللغة العربية كثيراً من معارف اليونان وفلسفتهم، كما مرّ بنا في البحث الخاص بحركة الترجمة. ومن الحق أن نشير إلى أن العرب اعتادوا في فتوحاتهم أن يحافظوا على ما يجدونه في البلاد المحرّرة من المظاهر الحضارية والثقافية، وسرعان ما كانوا يكتسبونها ويضيفون عليها، مما أتاح لهم أن يقيموا حضارة علمية عمرانية مزدهرة.

(٤) أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: مقدمة ابن خلدون، ٧ ج (مصر: المطبعة الخيرية، ١٩٠٤)، ص ٢٩٦ - ٢٩٧.

(٥) الحوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ٧٩ - ٨٠.

كنا أشرنا في فصل سابق إلى أهمية حركة الترجمة وتأثيرها في مسيرة النهضة العلمية العربية في القرن الثالث. إذ إنها سبّرت لطلاب العلم وغيرهم من القراء كتب قدماء اليونان وبخاصة في الحكمة والطب باللغة العربية. وقد اهتم بعض علماء العرب بدراسة الكتب المترجمة في مواضيع المنطق والفلسفة، وشرح ما كان غامضاً مبهماً منها، ومناقشة ما جاء فيها من آراء وأفكار حول عديد من المسائل، مما خلق حركة فكرية جعلت ذوي المواهب منهم يتفحّرون لها، ويتفرون على الإحاطة بها والإدمان في إدراك معانيها وفهم أسرارها، هؤلاء عرفوا بالفلاسفة.

وقد بدأ العرب يتعرفون إلى فلسفة اليونان في الوقت الذي أخذ علماء المذهب الأفلاطوني الجديد يشرحون فلسفة أرسطو إلى جانب تدريس كتب أفلاطون وشرحها. وظلوا مدة يدرسونه الفلسفة الأفلاطونية المتأثرة بمذهب فيثاغورس «والنقط الرئيسية في هذا المذهب الأفلاطوني المحدث، كما يبدو في الإلهيات الإسلامية تعرض العقل الفعّال، أو كما عبّر عنه الاسكندر الأفروديسي باعتباره فيضاً من الإله. وتعرض العقل الميولاني في الإنسان كأنه لا ينشط إلا من طريق العقل الفعّال. وهذا هو في جوهره ما قاله الاسكندر الأفروديسي. وهدف الإنسان أن يصل إلى الاتصال الذي يتحد عقله فيه بالعقل الفعّال»<sup>(٦)</sup>.

إن الأفلاطونية الجديدة هي إحياء آراء أفلاطون حكيم اليونان وفلسفته مزوجة بفلسفة فيثاغورس، وتأثرهما بالديانات الشرقية. ويعتبر امونيوس الاسكندري مؤسس الأفلاطونية الجديدة. وقد تولى نشرها تلميذه أفلوطين الذي قضى النصف الثاني من حياته ٢٤٥ - ٢٢٧م في روما يرشد تلاميذه إلى الحياة الروحية. ونظّم تلميذه فورفوريوس محاضرات أستاذه ومقلاته وقُدّم لها بترجمة لأفلوطين. وشرح فورفوريوس محاورات أفلاطون الكبرى، كما شرح من كتب أرسطو: المقولات، والأخلاق، والطبيعة، والإلهيات. ووضع كتاب المدخل إلى المعقولات. وأشهر كتبه الأخرى إيساغوجي، أي المدخل إلى مقولات أرسطو.

وقد كان لأفلاطون بفضل نزعة الروحية حظ كبير عند المسيحيين في بلاد اليونان. كما كان لأرسطو مثل هذا الحظ عند السريان، فنقلوا كتبه إلى لغتهم ثم إلى العربية. وكان السريان قد نقلوا كتب أرسطو عن شراح أدخلوا عليها بعض التاويلات. وأكبر هؤلاء الشراح الاسكندر الأفروديسي، في القرن الثالث للميلاد، وفورفوريوس، في القرن الرابع، ويوحنا النحوي، في القرن السادس. كما نقلوا أيضاً مختارات من التاسوعات الثلاث الأخيرة لأفلوطين وسموها أولولوجيا أرسطو ومختارات من مبادئ الإلهيات لأبروقلوس وأسموها كتاب العلل. فنقلت هذه الكتب إلى اللغة العربية بهذا الاعتبار. إذ رأوا ما فيها من روحية اشرافية تمتع لكتب الحكمة الإنسانية. فجاءت الفلسفة العربية مزيجاً من الأرسطوطالية والأفلاطونية الجديدة<sup>(٧)</sup>. ولعل هذا ما يفسر اهتمام دارسي الفلسفة العرب بالمسائل الروحية

(٦) [سمايل مظهر، تاريخ الفكر العربي (القاهرة: دار العصور، ١٩٢٨)، ص ١٣١.

(٧) لمزيد من الاطلاع حول الأفلاطونية الجديدة، انظر: يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية (القاهرة:

لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٦)، ص ٣٢٢ - ٣٣١.

والنفسية. فقد أخذت تراجم مؤلفات أرسطو وأفلاطون تلقى اهتماماً وقبولاً عندهم. وكانت كتب أرسطو في المنطق والنفس والطبيعة هي أول ما نال اهتمامهم، فتولاهم العلماء من عملوا في ميدان الفلسفة بالشرح والاختصار. ومن الطبيعي ألا يتمكن العرب آنذاك من معرفة جميع مصنفات أفلاطون وأرسطو، لأن معظمها كان مفقوداً. كما أنهم لم يكونوا يميزون الكتب الأصلية من المنحولة على الفلاسفة الأقدمين، فانصبَّ اهتمامهم على ما وقع في أيديهم من تلك المصنفات. فمن كتب أفلاطون التي وصلت إليهم مبكراً دافع سقراط ويسمى احتجاج سقراط على أهل أثينا، وكرايتون السفسطائي وفيدروس والجمهورية وطيمائوس وكتاب النواميس وفيدون. وقد فسر حنين بن اسحاق كتاب السياسة، ونقل كتاب النواميس إلى اللغة العربية. ونقل اسحاق بن حنين كتاب السفسطائي وأصلحه يحيى بن عدي. ونقل ابن البطريق كتاب طيمائوس، وأصلحه حنين بن اسحاق.

ويظهر أن أفلاطون كان أقرب الفلاسفة إلى العقلية العربية الإسلامية، لقوله إن العالم محدث، وإن النفس جوهر روحي، وإن في العالم نفساً كلية واحدة وإن نفوس البشر جزء منها. وهي آراء لا تتناق مع العقيدة الإسلامية. إلا أنه بعد أن اطلع العرب على المزيد من فلسفته وأدركوا رأيه في النفس الإنسانية بأنها أجزاء متناهية، وذلك بعكس ما يقوله أرسطو الذي رفع كثيراً من شأن النفس، اتجهوا نحو أرسطو وأقبلوا على كتبه التي أخذت تصلهم بشروح رجال المذهب الأفلاطوني الجديد. وأعجبوا بما تضمنته كتاب أوولوجيا المنسوب إلى أرسطو، وقد ترجمه عبد المسيح بن عبد الله بن ناعمة الحمصي إلى اللغة العربية بعنوان كتاب الروبوية. والنفس هي محور الكتاب، وقد جاء فيه عنها «كل معرفة إنسانية صحيحة هي معرفة النفس... والحكمة العليا هي هذه المعرفة التي لا يلبثها إلا قليل جداً، وهي لا تدرک من طريق المفهومات الفكرية. ولذلك يبرزها الفيلسوف... والنفس تقع في وسط مراتب الوجود، من فوقها الله والعقل، ومن تحتها الطبيعة والمادة، وهي تفيض من الله على العقل، ويتوسط العقل تفيض على المادة، فتحل في الجسم ثم تعرج إلى مكانها... والعقل ملاك كل شيء، وكل الأشياء فيه معاً. أما النفس فهي عقل أيضاً، ولكن ما دامت في الجسم فهي عقل بالقوة، هي عقل تصوّر بصورة الشوق إلى العالم الأعلى، إلى عالم الكواكب، عالم الخير والسعادة»<sup>(٨)</sup>.

ساعد هذا الكتاب مع تعاليم الاسكندر الأفروديسي على انتشار آراء الأفلاطونية الجديدة، فكان لها أثر واضح في الفلسفة العربية. وظلَّ العرب يعتمدون في دراسة فلسفة أرسطو على مصنفات علماء المذهب الأفلاطوني الجديد وشروحهم. وكان أصحاب هذا المذهب الفلسفي يعتقدون أن آراء أرسطو وتعليقاته، وآراء أفلاطون وتعليقاته شيء واحد في جوهرها، وأن الاختلاف الظاهر بينها لا يمكن أن يستعصي على التخليص<sup>(٩)</sup>. ويسفر هذا انجاء الفلاسفة العرب إلى العمل على التوفيق بين فلسفتي أرسطو وأفلاطون، وهاتين

(٨) ت. ج. دي بور، تاريخ الفلسفة في الاسلام، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٨)، ص ٤٦ - ٤٧.  
(٩) مظهر، تاريخ الفكر العربي، ص ١٣٠.

الفلسفتين والعقيدة الإسلامية، وحاولوا في سبيل ذلك أن يظهروا نظريات وآراء الفيلسوفين المذكورين وغيرهما بما لا يناقض العقيدة الإسلامية صراحة. وهذا ما سنراه في البحث الخاص بالكندي الذي كان أول من عمل من الفلاسفة في هذا الاتجاه.

وكان من حسن حظ المسلمين أنهم جعلوا نقطة بدايتهم الفلسفة الأرسطائية أو فروعها الحديثة، ذلك أن هذه الفلسفة اتصفت بدقة الملاحظة والتعلق الشديد بالمثل العليا التي من شأنها صرف الإنسان عما عداها من أمور. ولذلك كان أرسطو معلم العرب الأول، وقد نقلوا تعاليمه دون نزاع، ونقلت إلى العربية إذ ذلك جميع كتبه المعروفة<sup>(١)</sup>.

على أن العرب وإن كانوا قد درسوا الفلسفة على فلاسفة اليونان وتأثروا بالنواحي الإيجابية منها مما لا يتعارض وأحكام الدين الإسلامي، فإنهم استطاعوا بعد حين أن يقيموا فلسفة عربية إسلامية لها طابعها وطرقها في معالجة المسائل الفكرية المختلفة. وكان الكندي والفارابي بعده هما اللذان مهدا السبيل لاستقلال الفلسفة العربية. أما قول دي بور وظلت الفلسفة الإسلامية على الدوام فلسفة انتخابية عاذاها الاقتباس مما ترحم من كتب الإغريق... ولم تتميز تميزاً يذكر عن الفلسفة التي سبقتها لا بافتتاح مشكلات جديدة، ولا هي استقلت بجديد فيها حاولته من معالجة المسائل القديمة، فلا نجد لها في عالم الفكر خطوات جديدة تستحق أن نسجلها لها...<sup>(٢)</sup>. فهو حكم سطحي فيه كثير من التجني ولا يتفق مع المنهج العلمي. ويكفي أن نشير إلى قيام الفلسفة العربية ضمن حدود الدين الإسلامي، وقولها بحدوث العالم وتناهيه، مما يجعلها تختلف في معالجة القضايا الفكرية عن الفلسفة اليونانية الوثنية، إلى حد غير قليل، بحيث يجعل لها سمات مميزة عن غيرها، وإن ما طرحه المعتزلة وعلواء الكلام من المسائل والمقولات التي دار النقاش والجدل حولها طويلاً، يُظهر فساد قول دي بور.

## ثانياً: الكندي وفلسفته

### ١ - يعقوب بن اسحاق الكندي

أبو يوسف يعقوب بن اسحاق بن الصباح بن عمران، يرتقي نسبه إلى الصحابي الأشعث بن قيس الكندي، أمير كندة في الجاهلية والإسلام، وكان أبوه قيس ملكاً على كندة، وهو الذي مدحه الشاعر أعشى قيس ميمون بن قيس من بني ثعلبة<sup>(٣)</sup>. وكندة من أهم

---

(١٠) جوزيف ويل، الحضارة العربية، ترجمة ابراهيم أحمد العلوي؛ مراجعة حسين مؤنس، الألف كتاب؛ ٨٨ (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٦)، ص ١٠٧.

(١١) دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام، ص ٥٠.

(١٢) ويلقب بالأعشى الكبير، وهو من شعراء الجاهلية وأحد أصحاب الملققات. ولكثرة شعره وجودته، سمي صنّاجة العرب. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط ٢، ١٠ ج في ٥ (القاهرة: مطبعة كونستانتينوس، ١٩٥٤ - ١٩٥٥)، ج ٨، ص ٣٠٠.

القبائل القحطانية في جنوبي الجزيرة العربية وأبعدها قَدَمًا في الحضارة، وقد نزع كثير من أبنائها إلى العراق واستوطنوا فيه منذ عهود بعيدة<sup>(١٣)</sup>. وكان اسحاق أبو يعقوب من ولاة الدولة العربية، ولأه الخليفة محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور إمارة الكوفة، وظل يتنوب إمارتها أيام ولديه موسى الهادي وهارون الرشيد<sup>(١٤)</sup>.

ولد يعقوب في الكوفة في أواخر القرن الثاني وهناك خلاف في سنة ميلاده، ونشأ ببغداد وتلقى تعليمه بها. فدرس العربية والعلوم الدينية وعلم الكلام، وقضى حياته ببغداد وسمراء مقرباً من الخلفاء منذ أيام المأمون حتى عهد المتوكل على الله، كعالم فيلسوف ومنجم ونديم. وكان عظيم المنزلة عند المأمون<sup>(١٥)</sup>، لغزارة علمه ورجاحة عقله، وقد عُرف عن المأمون بمجالسة كبار العلماء ومناظرتهم. ويقال إن الكندي كان في جملة من عُهد إليهم بترجمة كتب أرسطو وغيره من فلاسفة اليونان<sup>(١٦)</sup>. وقد نذب المأمون لذلك، لأنه كان ملماً بإحدى اللغتين الذاتيتين آنذاك وهما اليونانية والسريانية<sup>(١٧)</sup>. وكذلك كانت منزلته عند المعتصم بالله عالية، فكان معجباً بسعة أطلاعه وتعدد معارفه، وقد اتخذهُ مؤدباً لابنه أحمد، حتى قيل إن دولة المعتصم كانت تتمجّل به وبمصفاته الكثيرة جداً<sup>(١٨)</sup>.

ولما تولى المتوكل على الله الخلافة بقي الكندي على منزلته في البلاط، مقرباً من الخليفة إلى أن أثار الأخوان أحمد ومحمد ابنا موسى بن شاعر غضب الخليفة عليه، حسداً له وطمعاً بمكتبته. ويرجح أنها استغلا موقف الخليفة المشدّد من المعتزلة، فحرّضاه على الكندي باعتباره من أنصارهم، فأقصاه عن بلاطه وأمر بضربه ومصادرة مكتبته، وكانت تضم إلى جانب مصنفاته كتباً عديدة أخرى في مختلف العلوم والفنون، فاستولى عليها الأخوان المذكوران واستفادوا مما فيها من الكتب الخاصة بالآلات المتحركة<sup>(١٩)</sup>، أي كتب الحيل والمهندسة

(١٣) حول نسب الكندي، انظر: أبو الفرج محمد بن اسحق بن التميمي، الفهرست في أخبار العلماء المصنّفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٢٠)، ص ٣٧١؛ أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي، طبقات الأسم، نشره ووثّقه بالحواشي وأردفه بالروايات لويس شيخو اليسوعي (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩١٢)، ص ٥١، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٨٥.

(١٤) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ذخائر العرب؛ ٣٠ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٠ - ١٩٦٨)، ج ٨، ص ١٢٠، ١٤١، ١٤٩ و٣٤٦.

(١٥) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٨٦.

(١٦) قدري حافظ طوقان، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك (القاهرة: مطبعة المقطف، ١٩٤١)، ص ٩١.

(١٧) تاريخ فلاسفة الاسلام، ص ١.

(١٨) مصطفى عبد الرزاق، فيلسوف العرب والمعلم الثاني (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٤٥)، ص ٤١.

(١٩) أبو جعفر أحمد بن يوسف بن الداية، المكاشفة، صحّحه وضبطه وشرحه أحمد أمين وعلي الجازم (القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٩٤١)، ص ١٩٥.



وغيرها مما ينفعهما في حفر النهر الجعفري الذي كلفهما الخليفة القيام على إنشائه. ولكن فشلها في مشروع النهر أغضب الخليفة عليها فأمر المهندس سند بن علي أن يتحرى النهر المذكور ويعلمه بمدى صلاحه أو فشله. ففرغ أحمد وأخوه إلى سند بن علي ليقيف إلى جانبها ويؤيد صلاح النهر. فاشتراط هذا لمساعدتهم أن يسعيا لدى الخليفة للفقو عن الكندي، وأن يعيدا إليه مكتبته. فقاما بذلك، فاستعاد الكندي مكتبته كاملة<sup>(٢٠)</sup>. إلا أن ما لقيه الكندي من غضب الخليفة، واقصائه عن البلاط، وما لحقه من مهانة الضرب، أثر فيه كثيراً، فاعتزل الناس ولزم بيته. وكان بطبيعته يميل إلى العزلة فلا يختلط إلا بمن كان بمستواه الفكري والعلمي، وذلك شأن المفكرين والفلاسفة، فزادت هذه النكبة في بعده عن الناس. وروي عن أحمد بن الطيب تلميذ الكندي، أنه قال إن الكندي أنشده لنفسه الأبيات الآتية<sup>(٢١)</sup>:

أَنَافَ الذُّنَابِ عَلَى الْأُرْوَاحِ	فَنَمَّضَ جَفَوْنَكَ أَوْ نَكَّسَ.
وَضَائِلَ سِرَادِكَ وَأَقْبَضَ يَدَيْكَ	وَفِي قَمَرٍ نَبِيَّكَ فَاسْتَجَلَسَ.
وَعِنْدَ مَلِيكَكَ نَأْبَغُ الْعُلُوَّ	وَبِالْوَحْدَةِ الْيَوْمَ فَاسْتَأْنَسَ.
فَإِنِ الْغِنَى فِي قُلُوبِ الرِّجَالِ	وَأَنَّ التَّعَمُّزَ بِالْأَنْفُسِ
وَكَايُنُ تَرَى مِنْ أَخِي عُثْرَةً	غِيثِي وَفِي ثُرُوفِ مُقْلَسِ.
وَمِنْ قَائِمٍ بِخُصْفِهِ نَمِيْتُ	عَلَى أَنَّهُ بَعْدَ لَمْ يُرْمَسِ.
فَإِنِ تَطْعَمِ الْفُتُنُ مَا تَشْتَهِي	تَقِيكَ جَمِيعَ الَّذِي تَغْتَحِي

وهي أبيات تنبئ عن حالته النفسية اليائسة التي صار إليها بعد نكبته وانقطاعه عن الناس وزهده في الحياة.

وقد توفي الكندي بعد ذلك بسنوات قضاهما مغموراً، فلم تُشر المصادر الأولية إلى سنة وفاته؛ وإن ما قيل عن أنه توفي في أواخر سنة ٢٥٢ إنما كان من باب الاستنتاج والمقارنة<sup>(٢٢)</sup>. ويروي القفطي عن سبب وفاته قائلاً «كانت علة يعقوب بن اسحاق أنه كان في ركبته خام وكان يشرب له الشراب العتيق فيصلح فتاب من الشراب، وشرب شراب العسل فلم تنفتح له أنواه العروق ولم يصل إلى أعماق البدن وأسافله شيء من حرارته. فقوي الخام فأوجع العصب وجعاً شديداً حتى تأتى ذلك الوجع إلى الرأس والدماغ فأتى الرجل»<sup>(٢٣)</sup>.

امتاز الكندي بذكاائه الخارق وميله إلى الدرس وحب الاستطلاع، مما أتاح له الإلمام بمعارف زمانه، وغدا واسع الاطلاع في جميع العلوم. ويعتبر ألمع من أنجبته النهضة العلمية العربية في القرن الثالث، فقد أظهر إبداعاً محسوساً في كثير من المواضيع التي عالجها وصنّف فيها. وقد أشاد بسعة معارفه وكثرة تصانيفه كل من كتب عنه من قدامى المصنفين. وصفه

(٢٠) المصدر نفسه، ص ١٩٧.

(٢١) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٨٨ - ٢٨٩.

(٢٢) عبد الرازق، فيلسوف العرب والمعلم الثاني، ص ٥٠ - ٥١.

(٢٣) القفطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات المنتقاة من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٣٧٧ - ٣٧٨.

ابن النديم بأنه «فاضل دهره وواحد عصره في معرفة العلوم القديمة بأسرها، ويسمى فيلسوف العرب، وكتبه في علوم مختلفة مثل المنطق والفلسفة والهندسة والحساب والأرثايطيقي والموسيقى والنجوم وغير ذلك...». أما وصلنا ذكره بالفلاسفة الطبيعيين إيثاراً لتقديره لموضع «العلم»<sup>(٢٤)</sup>، وقال عنه ابن جليل «كان عالماً بالطلب والفلسفة وعلم الحساب والمنطق وتآليف اللوحن والهندسة وطبائع الأعداد والهيئة وعلم النجوم. ولم يكن في الاسلام فيلسوف غيره احتذى حذو أرسطوطاليس، وله تآليف كثيرة في فنون من العلوم... وترجم من كتب الفلسفة الكثير وأوضح منها المشكل، ولخص المستعصب، ويسط العويس»<sup>(٢٥)</sup>. وقال القاضي صاعد الأندلسي: «لم يكن في الاسلام من اشتهر عند الناس بعلوم الفلسفة حتى سموه فيلسوفاً غير يعقوب، وله في أكثر العلوم تآليف مشهورة»<sup>(٢٦)</sup>. وقال القفطي: «أبو يوسف الكندي المشتهر في الملة الاسلامية بالتبحر في فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية، متخصص بأحكام النجوم وأحكام سائر العلوم، فيلسوف العرب واحد أبناء ملوكها»<sup>(٢٧)</sup>. وقال ابن أبي أصيبعة «فيلسوف العرب واحد أبناء ملوكها... كان عظيم المنزلة عند المأمون والمتصم وعند ابنه أحمد، وله مصنفات جليلة ورسائل كثيرة جداً في جميع العلوم»<sup>(٢٨)</sup>.

نشأ الكندي وعاش في خضم النهضة العلمية العربية، وقد بلغت حركة الترجمة أوجها، مما أتاح له جواً علمياً وفكرياً ساعده على تحصيل معارف عديدة، والاتصال بالعلماء والمترجمين، والمشاركة في المناظرات والمناقشات العلمية والفلسفية والأدبية التي كانت تعقد في مجالس الخلفاء والعلماء، والاطلاع على كثير من كتب حكماء اليونان وآرائهم في الفلسفة والمنطق والعلوم الطبيعية والرياضية. وقد ساهم في النهضة المذكورة مساهمة فعالة بما ترجمه وفسره وشرحه من تلك الكتب، وما صنّفه من كتب ورسائل في مختلف آفاق المعرفة، وما أبدعه وإبتكره من نظريات وآراء. إلا أنه مال بصورة خاصة إلى دراسة الفلسفة فبرع فيها واشتهر بين أقرانه بفيلسوف العرب.

لقد كان الكندي عالماً موسوعياً أحاط بمعارف زمانه، وصنّف فيها. وقد صنّف ابن النديم كتبه بحسب مواضيعها إلى سبعة عشر صنفاً هي: الفلسفية، والمنطقية، والحسابيات، والكُريّيات، والموسيقيات، والنجوميات، والهندسيات، والفلكيات، والطبيات، والأحكاميات<sup>(٢٩)</sup>، والجذليات، والنفسيات، والسياسيات، والأحداثيات<sup>(٣٠)</sup>، والأبعاديات<sup>(٣١)</sup>.

- 
- (٢٤) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنّفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٣٧١.  
 (٢٥) أبو داود سليمان بن حسان بن جليل، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، نصوص وترجمات، ١٠ (القاهرة: المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٥٥)، ص ٧٣-٧٤.  
 (٢٦) الأندلسي، طبقات الأمم، ص ٥٢.  
 (٢٧) القفطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات المتقطعات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٣٦٦-٣٦٧.  
 (٢٨) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٨٥-٢٨٦.  
 (٢٩) أي الكتب التي تبحث في علم النجوم.  
 (٣٠) وأكثرها يبحث في الآثار العلوية، أي الأحوال الجوية.  
 (٣١) التي تبحث في أبعاد المسافات.

والتقدميات<sup>(٣٢)</sup>، والأنواعيات<sup>(٣٣)</sup>. وقد حذا القفطي في ترتيب كتب الكندي ووسائله حذو ابن النديم، مع بعض الاختلافات البسيطة في أسائها قد حصلت في أثناء النسخ<sup>(٣٤)</sup>. أما ابن أبي أصيبعة فقد ذكرها جميعاً بقائمة واحدة وزاد عليها عدداً من الكتب<sup>(٣٥)</sup>.

ومن يستعرض هذه القوائم لا يقتصر عجب على كثرتها وقد جاوز عددها المثني وخمسين كتاباً ورسالة، بل يعجب كذلك من تنوع مواضيعها وشمولها أغلب ميادين المعرفة. وذلك لا يتيسر إلا لذي عقلية جبارة وعبقريّة فذة، وذلك ما كان يتمتع به الكندي فيلسوف العرب.

## ٢ - فلسفة الكندي

انتهج الكندي في الفلسفة منهج المذهب الطبيعي، وهو المذهب الذي يُعنى بدراسة المظاهر المادية الملموسة في الطبيعة وآثارها، ويتوخى الوصول بماهيات الأشياء إلى العلة الأولى أو الصانع الحكيم المبدع، الواحد الفرد. وهو لا يقرّ من أصول الفلسفة إلا ما لا يعارض عقيدته الدينية بالإله الواحد وبالنبوة ومعجزاتها ويحدث العالم وتناهيه وبالبعث، وهي عقائد الإسلام الأساسية. ومن دلائل إيمانه بالواحد الأحد قوله في رسالته «في الفاعل الحق الأول التام والفاعل الناقص الذي هو بالمجاز»<sup>(٣٦)</sup>، «إن الفعل الحقّ الأول هو تائيس الأيسات عن ليس، وهذا الفاعل بين أنه خاصة الله تعالى الذي هو غاية كل علة، فإن تائيس الأيسات عن ليس، ليس لغيره، وهذا الفعل هو المخصوص باسم الإبداع. فاما الفاعل الحقّ الثاني الذي يلي هذا الفعل فهو المؤثر في المؤثر فيه. فاما الفاعل الحقّ فهو المؤثر فيه، من غير أن يتأثر هو بجنس من أجناس التأثير. فلإذن، الفاعل الحقّ هو الفاعل مفعولاته من غير أن يتفعل هو بته. فاما المتفعل فهو المتأثر من تأثير المؤثر، أعني المتفعل عن الفاعل. فلإذن، الفاعل الحقّ الذي لا يتفعل بته هو الباري فاعل الكل جل ثناؤه. وأما دونه، أعني جميع خلقه، فإنها تسعى فاعلات بالمجاز لا بالحققة، أعني أنها كلها متفعلة بالحققة...»<sup>(٣٧)</sup>.

والكندي يعتبر الفلسفة أرقى العلوم الإنسانية حيث يقول: «إن أصل الصفات الإنسانية منزلة وأشرافها مرتبة صناعة الفلسفة التي حُدّها علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الانسان. لأن غرض الفيلسوف في علمه الحق، وفي علمه العمل بالحق»<sup>(٣٨)</sup>. ويقول «أشرف الفلسفة وأعلاها مرتبة الفلسفة

(٣٢) أي المقدمات.

(٣٣) وتضم كتباً في مواضيع مختلفة. انظر: ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنّفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٣٧٢ - ٣٧٩.

(٣٤) القفطي، تاريخ الحكماء، وهو مختصر الزوزني المسمى بالمتنخبات المنقطعات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٣٦٨ - ٣٧٦.

(٣٥) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٨٩ - ٢٩٣.

(٣٦) أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي، رسائل الكندي الفلسفية، حقّقها وأخرجها محمد عبد الهادي أبو ريدة، ج ٢ (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٥٠ - ١٩٥٣)، ج ١، ص ١٨٣ - ١٨٤.

(٣٧) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٨٢ - ١٨٣.

(٣٨) المصدر نفسه، ج ١، ص ٩٧.

الأولى، أعني علم الحق الأول الذي هو علة كل حق...»<sup>(٣٩)</sup>. وهو بهذا يعرف الفلسفة تعريفاً موجزاً لكنه شامل جامع.

وهو يعتبر «الحقيقة» ثمرة بحث أجيال الانسانية طوال العصور بحيث يضيف كل جيل ما يتوصل إليه إلى من سبقه، ويعهد السبيل إلى من سيأتي بعده، إذ يقول: «وغير ممكن أن يجتمع في زمن المرء الواحد، وإن اتسعت مدته، واشتد بحثه، ولطف نظره، واثر الدأب، ما اجتمع بمثل ذلك من شدة البحث والطاف النظر وإيثار الدأب في أضعاف ذلك من الزمان الأضعاف الكثيرة...» وينبغي لنا أن لا نستحي من استحسان الحق واقتناء الحق من أين أتى، وإن أتى من الأجناس الفاسية عنا والأمم المبانية لنا فإنه لا شيء أولى بطالب الحق من الحق، وليس ينبغي بخس الحق، ولا تصغير بقائه ولا بالآتي به... فحسن بنا - إذ كنا حراساً على تميم نوعنا إذ الحق في ذلك - أن نلزم في كتابنا هذا عاداتنا في جميع موضوعاتنا من إحصار ما قال القدماء في ذلك قولاً تاماً، على أقصد سبيله وأسهلها سلوكاً على أبناء هذه السبيل، وتتميم ما لم يقولوا فيه قولاً تاماً على مجرى عادة اللسان وسنة الزمان، ويقدر طاقنا... لأن في علم الأشياء بحقيقتها علم الربوبية وعلم الوجدانية وعلم الفضيلة، وجملة كل نافع والسبيل إليه، والبعد عن كل ضار والاحتراش منه...»<sup>(٤٠)</sup>. يكشف الكندي في رأيه هذا في البحث عن الحقيقة وأخذها من أي مصدر كان عن أساس مهم من أسس فلسفته، هو اعتبار الحضارة والثقافة وكل أنواع المعرفة، تراثاً إنسانياً تعاونت على تكوينه أمم وشعوب مختلفة في عصور متعاقبة. وقد يكون لأمة ما في عهد ما دور في ذلك أكثر أهمية مما للأمة الأخرى، إلا أن ذلك لم يتم إلا بالاستفادة مما قدمته أمم أخرى في عهود سابقة. ولذلك فهو لا يرى عيباً في الاستفادة مما توصلت إليه أجيال سابقة في أمم أخرى، لأن ما سيتحقق سوف تستفيد منه أجيال قادمة في أمم شتى، كل منها حسب قابليتها ورغبتها ودرجة حضارتها. ونظرت هذه، كما لا يخفى، نظرة إنسانية عامة.

لقد تأثر الكندي في فلسفته بآراء أرسطوطاليس ونظرياته الفلسفية، فدرس كل ما وصل إلى يده من كتبه وشرح أغلبها وبسطها وأوضح غامضها. ويعتبر خير من عرف بكتب أرسطوطاليس وفلسفته، وقد وضع رسالة في كمية كتب أرسطوطاليس وما يحتاج إليه في تحصيل الفلسفة<sup>(٤١)</sup>. وقد اعتبر الكندي هذه الكتب هي التي يحتاج إليها دارس الفلسفة ليكون فيلسوفاً حقاً.

وكان الكندي معجباً بسقراط الحكيم اليوناني الأشهر الذي «أعلن بمخالفته اليونانيين في عبادتهم الأصنام، وقابل رؤسائهم بالهجو والأدلة، فثُوروا عليه العامة واضطروا ملكهم إلى قتله، فأودعه ملكهم الحبس... ثم أسفاه السُّم»<sup>(٤٢)</sup>. فصنف الكندي عدة كتب عن فضيلته وألفاظه وخبر موته ومخاوراته<sup>(٤٣)</sup>.

(٣٩) المصدر نفسه، ج ١، ص ٩٨.

(٤٠) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٠٢ - ١٠٤.

(٤١) انظر نص الرسالة، في: المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٦٤ - ٣٨٤.

(٤٢) الفنطسي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوذي المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بإخبار الحكماء، ص ١٩٨.

(٤٣) المصدر نفسه، ص ٣٧٤، وابن النديم، الفهرست في إخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٣٧٧.

كما أخذ الكندي ببعض مقولات المعتزلة فكتب عدداً من الكتب في المواضيع ذات العلاقة بأصول الاعتزال. فقد صنف كتاباً في أن أفعال الباري جل اسمه كلها عدل لا جور فيها. وكتب في توحيد الباري عز وجل رسالة في التوحيد بتفسيرات ورسالة في البرهان وهو يبحث في الرسالتين وحدانية الله تعالى، ويتصدى لتفسير مفهوم التوحيد. ويعتبر الكندي أول من كتب في توحيد الباري على طريق المنطق<sup>(١١)</sup>. كما صنف كتاباً في الاستطاعة وزمان كونها ويظهر أنه صنفه لبيان رأيه في المسألة: هل توجد الاستطاعة للفعل قبل وقوعه - كما ذهب إليه المعتزلة - أو مع الفعل، كما ذهب إليه أهل السنة. على أن موقف الكندي لا يتضح من عنوان الكتاب.

وتصدى الكندي للملاحدة والدهريين فوضع رسائل في الرد على المثانية وفي الرد على الثنوية وفي نقض مسائل الملحدين، ووضع كتاباً في القول في الرد على التصاري وإبطال تثليثهم على أصل المنطق والفلسفة<sup>(١٢)</sup>.

وقد أولى الكندي علم الرياضيات اهتماماً بالغاً، واعتبر دراستها والإلمام بها ضرورياً لدارس الفلسفة. فقال في رسالته في كمية كتب ارسطوطاليس وما يحتاج إليه في تحصيل الفلسفة: «إن عدم أحد علم الرياضيات التي هي علم العدد والهندسة والتنجيم والتأليف، ثم استعمل كتب أرسطو دهره لم يستم معرفة شيء منها، ولم يكن سعيه فيها يكسبه شيئاً إلا الرواية إن كان حافظاً. فأما علمها على كتبها وتحصيلها فليس بوجود إن علم الرياضيات، البتة»<sup>(١٣)</sup>. وله كتاب في أنه لا تنال الفلسفة إلا بعلم الرياضيات<sup>(١٤)</sup>. وقد طبق الرياضيات في أبحاثه الفلسفية والموسيقية والطبية، إذ بنى فعل الأدوية المركبة، وفعل الموسيقى على نسبة المتواليات الهندسية المضاعفة. ففي الأدوية رأى ضرورة تناسب الكميات المحسوسة وهي الحار والبارد والرطب واليابس «فإذا أريد أن يكون الدواء حاراً في درجة (١) فلا بد له من الحرارة ضعف حرارة المزيج المعتدل، وإذا أريد أن يكون الدواء حاراً في درجة (٢) فلا بد له من الحرارة أربعة أمثال حرارة المزيج المعتدل، وعلم جراً...»<sup>(١٥)</sup>. وقد اعتبره كاردانو (Cardano)، وهو من فلاسفة عصر النهضة الأوروبية، لقوله هذه النظرية، واحداً من اثني عشر مفكراً هم أنفذ المفكرين عقولاً<sup>(١٦)</sup>.

(٤٤) أسماعيل حقي الإزميري، فيلسوف العرب يعقوب بن اسحق الكندي، ترجمة عباس الغزالي (بغداد: مطبعة أسعد، ١٩٦٤)، ص ٥٤.

(٤٥) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٧٦، الففطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمتنبيات المتفظات من كتاب إخبار العلماء بإخبار الحكماء، ص ٣٧٣، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٩١، ووتشرد يوسف مكاري، التصانيف المنسوبة إلى فيلسوف العرب (بغداد: مطبعة العاني، ١٩٦٢)، ص ٥٢.

(٤٦) الكندي، رسائل الكندي الفلسفية، ج ١، ص ٣٧٧. والتأليف في الرياضيات هو إيجاد نسبة عدد إلى عدد آخر وقرنه إليه، ومعرفة المؤلف منه والمختلف.

(٤٧) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٧٢، وابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٨٩.

(٤٨) دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام، ص ١٨٢.

(٤٩) المصدر نفسه.

كما نلمس نزعتة الرياضية في بعض رسائله الفلسفية، كما جاء في رسالته في مائة ما لا يمكن أن يكون لا نهاية له، ويأتي نوع يقال الذي لا نهاية له إذ يضع أربع مقدمات بديهية يتخذها أساساً لإقامة الدليل على وجود جرم لا نهاية له، لأن الجرم والحركة والزمان، حسب رأيه، لا يسبق بعضها بعضاً. ويعد أن يثبت أن الزمان الذي لا نهاية له متناوٍ، يتوصل إلى أنه لا الجرم ولا الحركة ولا الزمان أزلية وإنما هي متناهية<sup>(٥٠)</sup>. ونلمس مثل هذا كذلك في رسالته في إيضاح تنامي جرم العالم فهو يضع مقدمات يثبتها رياضياً ثم يبيّن أقواله عليها<sup>(٥١)</sup>.

إن نزعة الكندي الرياضية جعلت بعض أقواله وآرائه الفلسفية ولها شيء من الغموض، فهي لا تتضح إلا لتمرّس في الفلسفة. ولعل هذا ما جعل البعض ينتقده بعدم التوضيح والتحليل، كالفاضي صاعد الأندلسي والفطفي. ورغم اعتراف القاضي بأن كتب الكندي في المنطق قد نفقت عند الناس نقاً عاماً، فإنه ينتقده بأنها «خالية من صناعة التحليل التي لا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل في كل مطلوب إلا بها. وأما صناعة التركيب وهي التي قصد يعقوب في كتبه هذه إليها، فلا ينتفع بها إلا من كانت عنده مقدمات، فحينئذ يمكن التركيب. ومقدمات كل مطلوب لا توجد إلا بصناعة التحليل. ولا أدري ما حل يعقوب على الإضراب عن هذه الصناعة الجليلة، هل جهل مقدارها أو ضنّ على الناس بكشفه، وأي هذين كان فهو نقص فيه»<sup>(٥٢)</sup>. ويقول الفطفي «وكان مع تبخّره في العلم يأتي بما يصنّف مقصراً فيذكر مرة حججاً غير قطعية، ويأتي مرة بأقوال خطابية وأقوال شرعية، وإلمام صناعة التحليل التي لا يتحرر قواعد المنطق إلا بها. فإن لم يكن جهلها فهو نقص عظيم، وإن يكن ضنّ بها فليس ذلك من شيم العلماء. وأما صناعة التركيب التي قصدتها في تواليها فلا ينتفع بها إلا المتبهي الذي هو في غنى عنها بتبخره في هذا النوع»<sup>(٥٣)</sup>.

وقد اعتبر ابن أبي أصيبعة ما قاله القاضي صاعد تحاملاً على الكندي، فقال «هذا الذي قاله القاضي صاعد عن الكندي فيه تحامل كثير عليه وليس ذلك مما يحط من علم الكندي ولا مما يصدّ الناس عن النظر في كتبه والانتفاع بها»<sup>(٥٤)</sup>.

لقد كان الكندي إلى جانب براعته في الفلسفة عالماً موسوعياً، أحاط بمعارف زمانه وصنّف في أكثرها. وقد سبقت الإشارة إلى مصنّفاته وأنواعها. وقد ذكر له ابن النديم اثنين وعشرين كتاباً ورسالة في الفلسفة<sup>(٥٥)</sup>. وقد حقق الأستاذ محمد عبد الهادي أبو ريّة مجموعة من رسائل الكندي الفلسفية التي تمّ العثور عليها، وطبعها في جزأين يتضمن الأول منها أربع عشرة رسالة، والثاني إحدى عشرة رسالة. ويتضح للمدقق أن تسع عشرة رسالة منها

(٥٠) الكندي، رسائل الكندي الفلسفية، ج ١، ص ١٩٧ - ١٩٨.

(٥١) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٨٥ - ١٨٦.

(٥٢) الأندلسي، طبقات الأمم، ص ٥٢.

(٥٣) الفطفي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمّى بالمختبرات المنقطات من كتاب إخبار

العلماء بإخبار الحكماء، ص ٣٦٧ - ٣٦٨.

(٥٤) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٨٧.

(٥٥) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنّفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٣٧٢.

قد ذكرها ابن النديم والفقفي وابن أبي أصيبعة مع اختلاف بسيط في عناوين بعضها مما لا يخفى على المطالع الحصيف.

ومن الجدير بالذكر أن الأب رتشد يوسف مكارثي اليسوعي رتب سجلاً بمصنفات فيلسوف العرب، وضَمّن القسم الثاني منه تصانيف الكندي المخطوطة والمطبوعة والترجمة في مختلف المواضيع<sup>(٥٦)</sup>، وهو جهد مشكور يسرّ الموضوع للمتبعين.

وإذا ما صح ما قيل عن الكندي إنه كان من حذّاق المترجمين، فإن ذلك ساعده على تفهّم الآراء الفلسفية بلغة أصحابها. ولكن من الملاحظ أنه لم يتحقّق أنه نسب إليه ترجمة كتاب معين سوى ما ذكره الفقفي بأنه نقل كتاب جغرافياً في العمور وصفة الأرض لبطلميوس إلى العربية نقلاً جيداً وكان هذا الكتاب مترجماً إلى السريانية كذلك<sup>(٥٧)</sup>. وقد يكون الكندي نقله من الترجمة السريانية. كما سبقت الإشارة إلى أنه كان في جملة من عهد إليهم المأمون بترجمة كتب أرسطو وغيره من فلاسفة اليونان. إلا أنه يظهر أن المقصود بالترجمة هو ما عناه ابن جليل بقوله إنه ترجم من كتب الفلسفة الكثير وأوضح منها المشكل ولخص المستصعب وبسط العويص<sup>(٥٨)</sup>، انه كان يجيد عرض آراء فلاسفة اليونان بلغة عربية فصيحة وبأسلوب مبسّط واضح. وهناك إشارات عديدة إلى أنه لخص وهذب وفسر بعض الكتب التي ترجمها غيره. فقد فسر كتب أرسطو في المنطق وكان قد ترجمها حنين بن اسحاق وابنه اسحاق بن حنين<sup>(٥٩)</sup>، واختصر كتاب أبوطيقا الذي نقله إلى العربية أبو بشر متى بن يونس<sup>(٦٠)</sup>، وأصلح كتاب اثولوجيا المنسوب إلى أرسطو، وكان قد نقله إلى العربية ابن ناعمة الحمصي<sup>(٦١)</sup>.

وتظهر في ما طبع من رسائله كفايته العالية في اللغة العربية وإحاطته بمفرداتها ومشتقاتها، وبخاصة القديمة منها، فيستخدمها في مكانها المناسب لتعطي القارئ المعنى المطلوب باللغة اليونانية. ويظهر ذلك بوضوح أكثر في المصطلحات الفلسفية، وبخاصة تلك التي يشتقها لتؤدي مفاهيم معينة. فقد استعمل كلمة «الآيس» للدلالة على الموجود إجمالاً، وجمعها «أيسات» للدلالة على الموجودات، واشتق منها «الآيسية» للدلالة على حالة الوجود، كما اشتق منها فعلاً ليدل على الإيجاد فقال «يؤيس» وتعني يوجد الشيء من لا شيء، ثم يستعمل مصدرها «التأيس» في معنى الإيجاد مطلقاً. وإن رسالته في حدود الأشياء ورسومها

---

(٥٦) مكارثي، التصانيف النسوية إلى فيلسوف العرب، ص ٦١ - ٨٠.

(٥٧) الفقفي، تاريخ الحكاء: وهو مختصر الزوزني المسنّى بالانتخابات المنقطات من كتاب إخبار

العلماء بأخبار الحكاء، ص ٩٨.

(٥٨) ابن جليل، طبقات الأطباء والحكاء، ص ٧٣ - ٧٤.

(٥٩) الفقفي، المصدر نفسه، ص ٣٥ - ٣٦.

(٦٠) المصدر نفسه، ص ٣٨ و٣٢٣.

(٦١) المصدر نفسه، ص ٤٢.

ورسلاته في الجواهر الخمسة<sup>(٦٢)</sup> خير شاهد على سعة إحاطته باللغة العربية. ويمكن اعتبار هاتين الرسالتين قاسوساً فلسفياً ضرورياً لقراءة رسائل الكندي وكتبه الفلسفية، والكتب الفلسفية الأخرى، لما احتوت عليه من تعابير ومصطلحات يستعملها أهل الفلسفة.

ومع أن الكندي تأثر بأراء أرسطو وحذا حذوه في تصانيفه، فإنه كان قد درس آراء أفلاطون وتأثر بها كذلك، واتخذها مثلاً إلى جانب آراء أرسطو، وكان يعتبرهما إمامي الفلسفة اليونانية. فبنى آراءه الفلسفية على ما صح عنده من الآراء والنظريات حول كثير من المسائل الفلسفية دون التقيّد بما نسب إلى أحدهما. وعملاً بمنهجه الفلسفي، فإنه لم يقرّ من أصول فلسفتيهما إلا ما لا يتناقض مع أحكام الدين الإسلامي الواضحة في النصوص القرآنية والأحاديث النبوية. وكان يرى أن الفلسفة في تحرّجها عن الحقيقة ودعوتها إلى كل نافع والسبيل إليه، والبعد عن كل ضار والاحتباس منه، لا تختلف عما أنت به الرسل الصادقة عن الله تعالى. فإنهم إنما جاءوا بالإقرار بربوبيته تعالى ووحدانيته، وبالترام الفضائل المرتضاة عنده والابتعاد عما يناقضها من الرذائل، وهذا هو علم الأشياء بحقائقها نفسه، ولذا، فإن الفلسفة في مرامها وغاياتها لا تختلف عن الدين. ويظهر مما جاء في كتابه إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى أن بعض رجال الدين عارضوه في رأيه هذا، وهو ينسب معارضتهم إلى جهلهم وضيق فطنتهم عن فهم أساليب الحق، ودفاعاً عن مراكزهم التي وصلوا إليها عن غير استحقاق<sup>(٦٣)</sup>.

وفي سبيل الدفاع عن منهجه الفلسفي راح الكندي يعمل جاهداً ليثبت أن الفلسفة لا تتناقض الدين، ويعمل للتوفيق بينهما. وكان أول فيلسوف عربي مسلم حاول أن يؤوّل الآراء الفلسفية ليوفق بينها وبين الدين، مما مهد طريق الفلسفة لمن يريد أن ينتهجها وينهل من مواردها.

### ٣ - بعض نظريات الكندي الفلسفية

وللتعرف إلى مزيد من جوانب فلسفة الكندي ومنهجه فيها نستعرض في ما يأتي آراءه ونظرياته في بعض المسائل الفلسفية المهمة:

#### أ - وحدانية الله تعالى

يحاول الكندي أن يدلّل على وحدانيته تعالى بأن يثبت استحالة وجود جسم بالفعل لا نهاية له، كما يثبت تنامي الزمان وجرم العالم أيضاً، وذلك في رسالته في وحدانية الله وتناسخ جرم العالم<sup>(٦٤)</sup>، فهو يرى استحالة وجود ما لا نهاية له بالفعل أيضاً كان، وإن الحركة هي علة

(٦٢) الكندي، رسائل الكندي الفلسفية، ج ١، ص ١٦٥ - ١٨٠، وج ٢، ص ٨ - ٣٢.

(٦٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٠٣ - ١٠٤.

(٦٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٠١ - ٢٠٧، وقد كتبها إلى الشاعر علي بن المههم جواباً عن سؤال

منه.



الزَّمان إذ يقول «إنه لا يمكن أن يكون زمان بالفعل لا نهاية له. والزمان زمان جرم الكلّ - أعني مدته - فإذا كان الزمان متناهياً فإن أيّة الجرم متناهية، إذ الزمان ليس موجود. ولا جرم بلا زمان، لأن الزمان إما هو عدد الحركة - أي مدة تمّدها الحركة - فإن كان حركة كان زمان، وإن لم تكن حركة لم يكن زمان. والحركة إما هي حركة الجرم، فإذا كان جرم كانت حركة وإن لم يكن جرم لم تكن حركة. والحركة هي تبدّل الأحوال... فكل تبدّل فهو لذي زمان». وبعد أن ينتهي إلى وجوب تناهي الجسم والحركة والزمان، يقرر أنه «يمنع أن يكون جرم لم يزل، فالجرم إذا عُدث اضطراباً، والمحدث عُدث المحدث، فللكل عُدث اضطراباً عن ليس»<sup>(٦٥)</sup>.

ثم ينتقل إلى إثبات أن المحدث المبدع واحد، وهو محدث الكل. لأن الكثرة في المحدثين تجعلهم مركّبين في ذواتهم بحكم اشتراكهم في حال واحدة هي انهم جميعاً فاعلون، كما أنهم مختلفون بفصول تخصصهم، فيصبح كل منهم مركّباً في ما يخصه وما يعمّه ويعمّ غيره. وهذا يقتضي حدوث كل منهم وحاجته إلى مركّب يُركبه، أي «يجب أن يكون للفاعل فاعل، فإن كان الواحد هو الفاعل الأول، وإن كان كثيراً ففاعل الكثير كثير دائماً، وهذا يخرج بلا نهاية، وقد انضح بطلان ذلك. فإذاً ليس كثيراً بل واحد غير متكرر، سبحانه وتعالى»<sup>(٦٦)</sup>.

ويؤكد الكندي في كتابه في الإبانة عن العلة الفاعلة القريبة للكون والفساد<sup>(٦٧)</sup> أن في الظاهر للحواس لأوضح دليل على تدبير مدبّر أول، ويعني مدبّراً لكل مدبّر، وفاعلاً لكل فاعل، ومكوّناً لكل مكوّن، وأولاً لكل أول، وعلة لكل علة<sup>(٦٨)</sup>. وإن الله جلّ ثناؤه هو الموجود الحق لم يكن ولا يكون ليساً أبداً، ولم يزل ولا يزال أيضاً أبداً. وأنه هو الحي الواحد الذي لا يتكرّر أبداً، وأنه هو العلة الأولى التي لا علة لها والفاعلة التي لا فاعل لها والمؤسس الكل عن ليس<sup>(٦٩)</sup>. ويرى أن «في نظم هذا العالم وترتيبه، وفعل بعضه في بعض، وانقياد بعضه لبعض، وتسخير بعضه لبعض، واتقان هيئته على الأمر الأصلى في كون كل كائن فساد كل فاسد، وثبات كل ثابت، وزوال كل زائل، لأعظم دلالة على اتقن تدبير، ومع كل تدبير مدبّر، وعلى أحكم حكمة، ومع كل حكمة حكم»<sup>(٧٠)</sup>.

### ب - نظريته في الكون والفساد<sup>(٧١)</sup>

تعتبر نظرية الكندي في الكون والفساد من أهم نظرياته الفلسفية المبتكرة وقد ضمّنها آراء جديدة يخالف فيها ما ذهب إليه فلاسفة اليونان. فهو يقول إن كل حركة إما أن تكون

(٦٥) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٠٧.

(٦٦) المصدر نفسه.

(٦٧) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢١٤ - ٢٣٧.

(٦٨) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢١٤.

(٦٩) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢١٥.

(٧٠) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢١٥.

(٧١) الكون هنا بمعنى التكوين والخلق أو التجديد، والفساد بمعنى الهلاك والاضمحلال. ويبحث الكندي هذا الموضوع في كتابه: في الإبانة عن العلة الفاعلة القريبة للكون والفساد. انظر: المصدر نفسه، ج ١، ص ٢١٤ - ٢٣٧.

مكانية أو ربوية أو اضمحلالية أو استحالية أو كوناً أو فساداً. كما أنها تكون ذاتية، أي من ذاتية الشيء، أو عرضية، أي ليست من ذاتيته. ويعني بالكون من ذات الشيء ما لا يفارق الشيء الذي هو فيه إلا بفساد جوهره، ويضرب مثلاً على ذلك بحياة الحي التي لا تفارق الحي إلا بفساد جوهره وانتقاله إلى لا حي. أما عن علة الحركة الكونية الفاسدة فيذكر أربع علل طبيعية هي: العنصرية والصورية والفاعلة والتامية. ويشير إلى أنه سيبحث في علة واحدة منها هي العلة الفاعلة، باعتبارها هي العلة الأساسية. على أن هذه العلة قد تكون قريبة أو تكون بعيدة. والعلة الأولى البعيدة في ما يتعلق بالكون والفساد في هذا العالم، على رأيه، هو الذات الإلهية، أي الله جل جلاله المبدع للكل، المتمم للكل، علة العلل ومبدع كل فاعل. أما العلة الفاعلة القريبة فيقول عنها «إنه قد اتضح في الأوقاف الطبيعية أن الكون والفساد إنما يكون في ذوات الكينيات المتضادات، وإن الحرارة والبرودة، والرطوبة واليبس هي أوائل الكينيات المتضادة، وإن الجرم الأقصى من المال - أعني ما يبرح حضيض القمر إلى آخر نهاية جسم الفلك - لا حار ولا بارد ولا رطب ولا يابس، وأنه لا يعرض فيه الكون والفساد أيام مدة زمانه الذي صبر الله جل ثناؤه له، وإن الكون والفساد إنما يكون فيها دون فلك القمر»<sup>(٧٢)</sup>.

ويعدّد الكندي العناصر التي في فلك ما دون القمر، وهي النار والهواء والماء والأرض، وهي كرات بعضها في داخل البعض: النار في أعلى ويلبها الهواء وهما يتحركان إلى أعلى، أي إلى خارج العالم، ثم الماء والأرض وهما يتحركان إلى أسفل، أي نحو مركز العالم الذي هو الأرض. ثم يتكلم على تأثير هذه العناصر بعضها في البعض الآخر، ويبين أنها ليست فاسدة في جملتها، بل إنما تكون وتفسد في بعض أجزائها. أما ما هو مركّب منها، ويعني بالمركّبات الحارث والنسل والمعادن وما أشبه ذلك، فلإنها كائنة فاسدة بكمال أشخاصها. ولا تخلو علة الكون والفساد الكائن في أجزاء العناصر الأربعة القريبة، من أن تكون قريبة منها أو من غيرها، وإما أن يكون أحدها علة ذلك، أو بعضها، منها ومن غيرها معاً.

ثم يشرح تأثير الحركة في العناصر ومركّباتها وما تولّده فيها من الحرارة، مع ملاحظة تأثير الزمان والمكان والكمية. ويبين «أن أفاعيل النفس متبوعة مزاجات الأجسام، والمزاجات تختلف باختلاف الأشخاص العالية بالمكان والزمان والكيفية»<sup>(٧٣)</sup>. ويوضح الفوارق البدنية والعقلية والخلقية بين سكان المناطق الثلاث: الحارة والباردة والمعتدلة، ويؤكد على فعل الحرارة والبرودة وتأثيرهما في تلك الفوارق. وهو يعزو ذلك كله إلى فعل الأشخاص العالية، إذ يقول «ومر الدليل الأكبر على أن هذه الأشخاص السايوة علة كوننا ما نرى من حركة الشمس البنية حداً دون الحساب، والكواكب المتحركة البنية جداً للحس. فإن هذه الكواكب حاصنة من بين جميع الأجرام السايوة، ونظم بعضها إلى بعض، وتعديل أبعادها من هذه الأشياء الطبيعية الواقعة تحت الكون والاستحالة وأعداد حركاتها التي بعضها من الشرق إلى الغرب، وبعضها من الغرب إلى الشرق، وقربها من المركز وبعد عنها، أدلّ من غيرها من الأشخاص السايوة على أنها علة كون الأشياء الواقعة تحت الكون والفساد والاستحالة، ودوام صورها إلى المدة التي قدّر لها خالقها جل ثناؤه ولا سيما الشمس»<sup>(٧٤)</sup>.

(٧٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢١٩ - ٢٢٠.

(٧٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٢٤ - ٢٢٥.

(٧٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٢٦ - ٢٢٧.

وهو لا يعزو تأثير الأجرام السماوية إلى فعل أشخاصها، بل إلى ما ينشأ من حركاتها التي تجري حسب قانون طبيعي قدّره لها خالقها. ويعطي الكندي الأهمية الكبرى في ذلك للشمس من حيث حجمها وبعدها وما تبعثه من حرارة، واستمرار تأثيرها، ولولا ذلك «لم يكن شتاء ولا صيف ولا ربيع ولا خريف، وكان زمان كل موضع من الأرض واحداً إما صيف أبداً وإما شتاء أبداً، وأما غير ذلك من الأزمان لا يختلف. ولو كان هذا هكذا لما ثبت كون ولا فساد، ولكانت الأشياء واحدة لا كون فيها ولا فساد، وبطلت صورة الكون جميعاً»<sup>(٧٥)</sup>.

وهكذا يرى الكندي «أن قوام الأشياء الواقعة تحت الكون والفساد وثبات صورها إلى نهاية المدة التي أراد باري الكون للكون جلّ شأنه، وحفظ نظامها، إنما يكون من قبل اعتدال الشمس في بعدها من الأرض، ومن قبل سلوكها في الفلك المائل وانقيادها لحركة الفلك الأعظم المحرّك لها من المشرق إلى المغرب، ومن قبل خروج مركز فللكها عن مركز الأرض، وأعني في دنوّها من مركز الأرض تارة وبعدها منه تارة، لكون نهاية الزمان التي بها تكون الأكوام»<sup>(٧٦)</sup>.

ثم يلخص الكندي نظريته في الكون والفساد بقوله «فقد تبين أن كون جميع الأشخاص السماوية على ما هي عليه من المكان الذي هو الأرض والماء والهواء ونضد ذلك»<sup>(٧٧)</sup>، وتقسيطه، هو علة الكون والفساد في الكائنات الفاسدات، الفاعلة القريبة، أعني المرتبة بإزاءها هذا الترتيب الذي هو سبب الكون والفساد، وإن هذا من تدبير حكيم عليهم...»<sup>(٧٨)</sup>.

يتضح مما تقدم أن الكندي لا يقول بقدّم العالم ولا بقدّم الزمن والحركة، وهو يخالف بهذا ما قاله أرسطوطاليس عن قدّم العالم وأزليته. ولكن يلاحظ من جهة أخرى أنه يعالج الموضوع على اعتبار أن الأرض مركز الكون وأن الشمس والكواكب الأخرى تدور حولها، وهو ما قال به فلاسفة اليونان. كما أنه يلمح إلى تأثير جاذبية الأرض، ويعتبر الحياة عليها مرتبطة بوجود الشمس. «فقد لاحظ أوضاع النجوم والكواكب ولا سيما الشمس والقمر بالنسبة للأرض، وما ينشأ عنها من ظواهر يمكن تقديرها من حيث الكم والكيفية والزمان والمكان. وربط بين ذلك وبين نشأة الحياة على الأرض في آراء تتسم بالخطورة والجرأة»<sup>(٧٩)</sup>. وقد ذكر ابن أبي أصيبعة بين كتب الكندي رسالة في الحياة<sup>(٨٠)</sup>. ويظهر أنه أوضح نظريته المذكورة في هذه الرسالة.

## ج - آراؤه في العقل

وضع الكندي رسالة في العقل<sup>(٨١)</sup> ويبيّن في مقدمتها أنه وضعها بشكل موجز على رأي المحمّودين من فلاسفة اليونان أمثال أرسطوطاليس ومعلّمه أفلاطون الحكيم. ويبدأ في

(٧٥) المصادر نفسه، ج ١، ص ٢٢٩.

(٧٦) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٣١.

(٧٧) نصده: إحصاءه.

(٧٨) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٣٦ - ٢٣٧.

(٧٩) عبد الحليم منتصر، تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، ط ٦ (القاهرة: دار المعارف،

١٩٧٥)، ص ١٦١.

(٨٠) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٩١.

(٨١) الكندي، رسائل الكندي الفلسفية، ج ١، ص ٣٥٣ - ٣٥٨.

توضيح نظرية العقل بأن يقسم المعرفة إلى حسية وعقلية، لأن الصورة قد تكون هيولانية - أي مادية، واقعة تحت الحس، أو غير هيولانية - أي مجردة، واقعة تحت العقل. وأن الصورة المحسوسة إذا أفادتها النفس صارت هي والنفس شيئاً واحداً، وأن النفس تفيدها لأنها فيها بالقوة، فإذا ما باشرتها صارت فيها بالفعل، والقوة الحاسمة ليست سوى النفس. وكذلك الصورة التي تكون في النفس بالقوة تصير في النفس بالفعل، وهذه الصورة هي العقل المستفاد من العقل الأول وموضوعها الأشياء الثابتة التي هي بالفعل دوماً. وكل شيء أفاد شيئاً فإن المستفيد كان له ذلك الشيء بالقوة، وكل ما كان لشيء بالقوة فليس يخرج إلى الفعل بذاته وإنما بشيء آخر. وعلى هذا يرى أن الصورة العقلية في النفس هي والنفس شيء واحد - أي أن العقل والمعقول واحد من جهة النفس، وعلى هذا فإن العقل إما علة وأول لجميع المعلولات والمعقول الثواني، وإما ثانٍ وجو بالقوة للنفس ما لم تكن النفس عاقلة بالفعل. والثالث هو الذي بالفعل للنفس قد أفنته وصار لها موجوداً متى شامت استعمالته وأظهرته لوجود غيرها منها، كالكتابة في الكتاب فهي معدة ممكنة قد اقتناها وثبتت في نفسه، فهو يترجمها ويستعملها متى شاء. وأما الرابع فهو العقل الظاهر المبين من النفس، متى أخرجه، فكان موجوداً لترجمها منها بالفعل»<sup>(٨٢)</sup>.

ويوضح الكندي أن العقل الأول هو العلة الأولى الشريفة في مقابل العقول الأخرى التي هي عقول ثوانٍ بحسب صنفها ومرتبعتها الوجودية، مجردة عن المادة ولا تتمثل في الوهم في صورة حسية. وأن النفس تكون عاقلة بالقوة، فإذا ما اتحد بها أحد العقول الثواني المجردة صارت عاقلة بالفعل - أي أن العقل الثالث يكون أولاً عقلاً بالقوة، ثم يصير عقلاً بالفعل. ولما كان هذا العقل ليس إحدى القوى النفسانية التي لكل كائن حي، بل هو أت من خارجه ومآله إلى ترك الإنسان، فقد سماه الكندي «العقل المستفاد» أي أنه لم يكن للنفس ثم صار لها. إن الكندي في مقولته عن العقل لم يكن بعيداً عن التأثير بأرسطو وغيره من الفلاسفة اليونان، بل إنه بنى رأيه فيه على ذلك، ولكن يبدو أنه طوّر ما قالوا به في ضوء الآراء الأفلاطونية الجديدة، فاضاف العقل الرابع وهو ما سماه بالعقل الظاهر أو المبين، لأن النفس تبين به عما فيها إلى عقل آخر»<sup>(٨٣)</sup>.

## ثالثاً: فلاسفة آخرون

### ١ - الرازي والفلسفة

كان أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، أعظم أطباء عصره، ذا عقلية علمية، يؤمن بالدراسة والتجربة للحصول على نتائج صحيحة، والوصول إلى الحقيقة. فهو يؤثر الحكمة التي تضافرت على تكوينها مثاث الأجيال ويوصي بالاستكثار من قراءة كتب الحكماء ودراستها، لأن العمر أقصر من أن يجرب الإنسان فيه كل شيء. إذ يقول: «الاستكثار من قراءة

(٨٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٥٨.

(٨٣) دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام، ص ١٧٨، ومظهر، تاريخ الفكر العربي، ص ١٥٠.

كتب الحكماء، والإشراف على أسرارهم، نافع لكل حكيم عظيم الخطر» ويقول: «إن العمر يقصر عن الوقوف على فعل كل نبات الأرض، فليكن بالأشهر بما أجمع عليه، ودع الشاذ، واقتصر على ما جرىته»<sup>(٨١)</sup>. وكما كان يدعو إلى الاستفادة من تجارب الآخرين كان يدعو إلى الاستمرار في التجارب واعتماد القياس والأخذ بما اجتمع عليه الآخرون. فيقول: «ما اجتمع عليه الأطباء، وشهد عليه القياس، وعرضته التجربة، فليكن أمامك»<sup>(٨٢)</sup>. ومن هذا يظهر أن الرازي وإن أوصى من الاستكثار من القراءة والدرس، فإنه كان يعنى أيضاً بالتجربة والقياس. ولهذا فقد كان يقدر جالينوس وأرسطوطاليس كثيراً، إذ قال: «مضى اجتمع جالينوس وأرسطوطاليس على معنى فذلك هو الصواب، ومضى اختلفا صعب على العقول إدراك صوابه جداً»<sup>(٨٣)</sup>.

لقد عالج الرازي، شأن أمثاله من الحكماء، بعض المواضيع الفلسفية التي كانت تشغل بال الفلاسفة على أيامه، وأبدى آراءه فيها. إلا أن آراءه الفلسفية لم تكن توازي آراءه الطبية من حيث عمقها وأهميتها وتأثيرها، ولذا غلبت عليه صناعة الطب وشهرته بها. ويمكن القول إن الرازي لم يتفرغ للفلسفة بما تنطوي عليه الكلمة من معنى، وإنما كانت له آراء وأقوال فلسفية. ويظهر أن ما لقيه من اتهامات في عقيدته، جعله ينصرف عن معالجة هذه المواضيع، مكتئباً بنجاحه في ميدان الطب. ولعل اتصاله ببعض منتحلي المذاهب الغربية عن الإسلام وأخذ بعض آرائهم انحرف به عن جادة الصواب. وقد اعتبره القاضي صاعد الأندلسي من أشياع الفلسفة الطبيعية، ويقول عنه إنه صنف في ذلك كتباً انحرف فيها عن أرسطوطاليس، وأنه استحسن في كتابه الطب الروحاني وغيره مذهب الثنوية في الاشتراك، وآراء البراهمة في إبطال النبوة<sup>(٨٤)</sup>. وهو يرى أن سبب ذلك أن الرازي «لم يوغل في العلم الإلهي ولا علم غرضه الأقصى فاضطرب لذلك رايه، وتقلد آراء سخيفة، وانتحل مذاهب خبيثة، وطمع أقوام لم يفهم عنهم ولا هدي لسيبلهم»<sup>(٨٥)</sup>. وقد نقل هذا الرأي عنه كل من القفطي وابن أبي أصيبعة<sup>(٨٦)</sup>. ويحاول ابن أبي أصيبعة أن يدفع بعض التهم عن الرازي عندما يذكر كتابه «فيما يرويه من إظهار ما يدعى من عيوب الأولياء»<sup>(٨٧)</sup>، فيقول «وهذا الكتاب إن كان قد ألف، والله أعلم، فربما أن بعض الأشرار المعادين للرازي قد ألفه ونسبه إليه ليسيء من يرى ذلك الكتاب أو يسمع به، الظن بالرازي، وإلا فالرازي أجل من أن يحاول هذا الأمر وأن يصنف في هذا المعنى»<sup>(٨٨)</sup>.

(٨٤) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، ص ٤٢٠.

(٨٥) المصدر نفسه، ص ٤٢١.

(٨٦) المصدر نفسه، ص ٤٢٠.

(٨٧) الأندلسي، طبقات الأمم، ص ٢٣.

(٨٨) المصدر نفسه، ص ٥٣.

(٨٩) القفطي، تاريخ الحكماء، وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات المتقطعات من كتاب إخبار العلماء بإخبار الحكماء، ص ٢٧١، وابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٤١٦.

(٩٠) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٤٢٦، وجاء اسمه في: ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماؤهم، ص ٤٣٣: «كتاب ما يدعى من عيوب الأنبياء»، وفي القفطي، المصدر نفسه، ص ٢٧٦: «كتاب ما يدعى من عيوب الأولياء».

(٩١) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٤٢٦.

كانت آراء الرازي الفلسفية تنحصر منحنى الفلسفة الطبيعية، فهو يرى أن النفس هي ذات الشأن الأول في العلاقة بينها وبين الجسم، وأن ما يعتريها من خواطر وما تحس به من أفراح والام يمكن أن يُستشف من ملامح الجسم الظاهرة، ولذلك أكد على طبيب البدن أن يراعي هذه الناحية في مريضه فيعالج حالته النفسية، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في سيرة الرازي الطبية.

ويقول دي بور إن الرازي لم يكن يخجل بأوامر الشريعة كتحريم الخمر وما إليه، ويظهر أن نزعة الإباحية هي التي أدت به إلى التشاؤم، وأنه وجد أن الشر في الوجود أكثر من الخير، وأن اللذة ليست سوى الراحة من الألم، وهي رجوع النفس إلى حالتها الطبيعية التي كان اضطرابها سبباً في الألم. أما النفس الكلية فهي بحسب تصوّره قد اشتافت الدخول إلى هذا العالم فأصبحت أسيرة فيه، فأرسل الخالق تعالى جزءاً من جواهره الإلهي وهو العقل ليعود بالنفس إلى رشدها ويذكرها أن هذا العالم لا يليق بها. ولذا فهو يدعو إلى صفاء النفس والعمل على تحريرها عما يربطها بهذا العالم، ويرى أن الفلسفة هي التي تمكن النفس من معرفة عالمها الحقيقي. ولذا كانت مهمة الفلاسفة إعادة النفوس إلى طريق الرشاد، وأصبح البحث عن الحقيقة غاية الفلسفة.

ويرى الرازي أن الأجسام العلوية والسفلية جميعاً مؤلفة من العناصر الأربعة: الحار والبارد واليبس والرطب، وكلها موجودة منذ الأزل. ولما كانت الأجرام العلوية مكونة من العناصر نفسها التي تتكون منها الأجسام الأرضية، فإن هذه معرضة دائماً للتأثر بتلك الأجرام. وقال «بانتقال الكواكب الثابتة في الطول والعرض تنتقل الأخلاق والمراحمات، وامتثال عروس البلدان تختلف المزاجات والأخلاق والعادات وطباع الأديبة والأغنية»<sup>(٩٢)</sup>. وهو رأي يماثل ما يذهب إليه المنجمون. وفي هذا دلالة واضحة على أنه ربما كان منجماً.

أما رأيه في ما بعد الطبيعة، فإنه لا يختلف عن الآراء القديمة، فهو يؤكد على خمسة مبادئ أساسية ويقول بقدّمها وأزليّتها، وهي: الباري تعالى، والنفس الكلية، والهيولى الأولى، والمكان المطلق، والزمان المطلق. وهي أسس ومبادئ لا بد منها لوجود هذا العالم. فالإحساسات الجزئية تدل على الهيولى بالمعنى المطلق، والجمع بين محسوسات مختلفة يستلزم المكان، وإدراك ما يختلف على المادة من أحوال وتغير يستلزم القول بالزمان، ووجود الأحياء يدلنا على وجود النفس، ووجود العقل في بعض الكائنات الحيّة يدل على وجود خالق أحسن كل شيء خلقه.

وقد اختلف الرازي مع فلاسفة عصره في إمكان التوفيق بين الفلسفة والدين. وألف بعض الكتب في الرد على المعتزلة وغيرهم ممن حاولوا استخدام البراهين العلمية والعقلية في الدين، مثل كتابه الانتقاد والتحريض على المعتزلة<sup>(٩٣)</sup>.

(٩٢) المصدر نفسه، ص ٤٢١.

(٩٣) القفطي، المصدر نفسه، ص ٢٧٤.

وجاء الرازي برأي عن حركة الجسم يخالف ما ذهب إليه أصحاب أرسطو. فقد كتب مقالة في أن للجسم تحريكاً من ذاته وأن الحركة مبدأً طبيعياً<sup>(٩٤)</sup>. إن القول بتحريك الجسم من ذاته وبطبيعته رأي جديد في الفلسفة، ولكن يظهر أن الرازي لم يكن متحمساً بما يكفي لانتشاره. وللرازي ثلاثة كتب أخرى عن حركة الأجسام، أحدها كتاب في أن الحركة ليست مرئية بل معلومة<sup>(٩٥)</sup>، والثاني كتاب في أنه لا يجوز أن يكون سكوت وافتراق<sup>(٩٦)</sup>، والثالث في أنه يجوز سكوت واجتماع ولا يجوز أن يكون حركة واجتماع<sup>(٩٧)</sup>. ولا ندري ما إذا كان ما جاء في هذه الكتب شرحاً وتأييداً للرأي الرازي في كتابه الأول عن حركة الجسم. ويقول دي بور عن مقولة الرازي هذه «لو أن الرازي وجد من يؤمن به ويتم بناءه لكان نظرية مشرة في العلم الطبيعي»<sup>(٩٨)</sup>.

وللرازي كتب أخرى في الفلسفة ذكرها ابن النديم والقفطي وابن أبي أصيبعة في قائمة كتبه. منها: كتاب في اللذة، وغرضه أن يبين أنها داخلية تحت الراحة، وكتاب في المدة وهي الزمان وفي الخلاء والملاء وهما المكان، وكتاب في الهيولى المطلقة والجزئية، وكتاب في العلم الإلهي على رأي أفلاطون، وكتاب الحاصل، وغرضه فيه ما يحمل من العلم الإلهي من طريق الأخذ بالحرص وطريق البرهان، وكتاب تثبيت المعاد، غرضه فيه الرد على من أبطل المعاد. وكتب في مواضيع فلسفية متفرقة<sup>(٩٩)</sup>.

## ٢ - ثابت بن قرّة

كما ذكرنا ثابت بن قرّة الحرّاني في الفصل الخاص بالترجمة، كمترجم قدير يحسن اللغات العربية واليونانية والسريانية، وقلنا إنه ترجم عدداً من الكتب المهمة، وصحح عدداً آخر نقله إلى العربية مترجوماً آخرون. وقد كان لثابت بن قرّة اهتمامات علمية أخرى. يقول ابن أبي أصيبعة «لم يكن في زمنه من يمثله في صناعة الطب ولا في غيره من جميع أجزاء الفلسفة»<sup>(١٠٠)</sup>.

(٩٤) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٤٢١. وجاء ببعض الاختلاف في: ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماؤهم، ص ٤٣٢، والقفطي، المصدر نفسه، ص ٢٧٥.

(٩٥) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٤٣٢؛ ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٤٢٣، والقفطي، المصدر نفسه، ص ٢٧٥.

(٩٦) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٤٢٥.

(٩٧) المصدر نفسه، ص ٤٢٥.

(٩٨) دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام، ص ١٥٠، وحول آراء الرازي الفلسفية الأخرى، انظر: المصدر نفسه، ص ١٤٩ - ١٥٢.

(٩٩) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماؤهم، ص ٤٣٠ - ٤٣٣، القفطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزويزي المسمى بالملتحقات المتلصقات من كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٢٧٣ - ٢٧٧، وابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٤٢٢ - ٤٢٧. (١٠٠) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٩٥.

ويقول ابن جليل «وكان الغالب عليه الفلسفة دون الطب»<sup>(١٠١)</sup>. ويقول القفطي «وكان الغالب عليه الفلسفة»<sup>(١٠٢)</sup>، وهو يؤكد بهذا قول ابن جليل. لقد اشتهر ثابت بإحاطته بعلوم عديدة مهر بها جميعاً، فكان مهندساً لامعاً، وفلكياً من ذوي الأرصاد، وفيلسوفاً عالماً، وطبيباً ماهراً، ولد بمدينة حران في سنة ٣٢١هـ وبها نشأ، وكانت من المراكز العلمية آنذاك في إقليم الجزيرة، ثم انتقل إلى بغداد فاتصل بالخليفة المعتضد بالله الذي كان يحبه كثيراً ويعتزمه لسعة علمه وتعدد معارفه، وقد اتخذته ندبياً ومنجماً مختصاً به. وكان اتصال ثابت بالخليفة قد تم بواسطة محمد بن موسى بن شاكر الذي كان قد تعرف إليه في حران في منصرفه من بلاد الروم وجاء به إلى بغداد لما رآه فيه من نباهة وفصاحة ورغبة في العلم، فقدمه إلى الخليفة فادخله في جملة المنجمين في البلاط<sup>(١٠٣)</sup>. وهناك رواية أخرى لاتصال ثابت بالخليفة المعتضد بالله يرويها ابن أبي أصيبعة نقلاً عن ثابت بن سنان، حفيد ثابت بن قرة، وخلصتها أن الأمير الموفق أخا المعتمد على الله لما غضب في أواخر أيامه على ابنه أبي العباس أحمد حبسه في دار الوزير اسماعيل بن ببل. فتقدم الوزير إلى ثابت بن قرة بأن يدخل على أبي العباس ويؤنسه في وحدته. فأنس أبو العباس به كثيراً. إذ كان ثابت يجادته ويعرفه أحوال الفلاسفة وأمور الهندسة والنجوم وغير ذلك، فشغف به. ولما تقلد الخلافة أقطعهم ضياعاً جليلة، وكان يجلسه بين يديه كثيراً يحضرة الخاص والعام<sup>(١٠٤)</sup>.

إن الحياة الرغيدة التي أتاحتها الخليفة لثابت بن قرة ساعدته على الانصراف إلى الترجمة وتصنيف الكتب والرسائل في ما يتقنه من العلوم والفنون. فكان عمله في الترجمة جديراً بالتقدير. أما في ميدان التأليف فإنه يعتبر من المكثرين فيه، فقد ذكره ابن أبي أصيبعة ما يقرب من ١٥٠ كتاباً ورسالة<sup>(١٠٥)</sup>. وفيها من كتب الفلسفة والمنطق: جوامع كتاب بارمينيادس، وجوامع كتاب أناطوليفيا الأول، واختصار المنطق، ونوادر من طويبقا، واختصار كتاب ما بعد الطبيعة، وكتاب في أغاليط السوفسطائيين، وكتاب في الرد على من قال إن النفس مزاج، وكتاب في الأخلاق، وكتاب المدخل إلى المنطق، ومختصر الأصول من علم الأخلاق، وكتاب في النفس، وكتاب في الطريق إلى اكتساب الفضيلة.

(١٠١) ابن جليل، طبقات الأطباء والحكماء، ص ٧٥.

(١٠٢) القفطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات المنتقاة من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ١١٥.

(١٠٣) المصدر نفسه، ص ١٢٢؛ ابن النديم، الفهرست في إخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٣٩٤؛ شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن خلكان، وليات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ج ٦ (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٥٠)، ج ١، ص ٢٧٨؛ وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٩٧، وفيه أنه ولد سنة ٢١١.

(١٠٤) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٩٤؛ ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٧٨؛ القفطي، المصدر نفسه، ص ١١٥؛ وابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٩٥.

(١٠٥) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٩٥.

(١٠٦) المصدر نفسه، ص ٢٩٨ - ٣٠٠.



### ٣ - أحمد بن الطيّب

أبو العباس أحمد بن محمد بن مروان بن الطيّب، ولد في مدينة سرخس فُنسب إليها. وهو أبرز تلاميذ أبي يوسف يعقوب الكندي، درس عليه وأخذ منه، وكان غزير العلم بالتاريخ والفلسفة والسياسة والرياضيات والفلك والأدب والموسيقى. وصفه ابن النديم بأنه «كان متفتناً في علوم كثيرة من علوم القدماء والعرب، حسن المعرفة، جيد الترجمة، بليغ اللسان، مليح التصنيف والتأليف»<sup>(١٠٧)</sup> وأضاف ابن أبي أصيبعة إلى ذلك قوله، وكان «أوحد في علم النحو والشعر، وكان حسن العشرة مليح النادرة، خليماً ظريفاً، وسمع الحديث وروى شيئاً منه»<sup>(١٠٨)</sup>. وقال عنه المسعودي «كان موضعه من الفلسفة لا يُجهل، وله مصنفات حسان في الفلسفة وفنون الأخبار»<sup>(١٠٩)</sup> ووصفه القفطي بقوله «أحد فلاسفة الإسلام... أحد المتفنيين في علوم الفلسفة، وله تواليف جليلة في الموسيقى والمنطق وغير ذلك حلوة العبارة جيدة الاختصار»<sup>(١١٠)</sup>. أما ياقوت الحموي فكان معجباً به كثيراً إذ قال عنه: «أحد العلماء الفقهاء المحصلين الفصحاء البلغاء، له في علم الأثر الباع الواسع، وفي علوم الحكماء الذهن الثاقب الوقاد وبسطة الذراع، وهو تلميذ الكندي، وله في كل فن تصانيف وبجامع وتواليف»<sup>(١١١)</sup>.

تولى أحمد بن الطيّب أول أمره تأديب أبي العباس أحمد بن الموفق ثم نادمه لما تولى الخلافة ولقب المعتضد بالله. ولعلاقة المعتضد الطويلة بابن الطيّب وما لسه منه من ولاء وأمانة، وما كان عليه من علم واسع وعقل راجح، فقد اختص به واتخذهُ نديماً ومستشاراً كان يفضي إليه بأسراره ويستشيره في أمور مملكته<sup>(١١٢)</sup>. وولاه الحسبة، وسوق الرقيق، والمواثر، ببغداد في سنة ٢٨٣، إلا أنه ما لبث أن قبض عليه في السنة التالية وسلمه إلى بدر أحد عظمائه فأودعه السجن، ووجهه إلى داره من قبض على جميع أمواله<sup>(١١٣)</sup>. أما سبب غضب الخليفة عليه فتتفق الروايات على أنه «أنفى إليه بسر يتعلق بالقاسم بن عبيد الله ويدر غلام المعتضد بالله، فأنشأه وأذاعه بحيلة من القاسم عليه مشهورة، فسلمه المعتضد بالله إليها فاستصفيا ماله ثم أودعه

(١٠٧) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٨٠.

(١٠٨) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٩٣.

(١٠٩) أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين

عبد الحميد، ط ٥ (د.م.: [د.ن.]، ١٩٦٧)، ج ٤، ص ٢٥٩.

(١١٠) القفطي، تاريخ الحكماء، وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات المنتقاة من كتاب إخبار

العلماء بإخبار الحكماء، ص ٧٧.

(١١١) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب

المعروف بمجمع الأدباء أو طبقات الأدباء، تحقيق د.ص. مرجليوث، ط ٢، ج ٩ (القاهرة: مطبعة هندية،

١٩٢٦ - ١٩٢٣)، ج ١، ص ١٥٨.

(١١٢) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم،

ص ٣٨٠؛ القفطي، المصدر نفسه، ص ٧٧، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٩٣.

(١١٣) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٢، ص ٤٨٠، وياقوت الحموي، المصدر نفسه،

ج ١، ص ١٥٨.

المطامر...»<sup>(١١١)</sup>. ويروي ياقوت الحموي أن عبد الله بن حمدون نديم الخليفة المعتضد بالله قال إنه سأل الخليفة عن سبب قتله أحمد بن الطيّب، ولم تكن له جناية ظاهرة، فقال الخليفة: ويحك إنه دعاني إلى الإلحاد، فقلت له: يا هذا أنا ابن عم صاحب الشريعة وأنا الآن منتصب منصبه، فألحد حتى أكون من<sup>(١١٢)</sup>؟

أما عن قتله، فإنه كان قد أودع السجن، ولما أمر المعتضد بالله في سنة ٢٨٦ وزيّره القاسم بن عبيد الله بأن يقدم له أسماء جماعة من المسجونين ممن ينبغي أن يقتلوا ليستريح من انشغال باله بهم، أدخل القاسم اسم أحمد بن الطيّب في جملة الأسماء، وعندما علم الخليفة بالأمر في ما بعد لم ينكره<sup>(١١٣)</sup>. وكان موته في صفر سنة ٢٨٦. ولابن الطيّب عدة مصنفات في الفلسفة إلى جانب عدد كبير من المؤلفات الأخرى في الرياضيات والفلك والطب وفي صناعة النجوم والموسيقى والمناجمة والمجالات<sup>(١١٤)</sup>. أما كتبه الفلسفية فمنها: كتاب أن المبدعات في حال الأبداع لا متحركة ولا ساكنة، وكتاب النفس، وكتاب في العقل، وكتاب في وحدانية الله تعالى، وكتاب في أدب النفس ألفه للخليفة المعتضد بالله، وكتاب في الفاظ سقراط، وكتاب في أن الجزء ينقسم إلى ما لا نهاية له، إضافة إلى اختصاره كتب أرسطو في المنطق<sup>(١١٥)</sup>.

---

(١١٤) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٨٠، القطعي، المصدر نفسه، ص ٦٧، وابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٩٤.

(١١٥) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٥٩.

(١١٦) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٨٠، القطعي، المصدر نفسه، ص ٧٨، وابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٩٢.

(١١٧) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٥٨.

(١١٨) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٩٤ - ٢٩٥.

الفصل الحادي عشر  
الطبُّ وَأَشْهُرُ الْأَطِبَّاءِ



## أولاً: تقدم الطب العربي

### مقدمة

يأتي علم الطب بعد الفلسفة تراثاً يونانياً تسلمه العرب فأولوه رعايتهم واهتمامهم فتقدم على أيديهم، حتى أصبح من أوضح معالم الحضارة العربية في عصورها الزاهرة. على أن هناك ملاحظتين مهمتين لا بد من ذكرهما، الأولى، أن كبار أطباء اليونان كانوا علماء نظريين أكثر مما كانوا متمرسين بالتجربة والتطبيق، بينما اهتم الأطباء العرب الذين تأثروا بمؤلفات أبقراط وجالينوس وغيرهما، بتطبيق ما جاء فيها من نظريات وآراء وجربوها على المرضى في مختلف الظروف والأحوال، فأقروا ما ثبت صلاحه منها وطوّروا قسماً آخر، ونبذوا ما سوى ذلك. والملاحظة الأخرى هي أن المؤلفين في الطب من علماء العرب وفلاسفتهم مع اعتمادهم في بعض مواضع كتبهم على المؤلفات اليونانية المذكورة، فإنهم أضافوا إليها الكثير من ابتكاراتهم وأعمالهم الأصلية مما لم يُسبقوا إليه، كما أنهم أحسنوا تدوين تلك المعارف الطبية وتبويبها بحيث تميزوا على المؤلفين اليونانيين الذين لم يكونوا يحافظون على تسلسل مادة الموضوع ووحدة، ولا على التوافق بين أصناف المعلومات واسم الكتاب الذي يتضمنها<sup>(١)</sup>.

لقد كان لتأسيس بيت الحكمة تأثير مهم في النشاط الطبي الذي شهده القرن الثالث، وبخاصة عندما تولى رئاسة الترجمة فيه الطبيب الحاذق والمترجم القدير حنين بن اسحاق. فقد حفلت معظم سنوات هذا القرن بأعظم النشاط في الترجمة والنقل، كما نُقِّحت وصُحِّحت في

---

(١) كمال السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي (بغداد: دار الحرية، ١٩٨٥)، ج ١، ص ٣٧٨ -

خلاله المترجمات التي تمت قبل ذلك. وقد تبنياً لببت الحكمة مترجمون قديرون لهم معرفة جيدة باللغات العربية واليونانية والسريانية. وسبق أن ذكرنا في باب الترجمة أشهر المترجمين الذين عملوا بمعية حنين بن اسحاق، فترجمت جميع كتب أبقراط وجالينوس وشروحها إلى اللغة العربية، حتى بلغ عدد ما ترجم من آثار جالينوس ما يقارب من مئة كتاب بالسريانية وتسعة وثلاثين كتاباً باللغة العربية، وكذلك ترجمت جميع مؤلفات أبقراط وشروح جالينوس عليها<sup>(١)</sup>. وذكر ابن النديم الكتب الستة عشر لجالينوس التي يقرأها المتطببون أولاً، وكتبه الأخرى ويربو عددها على الخمسين كتاباً، وقد ترجمها إلى العربية عدد من المترجمين، وقد أصلح حنين بن اسحاق كثيراً منها<sup>(٢)</sup>. وتناولت هذه الكتب مختلف فروع علم الطب وعلاج أنواع الأمراض. فكانت مصدراً غنياً نهل منه الأطباء العرب ما ساعدهم على التمرس في هذه الصناعة، وغدوا بعد ربح من الزمن يصنفون في هذه المواضيع، حتى احتلت الكتب الطبية العربية مركز الصدارة في نهاية هذا القرن وبعده. وقد نقل الغربيون قسماً غير قليل منها إلى اللغة اللاتينية. ويمكن القول إن «دراسة كتب الأطباء العرب واختيار المصادر تعطي الانطباع بأن عملية الأخذ والتعلم لطب الأجانب قد اكتملت في أواسط القرن الثالث... وربما انحصرت جهودهم في هذه الناحية في ذلك العهد على ترتيب وتلخيص وتنظيم وصقل كتب القدماء، وتعتبر كتب حنين بن اسحاق أفضل مثال على هذه العملية»<sup>(٣)</sup>.

وكان لتشجيع الخلفاء واهتمامهم بالشؤون العلمية عامة، وبالطبية بصفة خاصة، الأثر الكبير في تقدم الطب عند العرب آنذاك.

يتضح مما تقدم أن أهم ما ساعد على تقدم الطب العربي وتطوره في هذا القرن، حركة الترجمة التي أتاحت للأطباء العرب التعرف إلى الطب اليوناني وأشهر رجاله. وكان قد سبق ذلك استقدام عدد من مشاهير الأطباء من معهد جنديسابور ومن الهند منذ أيام الخليفة أبي جعفر المنصور، وما لقيه هؤلاء من رعاية الخلفاء واهتمامهم بهم، الأمر الذي شجع أطباء آخرين على القدوم إلى بغداد وسامراء، فنشروا معارفهم الطبية سواء بالتدريس أو بالترجمة والتأليف، بحيث تسنى للطب العربي أن يستقيم عوده في أواخر هذا القرن على قاعدة علمية متينة، هي خلاصة ما وصل إليه علم الطب عند الأمم الأخرى، وما أضافه الأطباء العرب على ذلك.

وكما كان دور العرب في إحياء التراث الطبي اليوناني مهماً جداً، كذلك كان لهم فضل الحفاظ على التراث المذكور من الضياع بعد أن أهمله أهله.

(٢) توماس أرنولد [وآخرون]، تراث الإسلام، عربيه وعلق حواشيه جرجيس فتح الله، ط ٣ (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٨)، ص ٤٥٤ - ٤٥٥.

(٣) أبو الفرج محمد بن اسحق بن النديم، الفهرست في اختيار العلماة المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٢٠)، ص ٤١٧ - ٤١٩.

(٤) فؤاد سزكين، محاضرات في تاريخ العلوم العربية الإسلامية (فرانكفورت: [د.ن.ن.، ١٩٨٤]، ص ٤٢.

## ١ - أهم مظاهر تقدم الطب العربي

يُلاحظ أن أبرز الأطباء العرب كانوا يتعاطون الفلسفة متأثرين بنظرة اليونان إلى الطب كفروع من فروع الفلسفة، وأن لا بد لمن يريد أن يكون طبيباً حاذقاً أن يكون فيلسوفاً بالوقت نفسه. وبالمقابل، فإن الفلاسفة العرب كانوا يتقنون علم الطب ويدرسونه ويصنفون فيه كتباً ولم يكونوا يمارسونه إلا نادراً. وقد تمت على أيدي هؤلاء العلماء والأطباء تطويرات مهمة في صناعة الطب من حيث أساليبها ووسائلها. وستلخص في ما يأتي أبرز مظاهر هذا التقدم.

أ- يمكن وصف الطب العربي بأنه طب وقائي للأصحاء بقدر ما كان طباً للمرضى، فهو يعمل على حفظ الصحة أولاً. ويعتبر هذا النمط مما أحدثه الأطباء العرب ولم يكن اليونان قد مارسوه بسعة، كما لم تمارسه أمم أخرى من سبق العرب بمعرفة الممارسة الطبية<sup>(١)</sup>. إذ كانت مهام الطبيب تدبير الأجسام وحفظ الصحة الموجودة في البدن واجتلابها للعليل<sup>(٢)</sup>. وعبر عن ذلك الطبيب أبو سعيد سنان بن ثابت بن قرة بقوله «إن موضوع صناعتنا حفظ الصحة لا مداواة الأمراض»<sup>(٣)</sup>.

وقد صنّف مشاهير أطباء هذا القرن وعلمائهم كتباً ورسائل في تدبير الجسم في حالة الصحة. إذ صنّف يوحنا بن ماسويه كتاباً في تدبير الأصحاء، وهو في الوقاية الصحية<sup>(٤)</sup>. وصنّف بختيشوع بن جبرائيل للمأمون رسالة في تدبير البدن رداً على سؤاله عن ذلك<sup>(٥)</sup>. وللفيلسوف الكندي رسالة في تدبير الأصحاء أو كتاب تدبير الأصحاء<sup>(٦)</sup>، وكتاب تقويم الصحة بالأسباب الستة التي ذكرها فيه، وهي: إصلاح الهواء الواصل إلى القلب، وتقدير المأكول والمشرب، وتعديل الحركات والسكون، ومنع النفس من الإغراق في النوم واليقظة، وتقدير استقراغ الفضلات وإحقاقها، وأخذ النفس بالفصد في حرقة وغضبة وهم وفزع<sup>(٧)</sup>. وللطبيب الحاذق حنين بن إسحاق أربعة كتب في تدبير الصحة هي: كتاب تفسير كتاب حفظ الصحة لروفس الإنسي، ورسالة في تدبير الأصحاء بالمطعم والمشرب، ومقالة في حفظ

(٥) السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، ج ١، ص ٣٧٥.

(٦) أبو الحسن علي بن الحسين السعدي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٥ ([د.م. : د.ن.، ١٩٦٧])، ج ٤، ص ٨٠.

(٧) أبو العباس أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق نزار رضا (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦٠)، ص ٣٠٨.

(٨) السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، ج ١، ص ٤٢٧.

(٩) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٩٣.

(١٠) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٣٧٥، وأبو الحسن علي بن يوسف الفعفي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني السمي بالمتنبيات المنقطة من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحرير يوليوس ليرت (ليزك: ديتريخ، ١٩٠٣)، ص ٢٩١.

(١١) السامرائي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٧١.

الأسنان واللثة، ومقالة تتعلق بحفظ الصحة وغيرها<sup>(١٢)</sup>. كما صنف الطبيب الفيلسوف قسطا بن لوقا البعلبكي رسالة في حفظ الصحة وإزالة المرض، ورسالة في تدبير الأبدان في السفر للسلامة من المرض والخطر<sup>(١٣)</sup>، وكتاباً في تدبير الأبدان في سفر الحج<sup>(١٤)</sup>. وللفيلسوف الرياضي ثابت بن قرة الحراني كتاب في تدبير الصحة<sup>(١٥)</sup>. ووضع أعظم أطباء زمانه الرازي كتاباً بين فيه أن الحمية المفرطة والمبادرة إلى الأدوية، والتقليل من الأغذية، لا يحفظ الصحة بل يجلب الأمراض<sup>(١٦)</sup>. ويبحث علي بن ربن في أغلب أبواب المقالة الرابعة من النوع الثاني من كتابه فردوس الحكمة في الطب، في موضوع حفظ الصحة، ومراعاة كل مزاج في كل سن، وتدبير الأعضاء<sup>(١٧)</sup>. وله كتاب آخر في الموضوع هو كتاب حفظ الصحة<sup>(١٨)</sup>.

ب - ومن مظاهر التقدم البارزة الأخرى اهتمام الأطباء العرب بالعقاقير الطبية. وكان أكثرها في البلد نباتياً. وقد توسعوا في استعملها بعد اطلاعهم على كتاب ديسقوريدس في الحشائش. ثم استخدموا العقاقير الحيوانية والمعدنية، وقد مهروا في تركيبها، وهو ما ساعد على تقدم صناعة الصيدلة التي كان العرب رؤادها. وقد أطلقوا على العقاقير الأصلية سواء كانت نباتية أو معدنية أو حيوانية اسم «الأدوية المفردة»، وإذا ما جمع عقاران أو أكثر حصل على «أدوية مركبة» وسماها العرب «الأقرباذين»، وكان تحضير الأدوية المركبة من وظائف الصيدلاني. وكان الطبيب الماهر يوحنا بن ماسويه أول من صنف في موضوع الأدوية المركبة، فقد صنف كتاباً بعنوان تركيب الأدوية المسهلة وإصلاحها وخاصة كل دواء منها ومنفعته<sup>(١٩)</sup>.

وقد وضعت في خلال هذا القرن كتب عديدة عن الأدوية المفردة منها المركبة. فوضع الكندي عدداً من الكتب عن الأدوية منها: رسالة الأدوية الممتحنة، وكتاب الأقرباذين، وكتاب جوامع الأدوية للجاليينوس<sup>(٢٠)</sup>، ورسالة في كيفية إسهال الأدوية وانجذاب الأخلاط<sup>(٢١)</sup>. وصنف يوحنا بن بختيشوع كتاب تقويم الأدوية فيما اشتهر من الأعشاب والعقاقير والأغذية<sup>(٢٢)</sup>.

(١٢) ابن أبي أصيبعة، عيون الأثياء في طبقات الأطباء، ص ٢٧٣.

(١٣) السامرائي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٨٤.

(١٤) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٣٣٠.

(١٥) المصدر نفسه، ص ٢٩٩.

(١٦) المصدر نفسه، ص ٤٢٢ و٤٢٥ على التوالي.

(١٧) أبو الحسن علي بن سهل الطبري بن ربن، فردوس الحكمة، تحقيق محمد زبير الصديقي (برلين: مطبعة آقتاب، ١٩٢٨)، ص ٩٩ - ١٠٥.

(١٨) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٤١٤.

(١٩) المصدر نفسه، ص ٢٥٥.

(٢٠) المصدر نفسه، ص ٢٩١.

(٢١) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٣٧٥.

والقفطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمتنقيات المتنقيات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٣٧٢.

(٢٢) السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، ج ١، ص ٣٩٧.



والطبيب المترجم حنين بن اسحاق كتب عدة مترجمة ومصنفة في الأدوية، منها: اختصار كتاب جالينوس في الأدوية المفردة، وكتاب في أساء الأدوية المفردة على حروف المعجم، وكتاب في أسرار الأدوية المركبة، وكتاب تفسير الأدوية المكتومة لجالينوس، شرح فيه ما ذكره جالينوس في كل واحد من الأدوية<sup>(٢٣)</sup>. وجوامع معاني الخمس مقالات من كتاب جالينوس في قوى الأدوية المفردة، وضعها على طريق المسألة والجواب، وكتاب الأقرباذين، وكتاب ابدال الأدوية المفردة، وكتاب تركيب الأدوية حسب المواضع الألة<sup>(٢٤)</sup>. وكتاب اختيار الأدوية المحرقة<sup>(٢٥)</sup>.

وصنّف علي بن رُبْن الطبري كتاب منافع الأدوية والأطعمة والعقاقير، وكرّس الباب الأول من المقالة الثانية للبحث في الأدوية المفردة والعقاقير<sup>(٢٦)</sup>.

كما صنف قسطا بن لوقا البعلبكي رسالة في الأدوية المسهلة والعلاج بالإسهال، ورسالة في ذكر اصلاح الأدوية المسهلة ونفي ضررها ومقدار الشربة منها وضروب استعمالها<sup>(٢٧)</sup>.

ولإسحاق بن حنين كتاب الأدوية المفردة، وكتاب الأدوية الموجودة بكل مكان، وكتاب إصلاح الأدوية المسهلة<sup>(٢٨)</sup>.

وضع ثابت بن قرة الحراني كتاب جوامع جالينوس في الأدوية المنقية، وكتاب جوامع جالينوس في الأدوية المفردة<sup>(٢٩)</sup>.

ولأي بكر الرازي عدد من الكتب في الأدوية منها: كتاب الأدوية الموجودة بكل مكان، يذكر فيه أدوية لا يحتاج الطبيب الخاذق معها إلى غيرها إذا ضم إليها ما يوجد في المطابخ والبيوت، وكتاب في أثقال الأدوية المركبة، وكتاب كيفية الاغتذاء وهو جوامع ذكر الأدوية المعدنية، وكتاب الأقرباذين المختصر، وكتاب في الدواء المسهل والمقيء، وكتاب صيدلية الطب، ومقالة في ابدال الأدوية المستعملة في الطب والعلاج وقوانينها وجهة استعمالها<sup>(٣٠)</sup>، وكتاب في انتقاء الأدوية المركبة، وكتاب ابدال الأدوية<sup>(٣١)</sup>. وخصص الرازي

---

(٢٣) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

(٢٤) السامرائي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٤٥، ٤٥٤ و ٤٥٥.

(٢٥) ابن التديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٤٢٤، والفطفي، تاريخ الحكماء، وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات المنتقاة من كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ١٧٤.

(٢٦) انظر المقدمة، في: ابن رُبْن، فردوس الحكمة، ص ط ٣٦٩ - ٤٠٤.

(٢٧) السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، ج ١، ص ٤٨٣ - ٤٨٤.

(٢٨) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٧٥، والفطفي، تاريخ الحكماء، وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات المنتقاة من كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٨٠.

(٢٩) الفطفي، المصدر نفسه، ص ١١٨ - ١١٩، وابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٣٠٠ و ٢٩٨.

(٣٠) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٤٢٢ - ٤٢٣ و ٤٢٧ - ٤٢٨.

(٣١) السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، ج ١، ص ٥٢٠ - ٥٢١.

الأجزاء (٢٠ - ٢٣) من كتابه الحاوي في الطب للبحث في الأدوية المفردة، وفي الصيدلة، وفي قوانين استعمال الأدوية والأشربة، كما كرس القسم الثالث من كتابه الجامع المعروف بـالجامع الحاصر لصناعة الطب، للأدوية المركبة على سبيل الأقرباذين، والقسم الرابع منه للصيدلة، وسحق الأدوية وإحراقها وتصعيدها وغسلها واستخراج قواها<sup>(٣١)</sup>.

ج - كما اهتم الأطباء العرب بغذاء المريض، وعرفوا خواص الأغذية من البقول والفواكه واللحوم والألبان، الضار منها والنافع. ووضع بعض كبار العلماء والأطباء عدداً من الكتب في هذا الموضوع. فقد صنف فيلسوف العرب الكندي رسالة في الغذاء والدواء المهلك، ورسالة في تدبير الأطعمة<sup>(٣٢)</sup>.

وصنف يوحنا بن ماسويه كتاباً في خواص الأغذية والبقول والفواكه واللحوم والألبان وأعضاء الحيوان والأفاويه<sup>(٣٣)</sup>، وكتاب دفع ضرر الأغذية<sup>(٣٤)</sup>، وكتاب إصلاح الأغذية<sup>(٣٥)</sup>.

ووضع جبرائيل بن بختيشوع رسالة في الطعام والشراب ومنافع كل منها ومضاره في حالتي الصحة والمرض، وكان قد وضعها للمأمون<sup>(٣٦)</sup>.

ولحين بن إسحاق عدد من الكتب المترجمة والمصنفة في موضوع الأغذية منها: كتاب في طبائع الأغذية وتدبير الأبدان، ومقالة في ماء البقول، وكتاب في قوى الأغذية، وهو جوامع المقالات الخمس الأولى من كتاب جالينوس في قوى الأغذية، وكتاب في اللبن<sup>(٣٧)</sup>، وكتاب الفوائد في تنويع الموائد، ومقالة في الفواكه ومنافعها، وكتاب في إصلاح الجبن ومنافعها وما يستعمل منه<sup>(٣٨)</sup>، وشرح كتاب الغذاء لأبقراط، وكتاب وضعه للخليفة المعتمد على الله في ما سأله عن الفرق بين الغذاء والدواء المسهل<sup>(٣٩)</sup>.

وصنف قسطنطين لوقا البعلبكي رسالة في الأغذية عن طريق القوانين الكلية، وكتاب النبيل وشربه في الولائم<sup>(٤٠)</sup>، وكتاب في قوانين الأغذية. ولعله هو الكتاب الأول<sup>(٤١)</sup>.

(٣٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٥١٥ و ٥٢١.

(٣٣) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٩١.

(٣٤) السامرائي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٢٢.

(٣٥) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم، ص ٤٢٥.

(٣٦) أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي، طبقات الأمم، نشره ووثقه بالحواشي وأردته بالروايات لويس شيخو اليسوعي (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩١٢)، ص ٣٦.

(٣٧) السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، ج ١، ص ٣٩١.

(٣٨) ابن أبي أصيبعة، حيون الأئباء في طبقات الأطباء، ص ٢٧٣.

(٣٩) السامرائي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٤٢ و ٤٥٧.

(٤٠) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٤٧٢ - ٤٧٣.

(٤١) المصدر نفسه، ص ٣٣٠.

(٤٢) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم، ص ٤٢٥، والقفطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٢٦٣.

ووضع ثابت بن قرّة كتاباً اختصر فيه جوامع جالينوس في الأغذية وهو ثلاث مقالات<sup>(١٣)</sup>.

وصنف علي بن رُبْن الطبري كتاباً في ترتيب الأغذية<sup>(١٤)</sup>. وبحث في الأبواب الثلاثة من النوع الثالث من كتابه فردوس الحكمة في الطب في علة الاغتذاء، وفي أقدار الأغذية وما ينبغي أن يقدم منها أو يؤخر، وفي أنواع الأغذية وقواها وما يتولد منها. وخصص أبواب المقالة الأولى من النوع السادس من الكتاب للبحث في الحبوب وفي قوى البقول والقرع والخيار، وفي قوى الثمار، وفي قوى اللحان، وفي قوى الألبان والأجبان، وفي قوى الأشربة والعصارات والمربيات والحلّ والكوامخ، وفي قوى السمك، وفي قوى الحلالات والأبازير، وفي قوى الرياحين وأفاديه الطب<sup>(١٥)</sup>.

وصنّف أبو بكر الرازي في الموضوع أكثر من عشرة كتب منها: كتاب الملوكي وعلاج الأمراض كلها بالأغذية، ومقالة في ما ينبغي أن يقدم من الأطعمة وما يؤخر منها، وكتاب أطعمة المرضى، وكتاب منافع الأغذية ودفع مضارها. وهو مقالتان يذكر في الأولى ما يدفع ضرر الأغذية في كل وقت ومزاج، وبحث في الثانية استعمال الأغذية ودفع التخمّة ومضارها<sup>(١٦)</sup>. وبين الرازي في الكتاب الأخير منافع الخنطة والماء البارد والماء الساخن والثلج والشراب المسكر، والأغذية غير المسكرة، واللحوم الطازجة واللحوم المجففة والأسماك، وأنواع البطيخ والجبن واللبن والبيض والبقول والتوابل والفواكه الطرية واليابسة والحلوى، كما بين مضار هذه الأغذية إلى جانب منافعها، والأحوال التي ينبغي تناولها فيها أو تجنبها<sup>(١٧)</sup>. وخصص الرازي القسم الثاني من كتاب الجامع لموضوع قوى الأغذية وتدبير أحوال المرضى<sup>(١٨)</sup>.

د - ولم تقتصر مهمة الطب العربي على معالجة الأمراض الجسمية حسب، بل اهتم بالناحية النفسية للمريض. فكان الأطباء إلى جانب اهتمامهم بالتعرّف إلى طبيعة جسم المريض ومهنته وعاداته في طعامه وشرابه، وعمره، وتأثره بحالات الجو المختلفة، يهتمون أيضاً بالأعراض النفسية التي تعرض له من غم وحزن وفرح وغضب وغير ذلك، مما يساعدهم في تشخيص ما يشكو منه وعلاجه. وقد صنف يوحنا بن ماسويه كتاب المالبخوليا وأسبابها وعلاماتها وعلاجها<sup>(١٩)</sup>.

(١٣) القفطي، المصدر نفسه، ص ١١٦.

(١٤) ابن أبي أصيبعة، عيون الأئمة في طبقات الأطباء، ص ٤١٤.

(١٥) ابن رُبْن، فردوس الحكمة، ص ١١٤ - ١٢٠ و ٣٧٤ - ٣٩٨.

(١٦) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٤٢٢ - ٤٢٣ و ٤٢٥.

(١٧) عبد الحليم منتصر، تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، ط ٦ (القاهرة: دار المعارف،

١٩٧٥)، ص ١٦٩.

(١٨) السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، ج ١، ص ٥٢١.

(١٩) ابن أبي أصيبعة، عيون الأئمة في طبقات الأطباء، ص ٢٥٥.

وَمَنْ صَنَّفَ فِي الْمَوَاضِيعِ النَّفْسِيَةِ الْفِيلَسُوفُ الْكَنْدِيُّ، فَلَهُ رِسَالَةٌ فِي الْحَيَاةِ لِدَفْعِ الْأَحْزَانِ، وَرِسَالَةٌ إِلَى يُوْحَنَّا بْنِ مَاسُويَةَ فِي النَّفْسِ وَأَفْعَالِهَا<sup>(٥٠)</sup>.

وَلِلطَّبِيبِ الْحَاقِقِ حَنْيْنَ بْنِ إِسْحَاقَ كِتَابَانِ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ هُمَا: كِتَابُ تَفْسِيرِ جَالِينُوسَ لِكِتَابِ طَبِيعَةِ الْإِنْسَانِ لِأَبُقِرَاطَ، وَكِتَابُ فِي تَدْبِيرِ السُّودَاوِيِّينَ<sup>(٥١)</sup>.

وَصَنَّفَ ثَابِتُ بْنُ قُرَّةَ جَوَامِعَ كِتَابِ سُوءِ الْمَزَاجِ الْمُخْتَلَفِ لِلْجَالِينُوسِ، وَكِتَابُ فِي سُوءِ الْمَزَاجِ الْمُخْتَلَفِ<sup>(٥٢)</sup>.

أَمَّا أَبُو بَكْرٍ الرَّازِيُّ فَلَهُ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ كِتَابُ فِي الْأَوْهَامِ وَالْحَرَكَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ، كَمَا صَنَّفَ كِتَابَيْنِ فِي النَّفْسِ أَحَدُهُمَا كَبِيرٌ وَالْآخَرُ صَغِيرٌ<sup>(٥٣)</sup>، وَكِتَابُ فِي مَعْرِفَةِ الْمَزَاجِ الْأَدْمِيِّ<sup>(٥٤)</sup>.

## ثَانِيًا: مِمَارَسَةُ الطَّبِّ وَالرَّعَايَةُ الصَّحِيَّةُ

### ١ - مِمَارَسَةُ الطَّبِّ وَالصِّيدَلَةُ

لَمْ تَكُنْ مِمَارَسَةُ صِنْعَةِ الطَّبِّ أَوَّلَ الْأَمْرِ تَسْتَلْزِمُ إِجَازَةً مِنَ السُّلْطَةِ أَوْ مِنْ جِهَةٍ عِلْمِيَّةٍ مَعِيَّةٍ، إِذْ لَمْ يَكُنْ عَلَى الرَّاغِبِ فِي مَزَاوِلِهَا سِوَى مَلَازِمَةِ أَحَدِ الْأَطْبَاءِ النَّاهِبِينَ، أَوْ الْعُلَمَاءِ الْمَشْهُورِينَ بِعِلْمِ الطَّبِّ، فَيَقْرَأُ وَيَتَدْرَبُ عَلَيْهِ، وَمَتَى مَا آتَى مِنْ نَفْسِهِ الْقُدْرَةُ عَلَى مَزَاوِلَةِ الصَّنْعَةِ عَمَلَ فِيهَا. وَيَتَوَقَّفُ نَجَاحُهُ وَشَهْرَتُهُ عَلَى مَا يَبْلِيهِ مِنْ مَهَارَةٍ فِي عِلَاجِ الْمَرْضَى وَمَدَاوِينِهِمْ، وَاتِّقَانُهُ مَعْرِفَةَ طَبَائِعِ الْأَدْوِيَةِ. وَيَلِدِيهِ أَنَّهُ كَلِمًا تَعَمَّقُ فِي الدِّرَاسَةِ وَتَتَوَسَّعُ فِيهَا وَاسْتَمَرَّ فِي الْمِمَارَسَةِ أَصْبَحَ إِلَى الْكَفَايَةِ أَقْرَبَ، وَصَارَ فِي عِدَادِ الْمَشْهُورِينَ مِنَ الْأَطْبَاءِ. وَبَقِيَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ حَتَّى أَيَّامِ الْخَلِيفَةِ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ الَّذِي تَوَلَّى الْخِلَافَةَ سَنَةَ ٢٩٥. فَقَدْ فُرِضَ عَلَى مَنْ يَرِيدُ مَزَاوِلَةَ الصَّنْعَةِ أَنْ يُؤَدِّيَ الْامْتِحَانَ وَيَحْصُلَ عَلَى إِجَازَةٍ تَحْمِلُهُ الْعَمَلَ فِيهَا.

وَيَعُودُ فَضْلُ هَذَا التَّنْظِيمِ إِلَى رَئِيسِ الْأَطْبَاءِ آنَذَاكَ سَنَانُ بْنُ ثَابِتٍ بْنِ قُرَّةَ الْخُرَاقِيِّ الَّذِي أَدْخَلَ إِصْلَاحَاتٍ مَهْمَةً فِي حَقْلِ الشُّؤُونِ الصَّحِيَّةِ. مِنْهَا طَلَبُهُ إِلَى الْخَلِيفَةِ عِمَاسِيَّةً مِنْ بَقْصَرٍ مِنْ مِمَارِسِي الصَّنْعَةِ فِي مَعَالِجَةِ الْمَرْضَى أَوْ يُخْطِئُ بِهَا. وَكَانَ قَدْ بَلَغَ الْخَلِيفَةُ أَنَّ غُلَطًا جَرَى عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْعَامَةِ مِنْ بَعْضِ الْمُتَطَبِّبِينَ فَمَاتَ الرَّجُلُ، فَأَمَرَ بِأَنْ يُنَجَّ سَائِرُ الْمُتَطَبِّبِينَ مِنَ التَّنَصُّفِ إِلَّا مَنْ امْتَحَنَهُ رَئِيسُ الْأَطْبَاءِ وَتَبَيَّنَتْ قُدْرَتُهُ فِي الصَّنْعَةِ وَعَلِمَهُ بِهَا، فَتَقَدَّمَ إِلَى الْامْتِحَانِ فِي

(٥٠) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، ص ٢٩١ - ٢٩٢.

(٥١) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، ص ٢٧٣.

(٥٢) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، ص ٢٩٨.

(٥٣) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، ص ٤٢١ - ٤٢٦.

(٥٤) السَّامِرَاثِيُّ، الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، ج ١، ص ٥٢٤.

جانبى بغداد ما ينيف على ثمانية وخمسين رجلاً، سوى من استغنى عن محنته لاشتهاره بالتقدم في عمله، وسوى من كان منهم في خدمة دار الخلافة<sup>(٥٥)</sup>.

على أنهم كانوا قبل ذلك معرضين لرقابة المحتسب الذي كان أهم واجباته في ما يتعلق بلؤي المهن الطبية أن يأخذ عليهم عهد أبقراط الذي أخذه على سائر الأطباء، ويعلقهم الأ يعلوا أحداً دواءً مضراً، ولا يركبوا له سباً، ولا يصفوا التائم عند أحد من العامة، ولا يذكروا للنساء الدواء الذي يسقط الأجنة ولا للرجال الدواء الذي يقطع النسل. وليغضوا أبصارهم عن المحارم عند دخولهم على المرضى، ولا يفشوا الأسرار، ولا يبتكروا الأسرار<sup>(٥٦)</sup>. وللمحتسب أن يمتحن الأطباء بما ذكره حين بن اسحاق في كتابه المعروف عنه الطبيب... وأما الكحالون فيمتحنهم المحتسب بكتاب حين بن اسحاق كذلك، أعني العشر مقالات، فمن وجده فيها امتحنه به عارفاً بتشريح عدد طبقات العين السبع وعدد رطوباتها الثلاث، وعدد أمراضها الثلاثة، وما يتفرع من ذلك من الأمراض، وكان خبيراً بتركيب الأكحال وأمزجة العقاقير، أذن له المحتسب بالتصدي مداواة عين الناس... وأما المجربون فلا يحل لأحد أن يتصدى للجبر إلا بعد أن يحكم معرفة المقالة السادسة من كشاش بولص في الجبر، وأن يعلم عظام الأدمي وصورة كل عظم منها، وشكله وقدره، حتى إذا انكسر منها شيء أو انخلع رده إلى موضعه على هيئته التي كان عليها، فيمتحنهم المحتسب بجميع ذلك... وأما الجراحيون فيجب عليهم معرفة كتاب جالينوس المعروف بـ قفاجانس في الجراحات والمراهم<sup>(٥٧)</sup>. ومن الطبيعى أن المحتسب لا يقوم بهذه المهمة بنفسه وإنما يجيئها على رئيس الأطباء.

وقد وضعت بعض الكتب في موضوع امتحان الطبيب في وقت مبكر من هذا القرن، منها: كتاب محنة الطبيب ليوحنا بن ماسويه<sup>(٥٨)</sup>. وكتاب في امتحان الأطباء لحنين بن اسحاق<sup>(٥٩)</sup>. ثم وضع بعد ذلك كبير أطباء هذا القرن أبو بكر الرازي رسالة في محنة الطبيب وكيف ينبغي أن يكون حاله في نفسه ويدنه وسيرته وأدبه<sup>(٦٠)</sup>. ويرجح د. كمال السامرائي أن المقصود بمحنة الطبيب هنا ليس امتحانه لإجازته ممارسة الصنعة، إنما ذكر ما يجب أن يكون عليه الطبيب من اللياقة الجيدة والمعرفة بعلم الطب، وحسن معاملة المرضى، وإلفات نظر الناس إلى هذه الصفات عند اختيار الطبيب الذي يريدون استشارته<sup>(٦١)</sup>. إن ما ذهب إليه د. السامرائي يصدق على عهد ما قبل المقتدر حين لم يكن الأطباء يمتحنون للحصول على إجازة العمل. أما بعد ذلك فيظهر عما ذكرناه عما جاء في كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة أن

---

(٥٥) الفطحي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني السمي بالمتنقيات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ١٩١، وابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٣٠٢.

(٥٦) عبد الرحمن بن نصر الشيزري، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحرير السيد الباز العريبي؛ إشراف محمد مصطفى زيادة (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٦)، ص ١٨.

(٥٧) المصدر نفسه، ص ٩٩ - ١٠١.

(٥٨) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٤٢٦، وله أيضاً: كتاب معرفة محنة الكحالين. انظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٥٥.

(٥٩) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٧٣.

(٦٠) المصدر نفسه، ص ٤٢٥.

(٦١) السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، ج ١، ص ٤٥٣.

امتحانهم بكتاب حنين بن اسحاق كان لا بد منه لممارستهم الصنعة، ومن ثم فإن كتب محنة الطب التي وضعت بعد ذلك كانت لاختبار الأطباء.

أما في ما يتعلق بمن يتصدى لاحتراق الصيدلة فلم يكن هناك ما يلزمه بأن يحصل على إجازة في عمله. إلا أن ذلك لا يعفيه من مراقبة المحتسب وفتيشه بين حين وآخر. ويقول الشيزري إن مجال الاحتيال والتدليس في هذه الصنعة واسع «لا يمكن حصر معرفته على التمام... لأن العقاقير والأشربة مختلفة الطبايع والأمزجة، والتداوي على قدر أمزجتها. فمنها ما يصلح لمرض ومزاج، فإذا أضيف إليها غيرها أحرفها عن مزاجها فأضررت بالمرضى لا بحالة... وينبغي للمحتسب أن يتعرفهم ويعلمهم وينذرهم العقوبة والتعزير، ويعتبر عليهم عقابهم في كل أسبوع»<sup>(٦٢)</sup>. ثم يذكر أنواعاً من الغش في مختلف الأدوية المفردة ولا سيما النباتية منها، ليكون المحتسب على معرفة بذلك<sup>(٦٣)</sup>.

ويظهر مما ذكره القفطي وابن أبي أصيبعة أن المأمون كان قد تنبه إلى تدليس بعض الصيادلة، وأن أحدهم لا يطلب منه انسان شيئاً، وسواء كان عنده أو لم يكن، إلا أخبره بأنه عنده ودفع إليه شيئاً مما لديه، وقال هذا الذي طلبت. فامتنح المأمون صيادلة بغداد بأن وجه إليهم جماعة في طلب دواء وهمي لا وجود له، فذكر كل منهم أنه عنده، وأخذ الثمن من الرسول ودفع إليه شيئاً من حانوته<sup>(٦٤)</sup>. إلا أنها لم يذكر ما اتخذ المأمون بشأن أولئك الصيادلة.

وعندما وجه الخليفة المعتصم بالله قائد جيوشه الأفشين لإخماد حركة بابك الخرمي، أشار الطبيب زكريا بن عبد الله الطيفوري، وكان من الأطباء الذين رافقوا الحملة، على الأفشين أن يمتحن الصيادلة الذين كانوا في معسكره بمثل محنة المأمون لهم. فامتنحهم الأفشين بأن وجه إليهم من يطلب منهم أدوية مسماة بأسماء وهمية، فأنكر بعضهم وجود الدواء الذي سئل عنه، وادعى آخرون وجوده وأخذوا الدراهم من الرسل ودفعوا إليهم أشياء من حوانيتهم. فطرد الأفشين من لا يتصف بالعلم والأمانة، وأبقى الآخرين، وكتب إلى الخليفة يلتمس بعثه بصيادلة ذوي دين، فاستحسن المعتصم بالله فعله ووجه إليه بما سأل<sup>(٦٥)</sup>.

ولكن لا يظهر ما إذا كان امتحان الصيادلة قد صار قاعدة لإجازتهم، أم كان حدثاً مؤقتاً استهدف تطهير مهنة الصيدلة من الجهلة أو عديمي الدمة. على أن ما ذكرناه مما جاء في كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة عن واجبات المحتسب تجاه الصيادلة، وتشديد الرقابة عليهم، يرجح الرأي الثاني.

(٦٢) الشيزري، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص ٤٤.

(٦٣) المصدر نفسه، ص ٤٧.

(٦٤) القفطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمتنوعات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بإخبار الحكماء، ص ١٨٨ - ١٨٩، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٤٤.

(٦٥) القفطي، المصدر نفسه، وابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه.

## ٢ - المستشفيات والرعاية الصحية

كان أول مستشفى أقيم ببغداد هو البيمارستان الذي أمر بإنشائه الخليفة هارون الرشيد، وعين لرؤاسته ماسويه، وهو والد الطبيب الشهير يوحنا بن ماسويه، باقتراح من طبيب الخليفة جبرائيل بن بختيشوع<sup>(٣١)</sup>.

وأسس الفتح بن خاقان وزير المتوكل على الله وندبه ببهارستاناً بمصر في خطة المغافر بين العامر من المدينة وبين مصلى خولان<sup>(٣٢)</sup>. وأسس أمير مصر أحمد بن طولون في سنة ٢٥٩ في مصر ببهارستاناً نسب إليه، وحسب عليه من الوقوف ما يلزم للإنفاق عليه. واشترط أن لا يعالج فيه جندي ولا مملوك. وبنى فيه حمامين أحدهما للرجال والآخر للنساء. وكان إذا جيء بالعليل تنزع ثيابه ونفقته وتحفظ عند أمين البيمارستان، ثم يُلبس ثياباً ويُفرش له، ويُغذى ويراح عليه بالأدوية والأغذية والأطباء حتى يبرأ. فيؤمر بالانصراف ويعطى ماله وثيابه<sup>(٣٣)</sup>.

وجاء في جدول نفقات المعتضد بالله أنه خصص لبيمارستان الصاعدي أموالاً للنفقة عليه قدرها خمسة عشر ديناراً يومياً لأرزاق المتطيين والكحالين، ولخدمة المغلوبين على عقولهم، وأثمان الطعام والأدوية والأشربة. وربما كان هذا البيمارستان قد أسسه الوزير القائد صاعد بن مخلد وزير الموفق فُتسب إليه. وكان صاعد تقلد الوزارة في جمادى الآخرة سنة ٢٦٥ - عندما كانت سامراء عاصمة الخلافة - وبقي حتى رجب سنة ٢٧٢<sup>(٣٤)</sup>. ولا يُعرف ما إذا كان هذا المستشفى قد انشئ بسمراء أو ببغداد.

ومن المستشفيات التي أقيمت ببغداد في خلال هذا القرن مستشفى السيدة أم الخليفة المقتدر بالله. وقد افتتحه رئيس أطباء بغداد سنان بن ثابت بن قرّة الحرّاني في أول يوم من المحرم سنة ٢٠٣ وسمي ببهارستان السيدة، وقد شُيّد بسوق مجيى، وخصّص للنفقة عليه ستمئة دينار شهرياً. وبإشارة من رئيس الأطباء أمر الخليفة المقتدر بالله أن يؤسس مستشفى آخر ببغداد، فأقيم بباب الشام وسمي البيمارستان المقتدري. وكانت النفقة عليه مئتي دينار في الشهر<sup>(٣٥)</sup>. ويستدل مما ذكره ابن أبي أصيبعة عن ثابت بن سنان في تاريخه أن كان ببغداد

(٦٦) الففطي، المصدر نفسه، ص ٢٨٣، وابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٤٥.

(٦٧) أبو العباس أحمد بن علي القرظي، الحطط المقرزية المسألة بالمواظف والاعتبار بذكر الحطط والآثار يخلص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل وذكر القاهرة وما يتعلق بها وإقليمها، ج ٢ (مصر: مطبعة بولاق، ١٨٥٤)، ج ٢، ص ٤٠٦.

(٦٨) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٠٥.

(٦٩) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ذخائر العرب، ٣٠ (للقاهرة: دار المعارف، ١٩٦٠ - ١٩٦٨)، ج ٩، ص ٥٤٤، وج ١٠، ص ١٠.

(٧٠) الففطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمختبرات المنقذات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ١٩٤، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٣٠٢.

مستشفى آخر باسم بدر المعتضدي مولى المعتضد بالله وأحد قواده، قتل في سنة ٢٨٩ في أول خلافة المكتفي بالله، وكانت النفقة عليه من إيراد وقف شجاع أم المتوكل على الله<sup>(٣١)</sup>.

وقد تعددت البيمارستانات بحيث كان يبلغ عدد وحدها في مطلع القرن الرابع خمسة بيمارستانات يشرف على إدارتها الطبيب الماهر سنان بن ثابت بن قرة الحارثي<sup>(٣٢)</sup>.

وكانت المستشفيات تبني عادة في أماكن فسيحة نقية الهواء وافرة المياه، وقريباً من الجوامع الكبيرة. ويعمل فيها عدد من الأطباء من مختلف الاختصاصات الطبية، فقد كان فيها مع الأطباء العاديين عدد من الكحالين (أطباء العيون) والجراحين والمجبرين. وهي مجهزة بكل ما يحتاجه هؤلاء من عدد ولوازم في أعمالهم. ويتألف المستشفى من أقسام عديدة لمختلف الأمراض ولكل قسم طبيب أو أكثر. وكان من الطبيعي أن يخصص بعضها للمرضى من الرجال ويتولى الخدمة فيه خدم وعرضون من الرجال، وقسم منها للنساء وله ما يحتاجه من الخدمات والمرضات.

وتتولى إدارة المستشفى والتطبيب فيه مديران، أحدهما طبيب يرأس الأطباء الموجودين فيه ويشرف على أعمالهم وهو مسؤول عن قيام المستشفى بواجبه تجاه المرضى من حيث العلاج والرعاية الطبية ويسمى الساعور، والآخر مسؤول عن إدارة المستشفى ومراقبة عماله وخدمه وحسن سير العمل فيه، وهو من غير الأطباء، ويراعى أن تتوفر فيه متانة الخلق والأمانة والخبرة الإدارية.

ولم تقتصر المستشفيات عند العرب على معالجة المرضى العاديين فقط، بل كانت تعنى كذلك بالمرضى من المغلوبين على عقولهم، وذوي الأمراض النفسية، والأمراض الجلدية كالجلذام وغيره. وكان هؤلاء المرضى ينالون رعاية خاصة بدافع من العواطف الإنسانية.

ويلاحظ أن أعمال التمريض والخدمة تناط بالعبيد، وأن بعض المستشفيات يُستخدم للدراسة، إذ يتلقى الطلاب بعض معلوماتهم عملياً على بعض المرضى. وكان لهذا الأسلوب في تعليم الطب أثر مهم في تقدم الطب عند العرب.

ومن الطبيعي أن تلك المستشفيات لم تكن تُنشأ من أول أمرها كاملة من حيث أقسامها ومرافقها وأطبائها، إلا أنها بمرور الزمن كانت تتحسن حتى تستكمل مستلزمات التطبيب والتمريض. وتجدر الإشارة إلى أن الخدمات الطبية من المداواة وإجراء العمليات وإطعام المرضى، كانت مجاناً، لأن الدولة توقف إيرادات بعض أملاكها لإدامتها والإنفاق عليها، كما تنال بعض التبرعات من المحسنين<sup>(٣٣)</sup>.

(٧١) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٣٠١.

(٧٢) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، المتظم في تاريخ الملوك والأمم (حيدر اباد الدكن :

دائرة المعارف الثمانية، ١٩٣٨ - ١٩٣٩)، ج ٦، ص ١٣٩.

(٧٣) حول المستشفيات، انظر: السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، ج ١، ص ٤٢٨ - ٤٣٢.



ومن مظاهر اهتمام العرب بالشؤون الصحية العامة انهم كانوا يقيمون إلى جانب الجوامع الكبيرة خزانة للأدوية عليها قِيم مسؤول وخدم، وفيها طبيب لمعالجة من يحتاج إلى المعالجة ممن يقصدون الجامع للصلاة في يوم الجمعة، وهي بمثابة مركز للاستعاف. يقول المقرئ في عند كلامه على تشييد جامع ابن طولون بمصر، إنه بنى في مؤخرته مِيضأة، وخزانة فيها جميع الشرايات والأدوية وعليها خدم وفيها طبيب يجلس يوم الجمعة لحادث قد يحدث للحاضرين للصلاة<sup>(٧٤)</sup>. ولما كان جامع ابن طولون قد شُيّد على غرار جامع سامراء الكبير، فيمكن القول إن هذا الجامع كان إلى جانبه مثل هذه الخزانة للأدوية، وكذلك الأمر في الجوامع الكبيرة الأخرى.

ويمكن القول إن العرب أول من تنبه إلى مراعاة حالة السجناء الصحية. فقد كتب وزير المختار بالله علي بن عيسى الجُرّاح إلى رئيس أطباء بغداد سنان بن ثابت الجُرّاني كتاباً جاء فيه: «فكرت، مد الله في عمرك، في أمر من في الجبوس وانهم لا يخلون مع كثرة عددهم وجفاء أسانهم أن تنالهم الأمراض وهم معزّون عن التصرف في منافعهم ولقاء من يشاورونه من الأطباء في أمراضهم، فينبغي، أكرمك الله، أن نفرّد لهم أطباء يدخلون إليهم في كل يوم ويعملون معهم الأدوية والأشربة وما يحتاجون إليه من الزورات، وتتقدم إليهم بأن يدخلوا سائر الجبوس ويعالجوا من فيها من المرضى ويزجروا عنهم فيها يصفونهم لهم إن شاء الله تعالى»<sup>(٧٥)</sup>. ففعل سنان ذلك طول أيامه.

كما أن العرب كانوا أول من أنشأ المستوصفات السيارة، فقد كتب الوزير علي بن عيسى الجُرّاح إلى رئيس الأطباء «فكرت فيمن بالسواد من أهله وأنه لا يخلو من أن يكون فيه مرضى لا يشرف متطبّب عليهم لخلو السواد من الأطباء فتقدم، مد الله في عمرك، بإفاد متطبّبين وخزانة من الأدوية والأشربة يطوفون في السواد وقيمون في كل صقع منه مدة ما تدعو الحاجة إلى مقامهم ويعالجون من فيه ثم يتقلّون إلى غيره. ففعل سنان ذلك»<sup>(٧٦)</sup>.

ومن طريف ما حدث للأطباء الموفدين لمعالجة المرضى من أهل السواد أن مروا بقرية سكانها من اليهود الذين طلبوا معالجة مرضاهم. فاستأذنوا رئيس الأطباء في المقام عليهم وعلاجهم. ولما عرض الأمر على الوزير كتب إليه «فهمت ما كتبت به، أكرمك الله، وليس بيننا خلاف في أن معالجة أهل الذمة... صواب. فاعمل، أكرمك الله على ذلك»<sup>(٧٧)</sup>.

ومن الجدير بالذكر أن مثل هذه المستشفيات السيارة كانت ترافق الحملات العسكرية وفيها العدد الكافي من الأطباء والجراحين والمجبرين والصيدلة، لمعالجة من يمرض أو يصاب من المقاتلين. وكان قواد الحملات يجرون على أن يكون الأطباء بمختلف اختصاصاتهم والصيدلة من أهل الصناعة الكفوئين في أعمالهم.

---

(٧٤) المقرئ، الخطط المقرئية للساسة بالمواضع والاعتبار يذكر الخطط والآثار يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنبل وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها، ج ٢، ص ٦٦.  
(٧٥) الفطحي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزورني المسعّى بالمستشفيات المنتقاة من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ١٩٣، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٣٠١.  
(٧٦) الفطحي، المصدر نفسه، ص ١٩٣ - ١٩٤، وابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٣٠١.  
(٧٧) الفطحي، المصدر نفسه، وابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه.

## ثالثاً: أشهر أطباء القرن الثالث

برز في خلال هذا القرن عدد من كبار الأطباء الذين مارسوا الصناعة واشتهروا بها ووضعوا فيها مصنفات تضمنت صفحات من خبراتهم وتجاربهم. كما برز عدد من العلماء في علم الطب فدرسوه وعلموه وصنفوا فيه كتباً مهمة، إلا أنهم لم يمارسوه عملياً إلا لماماً. وفي ما يلي خلاصة يسيرة لمن نبه منهم ونال شهرة واسعة وكان له أثر مهم في ميدان علم الطب وفي ترجمة الكتب الطبية وتصنيفها. وسوف تقتصر على ذكر ما له علاقة بصناعة الطب، فنشير إلى مهاراتهم ومبادئهم فيها وما تفردوا به. ولا يخفى أن المصنفات أهم ما يميز الطبيب الخاذق، باعتبارها جزءاً من جهوده وأعماله في هذا الميدان. ويلاحظ أن أغلب هؤلاء كانوا أطباء لمن عاصروهم من خلفاء الدولة العربية، وندماء لهم يحضرون مجالسهم ويشاركون في المناظرات والمناقشات التي تدور فيها. ونعتقد أن ذكرهم بحسب تسلسلهم الزمني مما يساعد على توضيح خطى تقدم الطب العربي في هذا القرن.

### ١ - سلمويه بن بنان

من أبرز الأطباء الذين اشتهروا في أوائل هذا القرن بحيث اتخذته الخليفة المعتصم بالله عندما تولى الخلافة طبيباً خاصاً به. قال عنه حنين بن اسحاق: إن سلمويه كان أعلم أهل زمانه بصناعة الطب<sup>(٧٨)</sup>. وقد تميز بمهارته في تشخيص الأمراض والعلل<sup>(٧٩)</sup>. وكان من عادته أن يستمع إلى ما يتشكى منه المريض وما يذكره من الأعراض، ويتعرف إلى ما يتناوله من الأطعمة والأشربة، فيستنتج من ذلك كله سبب شكواه، فيصف له ما يراه ينفعه من الدواء. وكان أكثر ميلاً إلى استخدام الأدوية المفردة البسيطة.

كان المعتصم بالله لا يعتمد على غيره من الأطباء، يثق به ويعتبره سبب حياته، ويرى أنه قال عنه: سلمويه طبيبى عندي أكبر من قاضي القضاة لأنه يحكم في نفسي، ونفسي أئمن من مالي وملكي<sup>(٨٠)</sup>. ولما مات حزن عليه حزناً شديداً، وقال: سألحق به لأنه كان يمسك حياتي ويدبر جسمي<sup>(٨١)</sup>. وأمر أن يحفى بتجهيزه ودفنه، فأحضرت جنازته إلى الدار العامة وصلى عليه بالشموخ والبخور على زي النصرارى الكامل، بحضور الخليفة<sup>(٨٢)</sup>. وكانت وفاته في سنة ٢٢٥هـ<sup>(٨٣)</sup>.

(٧٨) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٣٤.

(٧٩) المصدر نفسه، ص ٢٣٨.

(٨٠) المصدر نفسه، ص ٢٣٤.

(٨١) المصدر نفسه، والقفطي، المصدر نفسه، ص ٢٠٧.

(٨٢) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٣٤.

(٨٣) خير الدين الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط ٢، ١٠ ج ٥ (القاهرة: مطبعة كونستا توماس، ١٩٥٤ - ١٩٥٥)، ج ٣، ص ١٧٣.

وسلمويه عدد من المصنفات في الطب عدا ما سبقت الإشارة إليه : المختصر في الطب، وشرح منافع الأعضاء للجالينوس<sup>(٨١)</sup>. ولاهتمام سلمويه بالطب اليوناني، ومواصلته البدراسة، ترجم له حنين بن اسحاق إلى اللغة السريانية من كتب جالينوس : كتاب في النبض، وكتاب في الحاجة إلى النبض، وكتاب تركيب الأدوية، أو كتاب الأدوية المركبة<sup>(٨٢)</sup>. وترجم له حبيش الأعسم كتاب في حركة الصدر والرتة للجالينوس إلى السريانية<sup>(٨٣)</sup>.

## ٢ - يوحنا بن ماسويه

اشتهر ببغداد منذ أيام الخليفة هارون الرشيد فجعله أميناً على ترجمة الكتب القديمة التي جاء بها من بلاد الروم. ولما تولى المأمون الخلافة قَدَّر في يوحنا علمه وسمو خلقه فعينه رئيساً لبيت الحكمة، وظل يتولاه حتى وفاته. خدم ابن ماسويه الرشيد والمأمون ببغداد، والمتعصم بالله وابنيه الواثق بالله والمتوكل على الله بسامراء، فكانوا لا يتناولون شيئاً من أطعمتهم إلا بحضوره، وكان يقف على رؤوسهم ومعه مختلف الجوارشات<sup>(٨٤)</sup>. وكان طبيباً عالماً كثير القراءة والدرس، وقد درس عليه بعض مشاهير الأطباء، أشهرهم حنين بن اسحاق. وله أخبار تدل على سعة علمه ومهارته في صنعه<sup>(٨٥)</sup>. إلا أن الطبيب سلمويه بن بنان كان ينتقد طريقته في المعالجة واعتياده على الأدوية المركبة وإكثاره من أخلط الأدوية، وهو يقول عنه «يوحنا عنه من الآفات على من اتخذ واعتمد على علاجه... وإنما الغرض في اتخاذ الناس الأطباء حفظ صحتهم في أيام الصحة وخدمة طبائهم في أيام العلة، ويوحنا لجهله بمقادير العلل والعلاج غير قائم بهذين البابين ومن لم يتم بهما فليس بتطبيب»<sup>(٨٦)</sup>. ولما أشار على المتعصم بالله باستخدام ابن ماسويه حذَّره من استعمال الأدوية التي يصفها له إلا أقلها أخلطاً<sup>(٨٧)</sup>.

ولما تولى الواثق بالله الخلافة اتخذ يوحنا طبيباً مختصاً به وتديماً لا يكاد يفارق مجالسه، إذ كان معجباً بعلمه وبمهارته الطبية؛ يقول ابن أبي أصيبعة إنه كان مشغولاً ضيقاً به<sup>(٨٨)</sup>.

كان يوحنا ولوعاً بالتشريح وقد أهده المتعصم بالله قرداً كبير الحجم فشرَّحه وصنف في الموضوع كتاباً لاقي استحساناً كبيراً<sup>(٨٩)</sup>. وقد ابتلي بابن بليد لا يكاد يفهم شيئاً، فكان يقول

(٨٤) السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، ج ٢، ص ٥١٥.

(٨٥) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٨٠، ١٨٧ و ١٩٠.

(٨٦) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٨٦.

(٨٧) القفطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات الملتقطات من كتاب إخبار

العلماء بأخبار الحكماء، ص ٣٨٠.

(٨٨) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٥٤.

(٨٩) المصدر نفسه، ص ٢٣٧، والقفطي، المصدر نفسه، ص ٣٨٥.

(٩٠) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٣٤، والقفطي، المصدر نفسه، ص ٢٠٧.

(٩١) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٤٦.

(٩٢) المصدر نفسه، ص ٢٥٠.

«لولا كثرة فضول السلطان ودخوله فيها لا بعينه لشرحت ابني هذا حياً مثلاً كان جالينوس يشرح القروء والناس فكنت أعرف بشرجه الأسباب التي كانت لما بلادته»<sup>(٩٣)</sup>.

ويعتبر ابن ماسويه من المصنفين الكثيرين وقد زادت مؤلفاته على الخمسين كتاباً عدا ما سبق ذكره، منها: كتاب الحميات، كتاب المتبجح في الصفات والعلاجات، كتاب في الجذام لم يسبقه أحد إلى مثله، كتاب السموم وعلاجها، كتاب في الصداق وعقله وأوجاعه وجميع أدويته والسدود والعلل المولدة لكل نوع منه وجميع علاجه، ألّفه لعبد الله بن طاهر، كتاب دخل العين، كتاب علاج النساء اللواتي لا يحملن حتى يحملن، كتاب القولنج، كتاب تركيب خلق الإنسان وأجزائه وعدد أعضائه ومفاصله وعظمه وعروقه ومعرفة أسباب الأوجاع، ألّفه للخليفة المأمون، كتاب جامع الطب مما اجتمع عليه أطباء فارس والروم<sup>(٩٤)</sup>.

توفي يوحنا بن ماسويه بسامراء يوم الاثنين لأربع خلون من جمادى الآخرة سنة ٢٤٣هـ<sup>(٩٥)</sup>.

### ٣ - حنين بن اسحاق

من أشهر أطباء القرن الثالث، تميّز في سلوكه الطبي وعلو كعبه في الترجمة وسعة علمه. تطلع منذ نشأته إلى علم الطب، فاجتاز الصعاب التي واجهته، وأكمل دراسته على يوحنا بن ماسويه. وكان إلى جانب مهارته في الترجمة يجيد صناعة الطب والكحالة، ويمسّن معالجة المرضى ويعنى بهم، مع تواضع في السلوك واختلاص في العمل<sup>(٩٦)</sup>. يقول عنه المستشرق الفرنسي لاكلير «إنه أبرز شخصية في القرن التاسع الميلادي، وأكبر العقول المتحلية بأسمى الأخلاق، وإذا لم يكن هو الذي خلق النهضة في المشرق فليس من مخلوق آخر عمل أكثر منه في سبيل العلم»<sup>(٩٧)</sup>.

وكان جبرائيل بن بختيشوع طبيب دار الخلافة في أيام المأمون قد أعجب بما ترجمه حنين من الكتب فسماه ربن حنين تقديراً وتبجيلاً له، وقدمه إلى الخليفة الذي أدخله في عداد أطبائه وولّاه بيت الحكمة ورئاسة الترجمة فيه<sup>(٩٨)</sup>. واستمر حنين طبيباً للخلفاء حتى عهد المتوكل على الله الذي اختص به واعتمد عليه في رعاية صحته ومعالجته، إلا أنه ما لبث أن نكبه وصادر أمواله. فقد كان ما بلغه حنين من نجاح وشهرة، وما حصل عليه من حظوة لدى الخليفة، أثار عليه حسد أرباب صناعته فكادوا له، فأصابته بعض المحن. وقد ذكر

(٩٣) المصدر نفسه، ص ٢٥٢.

(٩٤) المصدر نفسه، ص ٢٥٥، والقفطي، المصدر نفسه، ص ٣٨١.

(٩٥) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٥٥.

(٩٦) المصدر نفسه، ص ٢٦٢.

(٩٧) السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، ج ١، ص ٤٣٩.

(٩٨) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٥٩.

تفاصيل ما لحقه من أذى بأسلوب مفعم بالألم في رسالته في ما أصابه من المحن والشدائد<sup>(٩٩)</sup>. إلا أن الخليفة عفا عنه بعد ذلك وأعاده إلى سابق منزله. ولكن ما لقيه من عنت ومهانة كان قد أثر فيه كثيراً.

كان حنين بن اسحاق فيلسوفاً وعالمًا متبوعاً، كثير التصانيف. وأهم مصنفاته، عدا ما سبق ذكره في فصول أخرى، كتاب مسائل حنين، ويعتبر أشهر كتبه وأهمها «لأنه جمع فيه جملاً وجوامع تجري مجرى المبادئ والأوائل لهذا العلم، وأن حنيناً جمع معاني هذا الكتاب في طروس ومسودات يئس منها البعض في حياته. ثم إن حبيش بن الحسن تعلّمه وابن أخيه رتب الباقي بعده وزاد فيه»<sup>(١٠٠)</sup>. ويقول المسعودي إنه وضعه للخليفة الواثق بالله<sup>(١٠١)</sup>. وكتاب العشر مقالات في العين، وهو في تركيب العين وعلاجها على رأي أبقراط وجالينوس. ويقول حنين في المقالة الأخيرة من هذا الكتاب «إني قد كنت ألفت منذ نيف وثلاثين سنة في العين مقالات مفردة تحوت فيها إلى أغراض شتى، سألني تاليفها قوم بعد قوم. قال: ثم إن حبيشاً سألني أن أجمع له ذلك، وهو تسع مقالات وأجعله كتاباً واحداً، وأن أضيف إليه مقالة أخرى أذكر فيها كتبهم لعل العين»<sup>(١٠٢)</sup>. ووجدت مقالة أخرى لحنين مضافة إلى هذا الكتاب يذكر فيها علاج الأمراض التي تعرض في العين بالحديد<sup>(١٠٣)</sup>. وكتاب في العين عن طريق المسألة والجواب ألفه لولديه داود واسحاق، وهو مثنان وتسع مسائل، وكتاب فيمن يولد لثمانية أشهر عن طريق المسألة والجواب ألفه لأم ولد المتوكل على الله، وكتاب في معرفة أوجاع المعدة وعلاجها، وكتاب في تشريح آلات الغذاء وهو ثلاث مقالات، وكتاب في الحميات<sup>(١٠٤)</sup>.

وقد ترجم قسطنطين الأفريقي المتوفى ١٠٧٨م كتاب العشر مقالات في العين إلى اللغة اللاتينية باسم أمراض العين، وصار من الكتب المتداولة في أوروبا<sup>(١٠٥)</sup>. وحققه د. ماكس مايرهوف وطبعه في سنة ١٩٢٨ بالمطبعة الأميرية بالقاهرة، وقال عنه في مقدمته «إنه أقدم كتاب في طب العيون ألف على الطريقة العلمية»<sup>(١٠٦)</sup>.

توفي حنين بسامراء لست خلون من صفر سنة ٢٦٠ عن عمر ناهز السبعين عاماً<sup>(١٠٧)</sup>.

- 
- (٩٩) انظر نص الرسالة، في: المصدر نفسه، ص ٢٦٤ - ٢٧٠.
- (١٠٠) المصدر نفسه، ص ٢٧١، وابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٤٢٤.
- (١٠١) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٤، ص ٨١.
- (١٠٢) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٧١.
- (١٠٣) المصدر نفسه، ص ٢٧٢.
- (١٠٤) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٤٢٦، وابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٧٢ - ٢٧٣.
- (١٠٥) السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، ج ١، ص ٤٤٤.
- (١٠٦) العشر مقالات في العين، ص ٧.
- (١٠٧) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ١٤٢٣، الفغلي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوذي المسمى بالمنتخبات للمتفطّلات من كتاب إخبار العلماء =

#### ٤ - بختيشوع بن جبرائيل

هو ابن جبرائيل حفيد جورجوس بن جبرائيل الطبيب السرياني الذي استقدمه الخليفة المنصور إلى بغداد واتخذهُ طبيباً خاصاً به. وكان هارون الرشيد قد جعل أبا بختيشوع جبرائيل كبير أطبائه، فقال لديه حظوة عالية. فنشأ بختيشوع بمعية أبيه مقرباً من دار الخلافة، فمهر في خدمة الخلفاء ومدائهم، مما أكسبه ثقتهم فحصل منهم على كثير من الأموال والضياع، فبلغ من عظم المنزلة وكثرة المال ما لم يبلغه أحد من سائر الأطباء الذين عاصروه. وعاش مرفهاً يضاهاى الخليفة في اللباس والفرش<sup>(١٠٨)</sup>. إلا أنه لم يسلم من غضب الوائق بالله فنفاه وصادر أمواله<sup>(١٠٩)</sup> وكذلك فعل معه المتوكل على الله الذي غضب عليه ونكبه أكثر من مرة<sup>(١١٠)</sup>.

إلا أن أحوال بختيشوع تحسنت بعد وفاة المتوكل على الله، فردّه المستعين بالله إلى الخدمة وأعاد إليه بعض ما صودر منه، وكذلك رعاها المهتدي بالله فأعاد إليه بقية ما كان قد أخذ من أمواله<sup>(١١١)</sup>.

تميز بختيشوع على أقرانه الأطباء بأنه كان في ممارسته الطب أكثرهم اعتماداً على القياس دون التجربة، ويعنى بخاصة بالوقاية من الأمراض ومدائها بإحدى طرق الاستفراغ وتعديل الأخلاط والأمزجة<sup>(١١٢)</sup>. وكان يقول «الشرب على الجوع رديء، والأكل على الشبع أردء» و«أكل القليل مما يضرّ أصلح من أكل الكثير مما ينفع»<sup>(١١٣)</sup>.

ويظهر أن بختيشوع بن جبرائيل كان من القائلين بتأثير الأجرام السماوية على الكائنات الأرضية، فكان يأمر بشرب الدواء والقمر مناظر للزهرة، فيصحّ العليل من يومه، ويعالج القولنج بأن يأمر بحقن المريض والقمر متصل بالذنب، فيشفى القولنج من ساعته<sup>(١١٤)</sup>.

توفي بختيشوع يوم الأحد لثمانين بقين من صفر سنة ٢٥٦هـ<sup>(١١٥)</sup>. وبما صنفه من الكتب، إضافة إلى ما سبق ذكره، نبذة في الطب، ورسالة فيها نكات من تحفيات الرموز في الطب<sup>(١١٦)</sup>، وكتاب في الحجاماة على طريق المسألة والجواب<sup>(١١٧)</sup>.

= بأخبار الحكماء، ص ١٧٣، وابن أبي أصيبعة، عيون الأئمة في طبقات الأطباء، ص ٢٦٣، وفيه وفاته سنة ٢٦٤.

(١٠٨) القفطي، المصدر نفسه، ص ١٠٢، وابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٠١.

(١٠٩) القفطي، المصدر نفسه، ص ١٠٢، وابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٠٢.

(١١٠) القفطي، المصدر نفسه، ص ١٠٣، وابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٠٢.

(١١١) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٠٢.

(١١٢) السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، ج ١، ص ٣٩٣.

(١١٣) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٠٩.

(١١٤) المصدر نفسه.

(١١٥) المصدر نفسه، ص ٢٠٩، والقفطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات

المنتخبات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ١٠٤.

(١١٦) السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، ج ١، ص ٣٩٣.

(١١٧) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٢٠٩.

## ٥ - الرازي

أبو بكر محمد بن زكريا، ولد بمدينة الري وبها نشأ وتلقى علومه الأولى فُسب إليها. وسافر إلى بغداد بعد أن جاوز الثلاثين من عمره<sup>(١١٨)</sup>. وقد اشتغل في عدد من الأعمال في مطلع حياته، ثم انصرف إلى الفلسفة فنال منها كثيراً<sup>(١١٩)</sup>. وتعلم صناعة الطب بعد أن جاوز الأربعين من عمره<sup>(١٢٠)</sup>. إلا أنه انصرف بكل جهوده إليها فتعرّف إلى حقائقها وأصولها وأسرارها، إذ قرأ ما وصل إلى يده من كتب أبقراط وجالينوس فتمهّر فيها، وتفرّد في أسلوب مداواة المرضى والاستدلال على أحوالهم الصحية، وفي طريقة تدريسه الطلاب. وقد أكسبه اشتغاله في صناعة الكيمياء في مطلع حياته خبرة في الأدوية لم يصل إليها كثير من الأطباء<sup>(١٢١)</sup>، حتى غدا إمام وقته في علم الطب، تشدّ إليه الرّجال، وصنّف فيه الكتب النافعة<sup>(١٢٢)</sup>.

تنقّل الرازي في عدد من البلدان وخدم بعض أمراء الولايات وحكامها وصنّف لهم بعض كتبه الطبية. ولما استقر ببغداد تولى إدارة البيمارستان الكبير فيها، فزاد مهاراً في عمله.

واشتغل الرازي كذلك بالعلوم الحكمية ووضع فيها تصانيف عديدة. وكان يرى أن من صفات الطبيب الحاذق أن يكون فيلسوفاً مطلعاً على الكتب الطبيعية، عارفاً بالقوانين المنطقية. يقول: «من لم يُعن بالأمور الطبيعية والعلوم الفلسفية والقوانين المنطقية، وعُدل إلى اللذات الدنيائية، فأنه في عمله، لا سبيل في صناعة الطب»<sup>(١٢٣)</sup>. وكان يؤكد أهمية الخبرة والتجربة المتحصلة من الممارسة، وأهمية الدراسة والإكثار من قراءة الكتب، ويوصي الطبيب بالاجتهاد في العمل والمجوء إلى القياس والاستفادة من تجاربه وتجارب الآخرين، وهو يرى أن «الحقيقة في الطب غاية لا تدرك والعلاج بما تنصّه الكتب دون أعمال الماهر الحكيم برأيه خطر» وأن «الاستكثار من قراءة كتب الحكماء والإشراف على أسرارهم، نافع لكل حكيم عظيم الخطر»<sup>(١٢٤)</sup> و«من كان اقتصر الطبيب على التجارب دون القياس وقراءة الكتب غلّ»<sup>(١٢٥)</sup>. ونستفيد من آراء الرازي هذه أنه كان يجمع بين طريقتي التجربة والقياس في ممارسة الطب، ويوصي الأطباء بانتهاجها في عملهم.

(١١٨) المصدر نفسه، ص ٤١٤.

(١١٩) أبو داود سليمان بن حسان بن جليل، طبقات الأطباء والحكماء، بتحقيق فؤاد سيد، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية بالقاهرة، نصوص وترجمات، ١٠ (القاهرة: المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، ١٩٥٥)، ص ٧٧، والأندلسي، طبقات الأمم، ص ٥٣.

(١٢٠) شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ٦ ج (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٥٠)، ج ٤، ص ٢٤٥.

(١٢١) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٤١٦.

(١٢٢) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٤٤.

(١٢٣) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٤٢٠.

(١٢٤) المصدر نفسه، ص ٤٢٠ - ٤٢١.

كان أبو بكر الرازي «بلا جدال أعظم من أنجته المدنية الإسلامية من الأطباء، واحد مشاهير أطباء العالم في كل زمن»<sup>(١٢٦)</sup>. ويقول عنه المستشرق أوليري «إن أبا الطب العربي الحقيقي هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي...»<sup>(١٢٧)</sup>. وسماه القفطي «طبيب المسلمين غير مدافع»، ويقول عنه ابن أبي أصيبعة «... حتى تصدى لتعلم الصناعة وكان منه جالينوس العرب»<sup>(١٢٨)</sup>.

تميز الرازي بالاهتمام بغذاء المريض، بحيث يفضل على الدواء. يستنتج ذلك من قوله «إن استطاع الحكيم أن يعالج بالأغذية دون الأدوية فقد وافق السعادة»<sup>(١٢٩)</sup>. وقوله «مهما قدرت أن تعالج بالأغذية فلا تعالج بالأدوية، ومهما قدرت أن تعالج بدواء مفرد فلا تعالج بدواء مركب»<sup>(١٣٠)</sup>. كما تميز الرازي بالاهتمام بالحالة النفسية لمرضاه وتأثيرها على كيانهم الصحي، وهو منحى جديد في الطب جاء به الرازي. إذ كان يعتقد أن بين النفس والبدن صلة وثيقة، وأن ما تتأثر به نفس الإنسان من أفراس وأتراس ينعكس على بدنه وملاحظه الظاهرة. ولذلك فهو يؤكد على الطبيب أن يراعي نفس المريض أو روحه، إذ يقول «ينبغي للطبيب أن يهتم المريض ابتداءً بالصحة ويرتجيه بها، وإن كان غير واثق بذلك، لأن مزاج الجسم تابع لأخلاق النفس»<sup>(١٣١)</sup>. وسبق أن ذكرنا بعض مصنفات الرازي في موضوع الأغذية، وفي حالة المريض النفسية.

ويعتبر تشخيص مرض الجدري ومرض الحصبة أعظم منجزات الرازي الطبية، فقد وصف المرضين وصفاً دقيقاً، وبخاصة ما يتعلق بأعراضهما الأولية، رغم تشابه تلك الأعراض، ووصف طريقة معالجتهما، ووضع بذلك رسالة تضمنت خبرته عنها، وقد ترجمت إلى اللاتينية، ونقلت إلى لغات أخرى منها الانكليزية حيث طبعت بها حوالي أربعين مرة في خلال الفترة ١٤٩٨ - ١٨٦٦م<sup>(١٣٢)</sup>. وطبعها لأول مرة باللغة العربية مع مقدمة باللاتينية الأستاذ يوهانس شانك في لندن سنة ١٧٦٦م<sup>(١٣٣)</sup>.

وصنف بعض كتبه ورسائله الطبية لمخدومييه من الوزراء والكتّاب، ولأصدقائه وتلاميذه. فقد صنف كتاب براء ساعة للوزير أبي الحسن القاسم بن عبيد الله بن سليمان، نشرها د. كيك مدرّس الصيدلة في المكتب الطبي ببيروت في سنة ١٩٠٣م<sup>(١٣٤)</sup>. ورسالة في

---

(١٢٥) أرنولد [وآخرون]، تراث الإسلام، ص ٤٦٣.

(١٢٦) اسماعيل مظهر، تاريخ الفكر العربي (القاهرة: دار المصور، ١٩٢٨)، ص ١٢٥.

(١٢٧) القفطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمتنقيات المنقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٢٧١، وابن أبي أصيبعة، حيون الأنبياء في طبقات الأطباء، ص ٤١٥.

(١٢٨) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٤٢١.

(١٢٩) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٤، ص ٢٤٥.

(١٣٠) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٤٢٥.

(١٣١) أرنولد [وآخرون]، تراث الإسلام، ص ٤٦٤.

(١٣٢) يوسف اليان سركيس، معجم المطبوعات العربية والمعربة: وهو شامل لأسماء الكتب المطبوعة في الأقطار الشرقية والغربية مع ذكر أسماء مؤلفيها ولمة من ترجمتهم وذلك من يوم ظهور الطباعة إلى نهاية السنة الهجرية ١٣٣٩ الموافقة لسنة ١٩١٩ الميلادية (القاهرة: مطبعة سركيس، ١٩٢٨)، ص ٩١٤.

(١٣٣) المصدر نفسه، ص ٩١٤.



الأعلال الحادثة على ظاهر الجسد للوزير أبي الحسن علي بن عيسى بن داود الجراح وزير المقتدر بالله، ورسالة في أدوية العين وعلاجها ومداواتها وتركيب الأدوية لما يحتاج إليه من ذلك لتلميذه يوسف بن يعقوب<sup>(١٣١)</sup>. وكتاب في الفصد وضعه للأمير أبي علي أحمد بن اسماعيل من أمراء السامانيين. وكتاب المنصوري صنفه لصديقه الأمير منصور بن اسحاق بن أحمد حاكم الري، وسماه باسمه. وقد تحرّر الرازي فيه الاختصار والإيجاز مع جمعه لجمل وجوامع ونكت وعيون من صناعة الطب علماً وعملاً<sup>(١٣٢)</sup>.

ومن تصانيف الرازي الطبية الأخرى كتاب الحاوي وهو أجلّ كتبه وأجمعها وأعظمها في صناعة الطب. لأنه جمع فيه كل ما وجده متفرقاً في ذكر الأمراض ومداواتها، من سائر الكتب الطبية للمتقدمين ومن أتى بعدهم إلى زمانه. ونسب كل شيء نقله إلى قائله، علماً أن الرازي توفي قبل أن يجر هذا الكتاب<sup>(١٣٣)</sup>. ويعتبر الحاوي عمدة الأطباء في النقل منه والرجوع إليه عند الاختلاف<sup>(١٣٤)</sup>. ويقال إن تلميذه الأطباء رتبوه بعده وخرج على ما هو عليه<sup>(١٣٥)</sup>. وترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية فرج بن سالم الصقلي بأمر شارل الأول سليل آنجو، فانتشر في أوروبا مخطوطاً أول الأمر، ثم طبع في سنة ١٤٨٦م، وكان تأثيره في الطب الأوروبي عظيماً<sup>(١٣٦)</sup>. وفي معجم المطبوعات أنه طبع لأول مرة في البندقية في سنة ١٥٠٩م<sup>(١٣٧)</sup>.

وللرازي كتب طبية أخرى ذكرها ابن النديم والقفطي وابن أبي أصيبعة. ويمتاز الأخير بذكر بعض التفصيلات عن قسم من الكتب التي يذكرها<sup>(١٣٨)</sup>.

أصيب الرازي في أواخر حياته بالعمى بماء نزل في عينيه فقليل له: لو قدحت، قال: لا، لقد أبصرت من الدنيا حتى مللت، ولم يسمح بقدر عينيه<sup>(١٣٩)</sup>. وتختلف المصادر الأولية

- 
- (١٣٤) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٤٢٧.  
 (١٣٥) المصدر نفسه، ص ٤٢٣، وابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماؤهم، ص ٤٣١.  
 (١٣٦) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٤٢١.  
 (١٣٧) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٤، ص ٤٤٤.  
 (١٣٨) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٤٢٠.  
 (١٣٩) أرنولد وآخرون، تراث الإسلام، ص ٤٦٥.  
 (١٤٠) سركيس، معجم المطبوعات العربية والعربية: وهو شامل لأسماء الكتب المطبوعة في الأقطار الشرقية والغربية مع ذكر أسماء مؤلفيها ولغة من ترجمتهم وذلك من يوم ظهور الطباعة إلى نهاية السنة الهجرية ١٣٣٩ الموافقة لسنة ١٩١٩ الميلادية، ص ٩١٤.  
 (١٤١) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماؤهم، ص ٤٣٠ - ٤٣٣؛ القفطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمختبرات المنقطعات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٢٧٣ - ٢٧٧، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٤٢١ - ٤٢٧.  
 (١٤٢) ابن جليل، طبقات الأطباء والحكماء، ص ٧٨؛ القفطي، المصدر نفسه، ص ٢٧٢، وابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٤٢٠.

التي أُرخت وفاته في ذكر السنة التي توفي فيها، إلا أن المستشرق روسكا نشر مقالاً بعنوان «البيروني كمصدر لحياة الرازي وكتبه» ترجم فيه فقرات مأخوذة من فهرست كتب الرازي للبيروني المحفوظ بليدن، تعين أن وفاة الرازي كانت في ٥ شعبان سنة ٣١٣هـ<sup>(١١٧)</sup>.

## ٦ - إسحاق بن عمران

ولد ببغداد وبها نشأ ودرس على يوحنا بن ماسويه، وكان ذا علم واسع في صناعة الطب وأصولها. وقد اشتهر باسم «مسم ساعة» إشارة إلى سرعة تأثير الدواء الذي كان يصفه لمرضاه، مما يدل على مهارته في تشخيص العلل ووصف ما يناسبها من الأدوية. دعاه أمير بني الأغلب إبراهيم الثاني إلى أفريقيا، فاستجاب وصار الطبيب الخاص بالأمير<sup>(١١٨)</sup>. وكان إلى جانب خدمة الأمير يعمل في بيت الحكمة الذي أسسه الأمير إبراهيم نفسه في رقادة، وفي معالجة المرضى بالمستشفى أو في عيادته الخاصة. وكانت ممارسته في الطب على طريقة الأوائل تقوم على نظرية الأخلاط وحفظ التوازن بينها<sup>(١١٩)</sup>.

كان إسحاق ممن اشتهر بعلم الطب وسائر العلوم المستنبطة من العلم الطبيعي، مقدماً في قريحته وصحة علمه، وهو الذي أَلَّف بين الطب والفلسفة بديار المغرب<sup>(١٢٠)</sup>. ويقول عنه ابن جلدج «وبه ظهر الطب بالمغرب، وعرفت الفلسفة، وكان طبيباً حاذقاً متميزاً بتأليف الأدوية المركبة، بصيراً ببنقرة العلل، أشبه الأوائل في علمه وجودة قريحته»<sup>(١٢١)</sup>. وبهذا يعتبر إسحاق مؤسس المدرسة الطبية في ربوع أفريقيا، وقد تلقى عليه عدد من الأفارقة الفلسفة والطب منهم ابنه علي، وإسحاق بن سليمان<sup>(١٢٢)</sup>.

ظل إسحاق الطبيب الخاص بأمير بني الأغلب إبراهيم الثاني، وخلفه زيادة الله الثالث، وكان هذا مصاباً بمرض نفسي، إذ ما لبث أن غضب على إسحاق فأمر بقتله وصلبه في سنة ٢٩٤هـ<sup>(١٢٣)</sup>.

ولإسحاق بن عمران عدد من الكتب في مواضيع مختلفة، ومن كتبه الطبية كتاب في داء المالبخوليا لم يسبق إلى مثله، وكتاب في الفصد، وكتاب في النبض<sup>(١٢٤)</sup>، وكتاب في الأدوية

---

(١٤٣) ابن جلدج، المصدر نفسه، هامش ص ٧٧.

(١٤٤) حسن حسني عبد الوهاب، وقات عن الحضارة العربية في إفريقيا الشمالية (تونس: مطبعة

المنار، ١٩٦٤)، ص ٢٣٤.

(١٤٥) السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، ج ١، ص ٦١٩.

(١٤٦) الأندلسي، طبقات الأمم، ص ٦٨.

(١٤٧) ابن جلدج، طبقات الأطباء والحكباء، ص ٨٥.

(١٤٨) عبد الوهاب، وقات عن الحضارة العربية في إفريقيا الشمالية، ص ٢٣٤، وابن أبي أصيبعة،

عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٤٧٩.

(١٤٩) ابن جلدج، طبقات الأطباء والحكباء، ص ٨٥ - ٨٦.

(١٥٠) المصدر نفسه، ص ٨٥.

المفردة، وكتاب العنصر والتهام في الطب، ومقالة في علل القولنج وأنواعه وشرح أدويته، وهي رسالة كتبها إلى العباس، وكيل إبراهيم بن الأغلب<sup>(١٠١)</sup>.

## ٧ - ابن رُبْن الطبري

أبو الحسن علي بن مهمل رُبْن الطبري، كان أبوه عالماً بارعاً في الطب والهندسة والتنجيم، ونقل بعض الكتب الحكمية من لغة إلى أخرى، وكان يتولى الكتابة لأمراء طبرستان، وقد لُقِبَ برُبْن لعلمه وفضله، ومعناه الأستاذ أو المعلم العظيم<sup>(١٠٢)</sup>. وقد تولى تربية ابنه وتدريسه فعلمه الطب والفلسفة والهندسة إلى جانب اللغتين العربية والسريانية. ولما مات حلَّ ابنه علي محلَّه في الكتابة لأمراء طبرستان، واستمر في دراساته حتى غداً طبيباً ماهراً، وممارس الطب مدة في الري نال بها شهرة. ثم انتقل إلى العراق وسكن سُرَّ من رأى وتولى الكتابة في ديوان الخليفة المعتمد بالله واعتنق الإسلام على يديه<sup>(١٠٣)</sup>. ويقول محقق كتاب فردوس الحكمة إن المتوكل على الله هو الذي دعاه إلى الإسلام فلبَّاه، فلقبه المتوكل بلقب مولى أمير المؤمنين<sup>(١٠٤)</sup>.

ولعلي بن رُبْن عدد من الكتب الطبية سبق أن ذكرنا بعضها، لا سيما كتاب فردوس الحكمة وهو أشهرها. ويقول عن سبب تأليفه إنه وجد في ما قرأه من كتب الحكماء عبارة عن مختصرات اقتصر أصحابها على فنٍّ واحد من فنون الطب الكثيرة، ولذلك صمَّم على تأليف كتاب يجمع محاسن الكتب المؤلفة في هذا الباب، فتهيأ له منها كتاب يحيط بأكثر ما يتمناه للمتمني من علم الطب ومعرفة أصوله وفروعه<sup>(١٠٥)</sup>. وقد استغرق تأليفه سنوات عدة لكثرة مشاغله الأخرى التي لم تتح له فرصة للتفرغ للكتابة، حتى تيسر له انجماه في سُرَّ من رأى في السنة الثالثة من خلافة المتوكل على الله<sup>(١٠٦)</sup>.

يتألف الكتاب من سبعة أنواع من العلم، وهذه الأنواع ثلاثون مقالة، والمقالات ثلاثمائة وستون باباً<sup>(١٠٧)</sup>. ويظهر أن ابن رُبْن لم ينصرف إلى صناعة الطب إلا مدة يسيرة، ولذا فإن ما جاء في كتابه هذا لم يكن نتيجة تجارب علمية حصل عليها في أثناء ممارسته إياها، وإنما

(١٥١) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٤٧٩.

(١٥٢) القفطي، تاريخ الحكماء، وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات للثقات من كتاب إخبار العلماء بإخبار الحكماء، ص ١٨٧؛ إبراهيم بن محمد البيهقي، تاريخ حكام الإسلام، تحقيق محمد كرد علي (دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٧٦)، ص ٢٢، وابن رُبْن، فردوس الحكمة، ص ١.

(١٥٣) ابن التديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، ص ٤٢٦؛ القفطي، المصدر نفسه، ص ١٨٧ و٢٣١، وابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٤١٤.

(١٥٤) انظر المقدمة، في: ابن رُبْن، المصدر نفسه، ص ط.

(١٥٥) المصدر نفسه، ص ١ - ٢.

(١٥٦) المصدر نفسه، ص ٢.

(١٥٧) المصدر نفسه، ص ٧.

جمعه من محاسن الكتب المصنفة في هذه المواضيع، كما ذكر هو ذلك في مقدمة الكتاب نفسه. ومن الطريف أن ابن رُبْن نقل كتابه المذكور إلى اللغة السريانية، ونشر منه عدة نسخ في بلدان مختلفة، وذلك للتحرز من أن يتحل أحد كتابه هذا<sup>(١٥٨)</sup>. توفي علي بن رُبْن بسرٍّ من رأى في سنة ٢٤٧هـ<sup>(١٥٩)</sup>. وله من المصنفات الطبية الأخرى: كتاب كتاش الحضرة، وكتاب إرفاق الحياة، وكتاب الحجامة<sup>(١٦٠)</sup>.

## ٨ - الكندي

كان فيلسوف العرب يعقوب بن اسحاق الكندي متعدد المعارف، ومن أهم العلوم التي أحاط بها إلى جانب الفلسفة وما سبق أن ذكرناه من علوم أخرى، علم الطب. ومع أنه لم يتخذ هذه الصنعة مهنة له، فقد ألّم بجوانبها وسبر أغوارها ووضع فيها عدداً من المصنفات كانت مراجع للأطباء في مواضيعها، وبخاصة ما يتعلق منها بالأدوية. وقد اهتم الكندي بالطب اليوناني أكثر من اهتمامه بالطب الهندي<sup>(١٦١)</sup>، وظهر ذلك في كتبه الطبية بشكل واضح. وقد ذكر له ابن النديم اثنين وعشرين كتاباً في باب الطب، منها: رسالة في الطب البقراطي، ورسالة في أقسام الحميات، ورسالة في وجع المدة والنقرس، ورسالة في قدر منفعة صناعة الطب، ورسالة في علة نفث الدم، ورسالة في أشقية السموم، ورسالة في علة يعسارين الأمراض الحادة، ورسالة في علم الجذام وأشقيته، ورسالة في علاج الطحال الجاسي<sup>(١٦٢)</sup>. ويضيف ابن أبي أصيبعة: كتاب جوامع كتاب الأدوية الجالينوس، ورسالة في الإبانة من منفعة الطب إذا كانت صناعة النجوم مقترنة بدلائلها، وكتاب الأدوية الممتحنة، وكتاب الأفرباذين<sup>(١٦٣)</sup>. والكتاب الأخير في تركيب الأدوية، وقد ترجم إلى اللاتينية وطبع في سترسبورغ في سنة ١٥٣١م<sup>(١٦٤)</sup>. وطبع الأصل العربي مع ترجمة إنكليزية، ترجمها وعلّق عليها مارتن ليفي، بمطبعة جامعة وسكنسن بأمريكا سنة ١٩٦٦م، وهو يتضمن اختيارات الكندي من الأدوية المجربة التي كان يستعملها.

(١٥٨) المصدر نفسه، ص ٨.

(١٥٩) الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين،

ج ٥، ص ٩٩.

(١٦٠) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم،

ص ٤٢٦، وابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٤١٤.

(١٦١) اسحاق بن يحيى الأزدي، فيلسوف العرب يعقوب بن اسحق الكندي، ترجمة عباس الغزاري

(بغداد: مطبعة أسعد، ١٩٦٤)، ص ٣٨.

(١٦٢) ابن النديم، المصدر نفسه، ص ٣٧٥ - ٣٧٦.

(١٦٣) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٩١.

(١٦٤) الأزدي، فيلسوف العرب يعقوب بن اسحق الكندي، ص ٨٨.

## ٩ - ثابت بن قرة

أبو الحسن الحرّاني، سبقت الإشارة إليه في باب الرياضيات والفلك، وكان الغالب عليه الفلسفة والنجوم والهندسة، وله كتب كثيرة في فنون مختلفة من العلوم<sup>(١١١)</sup>. وقد ذكر ابن أبي أصيبعة ما يربو على ثلاثين كتاباً في المواضيع الطبية، منها: كتاب الأمراض الحادة للجاليينوس، وكتاب أصناف الأمراض، وكتاب الحصى المتولد في الكلى والمثانة، وكتاب في تدبير الأمراض الحادة، ورسالة في الجدري والحصبة، ومقالة في الصفرة العارضة للبدن وعدد أصنافها وأسبابها وعلاجها، ومقالة في وجع المفاصل والتهقرس، ومقالة في صفة كون الجنين، ومقالة في البصر والبصيرة في علم العين وعملها ومدادها<sup>(١١٢)</sup>.

## ١٠ - قسطا بن لوقا البعلبكي

يقول عنه ابن النديم مشيداً بمهارته الطبية «وقد كان يجب أن يقدّم على حنين لفضله وتقدمه في صناعة الطب... وكان بارعاً في علوم كثيرة منها الطب<sup>(١١٣)</sup>. وكان قسطا متحققاً بعلم العدد والهندسة والنجوم والمنطق والعلوم الطبيعية، ماهراً في صناعة الطب<sup>(١١٤)</sup>. ويقول عنه ابن أبي أصيبعة «طبيب حاذق، نبيل، فيلسوف، وكان في أيام المعتز... وكان جيد النقل فصيحاً... وله رسائل في صناعة الطب وغيرها<sup>(١١٥)</sup>».

ذكر له كل من ابن النديم والقفطي وابن أبي أصيبعة عدداً من الكتب، منها: كتاب جامع الدخول إلى علم الطب، ألّفه لإبراهيم بن محمد المعروف بابن السدير وهو من كبار الكتاب، وكتاب في النبض ومعرفة الحميات وضروب البهرانات، وكتاب في علّة الموت فجأة، ألّفه لأبي الحسن محمد بن أحمد كاتب بطريق البطارقة، وكتاب في معرفة الخدر وأنواعه وعملها وأسبابها وعلاجها، ألّفه لقاضي القضاة أبي محمد الحسن بن محمد، وكتاب في أيام البهران في الأمراض الحادة، وكتاب في الأخلاط الأربعة وما تشترك فيه، ومختصر كتاب في الكبد وخلقتها وما يعرض فيها من الأمراض، وكتاب في دفع ضرر السموم، وكتاب في الاستدلال بالنظر لأصناف البول<sup>(١١٦)</sup>. وتنحصر كتب قسطا الطبية في الاختصاصات الدقيقة، وهي على الأكثر لا تدل بأي حال على سعة قمره بعلومها<sup>(١١٧)</sup>.

---

(١١٥) القفطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمّى بالمتنخبات المنقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ١١٥.

(١١٦) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٩٨ - ٢٩٩.

(١١٧) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنّفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٤٢٤.

(١١٨) القفطي، تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمّى بالمتنخبات المنقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٢٦٢.

(١١٩) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٣٢٩.

(١٢٠) ابن النديم، الفهرست في أخبار العلماء المصنّفين من القدماء والمحدثين وأسماهم كتبهم، ص ٤٢٨.

(١٢١) القفطي، المصدر نفسه، ص ٢٦٣، وابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ٣٣٠.

(١٢٢) السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، ج ١، ص ٤٨٣.

## ١١ - سنان بن ثابت بن قرّة

أبو سعيد سنان الحرّاني، من أبرز الأطباء الذين اشتهروا في أواخر هذا القرن. نشأ ببغداد وبها تلقى علومه على والده ثابت بن قرّة الحرّاني وغيره من علماء الطب. وكان رفيع المنزلة عند الخليفة المقتدر بالله الذي تولى الخلافة سنة ٢٩٥، خصيصاً به، فجعله رئيساً للأطباء ببغداد. وخدم بعده القاهرة والرازي. وتمت على يديه إصلاحات مهمة لتنظيم الشؤون الطبية، كامتحان الأطباء، والعناية الطبية بأهل الأرياف والمحبوسين، مما سبقت الإشارة إليه.

امتدت الحياة بسنان بن ثابت حتى سنة ٣٣١، فكان من أبرز أطباء القرن الرابع. ولهذا اكتفينا بهذه النبذة المختصرة عنه.

### السنوات الهجرية وابتدائها وما يقابلها من السنوات الميلادية

الهجرية	تبتدىء في	الميلادية	الهجرية	تبتدىء في	الميلادية
٢٠١	٣٠ تموز / يوليو	٨١٦	٢٢٣	٣ كانون الأول / ديسمبر	٨٣٧
٢٠٢	٢٠ تموز / يوليو	٨١٧	٢٢٤	٢٣ تشرين الثاني / نوفمبر	٨٣٨
٢٠٣	٩ تموز / يوليو	٨١٨	٢٢٥	١٢ تشرين الثاني / نوفمبر	٨٣٩
٢٠٤	٢٨ حزيران / يونيو	٨١٩	٢٢٦	٣١ تشرين الأول / أكتوبر	٨٤٠
٢٠٥	١٧ حزيران / يونيو	٨٢٠	٢٢٧	٢١ تشرين الأول / أكتوبر	٨٤١
٢٠٦	٦ حزيران / يونيو	٨٢١	٢٢٨	١٠ تشرين الأول / أكتوبر	٨٤٢
٢٠٧	٢٧ أيار / مايو	٨٢٢	٢٢٩	٣٠ أيلول / سبتمبر	٨٤٣
٢٠٨	١٦ أيار / مايو	٨٢٣	٢٣٠	١٨ أيلول / سبتمبر	٨٤٤
٢٠٩	٤ أيار / مايو	٨٢٤	٢٣١	٧ أيلول / سبتمبر	٨٤٥
٢١٠	٢٤ نيسان / أبريل	٨٢٥	٢٣٢	٢٨ آب / أغسطس	٨٤٦
٢١١	١٣ نيسان / أبريل	٨٢٦	٢٣٣	١٧ آب / أغسطس	٨٤٧
٢١٢	٢ نيسان / أبريل	٨٢٧	٢٣٤	٥ آب / أغسطس	٨٤٨
٢١٣	٢٢ آذار / مارس	٨٢٨	٢٣٥	٢٦ تموز / يوليو	٨٤٩
٢١٤	١١ آذار / مارس	٨٢٩	٢٣٦	١٥ تموز / يوليو	٨٥٠
٢١٥	٢٨ شباط / فبراير	٨٣٠	٢٣٧	٥ تموز / يوليو	٨٥١
٢١٦	١٨ شباط / فبراير	٨٣١	٢٣٨	٢٣ حزيران / يونيو	٨٥٢
٢١٧	٧ شباط / فبراير	٨٣٢	٢٣٩	١٢ حزيران / يونيو	٨٥٣
٢١٨	٢٧ كانون الثاني / يناير	٨٣٣	٢٤٠	٢ حزيران / يونيو	٨٥٤
٢١٩	١٦ كانون الثاني / يناير	٨٣٤	٢٤١	٢٢ أيار / مايو	٨٥٥
٢٢٠	٥ كانون الثاني / يناير	٨٣٥	٢٤٢	١٠ أيار / مايو	٨٥٦
٢٢١	٢٦ كانون الأول / ديسمبر	٨٣٥	٢٤٣	٣٠ نيسان / أبريل	٨٥٧
٢٢٢	١٤ كانون الأول / ديسمبر	٨٣٦	٢٤٤	١٩ نيسان / أبريل	٨٥٨

يتبع

الهجرية	تبتدئ في	الميلادية	الهجرية	تبتدئ في	الميلادية
٢٤٥	٨ نيسان / ابريل	٨٥٩	٢٧٦	٦ أيار / مايو	٨٨٩
٢٤٦	٢٨ آذار / مارس	٨٦٠	٢٧٧	٢٥ نيسان / ابريل	٨٩٠
٢٤٧	١٧ آذار / مارس	٨٦١	٢٧٨	١٥ نيسان / ابريل	٨٩١
٢٤٨	٢ آذار / مارس	٨٦٢	٢٧٩	٣ نيسان / ابريل	٨٩٢
٢٤٩	٢٩ شباط / فبراير	٨٦٣	٢٨٠	٢٣ آذار / مارس	٨٩٣
٢٥٠	١٣ شباط / فبراير	٨٦٤	٢٨١	١٣ آذار / مارس	٨٩٤
٢٥١	٢ شباط / فبراير	٨٦٥	٢٨٢	٢ آذار / مارس	٨٩٥
٢٥٢	٢٢ كانون الثاني / يناير	٨٦٦	٢٨٣	١٩ شباط / فبراير	٨٩٦
٢٥٣	١١ كانون الثاني / يناير	٨٦٧	٢٨٤	٨ شباط / فبراير	٨٩٧
٢٥٤	١ كانون الثاني / يناير	٨٦٨	٢٨٥	٢٨ كانون الثاني / يناير	٨٩٨
٢٥٥	٢٠ كانون الأول / ديسمبر	٨٦٨	٢٨٦	١٧ كانون الثاني / يناير	٨٩٩
٢٥٦	٩ كانون الأول / ديسمبر	٨٦٩	٢٨٧	٧ كانون الثاني / يناير	٩٠٠
٢٥٧	٢٩ تشرين الثاني / نوفمبر	٨٧٠	٢٨٨	٢٦ كانون الأول / ديسمبر	٩٠٠
٢٥٨	١٨ تشرين الثاني / نوفمبر	٨٧١	٢٨٩	١٦ كانون الأول / ديسمبر	٩٠١
٢٥٩	٧ تشرين الثاني / نوفمبر	٨٧٢	٢٩٠	٥ كانون الأول / ديسمبر	٩٠٢
٢٦٠	٢٧ تشرين الأول / أكتوبر	٨٧٣	٢٩١	٢٤ تشرين الثاني / نوفمبر	٩٠٣
٢٦١	١٦ تشرين الأول / أكتوبر	٨٧٤	٢٩٢	١٣ تشرين الثاني / نوفمبر	٩٠٤
٢٦٢	٦ تشرين الأول / أكتوبر	٨٧٥	٢٩٣	٢ تشرين الثاني / نوفمبر	٩٠٥
٢٦٣	٢٤ أيلول / سبتمبر	٨٧٦	٢٩٤	٢٢ تشرين الأول / أكتوبر	٩٠٦
٢٦٤	١٣ أيلول / سبتمبر	٨٧٧	٢٩٥	١٢ تشرين الأول / أكتوبر	٩٠٧
٢٦٥	٣ أيلول / سبتمبر	٨٧٨	٢٩٦	٣٠ أيلول / سبتمبر	٩٠٨
٢٦٦	٢٣ آب / أغسطس	٨٧٩	٢٩٧	٢٠ أيلول / سبتمبر	٩٠٩
٢٦٧	١٢ آب / أغسطس	٨٨٠	٢٩٨	٩ أيلول / سبتمبر	٩١٠
٢٦٨	١ آب / أغسطس	٨٨١	٢٩٩	٢٩ آب / أغسطس	٩١١
٢٦٩	٢١ تموز / يوليو	٨٨٢	٣٠٠	١٨ آب / أغسطس	٩١٢
٢٧٠	١١ تموز / يوليو	٨٨٣			
٢٧١	٢٩ حزيران / يونيو	٨٨٤			
٢٧٢	١٨ حزيران / يونيو	٨٨٥			
٢٧٣	٨ حزيران / يونيو	٨٨٦			
٢٧٤	٢٨ أيار / مايو	٨٨٧			
٢٧٥	١٦ أيار / مايو	٨٨٨			

المصدر: أطلس التاريخ الإسلامي، ص ٤٤.





## المراجع

### كتب

- ابن أبي أصيبعة، أبو العباس أحمد بن القاسم. عيون الأنباء في طبقات الأطباء. شرح وتحقيق نزار رضا. بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦٠.
- ابن أبي الربيع، شهاب الدين أحمد بن محمد. سلوك المالك في تدبير الممالك. القاهرة: دار الشعب، ١٩٨٣.
- ابن أبي طاهر طيفور، أبو الفضل أحمد. بغداد. عني بنشره عزت العطار. القاهرة: مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ١٩٤٩.
- ابن الأثير، أبو الحسن علي. الكامل في التاريخ. بيروت: دار صادر، ١٩٦٥ - ١٩٦٧. ج ١٣.
- ابن الإخوة، ضياء الدين محمد بن محمد. معالم القرية في أحكام الحسبة. عني بنقله وتصحيحه روبن ليوي. كيمبرج: مطبعة دار الفنون، ١٩٣٧.
- ابن الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن محمد. نزهة الألباء في طبقات الأدباء أي النحاة. تحقيق عطية عامر. بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٣.
- ابن بطلان، أبو الحسن المختار بن الحسن. رسالة في شرى الرقيق وتقليب العبيد. تحقيق عبد السلام محمد هارون. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٤. (سلسلة نواذر المخطوطات؛ ٤)
- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، [د.ت.].
- ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسن. طبقات الأطباء والحكباء. تحقيق فؤاد سيد. القاهرة: المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٥٥. (مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، نصوص وترجمات؛ ١٠)

- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، ١٩٣٨ - ١٩٣٩.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد. الفصل في الملل والأهواء والنحل. بيروت: مكتبة خياط، [د.ت.].
- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي الموصلي. صورة الأرض. بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦٤.
- ابن خردادبه، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله. المسالك والممالك. تحقيق ميخائيل دو غويه. لندن: مطبعة بريل، ١٨٩٨. (المكتبة الجغرافية العربية؛ ٦)
- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد. العبر وديوان المتبدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. مقدمة ابن خلدون. مصر: المطبعة الخيرية، ١٩٠٤. ٧ ج.
- ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٥٠. ٦ ج.
- ابن داود، أبو بكر محمد. الزهرة. بيروت: مطبعة الأباء اليسوعيين، ١٩٣٢.
- ابن الداية، أبو جعفر أحمد بن يوسف. المكافأة. صححه وضبطه وشرحه أحمد أمين وعلي الجارم. القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٩٤١.
- ابن رجب، أبو الحسن علي بن سهل الطبري. فردوس الحكمة. تحقيق محمد زبير الصديقي. برلين: مطبعة آفتاب، ١٩٢٨.
- ابن رسته، أحمد بن عمر. الأعلام النفيسة. لندن: مطبعة بريل، ١٨٩١. (المكتبة الجغرافية العربية؛ ٧)
- ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس. ديسوان ابن الرومي. شرح شريف سليم. القاهرة: مطبعة الهلال، ١٩١٧.
- . تحقيق حسن نصار. القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٧٤.
- ابن الزبير، أبو الحسن أحمد. الذخائر والتحف. تحقيق محمد حميد الله. الكويت: دائرة المطبوعات والنشر، ١٩٥٩. (التراث العربي؛ ١)
- ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا. الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية. مصر: مطبعة الموسوعات، ١٨٩٩.
- ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد. العقد الفريد. شرحه ورتب فهارسه أحمد أمين، أحمد الزين وإبراهيم الأبياري. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٠ - ١٩٥٣. ٧ ج.
- ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله محمد. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. تحقيق ومراجعة ج. س. كولان وليفي بروفنسال. بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٧. ٤ ج.
- ابن العساذ الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحفي بن أحمد. شذرات الذهب في أخبار من ذهب. بيروت: المكتبة التجارية للطباعة والنشر، [د.ت.]. ٢ ج.

- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم. الأنواء في مواسم العرب. حيدر آباد الدكن: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥٦.
- ..... تأويل مشكل القرآن. شرح وتحقيق السيد أحمد صقر. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٤.
- ..... الشعر والشعراء. بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٤.
- ..... عيون الأخبار. القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦٣. ٤ ج.
- ..... المعارف. حَقَّقَه وقَدَّم له ثروت عكاشة. القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٠.
- ابن المعتز، أبو العباس عبد الله. ديوان ابن المعتز. تحقيق محيي الدين الخياط. دمشق: المكتبة العربية، [د.ت.].
- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم. لسان العرب. بيروت: دار صادر، ١٩٥٥ - ١٩٥٦. ١٥ ج.
- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن اسحق. الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم. القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٢٠.
- ..... طهران: مكتبة الأسد، ١٩٧١.
- أبو تمام، حبيب بن أوس. ديوان أبي تمام. قَدَّم له عبد الحميد يونس وعبد الفتاح مصطفى. مصر: مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، ١٩٤٢.
- ..... تحقيق وتعليق محمد عبده عزام. القاهرة: دار المعارف، [د.ت.]. ٤ ج.
- (ذخائر العرب؛ ٥)
- أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن علي. المختصر في أخبار البشر. القاهرة: المطبعة الحسينية، ١٨٦٩. ٤ ج في ٢.
- أبو المظهر الأزدي، محمد بن أحمد. حكاية أبي القاسم البغدادى. تحرير آدم متر. هيدلبرغ: مطبعة كارل ونتر، ١٩٠٢.
- أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء. الأحكام السلطانية. صحَّحه وعلَّق عليه محمد حامد الفقي. القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٣٨.
- ..... طبقات الختابة. وقف على طبعه وصحَّحه محمد حامد الفقي. القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ١٩٥٢. ٢ ج في ١.
- أخبار الحكماء.
- أرنولد، توماس [وآخرون]. تراث الإسلام. عربي وعلَّق حواشيه جرجيس فتح الله. ط ٣. بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٨.
- الازميري، اسماعيل حَقِّي. فيلسوف العرب يعقوب بن اسحق الكندي. ترجمة عباس الغزاوي. بغداد: مطبعة أسعد، ١٩٦٤.
- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد. تهذيب اللغة. حَقَّقَه وقَدَّم له عبد السلام محمد هارون؛ راجعه محمد علي النجار. القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانتباء والنشر، [د.ت.]. ١٥ ج.

أشعار الحسين بن الفضاح. جمعها وحققها عبد الستار أحمد فراج. بيروت: دار الثقافة، ١٩٦٠.

الأشعري، أبو الحسن علي بن اسماعيل. مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين. تحقيق محمد عجي الدين عبد الحميد. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٠. ٢ ج.  
الأصبهاني، أبو الفرج علي بن الحسين. الأغاني. القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، [د.ت.].

الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الكرخي. الأقاليم (نشره مولر سنة ١٨٣٩).  
أمير علي، مولاوي سيد، مختصر تاريخ العرب. ترجمة عفيف البعلبكي. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦١.

أمين، أحمد. ضحى الإسلام. ط ٧. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٤.  
— ظهر الإسلام. ط ٣. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٢. ٤ ج.  
الأندلسي، أبو القاسم صاعد بن أحمد. طبقات الأمم. نشره وذيّله بالحواشي وأردفه بالروايات لويس شيخو اليسوعي. بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩١٢.  
الأنصاري، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم. الخراج. ط ٢. القاهرة: المطبعة السلفية، ١٩٣٣.

بارتولد، فاسيلي فلاديميروفيچ. تاريخ الحضارة الاسلامية. ترجمه عن الروسية حمزة طاهر. ط ٤. القاهرة: دار المعارف، ١٩٤٢.

باقر، طه. مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة. بغداد: مطبعة الحوادث، ١٩٧٢.  
البتاني، أبو عبد الله محمد بن جابر. الزيج الصابي. اعتنى بطبعه وتصحيحه وترجمه إلى اللغة اللاتينية كارلو نالينو. رومية: مطبعة رومية، ١٨٩٩.

البحثري، أبو عبادة الوليد بن عبيد الله. ديوان البحثري. تحقيق وشرح حسن كامل الصبري. القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٣. ٤ ج. (ذخائر العرب؛ ٣٤)  
البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل. الأدب المفرد. طشقند: مطبعة الأوفسيت، ١٩٧٠.

البغدادى، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر. أصول الدين. استانبول: دار الفنون، ١٩٢٨.

— الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم. تحقيق محمد زاهد بن الحسن الكوثري؛ نشره عزت العطار الحسني. [د.م. : د.ن.]. ١٩٤٠.  
البغدادى، اسماعيل بن محمد أمين. هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. استانبول: وكالة المعارف العامة، ١٩٥٤. ٢ ج.

البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى. فتوح البلدان. راجعه وعلّق عليه رضوان محمد رضوان. القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، [د.ت.].

البيروني، أبو الرّيحان محمد بن أحمد. الآثار الباقية من القرون الخالية. تحقيق ادوارد سخاو. ليزيك: ادوارد سخاو، ١٩٢٣.

- التفهيم لأوائل صناعة التنجيم. ترجمه إلى الانكليزية رمزي ريت. لندن: مكتبة لوزاك، ١٩٣٤.
- الجماهر في معرفة الجواهر. بيروت: عالم الكتب، [د.ت.].
- البیهقي، ابراهيم بن محمد. تاريخ حكماء الإسلام. تحقيق محمد كرد علي. دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٧٦.
- تاريخ فلاسفة الإسلام.
- التحف والهدايا.
- التنوخى، المحسن بن علي. الفرج بعد الشدة. القاهرة: دار الطباعة المحمدية، ١٩٥٥.
- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة أو جامع التواريخ. تحقيق عبود الشالجي. بيروت: دار صادر، ١٩٧١. ج ٨.
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٦٥.
- لطائف المعارف. تحقيق ابراهيم الأبياري وحسن كامل الصيرفي. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، [د.ت.].
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. البخلاء. تحقيق وتعليق طه الحاجري. القاهرة: دار الكاتب المصري، ١٩٤٨.
- البيان والتبيين. تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. ط ٣. القاهرة: مكتبة الحانجي، بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٦٨. ج ٤.
- التاج في أخلاق الملوك. تحقيق أحمد زكي باشا. القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٩١٤.
- التبصر بالتجارة. عني بنشره والتعليق عليه حسن حسني عبد الوهاب. ط ٢. مصر: المطبعة الرحمانية، ١٩٣٥.
- ثلاث رسائل. سعى في نشره يوشع فنكل. ط ٢. القاهرة: المطبعة السلفيّة، ١٩٦٢.
- الحيوان. تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٣٨ - ١٩٤٥. ج ٧.
- رسالة القيّان.
- رسائل الجاحظ. تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ١٩٦٤.
- الجُمحي، محمد بن سَلّام. طبقات فحول الشعراء. تحقيق محمود محمد شاكر. القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٢. (ذخائر العرب؛ ٧)
- الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس. الوزراء والكتّاب. حققه مصطفى السقا، ابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شليبي. القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٨٩٩.
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. عني

- بتصحيحه محمد شريف يالتقايا ورفعت الكليسي. استانبول: مطبعة الحكومة، ١٩٤١-١٩٤٣. ج ٢.
- الحاني، ناصر. النقد الأدبي وأثره في الشعر العباسي. بغداد: مطبعة العاني، ١٩٥٥.
- حسن، إبراهيم حسن وعلي إبراهيم حسن. التنظيم الاسلامي. ط ٤. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٠.
- حسين، طه. من حديث الشعر والنثر. ط ٢. القاهرة: دار المعارف، ١٩٧١.
- خُدُوري، مجيد. الصلات الدبلوماسية بين هارون الرشيد وشارلمان. بغداد: مطبعة التفويض الأهلية، ١٩٣٩.
- الخزاعي، دعبل بن علي. ديوان دعبل بن علي الخزاعي. تحقيق عبد الصاحب عمران الدجيلي. النجف: مطبعة الآداب، ١٩٦٢.
- الخضري، محمد. محاضرات في تاريخ الأمم الاسلامية: الدولة العباسية. ط ٣. القاهرة: مطبعة مصطفى محمد، [د.ت.]. ج ٣.
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي. تاريخ بغداد أو مدينة السلام. بيروت: دار الكتاب العربي، [د.ت.]. ج ١٤.
- الخوارزمي، أبو جعفر محمد بن موسى. صورة الأرض من المدن والجبال والبحار والجزائر والأنهار. تحقيق هانس فون مزيك. فيينا: مطبعة أدولف هولزهوزن، ١٩٢٦.
- الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. مفاتيح العلوم. القاهرة: دار الطباعة المنيرية، ١٩٢٣.
- الخوري، فارس. موجز في علم المالية. دمشق: مطبعة الحكومة، ١٩٢٤.
- الخوئي، أبو القاسم. البيان في تفسير القرآن. النجف: المطبعة العلمية، ١٩٥٧.
- دائرة المعارف الإسلامية.
- الدوري، عبد العزيز، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب. بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٠. (سلسلة نصوص ودروس؛ ١٠)
- . تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري. بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٤٨.
- . النظم الإسلامية: الخلافة، الضرائب، الدواوين والوزارة. بغداد: مطبعة نجيب، ١٩٥٠.
- دوزي، رينهارت بيتر آن. معجم مفصل في أسماء الألبسة عند العرب: عربي - فرنسي. ترجمة أكرم فاضل. بغداد: دار الحرية، ١٩٧١.
- دونالدسون، دوایت م. عقيدة الشيعة: وهو كتاب عن تاريخ الإسلام في إيران والعراق. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٤٦.
- دي بور، ت.ج. تاريخ الفلسفة في الإسلام. ترجمة محمد عبد الهادي أبوريدة. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٨.
- ديماند، موريس سفين. الفنون الإسلامية. تصدير أحمد فكري؛ ترجمة أحمد محمد عيسى. ط ٢. القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٤.

- الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود. الأخبار الطوال. تحقيق عبد المنعم عامر؛ مراجعة جمال الدين الشَّيْال. القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦٠.
- ، النيات. حَقَّقَهُ وشرحه بفتح لفين. بيروت: دار القلم، ١٩٧٤.
- الذهب المنيوك.
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء. القاهرة: المطبعة الشرفية، ١٩٠٨. ٢ ج.
- رسائل إخوان الصفاء. بيروت: دار صادر، ١٩٥٧.
- رفاعي، أحمد فريد. عصر المأمون. القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٢٧. ٣ ج.
- الرفاعي، أنور. تاريخ العلوم في الإسلام. بيروت: دار الفكر، ١٩٨٣.
- روزنتال، فرانز، علم التاريخ عند المسلمين. ترجمة صالح أحمد علي؛ مراجعة محمد توفيق حسين. بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٦٣.
- الزوي، الطاهر أحمد، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة. القاهرة: مطبعة الاستقامة، ١٩٥٩. ٤ ج.
- الزجاج، أبو اسحاق إبراهيم بن السري. خلق الإنسان. تحقيق إبراهيم السامرائي. بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٣٨٢هـ.
- الزركلي، خير الدين. الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. ط ٢. القاهرة: مطبعة كونستا توماس، ١٩٥٤ - ١٩٥٥.
- ١٠ ج في ٥.
- الزخشري، أبو القاسم عمود بن عمر. تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل. بيروت: دار الكتاب العربي، [د.ت.]. ٤ ج.
- زيادة، نقولا. الجغرافية والرحلات عند العرب. بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٢.
- زيدان، جرجي. تاريخ التمدن الاسلامي. القاهرة: دار الهلال، ١٩٢٢. ٥ ج.
- سابق، السيد. فقه السنة. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٧١.
- السامرائي، كمال. مختصر تاريخ الطب العربي. بغداد: دار الحرية، ١٩٨٥.
- السبكي، تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب بن علي. طبقات الشافعية الكبرى. القاهرة: المطبعة الحسينية، ١٩٠٦. ٦ ج.
- سركيس، يوسف إيان. معجم المطبوعات العربية والعربية: وهو شامل لأسماء الكتب المطبوعة في الأقطار الشرقية والغربية مع ذكر أسماء مؤلفيها ولمعة من ترجمتهم وذلك من يوم ظهور الطباعة إلى نهاية السنة الهجرية ١٣٣٩ الموافقة لسنة ١٩١٩ الميلادية. القاهرة: مطبعة سركيس، ١٩٢٨.
- سزكين، فؤاد. محاضرات في تاريخ العلوم العربية الاسلامية. فرانكفورت: [د.ن.]. ١٩٨٤.
- سهراب. عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة. تحقيق هانس فون مزيك. فيينا: مطبعة أدولف هولزهوزن، ١٩٢٩.

- سويكة، أحمد. ري سامراء في عهد الخلافة العباسية. بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٤٩.
- السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله. أخبار النحويين البصريين ومراتبهم وأخذ بعضهم عن بعض صنعة أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي. تحقيق طه محمد الزيني ومحمد عبد النعم. القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٥٥.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. الإتقان في علوم القرآن. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. ط ٢. القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٥١.
- \_\_\_\_\_. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٦٤ - ١٩٦٥. ط ٢. ج.
- \_\_\_\_\_. تاريخ الخلفاء. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. ط ٢. القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٥٩.
- \_\_\_\_\_. المستطرف من أخبار الجسوارى. حققه صلاح الدين المنجد. بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٦٣. (رسائل ونصوص؛ ٢)
- الشاشي، أبو الحسن علي بن محمد. الديارات. تحقيق كوركيس عواد. ط ٢. بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٦٦.
- الشهرزوري، شمس الدين محمد بن محمد. نزهة الأرواح وروضة الأفراس رُتب في تواريخ الحكماء المتقدمين والمتأخرين. حيدر آباد الدكن: [د.ن.]. ١٩٧٦.
- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم. الملل والنحل. تحقيق محمد سيد كيلاني. القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٦٧. ط ٢. ج ١.
- \_\_\_\_\_. نهاية الأقدام في علم الكلام. صحّحه وحرّره الفرد جيوم. بغداد: مكتبة المثنى، [د.ت.].
- الشيزري، عبد الرحمن بن نصر. نهاية الرتبة في طلب الحسبة. تحرير السيد الباز العربي؛ إشراف محمد مصطفى زيادة. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٦.
- الصباي، أبو الحسين هلال بن المحسن. رسوم دار الخلافة. تحقيق ميخائيل عواد. بغداد: مطبعة العاني، ١٩٦٤.
- \_\_\_\_\_. الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء. تحقيق عبد الستار أحمد فراج. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، [د.ت.].
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك. نكت الهميان في نكت العميان. مصر: المطبعة الجاليلة، ١٩١١.
- الطائي، فاضل أحمد. أعلام العرب في الكيمياء. بغداد: دار الحرية، ١٩٨١.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٠ - ١٩٦٨. (ذخائر العرب؛ ٣٠)
- \_\_\_\_\_. تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. حققه وعلّق حواشيه محمود محمد شاكر؛ راجعه وخرّج أحاديثه أحمد محمد شاكر. ط ٢. القاهرة: مكتبة ومطبعة



- مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٥٤. ٢ ج.
- طوقان، قنري حافظ. تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك. القاهرة: مطبعة المقتطف، ١٩٤١.
- العباسي، الحسن بن عبد الله. آثار الأول في ترتيب الدول. مصر: مطبعة بولاق، ١٢٩٥هـ.
- عبد الرازق، مصطفى. فيلسوف العرب والمعلم الثاني. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٤٥.
- عبد القادر، علي حسن. نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي. ط ٢. القاهرة: مطبعة القاهرة الحديثة، ١٩٥٦.
- عبد الوهاب، حسن حسني. ورقات عن الحضارة العربية في إفريقيا الشمالية. تونس: مطبعة المنار، ١٩٦٤.
- العبيدي، صلاح حسين. الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي. بغداد: دار الرشيد، ١٩٨٠.
- العراق. مديرية الآثار القديمة العامة. حفريات سامراء، ١٩٣٦ - ١٩٣٩. بغداد: مطبعة الحكومة، [د.ت.].
- العشر مقالات في العين.
- علم الفلك عند العرب.
- عواد، كوركيس، خزائن الكتب القديمة في العراق. بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٤٨.
- العيون والحدائق في أخبار الحقائق. تحقيق نبيلة عبد المنعم داود. النجف: مطبعة النعمان، ١٩٧٢. ٤ ج.
- غب، هاملتون ألكسندر روسكن. دراسات في حضارة الإسلام. تحرير ستانفورد شو ووليم بولك؛ ترجمة إحسان عباس، محمد يوسف نجم ومحمود زايد. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٤.
- القارابي، أبو نصر محمد بن محمد. إحصاء العلوم. تحرير عثمان محمد أمين. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٣١.
- فرق الشيعة.
- الفسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان. المعرفة والتاريخ. تحقيق أكرم ضياء العمري. بغداد: رئاسة ديوان الأوقاف، ١٩٧٤. (إحياء التراث الإسلامي؛ ١٠)
- قدامة بن جعفر، أبو الفرج. الخراج وصناعة الكتابة. حققه محمد حسين الزبيدي. بغداد: دار الحرية، ١٩٨١.
- \_\_\_\_\_. نقد الشعر. تحقيق كمال مصطفى. القاهرة: مطبعة أنصار السنة المحمدية، ١٩٤٨.
- \_\_\_\_\_. نقد النثر. تحقيق طه حسين وعبد الحميد العبادي. ط ٤. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٠.
- القرطبي، عريب بن سعد الكاتب. صلة تاريخ الطبري. تحرير ميخائيل دوغويه. لندن: مطبعة بريل، ١٨٩٧.

- القنطري، أبو الحسن علي بن يوسف. انباه الرواة على انباه النحاة. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٥٠ - ١٩٧٣. ٤ ج.
- ..... تاريخ الحكماء: وهو مختصر الزوزني المسمى بالمتنوعات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء. تحرير يوليوس ليرت. ليزيك: ديترينج، ١٩٠٣.
- القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيد الأزدي. العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده. ط ٤. بيروت: دار الجليل، ١٩٧٢.
- الكاتب البغدادي، محمد بن الحسن. الطيخ. نشره داود الجليلي. الموصل: مطبعة أم الربيعين، ١٩٣٤.
- الكاظمي، ظهير الدين علي بن محمد. مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية. عني بتحقيقها كوركيس عواد وميخائيل عواد. بغداد: مطبعة الإرشاد، ١٩٦٢.
- الكتبي، صلاح الدين محمد بن شاكِر. فوات الوفيات. القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٢٩٩هـ.
- كحالة، عمر رضا. العلوم البحتة في العصور الإسلامية. دمشق: مطبعة الرقي، ١٩٧٢.
- ..... معجم قبائل العرب القديمة والحديثة. ط ٢. بنغازي: دار مكتبة الأندلس، ١٩٦٨.
- ج ٣.
- كراتشكوفسكي، أغناطيوس يوليانوفتش. تاريخ الأدب الجغرافي العربي. ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم؛ مراجعة إينور بلياييف. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٣ - ١٩٦٥. ٢ ج.
- كرم، يوسف. تاريخ الفلسفة اليونانية. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٦.
- الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف المصري. كتاب الولاة وكتاب القضاء. تهذيب وتصحيح رفقن كست. بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٠٨.
- الكندي، أبو يوسف يعقوب بن اسحق. رسائل الكندي الفلسفية. حققها وأخرجها محمد عبد الهادي أبو ريدة. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٥٠ - ١٩٥٣. ٢ ج.
- ..... كتاب الكندي إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى ضمن رسائل الكندي. حققه أحمد فؤاد الأهواني. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٤٨.
- كويل، ارنست. الفن الاسلامي. ترجمة أحمد موسى. بيروت: دار صادر، ١٩٦٦.
- لسترنج، غي. بلدان الخلافة الشرقية: يتناول صفة العراق والجزيرة وإيران وأقاليم آسيا الوسطى منذ الفتح الاسلامي حتى أيام تيمور. ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد. بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٤.
- لوبون، غوستاف. حضارة العرب. ترجمة محمد عادل زعيتر. ط ٢. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٤٨.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد. الأحكام السلطانية والولايات الدينية. عني بتصحيحه محمد بدر الدين النعساني. القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٠٩.
- ..... أدب القاضي. تحقيق محيي هلال السرحان. بغداد: مطبعة الإرشاد، ١٩٧١.

- متر، آدم. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام. ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريذة. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٠. ٢ ج. المخزومي، مهدي. مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو. بغداد: دار المعرفة، ١٩٥٥.
- مرزوق، محمد عبد العزيز. العراق مهد الفن الاسلامي. بغداد: وزارة الإعلام، ١٩٧١.
- المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد. شرح ديوان الحماسة. نشره أحمد أمين وعبد السلام محمد هارون. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥١ - ١٩٥٣.
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين. التنبيه والإشراف. عني بتحقيقه ومراجعته عبد الله اسماعيل الصاوي. القاهرة: مكتبة الشرق الإسلامية، ١٩٣٨.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. ط ٥. [م. د. : د. ن.]، ١٩٦٧.
- مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد. تجارب الأمم. نسخه وصححه ه. ف. أمدرود. مصر: مطبعة شركة التمدن الصناعية، ١٩١٤.
- مظهر، اسماعيل. تاريخ الفكر العربي. القاهرة: دار العصور، ١٩٢٨.
- معجم المؤلفين.
- معروف، ناجي. أصالة الحضارة العربية. ط ٢. بغداد: مطبعة التضامن، ١٩٦٩.
- المراصد الفلكية ببغداد في العصر العباسي. بغداد: دار الجمهورية، ١٩٦٧.
- المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. ليدن: مطبعة بريل، ١٩٠٦.
- مقدمة في الشعر.
- المقرئزي، أبو العباس أحمد بن علي. الخطط المقرئزية المساة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار يختص ذلك بأخبار إقليم مصر والنيل وذكر القاهرة وما يتعلق بها وبإقليمها.
- مصر: مطبعة بولاق، ١٨٥٤. ٢ ج.
- مكارثي، رتشارد يوسف. التصانيف المنسوبة إلى فيلسوف العرب. بغداد: مطبعة العاني، ١٩٦٢.
- منتصر، عبد الحليم. تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه. ط ٦. القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٥.
- المنجد في اللغة والأعلام. ط ٢٨. بيروت: دار المشرق، ١٩٨٦.
- ناليو، كارلو ألفونسو. علم الفلك: تاريخه عند العرب في القرون الوسطى. روما: مطبعة روما، ١٩١١.
- التويري، أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب. نهاية الأرب في فنون الأدب. القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، [د. ت.].
- هرنشو، فوسي جان كوب. علم التاريخ. ترجمه وعلّق حواشيه وأضاف إليه فصلاً في التاريخ عند العرب عبد الحميد العبادي. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٧.

- هـل، جوزيف. الحضارة العربية. ترجمة ابراهيم أحمد العدوي؛ مراجعة حسين مؤنس. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٦. (الألف كتاب؛ ٨٨)
- المزداني، أحمد بن محمد بن الفقيه. مختصر كتاب البلدان. لندن: مطبعة بريل، ١٨٨٥. (المكتبة الجغرافية العربية؛ ٥)
- وايتهيد، ألفرد نورث. مقدمة للرياضيات. ترجمة عي الدين يوسف. بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٢.
- الوشاء، أبو الطيب محمد بن أحمد. الموشى أو الظرف والظرفاء. حققه كمال مصطفى. ط ٢. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٥٣.
- وكيع، أبو بكر محمد بن خلف. أخبار القضاة. صححه وعلّق عليه عبد العزيز مصطفى المراغي. القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٤٧. ج ٣.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله. إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأديباء أو طبقات الأديباء. تحقيق د. ص. مرجليوث. ط ٢. القاهرة: مطبعة هندية، ١٩٢٣ - ١٩٢٦. ج ٩.
- معجم البلدان. بيروت: دار صادر، ١٩٧٥. ج ٥.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. البلدان. لندن: مطبعة بريل، ١٨٩٢.
- تاريخ اليعقوبي. بيروت: دار صادر، ١٩٦٠. ج ٢.
- مشكلة الناس لزمانهم. تحقيق وليم ملورد. بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٦٢.

#### دوريات

- الكندي، أبو يوسف يعقوب بن اسحق. «رسالة في السيوف وأجناسها». مجلة كلية الآداب (جامعة فؤاد الأول): مج ١٤، ج ٢، كانون الأول/ ديسمبر ١٩٥٧.

# فهرس

٧٥، ٧٦، ١٨٩، ٢١٤، ٢٢٠، ٢٤٣،

٣٢٨، ٣٠٩

ابن أبي دؤاد، الوليد بن أحمد: ٤٦

ابن أبي الساج، يوسف (الوالي): ١٢٨

ابن أبي سرح، عبد الله (الوالي): ٣٢

ابن أبي سلمى، زهير: ٣٣٨

ابن أبي شعبة، سوار: ٣٥٤

ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن

ابراهيم الكوفي: ١٩٦، ١٩٧

ابن أبي شيبة، عثمان بن محمد: ١٩٧

ابن أبي شيبة، محمد بن عثمان: ١٧٥، ٣٧٨

ابن أبي صفرة، يزيد بن لهب: ٢٧

ابن أبي عاصم، عتبة: ٣٥٤

ابن أبي عباد، محمد بن يحيى: ٢٩٧، ٣٢٢

ابن أبي العباس، محمد: ٢١٤

ابن أبي منصور، يحيى (المتنجم): ٤٦٢، ٤٦٤،

٤٧٤

ابن أبي النجود، عاصم: ١٦٥

ابن أبي وقاص، سعد (القائد): ٢٣

ابن أبيه، زياد (الوالي): ٢٤، ٣١٥

ابن بكار، الزبير: ٣٧١، ٣٧٤

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي: ٢٢، ٢٥٠،

٣١٢، ٢٥١

ابن أحمد، أبو الحسن محمد: ٥٤٣

ابن أحمد، أبو العباس جعفر: ٣٩٨

(أ)

اسيا الصغرى: ١٣٣، ٣٩٩

الايخ، الحسن بن ابراهيم: ٤٧٢

ابراهيم الثاني (الأمير): ٢١٩، ٢٢٢، ٣٠٠،

٥٤٠

أبروقلوس: ٤٩٥

ابسقراط: ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٦ - ٢٧٨، ٢٨٢،

٢٨٦، ٢٨٨، ٣٨١، ٤٩٤، ٥١٩، ٥٢٠،

٥٣٧، ٥٣٥

ابن أبان، عيسى (القاضي): ٢٢٠

ابن ابراهيم، اساعيل: ٣٨٢

ابن ابراهيم، عبد الله (الأمير): ٢٢٢، ٢٢٦

ابن ابراهيم، عيسى بن يحيى: ٢٧١، ٢٨٥،

٢٨٦

ابن أبي أصيمة، أبو العباس أحمد بن القاسم:

٢٣٩، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٤ - ٢٧٩،

٢٨١، ٢٩٠، ٣٩١، ٤١٢، ٤١٨، ٤١٩،

٤٥٦، ٤٧٧، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٤، ٥٠٥،

٥٠٩، ٥١١، ٥١٣ - ٥١٥، ٥٢٨، ٥٢٩،

٥٣٣، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٢، ٥٤٣

ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن، ١٧٩

ابن أبي حنيفة، اساعيل بن حاد: ٢١٢

ابن أبي خالد، أحمد (الوزير): ٣٣١

ابن أبي دؤاد، أحمد (الوزير): ٤٦، ٦٤، ٦٥،

ابن الثلجي، محمد بن شعاع: ٢١٨، ٢١٩  
 ابن ثوابة، أبو الحسن محمد بن جعفر: ٣٣٤  
 ابن ثوابة، أبو عبد الله محمد بن أحمد: ٣٣٤  
 ابن جبرائيل، بختيشوع (الطبيب): ٤٦، ٤٩، ٥٩، ٦٠، ٧٣، ٧٥، ٩٨، ٢٧٥، ٥٢١، ٥٢٤، ٥٢٩، ٥٣٤، ٥٣٦  
 ابن حيراثيل، جورجيس: ٢٨٨  
 ابن جبير، سعيد: ١٥٨  
 ابن الجراح، داود: ٣٣٤  
 ابن الجراح، علي بن عيسى (الوزير): ٣٣٤  
 ابن الجراح، محمد بن داود: ٣٣٤  
 ابن الجراح، وكيع: ٢١١  
 ابن جعفر، قدامة: ٧، ١٤، ١٦، ١٨ - ٢٠، ٢٣، ٣٤، ٤٤، ٤٤٨، ١٤٩، ٣٢٦، ٣٣٦، ٣٤٠، ٣٤٤، ٣٥١، ٣٥٦، ٣٩٣  
 ابن الجهم، علي (الشاعر): ٩٢، ٣٣٥  
 ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي: ١٢٨، ٢٠٦، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٩٩  
 ابن حاتم، الفضل: ٤٦٨، ٤٨٣  
 ابن الحارث، محمد (المغني): ٦٠  
 ابن حبيب، أسو جعفر محمد: ٣١٣، ٣١٤، ٣٩٤، ٤٢٩  
 ابن الحجاج، أبو بكر أحمد بن محمد: ٢٢٢  
 ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي: ١٨٤  
 ابن حرب، جعفر: ٢٤٦  
 ابن الحسن، إبراهيم بن عبد الله: ٤٢٩  
 ابن الحسن، العباس (الوزير): ٩٤  
 ابن الحسين، الشريف المرتضى علي: ٢٤٧  
 ابن حماد، نعيم: ٢١٧  
 ابن حمدون، عبد الله بن أحمد: ٦٥، ١٠٠، ١٠١، ١٠٦  
 ابن حنبل، أحمد (الإمام): ٥٠، ١٦١، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٥، ١٧٩ - ١٨١، ١٨٦، ١٨٨ - ١٩٠، ١٩٤، ١٩٦، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١١، ٢١٦، ٢١٨، ٢٢٢ - ٢٢٧، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٦٢، ٢٩٥، ٢٩٦  
 ابن حنبل، عبد الله بن أحمد: ١٩٠، ٢٠٤

ابن أحمد، منصور بن اسحاق (الحاكم): ٥٣٩  
 ابن الأحنف، العباس: ٣٣١  
 ابن الأخشيد، أبو بكر: ٢٤٣، ٢٤٤  
 ابن ادريس، محمد (الإمام): ٢٢٥  
 ابن اسحق، حسين: ٢٧١  
 ابن اسحاق، علي: ٥٤٠  
 ابن اسحاق، عنبسة (الوالي): ٣١  
 ابن إسرائيل، أحمد (الوزير): ٧٨  
 ابن أسكور، قسطنطوس: ٢٨٤، ٤٢٧  
 ابن إسمايل، أبو علي أحمد: ٥٣٩  
 ابن أسيد، عتاب: ٢١٣  
 ابن الأثرس، ثيابة: ٢٤٣  
 ابن الأعرابي، محمد بن زياد: ٢٩٤، ٢٩٦، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٩٤، ٤٢٨  
 ابن الأعمش، حبش: ٢٧١، ٢٧٧، ٢٧٨  
 ٢٨٠ - ٢٨٢، ٥٣٣  
 ابن الأغلب، إبراهيم: ٣٣  
 ابن الأفشين، الحسن: ٩٣  
 ابن أكم، يحيى: ٦٤  
 ابن أمية، أبو جعفر محمد بن حبيب: ٣٣٨  
 ابن أنس، مالك (الإمام): ١٧٣، ١٨٠، ١٨٨، ٢٠٣، ٢٠٦ - ٢٠٨، ٢١٩، ٢٢٣  
 ابن البازيار، محمد بن عبد الله بن عمر: ٤٧٢، ٤٨٤، ٤٨٨  
 ابن بانه، عمرو (المغني): ٥٦  
 ابن البخاري، علي: ٤٦٥  
 ابن بختيشوع، يوحنا: ٥٢٢  
 ابن سبيل، اصطفى: ٢٨١ - ٢٨٣، ٤٢٦  
 ابن البطريق، يحيى: ٢٦٩، ٢٧٠، ٤٢٦، ٤٩٦  
 ابن بطلان، أبو الحسن المختار بن حسن بن عبدون (الطبيب): ٥٤ - ٥٦  
 ابن البعيث، محمد: ٢٦  
 ابن بكور، محمد بن حماد: ١٦٩، ١٧٠  
 ابن بلبل، إسمايل (الوزير): ٣٢٠، ٣٢١، ٥١٤  
 ابن بنان، سلمويه: ٥٣٢، ٥٣٣  
 ابن بنت منيع، أبو القاسم البغوي عبد الله بن محمد: ٢٠٢  
 ابن البهلول، أبو يعقوب اسحاق: ١٩٧، ١٩٨  
 ابن ثابت، محمد: ٤٢٩، ٤٣٠

٣٣٦، ٣٤٩، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٨، ٣٦١،  
٣٦٥، ٣٦٤  
ابن الزبير، الرشيد: ٤٧  
ابن زرقعة، أبو علي عيسى: ٤٢٦  
ابن سامان، اسماعيل بن أحمد: ٧٨  
ابن السراج، أبو بكر محمد بن البري بن سهل:  
٣٧٣  
ابن سريج، أبو العباس أحمد بن عمر: ٢٢٥،  
٢٣٤، ٢٢٦  
ابن سعدان، أبو جعفر محمد (التحوي): ١٦٨،  
١٧٧  
ابن سعيد، سلمة (الكاتب): ٤٥  
ابن السكيت، يعقوب بن اسحاق: ٣٠٦، ٣٠٨،  
٣١٠، ٣١٣، ٣١٩، ٤٢٨  
ابن سلام، القاسم: ٢٣٥، ٢٣٦، ٣٧٧، ٣٧٨،  
٤٣٠  
ابن سلمة، أبو الوفاء: ٢٩٨  
ابن سلمة، الفضل أبو طالب: ١٧٤، ٣١٩،  
٣٢٠، ٣٢٩  
ابن سلمة، نجاح: ٤٦  
ابن سليمان، اسحاق: ٥٤٠  
ابن سليمان، الربيع: ٢١٧  
ابن سليمان، عبيد الله (الوزير): ٣٢٢  
ابن سليمان، القاسم بن عبيد الله (الوزير):  
٢٩٩، ٣٢٢، ٣٢٨  
ابن شاذان، الفضل أبو محمد الأزدي: ٢٣٨  
ابن شاذان، موسى: ٤٢٠  
ابن شداد، أبو خيشمة زهير بن حرب: ٢٠٠  
ابن شعبة، المغيرة (الوالي): ٢٤، ٢٦  
ابن شنبودة، محمد بن أحمد بن أيوب البغدادي:  
١٧١  
ابن صاعد، يحيى بن محمد: ٢١٦، ٢٢٤  
ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن: ١٨٤  
ابن الصلت، ابراهيم: ٢٦٩، ٤٦١  
ابن الصلت، يعقوب بن شيبه: ١٧٧  
ابن الضحاك، الحسين (الشاعر): ١٠٠، ٣٤٨،  
٣٤٩، ٣٦٠، ٣٦٥  
ابن طاهر، عبد الله (الوالي): ٢٩٨  
ابن طولون، أحمد (الأمير): ١٧، ٢٣، ٤٨،  
٢٢٠، ٣٣٣، ٥٢٩

ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي الموصلي:  
٥٣، ١٢٣، ١٣١، ٣٩٨، ٤٠٠  
ابن حيان، جابر: ٤٠٨، ٤١٣  
ابن خازم، خزيمة (القائد): ٢٦  
ابن خاقان، ابن مزاحم موسى بن عبيد الله: ١٧٣  
ابن خاقان، عبيد الله بن يحيى (الوزير): ٣١٢،  
٣١٥  
ابن خاقان، الفتح: ٩٤، ٩٧، ٢٩٢، ٣٢٨،  
٣٢٩، ٥٢٩  
ابن خالد، أبو الوزير أحمد: ٤٦  
ابن خردادبه، عبيد الله بن محمد: ١٩، ١٣٤،  
١٣٦، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٤، ١٥٠،  
٣٩٨ - ٤٠٠، ٤٢٠  
ابن خزيمة، أبو بكر: ٢١٧  
ابن الخطاب، معاوية: ٥٠  
اس الحطيم، قيس: ٣٣٨  
ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد: ٢٢،  
٣٦، ٣٧، ١١٧، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩،  
١٦٤، ١٨٤، ١٨٩، ٢٠٥، ٢٣٧، ٢٤٤،  
٢٧٢، ٣١٥، ٣١٧، ٣٢٥، ٣٧٦، ٤٠٧،  
٤٠٨، ٤٣٩، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٥٨، ٤٥٧  
ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن  
محمد: ٤٥، ١٦٢، ١٧١، ١٨٦، ١٩٩،  
٢١٥، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢٨، ٢٣٢،  
٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٩،  
٢٥١، ٢٦٣، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٩، ٣١٢،  
٣١٩، ٣٢٨، ٤٢٥، ٤٦٥، ٤٨٠  
ابن خمارويه، جيش (الأمير): ٩٨  
ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن: ١٧٧،  
٢٩٨، ٢٩٩، ٣١٩، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٩٤  
ابن دعامه، فتاة: ٢٤٢  
ابن دكين، أبو نعيم الفضل: ٢٢٤  
ابن دبر، علي: ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٥، ٥٤١  
ابن الربيع، الفضل (الوزير): ٤٩، ١٠٠  
ابن رسته، أحمد بن عمر: ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩٣،  
٤٠٠  
ابن رشيق، أبو العباس أحمد: ٣٣٦، ٣٥١، ٣٦٢  
ابن الرواد، الوجناء: ٢٦  
ابن الرومي، علي بن العباس بن جريج: ٣٢٠،

ابن طولون، خارويه بن أحمد: ٤٨، ٣٣٤  
 ابن الطيب، أبو العباس أحمد (المستشار): ٤٦،  
 ٢٩٨، ٣٩١، ٣٩٣، ٤٥٧، ٤٨٥ - ٤٨٧،  
 ٤٩٩، ٥١٥  
 ابن ظافر، عبد الله: ٥٣٤  
 ابن العاص، علي: ٥٠  
 ابن العاص، عمرو: ٣١  
 ابن العباس، إبراهيم (الشاعر الكاتب): ٦٥،  
 ٦٦، ٧٢، ٩٤  
 ابن عباس، عبد الله: ١٦٣، ١٧٦  
 ابن عبد الأعلى، يونس: ٢٢٢  
 ابن عبد الحكيم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله:  
 ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٢  
 ابن عبد الله، أحمد (حشيش الحاسب): ٤٧٥  
 ابن عبد الله، شريك: ١٩٦  
 ابن عبد الله، طاهر (الأمير): ٥٦  
 ابن عبد الله، محمد (الأمير): ٤٤، ١٩٨، ٣١٢،  
 ٣٢١  
 ابن عبد الملك، إبراهيم بن محمد بن موسى: ٢٧٢  
 ابن عبد الملك، خالد: ٤٦٢، ٤٦٤، ٤٧٤  
 ابن عبد الملك، محمد بن موسى: ٢٧١، ٢٧٢،  
 ٢٧٨  
 ابن عبدون، أبو العباس محمد: ٢١٩  
 ابن عبيدة، عمرو: ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٧  
 ابن عبيدة الله، القاسم: ٢٩٧، ٥١٥، ٥١٦  
 ابن عدي، عثمان بن سعيد: ١٦٨  
 ابن عدي، الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن:  
 ١٧٧، ٣٧١، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٣، ٣٨٥  
 ابن عدي، يحيى: ٤٩٦  
 ابن عرفة، إبراهيم بن محمد: ٢٢٣، ٣١٧، ٣٢٤  
 ابن عساكر، علي بن الحسن: ١٨٧  
 ابن عطاء، واصل: ٢٤١ - ٢٤٣، ٢٤٦، ٢٤٧  
 ابن علي، سند (المهندس): ٢٩٥، ٤٥٢، ٤٦٤،  
 ٤٦٥، ٤٦٨، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٩٩  
 ابن علي، العباس بن محمد: ٣٠٨  
 ابن علي، عبد الله: ٣٣١  
 ابن عليّة، اسماعيل بن إبراهيم: ١٨٨، ١٩٥،  
 ٢١١، ٢٣٠  
 ابن عمران، اسحاق: ٥٤٠  
 ابن عنبسة، عُمَيْيْف: ١٨، ٤٥

ابن عيسى، أبو الحسن علي (الوزير): ٢٨٥  
 ابن عيسى، حمزة بن سليم: ١٦٨  
 ابن عيسى، علي: ٤٦٥  
 ابن عيسى، محمد بن داود (الوالي): ٣٤  
 ابن عيينة، سفيان: ١٨٨، ١٩٥، ١٩٦، ٢١١،  
 ٢١٣، ٢٣٠، ٣١٨، ٣٧٤  
 ابن غزوان، عتبة (القائد): ٢٤  
 ابن غنم، عياض (القائد): ٣٠  
 ابن الفرات، أبو الحسن علي بن محمد (الوزير):  
 ٦٩، ٧٣، ٣٣٤، ٤٨٣  
 ابن الفرخان، أبو حفص عمر: ٢٦٨  
 ابن فرناس، عباس (الفلكي): ٤٦٣  
 ابن القاسم، محمد (الوالي): ٢٩، ١١٦  
 ابن قتيبة، بكار (القاضي): ٣١٠  
 ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم: ٤٩، ١٧٢،  
 ١٧٤، ١٧٧، ١٨٠، ٢٣٠، ٢٣٣، ٢٣٤،  
 ٢٨٧، ٣٠٦، ٣١٦، ٣٣٥، ٣٧١، ٣٧٢،  
 ٣٧٥، ٣٩٤، ٣٩٥، ٤٢٨، ٤٣٠، ٤٣٥،  
 ٤٣٦  
 ابن قسرة، ثابت الحرالي: ٢٤٠، ٢٧١، ٢٧٩،  
 ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩٢،  
 ٢٩٨، ٣٨٩، ٣٩١، ٣٩٣، ٣٩٤، ٤١٧،  
 ٤١٩، ٤٢٠ - ٤٢٢، ٤٢٥، ٤٤٦، ٤٤٨،  
 ٤٤٩، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٦٢، ٤٦٦ - ٤٦٨،  
 ٤٧٤، ٤٧٨، ٥١٣، ٥١٤، ٥٢٢ - ٥٢٧،  
 ٥٣٧، ٥٣٨  
 ابن القيّار، أبو العباس أحمد: ٢٢٦  
 ابن كثير، عبد الله: ١٩١  
 ابن كثير، وهب بن وهب: ٣٨٢  
 ابن كرتيب، الحسين بن اسحاق بن إبراهيم:  
 ٢٣٨، ٢٤٠  
 ابن كعب، أبو: ٢٣٨  
 ابن كعب، قشير: ١٨٦  
 ابن كيسان، محمد بن أحمد: ٣٠٦  
 ابن الليث، عمرو (الوالي): ٧٥  
 ابن ماجّة، محمد بن يزيد الغزويني: ١٦٩، ١٧٩،  
 ١٩١، ١٩٦، ٣٧٤  
 ابن ماسويه، يوحنا (الطبيب): ٦٣، ٩٨، ٢٦٨،  
 ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٨٦، ٢٨٩، ٢٩٠، ٥٢١ -  
 ٥٢٥، ٥٢٧، ٥٢٩، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٤٠

ابن طولون، خارويه بن أحمد: ٤٨، ٣٣٤  
 ابن الطيب، أبو العباس أحمد (المستشار): ٤٦،  
 ٢٩٨، ٣٩١، ٣٩٣، ٤٥٧، ٤٨٥ - ٤٨٧،  
 ٤٩٩، ٥١٥  
 ابن ظافر، عبد الله: ٥٣٤  
 ابن العاص، علي: ٥٠  
 ابن العاص، عمرو: ٣١  
 ابن العباس، إبراهيم (الشاعر الكاتب): ٦٥،  
 ٦٦، ٧٢، ٩٤  
 ابن عباس، عبد الله: ١٦٣، ١٧٦  
 ابن عبد الأعلى، يونس: ٢٢٢  
 ابن عبد الحكيم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله:  
 ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٢  
 ابن عبد الله، أحمد (حشيش الحاسب): ٤٧٥  
 ابن عبد الله، شريك: ١٩٦  
 ابن عبد الله، طاهر (الأمير): ٥٦  
 ابن عبد الله، محمد (الأمير): ٤٤، ١٩٨، ٣١٢،  
 ٣٢١  
 ابن عبد الملك، إبراهيم بن محمد بن موسى: ٢٧٢  
 ابن عبد الملك، خالد: ٤٦٢، ٤٦٤، ٤٧٤  
 ابن عبد الملك، محمد بن موسى: ٢٧١، ٢٧٢،  
 ٢٧٨  
 ابن عبدون، أبو العباس محمد: ٢١٩  
 ابن عبيدة، عمرو: ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٧  
 ابن عبيدة الله، القاسم: ٢٩٧، ٥١٥، ٥١٦  
 ابن عدي، عثمان بن سعيد: ١٦٨  
 ابن عدي، الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن:  
 ١٧٧، ٣٧١، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٣، ٣٨٥  
 ابن عدي، يحيى: ٤٩٦  
 ابن عرفة، إبراهيم بن محمد: ٢٢٣، ٣١٧، ٣٢٤  
 ابن عساكر، علي بن الحسن: ١٨٧  
 ابن عطاء، واصل: ٢٤١ - ٢٤٣، ٢٤٦، ٢٤٧  
 ابن علي، سند (المهندس): ٢٩٥، ٤٥٢، ٤٦٤،  
 ٤٦٥، ٤٦٨، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٩٩  
 ابن علي، العباس بن محمد: ٣٠٨  
 ابن علي، عبد الله: ٣٣١  
 ابن عليّة، اسماعيل بن إبراهيم: ١٨٨، ١٩٥،  
 ٢١١، ٢٣٠  
 ابن عمران، اسحاق: ٥٤٠  
 ابن عنبسة، عُمَيْيْف: ١٨، ٤٥



- ابن المبارك، عبد الله: ١٩٥، ١٩٦، ٢١٣  
 ابن المثنى، أبو عبيدة معمر: ٣١٨، ٣٧٨  
 ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى: ١٧٠، ١٧١  
 ابن محمد، أبو محمد الحسن: ٥٤٣  
 ابن محمد، أبو مشر جعفر: ٣٨٣  
 ابن محمد، عطارد: ٤٦٣، ٤٨٤  
 ابن محمد، مروان (الوالي): ٢٦  
 ابن مخلد، الحسن (الكاتب): ٧٣  
 ابن مخلد، صاعد (الوزير): ٤٥، ٤٦، ٥٢٩  
 ابن مخلد، عبدون: ٤٥  
 ابن المدبّر، ابراهيم بن محمد بن عبيد الله  
 (الكاتب): ١٠١، ٣٣٣، ٥٤٣  
 ابن المدبّر، أحمد بن محمد: ٢٧٢  
 ابن المسيبي، علي بن عبد الله: ١٧٨، ١٩٥، ١٩٦  
 ابن مروان، سعيد بن عبد الملك: ٣٠  
 ابن مروان، الفضل (الوزير): ٤٥  
 ابن مسعدة، الأخفش بن الحسن بن سعيد: ٣١٩  
 ابن مسعود، عبد الله: ٢٣٨  
 ابن مسعود، جاشم: ٢٥  
 ابن مسلم، عفان: ٢١٦، ٢٢٤  
 ابن المسيب، سعيد: ١٠٠  
 ابن مسطر، الحجاج بن يوسف: ٢٦٨، ٢٧٠، ٤٤٦، ٤٥٠  
 ابن المعتض بالله، حمارويه: ٤٧  
 ابن المعدّل، أحمد: ٢٢٣  
 ابن مغلّة، القاسم: ٣٠٨  
 ابن معين، يحيى: ١٩٤، ٢٩٩  
 ابن مقبل، تميم: ٣٣٨  
 ابن المقفع، عبد الله: ٢٧٣  
 ابن مقلة، محمد بن علي (الوزير): ١٧١  
 ابن المهدي، ابراهيم: ٥٥، ٦٦، ١٠٠  
 ابن موسى، عمران: ٦٥  
 ابن موسى، الهيثم: ١٩٧  
 ابن نافع، عقة: ٣٢  
 ابن النيسابور، أحمد بن عمرو بن أبي عاصم  
 الفضّال: ٢٠١  
 ابن النديم، أبو الفرج محمد بن اسحق: ١٠١، ١٦٢، ١٧١، ١٧٣، ١٨٥، ١٨٧، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٩، ٢١٢، ٢١٥، ٢١٩  
 ٢٢٥، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥٠٦، ١٥٠٧، ١٥٠٨، ١٥٠٩، ١٥١٠، ١٥١١، ١٥١٢، ١٥١٣، ١٥١٤، ١٥١٥، ١٥١٦، ١٥١٧، ١٥١٨، ١٥١٩، ١٥٢٠، ١٥٢١، ١٥٢٢، ١٥٢٣، ١٥٢٤، ١٥٢٥، ١٥٢٦، ١٥٢٧، ١٥٢٨، ١٥٢٩، ١٥٣٠، ١٥٣١، ١٥٣٢، ١٥٣٣، ١٥٣٤،

- ابن يونس، أبو بشر متى: ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٨٤، ٢٨٥، ٥٥٥
- ابن يونس، المصري: ٤٦٥
- أبناء موسى بن شاكر: ٢٧١، ٢٧٥، ٢٨١، ٢٩٣، ٢٩٥، ٤٢٢، ٤٢٥، ٤٥٢ - ٤٥٤، ٤٦٢، ٤٧٩، ٤٩٨، ٥١٤
- أبو أحمد بن الخليفة المكتفي بالله: ٧٤
- أبو بكر الصديق (الخليفة): ١٨٠، ١٨٩
- أبو جعفر المنصور (الخليفة): ١٣، ١٨، ٢١، ٢٣، ١٠٥، ١٠٧، ١٩٧، ٢٤٣، ٢٦٧ - ٢٦٩، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٨٠، ٤٣٩، ٤٥٠، ٤٨٤، ٤٩٨، ٥٢٠، ٥٣٦
- أبو الجيش خازويه (الأمير): ٧٨
- أبو الحسن، أحمد بن يحيى: ٢٣٥
- أبو الحسن، عمر بن محمد (القاضي): ١٧١
- أبو حنيفة، النعمان بن ثابت (الإمام): ١٤٥، ١٩٧، ٢٠٧، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢٩، ٢٥٩
- أبوريدة، محمد عبد الهادي: ٥٠٤
- أبو زرعة، عبيد الله بن عبد الكريم: ١٨٦، ١٩١، ٢١١
- أبو السمع، مروان الأصغر (الشاعر): ٧٥، ٩٢
- أبو العباس، الحسن بن سفيان بن عامر الشيباني: ٢٠١
- أبو العباس السقاح (الخليفة): ٢٢
- أبو العباس، شريح (القاضي): ١٠٠
- أبو العتاهية، أبو اسحق إسماعيل بن القاسم: ٦٩
- أبولؤلؤ: ٢٥
- أبو المحاسن، جمال الدين ابن تغري بردي: ٩٨، ٣٧٢
- أبو غنم، لوط بن يحيى: ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٤
- أبونواس، الحسن بن هاني: ٣٦٠
- أثرجة بنت القائد أشناس: ٩٣
- الأثرم، أبو بكر أحمد بن محمد بن هانء الطائي: ٢١٦
- أحمد بن الخليفة المكتفي بالله: ٩٤
- الأخطل، غيث التغلبي: ٣٣٨
- الأخفش، أبو الحسن علي بن سليمان: ٣٢٠
- الأخفش الأوسط، أبو الحسن سعيد بن مسعدة: ٣٠٧
- الأخميمي، عثمان بن سويد: ٤١٤
- أخوان الصفاء وخلان الوفاء: ٤٧٣
- أرخيدس: ٤٢١، ٤٥٢
- الأردن: ٣١، ١٣٨، ٤٠٢
- أرسطوطاليس: ٢٣٨، ٢٥١، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٨١، ٢٨٧، ٢٨٨، ٣٧١، ٣٩٦، ٤١٧، ٤٢٦، ٤٣٤، ٤٩٣، ٤٩٥، ٤٩٦، ٥٠٢، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٩، ٥١٣، ٥١٦
- منطق أرسطوطاليس: ٨
- الأزدي، أبو داود سليمان بن الأشعث بن بشير: ١٧٥ - ١٧٧، ١٨٩، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٣، ٢٩٩، ٢٣٠، ٢٢٤، ٢٠٤
- الأزدي، أبو المظهر أحمد: ٦٢، ٦٨
- الأزدي، اسماعيل بن اسحاق (القاضي): ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥
- الأزدي، الفضل بن شاذان بن الخليل: ٢١٥
- الأزدي، محمد بن الراود: ٢٦
- الأزدي المالكي، اسماعيل بن اسحاق: ٢٩٦
- الأزهري، أبو منصور: ٣٢٤
- اسبانيا: ١٢٠
- الاسكافي، محمد بن عبد الله: ٢٤٦، ٢٤٧
- الاسكندر، المكدوني: ٢٨، ٣١
- الاسكندراني، ثاود: ٤٧٥
- الاسكندري، أمونوس: ٢٨١، ٢٩٥
- الاسكندري، هيرن: ٤٢٠، ٤٢٥
- الاسكندرية: ٢٨، ٣١، ١٣٠، ١٣٨، ٢٧٥، ٤٢٠، ٤٤٦
- الاسلام: ٨، ٥١، ٥٢، ٨٨، ٩٢، ٩٣، ١٠٧، ١٣٣، ١٣٥، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٧، ١٥١، ١٥٨، ٢٠٤، ٢٥٣، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٨٦، ٤٦٨، ٤٩٧، ٥٠٦
- الأشعري، أبو موسى (الصحابي): ٢٦٠
- الأشعري، علي بن اسماعيل بن أبي بشر: ٢٤، ٢٤٥، ٢٥٧، ٢٥٩ - ٢٦٣
- أشناس (القائد): ٧٨، ٣٣٢
- اصبهان (مدينة): ٢٤، ١١٢، ١٢٣، ١٢٥، ١٣٧، ١٣٨، ٢٠١
- الاصبهازي، أبو الفرج: ٦٩، ٨٦، ٣٧٢
- الاصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الكرخي: ١٢٧، ١٣١
- اصفهان انظر اصفهان

أهل النمة: ٩٢، ١٤٣، ١٤٦، ٢٣٧، ٣٣١  
أوروبا: ١٢٠، ١٣٢، ٤٤٢، ٥٣٥  
أليزي (المشرق): ٢٧٥، ٢٧٩، ٢٨٣، ٥٣٨  
إيتاخ (القائد): ٣٣٢  
إيطاليا: ١٢٠  
الأيوبي، صلاح الدين (القائد): ٣١

## (ب)

بادية الجزيرة: ٣٠  
بادية الشام: ٣٠  
بادية العراق: ٣٠  
بارتولد (المشرق): ٢٧٥  
البارقي، هرثمة بن عرفة (الوالي): ٣٠  
البازيار، محمد بن عبد الله: ٩٧  
الباشا، أحمد زكي: ٣٢٩  
البياهلي، أبو نصر أحمد بن حاتم: ٣٠٩، ٣١٠، ٤٢٨  
البياتي، محمد بن جابر بن سنان الحراني الصابي: ٤٩، ٢٩٧، ٣٩١، ٣٩٣، ٤٥٣، ٤٥٥، ٤٥٨، ٤٦٠، ٤٦٢، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٧٦، ٤٧٩ - ٤٨٢  
البحثري، الوليد بن عبيد بن يحيى الططائي (الشاعر): ٥٠، ٩٩، ٣٣٥، ٣٤٤ - ٣٤٦، ٣٥٣ - ٣٥٧، ٣٥٩، ٣٦٣، ٤٨٧  
بحر الروم: ٧، ١٣٤  
البحر العربي: ٣٠، ١٣٤، ١٤٠  
البحر المتوسط: ٣١، ١٣٢  
البحر الميت: ١١٣  
البحرين: ٣٠  
بحيرة طبريا: ٣١  
بخساري: ٤٤، ١١٥، ١٢٣، ١٣٠، ١٣١، ١٣٧، ١٨٢، ١٨٥  
البخاري، أبو جعفر عبد الله بن محمد: ١٩٩  
البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسحاق: ١٦٠، ١٦٩، ١٧٩، ١٨٢ - ١٨٧، ١٨٩ - ١٩٢، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢١١، ٢٣٠ - ٢٣٢  
برغشتال، هامر: ٤١١  
الجزائر، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق: ٢١، ٣٧٨

الأصمعي، عبد الملك بن قريب: ١٥٨، ٣٠٧ - ٣١٠، ٣١٦، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٤، ٣٧٩، ٣٩٤  
أطرابلس (مدينة): ١١٦، ١٣٨، ٤٠٢  
الأغلي، إبراهيم بن أحمد: ٥٦، ٣٣٥  
الأفرنج: ٣١  
الأفروديسي، الاسكندر: ٢٨١، ٤٩٥، ٤٩٧  
الأفريقي، قسطنطين: ٥٣٥  
أفغانستان: ١٤٠  
الأفسي، روفس: ٥٢١  
أفلاطون: ٢٥١، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٨٨، ٣٨١، ٤٤٥، ٤٩٥، ٤٩٦، ٥٠٦، ٥٠٩  
أفلوطين: ٤٩٥  
الأقطار العربية: ٣٨٠  
أقليدس: ٢٦٨، ٣٨١، ٤١٦ - ٤١٨، ٤٣٤  
أكويروس (الترجم): ٢٨٢  
أمارة بني الأغلب: ٣٢، ٣٥، ٣٠٠، ٣٠١  
أمارة الصفاوين: ٢٨، ٣٥  
أمارة الطاهريين: ٣٥  
أمارة الطولونيين: ٣٥، ٤٤، ١٣٠  
أمرؤ القيس: ٣٣٨  
الأمة العربية: ٨  
الأموي، محمد بن عبد الرحمن (الأمير): ٣٣٥  
الأمويون: ١٤١  
أمين، أحمد: ١٨٤  
الأنباري، أبو البركات: ١٦٨، ٢٩٩  
الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم: ٢٩٩، ٣٢٠  
الأنباري، قاسم بن محمد: ١٨١  
الأندلس: ٥٣، ١٣٢، ٣٣٥، ٣٩٩، ٤٠٢، ٤٤١  
الأندلسي، أبو محمد علي بن حزم: ٢٤٥، ٢٤٧  
الأندلسي، صاعد: ٤٧٥، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٥، ٤٨٦، ٥٠٤، ٥٠٥  
الأنصاري، أبو زيد: ٣١٠، ٣١٩  
الأنصاري، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم (قاضي القضاة): ١٤١ - ١٤٣، ١٤٥، ١٤٧  
أنطاكيا: ١١٣، ١١٦، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٩، ٣٧٧، ٤٦٢، ٤٦٦  
الأنطاقي، أبو القاسم عثمان بن سعيد بن بشار: ٢٢٥

البغدادي، أبو منصور عبد القاهر: ٢٠٢، ٢٣٧،  
٢٤٢، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٥  
٢٦٢، ٢٥٧

البغدادي، محمد بن حبيب: ١٨١  
 البغدادي، محمد بن الحسن بن محمد: ٦٢  
 البغدادي، يحيى بن معين بن عون بن زياد: ٢٠٣  
 البغوي، أبو القاسم: ٢٢٣  
 بلاد الروس: ٧، ١٣٤  
 البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر: ٢٧٣، ٣٧٢،  
 ٣٧٦-٣٧٨

البخاري، أبو معشر جعفر بن عمر: ٢٩٢، ٤٦٨،  
٤٧٢، ٤٧٦، ٤٨٦-٤٨٨

بلدان حوض البلطيق: ٧، ١٣٤، ١٣٥  
بلدان الشرق الأقصى: ٧، ١٣٥  
السندقة: ٥٣٩

بنو هاشم انظر الهاشميون  
برما: ۱۳۵

بومبي (مدينة): ١٣٥  
الويزي، أبو يعقوب يوسف بن يحيى: ٢٠٩

بيت الحكمة: ٢٤٣، ٢٦٨ - ٢٧٠، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٨٨، ٢٩٠، ٣٠٠، ٣٣٥، ٣١٩، ٣٢٣، ٣٥٤، ٥٨٠

بيت المقدس: ١١٢، ١١٤، ١٣٨  
موت: ١٢٦، ٥٣٨

لبيروني، أبو الريحان: ٤١٦، ٤٤١، ٤٦٧،  
٤٧٥، ٤٧٦

٢٣٤ : الحسن : ٤٧٦

(ت)

سابط شراً، ثابت بن جابر بن سفيان الفهمي:

ادرس (الأسقف): ٢٧١

التاريخ العربي الاسلامي : ٨

لترمذی، محمد بن عیسیٰ: ۱۷۹، ۱۸۳، ۱۹۱،

٢٩٧، ٢١٢، ٢١١، ٢٠٠، ١٩٢  
٩٢، ٥٨ : لتسامح الديني :

تفتي، محمد (الإمام): ٢٠٨

التميمي، أبو الحسن علي بن زياد: ٢٦٣، ٢٧٣  
التميمي، أبو عبد الله محمد بن سبابة: ٢١٠  
التميمي، أبو محمد محمد بن هشام بن عوف:  
٣١٨، ٣١٩

التميمي، أبو محمد يحيى بن أكثم: ٢١٣  
التميمي، سيف بن عمر الأسدي: ٣٨٥  
التميمي، عاصم بن علي (لقائد): ٢٨  
التميمي، عبد الله بن أحمد بن طالب بن سفيان:  
٢٢٢

التميمي، يحيى بن أكثم: ١٧٥، ٢١٤، ٢١٥  
التنوشي، أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول:  
٢٢٧، ٢٢٨

التنوشي، أبو سعيد عبد السلام سحنون: ٢١٢  
التنوشي، المحسن بن علي (القاضي): ٥٩، ٦٩،  
١٧٤، ٩٠، ١١٣

التوحيدي، أبو حيان: ٣٢٨، ٣٧٢  
تونس: ١١٢  
التمي الكوفي، حمزة بن حبيب بن عارة: ١٦٥  
التيغولي، بلاتو: ٤٨١

### (ث)

الثعالي، أبو منصور عبد الملك بن محمد: ٩٤  
الثغور الشامية: ١٣٨  
الثقفي، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سعيد:  
٢٢٣

الثقفي، بكار بن قتيبة بن أبي برزعة بن عبيد  
الله بن بشر: ٢٢٠، ٢٢١

الثقفي، جعفر بن مبشر بن أحمد: ١٧٥  
الثقفي، الحارث بن كلدة (الغليبي): ٢٢٠

الثقفي، الحجاج بن يوسف (الوالي): ٢٤، ١١٦  
الثقفي، سعد بن مسعود: ٢٢٣

الثقفي، عبيد بن مسعود: ٢٢٣  
الثقفي، المختار بن أبي عبيد: ٢٢٣  
ثيادوس: ٢٨٥

### (ج)

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: ٤٩، ٥٨،  
٦١، ٧١، ١٠١، ١٢٠، ١٢١، ١٣١  
١٧٦، ١٧٧، ٢٣٦، ٢٤٨، ٢٥١، ٢٥٣ -

٢٥٦، ٢٨٧، ٢٩٣، ٢٩٦، ٣٢٦ - ٣٣٠،  
٣٣٥، ٣٣٦، ٣٧١، ٣٧٢، ٤١٦، ٤٢٩،  
٤٣٠، ٤٣٢، ٤٣٣

جاليثوس: ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٤، ٢٧٦ - ٢٧٨،  
٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٩٢، ٣٨١،  
٤٣٤، ٤٥٢، ٤٩٤، ٥١١، ٥١٩، ٥٢٠،  
٥٢٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٧، ٥٣٨

جامعة الدول العربية: ٤٢٧  
- معهد المخطوطات: ٤٢٧

الجياثي، أبو علي محمد بن عبد الوهاب: ١٧٦،  
٢٣٩، ٢٥٣، ٢٥٦ - ٢٥٨، ٢٦٠  
الجياثي، أبو هاشم عبد السلام بن محمد: ٢٥٧،  
٢٥٨

الجياثي، عبد الوهاب بن محمد: ١٧٨  
جيريل (عليه السلام): ٢٦٢  
الجراح، أبو الحسن علي بن عيسى: ٥٣١، ٥٣٩  
الجرجاني، محمد بن عبد الله بن سنجر: ٢٠٠  
الجرمي، أبو عمر صالح بن إسحاق: ٣٠٦ -  
٣٠٨، ٣١٦، ٣١٧

جزر اليابان: ١٣٥  
جزيرة صقلية: ٣٢

جعفر الصادق (الإمام): ٤٧٨  
الجغرافيا: ٨، ٩  
الجمحي، محمد بن سلام: ١٧٤، ٣٢٠، ٣٣٩،  
٣٤٠

الجنهضي، أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن  
إسماعيل: ٢٢٢، ٢٢٣

الجوهري، أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد: ٢٠٠،  
٢٢٧

الجوهري، العباس بن سعيد: ٤٤٧، ٤٥٧،  
٤٦٢، ٤٦٤، ٤٧٤

الجوهري، عمر بن محمد: ٢١٦  
الجيش العربي: ٢٩، ٥٣، ٤٦٩  
الجيهازي، أحمد بن محمد: ٤٠٠

### (ح)

حرا (مدينة): ١٢٤، ٤٦٤، ٥١٤  
الحراي، ثابت بن سنان: ٥١٤، ٥٢٩  
الحراي، سفيان بن ثابت بن قرة: ٥٤٤

الحراني، سنان بن الفتح: ٤٥٣، ٤٥٦، ٥٢١، ٥٢٦، ٥٢٩ - ٥٣١  
 حرب الزط: ١٨  
 حرب الزنج: ١٣٧، ٢٠١، ٢٩٠  
 حرب كندة: ٣٨٢  
 الحسري، أبو اسحاق إبراهيم: ١٧٥، ١٨٠، ١٨١، ١٨٨، ١٩٦، ٢٠٤، ٢٠٩، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٠٨، ٣١٨، ٣٢٠

حسكة الترجمة: ٨، ٤٩، ٤٩، ٢٦٥ - ٢٨٨، ٤٤٦، ٣٨١  
 حركة القرمي: ٥٢٨  
 الحروب الصليبية: ١٣٤  
 الحسين بن علي بن أبي طالب (الإمام): ٣٧٩  
 الحصري، الشامي، عبد الله بن عامر: ١٦٥  
 الحضارة العربية: ٨، ٧، ٢٨٦، ٥٨  
 الحضارة العربية الإسلامية: ٤٩، ٥٨  
 الحضرمي، أبو جعفر محمد بن عبد الله: ٢٠١  
 حفص الدودي، أبو عمر الأزدي: ١٦٨ - ١٦٩، ١٧٥، ١٧٨  
 الحكمة اليونانية: ٢٦٨، ٢٧٠  
 حلب (مدينة): ٣١، ١١٢، ١١٣، ١٢٣، ١٢٦، ١٣٨، ٢٣٣، ٤٧٤  
 الحناني، أبو زكريا يحيى بن عبد الحميد الكوفي: ١٩٤

حاة (مدينة): ١٣٨، ٣٧٧  
 حصص (مدينة): ٣١، ١٣٨، ٢١٢، ٣٣٢، ٣٧٧  
 الحمصي، عبد المسيح بن عبد الله بن ناعمة: ٥٥٥، ٤٩٦  
 الحمصي، هلال: ٢٧١  
 الحملة الصينية على سمرقند (٧٥١م): ١٣٢  
 الحنبلي، أبو يعلى (القاضي): ٣٧  
 الحنظلي، أبو حاتم محمد بن إدريس بن المنذر: ١٨٦، ٢٠٤  
 الحنظلي، أبو يعقوب اسحاق بن إبراهيم: ٢١١، ٢٣٢

الحنفي، أبو جعفر بن أبي عمران: ٢٢٨  
 الحياة الاجتماعية: ٤٣ - ١٠١  
 - الأعياد والاحتفالات ووسائل اللهو: ٨٨ - ١٠١  
 - الجوازي: ٥٥ - ٥٩

- الرقيق: ٥٠ - ٥٥  
 - الطبقات الاجتماعية: ٤٣ - ٥٠  
 - اللباس: ٧١ - ٨٨  
 - المساكن والطعام: ٥٩ - ٧١  
 الحياة الاقتصادية: ٧  
 الحميرية: ٢٣، ٥٩، ١٢١، ١٢٧، ١٢٨، ٢٧٤، ٢٩٩

## (خ)

خديجة بنت الحسن بن سهل (زوجة الخليفة المأمون): ٩٣  
 الخزاعي، دعبيل بن علي بن رزين بن سليمان: ٣٥٢

خزائن الكتب: ٢٨٨ - ٣٠١  
 الخصبي، أحمد بن عبد الله (الوزير): ٤٦  
 الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي: ٤٧، ١٦٢، ١٦٩، ١٨٥، ١٩٠، ١٩٤، ١٩٧، ٢١٦، ٢٢٤، ٢٣٣، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٦٢، ٢٩٧، ٣٠٧، ٣١٢، ٣٧٤  
 الخلال، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون: ١٨٠، ٢٢٧  
 خلف البزار، أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب الأسدي البغدادي: ١٦٧، ١٧٢، ١٧٥ - ١٧٧

الخلفاء الراشدون: ١٣  
 الخلفاء العباسيون: ٢٢، ٩١، ١٤٣  
 الخلفاء الفاطميون: ٩١  
 الخليج العربي: ٧، ٢٥، ٢٦، ١٣٤، ١٣٨، ١٤٠

الخوارج: ٢٤١، ٢٤٢  
 الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد: ٢٣٧  
 الخوارزمي، محمد بن موسى: ٢٩٠، ٣٨٣، ٣٨٩ - ٣٩١، ٣٩٩، ٤٠١، ٤٢١، ٤٢٤، ٤٤١، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٨، ٤٧٥، ٤٨٢، ٤٨٤ -

## (د)

الدارقطني، علي بن عمر: ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٣٣  
 الداومي، أبو سعيد عثمان بن سعيد: ٢٠١

الدوامي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن

الفضل: ١٩٨

دبلوب، فيصل: ٤١١

ديبس، محمد بن يزيد: ٤١٤

الدراسات القرآنية: ٨

الدريدي، أبو علي أحمد: ٢٩٩

الدريدي، علي بن أحمد: ٢٩٩

الدعاة الفاطميون: ٢٤١

الدعوة العباسية: ٣٣١

دمشق: ٣٠، ٣١، ٧٥، ١١٩، ١٢٣، ١٢٥،

١٣١، ١٣٢، ١٣٨ - ١٤٠، ١٩٣، ٢٨٥،

٣٧٧، ٤٠٢، ٤٦٤، ٤٧٣، ٤٧٤

الدمشقي، أبو عثمان سعيد بن يعقوب: ٢٤٠،

٢٨٥، ٤٤٦

الدمشقي، أبو مسهر: ١٨٨

الدمشقي، هشام بن عمرو: ٣٧٨

دواوين الدولة العربية: ١١ - ٢٢

- ديوان الأحشام: ١٣، ٢٢

- ديوان البريد: ١٤، ١٦

- ديوان بيت المال: ١٤، ١٥

- ديوان التوقيع: ٢٠

- ديوان الجند: ١٣، ١٤

- ديوان الجيش: ١٥، ١٦

- ديوان الخواص: ١٣

- ديوان الخاتم: ١٣، ٢٠

- ديوان الخراج: ١٣، ١٤، ٢٠

- ديوان الرسائل: ١٣، ١٩

- ديوان الزمام: ١٤، ٢٢

- ديوان الصدقات: ١٣، ٢٠

.. ديوان الضياع: ١٤، ٢٠، ١٤١

- ديوان الطراز: ٢٢

- ديوان القرض: ٢١

- ديوان المستغلات: ٢٠

- ديوان المصادرة: ٢١

- ديوان الموارث: ٢١

- ديوان الموالي: ١٤، ٢٢

- ديوان النفقات: ١٤، ١٥

الدورقي، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم: ٢٠٠

الدولة العربية: ٧ - ٩، ٢٩، ٣٣، ٣٥، ٣٦،

٧١، ٨٧ - ٨٩، ٩٢، ١٠٥، ١٠٨،

١١٦، ١١٧، ١٢٠، ١٢٤، ١٢٨، ١٢٩،

١٣٢ - ١٣٦، ١٤٣، ١٥١، ١٥٨، ٢٠٦،

٢٤٣، ٢٥٤، ٢٥٩، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٨٦،

٣٠١، ٣٢٥، ٣٣١، ٣٧٠، ٣٩٧، ٤٠١،

٤٠٢، ٤١٥، ٤٧٨، ٤٩٨، ٥٣٢

- الأحوال الاقتصادية والمالية: ١٠٣ - ١٥٤

- إدارة الولايات: ٣٢ - ٣٩، ١٥١

- التجارة: ١٣٣ - ١٤٠

- الزراعة: ١٠٥ - ١١٧

- الصناعة: ٧، ١١٧ - ١٣٣

الدوري، أبو عمر فحوص بن عمر: ٣٧٨

الدولي، أبو الأسود: ٧٥

دي بور: ٤١٩، ٤٩٧، ٥١٢، ٥١٣

دي غوية: ٣٩٨، ٤٠٠

الديار المقدسة: ٨٨، ١٣٩

ديسقوريدس: ٤٢٦

الدين الاسلامي انظر الاسلام

الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود: ١٧٧،

٢٨٧، ٣٠٦، ٣١٤، ٣١٥، ٣٧٦، ٣٧٨ -

٣٨٠، ٣٩٤، ٤٢٩ - ٤٣١، ٤٨٦

الدينوري، نصر بن يعقوب: ٤١٥

## (د)

الدعلي، خالد بن أحمد (الأمير): ١٨٥

الدعلي، محمد بن يحيى: ٢٠٣، ٢٣١

## (ر)

الرازي، أبو بكر: ٢٨٦، ٢٨٧، ٤٠٩، ٤١١ -

٤١٣، ٤١٥، ٤١٧ - ٤٢٠، ٤٢٢، ٤٥٧،

٤٨٨، ٤٨٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٣، ٥٢٢،

٥٢٣، ٥٢٧، ٥٢٧، ٥٣٨

الرازي، أبو حاتم: ١٨٣

الراضي (الخليفة): ١٧١

الرخيحي، عمر: ٤٦

الرفاعي، أبو هشام محمد بن يزيد بن كثير: ١٦٩،

١٧٢

الروماني، علي بن عيسى: ٣٢٣

روزنتال، فرانز: ٣٨٧

روسكا: ٤١٢، ٤٤٠

النجستاني، أبو حاتم سهل بن محمد: ١٧٢،  
١٧٧، ٣١٤، ٣١٦، ٣١٩، ٣٢٣، ٤٢٩  
النجستاني، محمد بن عزيز: ١٧٥  
السديسي، يعقوب بن شيبه بن الصلت: ٢٠٠  
السرّاد، الحسن بن محبوب: ٢٠٨  
سرّ من رأى انظر سامراء  
السراج، يوسف: ٣٥٥  
سقراط: ٢٧١، ٤٩٤، ٥٠٢

- استقراء سقراط: ٨  
السكري، أبو سعيد الحسن: ٣٣٨، ٤٢٩  
سلام الترجمان: ٣٩٩  
سلطة الخليفة الدينية: ٣٣  
السلطة المركزية: ١٣  
السلمي، أبو بكر محمد بن اسحاق: ١٨٣  
السلمي، عتبة بن فرقد (الوالي): ٣٠  
سلوقس (الملك): ٣١  
سليمان بن عبد الملك (الخليفة): ٣١  
السنة النبوية: ١٤٦، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٨  
السودان: ٣١، ٥٣، ٥٧  
سوريا الطبيعية: ٣٠  
سيويه، أبو بشر عمرو بن عثمان: ٣٠٦، ٣١٠  
السيد المسيح، عيسى بن مريم: ٣٨٢  
السرّاني، أبو سعيد: ٣٢٣  
السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر:  
١٥٧، ١٦٥، ١٦٧، ٢٩٧

### (ش)

الشابشي، أبو الحسن علي بن أحمد: ٤٦، ٩٣،  
٩٦  
شارلمان: ٤٢٤  
الشاري، هارون: ٨٧  
شارية (الغنية): ٥٥، ٥٦، ١٠٠  
الشافعي، محمد بن ادریس (الإمام): ١٤٥،  
١٦٢، ١٧٥، ١٨٨، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٠،  
٢١٣، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٥، ٢٣٠،  
٢٣٢، ٢٥٩  
شبه جزيرة العرب: ٣٠، ٥٣  
شجاع أم التوكل على الله: ٤٥، ١٥٢، ٥٣٠  
شجن (الغنية): ٥٦  
الشرعية: ١٤٦

روفيو: ٢٨٨  
الرومي، محمد بن عمرو: ٦٤  
الرياشي، أبو الفضل العباس بن الفرج: ٣١٦،  
٣١٨، ٣١٩، ٣٢٣  
ريق (الغنية): ١٠٠

### (ز)

الزجاج، أبو اسحاق ابراهيم بن محمد: ١٧٤،  
٢٩٧، ٣١٧، ٣٢٢، ٤٢٩، ٤٣٠  
الزجاجي، أبو القاسم: ٣٢٣  
الزعرقاني، أبو عبد الله الحسن بن محمد بن  
الصباح: ٢٢١  
زكي، عبد الرحمن: ٤١١  
الزهري، أبو اسحاق ابراهيم بن اسحاق: ٢٠٤  
الزهري، أبو عبد الله محمد بن سعد (المؤرخ):  
٣٧١ - ٣٧٣، ٣٧٧، ٣٨٥  
الزيات، محمد بن عبد الملك (الوزير): ٤٦، ٧٢،  
٨٣، ٩٨، ١٠٦، ٢٧١، ٢٧٨، ٢٩٢،  
٢٩٣، ٣٢٩، ٣٢٨، ٥٤٠  
زيادة الله الثالث: ٢٣٥، ٥٤٠  
الزيادي، ابراهيم بن سفيان: ١٧٧

### (س)

سارتون: ٤١٨، ٤٥٢  
سامراء: ٧، ٨، ١٣، ١٤، ١٨، ٢١ - ٢٤،  
٤٤، ٤٦، ٥١، ٥٣، ٥٩، ٦٣، ٦٦، ٦٧،  
٩١ - ٩٨، ٩٨، ١٠١، ١٠٥، ١٠٦،  
١١٣، ١١٤، ١١٧، ١٢٣، ١٢٨، ١٢٩،  
١٣٦، ١٣٨، ١٤٤، ١٦٨، ١٨٩، ١٩٥،  
١٩٧، ٢٠٤، ٢٢٢، ٢٤١، ٢٥١، ٢٥٧،  
٢٥٩، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٨٦، ٢٩٠ - ٢٩٢،  
٢٩٥، ٢٩٧، ٣٠١، ٣٠٦، ٣٠٨ - ٣١٢،  
٣١٤، ٣١٨، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣١، ٣٣٣،  
٣٣٥، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٨، ٣٧٤، ٣٧٦،  
٣٩٩، ٤٠١، ٤٤٨، ٤٥٣، ٤٦٨، ٤٨٠،  
٤٩٨، ٥٢٠، ٥٢٩، ٥٣١ - ٥٣٥  
السامرائي، كمال: ٥٢٧  
السامرة: ١٤٥  
سترسيورغ: ٥٤٢



## (ط)

الطالبيون: ٤٣، ١٥٤  
الطائف (مدينة): ٣٠، ١١٤  
الطائي، أبو غنام حبيب بن أوس: ٥٠، ٢٩٨،  
٣٣٥، ٣٤٦ - ٣٤٨، ٣٥٦ - ٣٦٢،  
٣٦٣، ٤٦٩  
الطائي، أحمد بن محمد: ١٥٢  
الطائي، هيثم بن عدي: ٣٨٥  
الطب انظر علم الطب  
الطباع، أبو بكر محمد بن يوسف بن عيسى: ٢٠٤  
الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: ٤٩، ١٥٩ -  
١٦٤، ١٧٣، ١٨١، ٢٣٠، ٢٣٤، ٢٣٥،  
٢٨٧، ٣٧٦، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٧  
الطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة: ١٧٥،  
٢١٧، ٢٢٨  
طرابلس: ١٣٣، ١٣٥  
طرابلس الغرب انظر اطرابلس  
الطليسي، أبو داود همام بن عبد الملك: ١٨٠،  
١٨٨

الطليسي، أبو الوليد: ٢١٦، ٢٢٢  
الطليسي، هشام بن عبد الملك: ٢٠٣  
الطيغوري، زكريا بن عبد الله: ٥٢٨

## (ظ)

الظاهر بن صلاح الدين الأيوبي (الملك): ٣١  
الظاهري، أبو سليمان داود بن خلف: ١٧٥،  
٢٠٦، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٣  
الظاهري، محمد بن داود بن علي: ٣٣٨

## (ع)

العالم، محمد بن الحسن: ٢٥٨  
عبادان: ١١٠، ١٣٢، ١٣٨  
العبادي، اسحق بن حنين: ٢٧١، ٢٨٠، ٢٨١،  
٢٨٣، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩٠، ٤٤٦، ٤٤٩،  
٥٠٥، ٥٢٣

العبادي، حنين بن اسحاق: ٤٩، ٢٦٩ - ٢٧١،  
٢٧٤ - ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٩٠،  
٢٩١، ٢٩٨، ٤٦١، ٤٩٦، ٥٠٥، ٥١٩ -  
٥٢٤، ٥٢٦ - ٥٢٨، ٥٣٢ - ٥٣٥، ٥٤٣

الشعي، أبو عمر عامر بن شراحيل: ٣٧٩

الشعراني، محمد بن الفضل: ٣٠٨  
الشعري، طلحة بن الأخوص: ٢٤  
شنغهاي (مدينة): ١٣٥  
الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم:  
٢٠٥، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٢،  
٢٥٥، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦١

الشياني، أبو بكر أحمد بن عمر بن مهير: ٢١٥  
الشياني، أبو عمر خليفة بن خياط: ٣٧١، ٣٧٣  
الشياني، أبو عزم: ٣٩٤  
الشياني، أبو اليسر إبراهيم بن محمد: ٣٠١، ٣٣٥  
الشياني، أبو يوسف محمد بن الحسن (ناضي  
القضاة): ١٧، ٢١٠، ٢٥٩  
الشياني، ثعلب أبو العباس أحمد بن يحيى: ١٧٣،  
١٧٤

الشياني، خالد بن يزيد بن مزيد (القائد): ٣٥٦  
الشيوزي، عبد الرحمن بن نصر: ٣٨، ٥٢٨

## (ص)

الصائبي، هلال بن المحسن بن إبراهيم: ٦٩،  
١٥١، ١٥٢

الصائبة: ١٤٥  
الصقار، أبو عثمان عفان بن مسلم: ٢٠٢  
الصقل، فرج بن سالم: ٥٣٩  
صنعاء (مدينة): ١١٢، ١١٣، ١٢٧، ١٣٩  
صور (مدينة): ١٣٠

الصوري، مارينوس: ٢٨٨  
الصولي، إبراهيم بن العباس: ١٠٨، ٣١٧،  
٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٢  
الصيرفي، أبو بكر: ٢٦٢

الصيمري، محمد بن اسحاق بن أبي العنيس  
(القاضي): ٤٨٥  
الصين: ١٢٣، ١٣٢، ١٣٤ - ١٤٠، ١٤٣،  
٤٠٢

## (ض)

الضبي، المفضل بن محمد: ٣٠٨  
الضبياع السلطانية (أراضي الأمويين): ١٤١

- المعادي، عبد الحميد: ٣٢٦  
العباسيون: ١٣، ٣٦، ٤٣، ٤٤، ٧٦، ١٤١، ١٥٤  
عبد الحميد الكاتب: ١٩  
عبد الملك بن مروان (الخليفة): ٣٠  
عبد الوهاب، حسن حُسن: ٣٢٩  
العتبي، أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الله: ٤٢٨  
العتقي، عبد الرحمن بن القاسم: ٢١٢  
عثمان بن عفان (الخليفة): ٢٥، ٢٦، ٣٢، ٣٧٩، ١٦٥  
المعجلي، أبو دلف القاسم بن عيسى (القائد العربي): ٩٧  
عدن: ٥٣، ١٣٣، ١٣٥  
العدلي، محمد بن يحيى بن أبي عمر: ٢٠٠  
المغرب: ٧، ٨، ٢٣، ٢٥، ٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣١، ٤٥، ٥٠، ٥١، ٧٥-٧٩، ٩٢، ١٠٧، ١١٩، ١٢٩، ١٣٢-١٣٥، ١٤٠، ١٤١، ١٤٣، ١٦٣، ١٥٩، ١٥٨، ١٤٥، ١٩٣، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢١٣، ٢٥٤، ٢٦٧، ٢٨٨، ٣٢٩، ٣٣٩، ٣٧٢، ٣٩٤، ٤٠٩، ٤١٥، ٤١٧، ٤١٩، ٤٢٢، ٤٢٦، ٤٣٩-٤٤٢، ٤٤٤، ٤٤٩، ٤٥٧-٤٦٠، ٤٦٢، ٤٦٦، ٤٩٣، ٤٩٧، ٥١٩، ٥٢٢، ٥٣١  
عريب (المتنبي): ١٠١، ٥٦  
عطوي، فوزي: ٣٢٩  
العقيلي، أبو الهيثم: ٣٠٦  
العقيلي، مزاحم: ٣٣٨  
العلاف، أبو الهذيل محمد بن الهذيل: ١٧٦، ٢٤٣، ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٦  
علم التاريخ: ٨، ٩، ٣٦٩-٣٨٧  
علم الحيوان: ٩، ٤٦٦-٤٣٦  
علم الجغرافيا: ٣٨٧-٤٠٣  
علم الصيدلة: ٩  
علم الطب: ٩  
علم الميكانيكا: ٩  
علم النبات: ٩، ٤٦٦-٤٣٦  
علم النجوم (التنجيم): ٩، ٢٦٧، ٢٧٠، ٤٥٧-٤٨٩  
العلوم الدينية: ١٥٧-٢٦٣  
... الحديث النبوي: ٨، ٩، ١٧٨-٢٠٤
- الدراسات القرآنية: ٨، ٩، ١٥٧-١٧٨  
علم التفسير: ١٥٧-١٦٤  
علم القراءات: ١٦٤-١٧٨  
علم الكلام: ٩، ٢٣٦-٢٦٣  
الفقه: ٢٠٥-٢٣٦  
العلوم الرياضية: ٨، ٤٣٩-٤٥٧  
العلوم الطبيعية: ٨، ٩، ٤٠٥-٤٣٦  
الفيزياء وفن الميكانيكا: ٤١٦-٤٢٥  
الكيمياء والمعادن: ٤٠٧-٤١٦  
العلوي، الحسن بن زيد: ٢٧  
العلويون: ٤٣، ٤٤، ٧٦  
علي بن أبي طالب (الخليفة الإمام): ٥٢، ٧٠، ٣٧٩، ٣٨٢  
علي الرضا، الإمام: ٢٧، ٢٨  
عليه بنت الرشيد: ٨٠  
عُمان: ٣٠، ١٠٩، ١١٠، ١١٤، ١٣٣، ١٣٥، ١٣٨، ١٣٩، ٣٢٤  
عمر بن الخطاب (الخليفة): ٢٣-٢٥، ٢٨-٣٠، ٤٣، ٥٢، ١٤٥، ١٤٦، ٢٢٣، ٣٧٩، ٤٣٦، ٤٦٨  
العمرى، الزبير بن محمد بن عبد الله: ١٧١  
العتري، محمد بن أحمد: ١٧١  
العتري، محمد بن المثنى بن عبيد بن قيس: ٢٠٣  
المعهد الأموي: ١٣، ٢٩  
المعهد العباسي: ٣٣، ١٠٥، ١٤٥  
عيسى بن يونس (الكاتب): ٢٧٢
- (غ)  
غيب، هاملتون: ٢٤٣، ٣٨٦  
الغساني، ابن الحداد أبو عثمان سعيد بن محمد: ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٤١  
غور الأردن: ٣١
- (ف)  
الفارابي، أبو نصر محمد (الفيلسوف): ٤٤٥، ٤٥٨، ٤٩٧  
الفاطميون: ٢١٩  
فترة الزنج انظر حرب الزنج  
الفراء، ابن أبي يعلى: ٢٢٧

الفسراء، يحيى بن زياد: ٢٨٩، ٢٩٣، ٣٠٦، ٣١٢، ٣١٩، ٣٢٠  
 الفراعنة: ٣١  
 الفراهيدي، الخليل بن أحمد: ١٦٢، ٣١٩، ٣٢٤  
 الفزّري، محمد بن يوسف: ١٨٣  
 الفرس: ١١٩، ٢٧٣  
 الفرضي، نعيم بن عماد بن الحارث: ١٩٥  
 الفرغاني، أحمد بن محمد بن كثير: ٤٤٧، ٤٥٣، ٤٨٥  
 فرفوربوس: ٢٨١، ٤٩٥  
 فرنسا: ١٢٠  
 فريدة (الغنية): ٥٦  
 الفزازي، إبراهيم بن حبيب: ٢٦٧، ٤٥٥، ٤٧٥، ٤٨٤  
 الفسطاط (مدينة): ٣١، ١١٩، ١٣٨، ١٦٢  
 فلسطين: ٣٠، ١٠٩، ١١١ - ١١٣، ١٢٣، ١٣٨، ١٩٣، ٤٠١، ٤٠٢  
 الفلسفة: ٩، ٤٩١ - ٥١٦  
 الفلسفة العربية: ٤٩٣ - ٥١٦  
 الفلسفة العربية الإسلامية: ٩، ٤٩٣ - ٥١٦  
 الفلسفة اليونانية: ٢٣٨، ٢٤٣، ٢٨٧  
 فلندرز بترى: ٤٢٢  
 فنكل، يوشع: ٣٢٩  
 الفهري، عبد الله بن وهب بن مسلم: ٢١٢  
 فيثاغورس: ٣٨١، ٤٩٥

## (ق)

القادسية: ٩٤، ١١٠، ١٢٩، ١٣٨  
 القاسم بن هارون الرشيد: ٧٦  
 قالون، أبو موسى عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى: ١٦٦  
 القاهرة: ٤٣٠، ٥٣٥  
 قبيصة (زوجة الخليفة المتوكل على الله): ٧٤، ٧٥، ٩٤  
 القدس: ١٢٣، ١٢٥، ١٣٣، ٤٢٤  
 القرشي الأسدي، أبو بكر الزبير بن بكار بن عبد الله بن الزبير: ٣٧٤  
 القرشي، عبد الله بن الزبير: ٣٨٤  
 القرشي، عروة بن الزبير: ٣٨٤  
 القرشي، هشام بن عروة بن الزبير: ٣٨٤

قرطبة: ٣٣٥  
 القرطبي، أبو مروان عبد الملك بن حبيب المالكي: ١٨١  
 القرموني جيرارد: ٢٨٨، ٤٥١، ٤٨٣، ٤٨٥  
 قريش (قبيلة): ١٣٣، ١٩٣، ٣٧٢  
 القسطنطينية: ١٣٩  
 القطريلي، أبو بكر أحمد بن اسحاق: ٢٩٧  
 القعني، عبد الله بن مسلمة: ١٨٦، ٢٠٨، ٢٢٢، ٢١٦  
 القسطنطيني، أبو الحسن علي بن يوسف: ٢٤٠، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٧ - ٢٧٩، ٣٨٤، ٣٩١، ٤٤١، ٤٥٢، ٤٥٤، ٤٥٦، ٤٦٤، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٩٩ - ٥٠١، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥١١، ٥١٣ - ٥١٥، ٥٢٨، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٣  
 قلم الصالحية (الغنية): ٥٥  
 قنبل، محمد بن عبد الرحمن بن محمد المخزومي: ١٧٠  
 القويري، أبو اسحاق إبراهيم: ٢٣٨، ٢٨٤  
 القروان (مدينة): ١١٢، ١٢٦، ١٢٩، ١٣٨، ٢١٢، ٢١٩، ٢٢٦، ٢٤١، ٣٠٠  
 القرواني، أبو علي الحسن بن رشيق: ٣٤٣  
 القيسي، أشهب بن عبد العزيز: ٢١٢

## (ك)

كارا دي فو (البارون المشرق): ٤٤٠، ٤٥٤  
 كاردان: ٤٥٣، ٥٠٣  
 كرابرز، كارل: ٤١٠  
 الكرايبي، أحمد بن عمر: ٤٤٧، ٤٥٧  
 كراشكوفسكي (المشرق): ٤٠٠  
 كرامرز (المشرق): ٣٩١  
 الكسائي، أبو الحسن علي بن حمزة: ١٦٥، ١٦٩، ٢٩٣، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣١٢، ٣٢٠، ٣٧٩  
 الكعبة المشرفة: ١٢٢، ١٢٣  
 الكلبي، أبو ثور إبراهيم بن خالد بن أبي اليان: ٢٣٠، ٢٣٢، ١٧٥  
 الكلبي، عباس بن هشام: ٣٧٨  
 الكلبي، محمد ابن السائب: ١٧  
 الكلبي، منصور بن جمهور: ٢٩  
 الكلبي، هشام بن محمد بن السائب بن بشر: ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٥

المأمون (الخليفة): ١٧، ٢٣، ٢٧، ٤٤، ٦٣،  
٦٤، ٧٢، ٧٥، ٧٦، ٩٣، ٩٤، ١٠٧،  
١٤٧، ١٤٨، ١٥٠، ١٦٠، ١٦٧، ١٨٩،  
٢١٠، ٢٧٦، ٢٧٩، ٢٨٩ - ٢٩١، ٣٣١،  
٣٣٢، ٣٧٢، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٥٠ - ٤٥٣،  
٤٦٢، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٧٢، ٤٧٤، ٤٧٥،  
٤٨٥، ٤٩٨، ٥٠٠، ٥٠٥، ٥٢١، ٥٢٤،  
٥٣٤، ٥٣٣، ٥٣٨

مانكا (الحكيم الهندي): ٢٦٧  
الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد: ٣٢، ٣٦،  
٤٣، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٥، ١٤٧،  
المبرد، محمد بن يزيد: ٥٠، ١٧٢ - ١٧٤، ١٧٧،  
١٨١، ٣٠٦، ٣١٠، ٣١١، ٣١٣ - ٣١٩،  
٣١٧، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٣٥، ٣٩٤  
المتوكل على الله (الخليفة): ١٤، ١٧، ٢١، ٢٦،  
٢٧، ٣١، ٤٦، ٥٣، ٥٦، ٥٩، ٦٣، ٦٥،  
٧٣ - ٧٥، ٧٧، ٧٩، ٨٠، ٩٢ - ٩٤، ٩٩،  
١٠١، ١٠٧، ١٠٨، ١١٣، ١٢٠، ١٥١ -  
١٥٤، ١٩٧، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٨، ٢٢٠،  
٢٣٥، ٢٤٣، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٨٢، ٢٩٠ -  
٢٩٢، ٢٩٥، ٢٩٩، ٣١٢ - ٣١٤، ٣٣١ -  
٣٣٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٥٧، ٣٦٤، ٣٧٦،  
٤٤٨، ٤٥٣، ٤٧٧، ٤٨٥، ٥٣٣ - ٥٣٦،  
٥٤١

المجاشعي البصري، سعيد بن مسعدة: ١٧٤،

١٧٧

المجتمع العربي: ٤٣ - ٥٩  
المجريطي، مسلمة: ٤٠٨  
المجمع العلمي العراقي: ٤٣٠  
المجوس: ٩٢، ١٤٥  
محبوبة (الجارية): ٥٦  
محمد الأمين (الخليفة): ٣٥٨

محمد رسول الله (ﷺ): ٤٣، ٥٢، ٥٣، ٧٠،  
٨٧، ١٤٥ - ١٤٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٣ -  
١٦٧، ١٧٠، ١٧١، ١٧٨ - ١٨١، ١٩٠،  
١٩٣، ١٩٨، ٢٠٥، ٢٠٨، ٢١٤، ٢٢٤،  
٢٣١، ٢٣٧، ٢٦٢، ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٧٣،  
٣٨٢، ٣٨٣، ٤٨٢  
المحيط الهندي: ٧، ١٣٥، ١٤٠  
المخطوطات العربية: ١٣٢

الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق:  
٢٢٩

كلية الروم الأورثوذكس (بيروت): ٤٢٥  
كنت، عاتويل: ٣٩٧  
الكندي، أبو الوليد بشر بن الوليد: ٢١٢  
الكندي، أبو يوسف يعقوب بن اسحاق: ٩، ٤٩،  
٢٣٧، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٥، ٣٨٩، ٣٩١ -  
٣٩٣، ٣٩٦، ٤٠٩ - ٤٢٠، ٤٢٤، ٤٢٥،  
٤٢٩، ٤٤٦، ٤٤٨، ٤٥٣، ٤٦٨، ٤٧٦ -  
٤٧٨، ٤٨٥ - ٤٨٧، ٤٩٣، ٤٩٧ - ٥١٠،  
٥١٥، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٦، ٥٤٢

الكندي، الأشعث بن قيس: ٤٩٧  
كوريا: ١٣٥

الكوبي، ابن فضال محمد بن علي: ١٧٥، ١٧٨  
الكوبي، أبو بكر الأسدي: ١٦٥  
الكوبي، أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم (قاضي  
القضاة): ١٩٧، ٢١٠

الكوبي، الحسن بن محبوب: ١٧٦  
الكوبي، سليم بن عيسى: ١٦٧، ١٦٩  
الكوبي، علي بن محمد: ٢٩٧  
الكوبي، يوسف بن أبي يوسف يعقوب: ٢١٠  
الكويت: ٤٣٠  
كيك: ٥٣٨

## (ل)

لاكثير: ٥٣٤  
اللغة العربية وآدابها: ٣٠٣ - ٣٦٦  
- الأدب: ٣٢٥ - ٣٦٦  
- اللغة والنحو وأشهر رجالها: ٣٠٥ - ٣٢٥  
لندن: ٥٣٨  
اللوذوي، الحسن بن زياد: ١٩٧، ٢١٥، ٢١٨  
ليزك: ٤١٠  
الليبي المدني، نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم:  
١٦٥

## (م)

المازني، أبو عثمان بكر بن محمد بن حبيب: ٣٠٦،  
٣٠٧، ٣١٠ - ٣١٢، ٣١٦ - ٣١٨  
المالكي، اسماعيل بن اسحاق: ١٧٨  
المالكي، محمد بن عبد الله بن الحكم: ١٧٥

- المدارس الفقهية: ٨  
 المدائني، أبو الحسن علي بن محمد: ٢٩٤،  
 ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٨٣  
 مدرسة البصرة: ٣٠٦، ٣٠٥  
 مدرسة جنديسابور: ٢٧٣  
 مدرسة الكوفة: ٣٠٦، ٣٠٥  
 المدني، إسماعيل بن جعفر: ١٦٩  
 المدني، شرحبيل بن سعد الخطمي: ٣٨٤  
 المدني، محمد بن إسحاق بن يسار المظلي: ٣٨٤  
 مدينة السلام انظر بغداد  
 المدينة المنورة: ١٤، ٣٠، ٤٤، ١٦٨، ١٨٨،  
 ٢٤٦، ٢٨٥، ٢٩٠، ٣٧٥، ٣٨٤، ٤٠٢،  
 ٤٠٣  
 المدني، علي: ١٨٩، ٢٢٢، ٣٧٧  
 المذاهب الإسلامية: ٣٧٠  
 المذاهب الفقهية: ٩  
 المرأة العربية: ٥٩  
 المرادي، الربيع بن سليمان: ٢٠٩  
 مرقس اللاهوتي: ٢٨٨  
 المزنّي، أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن عمر بن  
 إسحاق: ٢١٧، ٢١٨، ٢٣٢  
 المستعين بالله (الخليفة): ٤٤، ٨١، ١٠٠، ١٥٤،  
 ١٩٧، ٢٩٠، ٣٣٤، ٣٤٤، ٤٧٠، ٤٨٧،  
 ٥٣٦  
 المسجد الجامع: ٣٠، ٢٦١  
 المسجدين الجامعين: ١٥٤  
 المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين: ٥٠،  
 ٥٩، ٦٤، ٨٦، ٩٣، ١١٣، ١٩٠، ٢٤٤،  
 ٢٥٦، ٣٢٨، ٣٢٣، ٣٧٥، ٣٧٨،  
 ٣٨٣، ٣٨٧، ٣٩٣، ٤٠٠، ٤٥٨، ٤٦٤،  
 ٥١٥، ٥٣٥  
 مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد: ٤٧  
 مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري  
 النيسابوري: ١٧٩، ١٨٦، ١٨٩، ٢٠٠،  
 ٢٠٣، ٢٠٤، ٢١١، ٢٣٠  
 المصري، أبو محمد الربيع بن سليمان بن عبد  
 الجبار: ٢٢١  
 المصري، أحمد بن صالح: ٢٠٣  
 المصري، ذو النون: ٤٠٩، ٤١٣  
 معاوية بن أبي سفيان (الخليفة): ٢٥، ٣٧٩
- المعتز بن المتوكل على الله (الخليفة): ٥٣، ٧٥،  
 ٧٨، ٩٣، ٩٤، ٩٦، ١٠٠، ١١٣، ١١٤،  
 ٢٥٦، ٣٣٤، ٣٤٥، ٤٦٩، ٤٨٧  
 المعتزلة: ١٥٩، ١٦٠، ١٧٥، ١٧٦، ١٨٩،  
 ١٩٥، ٢١٣، ٢١٨، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤١ -  
 ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٥٩ - ٢٦٣، ٢٧٢، ٢٨٧،  
 ٣٢٨  
 المعتصم بالله (الخليفة): ٧، ١٤، ١٨، ٢١ -  
 ٢٣، ٤٤ - ٤٦، ٥٥، ٦٣، ٦٤، ٧٤، ٧٧،  
 ٧٨، ٨١، ٨٢، ٩٣، ٩٥، ٩٦، ٩٨، ٩٩،  
 ١٠٦، ١٠٧، ١١٠، ١١١، ١١٧، ١٢٨، ١٣٣،  
 ١٣٤، ١٣٦، ١٤٨ - ١٥٠، ١٦٧، ١٨٩،  
 ١٩٥، ٢١٢، ٢١٤، ٢٤٣، ٢٥٩، ٢٧٠،  
 ٢٩٢، ٢٩٥، ٣١٠، ٣٣١، ٣٤٦ - ٣٤٨،  
 ٣٥٢، ٣٧٩، ٤١١، ٤٦٩، ٤٧٥، ٤٨٧،  
 ٤٩٨، ٥٠٠، ٥٠٦، ٥٢٨، ٥٣٢، ٥٣٣،  
 ٥٤١  
 المعتضد بالله (الخليفة): ٢١، ٢٣، ٤٤، ٤٦،  
 ٤٧، ٥٦، ٦٢، ٦٥، ٧٤، ٧٥، ٧٨، ٧٩،  
 ٨٣، ٨٧، ١٠٠، ١٠٨، ١٤٤، ١٥١،  
 ١٥٢، ٢٨٩، ٢٩٧ - ٢٩٩، ٣٢٢، ٣٣٤،  
 ٣٤٩، ٣٥٠، ٤٧٩، ٤٨٦، ٥١٤ - ٥١٦،  
 ٥٢٩، ٥٣٠  
 المعتمد على الله (الخليفة): ٢١، ٢٤، ٤٦، ٧٣،  
 ٧٥، ١٣٧، ٢٢٠، ٢٢٧، ٣٣٣، ٣٣٤،  
 ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٩٨، ٤٦٨، ٥١٤  
 معلوف، ناجي: ٣٠٠  
 المفروض بن الخليفة المعتمد على الله: ٧٥  
 المقنن بالله (الخليفة): ٤٦، ٤٧، ١٢٨، ٢٢٧،  
 ٢٨٥، ٣٢٤، ٣٣٤، ٤٨٠، ٥٢٦، ٥٢٩،  
 ٥٣٩، ٥٤٣، ٥٤٤  
 المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد: ٥٣، ٧٩،  
 ٨٢، ٨٥، ١٠٨، ١١٠، ١١١، ١١٤،  
 ١٤٤، ١٨١، ٣٩٨، ٤٢٠  
 المقرئ، أبو العباس أحمد بن علي: ٤٨، ٩١،  
 ١١٣، ١١٥، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٦١،  
 ٢٦٣، ٥٣١  
 مكتبة الفاتيكان: ٤٢٥  
 المكتفي بالله (الخليفة): ٦٦، ٧٣، ٧٤، ٩٣،  
 ٩٤، ٢٩٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٥٣٠

النصري، أبو زرعة السدشقي عبد الرحمن بن عمرو: ٢٠٤

نصيبين (مدينة): ١١٣، ١٢٤، ١٣٨

النظام، إبراهيم ابن سيار: ٢٤٦، ٢٤٩ - ٢٥٤

نظرية الأبطال اليونانية: ٩

نسطولي، إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي:

١٧٣، ١٧٥

التقود العربية: ١٣٤

نلليو (المشرق): ٤٦٤

النعمري البصري، عمر بن شبة بن عبيد بن ربطة:

٣٧١، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٨٥

نهر دجلة: ٢٣، ٢٩، ٣٠، ٩٦، ٩٨، ١٠٦،

١٠٨، ١١٠، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٨

١٣٩، ١٤٢، ١٥٢، ٤٤٨، ٤٥٣

نهر السفرات: ٢٦، ٢٩، ٣٠، ١٠٥، ١٠٦،

١١٠، ١٢٧، ١٣٣، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٢،

١٥٢، ٤٨٠

نهر النيل: ٣١، ٤٨، ٥٧، ٣٩٠، ٤٥٣

النهراني، أبو الفرج بن زكريا: ٢٣٥

النهضة العلمية العربية: ٧، ١٦٦، ١٨٢، ٢٣٠،

٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٠، ٣٩٤، ٤٠٧، ٤١٥

التوبيختي، الحسن بن موسى: ١٧٦، ٢٣٨، ٢٤٠

النوري، شهاب الدين: ١٩

النريزي، أبو العباس الفضل بن حاتم: ٢٨٠،

٤٤٧

نيسابور: ٢٧، ١٣٧، ١٤٤، ١٨٦، ١٨٧،

١٩٣، ٢٠٤، ٢١١، ٢٣٨

نيقوماخوس: ٣٨١

نيكلسون (المشرق): ٣٩٨

(هـ)

هاردي، جورج: ٣٩٧

هارون الرشيد (الخليفة): ١٣، ١٧، ٢٤ - ٢٧،

٣٢، ٧٥، ١١٧، ١٣٢، ١٤١، ١٤٣،

١٤٧، ٢٤٣، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٣، ٢٨٨،

٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٤، ٤٢٤، ٤٤٦، ٤٥٠،

٤٧٧، ٤٩٨، ٥٢٩، ٥٣٣، ٥٣٦

هارون، عبد السلام محمد: ٣١٤، ٣٢٩

الهاشميون: ٤٣، ٤٤، ٧٥، ٨٠، ٩٣

الهللي، محمد بن يحيى بن عبد الله: ١٨٦

مكة المكرمة: ١٤، ٣٠، ٤٤، ١٢٢، ١٣٦،

١٣٩، ١٦٨، ١٨٨، ١٩١، ١٩٣، ٢٠٣،

٢٠٨، ٢١١، ٢١٤، ٢١٥، ٢٨٥، ٣١٨،

٣٧٤، ٣٧٥، ٣٩٧، ٤٠١، ٤٠٢

المكي، عبد الله بن كثير: ١٦٥، ١٧٠

الملاوي: ١٣٥

منتصر، عبد الحليم: ٤٢٧

المنتصر بالله (الخليفة): ٤٤، ٣١٨، ٣٤٥

المهتدي بالله (الخليفة): ٦٥، ٩٩، ٣٣٢، ٥٣٦

المهدي (الخليفة): ١٣، ٢١، ٢٣، ٢٤، ١٠٧،

١٥٤

المهلي، أحمد بن يزيد: ٢٥٦

الموصلي، اسحاق بن إبراهيم: ٤٩، ٥٠، ٥٦،

٧٢، ٨٦، ١٠٠، ١٨٩، ٢٩٤

٣٧٢، ٤١٩

الموصلي، جعفر بن حمدان: ٢٩٣

الموفق (الخليفة): ١٧، ٢٤، ٤٥، ٤٦، ٧٣،

١١٣، ١١٤، ١٥٤، ٣٢٨، ٣٣٣، ٤٨٧،

٥٢٩، ٥٤٤

(ن)

الناطقة الديباني: ٣٣٨

الناشي الكبير، أبو العباس عبد الله بن محمد

الأنباري: ٢٣٨، ٢٣٩

النجار، النجار: ٤٤٦

النجار، هرقل: ٤٢١

نجد: ٣٠، ١١٦

النحوي، يوحنا: ٤٩٥

النخعي، شريك بن عبد الله (القاضي): ١٦٧

النريسي، أبو يحيى الباهلي عبد الأعلى بن حماد:

٢٠٣

النسائي، أحمد بن علي بن شعيب: ١٧٩، ١٩٢،

١٩٣، ١٩٦

النسفي، أبو اسحاق محمد بن إبراهيم بن معقل:

٢٠١

النصاري: ٤٥، ٧٦، ٩٢، ٩٣، ١٤٥، ١٥٩

نصاري تغلب: ١٤٥

نصاري نجران: ١٤٥

النصرانية: ٥٨



٥٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٠٢ ، ٤٠١

- مكران: ٢٦

- الموصل: ٢٢ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ١٠٨ ، ١١١ ،

١١٦ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٢٧ ،

١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ٢٩٣ ، ٤٠٢

- اليمن: ١٤ ، ٣٠ ، ٤٤ ، ٦١ ، ١٠٩ ، ١١١ -

١١٤ ، ١١٦ ، ١٢١ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ،

١٣٠ ، ١٥٠ ، ١٨٨ ، ٤٠٢ ، ٤١٥

الوليد بن عبد الملك (الخليفة): ٢٩ ، ٣٠

### (ي)

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد

الله: ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٢ ، ٤٧ ، ١٢٩ ، ١٦٢ ،

١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٣ ، ١٩٢ ، ٢٢٤ ، ٢٣٤ ،

٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٣٠٩ ،

٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٢٨ ،

٣٢٩ ، ٣٧٢ ، ٣٧٥ ، ٣٧٧ ، ٣٧٩ ، ٥١٥ ،

٥١٦

يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (الخليفة): ٣٧٩

اليعقوبي، أحمد بن واضح: ١٣ ، ١٤ ، ٢٢ ،

١١٧ ، ١٣٥ ، ١٤٤ ، ٢٧٣ ، ٣٧٠ ، ٣٧٦ ،

٣٨٠ - ٣٨٣ ، ٤٠٠ - ٤٠٢ ، ٤٦٨

اليهود: ٦ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥٩ ، ٥٣١

يوسف بن عمرو، أبو يعقوب الأزرق: ١٦٨

٢١٨ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٨٣ ، ٣٧٨ ، ٣٨٤ ،

٣٩٩ ، ٤٠١ ، ٤٥٣ ، ٤٩٨ ، ٥٤١

- فارس: ٢٢ ، ٢٥

- فوس: ٢٨

- كرمان: ٢٥ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١٢٦ ، ١٤٠

- الكوفة: ٧ ، ١٤ ، ٢٢ - ٢٥ ، ٤٤ ، ١٠٦ ،

١٠٩ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٨ ،

١٣١ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٦٢ ، ١٦٨ ، ١٨٦ ،

١٩١ ، ١٩٤ ، ٢٠٨ ، ٢٣٢ ، ٢٤٧ ، ٢٦٨ ،

٣٠٦ ، ٣١٨ ، ٣٧١ ، ٣٧٥ ، ٣٧٩ ، ٣٨٤ ،

٤٠٢ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥

- مصر: ١٤ ، ٢٢ ، ٣١ - ٣٣ ، ٣٥ ، ٤٤ ، ٥٣ ،

٥٧ ، ٦١ ، ٦٧ ، ٩١ ، ١٠٨ - ١١٢ ، ١١٤ -

١١٧ ، ١١٩ ، ١٢١ - ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ،

١٣٠ - ١٣٣ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٩ ،

١٥٠ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٨٢ ، ١٨٦ ،

١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣ ،

٢٠٩ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٧ - ٢٢٢ ، ٢٢٨ ،

٢٣٩ ، ٢٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٨٠ ، ٣٨٤ ، ٤٠١ ،

٤٠٢ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤٢٠ ، ٤٥٣ ، ٥٢٩ ،

٥٣١

- المغرب: ٢٩ ، ٣٢ ، ٤٤ ، ٧٧ ، ٨٥ ، ١٠٩ ،

١١١ ، ١١٢ ، ١١٦ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٣١ ،

١٥٠ ، ١٦٨ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٢٢ ، ٣٨٠ ،



- تاريخ الرياضيات العربية: بين الجبر والحساب
- (سلسلة تاريخ العلوم عند العرب (١) (٤٠٤ص - ٤١٠ص) ..... د. رشدي راشد
- الاقتصاد الفلسطيني: تحديات التنمية في ظل احتلال مديد (٤٠٤ص - ٤٨٠ص) ..... ندوة فكرية
- المغرب العربي الكبير: ندوة المستقبل (١٨٤ص - ٤٤٠ص) ..... د. مصطفى الفيلالي
- الاقتصاد الاسرائيلي (٤٠٤ص - ٤٨٠ص) ..... د. حسين أبو النمل
- مستقبل الأمة العربية: التحديات... والخيارات (٥٧٦ص - ٤١٠ص)
- (سلسلة استشراف مستقبل الوطن العربي) ..... د. خير الدين حبيب وآخرون
- المجتمع والدولة في الوطن العربي (٤٥٢ص - ٤٩٠ص)
- (سلسلة استشراف مستقبل الوطن العربي) ..... د. سعد الدين ابراهيم وآخرون
- العرب والعالم (٤١٢ص - ٤٨٥٠ص)
- (سلسلة استشراف مستقبل الوطن العربي) ..... د. علي الدين هلال وآخرون
- المورد الواحد والتوجه الانفاقي السائد (٢١٦ص - ٤٤٠٥٠ص) ..... د. أسامة عبد الرحمن
- السلطة والمجتمع والعمل السياسي: من تاريخ الولايات
- النهائية في بلاد الشام (سلسلة أطروحة الدكتوراه (١٣) (٢٤٨ص - ٥٠٠ص) ..... د. وجيه كولراني
- الفلسفة العربية المعاصرة: مواقف ودراسات (٥٠٠ص - ٤١٠ص) ..... ندوة فكرية
- المشاريع الوحدوية العربية ١٩١٣ - ١٩٨٩: دراسة توثيقية (٧٩٥ص - ٥٢٠ص) ..... د. يوسف خوري
- البحر المتوسط في العالم المتوسط: دراسة التطور المقارن للمتوسط
- العربي وتركيا وجنوب أوروبا (١٢٠ص - ٥٢٠٥٠ص) ..... د. أمين ود. فيصل باشير
- سبياً وراء الرق: دراسة ميدانية عن هجرة المصريين للعمل في الأقطار العربية
- (٣٥٤ص - ٥٧٠ص) ..... د. نادر فرجاني
- التشكيلات الاجتماعية والتكوينات الطبقية في الوطن العربي:
- دراسة تحليلية لأهم التطورات والاتجاهات خلال الفترة ١٩٤٥ - ١٩٨٥
- (٢٥٢ص - ٥٠٠ص) ..... د. محمود عبد الفضيل
- سلسلة الثقافة القومية
- حقوق الإنسان في الوطن العربي (١٨٠ص - ٥٢٠ص) ..... حسين جميل
- عن العروبة والاسلام (٢) (٤٧٦ص - ٥٥٠ص) ..... د. عصمت سيف الدولة
- الوطن العربي: الجغرافية الطبيعية والبشرية (٣) (١٨٤ص - ٥٢٠ص) ..... ناجي علوش
- جامعة الدول العربية ١٩٤٥ - ١٩٨٥: دراسة تاريخية (٤٠٠ص)
- (١٢٨ص - ٤١٠٥٠ص) ..... أحمد فارس عبد المنعم
- الجامعة الأردنية: تجربة التكامل والوحدة (٥) (٢٨٨ص - ٤٣٠ص) ..... د. عبد المنعم سعيد
- العرب والقومية العربية في المغرب العربي (٦) (٢٠٠ص - ٤٢٠ص) ..... د. نازلي معوض أحمد
- الوحدة النقدية العربية (٧) (١٦٨ص - ٤١٠٥٠ص) ..... د. عبد المنعم السيد علي
- أوروبا والوطن العربي (٨)
- (٣٦٨ص - ٤٣٠٥٠ص) ..... د. نادية محمود محمد مصطفى
- المتفقون والباحث عن مسار: دور المثقفين في انطار الخليج العربية في التنمية (٩)
- (٢٤٤ص - ٤٢٠٥٠ص) ..... د. أسامة عبد الرحمن
- نحو عقد اجتماعي عربي جديد: بحث في الشرعية الدستورية (١٠)
- (١٠٨ص - ٤٠٠٥٠ص) ..... د. غسان سلامة
- السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي - الاسرائيلي ١٩٧٣ - ١٩٧٥ (١١)
- (١٤٤ص - ٤١٠٥٠ص) ..... د. محمد الأطرش
- معوقات العمل العربي المشترك (١٢) (١٥٦ص - ٤٢٠٥٢ص) ..... د. وليد عبد الحفي

## من منشورات



### مركز دراسات الوحدة العربية

- التحدي أمام الجنوب - تقرير لجنة الجنوب (٣٤٥ص - ٥٦) . . . . . لجنة الجنوب
- القطاع الملم والمقطاع الخاص في الوطن العربي (٩٤٠ - ٥٢٤) تجليل فني . . . . . ندوة فكرية
- الاعتماد المتبادل والتكامل الاقتصادي والواقع العربي - مقاربات نظرية (٤١٣ص - ٥١٠,٥٠) . . . . . ندوة فكرية
- النظام القانوني لانتقال رؤوس الأموال بين الأقطار العربية (سلسلة أطروحات الدكتوراه (١٦) (٢٨٦ص - ٥٧,٥٠) . . . . . د. علي كرمي
- حيازة القدرة التكنولوجية: حالة صناعة الانشاءات العربية (٢٩٧ص - ٥٧,٥٠) . . . . . انطوان زحلان
- تاريخ علم الفلك العربي - كتاب الهيئة (سلسلة تاريخ العلوم عند العرب (٢) (٤٩٦ص - ٥١٥) . . . . . مؤيد الدين العرشي
- من اعلام الملهاء العرب في القرن الثالث الهجري (٢٨٨ص - ٥٧,٥٠) . . . . . أحمد عبد الباني
- الرأسمالية والاشتراكية والتعايش السلمي (٢٦٤ص - ٥٧,٥٠) . . . . . ترجمة: هشام منولي
- الدين في المجتمع العربي (٦٣٤ص - ٥١٦) . . . . . ندوة فكرية
- التاريخ الاقتصادي للهلل الحبيب: ١٨٠٠ - ١٩١٤ (٧٢٤ص - ٥١٨) . . . . . شارل عيسوي
- التعاون العسكري العربي (٣٩٠ص - ٥١٠) . . . . . طلعت أحمد مسلم
- النقد الحضاري للمجتمع العربي في نهاية القرن العشرين (١٠٤ص - ٥٣) . . . . . د. هشام شرابي
- البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي - الصهيوني (سلسلة أطروحات الدكتوراه (١٥) (٢٢٤ص - ٥٥) . . . . . د. يوسف الحسن
- العقل السياسي العربي: محدداته وتحليلاته (نقد العقل العربي (٣) (٣٩٢ص - ٥١٠) . . . . . د. محمد عابد الجابري
- المهنات الأمريكية لاسرائيل (٢٨٠ص - ٥٦,٥٠) . . . . . د. محمد عبد العزيز ربيع
- عملية اتخاذ القرار في سياسة الأردن الخارجية (٢٦٠ص - ٥٦) . . . . . د. سعد أبو دة
- الحوار القومي - الديني (٣٨٤ص - ٥٩) . . . . . ندوة فكرية
- الاقتصاد العربي تحت الحصار: دراسات في الأزمة الاقتصادية المالية وتأثيرها في الاقتصاد العربي مع إشارة خاصة إلى الدلتا والمديونية العربية (٣٦٠ص - ٥٨) . . . . . د. رمزي زكي
- قياس التبعية في الوطن العربي (٢٦٤ص - ٥٦) . . . . . د. إبراهيم العيسوي
- الوحدة العربية: تجاربها وتوقعاتها (١١٥٢ص - ٥٢٨) . . . . . ندوة فكرية
- الدولة المركزية في مصر (٢٢١ص - ٥٥,٥٠) . . . . . د. نزيه نصيف الأيوبي
- القضية الفلسطينية في أربعين عاماً: بين ضراوة الواقع . . . وطموحات المستقبل (٥٢٠ص - ٥١٢) . . . . . ندوة فكرية
- استراتيجية تطوير العلوم والثقافة في الوطن العربي (سلسلة وثائق استراتيجية تطوير العلوم والثقافة في الوطن العربي (٢) (٦٤٤ص - ٥١٥) . . . . . ندوة فكرية
- أمريكا والوحدة العربية (٢٧٢ص - ٥٦) . . . . . د. علي الدين هلال
- إشكاليات الفكر العربي المعاصر (٢٠٠ص - ٥٥) . . . . . د. محمد عابد الجابري
- التنمية العربية (٤٤٠ص - ٥١٠) . . . . .
- سلسلة استشراف مستقبل الوطن العربي (سعد الدين إبراهيم وآخرون)
- يوميات ووثائق الوحدة العربية ١٩٨٨ (٧٩٢ص - ٥٢٠) . . . . . مركز دراسات الوحدة العربية
- الأمة والدولة والاندماج في الوطن العربي (جزءان) (١٠٨٨ص - ٥٢٥) . . . . . ندوة فكرية



## هذا الكتاب

تجلّت الحضارة العربية، في القرن الثالث الهجري، بعلوّ قدر العلم والمعرفة والتّاج وازدهار البحث والترجمة والتأليف، وظهور الابتكارات والمخترعات، وانسلاط رغد العيش في أرجاء الدولة العربية الاسلامية، وهو ما وسّم هذا القرن بسنوات تَفَخَّرَ بها الأمم والشعوب، من حيث حضارتها ورقّيتها، في شتّى مرافق الحياة، ومختلف نواحيها: الدينية والفكرية، والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية. وكان من نتائج هذه الحضارة مئات الكتب المتخصصة، التي أبدعتها قرائح عدد كبير من مشاهير العلماء والفلاسفة والفنانين، مما جعل هذا القرن - بحق - أساساً تقوم عليه حضارة العرب الذهبية.

وفي هذا الكتاب أحد عشر فصلاً، تنقل الى القارئ، بأمانة وعمق، عناوين حضارتنا في القرن الثالث، وتفصيل تلك الحضارة، في مناحيها الشاغرة في دنيا الفكر الانساني. فالكتاب يأخذنا، معرّفًا ومعلّمًا، الى مناحات العرب في اقتصادهم وميادين صناعتهم، وما كان لهم من شأو كبير في علوم الدين، والطب والصيدلة والرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء وعلوم الحيوان والنبات، والتاريخ والجغرافيا، فيسجل بدقة ما أُثِرُوا به العقل الانساني من ابداعات وملاحظات واضافات وترجمات تشهد للعرب، أنهم - بحق - واضعو أسس العديد من العلوم، وأنهم نظّروا في اللغة والفلسفة والفقه والفن نظريات لما تزل مثار اهتمام المفكرين.

لقد أنجز هذا الكتاب بفضل ما قدّم المؤلف من جهد كبير، وما في نفسه من حب دافق لحضارة أمته، ويفضل مئات المصادر والمراجع التي كانت عوناً له في اقامة هذا البناء الضخم، الذي سيكون من أهم المراجع وأغناها في علم الحضارة العربية.

## مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «سادات تاور» شارع ليون

ص. ب: ٦٠٠١ - ١١٣ - بيروت - لبنان

تلفون: ٨٠١٥٨٢ - ٨٠١٥٨٧ - ٨٦٩١٦٤

برقياً: «مرعبي»

تلكس: ٢٣١١٤ مارابي. فاكسميلي: ٨٠٢٢٣٣